الدكتور: أحمد سعيد قشاش

النَّبَاتُ

فِي جِبَالِ السَّرَاةِ وَالحِجَازِ

معجم لغوي نباتي مصور

الجزء الأول

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

قشاش، أحمد بن سعيد محمد
النبات في جبال السراة والحجاز: معجم لغوي نباتي مصور /
أحمد بن سعيد محمد قشاش - المدينة المنورة، ١٤٢٧ هـ
٢مج .
ردمك: ٠- ٦٧٢-٥٢-٩٩٦٠ (مجموعة)
٩- ٦٧٣-٥٢-٩٩٦٠ (ج١)

١- النباتات - السعودية - معاجم أ. العنوان
ديوي ٥٨١٫٠٩٥٣١٢٫٣   ١٤٢٧/٢٢٠٨

رقم الإيداع: ١٤٢٧/٢٢٠٨
ردمك: ٠- ٦٧٢-٥٢-٩٩٦٠ (مجموعة)
٩- ٦٧٣-٥٢-٩٩٦٠ (ج١)

تصوير:

د / أحمد بن سعيد قشاش

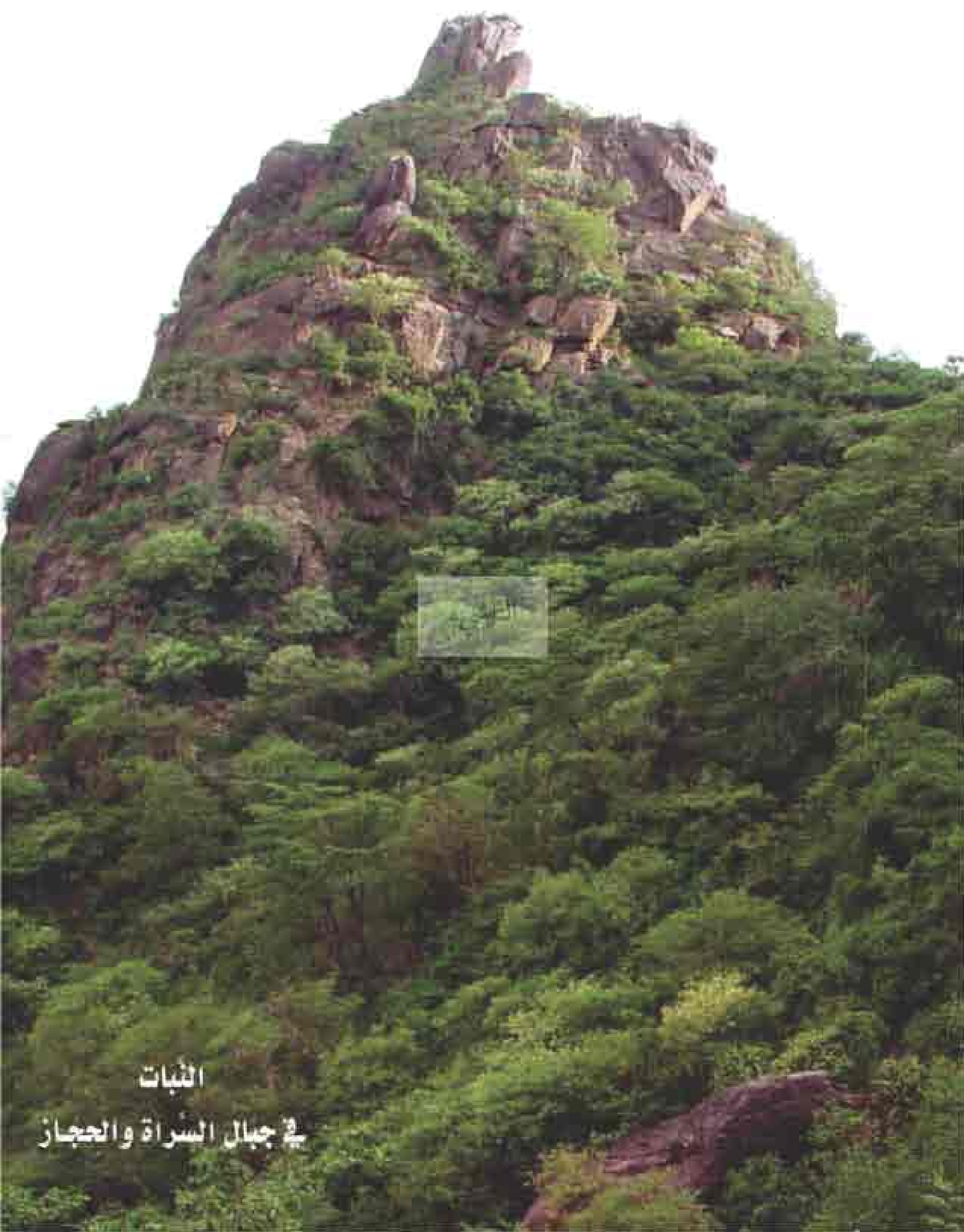
إخراج وتنفيذ:

د / أحمد بن سعيد قشاش
م / علي فضل السيد سرور

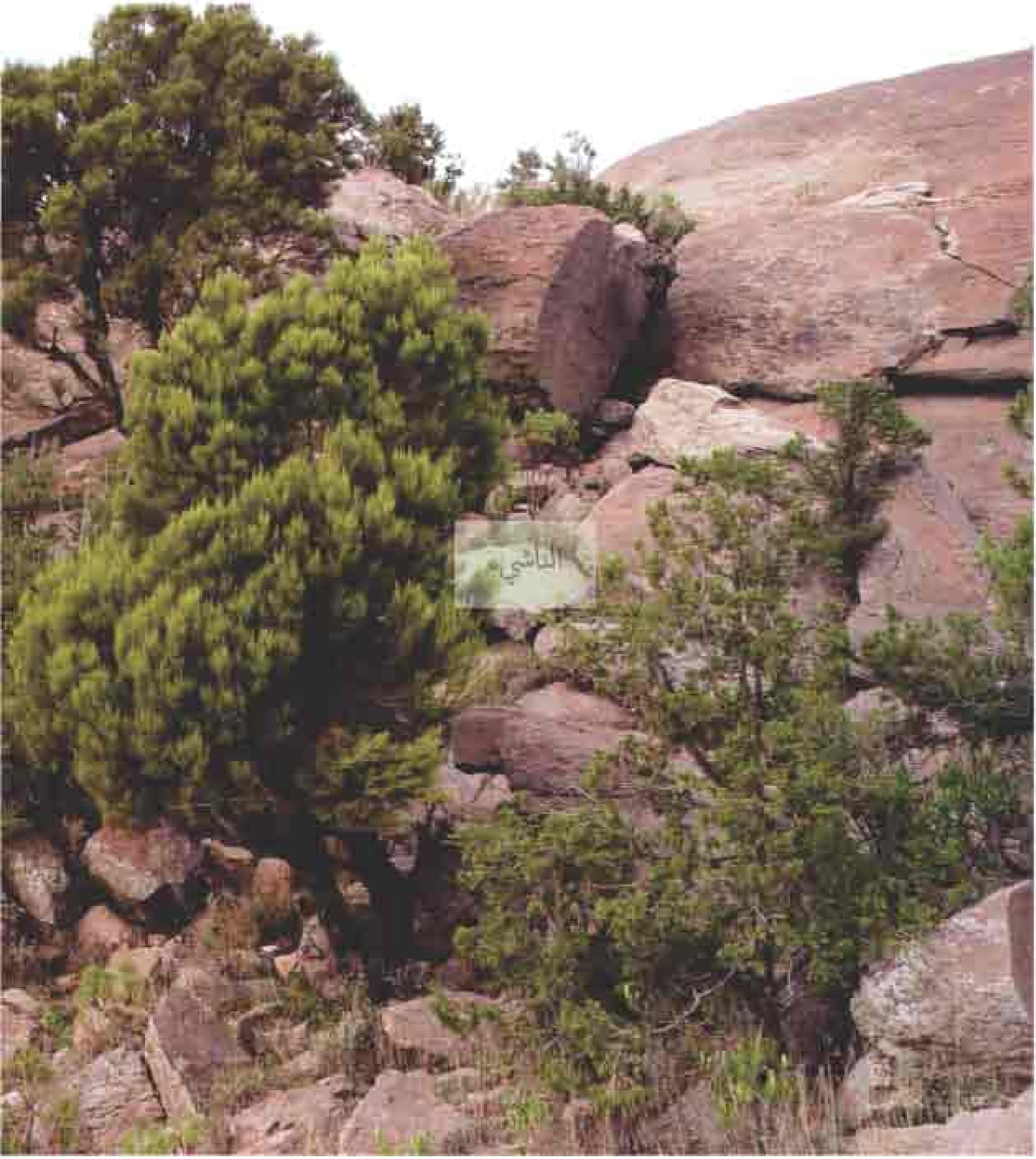
بريد المؤلف: ahmed_sg@hotmail.com

الطباعة:

الطبعة الأولى ١٤٢٧ هـ


النبات
في جبال السراة والحجاز

النَّيْش على قمم جبل منعا في تنومة، من ديار بني شهر



التَّقْدِيمُ

بقلم الأستاذ الدكتور : محمد بن يعقوب التُّركستاني
أستاذ الدِّراسات اللُّغويَّة بالجامعة الإسلاميَّة
في المدينة المنوَّرة

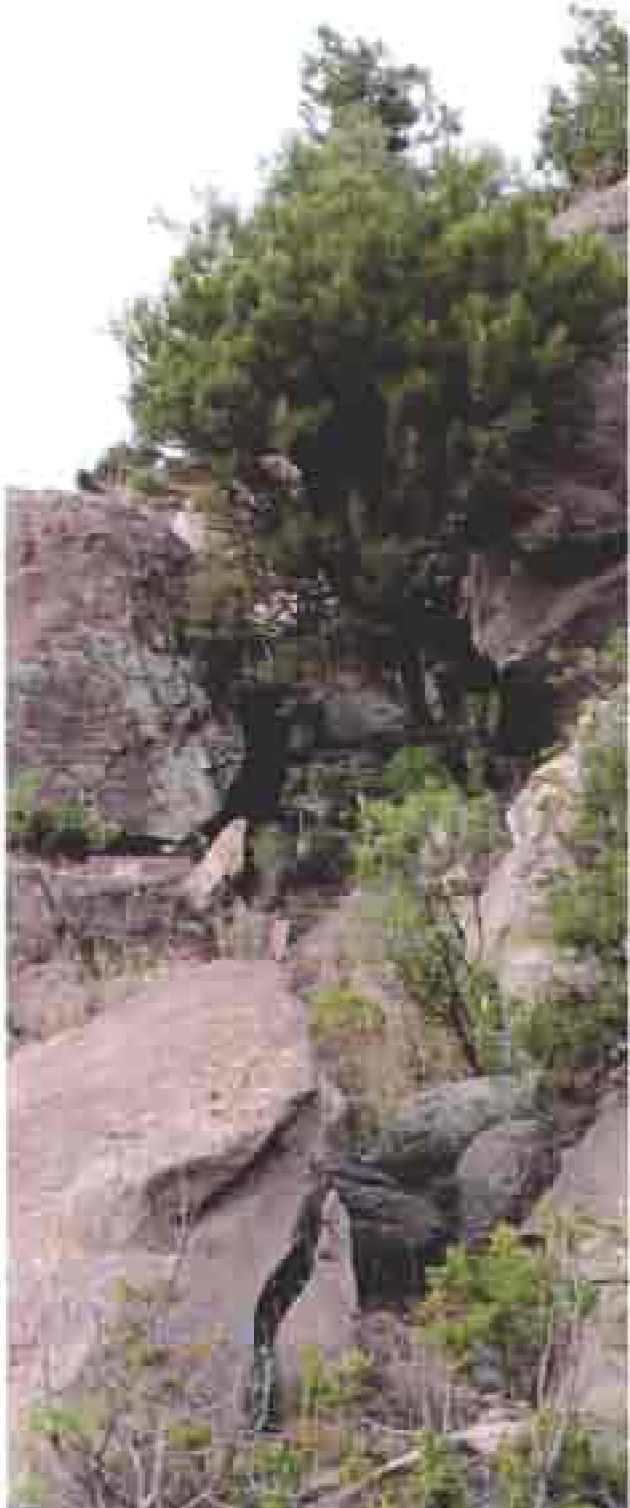
بِسْمِ الله ، والحَمْدُ لله ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلى رَسُولِ الله ، مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِالله ، وَعَلى آله وَصَحْبِه وَمَن وَالاهُ .

وَبَعْدُ: فَمَعَ كُلِّ مَا يُحِيطُ بِنَا _ في كُلِّ عَصْرٍ وَمِصْرٍ _ مِنْ دَوَاعي الإِحْبَاطِ وَصُوَرِه وَأَشْكَاله المُخْتَلِفَة، نَحْنُ أُمَّةٌ مُؤْمِنَةٌ يَتَتَابَعُ فِينَا _ وَلله الحَمْدُ _ العِلْمُ والعَمَلُ والفَضْلُ، وَيَسْتَمِرُّ فِينَا العَطَاءُ والإِيثَارُ والاجْتِهَادُ، وَتَتَضَافَرُ عَنَاصِرُ الخَيْرِ الَّتي تُغَذِّي العَقْلَ، وَتُنَمِّي الفِكْرَ، وَتُرْهِفُ الحِسَّ، وَتُعِينُ عَلى تَرْسِيخِ مَعَاني الثَّبَاتِ عَلى الحَقِّ، والصَّبْرِ عَلى المَكَارِه، و لِلتَّسَامِي إلى مَعَالي الأُمُورِ وَالتَّرَفُّعِ عَنْ سَفَاسِفِهَا .

وَهَذَا الَّذِي أُقَدِّمُهُ _ اليَوْمَ _ لِقُرَّاءِ العَرَبِيَّةِ يُعَدُّ مِنْ هَذَا الضَّرْبِ مِنَ العِلْمِ والعَمَلِ وَالعَطَاءِ وَالاجْتِهَادِ المُتَتَابِعِ فِينَا، المَادِّ بِنَا في حَيَاةِ التَّقَدُّمِ وَالحَضَارَةِ وَالعُمْرَانِ؛ رَغْمَ كُلِّ المُثَبِّطَاتِ، لِلْمُسْتَشْرِفِ لَنَا _ دَوْمًا _ آفَاقًا جَدِيدَةً في طَرِيقِ القُوَّةِ وَالقُدْوَةِ والجِدِّ المُتَّصِلِ النَّافِعِ لِلنَّاسِ؛ لِنَعِيشَ الحَيَاةَ وَبَهَاءَهَا وَأَلَقَهَا بِمَا نَتَمَتَّعُ بِه مِن صِفَاتِ الخَيْرِيَّةِ وَأَسْبَابِ التَّفَوُّقِ في كُلِّ المَجَالاتِ، وَبِمَا نَتَمَيَّزُ بِه مِن خُلُقٍ رَضِيٍّ، وَمُرُونَةٍ وَاعْتِدَالٍ، وَإِشْرَاقٍ وَتَفَاؤُلٍ، وَوَفَاءٍ وَوِئَامٍ بَيْنَ الأَجْيَالِ .

• • •

إِنَّ مُعْجَمَ ((النَّبَاتِ في جِبَالِ السَّرَاةِ وَالحِجَازِ)) الَّذي أُقَدِّمُهُ لِقُرَّاءِ العَرَبِيَّةِ: عَمَلٌ نَظَرِيٌّ وَمَيْدَانِيٌّ فَذٌّ يَتَنَاوَلُ أَلْفَاظَ النَّبَاتِ وَشَرْحَهَا، وَيَعْمِدُ إلى تَقْلِيبِ النَّظَرِ فِيهَا عَلى وُجُوهِهَا، وَيَعْمَلُ عَلى التَّعْرِيفِ بِالنَّبَاتَاتِ، وَجَلاءِ مَا بَيْنَهَا من اخْتِلافٍ؛ بِطَرِيقَةٍ جَدِيدَةٍ في الفِقْهِ وَالاسْتِقْصَاءِ؛ وَيَبْدُو ذَلِكَ في خُطُوَاتِ العَمَلِ في المُعْجَمِ، وَفي الوُقُوف





عَلى كُلِّ نَبْتَة، وَتَصْويرِهَا في مُخْتَلف أَشْكَالهَا وَمَرَاحِلهَا وَحَالاتهَا، وَفي السَّفَرِ إلَى كُلِّ نَبَاتٍ لِلْمُقَارَنَة وَالتَّحَقُّق من نسْبَته إلَى قُطْره، وَفي الاسْتعَانَة بِالأَدلاَّء منْ أَعْرَاب قَبَائِل الحِجَاز وَالسَّرَاة المُعَاصِرين ـ من كبَار السِّنِّ؛ منْ أَصْحَاب الخِبْرَة والمَعْرفَة ـ لعَرْض أَلْفَاظ النَّبَات وَمَا يَتعَلقُ بهَا عَلَيْهِمْ.

وَيَبْدُو ذَلكَ ـ أَيْضًا ـ فيمَا تَوَفَّرَ عَلَيْه المُعْجَمُ من طَرِيقَة لِجَمْع أَسْمَاءِ النَّبَاتَات المَعْزُوَّة إلَى جبَال السَّرَاة وَالحِجَاز؛ بالرُّجُوع إلَى الأُصُول من مَعَاجِم النَّبَات وَاللُّغَة، وَضَبْطهَا وَذكْر حَجْمهَا وَعُمْرهَا وَمَنَابتهَا وَانتشَارهَا العَمُوديِّ، وَوَصْفهَا بالتَّفْصيل، وَتَصْويرهَا كَاملَةً بحَيْثُ تَتَّضحُ كُلُّ نَبْتَة مَعَ نظَامهَا الزَّهْريِّ وَالثَّمَريِّ، وَتتميَّزُ عَنْ غَيْرهَا.

صَحيحٌ أَنَّهُ بُرِئَ في وَضْع مَعَاجمَ للنَّبَات في وَقْت مُبَكِّر؛ لَمْ يَتَجَاوَز القَرْنَ الثَّالثَ للْهِجْرَة؛ وَتمثَّلَ ـ في البَدْء ـ في جَمْع أَلْفَاظه. ثُمَّ تَلاَ ذَلكَ تَخْصيصُ كُتُب لَهُ مُعْجَميَّة؛ تَحْصُرُ أَشْكَالَهُ، وَتمثِّلُ لَهَا، وَدراسيَّة تَأْتي عَلَى فلاَحَته، واسْتعْمَالاَته الطِّبِّيَّة. وَفي العَصْر الحَديث عُنيَ البَاحثُونَ بالنَّبَات بضُرُوب مُتَنَوِّعَة منَ العنَايَة؛ فَمن بَاحث فيه منْ وجْهَة لُغَويَّة، وَمن بَاحث فيه منْ وجْهَة زرَاعيَّة، وَمنْ بَاحث منْ وجْهَة طبِّيَّة.

لَكنَّ هَذَا المُعْجَمَ اسْتَخْرَجَ أَلْفَاظَ النَّبَات الَّتي ذَكَرَهَا القُدَمَاءُ في كُتُبهم؛ ممَّا يَنْبُتُ في القُرَى وَالجبَال وَالسُّهُول وَالميَاه وَالأَوْديَة ـ في الحِجَاز وَالسَّرَاة ـ منَ الأَشْجَار وَمَا يَتَعَلَّقُ بهَا منْ أَسْمَاء أَمْكنَة وَبُلْدَان وَميَاه، وَمَا اخْتَلَفُوا فيه؛ تَسْميَةً أَوْ وَصْفًا، وَذَكَرَ مَا رَوَتْهُ كُتُبُ اللُّغَة من لُغَات فيهَا، وَمَا ذَكَرَهُ المُحْدَثُونَ من البَاحثينَ وَالعَوَامِّ، وَوَازَنَ بَيْنَ الأَقْوَال وَالأَوْصَاف، وَعَرَضَهَا عَلَى المُعَاصرينَ، وَحَقَّقَ فيهَا، وَبيَّنَ مَا طَرَأَ عَلَيْهَا من تَغْيير في النُّطْق، وَمَا تَرَادَفَ عَلَيْه منْهَا لَفْظَان، وَمَا سُمِّيَ منْهَا بغَيْر اسْمه، وَمَا يَعْرفُهُ النَّاسُ منْهَا باسْم مُخْتَلف عَمَّا ذَكَرَهُ القُدَمَاءُ، وَسَبَبَ ذَلكَ. وَحَدَّدَ نَوْعَ كُلِّ نَبْتَة وَفَصيلَتهَا. وَوَضَّحَ صفَاتهَا.

احْتَوَى المُعْجَمُ عَلَى مَعْلُومَات عَنْ أَرْبَعمائَة نَبْتَة؛ لَمْ يَكْتَف فيهَا بوَصْف كُلِّ نَبْتَة في جذْعهَا أَوْ سَاقهَا، وَأَغْصَانهَا، وَأَوْرَاقهَا، وَأَزْهَارهَا، وَثمَارهَا. بَلْ تَجَاوَزَ ذَلكَ إلَى ذكْر حَجْمهَا، وَعُمْرهَا، وَفَوَائدهَا المُخْتَلفَة. وَجَاءَ ذَلكَ كُلُّهُ مُقْرُونًا بالصُّوَر المُوَضِّحَة؛ الَّتي بَلَغَتْ نَحْوًا منْ أَرْبَعَة آلاَف صُورَة.

وَهُوَ عَمَلٌ فَذٌّ ـ كَذَلكَ ـ لأَنَّهُ كَبيرٌ يَشْمَلُ رُقْعَةً وَاسعَةً منْ شبْه جَزيرَة العَرَب؛ تَمْتَدُّ عَبْرَ سلْسلَة جبَال السَّرَاة وَالحجَاز؛ منْ أَقْصَى جَنُوبهَا إلَى أَقْصَى شمَالهَا (منْ أَقْصَى جَنُوب الجَزيرَة العَرَبيَّة إلَى شمَال الطَّائف. وَمنْ وَادي السَّيْل؛ شمَالَ الطَّائف، إلَى جبَال مَدْيَنَ؛ قُرْبَ خَليج العَقَبَة) وَتُعَدُّ هَذه الرُّقْعَةُ أَكْبَرَ الأَقَاليم النَّبَاتيَّة في جَزيرَة العَرَب؛ لوَفْرَة الغطَاء النَّبَاتيِّ فيهَا وَتَنَوُّعه؛ بسَبَب اعْتدَال مَنَاخهَا وَغَزَارَة أَمْطَارهَا؛ وَتُعَدُّ رُقْعَةً وَاحدَةً ـ مَعَ اتِّسَاعهَا ـ لأَنَّ جبَالَ الحجَاز تَلي جبَالَ السَّرَاة؛ وَهيَ امْتدَادٌ لَهَا.

وَللإحَاطَة بجَميع النَّبَاتَات في هَذه الرُّقْعَة الوَاسعَة، وَالتَّعْريف بهَا، وَبأَسْمَائهَا وَأَنْوَاعهَا، وَصفَاتهَا، وَمَنَافعهَا؛ عَنْ طَريق المُشَاهَدَة وَالتَّصْوير. وَلاسْتقْصَاء كُلِّ مَعَارف النَّاس عَنْ هَذه النَّبَاتَات، وَالتَّحْقيق فيهَا ـ سَافَرَ البَاحثُ إلَى مُخْتَلف مَنَاطق هَذه الرُّقْعَة؛ للْوُقُوف عَلَى هَذه النَّبَاتَات فيهَا، وَتَصْويرهَا، وَمُتَابَعَتهَا، وَوَصْفهَا في مَرَاحلهَا المُخْتَلفَة. بَلْ سَافَرَ إلَى عُمَانَ وَاليَمَن وَجَزيرَة سُقَطْرَى؛ لوُجُود شَبَه في الغطَاء النَّبَاتيِّ بَيْنَ هَذه المَنَاطق وَمَنَاطق هَذه الرُّقْعَة.

• • •

وَأَنَا ـ هُنَا ـ لَسْتُ بصَدَد التَّعْريف بهَذَا المُعْجَم؛ فَإنَّ وَاجبَ تَقْديمه لاَ يَقْتَضيني التَّعْريفَ به؛ فَقَدْ ذَكَرَ البَاحثُ نَفْسُهُ ـ في المُقَدِّمَة ـ مَا



تنوع نباتي كثيف على ضفاف نبع ذي عين _ شمال المخواة

يُوضِّحُ مَوْضُوعَهُ، وَالهَدَفَ مِنْهُ، وَالخُطْوَاتِ الَّتِي سَارَ عَلَيهَا فِيهِ . ثُمَّ هُوَ ـ بَعْدَ طِبَاعَتِهِ ـ مُتَاحٌ لِقُرَّائِهِ؛ وَسَيَقِفُونَ عَلَى مَا فِيهِ . وَإِنَّمَا يَقْتَضِينِي التَّعْرِيفَ بِصَاحِبِهِ .

وَقَدْ عَرَفْتُ صَاحِبَهُ طَوَالَ صُحْبَةٍ مَدِيدَةٍ؛ يَزِيدُ عُمْرُهَا عَنْ عِشْرِينَ عَامًا؛ فِي جَامِعَةِ المَلِكِ عَبْدِالعَزِيزِ فِي جُدَّةَ، فَفِي الجَامِعَةِ الإِسْلَامِيَّةِ فِي المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ ـ عَرَفْتُهُ امْرَءًا يَنْزِعُ إِلَى الجِدِّ فِي كُلِّ شُؤُونِهِ . وَمِن نُزُوعِهِ إِلَى الجِدِّ جَاءَ اخْتِيَارُهُ ((مُعْجَمَ النَّبَاتِ فِي جِبَالِ السَّرَاةِ وَالحِجَازِ)) مَيْدَانًا لِعَمَلِهِ؛ فَمَا أَسْرَعَ مَا وَجَدَ فِيهِ ذَاتَهُ، وَظَفِرَ لِقُدْرَاتِهِ بِعَمَلٍ لَمْ يَرْضَ بَعْدَهُ بِغَيْرِهِ، مَعَ كُلِّ مَا صَدَفَهُ مِن نُصُوصِ التُّرَاثِ وَمَوْضُوعَاتِ اللُّغَةِ الكَثِيرَةِ، الَّتِي يَشْتَغِلُ بِهَا الآخَرُونَ؛ وَمَعَ كُلِّ الصَّوَارِفِ الَّتِي شَغَلَتْهُ عَنْهُ، وَالصِّعَابِ الَّتِي لَاقَاهَا فِي سَبِيلِهِ .

وَكُنْتُ أُتَابِعُ عَمَلَهُ فِي هَذَا المَيْدَانِ، مُنْذُ بَدْئِهِ فِيهِ، وَأَقُولُ فِي نَفْسِي: لَقَدْ وَافَقَ هَذَا المَيْدَانُ مِفْتَاحَ شَخْصِيَّتِهِ؛ فَقَدْ كَانَ يَرَى الأُفُقَ أَمَامَهُ فِيهِ أَرْحَبَ، وَالمُكَافَأَةَ عَلَى عَمَلِهِ فِيهِ أَجْزَلَ . وَمِن ثَمَّ أَفْنَى عَشْرَ سَنَوَاتٍ تَامَّاتٍ مِنْ عُمْرِهِ فِيهِ؛ وَهُوَ يَقْرَأُ وَيَجْمَعُ وَيَكْتُبُ وَيُسَافِرُ وَيُصَوِّرُ وَيَبْحَثُ فِي صَمْتٍ وَحِرْصٍ عَجِيبَيْنِ ؛ بَلْ لَا يَفْتَأُ يُوَالِي عَمَلَهُ فِيهِ بِمَا آتَاهُ اللهُ مِنْ كِفَايَةٍ وَمَقْدِرَةٍ، وَبِمَا كَسَبَ مِنْ خِبْرَةٍ وَتَجْرِبَةٍ؛ وَكَأَنِّي بِهِ يَسْتَشْعِرُ عِظَمَ عَمَلِهِ، وَمَا يَقْتَضِيهِ مِن إِرْهَاقِ الفِكْرِ وَالنَّفْسِ وَالجَسَدِ جَمِيعًا فِي تَحْقِيقِهِ عَلَى وَجْهِهِ .

وَلَعَلَّ مِنْ أَثَرِ هَذَا العَمَلِ فِي حَيَاتِهِ مَا نَرَاهُ مِنْ تَوَحُّدِهِ، وَانْعِزَالِهِ عَنِ النَّاسِ، وَعُزُوفِهِ عَن مَجَالِسِهِمِ العَامَّةِ؛ وَإِنْ كَانَ هُوَ ـ بِطَبْعِهِ ـ مَيَّالًا لِلعُزْلَةِ؛ يُحِبُّ أَنْ يَعِيشَ فِي هُدُوءٍ وَسَكِينَةٍ، وَعِفَّةِ نَفْسٍ وَلِسَانٍ وَيَدٍ .

إِنَّهُ مِنْ أُولِي العَزْمِ؛ مِنَ البَاحِثِينَ المُتَّئِدِينَ؛ المُؤَهَّلِينَ لِلأَعْمَالِ الكَبِيرَةِ، النَّاهِضِينَ بِالأَعْبَاءِ الثِّقَالِ؛ فَهُوَ جَادٌّ مُتْقِنٌ؛ يَخْتَارُ الصَّبْرَ عَلَى مَا فِيهِ مِن مَضَاضَةٍ، وَمُخْلِصٌ فِي عَمَلِهِ؛ يَخْتَارُ الدِّقَّةَ عَلَى مَا فِيهَا مِنْ عَنَاءٍ؛ مَعَ تَفْكِيرٍ سَدِيدٍ فِي رِفْقٍ وَأَنَاةٍ، وَقُوَّةٍ فِي تَوَاضُعٍ وَسَمَاحَةِ نَفْسٍ، وَطَبْعٍ نَقِيٍّ فِي وَدَاعَةٍ وَتَهْذِيبٍ، وَهُدُوءٍ فِي يَقَظَةٍ، وَصَرَاحَةٍ فِي إِخْلَاصٍ وَسَلَامَةِ صَدْرٍ .

وَلَعَلَّ بَعْضَ هَذِهِ الصِّفَاتِ أَن يَشِفَّ عَنْهَا بَعْضُ مَا فِي هَذَا المُعْجَمِ مِن سِمَاتٍ .

• • •

وَلَا عَلَيَّ إِن كُنْتُ مَدَحْتُ صَاحِبَ هَذَا المُعْجَمِ ـ وَأَنَا أُعَرِّفُ بِهِ فِي هَذَا التَّقْدِيمِ ـ بِمَا عَلِمْتُهُ حَقًّا مِّن شَخْصِهِ وَعِلْمِهِ وَعَمَلِهِ طَوَالَ صُحْبَةِ عِشْرِينَ عَامًا؛ فَالمَدِيحُ الحَقُّ جَائِزٌ شَرْعًا فِي الغَيْبَةِ وَالحُضُورِ .

وَاللهَ أَسْأَلُ أَنْ يَمْنَحَ الجَمِيعَ التَّوْفِيقَ وَالسَّدَادَ فِي القَوْلِ وَالعَمَلِ، وَأَن يَنْفَعَ بِجُهْدِ كُلِّ طَالِبِ عِلْمٍ نَافِعٍ؛ وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الوَكِيلِ .

مُحَمَّد يَعْقُوب تُرْكِسْتَانِي



قمم الأسنان بأعلى وادي الجنش _ جنوب بلجرشي

المُقدّمة

الحمد لله الذي جعل الجبال أوتادًا، وأنزل من السَّماء ماءً فراتًا، فأخرج به حبًا ونباتًا، وجنات ألفافًا، أحمده تعالى حمد الشَّاكرين، أسبغ على عباده عظيم آلائه، وأفاض عليهم من واسع فضله ونعمائه. وأصلي وأسلم على سيد المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن دعا بدعوته، وسار على هديه إلى يوم الدين.

وبعد:

فقد ارتبط الإنسان بالنَّبات منذ فجر الخليقة في علاقة أزلية دائمة، بدأت من حين أن خُلق أبو البشر آدم عليه السلام، وأكرم بنعيم الجنة والأكل مما شاء من أشجارها، ونُهي عن تلك الشجرة التي كانت، لحكمة إلهية بالغة، سبب هبوطه، عليه السلام، من الجنة إلى الأرض.

هبط الإنسان إلى هذه الأرض ليكون خليفة لها، وفي موطنه الجديد لم تنقطع علاقته بذلكم النَّبات، بل زادت أواصر تلك العلاقة قوةً، وتوثقت وشائجها عمقًا؛ إذ لم يكن في استطاعته أن يعيش على سطح هذه البسيطة، لولاه، فمنه الهواء الذي يتنفس، والطعام الذي يأكل. اتخذ من ذلك النَّبات مسكنه، وعالج أسقامه. أطعم ماشيته، وصنع ملابسه، وأسلحته وسائر أمتعته. تفيأ ظلاله في الحر اللافح، واستدفأ أواره في الشتاء القارس، واستنار بضوئه في الظلام الدامس. فيه آيات معجزات، وعلامات باهرات، فيه عبر وعظات، منافعه لا تحصى، وفوائده كثيرة لا تستقصى.

ذلك هو النَّبات نعمة من أعظم النعم، ومنحة من أجل المنح، ليس فقط على هذا الإنسان، بل على سائر ما خلق الله تعالى من دابة تسير على الأرض، أو تطير في السماء، أو تسبح في الماء.

نَعَم، ذلك هو النَّبات نعمة عظيمة امتنَّ بها سبحانه وتعالى على خلقه في مواضع كثيرة من محكم آياته، امتن على عباده بأن خلق لهم من النَّبات أنواعا مختلفة، فقال عز من قائل: ﴿ أولم يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم ﴾(١). وقال: ﴿ وأنزل من السماء ماء. فأخرجنا به أزواجا من نبات شتَّى ﴾ (٢). وخلق لهم من أصناف الثمار وأنواعها ما يأكلون، ولا يملّون، فقال: ﴿ وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم ﴾(٣).

وأخرج لهم من الأرض القاحلة الجرز نباتًا، منه يأكلون ومنه تأكل أنعامهم. فقال: ﴿ أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون ﴾(٤).

وجعل لهم من النَّبات حدائق غناء ذات أنس وبهجة وجمال، فقال: ﴿ أمّن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة. ما كان لكم أن تنبتوا شجرها ﴾(٥).

وهداهم إلى التأمل في خلق النَّبات وأنه من المعجزات الباهرة التي يستدل بها العقلاء على وحدانية الله، وأنه من أعظم الآيات على البعث بعد الموت، فقال: ﴿ وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج. ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير ﴾(٦).

وقد أدرك الرعيل الأول من علماء العرب والمسلمين أهمية النَّبات في حياة العرب ولغتهم وأشعارهم، فأولوه ما يستحق من عناية وجهد. كان حافزهم الأول أن عددا كبيرا من ألفاظ النَّبات وصفاته قد نزل بها القرآن الكريم، وذُكرت في الحديث النبويّ الشريف، فاجتهدوا في معرفتها وضبطها وتفسيرها، ثم وجدوا في لغة العرب، عند تدوينها، أن ألفاظ النَّبات كانت تشغل حيزا كبيرا من لغتهم، وتكوّن مادة لغوية وفيرة، صنفوها في كتب ورسائل خاصة بأسماء النَّبات والشجر (٧). أو في فصول خاصة من معاجم المعاني المصنفة حسب الموضوعات، وكذلك فعل أصحاب المعاجم العربية القديمة، فقد حوت تلك المعاجم مادة كبيرة من أسماء النَّبات والشجر في جزيرة العرب. وكانت دراسة النَّبات عند هؤلاء تتناوله، في الغالب، من الجانب اللغوي عند العرب. ومنهم فئة درست النَّبات من الوجهة المعنية

---

(١) الشعراء، ٧. (٢) طه، ٥٣. (٣) البقرة، ٢٢. (٤) السجدة، ٢٧. (٥) النمل، ٦٠. (٦) الحج، ٥، ٦.

(٧) ينظر: معجم المعاجم ١١٥ – ١١٩. وقد ذكر المؤلف في هذا الكتاب أكثر من ثلاثين مصنفا من تلك المصنفات اللغوية المختصة بالنَّبات. طُبع منها: كتاب الشجر والكلأ، لأبي زيد (ت– ٢١٥هـ) والنَّبات، والنخلة والكرم للأصمعي (ت – ٢١٦هـ)، وكتاب النخل، لأبي حاتم السجستاني (ت –٢٥٠ هـ) والجزء الثالث، وقطعة من الجزء الخامس من كتاب النَّبات، لأبي حنيفة الدينوري (ت – ٢٨٢هـ).


غابة شعب الفقهاء _ غرب بلجرشي

بالفلاحة والاستعمالات الطبية، ولم تخلُ مؤلفات هؤلاء من نقول لغوية كثيرة عن مصنفات أهل اللغة في النّبات، كأبي حنيفة الدِّينوري والأصمعي وغيرهما (١) .

وفي هذا العصر احتل النّبات مكان الصدارة من جهود الباحثين وعنايتهم، وسلكوا في الكتابة عنه طرقًا وأغراضًا مختلفة، فمنها الطبية أو الصيدلانية، ومنها الزراعية، ومنها اللغوية، وشارك في تلك الجهود باحثون كثيرون من العرب وغيرهم ، كتبوا عن النّبات في الجزيرة العربية، ومنها المملكة العربية السعودية، وكلٌّ تناوله من موقع تخصصه وزاوية منهجه. فأوضحوا شيئا كثيرا من نباتات جزيرة العرب .

ثم كان هذا الكتاب وعنوانه ((النّبات في جبال السَّراة والحجاز)) وهو معجم لغوي نباتي مصور، أرجو أن يكون متميزًا في منهجه، فريدًا في مادته، يستفيد منه العالم والمتعلم. حفزني إلى تأليفه حبي الشديد لهذه اللغة العظيمة؛ لغة القرآن الكريم والحديث الشريف، حبًا انطوى عليه قلبٌ مفعم بهوى دفين، وولع مكين بالنّبات وتسلق الجبال، وحنين إلى ماض جميل كنت فيه طفلاً صغيرًا ثم شابًا يافعًا أرعى الغنم وأحمي الزرع في قريتي الهادئة الجميلة قرية (حزْنَة) مسقط الرأس، ومرابع الطفولة، ومدارج الصِّبا، فيها وما جاورها من موطني الأول في جبال السَّراة. الأمر الذي أتاح لي معرفة كثير من نباتات تلك الجبال وحيواناتها وطرقها وكهوفها وشعابها وأوديتها وعيونها . وحيث استقر بي المقام في خير بلد في طيبة الطيبة؛ مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي واسطة العقد من جبال الحجاز، فقد عرفت من تلك الجبال ونباتاتها ما شجعني ورغب إليَّ في أن تكون ضمن عملي في هذا الكتاب .

ولم أكن بدعًا في الكتابة عن النّبات، بل عن النّبات في جبال السَّراة والحجاز خاصة، فقد سبق إلى ذلك الأئمة الأبرار؛ من علماء اللغة وغيرهم. ومن أولئك عَرَّام السُّلَمِيّ في كتابه النادر (أسماء جبال تهامة وسكانها) فقد أورد أسماء كثير من نباتات جبال الحجاز والسَّراة، ونقلها عنه أصحاب معاجم البلدان أمثال البكريّ وياقوت وغيرهما. وكذلك ذكر أبو زيد في (كتاب الشَّجر والكلأ) عددًا من نباتات جبال تهامة والحجاز. وذيَّل الأصمعي كتابه في (النّبات) بفصل خَصّ به النّبات في جبال السَّراة، وصدَّره بآخر عن النّبات في جبال الحجاز، عدد فيهما جملة صالحة من نباتات تلك الجبال. ثم أفرد أبو عبيد في كتابه (الغريب المصنف) بابًا خاصًا عن نباتات جبال السَّراة، سمَّاه (باب أشجار الجبال) نقل معظمه عن الأصمعي، وكذلك فعل ابن قتيبة في كتاب الجراثيم فذكر باب الشجر والنبات في السَّهْل والجبل . ثم جاء أبو حنيفة الدِّينوريّ فروى عن أعراب السَّراة كثيرا من أسماء نباتات بلادهم مع تحليتها (٢). وأفرد ابن سيده في كتابه (المخصص) بابًا مستقلاً للنبات سماه كأبي عبيد (باب أشجار الجبال) ذكر فيه معظم نباتات جبال السَّراة والحجاز، مع تحلية أكثرها. ويلاحظ أن معظم الأنواع النباتية التي ذكروا، ما زالت باقية إلى اليوم، وعلى التوزيع الجغرافي نفسه؛ وهذا يعني أن المناخ الذي كان سائدًا في ذلك العصر لا يختلف كثيرًا عنه في عصرنا هذا .

ولا يخفى أن جبال السَّراة وتليها جبال الحجاز التي تعد امتدادا لها، قد تميزت، منذ القدم، دون غيرها من الأقاليم الأخرى بوفرة الغطاء النّباتي وتنوعه، ساعد على ذلك، بإذن الله، عوامل بيئية جيدة، من أهمها اعتدال مناخها وغزارة أمطارها (٣) . الأمر الذي شجع أولئك العلماء على دراسة نباتاتها في أبواب أو فصول خاصة، أو الجلوس إلى أهلها والرواية عنهم مباشرة، كما فعل الأصمعي وأبو حنيفة الدينوري، وغيرهما من علمائنا الأوائل . إلا أن كثيرا من الألفاظ أو الدلالات النّباتية التي عزاها أولئك الأئمة إلى تلك الجبال تصعب معرفتها لدى طائفة كبيرة من الباحثين والمهتمين بالنّبات عامة، وكم هم أولئك الذين يرجعون إلى تلك المصادر أو إلى غيرها من أصول اللغة والأدب فيجدون أنفسهم أمام عدد كبير من ألفاظ النّبات مجردة من الوصف، أو لا يجدون وصفا لها بأكثر من قولهم : ((وهو معروف)) أو ((وهو شجر)) أو ((وهو نبات)) . أو يجدون ألفاظا لا ينطبق وصفها المذكور على مسمياتها. وربما وجدوا روايات مختلفة تصل أحيانا إلى حد التناقض، وأخطاء نقلها أولئك القدماء عن غير قصد، لأن كثيرا منهم كان ينقل سماعًا بلا مشاهدة، وليس من سمع كمن رأى. ومن ذلك قولهم: الضَّبر يزهر ولا يثمر، وإن البَشَام والتَّنْعيم والحلّ والضَّهياء والثُّعب والمَظّ لا ثمر له، وجعلهم البَكَا، وهو سام قاتل، من أشجار السواك، وتفسير الضَّرف بالتين، والعُرْفُط بالطَّلح، والقان بالنَّبْع، والنَّدْغ أو السِّحاء بالصَّعْتر البريّ. وتشبيه الصَّوْم وأوراق الأَثْب بالأثل، وتشبيه أوراق الشَّوْحَط بأوراق الطَّرْخُون، والخلط بين الشَّوْحَط والنَّبْع والسَّراء والنَّشَم والشِّرْيان، أو جعل هذه الأنواع كلها شجرة واحدة تختلف باختلاف منابتها. وقولهم بأن العَفَار لا ورق له، وكذلك قالوا عن السَّلَع، وقول بعضهم عن النَّشَم: إنه شجر خَوَّار، والصَّوْم شجرة قبيحة المنظر، ليس لها ورق، وتشبيه الضَّهْيَاء بالعُنَّاب، وورقها بورق الجوز، وثمرها بثمر الصنوبر، ونَورها بنَور الضِّرْو. وإن نور الشَّيْعة والسِّحاء أحمر، وإن القَرَظ هو ورق السَّلَم، وإن السَّوْسَن لا ينبت بأرض العرب، وإن الجَعْدَة مما ينبت على الأنهار ... ومن أوهام بعض المعاصرين خلطهم بين الثُّعْبَة والأَثْبَة، وبين هذه الأخيرة والجميزة .

ولكل ما ذُكر وما سيذكر من أهداف لاحقة، عقدت العزم، مستعينًا بالله، على تأليف هذا الكتاب، الذي يضم بين دفتيه الكثير والمهم والنادر مما ذكره المتقدمون من نباتات جبال

---

(١) ينظر : تاريخ النَّبات عند العرب ٢٧ – ٢٢٨، و(كتب النَّبات) مقال للدكتور حسين نصار، منشور في مجلة المجمع العلمي بدمشق، ص ٥٧٨ – ٦٠٨ (المجلد ٣٥ – ١٣٧٩هـ) .

(٢) أي وصفها .

(٣) سأخص هذا الموضوع بحديث أوسع في التمهيد، إن شاء الله .



وادي قراقر (الديسة) ـ شرق ضباء

السَّراة والحجاز، سواء ما نبت منها في شعاف تلك الجبال وأصدارها وأغوارها التهامية، أو نبت على سفوحها المنحدرة إلى الشرق، وسواء كان ذلك من الأشجار الكبيرة، أو من الشجيرات الصغيرة، وسواء كان ذكرهم لها على سبيل الإجمال أو التفصيل. وربما ذكرت من نباتات تلك الجبال، ما نبت أيضًا في هضاب نجد وغيرها من المناطق . وكل ذلك مما ينبت بريًا من تلقاء نفسه، وليس للإنسان دخل في زراعته ورعايته .

وبعد، فإني لا أدَّعي لهذا العمل الكمال أو الإحاطة بجميع الأنواع النَّباتية في تلك الجبال التي تعد أكبر الأقاليم النَّباتية في جزيرة العرب. وكذا لا أزعم أنني استقصيت كل معارف الناس عما ذكرت من تلك النَّباتات، فإن ذلك مما تتقاصر دونه الأعمار، ولا تطمح إلى غايته الأبصار، فكيف بمن سعى إليه بهمة فاترة وصوارف متواترة ! ولكن ما لا يُدرك كلُّه لا يُترك جلُّه. ومن هنا بادرت إلى إخراجه بهذه الصورة وعلى هذا القدر، وقد رأيت سنوات العمر تمضي على عجل، فربما انقضى الأجل وانقطع العمل، وهذا الكتاب لم يخرج، وإني عازم، بإذن الله تعالى، إن بقي في العمر مهلة، وفي الزمن فسحة، أن أستوفي في طبعات لاحقة أنواعًا أخرى عرفتها من نباتات تلك الجبال، مما ذكرته المصادر أو أغفلته. فإن تعذَّر عليّ، فأرجو أن يكون هذا العمل محاولة يهتدي بها غيري في مستقبل الأيام إلى عمل أوسع وأشمل، يجمع شتاته، ويجبر وهنه، ويصلح غلطه. فإن الإنسان محل الغفلة والنسيان .

ولقد شرعت في هذا العمل، وأنا أرجو أن يحقق، بإذن الله تعالى، الأهداف التالية :

١ – التعريف بعدد كبير من النَّباتات التي وردت في المصادر اللغوية معزوّة إلى جبال السَّراة والحجاز، ومنها الأنواع النادرة أو المهددة بالانقراض. ويشمل ذلك التعريف بأسمائها ومسمياتها وأنواعها وكثير من صفاتها ومنافعها، معرفة بينة تعتمد على المشاهدة والتجربة وسؤال أهل الخبرة، ثم تصويرها وتصوير أجزائها، لتوضيح الفروق، ودفع الغموض، فربما أغنت الصورة الواحدة عن الإطناب بكثير من الوصف .

٢– التحقيق في كثير من الروايات القديمة حول ألفاظ بعض النَّباتات ومدلولاتها، وتصحيحها، أو تصحيح ما أصابه التحريف أو التصحيف منها .

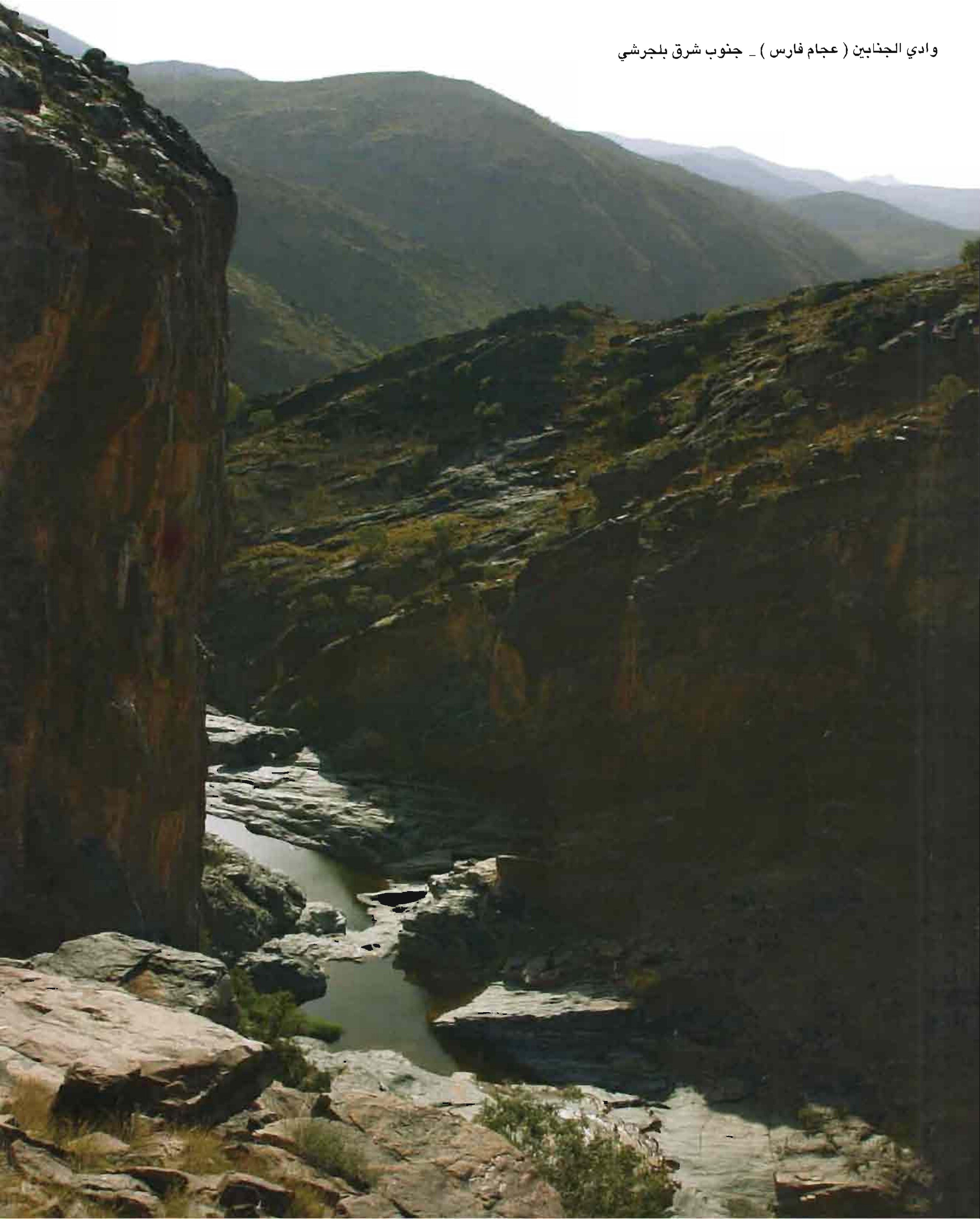
٣– بيان أن عددا من الألفاظ النَّباتية التي ذكرتها المصادر اللغوية، على أنها أسماء لنباتات مختلفة إنما هي أسماء مترادفة لنبتة واحدة، وكذلك العكس حين يذكرون اسما واحدا لأنواع نباتية مختلفة. وذلك أن اللغويين كانوا يدونون ما يسمعونه من رواة تختلف لغاتهم أو لهجاتهم باختلاف قبائلهم وبيئاتهم، فنقلوا منهم ما لم يشاهدوا، فوقعوا في التكرار أو التعميم عن غير قصد .

٤– إحياء عدد من ألفاظ النَّبات التي لم تعد تعرف مسمياتها اليوم؛ بسبب ابتعاد الناس عن التعامل معها في بيئاتها الأصلية، أو الانتقال إلى بيئات جديدة لا تُعرف فيها تلك النَّباتات . مع العلم أن كثيرا من نباتات جبال السَّراة والحجاز مازالت معروفة في بيئاتها الطبيعية بأسمائها العربية الفصيحة، فإن جُهل اسم في ناحية ما، عُرف في غيرها .

٥– حاجة الباحثين في شتى التخصصات لمعرفة تلك النَّباتات؛ إذ إن كثيرا من ألفاظ النَّبات التي ترد في كتب التفسير والحديث واللغة والأدب، ودواوين الشعراء، وكذلك في كتب المفردات الطبية، لا تُعرف مدلولاتها اليوم.

٦– بيان أن اللغة العربية من أغنى اللغات الحية في مفرداتها ودلالاتها، وأنها كانت، ولا تزال، قادرة على استيعاب جميع ألفاظ العلوم وأغراض الحياة صغيرها وكبيرها، وأنها قد استوعبت جميع ألفاظ النَّبات في الجزيرة العربية، وعبرت عن صفاته وخصائصه بأدق العبارات وأوجز الألفاظ، وأن استعمال تلك الألفاظ أيسر على الباحثين وأقرب إلى التحقيق، وأوثق في تسمية النَّبات من استعمال الاسم الأعجمي أو استحداث اسم جديد له . وإذا كان الأمر كذلك فحري بنا المبادرة إن أردنا لأنفسنا البقاء تحت مظلة هذه اللغة المجيدة، التي تكالب عليها الأعداء من خارج حدودها، ومن داخلها، فأخذوا يروجون الدعوات المشبوهة التي تكرّس فكرة أنّ اللغة العربية فقيرة في مفرداتها ومصطلحاتها، فلا تصلح لأن تكون لغة العلم والحضارة في هذا العصر .

٧– الإسهام في تعريب ألفاظ النَّبات التي تُدَّرس في كثير من كليات الطب والعلوم والصيدلة من بلادنا العربية، وبخاصة ما كان من نبات جزيرة العرب، بمصطلحات أجنبية، وضعها باحثون أو رحَّالة غربيون مغامرون جاءوا إلى هذه الجزيرة، على حين غفلة وخمول من أبناء العربية، يحملهم على ذلك دوافع مختلفة ظاهرة وخفية، فعرفوا كثيرا من نباتاتها، وخلعوا عليها أسماءهم الشخصية أو أسماء لاتينية قديمة، وربما كان من تلك الأسماء ما يعود إلى أصول عربية محضة كالقَطَف والضَّبر والعُرْفُط والسَّيال والرَّتَم والقَضَاب والعَمْقَى والحَرْمَل والمُرُّ والعَدَن، وغيرها كثير. وقد انتقلت إلى جامعاتنا، للأسف، بتلك الرطانة الأعجمية، أو بأسمائها العربية تلك، ولكن بلكنة أعجمية محرفة، واستعملها الدارسون في تلك الجامعات، بل تباهوا بمعرفتها واستعمالها بتلك العجمة أو اللكنة، وربما جهلوا أسماءها أو أصولها العربية التي عرفها آباؤهم وأجدادهم، وتكلموا بها عبر قرون طويلة، بدأت من نحو ألفي سنة مضت أو يزيد من تاريخ هذه اللغة . ولا يخفى أن حركة التعريب في الوطن العربي تسير متباطئة أو تكاد تتوقف، بل تُحارب أحيانا ممن يشغلون بعض المناصب القيادية في سلك التعليم والجامعات، وهم، كما يقول الدكتور أحمد الضبيب، بين فئتين: فئة تجهل اللغة العربية جهلا يكاد يكون تاما، فهي تشعر بالعجز عن أداء هذه المهمة، وأفراد هذه الطائفة يتصرفون بمزيج من الخجل المستتر والمكابرة المعلنة، ويرون أن بقاء الحال على ما هو عليه يريحهم من جهة، ويحفظ لهم كرامتهم من جهة أخرى . وفئة مستغربة مُستلبة، لا ترى الدنيا إلا بعيون غربية، وتعتقد أن استعمال اللغة الأجنبية في تدريس الطب والعلوم، هو الخيار الوحيد للنهضة، وأن الإقدام على استعمال العربية ضرب من الهوس القومي، يرى أفراد هذه الفئة ذلك، على الرغم من هذا الإخفاق الذريع في نقل العلوم والتقنية إلى الوطن العربي؛ بفضل سياستهم التعليمية الفاشلة التي دامت أكثر من ثمانين عاما، قضوها كلها في تدريس الطب والعلوم



وادي الجنابين (عجام فارس) _ جنوب شرق بلجرشي

باللغة الأجنبية . وهل يراد لنا أن ننتظر قرونا أخرى لا ندري مقدارها كي نصل إلى التقدم المنشود على أيديهم؟ وهم يعلمون أن جامعات الكيان الصهيوني قد ترجمت جميع العلوم إلى العبرية، وكانت لغة مندثرة، لا تاريخ لها ولا حضارة، فجعلت منها لغة العلم والأدب والحياة. بل إن كل أمة من الأمم تدرس بلغاتها القومية جميع فروع العلم والآداب والتقنية، كدول آسيا الناهضة ودول أمريكا اللاتينية، ودول أوروبا الشرقية، ولم تشكك أمة من تلك الأمم في قدرة لغتها على استيعاب العلوم الحديثة، فهل أمة العرب أقل شأنا من غيرها ؟! (١) .

والجميع يعلم أن استعمال العربية في التدريس ييسر على الطالب سرعة الفهم دون عائق لغوي، وبذلك يزداد تحصيله الدراسي ويرتفع مستواه العلمي، وذلك يعد تأصيلا للفكر العلمي في البلاد، وتمكينا للغة العربية من الازدهار، والقيام بدورها في التعبير عن حاجات المجتمع، وألفاظ الحضارة والعلوم ومصطلحاتها . ومعلوم أن اللغات تضعف بضعف أهلها، وتقوى بقوَّتهم، وما انتفع قوم بعلم لم يزرعوه في لغتهم (٢) .

٨- التوفيق بين المعاجم العربية القديمة والعمل المعجمي الحديث ؛ وذلك بإيجاد نوع من الألفة والتنسيق بين مصطلحات القدماء ومناهجهم في تحلية النَّبات، وبين المعاصرين الراغبين في تأليف المعاجم اللغوية الحديثة .

٩ – إن معظم الرواة الذين نقلت عنهم في هذا الكتاب هم من كبار السن، وأكثرهم كانوا أو ما زالوا رعاة، ولهم معارف واسعة وثاقبة بنباتات بلادهم. وإن التأخر في تدوينها وتوثيقها سيحول، في حال موت أولئك، دون الاستفادة من معارفهم تلك، ومنها معارف قَيِّمة لم تدونها المصادر العربية، وبقيت حية تواترت الأجيال على نقلها من عصور الرواية الأولى حتى انتهت إلى هؤلاء. وهي، بلا شك، ثروة علمية كبيرة، ستندثر بموتهم؛ فنخسرها إلى الأبد؛ وذلك لأن الأجيال المعاصرة لم يعد لها اهتمام بتلك المعارف؛ لعدم الحاجة إليها أو الاستغناء عنها بوسائل الحضارة الحديثة. وما يمنع أن نبادر ونعيد النظر في تلك المعارف، وأن نطورها بما يلائم الحياة المعاصرة ؟ لأن من الخطأ الفادح الاعتقاد بأن تلك المعارف قد عفاها الزمن، وأنها لن تكون مهمة مرة أخرى فيما يُستقبل من الزمان . وهل نأمن حوادث ذلك الزمن وصروفه ؟ فالدنيا دُوَلٌ، ودوام الحال من المحال !

١٠- امتد عملي في هذا الكتاب ليشمل رقعة جغرافية واسعة، تمتد عبر سلسلة جبال السَّراة والحجاز من أقصى جنوبها إلى أقصى شمالها . وذلك على أمل أن يكون هذا الكتاب إضافة إلى مكتباتنا العربية التي تفتقر إلى كتاب باللغة العربية يُعرِّف بنباتات تلك الجبال التي نشأ فيها من قديم الزمان أنواع كثيرة من النَّباتات النادرة والمتنوعة، قل أن يوجد لها نظير في سائر أرجاء المعمورة . وعليه فقد قيدته بعنوان (النَّبات في جبال السَّراة والحجاز) ليوافق التقسيم الذي درج عليه كثير من المتقدمين، وقلدهم معظم المعاصرين؛ فقسموا مرتفعات غرب الجزيرة العربية إلى قسمين: جبال السَّراة أو السَّروات، وهي تمتد من أقصى جنوب الجزيرة العربية إلى شمال الطائف، ثم جبال الحجاز، وتمتد من وادي السيل شمال الطائف إلى جبال مَدْيَن قرب خليج العقبة، ولم أنص على هذه الأخيرة في العنوان، بل أدرجتها ضمن جبال الحجاز؛ لأنها تعد امتدادا طبيعيا للأجزاء الشمالية من جبال الحجاز؛ من حيث التكوين والمناخ وأنواع النَّبات، وبالرغم من ذلك فقد عدها بعض الباحثين قسما ثالثا من تلك المرتفعات (٣).

وأما المنهج الذي سلكته في تأليف هذا الكتاب، فهو منهج وصفي استقرائي، سرت فيه وفق الخطوات التالية :

١ – جمعتُ أسماء النَّباتات المعزوة إلى جبال السَّراة والحجاز، بالرجوع إلى الأصول من معاجم اللغة والنَّبات. وعوّلت في التعريف بها عند القدماء على كتاب الشجر والكلأ، لأبي زيد (ت – ٢١٥هـ) وكتاب النَّبات، لأبي سعيد الأصمعي (ت – ٢١٦ هـ) . وأكثر أسماء النَّبات في هذين المصدرين غير محلاة تحلية كافية تُعرَّف به، وليست مرتبة على الحروف بل على الموضوعات، ثم كتاب النَّبات، لأبي حنيفة الدينوري (ت.٢٨٢هـ) ومعجم العين للخليل بن أحمد (ت – ١٧٥هـ)، وتهذيب اللغة للأزهري (ت ـــ ٣٧٧هـ) .

وكان كتاب النَّبات لأبي حنيفة أحمد بن دواد الدينوري العمدة فيما نقلته عن أولئك القدماء؛ ذلك أنه أشهر كتب النَّبات وأوسعها وأوثقها، وأبلغها أثرا في معاجم العربية ومؤلفات علماء النَّبات عامة، استقصى فيه مؤلفه، رحمه الله ((ما نطقت به ألسنة العرب من أسماء النَّبات، سواء ما يختص منها بنص اللغة أو بالنَّبات من جهة شرحه شرحا علميا بعد معاينة النَّبات في أماكنه وملاحظته بنفسه. وزاد كثيرا فيما وجده من النَّبات على من تقدمه من الباحثين. فلم يترك شاردة ولا واردة إلا أثبتها في كتابه حتى فاق بهذا المصنف مَنْ تقدمه منْ علماء اللغة ومدوِّنيها والباحثين في النَّبات ... وقد صار هذا الكتاب عمدة اللغويين الذين أتوا بعد أبي حنيفة، فما منهم إلا ونقل عنه))(٤) . وليس من المبالغة أن نعد هذا الكتاب أكبر موسوعة لغوية مختصة بالنَّبات؛ من حيث أعيانه وأجناسه وبيئته الطبيعية في الجزيرة العربية، مع كل ما يتصل بذلك من المنافع وأوجه الاستعمال، كالدباغة والصباغة والخضاب والطيب والوقود وتربية النحل وصناعة السلاح والآنية وغير ذلك، مع اهتمام واسع بمسائل اللغة والأدب، وما رُوي في ذلك من أشعار وأمثال تقوم مقام الشواهد (٥) .

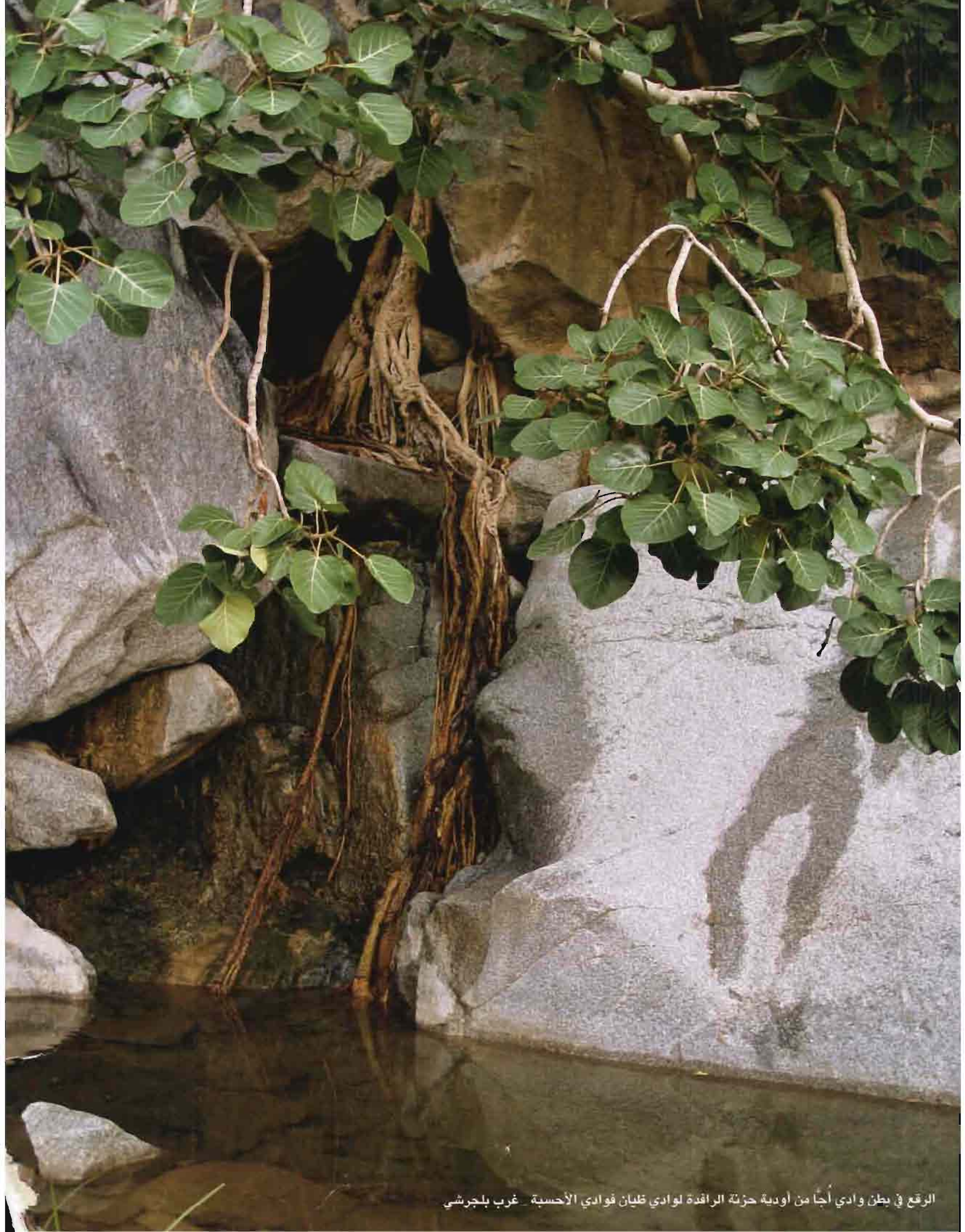
---

(١) اللغة العربية في عصر العولمة ٤٣ – ٤٥ (بتصرف يسير) .

(٢) ينظر : مقدمة في تقسيم علم النَّبات (مقدمة الناشر) ، وجامعتنا وضرورة تعريب المصلحات العلمية ، مجلة المنهل ص ٤ – ٢٢ . (العدد ٥٨٥ ، ١٤٢٤هـ) .

(٣) ينظر التمهيد . وفيه خلاصة أقوال القدماء والمعاصرين في أقسام جبال السَّراة والحجاز وتحديدها . (٤) تاريخ النَّبات عند العرب ٥٢ – ٥٣ .

(٥) عمدة الطبيب في معرفة النَّبات ١ / ١٢ (بتصرف) . وفي كتاب الملتقطات الضائعة من كتاب النَّبات لأبي حنيفة، أفاض الدكتور محمد حميد الله فيما كتبه عن المؤلف والكتاب بما يغني عن الإطالة هنا .



الرقع في بطن وادي أُجًا من أودية حزنة الرافدة لوادي ظليان فوادي الأحسبة _ غرب بلجرشي

كما أنه تفرد بروايات نادرة عن أعراب من أهل السَّراة، وصفوا نباتات بلادهم بلغة عربية نقية، وأسلوب عالي الفصاحة. وكان وصفهم، في مجمله، واضحا مفصلا دقيق العبارة، ينأى عن الغرابة والتعقيد، وقد ميزوا الفروق الدقيقة بين الأنواع، بل وعرفوا تصنيف بعضها . فكان لهم قصب السبق في الوصف العلمي الدقيق للنبات، مع وجود بعض القصور عن المنهج العلمي الحديث، لكنه بالنسبة إلى عصرهم عمل علمي يثير الإعجاب والتقدير .

وتذكر المصادر القديمة أن كتاب النَّبات لأبي حنيفة كان يقع في ستة مجلدات (١)، وقد أتى الزمان على جل هذا الكتاب، فلم يصلنا منه إلا الجزء الثالث، والنصف الأول من الجزء الخامس، وقطعة من النصف الثاني من هذا الجزء (٢) .

تحدث المؤلف في الجزء الثالث والنصف الأول من الجزء الخامس عن مسائل عامة ذات علاقة بالنَّبات، فتحدث فيه عن الرعي والمراعي، والروائح، والأصباغ، والصموغ، والدباغة، والحبال، والقسي والسهام، والزناد، والنحل والعسل، وما إلى ذلك .

وأما المتبقي من الجزء الخامس فهو معجم لغوي رتبه المؤلف على أوائل الحروف، وفيه تحلية لأعيان النَّبات من حيث شكله العام، وصفة أوراقه وأزهاره وثماره، وربما ذكر منابته، والنوع الذي ينتمي إليه . وهذا الجزء يبدأ بحرف الهمزة، وينتهي بحرف الزاي .

ثم جمع الدكتور: محمد حميد الله من كتب اللغة والطب وغيرها ما نُقل عن أبي حنيفة في النَّبات، فكان ما جمعه في جزءين، الأول في مسائل عامة عن النَّبات، وهي المسائل التي وردت في الأجزاء المفقودة من الجزء الأول إلى الرابع، وبلغت صفحات هذا الجزء (٦٩٢) صفحة . وأما الجزء الثاني فهو معجم لغوي أتم به ما تبقى من الجزء الخامس، ويشمل المفقود من الجزء السادس، ابتدأه بحرف السين إلى آخر الحروف . وقد أورد في هذا الجزء تحلية لـ (٦٣٧) نبتة . وقد عولت على هذا الأخير، وأحلت عليه في الحواشي على أنه الجزء السادس من كتاب النَّبات .

ونقلت بعض أقوال أبي حنيفة التي لم ترد في الأجزاء المطبوعة نقلتها مباشرة من كتاب التكملة للصغاني (ت – ٦٥٠ هـ) أو من كتاب عمدة الطبيب لأبي الخير الأشبيلي (من علماء القرن السادس الهجري) وقد نقل عن أبي حنيفة جل ما أورده في كتابه عن أسماء نباتات جزيرة العرب وصفاتها (٣) . وأخرى نقلتها، كذلك، من كتابي المخصص والمحكم، لابن سيده (ت ـ ٤٥٨ هـ) .

وربما نقلت مع قول أبي حنيفة أقوالا لغيره من العلماء ممن سبقه أو جاء بعده، وخالف أبا حنيفة، أو ذكر شيئا من صفات النَّبات لم يذكره أبو حنيفة . ولم أنقل، خشية الإطالة والتَّضَخُّم، كل كلام قاله أبو حنيفة أو غيره من المصادر المعتمدة، بل اكتفيت منها بالمهم الذي يفي بالغرض من غير إخلال. وتركت الخوض في كثير من الخلاف، وأحلت على تلك المصادر في الحاشية، وذيلتها بعدد آخر من المصادر اللغوية والأدبية والطبية ورد فيها ذكر للنبات، سواء على سبيل الإجمال أو التفصيل، فأحلت أولا على الدواوين الشعرية، ثم كتب النَّبات اللغوية، ثم معاجم الموضوعات التي أفردت أبوابا أو فصولا خاصة بالنَّبات، ثم كتب المفردات النَّباتية، وختمت الإحالة بأهم المعاجم العربية، مرتبة حسب وفاة مصنفيها . والتزمت ذلك في جميع مواد هذا الكتاب؛ لتوفير الوقت والجهد لمن أراد التأكد أو التوسع في البحث من خلال العودة إلى تلك المصادر .

٢– صدرت كلامي بكلام أولئك الأعلام في تعريف النَّبات ووصفه؛ لأن ذلك يتيح للأجيال المعاصرة الفرصة لمعرفة جهود علمائنا السابقين في الكتابة عن النَّبات، ومعرفة أساليبهم في ذلك وفهمها، والتعود عليها، والاقتداء بها، بل والزيادة عليها. وكذلك لتصحيح ما قد يرد في كلامهم أو بعض مروياتهم، من أمور تخالف كثيرا أو قليلا حقيقة ما عرفته عن النَّبات معرفة بينة قوامها الخبرة والمشاهدة والمتابعة عن كثب. وقد جعلت الصفحة اليمنى في بدء كل مادة خاصة بكلام أولئك الأعلام، وميزته بخط أسود عريض .

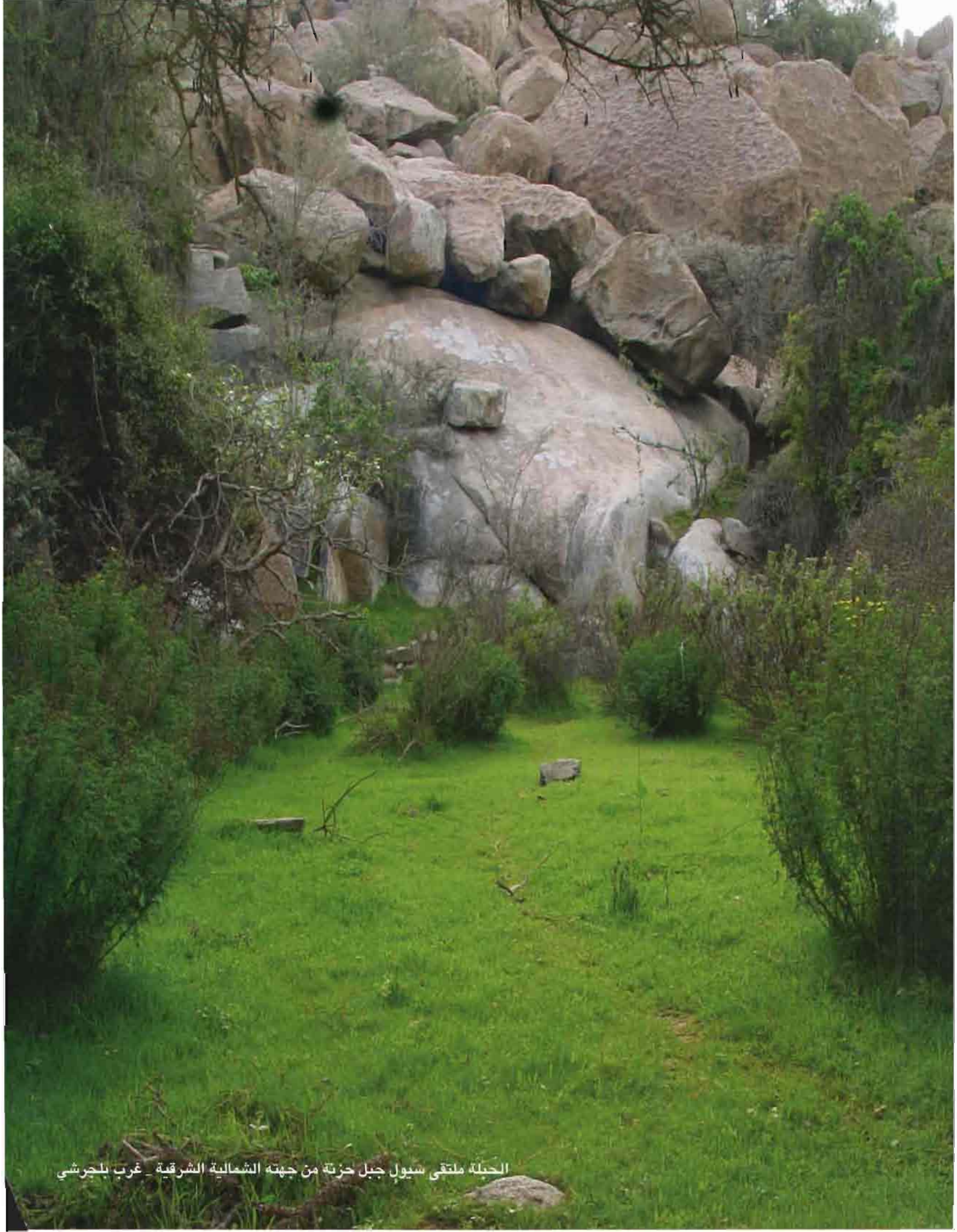
٣– بعد تلك المقدمة من أقوال السلَف الأبرار، شرعت على متن الصفحة المقابلة في تعريف النَّبات، مصدرا كلامي بعبارة : ((قلت)) : فبدأت أولا بذكر اسم النبتة، مفردًا وجمعًا، مع ضبطه بالحركات أو الحروف، ثم ذكرت حجم النبتة وعمرها، فأذكر إن كانت شجرة أو شجيرة، حولية أو معمرة، ثم أذكر منابتها من جبال السَّراة أو الحجاز، ثم أحدد انتشارها العمودي بذكر الارتفاع الذي تنبت فيه، مستعينا على ذلك بنظام (G.P.S) لتحديد الأماكن وقياس الارتفاع عن سطح البحر، والمدمج مع نظام (G.S.M) للاتصال عبر الأقمار الصناعية (الثُّريَّا) . وذكرت في ذلك التحديد الحد الأعلى والأدنى للغالب من منابتها، ذكرته بألفاظ المئات، هكذا مثلا (٩٠٠ – ١٢٠٠م) ونادرا ما أذكر الأعداد المركبة بينهما وألفاظ العقود . وإن لم يكن لها في الارتفاع حد أدنى، أي أنها تنبت قريبا من مستوى سطح البحر، فإني هنا أذكر الحد الأعلى فقط . وقد أذكر الحد الذي تبدأ منه أو تنتهي إليه في انتشارها الأفقي من تلك الجبال . ثم أذكر هل هي قائمة على ساق أو معترشة، زاحفة أو متسلقة، وأذكر أيضًا الحد الأعلى والأدنى للارتفاع أو الطول الذي تصل إليه . ثم أصف النبتة بعد ذلك وصفا ظاهريا مفصلا، فأصف جذعها أو ساقها، وأغصانها، وأوراقها، وأزهارها وثمارها، وأجمل في وصف الزهرة أو أفصل بما يوضح الفرق بين نوعين متشابهين من فصيلة واحدة أو بين نوعين من فصيلتين مختلفتين اشتركا في اسم

---

(١) خزانة الأدب للبغدادي ١ / ٢٥ .

(٢) نشر برنهارد لفين الجزء الثالث، والنصف الأول من الجزء الخامس في بيروت عام ١٩٧٤م. ونشر قطعة من الجزء الخامس تبدأ بحرف الهمزة وتنتهي بحرف الزاي، في مطبعة ليدن عام ١٩٥٣م .

(٣) عمدة الطبيب ١ / ١٤ .



الحَبلة ملتقى سيولِ جبل حزنة من جهته الشمالية الشرقية _ غرب بلجرشي

واحد . وفي أثناء وصف الأوراق والأزهار والثمار أذكر، في الغالب، حجمها إما بالوحدات الصغيرة من المتر، أو بالتشبيه التقريبي بأوراق شجرة أخرى شائعة مشهورة، أو بنحو ذلك مما هو شائع معروف، وكذلك الأزهار والثمار. وأذكر في أثناء وصف الأوراق هل هي من الأوراق الدائمة أو المتساقطة، ثم هل هي من المراعي، وهل يأكلها الناس، وإن كانت كذلك، فهل يأكلونها نيئة أو مطبوخة، وكذلك الثمار، أذكر ما يؤكل منها وما لا يؤكل، وربما وصفت بذورها وطريقة انتشارها، وفي صفة الأزهار أذكر ألوانها وأحجامها، وأذكر إن كان لها روائح عطرية، وهل يجرسها النحل، أو نحوه من الحشرات، وإن كان كذلك، فهل ينتج منها العسل أو العكبر، أو أنه مما يتكاثر عليه فقط . وأذكر إن كانت النبتة سامة للإنسان أو الحيوان، وما درجة خطورتها . ثم أذكر ما عرفته أو سمعته من الناس في أثناء رحلاتي إلى ميادين البحث المختلفة من معارف عن تلك النَّباتات، فذكرت إن كانوا يستعملونها في الوقود أو في صنع الأواني والعصي والأسلحة، أو في تسقيف البيوت، أو الدباغة، أو صنع الحبال والأرشية. وذكرت ما يعالجون به مرضاهم من تلك النَّباتات . ولم أنقل، خشية الإطالة، الاستعمالات الطبية المذكورة عنها في كتب المفردات الطبية القديمة أو الحديثة، واكتفيت بالإحالة عليها. وأما الاستعمالات الطبية المحلية التي توارثها الناس منذ أزمنة قديمة، كابرا عن كابر، فقد ذكرتها ودونتها كما سمعتها، بغض النظر عن مدى صحتها، وحرصت على ذكرها ليطلع عليها قارئ هذا الكتاب عالما كان أو من عامة الناس، ولتكون بابًا مشرعًا لأصحاب الاختصاص من الصيادلة والأطباء وغيرهم من المهتمين بإجراء الأبحاث على النَّباتات الطبية. ولا ريب أن في تلك الاستعمالات التي عرفها الناس ومارسوها عبر أجيال طويلة، وأصبحت عند كثير منهم من المسلمات التي لا يشكون في صحتها، لا ريب أن فيها مادةً جديرة بالبحث والدراسة، ولاسيما أن هنالك توجهًا في جميع أنحاء العالم للعودة للطبيعة، والاستفادة من النَّبات علاجا طبيعيا وهبه الله لنا، يخلو من كثير من الأضرار والمضاعفات الخطرة التي تنتج عن تعاطي الأدوية الكيميائية التي إن أفادت في علاج عضو ما، أضرت بباقي الأعضاء، فضلا عن أسعارها الباهظة التكاليف التي تستنزف اقتصاد الأمة ومقدراتها .

٤- فرقت بين الأشجار الكبيرة المعمرة، والشجيرات أو الأعشاب الصغيرة معمرة كانت أو حولية، فما كان معمرا قائما على ساق أو جذع خشبي صلب متفرع إلى أغصان كثيرة، فهو شجرة كالعرعر والطلح والبشام، وما كان له ساق قصيرة، أو هشة، أو زاحفة، أو صلبة مرنة، معمرة أو حولية، فهو شجيرة كالخروع والظيان واللَّصَف والغَلف، أو هو عشبة كالقُرَّاص والجَعْدَة والغَضْوَر، وهي التي يقل ارتفاعها في الغالب عن المتر .

٥- وفي الجانب الميداني من هذا العمل قمت برحلات بحثية واستكشافية كثيرة ومتكررة إلى منابت الشجر، ودونت ملحوظاتي عن النبتة عند مشاهدتها، وكثيرا ما كنت أشم أزهارها وأتذوق أوراقها وثمارها، إلا ما علمت وتيقنت أنه سام لا يؤكل . وتحققت بالتجربة مما ورد في كثير من روايات القدماء وأوصافهم .

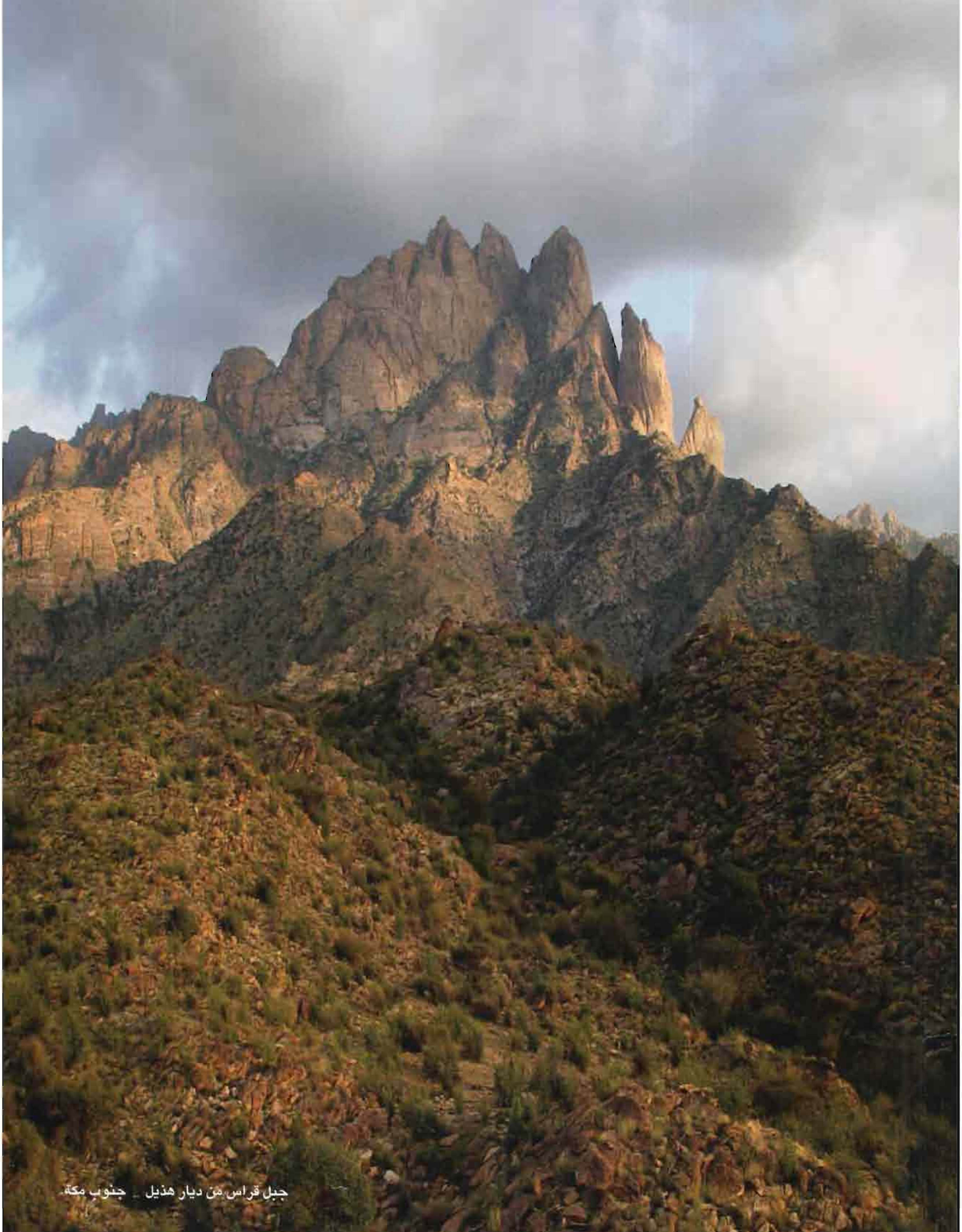
واتخذت في معظم رحلاتي الميدانية تلك أدلاء من أبناء القبائل أو المناطق التي رحلت إليها، فاستعنت بهم في معرفة المسالك وأماكن وجود النَّبات، وكنت أسائلهم وأتحدث إليهم عن معظم النَّباتات التي نرحل إليها أو نمر بها في طريق رحلتنا، فأسمع منهم معارف متنوعة ما بين لغوية وأدبية وأخرى طبية واقتصادية . وربما سمعت أساطير أو أخبارا خرافية لا يمكن تصديقها، ونقلت بعضها، بالرغم من عدم صحتها؛ لأنها كانت واقعا لا يمكن إغفاله من تاريخ أولئك الناس؛ يؤثر فيها سلبا أو إيجابا. وقد نقلتها في هذا الكتاب كما سمعتها من غير تغيير، سوى ما تقتضيه الصياغة.

وأكثر الأدلاء الذين اتخذتهم كانوا من أصحاب الخبرة والمعرفة، من كبار السن الثقات، ممن رعى الغنم أو ما زال في الخلاء يرعاها. وغالبا ما كنت أستوثق المعلومة الواحدة من غير واحد من أولئك الناس . وربما امتحنت بعضهم قبل مرافقته، فأسأله عن أنواع من النَّباتات المشهورة ثم الأقل شهرة، فإن وُفق في الجواب رافقته، وإلا انصرفت عنه بعذر لطيف، وبحثت عن غيره .

٦- عزوت إلى كل قبيلة أو قرية أو منطقة معارفها الخاصة عن استعمال كل نبتة، فإن كان الاستعمال شائعا أو منتشرا في قبائل كثيرة، أطلقت العبارة، بقولي : ويستعمله الناس من أهل السَّراة أو الحجاز في كذا، ولم أنص على قبيلة بعينها. وإذا صدَّرتُ عبارة ما بلفظ (وربما) فإنها تدل على أمر غير شائع، أو أنه نادر قليل الاستعمال .

٧- اعتمدت في تأصيل أسماء النَّباتات ومطابقتها على مسمياتها على مقارنة ما ذكره عنها المتقدمون بما ترجح لي من خبراتي السابقة بحكم الميلاد والنشأة ، ثم بما وقفت عليه بنفسي من خلال مشاهداتي الخاصة ومتابعتي المستمرة عبر عشر سنوات من البحث، وقد وجدت أن معظم الأسماء ما زالت تطابق مسمياتها في كثير من جبال السَّراة والحجاز، فإن جهل بها قوم عرفها آخرون بالفصيحة المروية أو باختلاف لفظي يسير . وربما وجدت النبتة معروفة باسم شائع غير الاسم المعجمي الفصيح، أو وجدت مع الاسم الفصيح أسماء أخرى محلية تختلف من منطقة إلى أخرى، وربما كان منها العربي الفصيح الذي فات المعاجم تدوينه؛ بدلالة انتشاره في مناطق واسعة من تلك الجبال، كالشُّطُب والعَدَن والغُرَاب والضِّرْثِم وغيرها . وربما وجدت للاسم النَّباتي مدلولا يختلف تماما عن مدلوله عند القدماء، كالإلب والسنعبق . وربما جاء الاسم الفصيح دالا على مسميات مختلفة الأنواع أو الفصائل، كالحَرْمل والقُرَّاص والقان والصَّاب والعَفَار، فذكرتها جميعا في مكان واحد، وإن اختلفت فصائلها وأنواعها؛ لأن طبيعة العمل المعجمي تقتضي فعل ذلك . وابتدأت بالأشهر في الاستعمال اللغوي، وبالفصيح قبل العامي .

٨- ربما قادني وصف نبتة ما إلى أن أذكر معها بعض الأنواع أو الأجناس التي تنتمي إلى فصيلة تلك النبتة حتى وإن لم تشترك معها في الاسم، ولاسيما إذا كانت العلاقة بينهما قوية، كأن يشتركا في منبت واحد، ويكون بينهما من التشابه أو الخصائص المشتركة، ما يستدعي ذكرهما في مكان واحد،



جبل قراس من ديار هذيل _ جنوب مكة.

كالضرفة والبدعة مثلًا، فوصفت ما استطردت إلى ذكره وصفًا مختصرًا، يبين الفرق ويدفع اللبس، مع وضع الصور الموضحة لتلك الفروق. ولم أشر إلى الرتب والطوائف والأقسام الكبرى التي تعد أكبر فئة تصنيفية في علم النّبات، فذلك خارج عن أهداف هذا الكتاب ومنهجه.

٩- ذكرت في هذا الكتاب أنواعا من النّبات لم يرد عن القدماء نص صريح يدل على أنها من نباتات جبال السَّراة أو الحجاز، برغم أنها من أهم نباتات تلك الجبال وأشهرها، كالتّنْعِيم والسَّلَب والشُبَّارِق والكَتَا والنرْجِس، والسّوْسَن، وغيرها.

١٠- أوردت الأسماء النّباتية في هذا الكتاب مرتبة بحسب الحروف الهجائية، لا بحسب الفصائل والأنواع؛ وذلك لأنه كتاب في اللغة، وليس في علم النّبات بمفهومه الدقيق عند المختصين الذين ترتب مؤلفاتهم عن النّبات وفق الفصائل والأنواع. وذكرت بأعلى الصفحة اليسرى بخط واضح وعريض اسم النبتة والفصيلة التي تنتمي إليها باللغتين العربية واللاتينية، وكررت ذلك بخط أصغر على طرَّة الصفحات التالية لصفحة العنوان، وربما كان الكلام بها عن نبتة أخرى مختلفة النوع أو الفصيلة. ذكرت الاسم اللاتيني؛ لتعم الفائدة أكبر فئة من القراء على اختلاف معارفهم وتخصصاتهم، وربما لغاتهم، بعد أن أصبح الاسم اللاتيني معتمدا في معظم المطبوعات العلمية واللغات العالمية. وإن ذكرت في أثناء النص نوعا آخر، وكان من فصيلة مختلفة، ذكرت معه بالعربية اسم تلك الفصيلة، وإلى جواره بين قوسين اسم ذلك النوع باللاتينية. واعتمدت في توثيق الأسماء اللاتينية وأسماء الفصائل النّباتية على معجم أسماء النّبات لأحمد عيسى بك، وأسماء الفصائل النّباتية لمصطفى الشهابي، والغطاء النّباتي للمملكة العربية السعودية لشوكت شودري، والنّباتات الزهرية لشيلا كولنت، والنّباتات الزهرية لشكري إبراهيم، وأطلس النبات لأحمد فؤاد عفيفي ورفاقه، وعلى مؤلفات أخرى عن النّبات في اليمن وعُمان وبلاد الشّام.

١١- إذا كان للنبتة اسمان فصيحان أو أكثر، كالشّوع والبَان، والطّلْح والكَنَهْبَل، والرَّنْف والخلاف، والغَرَب والصَّفْصَاف والخلاف، ذكرت الأشهر في العنوان، وأشرت إلى غيره في أثناء الحديث عن تلك النبتة. فإن كان أحدهما عربيا والآخر مُعَرَّبا، كالعَبْهَر والنرْجِس، قدمت العربي، وإن كان أقل شهرة.

١٢- حرصت على رصد وتدوين جميع الأسماء التي يعرفها الناس عن النبتة الواحدة، وأشرت إلى ما اعترى الفصيح منها من تطور في الدلالة أو الصوت أو البنية، ولعل في عملي هذا ما يعين على تأصيل البحث في التطور اللغوي، أو يسهم بتقديم مادة علمية جاهزة لمن يُعنى بوضع الأطالس اللغوية.

١٣- استعملت، ما أمكن، الفصيح المهجور من ألفاظ النّبات لدى عامة الناس من أهل السَّراة خاصة، فأولئك قوم ما زالوا يتمسكون في محادثاتهم العامة بالكثير من ألفاظ العربية الفصحى. وأرجو أن يكون في هذا تطبيق عملي لإحياء ذلك الفصيح الذي أوشك على الزوال، بموت كبار السن الذين كانوا يستعملونه.

١٤- عربت أسماء بعض الفصائل النّباتية، كالفصيلة (الفوربية) التي سميتها الصَّابية، والفصيلة (الأكانثية) التي سميتها المظيَّة، والفصيلة (السَّبوتيَّة) التي سميتها اللَّبَخية؛ نسبة إلى الصَّاب والمَظ واللَّبَخ؛ نظرا لشهرة هذه الأشجار بين الأنواع المنتمية إليها. وربما أجريتها معربة على أساليب العرب وأوزانهم كالفصيلة (الملزية).

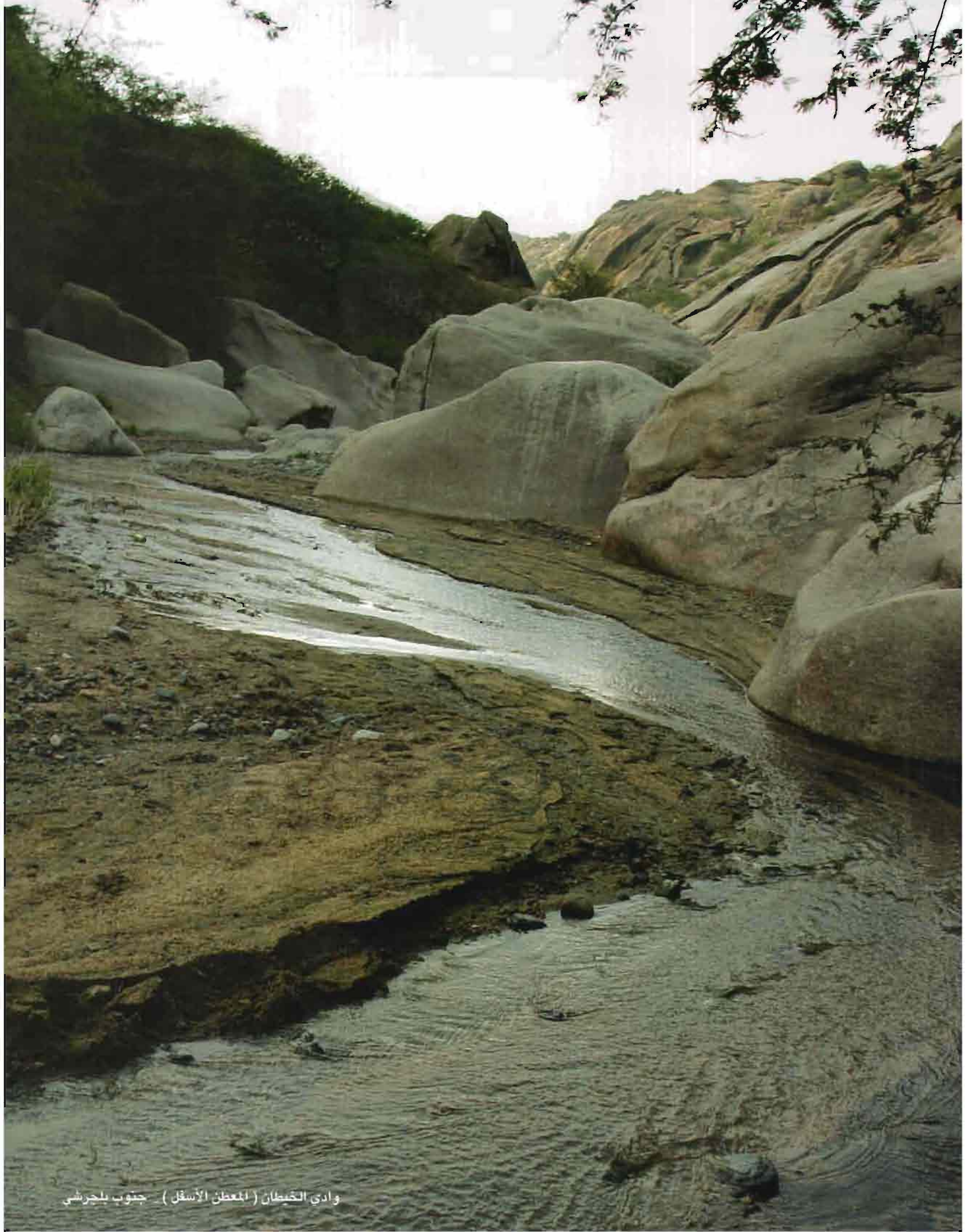
١٥- عللت لكل ما أمكن تعليله من الأسماء، مع بيان أصول اشتقاقها. وفسرت الألفاظ الغريبة التي وردت في كلام المتقدمين، وصححت كثيرا من الأوهام التي وقع فيها القدماء أو المعاصرون، وسبق أمثلة لبعض تلك الأوهام. وربطت أجزاء الكتاب بعضها ببعض، وذلك بالإشارة إلى أن كلاما قد تقدم أو سيأتي عن النبتة موضوع الحديث.

١٦- أشرت إلى عدد من المخاطر التي تهدد أنواعا من النّبات بالانقراض. كما أشرت إلى الأنواع القليلة الانتشار، وكذلك الأنواع النادرة جدا أو الموشكة على الانقراض. وحددت بالاسم أماكن وجودها، كاللَّبَخ والخَزَم والكَتَم مثلا. فعلت ذلك ليتمكن الدارسون أو المعنيّون بحماية البيئة من الوصول إليها، إن شاءوا، في منابتها الطبيعية، واتخاذ الوسائل المناسبة لحمايتها والمحافظة عليها من خطر الانقراض، ومن ذلك الدعوة إلى ضرورة تنمية الوعي المحلي بأهميتها، وتطبيق القوانين الصارمة التي تمنع قطع الأشجار وإزالة الغابات، والتي تحد أيضًا من الإفراط في الرعي.

١٧- سافرت إلى عُمان واليمن وجزيرة سقطرى الواقعة في بحر العرب والتابعة لليمن؛ وهي لا تزال تحتفظ بمخزون نباتي كبير متنوع، لا مثيل له في العالم كله. سافرت للمقارنة والتحقق من النّباتات التي عزاها اللغويون إلى تلك الأقطار، حيث يوجد أوجه شبه كبيرة بين الغطاء النّباتي والاستعمال اللغوي في هذه المناطق ونباتات جبال السَّراة والحجاز.

١٨- قرنت حديثي عن ذلك النبات بالصور التي توضح هيئة النبتة كاملة، مع نظامها الزهري والثمري؛ حتى تتميز بجلاء عن غيرها من الفصائل أو الأنواع الأخرى، وربما أوردت صورا لبعض ما له علاقة بها من حيوان أو حشرات، أو نحوهما، وعلقت على معظم تلك الصور بعبارة مختصرة توضح فحوى تلك العلاقة. وإن تعددت الأنواع وضعت لكل نوع اسمه العربي واللاتيني عند أول صورة له، يتقدمه علامة سوداء مميزة هكذا (●) كيما يحصل الربط بين الحديث عن تلك الأنواع وصورها وإن تباعدت، فربما كانت صورة النوع في صفحة والكلام عنه في صفحة أخرى سابقة أو لاحقة؛ وذلك لتعذر ضبط النص إلى جوار الصورة التي تخصه في معظم الأحيان.

١٩- ذيلت الكتاب، لتمام الفائدة، بملحقين تضمن أحدهما خرائط لجبال السَّراة والحجاز، يتضح من خلالها مواقع كثير من أسماء الأماكن التي وردت ضمن مادة هذا الكتاب، وتضمن الآخر صورا لعدد من النّباتات التي وردت عرضا في أثناء الكتاب، وذكرت إلى جوارها أسماءها الفصيحة أو المحلية، مع أسمائها اللاتينية. ومعظم ما ورد في هذا الملحق، بل جميعه، من نباتات جبال السَّراة والحجاز. وضعتها وأنا على أمل، كما وعدت،


وادي الخَيطان (المعطن الأسفل) ـ جنوب بلجرشي

بأن أخصها وغيرها، بحديث واف في طبعات لاحقة، بإذن الله .

٢٠- وأخيرا ختمت الكتاب بعدد من الفهارس الفنية اللازمة؛ تسهل الإفادة من مادته بأيسر الجهد، وأقصر الوقت .

ولما كان عملي في هذا الكتاب يتوقف في الدرجة الأولى على تصوير النِّبات في منابته حيث كان، فقد استعملت لهذا الغرض أحدث ما توصلت إليه التقنية في مجال التصوير الرقمي والفوتغرافي، وأول (كاميرا) بدأت باستعمالها، وكانت من النوع الفوتغرافي، من منتجات شركة كانون، مزودة بعدسة من مقاس (٥٠ ملم) ثم أخرى من إنتاج نيكون (F٥٠) واستعملت لها عدستين مقاس إحداهما (٦٠ ملم) والأخرى عريضة الطرف مقاسها (٢٨ – ٢٠٠ ملم) وأما الأفلام فاستعملت منها ثلاثة أنواع من (فوجي وكوداك وكونيكا X ١٠٠ – ٢٠٠) . فاجتمع لدي عدد كبير من الصور الفوتغرافية الورقية، ولكن الكثير منها، فضلا عن أجورها العالية، ظهر على درجة من الوضوح غير جيدة ؛ لأسباب، منها ضعف إمكانات معامل التصوير التي أخرجت تلكم الصور . ولكن سرعان ما اكتشفت فوائد التصوير الرقمي (ديجيتال) فاقتنيت في عام ١٤١٩هـ آلة من هذا النوع، من إنتاج شركة سوني (FD ٨٨) بدرجة وضوح تزيد على مليون وثلاثمئة ألف نقطة في البوصة الواحدة، والتقطت بها عددا غير قليل من الصور، ثم ظهر من عيوبها عدم الوضوح الكافي عند تصوير المشاهد البعيدة، أو عند تكبير الصور المقربة، وعيب آخر يتمثل في تخزينها الصور على أقراص مرنة (فلوبي دسك) والقرص الواحد من هذه لا يتسع لأكثر من ٣ – ٤ صور، فكان عليَّ، والأمر كذلك، أن أحمل في رحلاتي الراجلة عشرات من تلك الأقراص، وكنت أجد في نقلها وحملها عنتا وعبئا زائدا، ولاسيما عند صعود الجبال. وفي نهاية عام ١٤٢١هـ استجد نوع آخر من كاميرات سوني (V ٥٠٥ f) وهذا النوع يستعمل في تخزين الصور الشرائح الساكنة من سوني أيضًا (ميموري ستيك) ولها قدرة تخزينية كبيرة، ودرجة وضوح تزيد على ثلاثة ملايين نقطة، وحصلت بها على صور كثيرة واضحة، ثم في عام ١٤٢٣هـ، ظهر نوع آخر من سوني (F ٧٠٧) وهي (كاميرا) ذات تقنيات عالية وميزات متفوقة جدا، وتعتمد درجة وضوح تزيد على خمسة ملايين نقطة، وصورها عالية الدقة والوضوح، ثم تلاها بعد عام واحد نوع مطور عنها (F ٧١٧) وهذه لا تختلف كثيرا عن النوع السابق ، سوى سرعتها الفائقة في التقاط الأجسام المتحركة، وفي نقل الصور بواسطة (يو إس بي – ٢) عالي السرعة، بالإضافة إلى مزايا متنوعة من وظائف التصوير الليلي . وقد أتممت بهما ما تبقى من هذا العمل، وكنتُ أتمنى ظهورهما واقتناءهما منذ البداية .

وقد بلغ مجموع الصور الرقمية الساكنة التي التقطتها خلال تلك السنوات، عدا الصور الورقية، أكثر من (٣٧٠٠٠) صورة لنباتات ذُكرت في هذا الكتاب، وأخرى لم تُذكر . انتخبت منها ما يزيد على (٤٠٠٠) صورة، لتوضيح أكثر من (٤٥٠) نبتة ذُكرت في هذا الكتاب . وليس بخفي عناء التعامل مع ذلك الكم الكبير من الصور اختيارا ومعالجة وإخراجا .

وتمكنت، بعد عون الله، من التعامل مع ذلك العدد الكبير من الصور، باستعمال الحاسب الآلي الثابت والمتنقل، مما سهل علي تخزينها وتصنيفها واسترجاعها في أسرع وقت . وأما الصور التي اعتمدتها لهذا الكتاب فقد أنهيت معالجتها ثم إخراجها مع النص المكتوب، باستعمال برنامج (فوتوشوب: الإصدار ٧،٠،١، ثم الإصدار ٨ سي إس) وبرنامج (إنديزاين: الإصدار ٢،٠،٢ ثم الإصدار ٣،٠،١) وهما من البرامج الرائدة في هذا المجال .

وبعد، فإني كنت أعلم يقينًا، منذ أن فكرت في مشروع هذا الكتاب، أنه يحتاج إلى وقت طويل، وجهد غير قليل . ولا غرو .. فمن عرف الأسفار إلى تلك الجبال البعيدة، وتجشم الصعود إلى قممها الشاهقة، في مناطق واسعة الأرجاء، مجهولة المسالك، وعرة المرتقى، أدرك بعين الخبرة ويقين التجربة حقيقة الصعوبات التي يعانيها الباحثون في مثل هذا العمل، وأنه لا يتحقق إلا بالصبر والجلد، وامتطاء مكاره الأسفار، ومصارعة الأخطار، مع بذل الغالي والنفيس من العمر والصحة والمال .

نَعَم، أقدمتُ على هذا العمل وأنا أعلم أن البحث عن النِّبات وتصويره ومتابعته، في جميع مراحله، ومحاولة تحقيق أسمائه وتوثيق معارف الناس عنه، مع تشابه الأسماء والمسميات واختلافها في القديم والحديث إلى درجة تصل أحيانا إلى حد الغموض والاضطراب وربما التناقض، وذلك في مساحة جغرافية واسعة، لم يكن بالأمر الهين الذي ينقاد بلا مشقة ويدنو بلا معاناة. وهذه الحياة وما فيها لا تسير عفوا صفوا كما يشتهيه الإنسان، والنِّبات، وهو من أهم مقومات الحياة على وجه هذه الأرض، تتوقف دورة حياته، من إنبات وإزهار وإثمار، إلى حد كبير، على هطول الأمطار، وتقلب دورات المناخ، فربما انتظرت حولا كاملا لتصوير نبتة ما، ولاسيما إذا كانت مدة إزهارها قصيرة جدا . فأفاجأ بعد الترقب وطول الانتظار بأنها لم تزهر؛ لعدم نزول المطر، أو لتأخر نزوله عن موعده، فكان عليّ أن أنتظر سنة أخرى، ثم أخرى، ولاسيما أن معظم جبال السَّراة والحجاز قد شهدت جفافا ملحوظا في سنوات إعداد هذا الكتاب. وربما أزهرت ثم أثمرت قبل أن أصل إليها في الوقت المناسب؛ بسبب الارتباط بعمل وظيفي؛ يمنعني السفر في رحلات طويلة إلا من فرص كنت أغتنمها في أثناء الإجازات السنوية أو الفصلية أو الأسبوعية . والنِّبات، كما هو معلوم، يحتاج إلى متابعة مستمرة؛ لاختلاف مواسم إزهاره وإثماره باختلاف الفصول والأنواع، وتحتاج تلك المتابعة، في كثير من الأحيان، إلى أسفار متتالية طويلة وشاقة، وذلك لسعة الرقعة الجغرافية التي يشملها البحث، فضلا عن صعوبة مسالكها وخفاء مساربها . وربما كان بالإمكان إنجاز هذا الكتاب في زمن أقصر، لولا قيد الوظيفة، فضلا عن كثير من تلك القيود الاجتماعية والخاصة .

وفي الأول من شهر ذي الحجة من سنة ١٤١٧هـ كانت البداية . ومن حيث بدأتُ الخطوة الأولى في تأليف هذا الكتاب إلى نهايته، سافرت عشرات المرات، وربما المئات، إلى منابت الشجر من جبال السَّراة والحجاز، لم يصدني عن ذلك المسافات الطويلة، ولا الأسفار البعيدة . واستعنت ، في سبيل الوصول إليها حيثما كانت ونأت، بسيارتي الخاصة، من نوع



التحي الأعلى من جبل شدا الأعلى ـ شمال المخواة

الدفع الرباعي. غير أن كثيرا من تلك الجبال ليس للسيارة بها مسلك، وما من وسيلة إلى قممها الشاهقة إلا الصعود إليها راجلا، وإن بعدت الغاية وعظمت المشقة . وكثيرا ما كانت رحلة الصعود إلى تلكم الجبال ثم العودة منها تستغرق نحو ثلاثة أيام مع لياليها، وربما أكثر، فأضطر إلى حمل ما احتاجه في تلك الرحلة من زاد وعتاد، ومن ذلك آلات التصوير وملحقاتها.

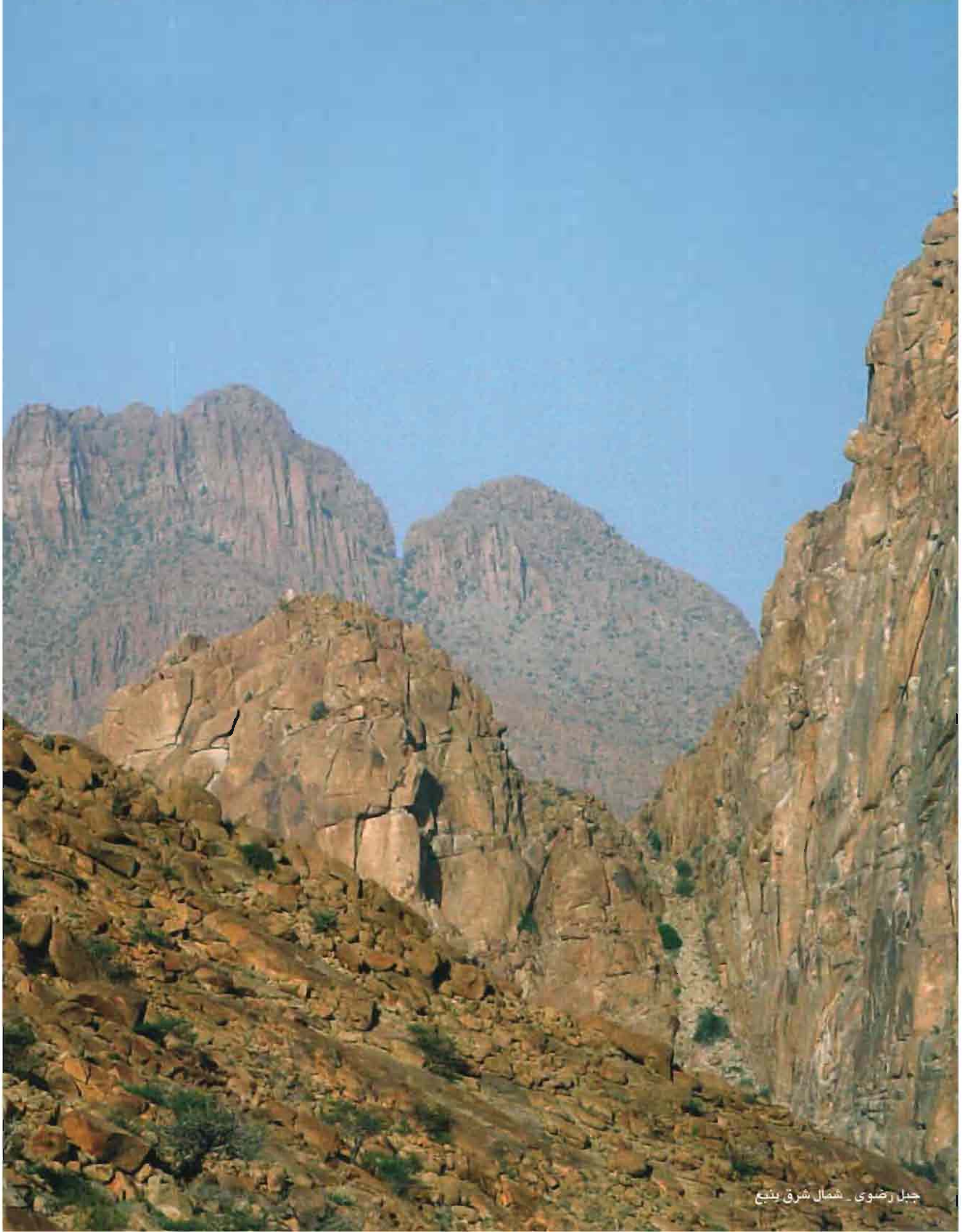
وبعد .. فهذه وقفة قصيرة، أقفها متذكرا لا مستكثرا .. وقفة تتذكر فيها شيئا من أخبار تلك الليالي التي أمضيتَها نائما في أحضان جبال قاصية شوامخ، وعرة المسالك، موحشة في سكون الليل وصمته إلا من صُداء البوم وعواء الذئاب، وهمهمة في ظلام داج لمخلوقات حولك لا تراها. وقد رأيتَ في شعابها وسفوحها وقممها وكهوفها ما أسعدكَ وما أفزعكَ، فلا يكاد يهدأ روعكَ من رؤية ثعبان انتصب أمامك مهاجما أو انهزم هاربا، حتى يفجأك حية سلاحها سم زُعاف، تتربص بك في هدوء وخفية أن تطأها وأنت لا تشعر .. فهل ما زلت تذكر وأنت تدبُّ بين أعشاب كثيفة، لا ترى موضعا لقدمك، تقترب من تلك الشجرة، فإذا شيء تطأه يرفعك، وفحيح من بين الأعشاب يطرق مسمعك، تنظر فإذا حية رقطاء قد اجتمعت، وللعض تهيأت. وفي تلك الوثبة تكون نجاتك، بإذن الله . أو تذكر هاجرة من صميم ذلك القيظ إذ تجرجر خطواتك المنهكة المرتعشة صاعدًا إلى بئر ضحضاح تحت قمة ذلك الجبل الشاهق الوضَّاح، تقف، فإذا الأيْم على فوهتها، لم يرعك والعطش شديد، فتسرعُ إلى الدلو تلقيه، ثم تلقيه، وهو مكانه لم يبرح، يحد نظره إليك من بين حجارتها المطوية كالمتحدي في غير ما خوف ولا وجل . أو تذكر يومك القائظ على سفح ذلك الجبل العملاق، وقد رجعت باليأس عن بئر لم تجد إلى مائها من سبيل، فأكلت أوراق الشجر مُره وحلوه؛ لتبلل فاك الذي أيبسه العطش وألهبته غُلَّة الظمأ .. وكثيرة كثيرة هي أخبار المعاطش المؤلمة .. وعلى فَرَعة من ذلك الجبل العملاق الذي تتفطر دون ذراه عزائم الرجال، لا إخالك تنسى، ولست بناس، تلك الليلة من سائر الليالي التي ما إن غفوت والمكان قفر موحش والصمت رهيب، والهلال يتهيأ للمغيب، حتى تهاوت إليك الذئاب من كل الشعاب، فأحاطت بالمكان تتعاوى زرافات وأفرادا، يردد عواءها المهيب صدى الأكنان، ومجاهيل الغيران، أشعل رفيقك النار ولم تَطلق النار إلى أن قرب السَّحر، فزال الخطر، وارتميت على الحصباء نائمًا من وَصَب وتعب وسهر . وفي تلك الجزيرة النائية حيث العجائب والمفاجآت .. أما زلت تذكر لسعات ذلك النحل وقد هاجمك بشراسة عند اقترابك من شجرة اتخذها بيتا؛ رجاء صورة واحدة تضعها في هذا الكتاب، ولم يزل غاضبًا يلاحقك بلسعاته المؤلمة، وأنت تنحدر على السفح هاربًا، حتى إذا هبطت إلى بطن الوادي، تقع على (سَفَاجة) (١) فتلهب جسمك بحرارة أشد وأنكى من لسعات ذلك النحل، فكنتَ كالمستجير من الرمضاء بالنار ! ولعلك تذكر أيضًا .. كم عثرة أطاحت بك على صلب الصخور وحاد الأشواك، وكيف سرت حافيا فوق تلك الصخور الخشنة الحارة، والأشواك الحادة، وكم نزفت قدماك دما، بعد أن تقطَّع نعلك في غير مرة عثرت .. وهل لك أن تذكر شيئًا من آثار تلك التجارب المؤلمة، حيث جربت على نفسك الرَّتم والحَلْق والصَّاب .. أو أن تذكر عدد المرات التي تمزقت فيها إطارات سيارتك وأنت تسير في بطون أودية صخرية حادة بين جبال نائية، فعانيت ما عانيت من إصلاحها.. أو تذكر تلك المهاوي السحيقة وأنت تتسلقها على أربع في حذر ومكابدة شديدة، تبحث على صفحة صخورها الملساء عن نتوء تتشبث به؛ في سبيل الوصول إلى نبتة واحدة نادرة، وربما كانت النهاية وذهاب الحياة لو فترت يداك أو زلت قدماك، وقد أعياهما الإجهاد وبللهما العرق .. وهل تذكر من خبر تلك الليلة الشاتية وقد تجهَّمت السماء، وترادفت الظلماء، وانحدرت السيول من كل الشعاب تهدر، وأقبلت الرياح غاضبة تزمجر، فإذا الحجارة تتهاوى من فوقك، وتسحق الأرض من حولك، وتهزها من تحتك، هذا، وأنت تصعد غارقًا في أديم ذلك الوحل تتلمس بأطراف يديك موطئًا صلبًا لقدميك، تتحامل على نفسك وقد بلغ منك التعب غايته واستوفى الجوع حاجته، وتعبر، بلطف من الله، ذلك الردم الهش من الصخور والطين، حتى إذا اجتزته بخطوات قليلة ولحظات فاصلة .. ينهار فجأة إلى جرف سحيق .

وهل تذكر من طرائف أسفارك شيئًا من تلك المواقف التي زُجرت فيها أو نُهرت، وربما رُجمت وأنت تحاول تصوير شجرة لم يتأت لك رؤيتها إلا بالقرب من منازل تلك القرية الصغيرة أو الهجرة النائية .. فتعذرهم أنت؛ لأنك غريب مجهول، وربما عذروك حين عرفوك، وعرفوا غرضك فأنصفوك، وربما أعقب الجفاء احتفاء، ثم صداقة حميمة ووفاء، وقد أبلغ أحدهم حين قال لك معتذرا: ((الناسُ وحوشٌ حتى يتعارفوا)) .. ولعلك تذكر جيدا تلك الطلقات المتتالية، وهي تمر مدوية من فوقك وتنفلق على الصخور من حولك، أكثر من عشرين طلقة تسمع أزيزها وأنت تهبط من بين مغارات ذلك الجبل العملاق، فنجوت وما كدت، لولا لطف الله وعنايته .. لكنك لم ترتدع، فبعد حول كامل تغامر أخرى بالصعود إلى ذلك الجبل نفسه .. لم يرك هذه المرة أحد، وقد حجبك دُجى الضباب عن الأنظار، تحمله رياح عاتية، من الغرب آتية، وفي الطريق إلى قمته أرهقت رفيقك صعودا وجشمته كؤودا، فليس في الجبل طريق تُسلك إلا بالتخمين، أو السير بين غياهب مغارات مظلمة لا تعرف لها مخرجًا، أو تحت أجم كثيفة لا يمكن اجتيازها إلا زحفًا، أو الوثوب فوق صخورها الضخمة قفزًا، حتى إذا أحصرت فوق هوة مردية، تجاسرت على تلك الوثبة الواسعة مخاطرًا بحياتك، فتسلم إلا من آلام أسفل الظهر باقية مضنية.

وهل تذكر وقد أوقرت نفسك في غير مرة تصعد أو تهبط أغصانًا من أنواع تلك النَّباتات؛ لتسأل عن أسمائها ومعارف الناس عنها .. تحملها مرة إلى ذلك السُّوق التهامي الكبير، فيجتمع إليك، بدافع الفضول، عدد من الناس كثير، وقبل أن تسألهم أنت، تتسابق إليك الأسئلة مشحونة بعلامات

---

(١) وتسمى أيضاً (صفاقة) إبدال لتقارب الحروف. وهي شجيرة متوطنة في جزيرة سقطرى، من أنواع الفصيلة الصابية (*Tragia balfouriana*) تنمو متسلقة ومتلوية على فروع الشجر . أوراقها مكسوة بشعيرات لاسعة، تسبب حرقة وألما شديدا عند ملامستها للبشرة، وربما استمر أثرها المؤلم لأيام عديدة .



جبل رضوى ـ شمال شرق ينبع

التعجب والاستغراب، وربما الارتياب عن سبب حمل تلك الأغصان .. يصارحك بعضهم بأنك تبحث من وراء ذلك عن المال والثراء، وآخر يضن عليك بالإجابة حتى توضح له غايتك، وتقنعه بأن غرضك من السؤال إنما هو البحث العلمي لا شيء سواه. وربما سخر آخرون، وإلا انصرفوا غير مقتنعين بما تقول ..

ولا يذهب أن تذكر يومًا كان أثره على نفسك شديدًا، ووقعه أليمًا، حين اكتشفت أن عددًا كبيرًا من الصور النادرة قد اختفى تمامًا من جهازك الحاسوب، فأعدت الكرة في سفر بعيد الغاية طويل المشقة .. وهل في يدك أن تكرر ذلك الجهد، وقد تهيأت لك الأحوال المناسبة نفسها ؟ وهل حماس العمل الأول والرغبة فيه كالعمل المكرر ؟!

ذكريات .. وذكريات غيرها كثير .. ذهبت مرارتها وبقيت ثمرتها، وأخرى جميلة لا تزول من صفحة الذاكرة، ولو تقادم عليها سنوات من عمر هذا الزمن، سنوات انطوت سريعًا، وطوت معها ذلك الماضي الجميل .. فسُقيًا ليوم كان من أيامه الحافلة، وأنت تحث الصعود سُدْفَةً إلى قمة ذلك الجبل الشامخ، تقبل إليه بشائر الصباح، فتبهجك إشراقة شمسه الذهبية، وتنعشك نسماته العليلة، تستشرف قمته حينًا، وتهبط إلى سفحه حينًا آخر، تلثم زهرة عابقة الشذى، وتتذوق ثمرة باردة الندى، وربما سبقتك إليها أطيار الصباح بألحانها الشجية، وألوانها البهية، حتى إذا ارتفعت هامة النهار ذهبت تتفيأ الظل في أحنائه، وتشرب من معين مائه، ثم يزحف عليك الليل، وأنت ما زلت واقفًا أمام تلك الفاتنة الحسناء، وقد أسفر النسيم بحنان عن مفاتنها، وكشف بلطف عن محاسنها، وتضوع في الأرجاء عبيرها.. تتأمل بديع جمالها، وتستروح عبق أريجها، لا تريد أن تودعها، وقد نصب الليل بينكما ستاره، وأرخى حجابه ... وأخيرا تأوي إلى كنف تلك المغارة ضيفًا على ذلك الطائر الليلي الوديع، فيبادر إلى وداعك مسرعًا، ويخلو لك المكان، لتسلم جفنيك لنوم هادئ، بعيدا عن ضجيج المدنيّة وهمومها، بعيدا عن أخبار كئيبة تقض المضاجع وتحرك المواجع !

ذكريات جميلة كلها؛ حلوها ومرها، يستحضرها، وأنت تكتب هذه الأحرف الأخيرة، الحنينُ إلى زمن مضى وجهد انقضى ..

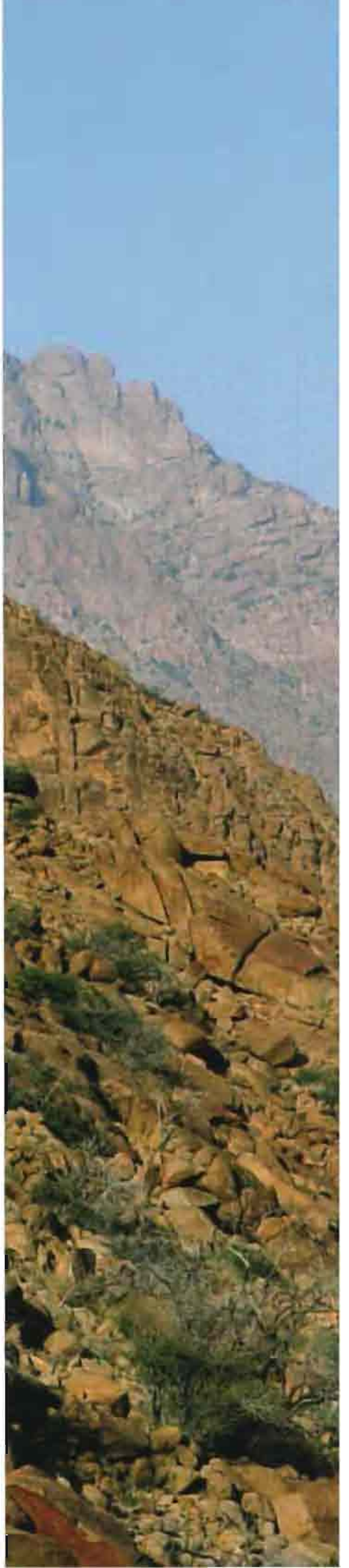
ثُمَّ انْقَضَتْ تِلْكَ السِّنُونُ وَأَهْلُهَا   فَكَأَنَّها وَكَأَنَّهُمْ أَحْلامُ

فإن أكن وُفِّقت، فما توفيقي إلا بالله الذي شرح لهذا العمل قلبي، وحببه إلى نفسي، يسّر منه ما تصعَّب، وذلَّل عقبات كأداء المطلب، فله الحمد والمنة، وله الكمال، وعظيم الثناء. وإن تكن الأخرى فحسبي أنني أفرغت فيه غاية جهدي واستنفدت إليه كل وسعي، وأخلصت النية، ولم أضنّ بشيء في سبيله قط. ولا أبرئ نفسي القاصرة من الخطأ والزلل؛ فالكمال لله وحده، والعصمة لأنبيائه، عليهم، وعلى نبينا محمد، أفضل الصلاة وأزكى السلام .

وفي الختام أتقدم بجزيل الشكر وبالغ التقدير إلى كل من أفادني بعلمه، وأرشدني برأيه، وإلى كل من قدم لي عونًا، أو أسدى إليّ نصحًا، وأكرر شكري الجزيل إلى كل رفيق درب وأنيس وحشة تجشم معي مكابدة السفر، ومعاناة الغربة عن الأهل والوطن .

والشكر موصول لحكومة هذه البلاد التي وحّدت تحت راية التوحيد والشرع السديد ما تفرق من أقاليم بلادنا المتناثرة، وألّفت بين قبائلها المتنافرة، مهّدت السُّبل وأمّنت الطرق، ولولا ذلك، بعد عون الله وتوفيقه، لتعذر عليّ الوصول إلى جبالها الشاسعة غير المأهولة، والتنقل بين قفارها الواسعة والمجهولة .

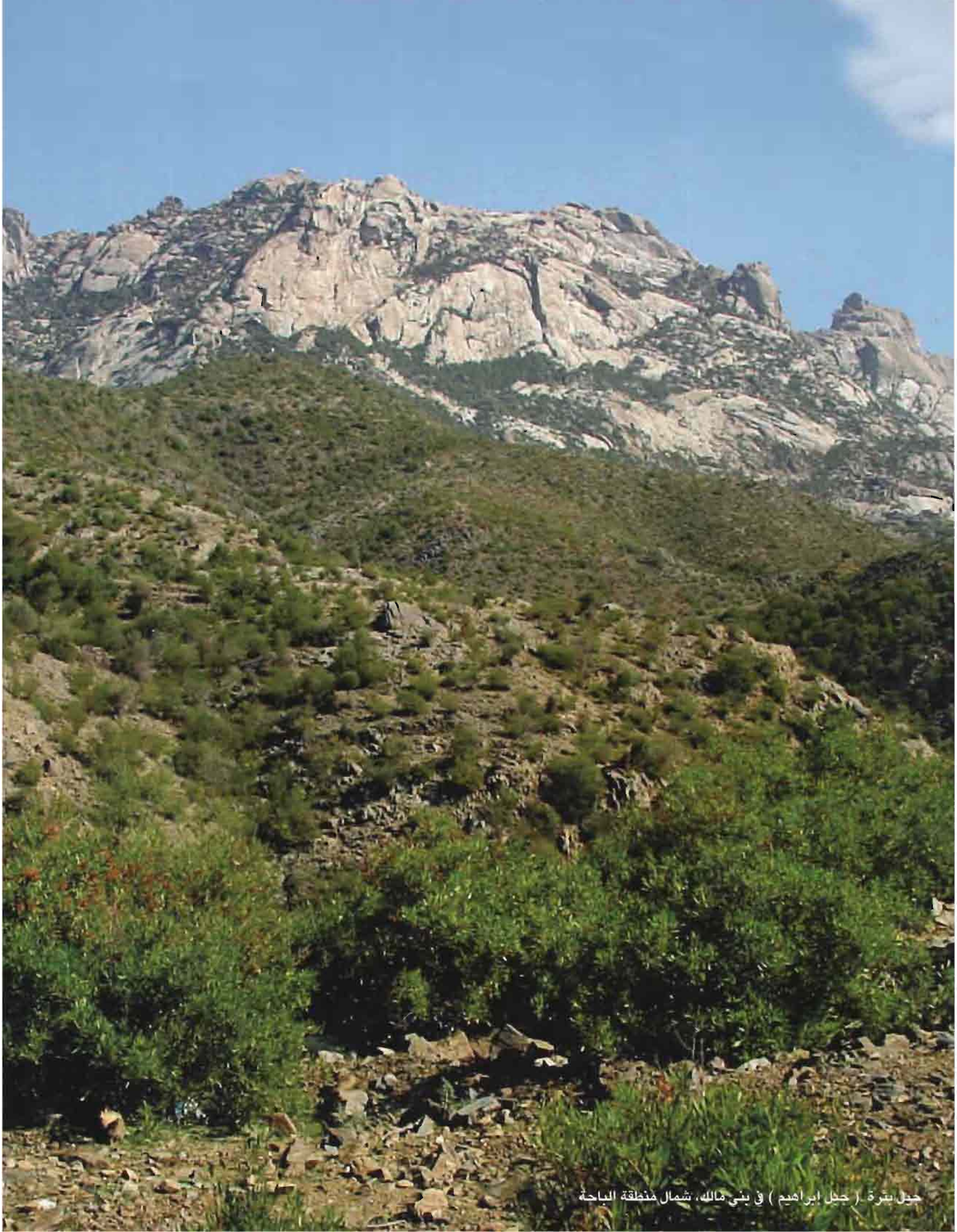
والحمد لله أولاً وآخرًا، وصلى الله على نبينا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين .





حِمى السُّويداء من ديار بني مالك - شمال منطقة الباحة





جبل بثرة (جبل ابراهيم) في بني مالك، شمال منطقة الباحة

التَّمهِيد

جغرافية جبال السَّراة والحجاز

الموقـــع :

تقع جبال السَّراة والحجاز غرب جزيرة العرب، وتمتد بمحاذاة البحر الأحمر، من أقصى اليمن جنوبا إلى خليج العقبة شمالا، يحدها من الغرب السهل الساحلي، ومن الشرق كل من هضبة عسير وهضبة نجد . وهي جبال انكسارية، تنحدر في معظمها انحدارا شديدا نحو البحر الأحمر، وتدريجيا نحو الشرق.

وليست هذه الجبال على درجة واحدة من حيث الارتفاع، فمنها الشامخ، ومنها المنخفض، ومنها مسطح القمة له فراغ واسعة، فيها سكان، ومنها ما هو مؤلَّل أصلع القمة، تنعدم فيه أسباب الحياة (١) .

تكونت جبال السَّراة والحجاز في الزمن الجيولوجي الثالث، نتيجة تصدع الدرع العربي الذي كان يشكل مع الدرع الإفريقي كتلة واحدة برزت من أعماق الأرض في عصر ما قبل الكمبري، وهي حقبة تاريخية بالغة القدم، يقدرها العلماء باستخدام النظائر المشعة بنحو ٨٠٠ – ٥٠٠ مليون سنة مضت، ثم حدث من نحو ٢٥ – ١٢ مليون سنة تصدع في باطن الأرض أدى إلى تباعد صفيحة الجزيرة العربية عن صفيحة القارة الإفريقية وحدوث أخدود أو صدع عظيم ملأته مياه بحر تيثس من الشمال، ثم مياه المحيط الهندي من الجنوب، فأصبح هنالك بحر يفصل بين قارة إفريقيا وجزيرة العرب عرف باسم بحر القَلْزَم قديما، ثم سمى حديثاً البحر الأحمر، وهذا البحر يمتد من خليج عدن إلى خليج العقبة بطول ٢٠٠٠ كيلو متر، ويتراوح عمقه ما بين ٥٠٠ – ٢٩٠٠م . وما زال ذلك التباعد بين الصفيحتين مستمرا إلى اليوم بمعدل ١سم لكل سنة . وقد صاحب عملية تكوين البحر الأحمر زلازل عنيفة في باطن الأرض، نتج عنها، بإذن الله، ارتفاع الجزء الغربي من جزيرة العرب، وصاحب ذلك أنشطة بركانية، أدت إلى ظهور الحرات في السفوح الشرقية من هذه الجبال، وتمتد هذه الحرات من اليمن جنوبا إلى سورية شمالا، ويتخللها براكين كثيرة خامدة، وقد تدفق الجزء الأكبر من حمم تلك الحرات خلال الأربعة عشر مليون سنة الماضية، وآخر تدفق سجله المؤرخون لهذه الحمم كان سنة ٦٥٤ هـ في المدينة النبوية المشرفة (٢).

وهناك تباين واختلاف في أقوال القدماء والمحدثين حول تحديد مفهوم جبال السَّراة والحجاز، فبعضهم يطلق على تلك المرتفعات جميعا اسم جبال السَّراة وآخرون جبال الحجاز، وبعضهم يخص السَّراة بالجبال الممتدة من جنوب صنعاء في أقصى اليمن إلى وادي نخلة اليمانية شمال الطائف، ويخص الحجاز بالجبال التي تمتد من شمال نخلة اليمانية إلى جبال مَدْيَن قرب خليج العقبة .

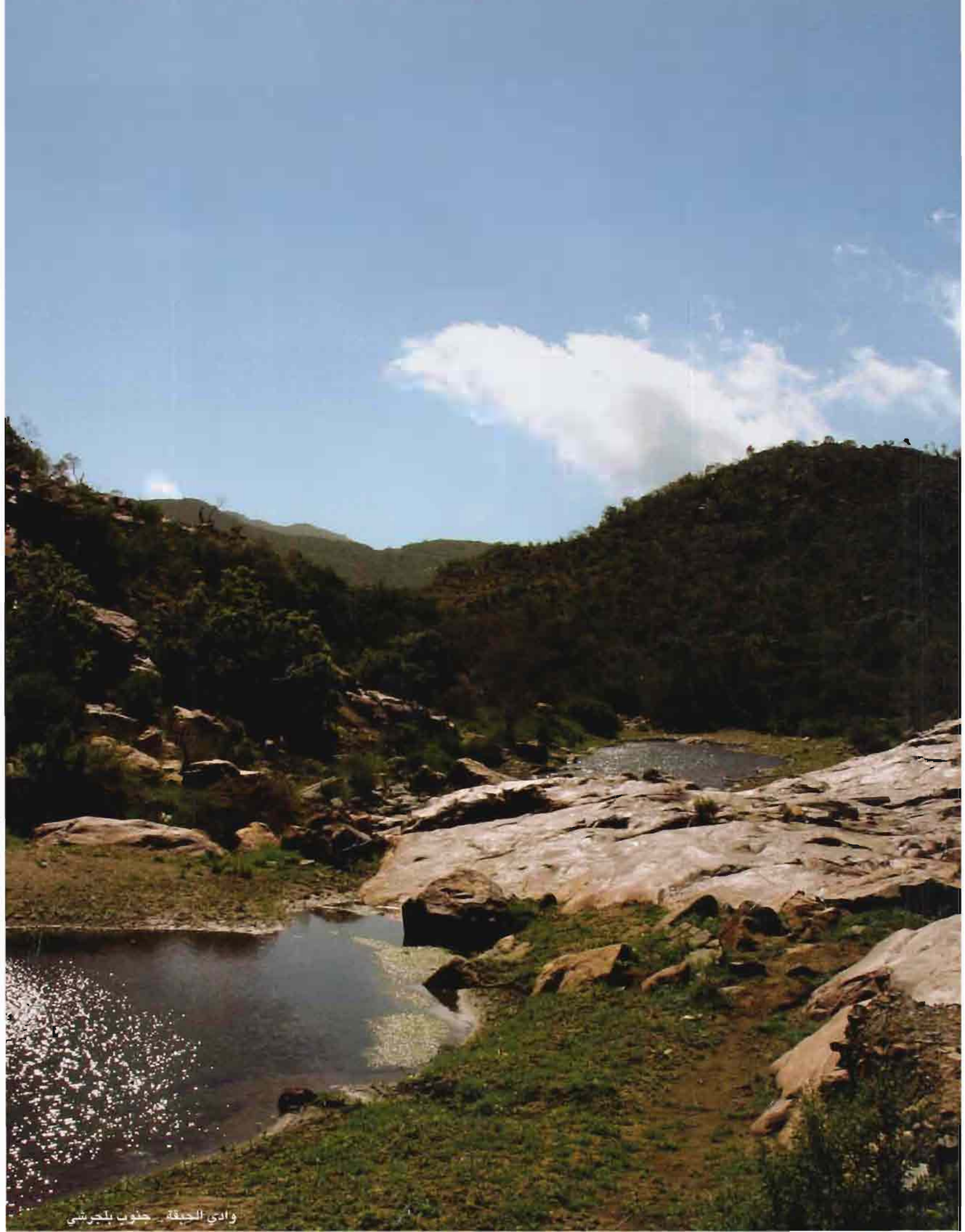
فمن أقوال القدماء في تحديد جبال السَّراة والحجاز قول الهمداني في أقسام جزيرة العرب: ((فصارت بلاد العرب من هذه الجزيرة التي نزلوا بها، وتوالدوا فيها على خمسة أقسام عند العرب، وفي أشعارها : تهامة، والحجاز، ونجد، والعروض، واليمن، وذلك أن جبل السَّراة، وهو أعظم جبال العرب وأذكرها أقبل من قعرة اليمن (٣) حتى بلغ أطراف بوادي الشام، فسمَّته العرب حجازا؛ لأنه حجز بين الغور، وهو هابط، وبين نجد، وهو ظاهر، فصار ما خلف ذلك الجبل في غربيه إلى أسياف البحر من بلاد الأشعريين وعك وحكَم وكنانة وغيرها إلى ذات عرق والجحفة وما صاقبها، وغار من أرضها، الغور؛ غور تهامة، وتهامة تجمع ذلك كله. وصار ما دون ذلك الجبل من شرقيه من صحارى نجد إلى أطراف العراق والسماوة وما يليها نجدا، ونجد تجمع ذلك كله . وصار الجبل نفسه سراته، وهو

---

(١) ينظر : في سراة غامد وزهران ٣٥٣ .

(٢) البداية والنهاية ١٣ / ١٩٩– ٢٠٦(أحداث ٦٥٤ هـ) . وينظر : جغرافية المملكة العربية السعودية (عبدالرحمن الشريف) ٤٩ – ٦٥ ، والجغرافية الطبيعية للملكة العربية السعودية ٤٦، ودراسات في جغرافية المملكة العربية السعودية ٣٨، وأطلس المملكة ٣١، ٣٢.

(٣) أي من أقصاه .


وادي الجيفة ـ جنوب بلجرشي

الحجاز ... وكان سعيد بن المسيب يقول : إن الله تعالى لما خلق الأرض مادت بأهلها، فضربها بهذا الجبل، يعني السَّراة، ومبدؤه من اليمن حتى انتهى إلى نخلة(١)، فكان منها حَيْص ويَسُوم، ويُسمَّيان يَسُومين (٢) ... ثم طلعت الجبال بعدُ منه، وكان منها الأبيض جبل العَرْج وقدس وآرة والأشعر والأجرد . وهذه جبال ما بين مكة والمدينة عن يمين الخارج من مكة إلى المدينة، ويسار الصادر إلى مكة (٣) ..)) (٤) .

وقال تحت عنوان ما وقع باليمن من جبل السَّراة وأوله اليمن : ((أما جبل السَّراة الذي يصل ما بين أقصى اليمن والشام فإنه ليس بجبل واحد، وإنما هي جبال متصلة على نسقٍ واحد من أقصى اليمن إلى الشام في عرض أربعة أيام في جميع طول السَّراة، يزيد كسر يوم في بعض هذه المواضع، وقد ينقص مثله في بعضها، فمبتدأ هذه السَّراة من أرض اليمن أرض المعافر ...)) ثم أتى على سائر السروات في اليمن إلى أن قال مبتدئا بسراة جَنْب بن سعد، وهي المعروفة اليوم بسراة قحطان، قال : ((ثم يتلوها سراة جَنْب ، وبلد العرعر المعصور (٥) .. ثم سراة عَنْز، وسراة الحَجْر، نجدها خثعم وغورهم بارق، ثم سراة ناه من الأزد وبنو القرن، وبنو الخالد، نجدهم خثعم وغورهم قبائل من الأزد، ثم سراة الحال لشَكَر، نجدهم خثعم وغورهم قبائل من الأسد بن عمران، ثم سراة زهران من الأزد دوس وغامد والحُر، نجدهم بنو سواءة بن عامر، وغورهم لهْب وعَويل من الأزد وبنو عمرو، وبنو سواءة خُلَيْطَى، والدعوة عامرية . ثم سراة بَجيلة، فنجدها بنو المعترف، وأصلهم من تميم، وقال لي بعضهم : إنهم من عكل، وغورها بنو سعد من كنانة . ثم سراة بني شبابة وعدوان، وغورهم اللَّيْث ومركوب فيلملم .. ثم سراة الطائف ، غورها مكة، ونجدها ديار هوازن من عكاظ والعبر)) (٦) ولم يمتد إلى الشمال بعد سراة الطائف .

وذكر الحازمي في تعريف جبال السَّراة بإنها ((الجبال والأرض الحاجزة بين تهامة واليمن ، ولها سعة، وهي باليمن أخص)) (٧) .

وأطلقوا عليها أيضًا اسم الطَّوْد، ولكنه يخص جنوبها من مكة إلى اليمن . قال ياقوت : ((قال الأصمعي : الطَّوْد جبل مشرف على عرفة، ينقاد إلى صنعاء، يقال له السَّراة . وإنما سمي بذلك لعُلوّه . وسَراة كل شيء: ظهره . يقال : سراة ثقيف، ثم سراة فهم وعدوان، ثم سراة الأزد ... وقال قوم : الحجاز هو جبال تحجز بين تهامة ونجد، يقال لأعلاها : السَّراة، كما يقال لظهر الدابة: السَّراة. وهو أحسن القول ... وقال أبو عمرو بن العلاء: أفصح الناس أهل السروات، وهي ثلاث، وهي الجبال المطلة على تهامة مما يلي اليمن، أولها هذيل، وهي التي تلي السهل من تهامة، ثم بجيلة، وهي السَّراة الوسطى، وقد شركتهم ثقيف في ناحية منها (٨) ثم سراة الأزد أزد شنوءة، وهم بنو كعب بن الحارث بن كعب بن عبدالله بن نصر بن الأزد)) (٩) .

وحدد الزمخشري السَّراة بنحو ما قاله الأصمعي (١٠) . وقال أبو بكر الهمذاني في تحديدها : ((أدناها بالطائف، وأقصاها قرب صنعاء . والسروات أرض عالية وجبال مشرفة على البحر من المغرب، وعلى نجد من المشرق. والطائف من سراة ثقيف، وهو أدنى السَّروات إلى مكة)) (١١) .

وقال الحميري : ((السَّراة أعظم جبال العرب، وهو ما بين جُرُش والطائف . وقيل : هو جبل الأزد الذين هم به، يقال لهم : السَّراة)) (١٢) .

وحد الحجاز عند الأصمعي يبدأ من حيث انتهى الطود شمال الطائف . فديار سُليم، ثم المدينة، وديار مزينة عند القدماء، ومنها جبال قدس وآرة وورقان، ومزينة اليوم في عداد حرب، وديار جهينة وبلي، هي جميعا من الحجاز. قال في كتاب جزيرة العرب: ((الحجاز اثنتا عشرة دارا: المدينة وخيبر وفَدَك وذو المروة ودار بلي ودار أشجع ودار مزينة، ودار جهينة، ونفر من هوازن، وجُل سليم، وجُل هلال، وظهر حرة ليلي، ومما يلي الشام شَغْب وبدا)) (١٣).

ونقل هذا التحديد البكري عن عمر بن شبة، وزاد عنه عن محمد بن

---

(١) هي نخلة اليمانية، وهي واد فحل من أودية الحجاز، يجتمع بوادي نخلة الشامية في بطن مر الظهران (وادي فاطمة) وهو الحد الفاصل بين جبال السَّراة والحجاز، ومنه يمر الطريق السريع بين مكة والطائف، فما كان من الجبال عن يمين المنجد فهو من السَّراة ، وما كان منها عن يساره فهو من الحجاز . ومنه أيضا كان يمر طريق الطائف القديم، وهو الطريق الذي سلكه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، في غزوة حنين، وفيه عسكرت هوازن يوم تلك الغزوة. ينظر : معجم البلدان ٥ / ٢٧٧، ومعجم معالم الحجاز ٩ / ٤٤.

(٢) حَيْص، وروي بالضاد والشين ، ويَسُوْم : جبلان أسودان متقابلان على جانبي وادي نخلة اليمانية، ويُغلَّب يسوم على حَيْص، فيقال لهما: يسومان . كما يقال العمران والشمسان . ينظر : معجم معالم الحجاز ٣ / ١٧٨، ١٨٠.

(٣) وذلك لمن سلك الطريق الساحلي .

(٤) صفة جزيرة العرب ٨٥ ــ ٨٦ . وينظر : معجم ما استعجم ١ / ٨ ، والروض المعطار ١٨٨ .

(٥) لعله أراد أنهم يعتصرون منه القطران بطريقة الحنذ .

(٦) صفة جزيرة العرب ١١٦ ــ ١٣١ .

(٧) الأماكن ١ / ٥٣٥ .

(٨) وهي المعروفة اليوم بترعة ثقيف، بين ميسان من ديار بالحارث وبجيلة (بني مالك) .

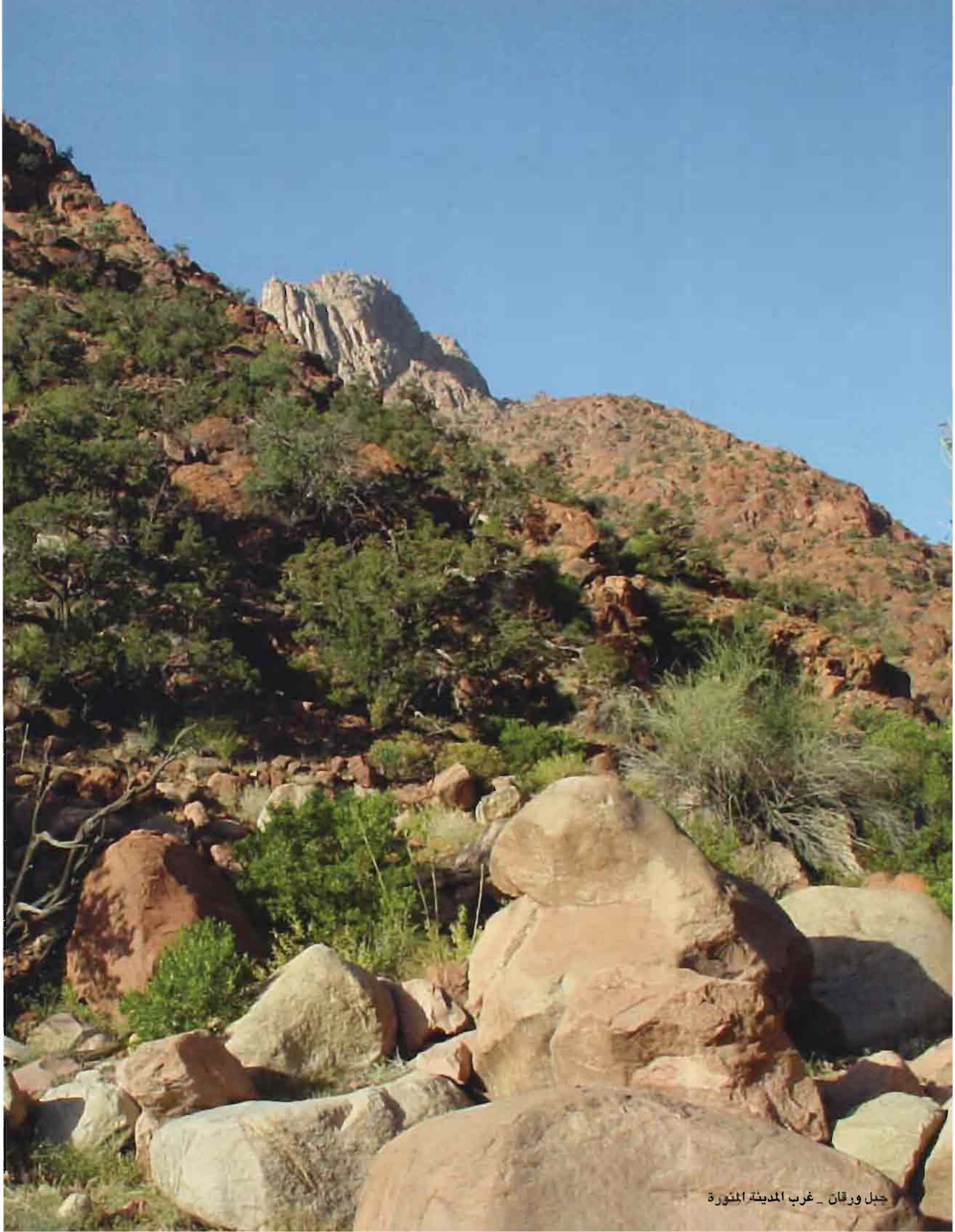
(٩) معجم البلدان ٣ / ٢٠٤ – ٢٠٥ .

(١٠) الجبال والأمكنة والمياه ١٦٨ .

(١١) مختصر كتاب البلدان ٣١ . وينظر : مسالك الممالك للاصطخري ١٤ .

(١٢) الروض المعطار ٣١١ .

(١٣) معجم الأدباء ٢ / ٢١٩ . وشَغْب وبَدا : من ديار بلي، بالقرب من ساحل البحر الأحمر .



جبل ورقان _ غرب المدينة المنورة

عبدالملك الأسدي : ((وحد الحجاز الأول : بطن نخلة وأعلى رُمَة وظهر حرة ليلي . والثاني مما يلي الشام : شَغْب وبدا . والثالث مما يلي تهامة : بدر والسقْيا (١) ورُهاط (٢) وعكاظ . والرابع مما يلي ساية (٣) وودّان (٤) ، ثم ينعرج إلى الحد الأول : بطن نخلة وأعلى رُمة . ومكة من تهامة، والمدينة من الحجاز)) (٥) .

وأما الجغرافيون المعاصرون فبرغم أنهم لم يبتعدوا كثيرا عن تحديد القدماء لجبال السَّراة والحجاز، إلا أنهم كانوا أوضح تحديدا لها، حيث قسموا المرتفعات الغربية الواقعة ضمن حدود المملكة العربية السعودية إلى ثلاثة أقسام رئيسة، تعد هي التقسيم الأمثل لتلك المرتفعات، وهي :

أولا : جبال السَّراة :

وهي تمتد من حدود المملكة العربية السعودية مع الجمهورية اليمنية جنوبا حتى مدينة الطائف شمالا، ما بين خطي العرض ١٧,٠٠ْ جنوباً إلى ٢١,٣٠ْ شمالاً (٦).

ومن أشهر جبال هذه السلسلة من الجنوب إلى الشمال: جبال الرُّبُوْعة: نُويب ومَلَس وثَهْران (٢١٧٠ - ٢٨٠٠م) ، ويقابلها من الغرب والجنوب الغربي جبال العبادل وسَلاَ (١٨٠٠م) ، وجبال فيفا (١٨١٤ م) وجبال آل حَبْس وطلاَّن والحَشْر (٢٣٠٧ م) ثم إلى الشمال جبال الرَّيْث ومنها جبل القَهْر (٢٠٤١م) وتشترك في هذه الجبال قبائل من وادعة وخولان وقحطان، ثم جبل العسران (٢٤٦٢م) إلى الغرب من سراة عبيدة، ثم جبل نهران (٢٦٧٣م) جنوب مدينة أبها، وإلى الغرب منها جبال السودة، وفيها أعلى قمة في شبه الجزيرة العربية (٣٠١٥م) بعد القمم العالية في جبال اليمن، وأعلاها قمة جبل النبي شعيب غرب صنعاء (٣٦٦٦م). ثم جبل منعا (٢٧٨٢م) من جبال تنومة في ديار بني شهر، وهي جبال جرانيتية متحولة واسعة جميلة اللون والتكوين . ويقابلها من الجهة الشمالية الغربية جبل ثَرْبان (١٧٤٦م) ثم جبل حَضُوْضَى، وكلاهما من جبال سهل تهامة، وأهلهما بطون من بارق وبلقرن وبني عمرو . ثم جبل البَلَس (٢٢٠٠م) وأهله بطون من آل ثعلب من خثعم، وإلى الشمال منه جبل أُثْرُب (٢٣٤٨م) من ديار خثعم وحوالة، ثم جبل حزنة (٢٥٠٠م) من ديار بني عُمَر، ويقابله من الجهة الشمالية الغربية جبل شدا الأعلى (٢٢٠٢م) وأهله بطون من غامد وزهران، وجبل شدا الأسفل (١٥١٣م) لغامد خاصة، وهما من جبال سهل تهامة. وإلى الشمال والشمال الشرقي منهما يقع جبلا نِيْس ورَبَا، وأهلهما من تهامة زهران، وهما يشبهان جبل شدا الأعلى من حيث التكوين والارتفاع . ثم جبل بَثْرة (جبل إبراهيم) (٢٦٠٠م) من ديار بني مالك من بجيلة، ثم جبل أَعْذُب (٢٦١٢م) من جبال ميسان من ديار بلحارث، ويقابله من الجهة الغربية جبل النَّاطف (٢١٥٦م) من جبال سهل تهامة، وهو من ديار قبيلة المَتْعَان. ثم جبال الشفا (٢٤٩٢م) من ديار بني سفيان من ثقيف، ثم جبال عروان وشُعار اليماني والأعمق وقراس والأديم (٢٦٣٧م) من ديار هذيل، غرب الطائف ، ويقابلها من الجهة الغربية الشمالية جبل كَبْكَب (١٤٤٩م) من ديار هذيل أيضاً .

وينحدر من هذه الجبال غربا نحو سهل تهامة أودية كثيرة، من أهمها وادي حَرَض، ووادي جازان، ووادي بَيْش، ووادي عتْوَد، ووادي حَلي، ووادي يَبَة، ووادي قَنَوْنا، ويرفد هذا الأخير أوديةَ عظيمة مشهورة، منها وادي الخيطان وأبيان والحفياء. ثم وادي الأحسبة، ووادي عُلْيَب، ووادي اللَّيْث، ووادي نَعْمَان، كما ينحدر منها نحو الشرق وادي نجران، ووادي حُبُونا، ووادي تثليث، ووادي بيشة، ووادي رنية، ووادي تُرَبة، ووادي وجّ .

وتُقسم هذه السروات اليوم إلى خمسة أقسام رئيسة معروفة، هي :

١- سراة ثقيف، وهي السَّراة المطلة على عرفات وما حولها، تسكنها قبيلة ثقيف وبطون من قبيلة هذيل، وهي المعروفة قديما بسراة الطائف، وتمتد نحو الجنوب، فتشمل سراة ثمالة من الأزد، ثم سراة بني سعد، ثم سراة بالحارث، إلى ترعة ثقيف . وهي المعروفة قديما بسراة بني شبابة وعدوان أو بسراة فهم وبني علي .

٢- سراة بني مالك من بجيلة ، وهي المعروفة قديما بسراة بجيلة .

٣- سراة غامد وزهران، وهي تلي السَّراة السابقة، وتتصل بها سراة بني ناشر من بني عُمَر، وهي سراة الحال قديما . ويتبعها سائر قبائل بني عُمر في تهامة، ويتبعها كذلك الجزء الشمالي من سراة خثعم وشمران . وأهل هذه السَّراة يسمونها الحجاز أيضاً . والنسبة إليها عندهم : سرويّ أو حجازيّ بمعنى .

٤- سراة رجال الحجر من الأزد، وهم بالقرن (بنو قرن) وبنو عمرو، وبنو شهر، وبالأسمر (بنو الأسمر) وبالأحمر (بنو الأحمر) وتمتد إلى الجزء الجنوبي من سراة خثعم وشمران .

٥- سراة عسير، وهي تشمل سراة عنز بن وائل قديما، ويسكنها أشهر القبائل العسيرية، وهي : عَلْكَم، وبنو مُغيد، وربيعة، وبنو مالك، ويتبعها قبائل من شهران، وقبائل ألمع في تهامة عسير . ويتبعها كذلك سراة قحطان، وهي المعروفة قديما بسراة جَنْب بن سعد، وأكثر قبائلها من مَذْحِج، وهي:

---

(١) قرية كبيرة بالقرب من وادي الفُرْع، كانت من ديار مزينة . وهي اليوم من ديار بني عمرو من حرب .

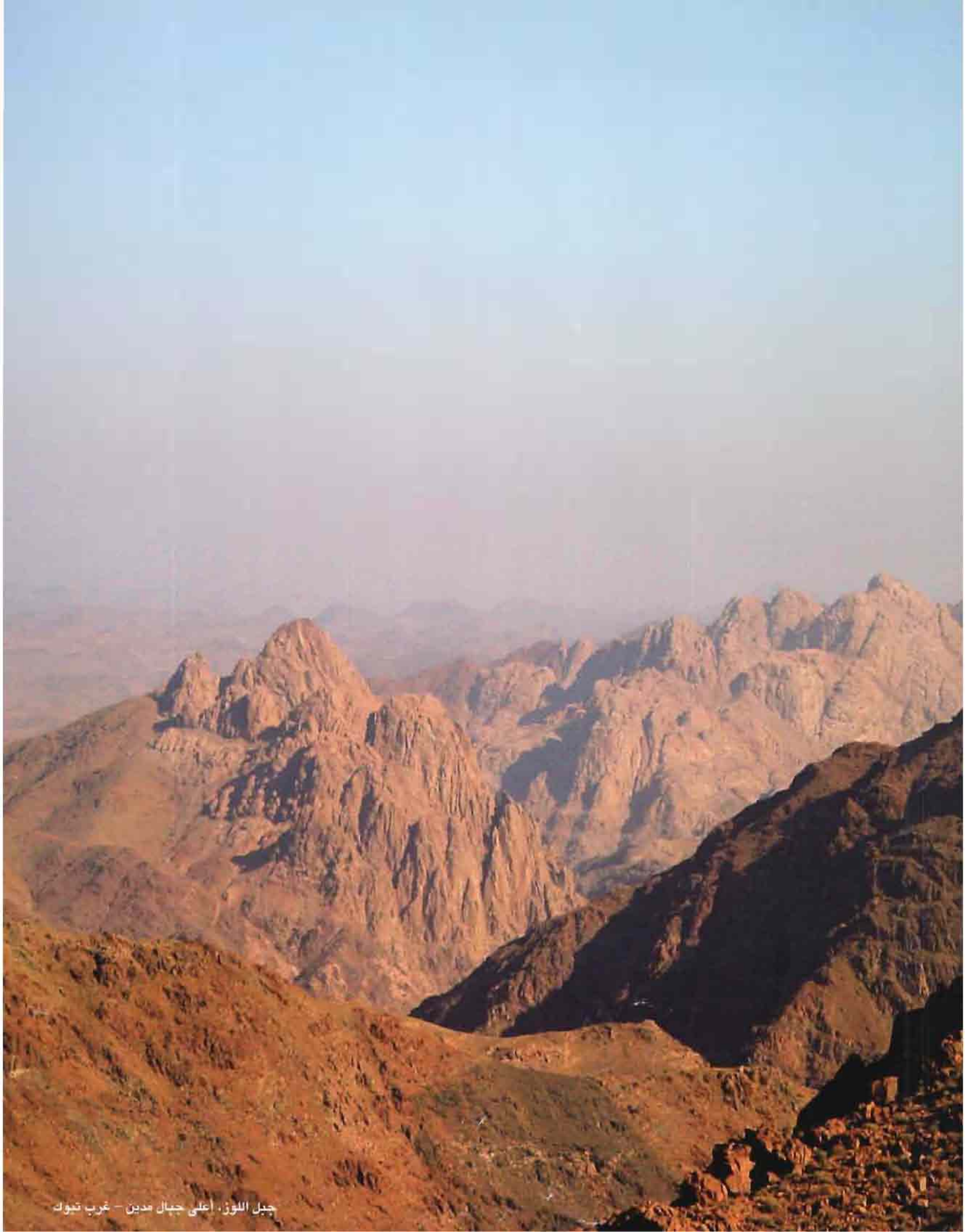
(٢) واد كبير من ديار هذيل قديما، وهو اليوم من ديار الروقة من عتيبة، وهم في أعلاه، ويسكنه بعض بطون من حرب في أسفله . يقع في الشمال الشرقي من مكة المكرمة على مسافة ١٥٠ كم . ينظر : معجم معالم الحجاز ٤ / ١٠٧.

(٣) واد كبير من ديار بني سليم ، قريب من طريق الهجرة .

(٤) قرية كبيرة قريبة من الأبواء، وقد اندثرت، تقع جنوب شرقي مستورة، قرية على الطريق الساحلي، شمال رابغ . ينظر : معجم معالم الحجاز ٢ / ١٠٣، ٩ / ١٣٢ .

(٥) معجم ما استعجم ١ / ١٠ .

(٦) ينظر : في سراة غامد وزهران ٣٥٧ .



جبل اللوز، أعلى جبال مدين - غرب تبوك

وادعة ، وسَنْحان، وبني بِشْر، وعِبْيدة، ورُفيْدة .

ثانيا : جبال الحجاز :

وتبدأ من شمال وادي نخلة اليمانية، كما حددها القدماء، وذلك عند خط العرض ٢١,٣٠°، وتنتهي شمالا عند خط العرض ٢٨,٠٠° . ويفصل طريق السيل المزدوج بين السلسلتين، فيرى المنجد نهاية جبال السَّراة عن يمينه، وبداية جبال الحجاز عن يساره . وهي ليست سلسلة جبلية واحدة متصل بعضها ببعض كحال جبال السَّراة، بل جبال انعزالية متفرقة، يفصل بينها عدد من الحرار، والفتوق الواسعة، والأودية الكبيرة، فيسهل العبور منها إلى وسط الجزيرة العربية، وتتميز عن جبال السَّراة بأنها شديدة الانحدار من الجهتين الغربية والشرقية، بخلاف جبال السَّراة التي يكون انحدارها الشديد، كما تقدم ، من جهة الغرب. ومن أشهر هذه الجبال من الجنوب إلى الشمال أيضاً: جبال بني مسعود (١٥٧٧م) وهي من ديار هذيل، وجبل شَمَنْصِير (١٦٦٢ م) من ديار بني سُليم، ثم جبل آرة (هضبة أم العيال) (١٨٠٤م)، ثم (جبال عوف) وهي جبل قُدْس الأسود (إدقس) (٢١٦١م) ، وجبل قدس الأبيض أو الجبل الأحمر (١٨٥٠م) ثم جبل ورقان، وفيه أعلى قمة في جبال الحجاز (٢٣٩٣ م) وهو جبل أحمر إلى بياض، وليس بأسود كما تناقلته كتب المتقدمين . ويحاذيه من الغرب جبل ثافل الأكبر والأصغر (جبال صُبح) (١٨٩٨م) ثم جبل الأشعر (الفقرة) (١٩٠٠م)، وجميعها اليوم من ديار حرب، وهي قبيلة خولانية من حرب بن سعد بن سعد بن خولان. ثم جبال الصُّمَيْمَة والكُوَيْرة وبُوَاط والأجْرَد (١٣٠٠ – ١٨٠٠م) من ديار جهينة، ويحاذيها من الغرب جبل رَضْوى (٢١٧١م) وهو جبل ضخم عملاق، من جبال سهل تهامة، به أودية وشعاب كثيرة، وقممه مسننة شماء، تتفطر من دونها عزائم الرجال . وهو أيضاً من ديار جهينة . ثم جبل الوَرْد (٢٠٩٦ م) وجبل كُعْدُر (١٨٤٦م) وجبال النِّسْر وسَلْع وحمَّادة (١٤٠٠ – ١٥٠٠م) من ديار بلي . ثم جبل شار (١٧٤٧ م) وجبل الدبِّغ (٢٣١٥م) وجبل حَرْب (١٧٨٦ م) من ديار الحويطات وبني عطية .

وينحدر من هذه الجبال أودية كثيرة، من أهمها : وادي مرّ الظهران ، والمعروف حديثا باسم (وادي فاطمة) ووادي قُدَيْد، ووادي القَاحَة، ووادي الصَّفْراء، ووادي الحَمْض، ووادي رَخْو، ووادي الجِزْل ، وكلها تصب في البحر الأحمر .

ثالثا : جبال مدين :

تقع شمال جبال الحجاز، وتتصل بها، وتمتد بين خطي العرض ٢٨,٠٠° جنوبًا إلى ٢٩,٣٠° شمالاً . وهي توازي امتداد خليج العقبة الذي يقع في الجهة الغربية منها، ومن أسمائها أيضاً جبال حِسْمى . وفي هذه الجبال أعلى القمم ارتفاعا بعد جبال السَّراة، وهي قمة جبل اللَّوْز (٢٥٨٠م). ومن جبالها العالية أيضاً جبل القَلُّوم (٢٣٩٨م) وجبل الشاطي (الشيَّاطي) (٢١٠٣م) ، وجبل جُبَّار (١٧٤٣م) شرق هذه الجبال وجنوبها من ديار بني عطية، وغربها وشمالها من ديار الحويطات. وينحدر من تلك الجبال عدد كبير من الأودية، أشهرها وادي عُفَال، ويصب، أيضا، في البحر الأحمر(١) .

المنـــاخ :

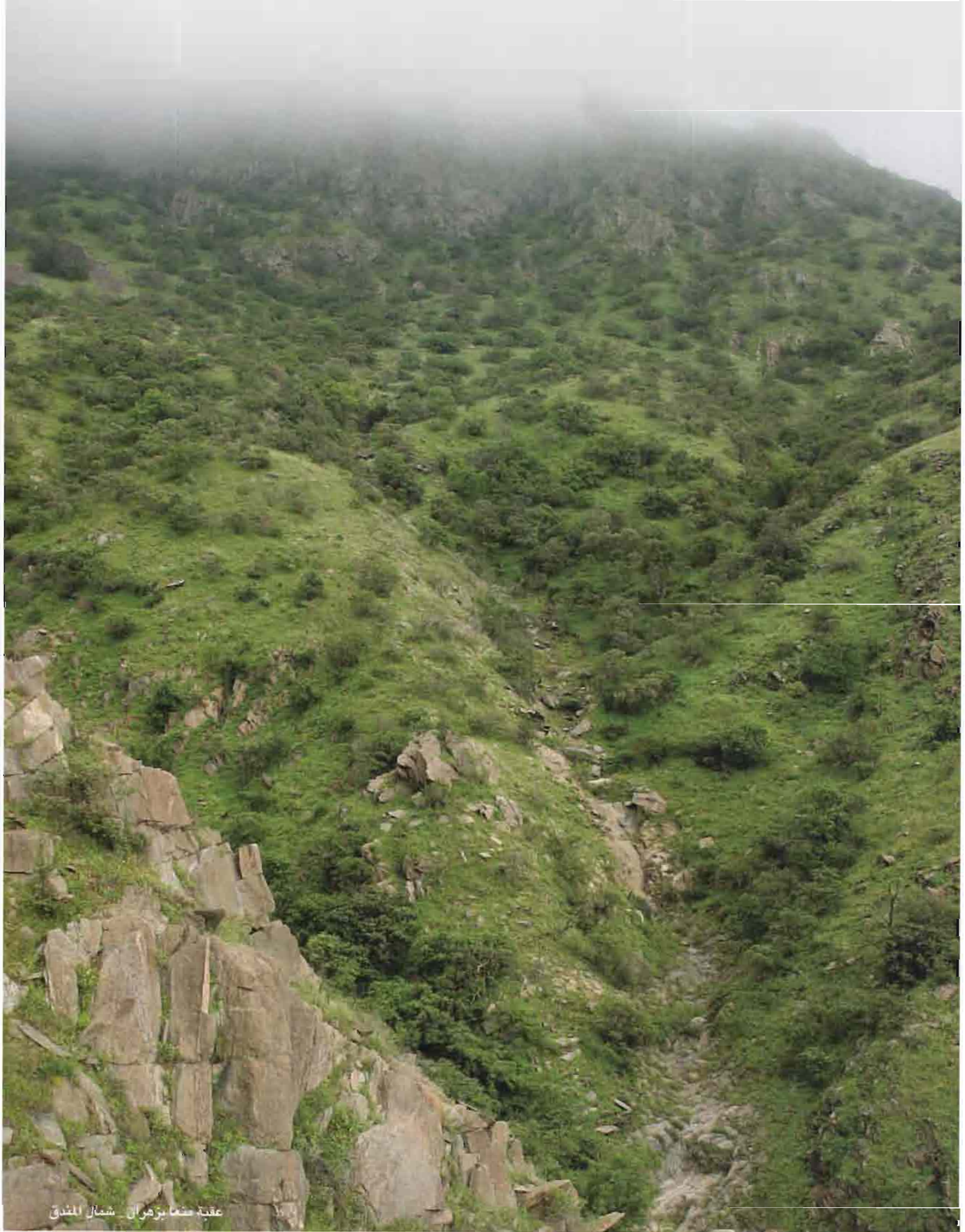
يعد المناخ من أهم العوامل الطبيعية تأثيرا في حياة الإنسان والحيوان، وأكثر من ذلك في حياة النَّبات، وتتعرض جبال السَّراة والحجاز لظواهر مناخية مختلفة لها تأثيرها المباشر في حياة النَّبات وتنوعه ونموه الطبيعي، من أهمها الحرارة والمطر والرطوبة والتبخر . ويمكن تقسيم هذه الجبال بحسب تباين خصائصها المناخية إلى إقليمين مختلفين:

أولا : إقليم مرتفعات جبال السَّراة، وسهولها الساحلية :

يتباين المناخ ومعدلات الحرارة ،وكميات هطول الأمطار في جبال السَّراة بين مرتفعاتها العالية وسهولها الساحلية الممتدة غربا إلى البحر الأحمر، وهي التي تعرف بسهول تهامة . فأما السهول فتتميز بارتفاع درجة الحرارة في فصل الصيف حيث يصل معدلها إلى نحو ٤٠ درجة مئوية، تنخفض تدريجيا كلما ارتفعنا عن سطح البحر باتجاه الجبال الساحلية أو جبال السَّراة، ويعتدل مناخها في فصل الشتاء فيصل معدل الحرارة فيه إلى نحو ٢٥ درجة مئوية ،ولا تقل النهاية الصغرى عن ٢٠ درجة مئوية . وينخفض المدى الحراري بشكل كبير ، وذلك بسبب التأثير المباشر للبحر الأحمر. كما يتميز هذا الإقليم بالارتفاع الكبير في الرطوبة النسبية، خاصة في فصل الصيف، إذ الحرارة المرتفعة تزيد من نسبة تبخر مياه البحر الأحمر . وربما وصلت في أشهر الصيف إلى درجة التشبع فتصل نسبتها إلى نحو ٩٠ – ٩٧ ٪. وأما في أشهر الشتاء فتنخفض إلى نحو ١٥ – ٢٧٪ ، ويتراوح معدلها السنوي بين ٥٨ – ٦٣٪ . والأمطار قليلة إلى الشمال من خط العرض ٢١° ، حيث يبلغ معدل المطر السنوي نحو ٥٢ ملم ، ويسقط عادة في الشتاء والربيع، ويكاد ينعدم في فصل الصيف والخريف . وأما الجزء الذي يقع إلى الجنوب

(١) ينظر : قلب جزيرة العرب ١٩، والحجاز، المنطقة الغربية من المملكة العربية السعودية (يتضمن هذا الكتاب بحثا مستفيضا عن تحديد جبال الحجاز) ٣٧ – ٨١ ، وجغرافية المملكة العربية السعودية (أقليم جنوب غرب المملكة) ٣٣ – ٣٦، ودراسات في جغرافية المملكة العربية السعودية ٨٦ – ١٠٤، والجغرافية الطبيعية للمملكة العربية السعودية ٨٣ ـ ٩٨، وجغرافية شبه الجزيرة العربية ٥٥ – ١٣٤، وأطلس المملكة العربية السعودية ٣٥ – ٣٦ .

ومرجعي في تحديد مواقع الجبال والأودية والارتفاعات وأسمائها، فضلا عما أضفته من معارفي الخاصة، إلى خرائط المساحة الجوية، من ملحقات كتاب أطلس المملكة العربية السعودية ، وكتاب موسوعة أسماء الأماكن في المملكة العربية السعودية .



عقبة منعا بزهران _ شمال المندق

من ذلك الخط ، فيتميز بارتفاع معدل سقوط الأمطار خلال شهور السنة صيفا وشتاء، ولاسيما كلما اتجهنا جنوبا نحو منطقة جازان، حيث يبلغ معدل هطول الأمطار نحو ١٠٠ – ١٧٠ ملم . وربما تصل كمية الأمطار في بعض السنوات إلى مستويات عالية، فتتحول السهول إلى مروج خضراء مزهرة، واسعة على امتداد البصر. وقد سُجل في عام ١٣٩٥هـ أكبر كمية للمطر في الخوش من تهامة بني شهر، حيث بلغت كميتها ٥٩٥,٢ ملم . ويرتفع معدل التبخّر السنوي في هذه السهول إلى نحو ٣٥٥٠ملم .

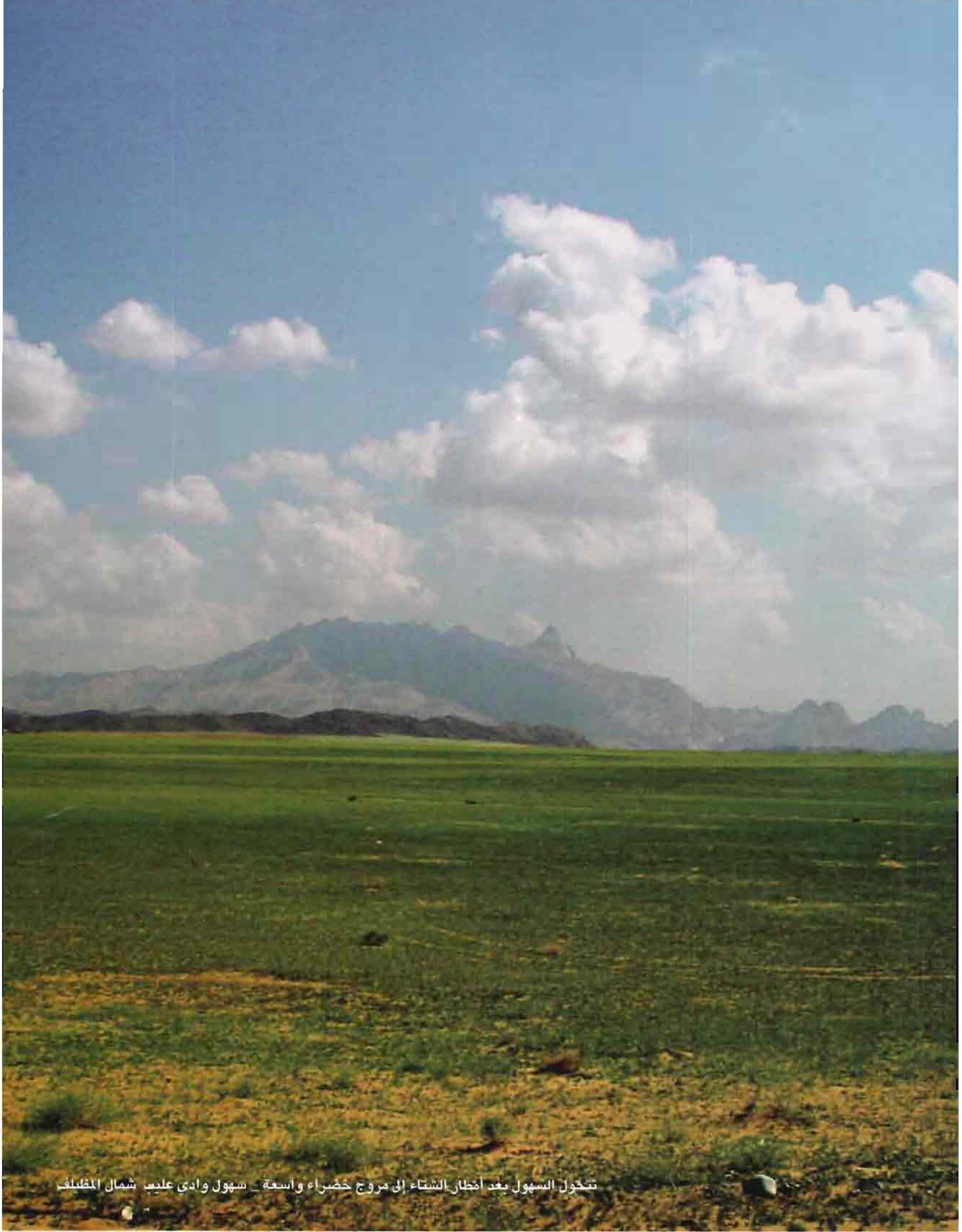
وأما المرتفعات، وهي قمم جبال السّراة العالية وفراعها المستوية ، وما يتصل بها من السفوح والحافات والمنحدرات، فيعد مناخها من أكثر الأقاليم المناخية تميزا في شبه الجزيرة العربية، فهو من أكثرها اعتدالا في درجات الحرارة والرطوبة وأكثرها نصيبا من المطر صيفا وشتاء، وأقلها في معدلات التبخر . وتتباين معدلات الحرارة في هذه المرتفعات بحسب خطوط العرض والارتفاع عن سطح البحر، حيث تصل النهاية العظمى لدرجة الحرارة في الصيف في كل من أبها والنماص وبلجرشي إلى نحو ٣٠ درجة مئوية، في حين تنخفض نهايتها الصغرى ليلا إلى نحو ١٧ درجة مئوية ، بمدى حراري قدره نحو ١٣ درجة مئوية، وإلى نحو ٢٠ درجة مئوية في السفوح الشرقية، بمدى حراري قدره نحو ١٠ درجات مئوية . ولا يزيد معدلها في شهور الصيف إجمالا على ٢٥ درجة مئوية . وتنخفض درجات الحرارة في فصل الشتاء في المناطق المذكورة إلى نحو ١٧ درجة مئوية كحد أعلى، وإلى نحو ٥ درجات مئوية، كحد أدنى . ولا يقل معدلها في شهور الشتاء إجمالا عن ١٢ درجة مئوية . ومع ذلك فلا يشعر الإنسان بالبرد الشديد في هذه المرتفعات برغم ارتفاعها الكبير؛ لأن الرطوبة تجعل البرد غير قارس، بخلاف السفوح الشرقية الممتدة إلى نجد . وغالبا ما تكون الجبال في سهول تهامة، كجبال شدا والنّاطف وثَرْبان وفيفا والعبادل والقَهْر، أكثر دفئا لقربها من البحر. وتزداد درجات الحرارة كلما اتجهنا شمالا؛ إذ يصل معدلها صيفا في مدينة الطائف إلى نحو ٣٠ درجة مئوية . وأما الرطوبة النسبية فتشير معدلاتها السنوية إلى الاعتدال أيضاً، فهي تتراوح ما بين ٢٠٪ – ٤٨٪ صيفا، وما بين ٤٠٪ – ٩٠٪ شتاء . ويعد هذا الأقليم من أوفر مناطق شبه الجزيرة العربية أمطارا، إذ تسقط عليه الأمطار صيفا وشتاء، ويتروّاح معدل كمية الأمطار السنوي بين ٢٠٠ – ٥٥٠ ملم ، وهو أعلى معدل في المملكة . وتسقط أمطار الشتاء تحت تأثير الرياح الشمالية الغربية المصاحبة لمنخفضات حوض البحر الأبيض المتوسط، ولاسيما في الأجزاء الشمالية والوسطى من هذا الإقليم، وهذا النوع من المطر يطلق عليه اسم مطر الجبهات أو المطر الإعصاري . وتسقط أمطار الصيف بغزارة نتيجة لتأثير الرياح الجنوبية الغربية الموسمية، وهي تهب من المحيط الأطلسي الجنوبي محملة بكميات كبيرة من بخار الماء، وتعبر القارة الإفريقية ثم البحر الأحمر، فتحمل منه بعض بخار الماء، وعندما تصطدم بمرتفعات السّراة الباردة، يتكثف البخار الذي تحمله، ويتكون منها الضباب والسحب الركامية الكثيفة الممطرة، بإذن الله تعالى، وتسقط الأمطار غالبا بعد منتصف النهار، ويطلق على هذا النوع من الأمطار اسم مطر التضاريس . وهي تغزر في مرتفعات اليمن وعسير، وخاصة على المنحدرات الغربية الشديدة الانحدار، وتتناقص كلما اتجهنا شرقا نحو الداخل باتجاه ظل المطر، وكذلك كلما اتجهنا شمالا نحو دائرة العرض°٢١ شمال الطائف . ومن الظواهر المناخية الهامة التي تحدث شتاء في هذه المرتفعات، ولاسيما في مرتفعات منطقة الباحة وعسير، هي صعود الضباب مع منخفضات تهامة وتجمعُه فوق قمم الجبال المطلة على تلك المنخفضات ، فيمتلئ به الجو ويتشبع الهواء بالرطوبة، وتتعذر الرؤية على بعد أمتار قليلة، وربما استمر أياما متتالية دون انقطاع ، وقد يتسبب في وقوع العديد من حوادث السير في التقاطعات والمنحدرات.

وتلك الخصائص المناخية من حرارة وأمطار ورطوبة ساعدت في الحد من عملية التبخر في هذا الإقليم؛ إذ لا يتجاوز معدله السنوي ٢٤٠٠ملم، وهو أقل معدل للتبخر في المملكة .

وقد انعكس هذا التباين في مناخ هذا الإقليم على نمو النّباتات وتنوعها، ففي المناطق المرتفعة حيث الحرارة المعتدلة والأمطار الوفيرة، والضباب أو الندى الذي تتشبع به قمم تلك المرتفعات أياما كثيرة من شهور السنة ، ترتفع كثافة النّباتات البرية الدائمة الخضرة، كالعَرْعَر والنِّبْش والشَّدْن والعَبَال في القمم العالية، أو كالعُتْم والطَّلْح والحَماط والشّثّ في المناطق الأقل ارتفاعا، وفي السفوح الشرقية والأغوار الغربية المنخفضة، تقل كثافة الغطاء النّباتي ويقل تنوعه، وينمو فيها أنواع من الأشجار التي تتحمل الجفاف، كالسَّمُر والسَّلَم والصَّاب والعُشَر والحَرَمْل، وذلك باستثناء الأغوار الغربية الواقعة عند أقدام الجبال مباشرة، فإنها تكون مواجهة للأمطار الموسمية في الصيف، فتكون أكثر كثافة وتنوعا في غطائها النّباتي، وتعد منخفضات رجال ألمع في تهامة عسير أوضح مثال على ذلك .

ثانيا: إقليم مرتفعات جبال الحجاز ومَدْين :

يعد الجزء الجنوبي من هذ الإقليم امتدادا طبيعيا وطوليا لمناخ الأجزاء الشمالية من جبال السّراة، حيث الخصائص المناخية لتلك الجبال لا تنتهي فجأة عند خط العرض °٢١,٣، وهو الحد الشمالي لجبال السّراة، بل تمتد شمالا في مسافة انتقالية تتغير خلالها الخصائص المناخيّة تدريجيا. وربما وصل تأثير الرياح الصيفية الموسمية في بعض السنوات إلى خط العرض °٢٤، حيث جبال ورقان والفقرة غرب المدينة المنورة . ومع ذلك، فإن هذا الإقليم يتميز بخصائص مناخيّة تختلف، بوجه عام، عن مناخ إقليم جبال السّراة، ولاسيما الأجزاء الواقعة بين خطي العرض° ٢٤ – °٢٩ شمالا. فالحرارة في هذا الإقليم تتميز بارتفاع معدلاتها عن الإقليم السابق ، بسبب أن هذه المرتفعات أقل ارتفاعا في جملتها عن مرتفعات جبال السّراة، وتتراوح معدلات الرطوبة النسبية خلال فصل الصيف ما بين ٢٣٪ – ٦٠٪ وما بين ٤٧٪ – ٥٠٪ في فصل الشتاء .وأما الأمطار على



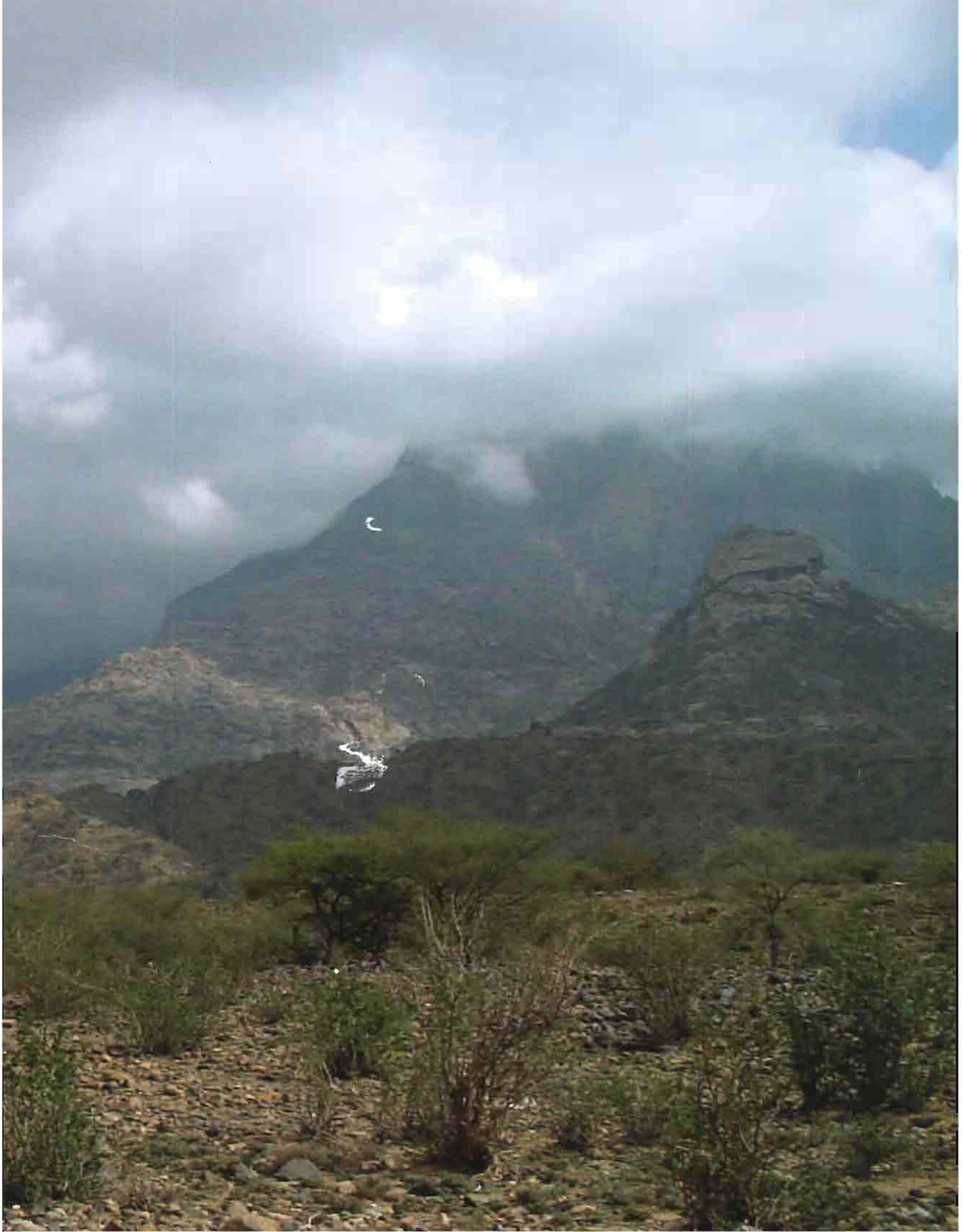
تتحول السهول بعد أمطار الشتاء إلى مروج خضراء واسعة _ سهول وادي عليب شمال المخليف

هذا الإقليم فهي قليلة وغير منتظمة، يقل معدلها السنوي عن ٧٥ ملم، وهي تهطل في أوقات متباعدة من فصلي الشتاء والربيع، بتأثير الرياح الشمالية الغربية المصاحبة لمنخفضات حوض البحر الأبيض المتوسط، وربما تكوِّن الضباب بتأثيرها على المرتفعات العالية. وقد تهطل بعض الأمطار الصيفية على الأجزاء الجنوبية من هذا الإقليم، بتأثير الرياح الموسمية الآنفة الذكر، ولكنها نادرة. ويبلغ المعدل السنوي للتبخر نحو ٣٣٠٠ ملم (١). وقد أثرت الطبيعة المناخية لهذا الإقليم على النَّبات ونموه الطبيعي، فهو أقل كثافة وتنوعا منه في إقليم مرتفعات جبال السَّراة، ومعظم نباتاته من الأشجار المعمرة المقاومة للجفاف، فعلى قمم الجبال حيث تنخفض الحراراة ويقل التبخر ينبت العرعر (العُريعر) الفينيقي، وهو أكثر تحملا للجفاف من النوع الذي ينبت على قمم جبال السَّراة، وكذلك ينبت العتم والضرو والبطم والشث، وربما تداخلت هذا الأنواع مع نباتات السفوح والقمم الأقل ارتفاعا، إذ يسود فيها أنواع من الأشجار المعمرة المقاومة للجفاف كالخزم، والكراث، والطلح، والعرتن، والأثب في بطون الشعاب، وفي السفوح الأكثر انخفاضا، وبطون الأودية الكبيرة عند أقدام الجبال، يقل تنوع الغطاء النَّباتي بشكل ملحوظ، ويسود أنواع من الطلحيات كالقرظ، والسيال الحجازي، والسمر، والثمام، وفي الشمال من هذا الإقليم تنبت شجرة الرَّتَم بكثافة في السفوح وبطون الأودية، فتكون هي الشجرة الأكثر شيوعا، وربما الشجرة الوحيدة.



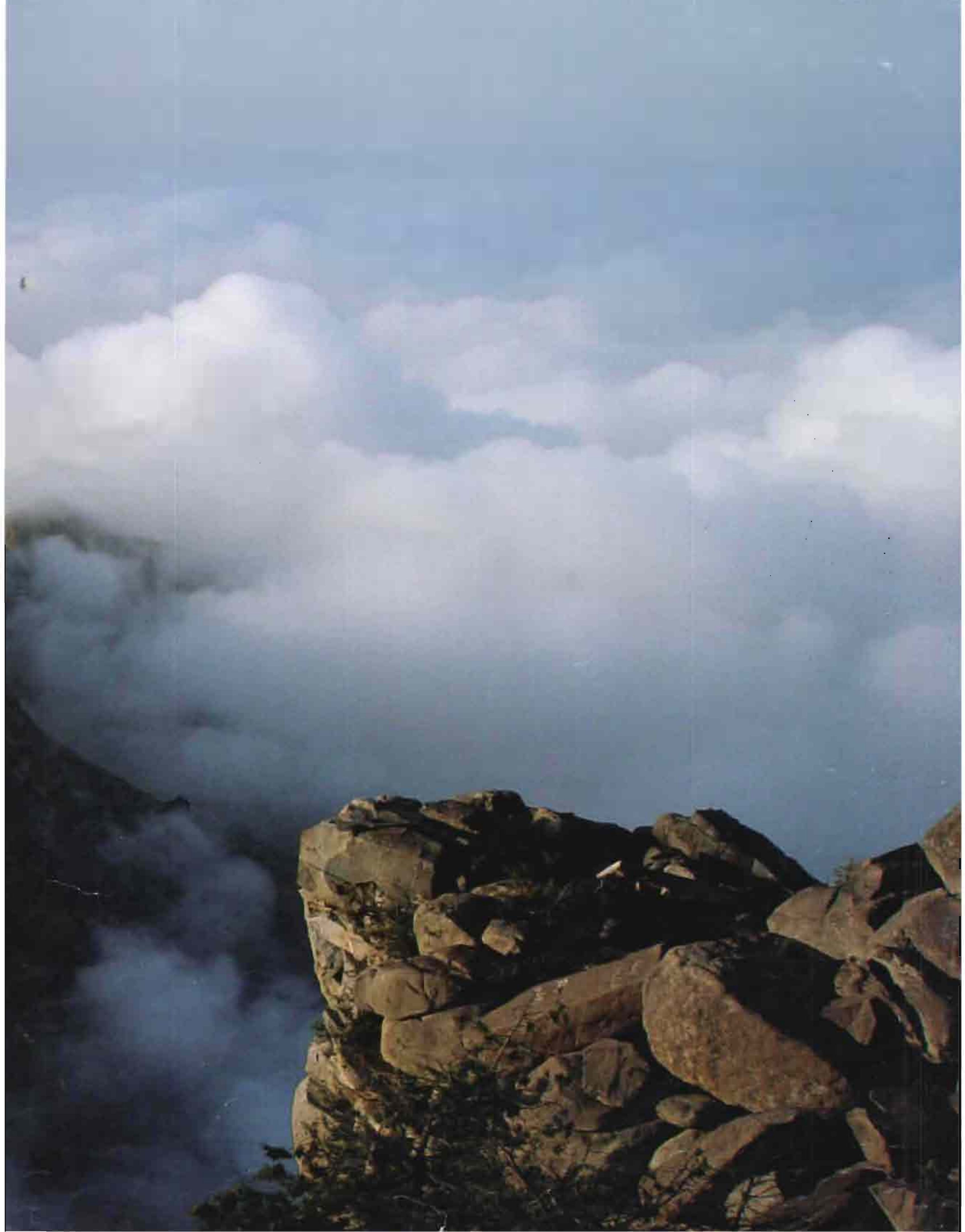
جبل بيضان قرب ترعة ثقيف

(١) الحديث عن المناخ، عدا إضافات من معارفي الخاصة، مقتبس من الكتب التالية : جغرافية المملكة العربية السعودية (أقليم جنوب غرب المملكة) ٤٣ – ٥٣، وجغرافية المملكة العربية السعودية ١١٤ – ١١٨، ودراسات في جغرافية المملكة العربية السعودية ١٨١ – ١٩٣، والجغرافية الحيوية للمملكة العربية السعودية ٢٦ – ٤٨، والجغرافية الطبيعية للمملكة العربية السعودية ١٦١ – ٢٠٢، وأطلس المملكة العربية السعودية ٤٣ – ٤٥.





جبل أَثْرِب من جهته الغربية حيث تنحدر سيوله إلى وادي الخيطان فوادي قنونا _ جنوب بلجرشي





جبل شُعْران، تنحدر سيوله إلى وادي دارا فظيان فالأحسبة _ غرب بلجرشي

الآس



قال أبو حنيفة : ((الواحدة منها آسَة، وهو بأرض العرب كثير، ينبت في السهل والجبل، وخضرته دائمة أبداً، يسمو حتى يكون شجراً عظاماً، وفي دوام خضرته يقول رؤبة :

... ما اخضَرَّ الآلاءُ والآسْ

وفي منابته من الجبال يقول الهذلي، ووصف وعلاً :

تالله لا يُعجزُ الأيّامَ ذو حيَد   بمشْمَخرٍّ به الظَّيَّانُ والآسُ

وللآس بَرَمَةٌ بيضاء طيبة الريح، وثمرةٌ تَسْوَدُّ إذا أينعت وتحلو، وفيها، مع ذلك، عُليقمة، وتسمى الفَطْس، ذكر ذلك بعض الرواة، وزعم قوم أن الآس يسمى الرَّنْد، وأنكر ذلك أبو عبيدة، وأنكره أيضاً غيره من العلماء، وزعموا أن الرَّنْد شجر طيب الريح، وليس بالآس)) (١).

الآس

Myrtus communis

الفصيلة الآسيَّة - MYRTACEAE





قلت: الآس شجيرة عطرية نادرة، تنبت في بطون الأودية على ماء جار أو جوفي قريب من السطح، وكذلك بين الأجمات الرطبة وشطآن الأودية الظليلة، على علو ١٣٠٠ – ٢٢٠٠م .

ترتفع هذه الشجيرة نحو ٢ – ٣م على ساق بني مغبر قصير (٢) ، ثم تتفرع بكثافة إلى أغصان دقيقة مكسوة بأوراق ناعمة دائمة الخضرة، مفردة متقابلة، رمحية حادة، كاملة، شبه بيضاوية، تظهر خضراء فاتحة اللون تؤول مع التقادم إلى الأخضر القاتم، تشبه أوراق الكَتَم، ولها رائحة طيبة، شبيهة برائحة أوراق الكينا. وتظهر الأزهار أوائل الصيف من آباط الأوراق، محمولة على أعناق طويلة، متوجة بخمس بتلات، تحيط بخويطات لقاحية عديدة صفراء، ولها بَنَّة فوّاحة، ومنظر حسن يستوقف الناظر إليها، ويعقبها ثمار صغيرة شبه عنبية، لونها أخضر مصفرّ، وعند النضج تتحول إلى الأرجواني المائل إلى السواد، وتنفلق عن نحو ست بذرات، كلوية الشكل، في حجم حبة الدخن، أو أكبر قليلا .

تستعمل أوراق الآس في مناطق من جبال عسير لتسكن آلام الصداع والمفاصل، وكذلك يستعملها النساء مجففة مخلوطة بأنواع من الرياحين غسولاً لشعورهن، وأخبرني غير واحد من أهل جبال فيفا أنهم يستعملونها وهي ما زالت خضراء عصابة على رؤوسهم، بمفردها كانت أو مع الضيمران والشيعة (الوَذَحَة) والمَسْمر (النُّعَيْفاء)، ويستعملون أوراقها مهروسة مع العسل لعلاج الجروح الغائرة المتعفنة (الغرغرينا) وكذلك تستعمل لعلاج أمراض الصدر كالربو أو ضيق التنفس، وكذلك لعلاج تقرحات الفم وآكلة الوجه، ولم أعرف ما آكلة الوجه؟ وربما تكون هي الأبَدَة (اللشمانيا) (٣) أو نوع من الأورام السرطانية الخبيثة . وأخبرني رجل من أهل جبل صَبِر(٤) ، وهو من منابت الآس، أنهم كانوا وما زالوا يطبخون ورقه مع اللحم المسن خَاصة، فيعجل بنضجه، وتطييب نكهته، وذكر أنهم يغتسلون به، فيترك أبدانهم نظيفة، طيبة الرائحة، ويشرب مغليه النساء لإيقاف النزف. وأخبرني رجل من أهل جبل نَعْمان في منطقة حَجَّة شمال اليمن أنهم يضيفونه كذلك إلى الخمير، فيطيب طعمه ورائحته .

وعود الآس مضرب المثل في تفاضل الرجال، وإن كانوا من أصل واحد، كقول الشاعر :

أبوكَ أبي لا شكَ والجَدُ واحدُ ولكننا عودان آسٌ وخروعُ (٥)

ولم أشاهد الآس في جبال هذيل حيث ذكره أبو ذؤيب الهذلي مع الظَّيَّان الذي ما زال ينبت بوفرة في تلك الجبال. ولعله كان على عهد الشاعر، ثم انقرض . وربما كان مراده بالآس ما تساقط من عسل النحل على الحجارة، كما فسره بعض أهل اللغة .

والهَدَس هو الاسم الشائع للآس في جنوب المملكة واليمن، وهي لغة يمانية عبرانية







قديمة(٦)، فربما أخذها العبريون من العربية أو احتفظوا بها من الأصل القديم المشترك للغات اليعربيّة (السَّاميَّة) وموطنها الجنوب الغربي من جزيرة العرب .

ورأيته بأعداد طيبة في جبال مَدْيَن، وأعداد أخرى رأيتها يابسة في تلك الجبال؛ بسبب انقطاع جريان الماء من حولها. وسمعتُ أهل تلك الجبال يسمونه (الرَّيْحان) وكذلك (الرَّيْحُون) وبعضهم يفرِّق، فما نبت منه في بطون الشعاب المنخفضة فهو الرَّيحون، وما نبت في أعالي الجبال فهو الريحان، ورائحته أطيب . وفي الجبل الأخضر شمال عُمان، وأهله بطون من الأزد (أزد عُمان) رأيته بأعداد كبيرة حول الأفلاج وجداول المياه العذبة في قرية العين ووادي السِّيْق ووادي بني حبيب ، وهنا يسمونه (الياس) بقلب الهمزة ياء . ويأكلون ثماره عند نضجها ، ويستخلصون من أوراقه بطريقة التبخير ماء له رائحة عطرية فواحة، ويستعملون براعمه وأوراقه الغضة لعلاج آلام البطن، ومنع القيء عند الأطفال .

وسمعت بعض أهل قرية الحَبَلَة (٧) يطلق لفظ (الهَدَس) أيضاً على شجرة عطرية أخرى تسمى الثِّوَم، سيأتي الحديث عنها مفصلا في موضعه من حرف الثاء، إن شاء الله تعالى.

وأشار أبو حنيفة إلى نكران أبي عبيدة وغيره من العلماء أن يكون الآس هو الرَّنْد، والأمر كذلك، فالرَّنْد شجيرة تختلف تماماً عن الآس، وهي نبتة عطرية، من الفصيلة الشفوية، رأيتها في أعالي جبل ورقان، وغيره من جبال الحجاز، وأهل هذه الجبال ما زالوا يسمونها الرَّنْد، وسيأتي عنها حديث أوفى في رسم السنعبق، إن شاء الله تعالى .

ومن الأنواع ذات الصِّلة شجرة نادرة من الفصيلة الآسية أيضًا (*Syzgium guineense*) رأيتها إلى جوار الثِّوَم في قرية الحَبَلَة السالف ذكرها، ثم شاهدتها أسفل سفح شديد الانحدار على ضفاف وادي لِجْب من جبال الريث، وأخبرني دليلي الريثي أنهم يسمونها (رَيَّاعَة) .

وأما أهل الحَبَلَة فإنهم يسمونها (الغَرَبة) ويطلقون (الرَّيَّاعة) على شجرة نادرة، من الفصيلة القُرَّاصيَّة (*Debregeasia saenab*) لها ذكر في رسم العفار .







• الرِّيَّاعة _ *Syzgium guineense*

وقد ذكرت لأهل الحَبْلة أن الغَرَبة غير تلك، ووصفتها لهم، فعرفوها، وذكروا أنها من نبات الحَبْلة أيضا، وأنهم يميزون بين الشجرتين، بقولهم (غَرَبة الثمر) للأولى و(غَرَبة المساويك) للغَرَبة الشائعة، والمعروفة أيضاً بالصَّفْصَاف . وهي شجرة كبيرة، ضخمة الجذع، ترتفع نحو ٧ – ١٥م . منابتها الأودية الظليلة حول ينابيع المياه . أوراقها شديدة الخضرة، تظهر بلون أخضر فاتح محمر، تشبه أوراق الغَرَب عند ظهورها، ولعل ذلك هو سبب تسميتها الغربة في الحَبلة، لها رائحة طيبة تشبه رائحة أوراق السَّاج (الكينا) .

أزهارها بيضاء تشبه أزهار الآس، تظهر على الكاس من غير بتلات، كأزهار السَّاج (الكينا). ولها رائحة طيبة خفيفة . ويتلوها ثمار شبه بيضاوية في حجم زيتونة متوسطة الحجم ، تظهر بلون أبيض، يستحيل إلى الأرجواني الفاتح، ثم الغامق المائل إلى السواد عند تمام النضج، تُؤكل، وفي داخلها عَجَمة صلبة تُلفظ . وهي سريعة الإنبات .

---

(١) النَّبات ٥ / ٢٥، ٢٦، ٣ / ٢١٠. وينظر : ديوان الأعشى ٣٤٣، والنابغة الذبياني ٢٢٨، ورؤبة ٦٨، وابن الرومي ٢ / ٨٠٥، ٣ / ١١٨٧، وشرح أشعار الهذليين ١ / ٢٢٧، ٤٣٩، والنَّباتللأصمعي٣٢، والغريب المصنف ١ / ٤٢٢، والمنتخب ١ / ٢٥١، والمخصص ١١ / ١٩٥، ونظام الغريب ٢١٥، ومقامات الحريري ٨٩، والعمدة ١ / ٤١، وجامع ابن البيطار ١ / ٣٧، وحديقة الأزهار ٩، والكشف والتنبيه ٣٤١، وقصد السبيل ١ / ١٤١، والعين ٧ / ٣٣١، والجمهرة ١ / ٢٣٨، وتهذيب اللغة ١٣ / ١٣٩، وشمس العلوم١ / ٣٧٥، واللسان ١ / ٢٦٣، والقاموس ٦٨٤، والتاج ٤ / ١٠٣(أوس) .

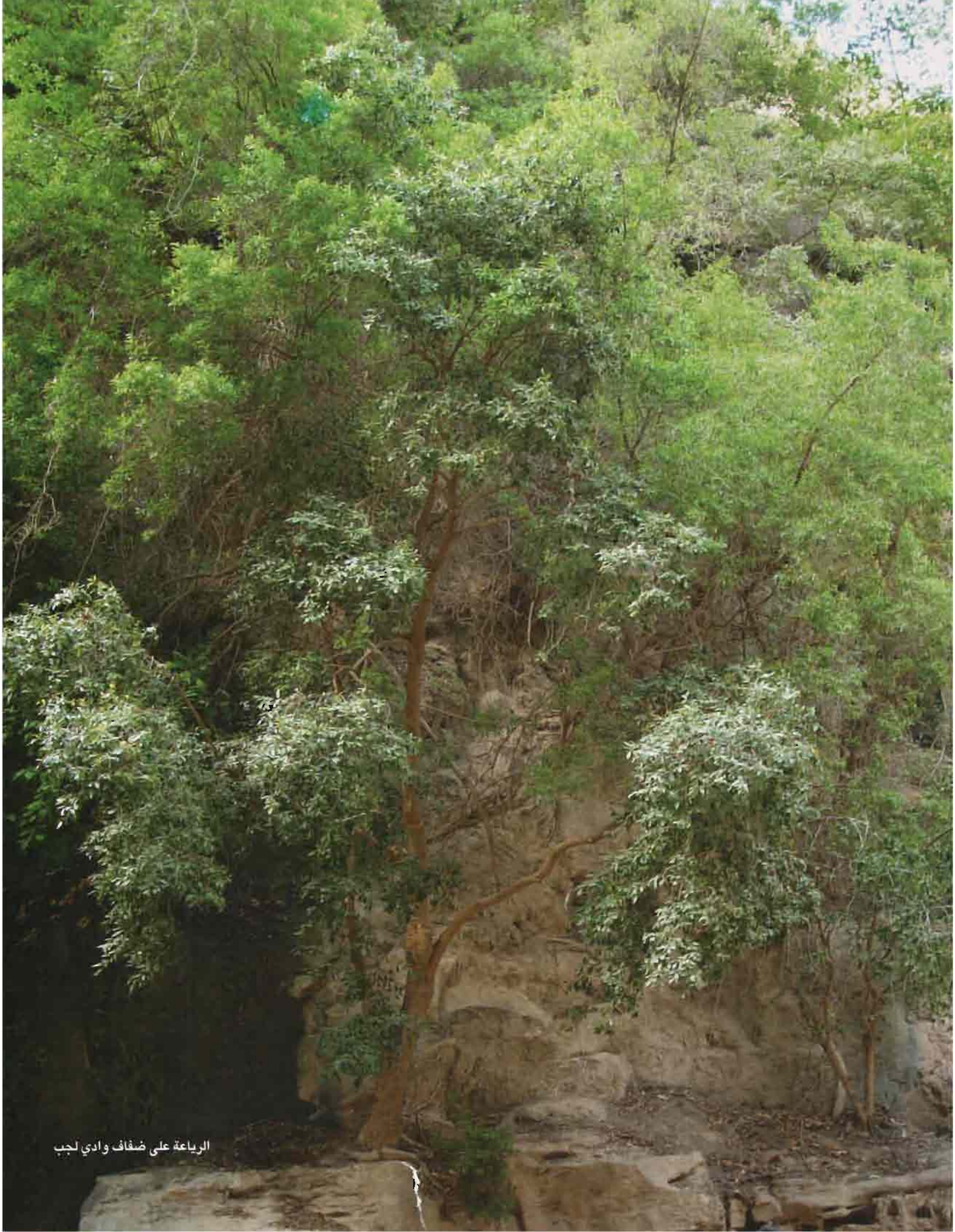
(٢) الساق من الألفاظ المؤنثة . واستعملته في أوصاف النَّبات مذكرا على معنى الجذع .

(٣) الأبدة (اللشمانيا) مرض جلدي، يصيب في الغالب الوجه وبخاصة الأنف وما جاوره، ويتسبب في إتلاف الأنسجة الخارجية من البشرة، ويترك ندبة في الوجه تبقى مدى الحياة، ولذلك سموها (الأبدة) من التأبيد . تسببه حشرة صغيرة نحو البعوض، وتنتقل عدواه من الفئران وبعض الحيوانات الأليفة .

(٤) من جبال اليمن الشامخة، يقع إلى السفح الشمالي من مدينة تعز، كثير الخيرات، كثير المياه، يزيد ارتفاعه عن ٣٠٠٠م، أعلى قمة فيه تسمى جبل العروس، بالقرب منها مسجد أهل الكهف في قرية ذمرين – المعقاب. زرت هذا المسجد، ورأيت الكهف . وذكره من المتقدمين ابن المجاور وغيره . ينظر صفة بلاد اليمن والحجاز ١٨٦ .

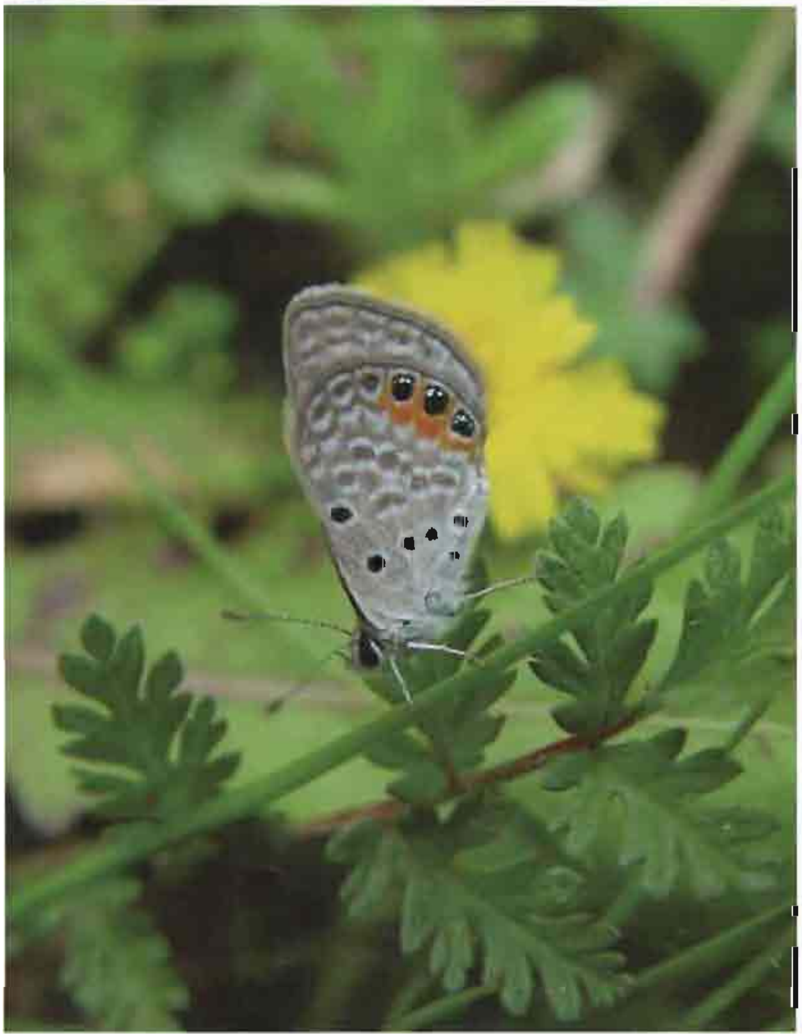
(٥) ينظر: المحاسن والأضداد للجاحظ ١٠٩، والمحاسن والمساوي للبيهقي ١٢٨ .(٦) ينظر : المنتخب ١ / ٢٥١، ومعجم أسماء النَّبات ١٢٢.

(٧) هي قرية غائرة في هوة سحيقة، يزيد عمقها عن ٣٠٠م، سكانها من بني مليكة من قحطان، وكانوا إلى عهد قريب ينزلون إليها متدلين بواسطة الحبال، تبعد عن أبها جنوبا نحو ٥٠كم، وتقع شرق صحن تمنية بالقرب من خميس مشيط . وهي الآن من المعالم السياحية الجميلة في عسير، ويتم النزول إليها بواسطة العربات المعلقة .



الرياعة على ضفاف وادي لجب


وادي عليب بتهامة زهران





الأَثْأَب



قال أبو حنيفة : ((سمعت بعض الأعراب يقول: الأَثَب، يُلقي الهمزة، ويحرّك، وسألته عنه فقال: هو شجر عظام جداً واسعة، قال: والأثأبة : دوحة مِحْلال، يستظل تحتها الألوف من الناس، تنبت نبات شجر الجَوْز، وورقها أيضاً كنحو ورقه، ولها ثمر مثل التِّين الأبيض الصغار، وفيه كراهة، وقد يُؤكل، وفيه أيضاً حبّ مثل حبّ التين. وقد ينبت الأثأب في الجبال . وقال الهُذليُّ ووصف مطراً قلع الشجر وحدره من الجبال :

فالسِّدْر مُخْتلَجٌ وأُنْزِل طافياً   من بينَ عَيْنَ إلى نباةَ الأثأبُ)) (١).

وقال في باب الزناد: ((وزِنَاد الأثأب جَيدة)) (٢).

الأثـأب

Ficus salicifolia Vahl

الفصيلة التُّوتِيَّة - MORACEAE

قلت: الأثأَبُ، والأثَبُ لغتان، وهو اسم جمع، والمفرد أثأبَة وأثَبَة، والأخيرة لغة أهل السراة اليوم . وهي شجرة ضخمة معمرة واسعة الانتشار، شاهدتها في جبال السراة والحجاز ومَدْيَن. تنبت في بطون الأودية وعلى ضفافها، وربما نبتت في السفوح، بعيدا عن الأودية، وأكثر منابتها الشقوق الصخرية وأكنافها، على ارتفاع ٥٠٠ – ١٩٠٠م، وتجود في المنخفضات المعتدلة على ارتفاع ٩٠٠ – ١٥٠٠م .

تقوم الأثأبة على ساق أملس أبيض يخالطه غبرة يسيرة بارتفاع ٧ – ١٥م، وإذا قصف أحد أغصانها هريق سائلاً أبيض كاللبن . أوراقها سنانية، متطاولة، تامة الحواف، يميِّزها عرق في الوسط أصفر باهت . وهي تشبه ورق الخوخ مع ثخانة وطول زائدين، وربما أشبهت ورق الجوز، كما ذكر أبو حنيفة، إلا أن وسطه أعرض، في الغالب، من ورق الأثاب. وهي تعظم في الخصب والرواء، فربما بلغت حجم ورق الضرفة أو أكبر ، ولها رائحة طيبة مميزة، تشتد عند الظهيرة، والأغنام ترعاها، وتجتنبها الإبل، وقد تأكلها خطأ مع أوراق الكَتْنَة (الغَشْوَة) وهي شجيرة متسلقة معترشة تحبها الإبل، فلا تلبث بعدها كثيرا. وجناها في حجم النَّبْق أو أصغر قليلاً، يظهر أخضر في صلابة، وعند النضج يؤول إلى اللون الأصفر ثم الوردي ثم الأحمر المشوب بسواد قليل، وربما خالص السواد. تأكله الطيور والقرود، وربما أكله الناس في الشدائد، وفيه خشونة وعفوصة، والإكثار منه مجلبة للمغص والقيء . وعند تناهي النضج تفرز الثمرة من أعلاها سائلا حلوا يستهوي طائر التُّمِّير الأزرق. وفي تهامة هذيل يسمونه (الحَسْل) وسمعت بعض جهينة يسميه (العَجْر) وكذلك يسمون ثمر الجُمَّيز والحَمَاط .

وهذه الشجرة تتحمل الجدب وقساوة المناخ، فتراها ، في الغالب، خضراء مورقة كأنها على شاطئ نهر. وتشتد خضرتها في الرواء حتى تُرى إلى السواد أقرب. ولها ظل وارف بارد، ولكن لا تبلغ – مهما عظمت – أن تظل الألوف من الناس، كما ذكر أبو حنيفة، ولو قال: إنها تظل المئة فما دون، لكان حريًا بذلك،





وأقرب إلى الصواب .

وينتشر اعتقاد لدى بعض أهل السَّراة والحجاز بأن الأثبة من مساكن الجن والأرواح الشريرة، فربما عمد بعضهم إلى قطعها إذا نبتت إلى جوار بيته؛ خشية الجن !

وهي مأوى محبب للنمور، تقضي فوق أغصانها معظم نهارها، فتحتمي من وهج الشمس، أو تكمن لافتراس الطرائد . وكذلك هي مأوى للأيْم، ينسل بلطف بين أغصانها؛ لاقتناص الطيور التي تتغذى على ثمارها اليانعة. قال صاعد: ومنه قالوا : ((أيم أثأبة ... وحيَّتُه أخبث الحيَّات)) (٣) .

وأخبرني رجل معمر من سراة بني عمر أنهم كانوا يمضغون لحاء أغصانها الحديثة النمو، ويسمونها (الشَّغَاميم) فيبرمون منها الجدائل والحبال الصغيرة، وفتائل البنادق، وهي من النوع القديم الذي كان يعرف بـ (أبو فتيل)؛ وكانوا يستعملون لهذه البنادق الفتائل المصنوعة من لحاء الأثب ويدعون ما سواها، لأنها تبقى وقتًا طويلاً جمرة متقدة لا تنطفئ، إذ النار تسري فيها ببطء شديد، فإذا ما أرادوا الرمي أشعلوا بها عين الزناد الممتلئة بالبارود، فيشتعل سريعًا، وينطلق الرصاص . قال : وأما الفتائل المتخذة من غير الأثب فتهمد حثيثًا؛ لذلك فضّلوا فتائل الأثب على ما سواها .

قال: وإذا مضغوا لحاء هذه الشجرة، أو لحاء أخواتها الجميزة أو الضرَّفَة أوالبَدَعة، وكان أحدهم مصابا بالسعال أو التهاب في الحلق أو خشونة وبلغم في الصدر، فإنه يشفى بعدها، بإذن الله تعالى .

وأخبرني رجل من أهل ورقان بأنهم يعالجون أدواء تُصاب بها الأغنام في بطونها بأوراق الأثبة وأغصانها الغضة، مضافا إليها أغصان مورقة من اللصف والبان، ويسمونها (المثلوثة) لكونها من نباتات ثلاث، فتدق، وتخلط بالماء، فتسقى للغنم المريضة، فتطيب، بإذن الله .

وقد وهم الأصمعي، ومن قلده كأبي الحسن الهنائي (٤) ، في تشبيه الأثأب بالأَثْل، فقال: ((الأَثْأَب شجر يشبه الأَثْل)) (٥) وقال أيضاً : ((الهَدَب، وهو ورق الأَرْطى، والأَثْل، والغضا، والرِّمْث، والطَّرْفاء، والأَثْأب)) (٦) . وشتَّان ما هما ؛ إذ لا تشابه بينهما لا في الورق ولا اللون ولا الثمر . والذي يؤكد أنه عنى الأَثْل نفسه، أحد أنواع الفصيلة الطرفية (*Tamarix aphylla*) أنه جعل ورقه هَدَبا، كورق الإثل . ولولا هذا لأمكن القول بأنه أراد أن يشبه الأثأب بالضِّرف الذي يسميه أهل ورقان الأَثَل، بفتح الأول والثاني، وهو شديد الشبه بالأثأب؛





على اعتبار أن الأَثَل، بالتَّحريك، اسم قديم مرادف للضرف، لم تدونه المعاجم .

ويُنطق الأثأب في أقاليم جنوب اليمن (الإثأب) بكسر الهمزة الأولى وفتح الثانية. وفي نواح من مَبْين شمسان من جبال حجة اليمنية تُنطق (الثَّبَة) بحذف الهمزتين . وسمعت بعض أهل ورقان يحذف الهمزة الثانية وينطقه في المفرد (إِثبَة) بكسر الأول والثاني، ويفتحهما في الجمع. وربما قلبوا الهمزة الأولى ياء في المفرد والجمع . وفي جبال ظفار ينطقونه (الأثيب) أو (الإثب) بكسر الأولى وما بعدها وقلب الهمزة الثانية ياء أو حذفها، ويطلقون (الإثَف) بالفاء على شجرة صغيرة من الفصيلة الصابية (*Flueggea virosa*) تشبه الحناء، وتعرف في كثير من جبال السَّراة بـ (حناء القرود أو الجمال) وسمعت أهل الجبل الأخضر يسمون الأثأب (اللَّثَب) بقلب الهمزة الأولى لاما وحذف الثانية .

ورأيت الأثأب واسع الانتشار في جزيرة سقطرى اليمنية(٧)، وأهل هذه الجزيرة ينطقونه (إتْإب) بكسر الهمزتين وقلب الثاء تاء، ولا يفرقون بينه وبين الضَّرف. ورأيت لبعض أشجار الأثب في هذه الجزيرة جذورا هوائية صغيرة. وشاهدت على سيقان بعضها ندوبا وجراحات، فسألت دليلي من أهل هذه الجزيرة، فذكر أنه من فعل صبيانهم؛ إذ يعمدون إلى جرح جذعها بحجر أونحوه، فتخرج منه العصارة البيضاء، فإذا جفت أخذوها ومضغوها، ثم ينشرونها على الصخور حول مناهل الماء، فتلتصق بها الطيور الواردة، ويسهل عليهم الإمساك بها .

وذكر أحمد عيسى (٨) أن من أسماء الأثب: الجُمَّيْز، والتين البري (الحَمَاط) وهو وهم أيضاً؛ إذ هما شجرتان مختلفتان عن الأثأبة نوعا وحجما وهيئة، وإن كان الجميع ينتمي إلى فصيلة واحدة .

---

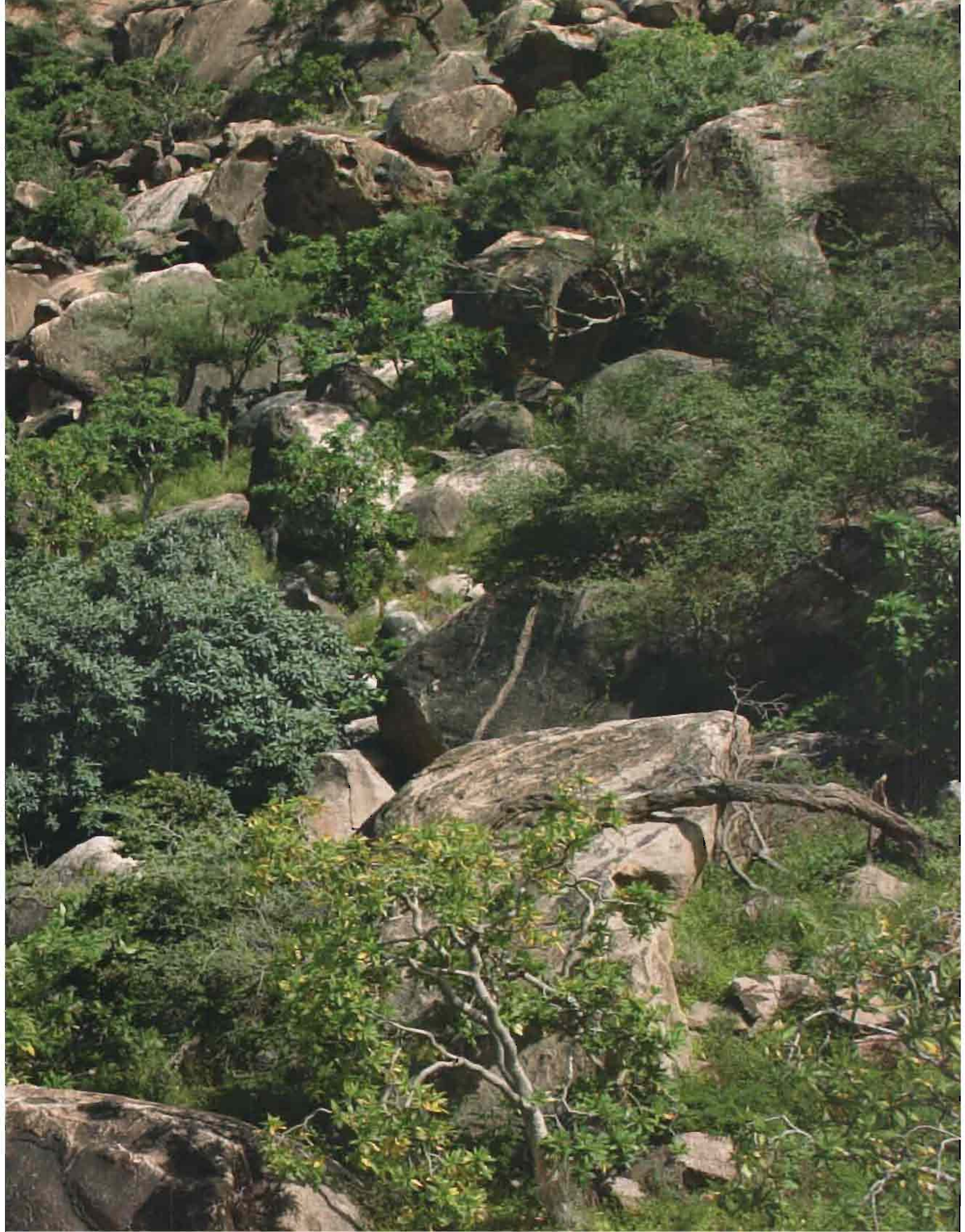
(١) النَّبات ٥ / ١٢ . وعين ونباة موضعان . ينظر : شرح أشعار الهذليين ٣ / ١١٠٥ .

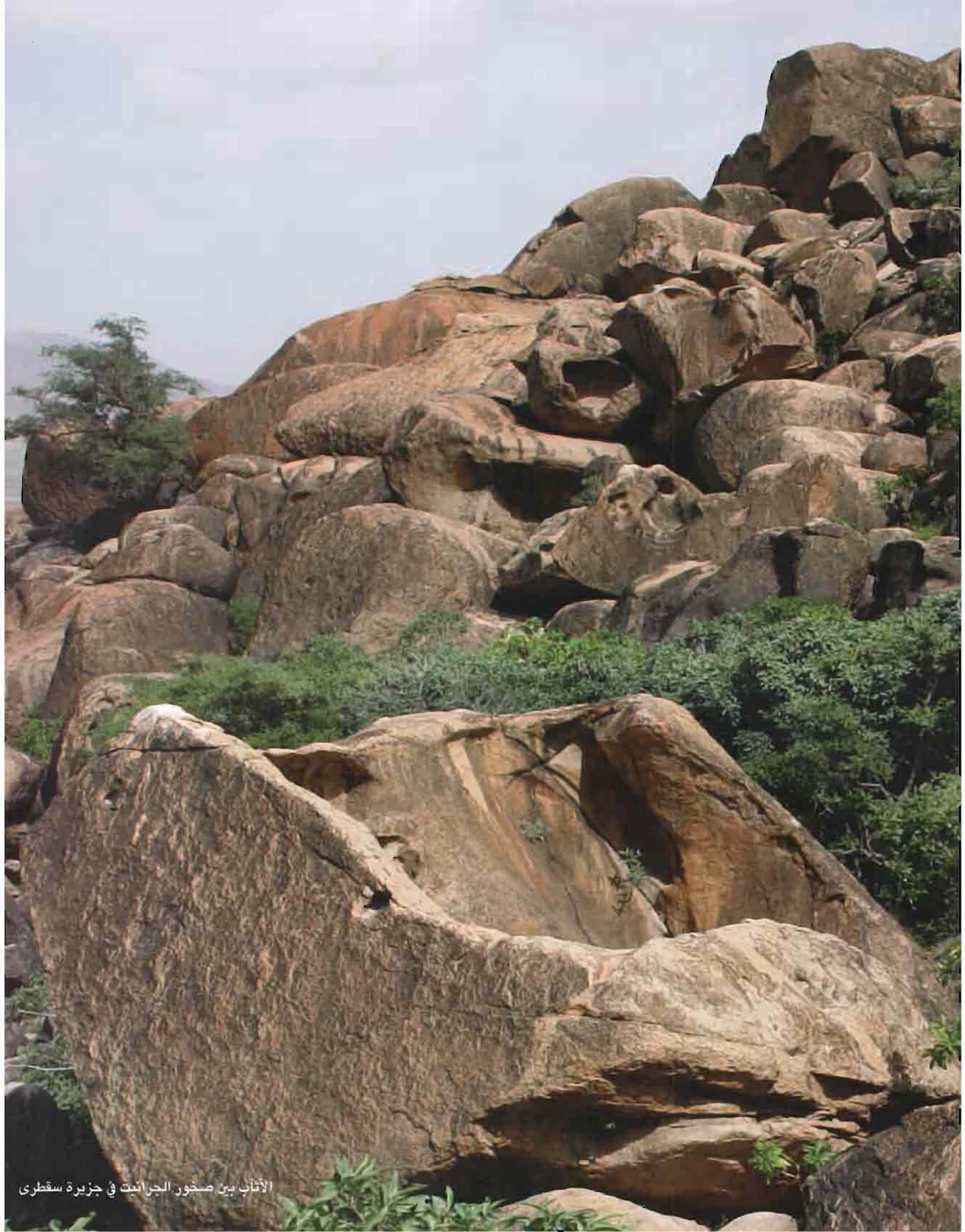
(٢) النَّبات ٣ / ١٢٥ . وينظر : ديوان عامر بن الطفيل١٤ ، والنابغة الجعدي ٢٣، وابن الرومي ١ / ٢٩٢، والغريب المصنف ١ / ٤٢٣، والمنتخب ٢ / ٤٦٣، والمجرد ١ / ٦٠، والفصوص ٣ / ٧٠، ٨٣، وصفة جزيرة العرب ٢٤٧، وكفاية المتحفظ ١٩٨، والمخصص١١ / ١٤١،١٤٤، ١٩٧، والعمدة ١ / ٤٤، والعين ٨ / ٢٤٩، والصحاح١ / ٩٢، وشمس العلوم ٢ / ٩٢٠، واللسان ٢ / ٧٥، والقاموس ٧٩، والتاج ١ / ١٦٢(ثأب) .

(٣) الفصوص ٣ / ٨٣ . (٤) المجرد١ / ٦٠. (٥) النَّبات ٣٤ . وينظر : ديوان امرئ القيس برواية الأصمعي ٤٩ . (٦) النَّبات ٢٨ . وينظر : المجرد ١ / ٦٠ .

(٧) سُقُطْرى، بضم أوله وثانيه وسكون ثالثه، جزيرة كبيرة، تتبع الجمهورية اليمنية، وتقع في بـ ـ نعرب، قبالة الساحل اليمني، وتبعد عن أقرب الشواطئ اليمنية بنحو ٣٥٠كم، وعن عدن بنحو ٨٥٠ كم . ويصل أعلى ارتفاع لها إلى ١٥٠٠م . والجزيرة غنية جدا بأنواع كثيرة من الطيور والنَّباتات، وتشتهر منذ القدم بإنتاج الصبر وعصارة الخزم (دم الأخوين) . ينظر : معجم البلدان ٣ / ٢٢٧ .

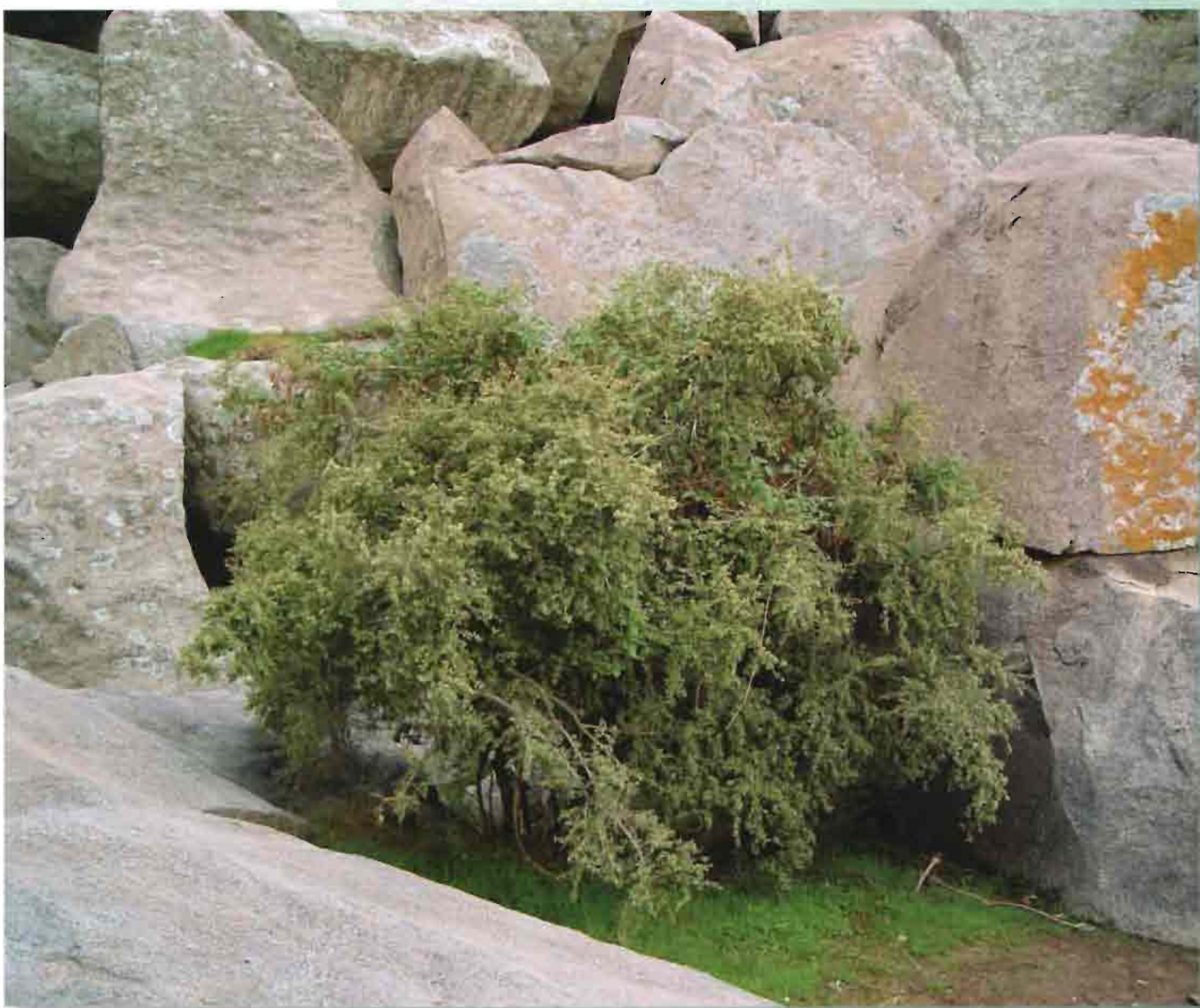
(٨) معجم أسماء النَّبات ٨٣ .





الأثاب بين صخور الجرانيت في جزيرة سقطرى

الأَثْرار



قال عرّام السُلَميّ : ((الإثْرار له ورق يشبه الصَّعتر، وشوك نحو شوك الرُّمَّان، ويُقدح ناره إذا كان يابساً فيقتدح سريعاً)) (١) .

وقال: ((وقد يُتخذ من الإثْرار القطران، كما يُتخذ من العَرْعَر)) (٢).

وذكره أبو حنيفة، ولم يحلّه، ونقل عن بعض الأعـراب أنه الأنبرباريس، الذي يسمى بالفارسية ((الزَّريك)) (٣) .

الإثـرَار
Maytenus dhofarensis

الفصيلة الحرابيَّة - CELASTRACEAE





قلت: يُطلق لفظ الإثرار على نوعين اثنين من فصيلة (الحرابيَّات) .

أما الأول (*M. dhofarensis*) : فمنابته المرتفعات الباردة، على علو ١٥٠٠ – ٢٣٠٠م . وهو شجيرة واسعة الانتشار في جبال السرَّاة، ترتفع نحو ١,٥ – ٣م على سيقان متعددة تخرج من أصل واحد، خشنة الملمس، رمادية اللون تميل إلى السواد، بينما تكون أطرافها العلوية الحديثة النمو حمراء مائلة إلى البُني الفاتح، ولها أشواك كثيرة متعاقبة، وأوراقها صغيرة ناعمة في حجم ورق الصعتر (الزَّعتر)، كما قال عرام، أو الحنَّاء، ولكنها أثخن . تظهر في منتصف فصل الربيع خضراء فاتحة يشوبها حمرة زاهية جميلة ، ثم تؤول إلى الأخضر الغامق، فإلى الأخضر الشاحب مع التقادم، والأزهار صغيرة الحجم، لونها أبيض مصفر، تظهر في أعلى الساق الحديث النمو في عناقيد كفاغية الحنَّاء، أو منفردة بين آباط الأوراق على السيقان القديمة، لها رائحة طيبة خفيفة، ويجرسها أنواع من الحشرات. والثمار في حجم الحمصة الصغيرة مدورة أو بيضاوية الشكل، تظهر حمراء أو وردية اللون، تتحول إلى الأحمر الأرجواني بعد أن تجف، ثم تنفلق إلى ثلاثة فصوص في داخلها ثلاث حبات من البذور .



أشواك الإثرارة حادة، تُمضّ وتؤلم، لا يفوقها في ذلك إلا شوك الحلَّة أو المُرار . وقد استُغلت هذه الأشواك؛ فكانوا يقطعون الأغصان ويضعونها سياجات على المزروعات وحظائر الأغنام . ويستعملون أغصانها اليابسة وقودا جيداً سريع الاشتعال. وربما اتخذوا من سيقانها، إن نمت مستقيمة، العصي والهراوى الجيدة . وتنبت ، أحيانًا، على هيئة أجمات صغيرة تألفها الثعابين، وبخاصة الأيْم (الكوبرا) فيقترب الناس منها وهم حذرون، ينظرون حيث يضعون أيديهم وأقدامهم خشية الخطر الكامن .

وسمعت أهل وادي الوَيْت من بني سفيان من ثقيف يسمونه (الخَشَاش) ورأيت هذا النوع بوفرة في جبل صَبر، وأهل هذا الجبل يسمونه (المُسُك) .

وأما النوع الثاني (*M. heterophylla*) : فينبت في أغوار جبال السَّراة على ارتفاع ٧٠٠ – ١٣٠٠م .

يرتفع هذا النوع إلى نحو ٢ – ٤ م . ويقوم على جذع رمادي اللون إلى بياض





قليل، والأغصان محمية بأشواك أطول من أشواك النوع السابق، ولكنها أقل ضرراً منه، وهي في الأصل أغصان صغيرة تحولت إلى أشواك، ويظهر على بعض أغصانها زوائد كروية صلبة مثقبة . وأوراقها طويلة مسننة، شبه بيضاوية، شبه ثخينة، يغلفها طبقة شمعية تحميها من أن تذبل أوقات الجفاف. وطرفها القمي حاد وربما مستو أو قلبي، لونها أخضر مغبر، ونظام الإزهار والإثمار في هذا النوع كسابقه، تجرسها الزنابير وأنواع أخرى من الحشرات، إلا النحل، ومن سجعات أهل الفقرة من حرب قولهم على لسان النحلة: ((كل شيء لي فيه شطارة إلا العِترْة والإثرارة)) (٤) . وثمار هذا النوع تصير عند النضج بيضاء مصفرة، يشوبها حمرة يسيرة، ثم تنفلق، في الغالب، عن فصين اثنين، بداخلهما البذور .

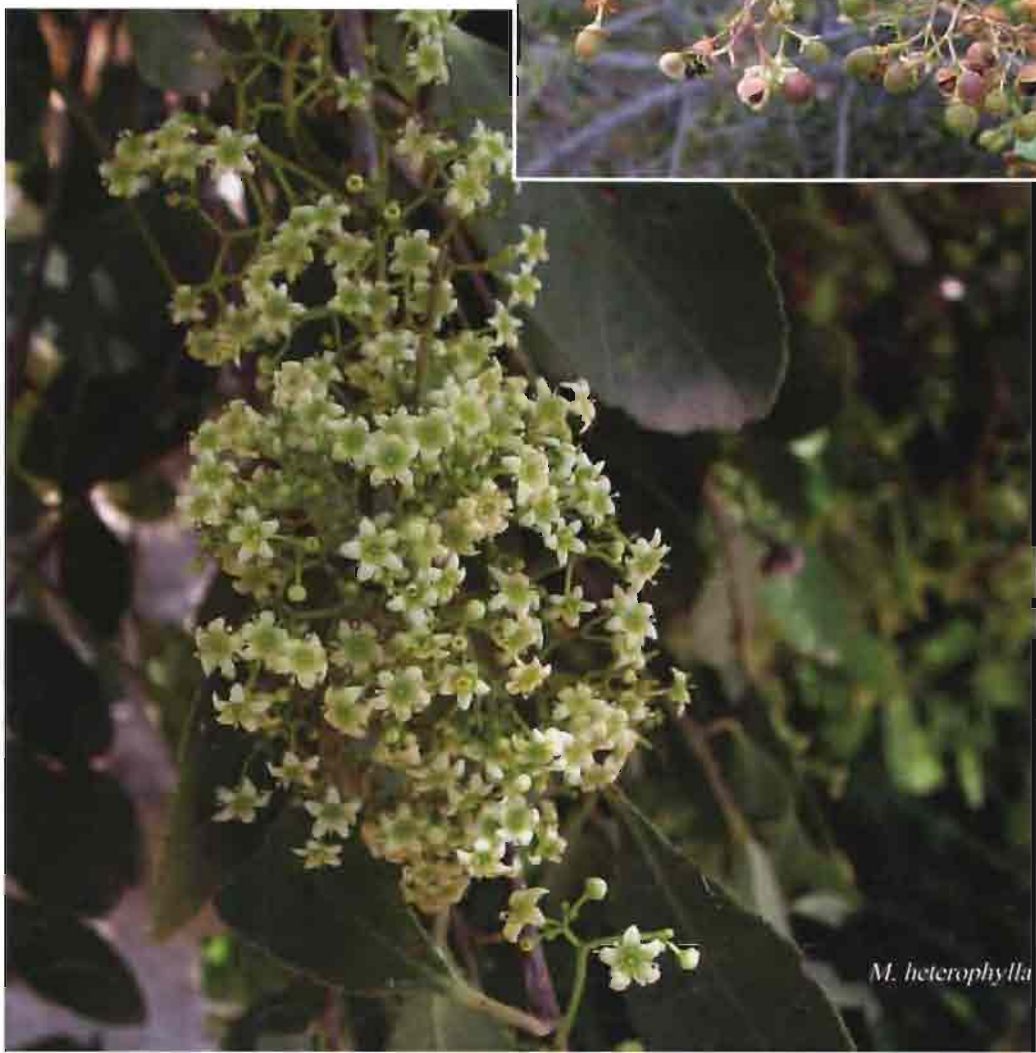


وأكثر أهل تهامة يسمونه أيضاً الإثرار، ويفسرون بعض الاختلافات الظاهرة بين النوعين باختلاف المنبت. وسمعت أهل وادي ضِيْم من تهامة هذيل جنوب شرق مكة يسمونه (الخَشَاش) ويسمون ما ينبت في قمم السراة (الإثرار).

ورأيته، أو هو نوع منه، في بعض جبال الحجاز على ارتفاع ٩٠٠ – ١٥٠٠م . وهو شديد الشبه بالنوع السابق ، سوى أوراقه فإنها أقل عرضا من أوراقه، وربما أقصر منه، والاستداره غالبة على طرفها الطليق. وأشواكه كثيفة حادة. وأهل جبال الفقرة يسمونه الإثرار أيضاً. وسمعت الصواعد من أهل ورقان يسمونه من غير تعليل (سِدْرة الظَّبْي) فذكرت أنه الإثرار فلم يعرفوه. ورأَيته في جبال البيضاء شمال المدينة المنورة، بحجم متقزم، وأوراقه أطول وأقل عرضا من أوراق النوعين السابقين، عريضة من الوسط، تشبه أوراق الغَرَب، أطرافها تامة، وربما مسننة على نحو خفيف .

وسمعت أهل ظفار يطلقون على النوعين (السرَّوي والتِّهامي) اسم (شَرْبِيْث) ولا يفرقون .

وأخبرني رجل من جبل شَدَا الأعلى وآخر من وادي قنونا بأنهم كانوا يعالجون المحصور الذي



M. heterophylla





● الإثرار في جبال الحجاز ٢ *Maytenus sp*

احتبس بوله بدق غصن رطيب من أغصان هذا النوع ثم يلفونه برفق على خاصرة المريض، ممسكا طرفيه بيده، فما يلبث إلا قليلاً حتى يزول عنه الاحتباس !

وسمعت دليلي القرني من أهل جبل حضوضي ينطقه (الثرَّار) بحذف الهمزة. وفي رجال ألمع من تهامة عسير يسمونه (الإضْرار) بكسر الهمزة وقلب الثاء ضاداً، وربما نطقه بعضهم بالثاء على الأصل.

وأما في سراة عسير فيطلقون (الإضْرار) بالضاد، على نوع من فصيلة الدَّاذيات (*Hypericum revolutum*) ينبت عادة في الأماكن الباردة الرطبة حول ينابيع المياه، أزهاره صفراء جميلة، طيبة الرائحة . وفي اليمن يسميه أهل جبل صَبِر (الأَبْيَة) . وسمعت أهل جبل إبراهيم من ديار بجيلة (بني مالك) يسمون نوعاً قريبا منه الفَقُّوس (*Hypericum hircinum*) .

وإلى فصيلة الإثرار تنتمي شجرة القات المشهورة (*Catha edulis*) وهي تزرع على نطاق واسع في اليمن وأجزاء من جبال شرق منطقة جازان. ورأيت من هذه الفصيلة نوعاً آخر (*Maytenus undata*) لا يختلف كثيراً في مظهره الخارجي ونظامه الزهري والثمري عن شجرة القات المعروفة . وهو ينبت برياً تحت قمم جبال السراة، ولكن لا أحد من أهل تلك الجبال يسميه القات، وإن اعتقد بعضهم بأن له تأثير القات. يسمى (الشدُّيد) في سراة بني عُمَر، و (الشدَّاد) في سراة خثعم و (اليَبْس) في جبل شدا الأعلى، وأهل هذا الجبل يرون أن خشبه لا يقل عن وقود الإثرار في سرعة اشتعاله ودوامه وقلة دخانه، وكانوا يتخذون من سيقانه وفروعه الكبيرة سياجات تحمي مزروعاتهم من البن وغيره،وربما اتخذوا منها العصي والهراوى الجيدة، وهي في صلابة أعواد العتم . وربما كانت أسماؤه تلك مأخوذة من شدة عوده وصلابته . وتُعلف الأغنام أوراقه في أزمنة المحل والجفاف .



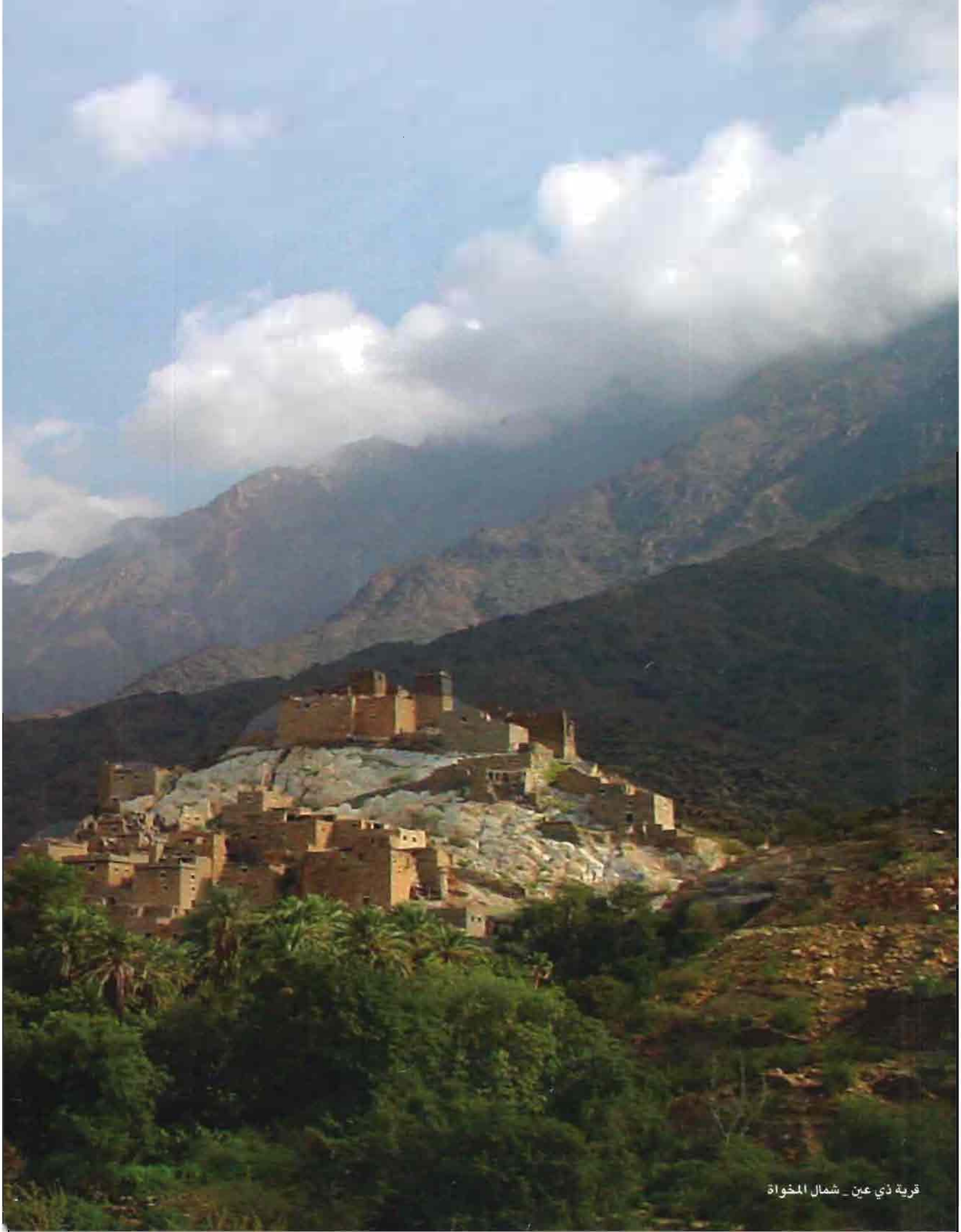
● الشدُّيد، اليبس _ *Maytenus undata*



(١) أسماء جبال تهامة ٤٠٨ . (٢) أسماء جبال تهامة ٤٠٣ .

(٣) النَّبات لأبي حنيفة ٥ / ٤٢. وينظر : معجم البلدان ٥ / ٣١٤، والعمدة ٤٥، وجامع ابن البيطار ١ / ١٨، والتكملة ٢ / ٤٣٦، واللسان ٢ / ٩٢، والقاموس ٤٧٥، والتاج ٣ / ٧٤ (ثرر) .

(٤) العترة شجيرة صغيرة شتوية ربيعية من الفصيلة العُشَرية (*Odontanthera radians*) تؤكل أوراقها وثمارها، ولا يثمرها النحل .



قرية ذي عين _ شمال المخواة



الأَرَاك



الأراك على ضفاف وادي عليب

قال أبو حنيفة : ((الواحدة منه أَرَاكة، وبها سميت المرأة أَرَاكة، وهي أفضل ما استيك بفرعه وبعرقه من الشجر، وأطيب ما رعته الماشية رائحةَ لَبَن ... قال أبو زياد : منه تتخذ هذه المساويك؛ من الفروع والعروق، وأجوده عند الناس العروق، وقد أبى ذلك الفرزدق، حيث يقول :

إذا استيقَظَتْ حَدْراءُ من نَوْمَة الضُّحَى دَعَتْ وهي في بُرْدٍ رقيق ومُطْرَفِ
بأخْضَــرَ من نَعْمـــان ثم جَـلَتْ بـه عذابَ الثَّنَـايا طَيِّبَ المُتَرَشَفِ

ومَن اختار فروع الأراك على العروق كثيرٌ، قال أبو النَّجْم ووصفَ امرأة :

تَجْـلُو بغُصـنٍ جاء من نَعْمــانِ عن بَـــرَدٍ أو نَوْرِ أُقْحُـــوانِ

... قال أبو زياد : وقد تكون الأراكة دوحة واسعة محلالا، والمحلال التي يحل الناس تحتها لسعتها . قال وللأراك ثلاث ثمرات، فمنهن المَرْد والكَبَاث والبَرِيْر، فأما الكَبَاث فضخام يكاد يشبه التين، وأما المَرْد فأشد رطوبة ولينا، وهو على لون الكباث، وأما البرير فكأنه الخَرَز الصغار، إلا أن لونَ ثمره واحد . قال : وكل هذا يأكله الناس والإبل والغنم، وفيه حراوة على اللسان ... ويُباع ببعض البلدان كما يُباع العنب ... قال: ومنابت الأراك بطون الأودية، وما اجتمع منه في مكان يسمى عِيْصا، وقال أيضا: الأَيْكَة جماعة الأراك ... قال : وربما نبت بعض الأراك في الجبل، وذلك قليل ... وأنشد في منابته من الجبال في وصف إبل :

تَبَدَّلَتْ بعدَ الأراكِ والنَّشَم أوديةَ الطَّلْحِ وسُلاَّنَ السَّلَمْ

ومنبت النَّشَم أيضا الجبال ... وقال أبو عمرو: يقال للإبل التي تأكل الأراك أَرَاكيَّة وأَوَارك ... ومنه الحديث: أن النبي صلى الله عليه وسلم أُتي وهو بعرفة بلَبَن إبل أَوَارك . وعَرَفة من معادن الأراك، منها نَعْمان، وهو وادي عَرَفَة، ونَعْمَان أَرِكَة ... وإذا كانت الأرض كثيرة الأراك قيل: أرض أَرِكَة ... وقال أبو نصر: ثمر الأراك البَرِيْر، والواحدة بَرِيْرة، فالغضّ منه الكَبَاث، والمُدْرِك المَرْد)) (١) .

الأَرَاك

Salvadora persica

SALVADORACEAE - الفصيلة الأراكيَّة



عنقود غض مزهر

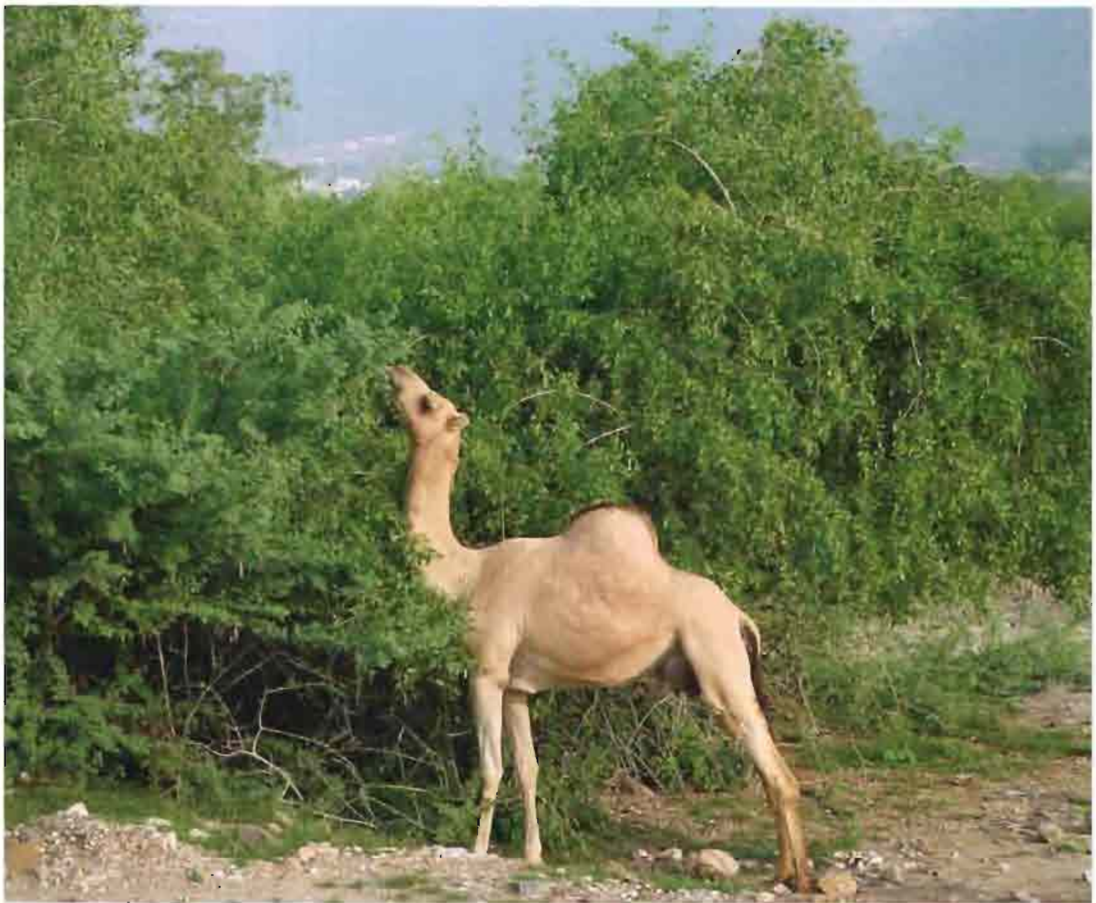
قلت: الأَرَاك، والمفرد أَرَاكة، شجرة مشتهرة، جميلة المنظر، دائمة الخضرة، واسعة الانتشار في الأغوار الدافئة الرطبة من تهائم جبال السَّراة والحجاز، تنبت في مجموعات كثيفة متشابكة، فيكون منها غابات أو أدغال يصعب الولوج من خلالها. وأكثر منابتها ضفاف الأودية الواسعة المفضية إلى البحر، أو ضفاف الأودية القريبة من سِيْف البحر متوسدة متون الرمال . ورأيت وادي عُلْيَب في تهامة زهران من أكبر الأودية التهامية التي تُنبت هذه الشجرة . وقد تعلو في الجبال فتنبت جماعات وأشتاتا حتى ارتفاع ١٢٠٠م . ورأيتها في السفوح الشرقية على علو ١٥٠٠م، على ضفاف وادي بُوَا وأعلى وادي تربة بين ديار بالحارث والزُّهْران من غامد . ولم أشاهد هذه الشجرة في وادي نَعْمَان، وهو واد كبير قرب عرفة، كان يُنبت الأراك، كما ذكر المتقدمون، ويقال له أيضا : نَعْمَان الأراك. وقد حدثني رجل من هذيل أن الأراك كان إلى عهد قريب ينبت بأعداد طيبة على ضفاف ذلك الوادي، ولاسيما أسفل عُرَنة حيث يلتقي الواديان. ولم أشاهده كذلك فيما حوله من الأودية، كوادي ضَيْم ومَلْكَان ودُفَاق، وهي من منابت الأراك أيضاً، ولعل انقراضه من تلك الأوديَة القريبة من مكة بسبب إفراط الناس في قطع فروعه واقتلاع جذوره؛ وبيعها مساويك للحجاج والمعتمرين خاصة .

الأراك على ضفاف وادي الأحسبة





تباعد منابت الأراك بأسافل (دلتا) وادي عليب



ترتفع الأراكة نحو ٢ – ٥م على جذع قليل الصلابة، خشن الملمس، أغبر اللون، يميل إلى الصفرة قليلا، فروعها كثيرة، والفروع الحديثة تظهر بلون أخضر مغبر، تنمو منتصبة فمتدلية، والأوراق كثيفة ثخينة مستطيلة، رمحية إلى شبه بيضاوية، وهي متقابلة متدلية إلى الأسفل في الغالب، تظهر بلون أخضر يميل إلى الصفرة قليلا، ثم خضراء فاتحة، فإذا تقادم عليها الزمن علاها غبرة يسيرة . تزهر في الربيع، وأزهارها عنقودية صغيرة الحجم، لونها أصفر يميل إلى الخضرة قليلا، لها رائحة عطرية خفيفة، ويتلوها ثمار عنبية على هيئة عناقيد الضرو وحجمها، حباتها في حجم الحمصة الصغيرة أو دون ذلك قليلا، تظهر خضراء حريفة الطعم، ثم بيضاء إلى وردية شبه شفافة، حلاوتها يسيرة، تنضج في الصيف، وإذا تم نضجها احمرت حمرة قاتمة تميل إلى السواد، وحينئذ تزداد حلاوتها مع ملوحة وحَرْوَة يسيرة لاذعة. ولها في داخلها عَجَمَة

ناقة (راكية) ترعى الأراك والعرفط قرب بارق >



أراك الجبال على الضفاف الصخرية لوادي الخيطان

صغيرة صلبة مدوَّرة .

والأراكة شجرة طيبة مباركة، تجود بظلها وأوراقها وأزهارها وثمارها وجذورها . فأما ظلها فكثيف وارف لا خصاص فيه، وهو من أفضل الظلال وأبردها؛ بارد في الصيف دافئ في الشتاء. وربما ظهر تحت أغصانها، إذا اجتمعت، أكواخ كهيئة الكهوف الغائرة المظلمة، يغيب فيها الجماعة من الناس، وتأوي إلى أدغالها أنواع من السباع كالذئاب والضباع والنمور، وتبني الطيور أعشاشها بين أغصانها الكثيفة. وتألفها الأفاعي والثعابين السامة، فلا يقترب الناس منها، إلا وهم على حذر؛ ينظرون حيث يضعون أيديهم وأقدامهم . وأما الأوراق فهي من أطيب ما رعته الأنعام، ولاسيما الإبل والغنم، فإنها تسمن عليها وتصح، ويغزر لبنها ويطيب طعمه ورائحته، كما قال أبو حنيفة :

((أطيب ما رعته الماشية رائحةَ لبَن)). أو كما قالت العرب: ((لبَن الإبل عن المُرار مرّ، وعن الأراك طيِّبٌ حُرّ)) (٢). وجاء في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((إن خير الماء الشِّبم، وخير المال الغَنَم، وخير المرعى الأراك والسَّلَم، إذا أخلف كان لَجينا، وإذا سقط كان دَرينا، وإذا أكل كان لبَينا)) (٣) . وما زال بعض أهل تهامة من بني عمر وخثعم يسمون الإبل التي تكثر من رعي الأراك (راكيَّة) بحذف الهمزة . وفي حَفَار شمال المظيلف يحامي الناس هنالك بشدة عن شجرة الأراك، ويمنعون قطعها، لأنها تبقى خضراء يانعة، في أزمنة الجدب والجفاف، وحيئنذ تكون هي الغذاء الوحيد لإبلهم .

وفي أنحاء كثيرة من جنوب الجزيرة العربية يعالجون بأوراقها جرب الإبل، فتُجمع مع الأغصان الصغيرة، وتجفف، ثم تحرق حتى إذا أصبحت رمادًا، أضافوا إليه الماء أو السمن، فتطلى به الإبل المصابة، وقبل ذلك يُشد وثاقها، لأنها تجد من هذا العلاج ألما بارحا وحرقة شديدة، لكنها تبرأ بعده وتصح .

وأخبرني أحد أرباب النحل أن لزهر الأراك عسلا أصفر يَسْوَدُّ مع التقادم، طعمه حار، وليس له حلاوة، وهو قليل نادر غير مشتهر.

وأما الثمار فالناس يأكلونها، وهي طيبة الطعم والرائحة، تعطر الفم وتنقيه. وطعمها حلو حرِّيف، كما رواه أبو حنيفة، يشبه طعم بذور الثُّفَّاء (حب الرشاد). وتؤكل ترياقا لسموم الثعابين، وعلاجا لأمراض المفاصل المؤلمة. ويأكلها كذلك أنواع من الطيور، وأخصها البلبل العربي (القُرَع، النُّغْري) فإنه مولع بها جداً، فتراه لا يفارق الأراكة ما دامت مثمرة . وما زال كثير من الناس في تهائم السراة واليمن يسمون ثمر الأراك الناضج الكبَاث . وفي تهامة زهران يجمعون الناضج من ثمر الأراك يأكلونه ويتهادونه، ويعدونه من الفواكه الطيبة المحببة. وأخبرني رجل من أهل وادي عُلْيَب، وهو من أشهر منابت الأراك في تهامة زهران، ومثلة







ثمر الأراك من ابتداء نموه حتى النضج

وادي دوقة الأحلاف، أخبرني بأنهم كانوا، في أزمنة الجوع الخالية، يأكلون ثمر الأراك، حيث لا يجدون طعامًا غيره . وفي موسمه يرددون مقولة صارت كالمثل، وهي قولهم: ((شهرين في السِّدرة وشهرين في الراك . وفرج الله قريب)) . أي يكون لهم من ثمر السدر وثمر الأراك ما يمسك رمقهم لمدة أربعة أشهر. وبعدها ينتظرون الفرج من الله . قال: وكانوا يستخلصون من ثمره الناضج عصارة تُطبخ على النار جيدًا، ثم تترك حتى تبرد، ثم تخزن في العكاك أو الأنحاء (جمع عُكَّة ونِحْي) فإذا أرادوا صنع الفَتَّة من الدُّخْن أو الذُّرَة أو نحوهما أضافوا إليها شيئا من تلك العصارة بعد تسخينها، ويسمونها (الهَجِيْج) . وهي تضفي على الطعام رائحة طيبة، ومذاقا لذيذا. قال: وكانوا يأكلون الكباث لتنظيف البطن وتطهيره ؛ وقد يحصل لآكله إسهال خفيف، يعقبه صحة ونشاط مفعم بالعافية .

وسيقان الأراكة تُتخذ وقودا، وأما جذورها فمنها يُتخذ السُّواك، وهو سبب شهرتها، ويُتخذ، عادة، من الجذور الصغيرة التي لم يمض على نموها عام أو عامان؛ لأنها بعد ذلك تضخم وتتخشب. وربما اتخذ من أفرعها الصغيرة الطرية، إلا أنها أقل جودة وشهرة من العروق . وأفضل المساويك ما كان في التربة الرملية بعيدا عن المياه الجارية، فإنه يكون حارا، طيب النكهة، وأما ما نبت حول المياه أو في التربة الطينية فإنه، في الغالب، أقل جودة من سابقه .

تؤخذ الجذور فتقطع إلى أجزاء صغيرة بطول ١٥ سم تقريبا، ثم ينزع اللحاء من أحد طرفي المسواك بطول ١سم، ويمضغ فتظهر الألياف التي تستعمل فرشاة لتنظيف الأسنان والفم واللثة، ولها رائحة طيبة، وطعم حار مميز .

وفي القرآن الكريم فُسرَّ (الخَمْط) بالأراك في قوله تعالى عن أهل سبأ: ﴿ وبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِم جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى أُكُلٍ خَمْطٍ وأَثْلٍ وَشَيءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيْلٍ ﴾ (٤).

وفي السُّنَّة النبوية الشريفة أحاديث كثيرة تحث وترغب في التسوك بعود الأراك. من ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه، قال: قال صلى الله عليه وسلم: ((الأسوكة ثلاثة: أراك، فإن لم يكن فعُتُم، أو بُطْم)) (٥).

وقوله صلى الله عليه وسلم : ((لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسِّوَاك مع كل صلاة)) (٦) .

وجاء الحث أيضًا على أكل الناضج من ثمار الأراك، وذلك فيما رواه جابر ابن عبد الله رضي الله عنه، قال : ((كنا مع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، نجني الكَبَاث، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : عليكم بالأسود منه فإنه أطيب)) (٧) .

وقد أثبتت الدراسات العلمية المعاصرة أن مسواك الأراك يتفوق على جميع وسائل تنظيف الأسنان الأخرى المعروفة عالميا، فقد ثبت أن المواد الفعالة التي تحتويها جذور الأراك، تشد اللثة وتقويها، وتمنع من تقرحها، وتعطي الأسنان مناعة طبيعية ضد التسوس والنخر؛ وذلك بالقضاء على الطفيليات والبكتيريا المسببة لهما . وأن هذه المواد لها قدرة عجيبة على حماية أسطح الأسنان من التأثيرات الحامضية، فتبقى قوية ناصعة البياض؛ وأنها تحتوي مواد عطرية ومطهرة ومضادات حيوية قوية مقاومة للعفونة والجراثيم المسببة لعدد من الأمراض في الفم والحلق والجهاز الهضمي والتنفسي .

وليس هذا فحسب بل ينشط السواك حركة المعدة والأمعاء، ويفتح الشهية، ويكبح نمو الخلايا السرطانية. كما أنه يعد خير وسيلة للإقلاع عن العادات السيئة، كالتدخين وما أشبهه (٨) .

والأراك هو (الـرّاك) بحذف الهمزة في معظم تهائم السّراة، من تهامة هذيل إلى تهامة عسير. وكذلك ينطقه بنو سليم من أهل جبل شمنصير . وسمعته من رجل من بني وائلة على الحدود السعودية اليمنية . وفي جبال حوّاص غرب تعز ينطقون (الأرْك) بضم الأول وحذف الألف. وفي الجبال شرق منطقة جازان، ووادي حَرَض يسمونه (الرَّديف)، والجمع (الـرُّدُف) لعلهم أخـذوه من طريقه نمـوه؛ إذ ينمو متجاورًا مترادف الأغصان . وفي جبال الريث يسمونه (الربُض) ومجاميعه (الأرباض) وهو استعمال عربي فصيح (٩) . وفي جبال ظفار يسمون الأراك (أهْرِيْك) وفي جزيرة سقطرى يسمونه (إيَـهْـرك) وآخرون (إريْهك) فهما ، كما يظهر، على القلب والإبدال من الأراك، أو أنَ أحدها هو الأصل القديم الذي كان مستعملا في اللغات اليعربية القديمة، ومنها المهرية التي ما زال يتكلم بها إلى اليوم أهل الجبال في ظفار، وأهل جزيرة سُقطرى .

وفي جبال ظفار، أيضًا، شاهدت نوعا من فصيلة الأراكيات (*Azima tetracantha*) هو النوع الثالث المعروف من هذه الفصيلة في الجزيرة العربية بعد الأراك والضبر . يسميه أهل تلك الجبال (ضِيْشي) وهو شجيرة صغيرة كثيفة الأشواك، لا يزيد ارتفاعها، في الغالب، على ١٢٠سم. أوراقها خضراء مصفرة، ثخينة، صغيرة الحجم مقارنة بأوراق الأراك، تنتهي بأطراف حادة. وأزهارها خضراء مصفرة كأزهار الأراك، تظهر على هيئة عناقيد صغيرة، ولها ثمار في حجم ثمار الأراك أيضاً، شبه صلبة، تظهر خضراء وتدوم على هذا الحال طويلا، ثم تبيض عند النضج، ولها طعم حاد حريف يشبه طعم ثمار الأراك ، وتحتوي الثمرة على بذرة واحدة أو بذرتين.



فروع علوية غضة تحمل أزهارا وثمارا كثيفة



● النوع الثاني: ضِيْشي _ *Azima tetracantha*

(١) النَّبات ٥ / ٢ _ ٧ ، ٣ / ١٣، ١٦، ١٤، ١٧، ٢٢٥. وينظر : ديوان علقمة الفحل ٨٤، والنابغة الذبياني ١٣١، والأعشى ٢٥٩، ٣٢٥، وأمية بن أبي الصلت ٢٨٨، والنابغة الجعدي ٣٢، وجران العود ١٠٤، وعمر بن أبي ربيعة ٤٣٧، ٤٨٩، والفرزدق ٣٨٣، وأسماء جبال تهامة ٤٠٤، ٤١٢، ٤١٣، والشجر والكلأ ١٢٧، والنَّبات للأصمعي ٣٣، والغريب المصنف ١ / ٤٢٨، والاشتقاق ٣٠٢، ٥١٧، والمنتخب ٢ / ٤٦١، وكفاية المتحفظ ١٩٧، وشرحها ٤٩٣، ونظام الغريب ٢١٠، والتعليقات والنوادر ٣ / ١١٩٢، والمخصص ١١ / ١٨٦، والنهاية ١ / ٤٠، والعمدة ١ / ٤٩، ٣٦٥، وجامع ابن البيطار ١ / ٢٨، والعين ٥ / ٤٠٤، واللسان ١ / ١٢٢، والقاموس ١٢٠٢، والتاج ٧ / ٩٩ (أرك) .

(٢) صبح الأعشى ١٤ / ١٩٠ .

(٣) غريب الحديث لابن قتيبة ١ / ٥٤٢، قال في تفسيره : الشبم . الماء البارد، واللجين: ورقها المخبوط، والدرين : ورقها الجاف بعد أن يسقط، واللبين: المدر للبن المكثر له . وينظر : الفائق ١ / ٤٣٢، والنهاية ٤ / ٢٤٩ .

(٤) سبأ، الآية / ١٦. وينظر: العين (خمط) ٤ / ٢٢٧، والجامع لأحكام القرآن ١٤ / ١٨٣ .

(٥) النهاية ٣ / ١٨١ . والبطم : كما سيأتي، نوع من فصيلة البطميات شديد الشبه بالضرو .

(٦) البخاري (الجمعة _ ٨٣٨، ٨٣٩) . ومسلم (الطهارة _ ٣٧٠) ولفظه ((عند كل صلاة)) والترمذي (الطهارة _ ٢٢، ٢٣) وأحمد (٢٣٩٠٩) .

(٧) البخاري (أحاديث الأنبياء – ٣١٥٤، والأطعمة – ٥٠٣٣) ومسلم (الأشربة _ ٣٨٢٢) وأحمد (١٣٩٧٣) .

(٨) ينظر : السواك والإعجاز العلمي في السنة النبوية . القافلة، ص ٢٠ – ٢٣، جمادى الأولى، ١٤١٨ هـ .

(٩) ينظر: الشجر والكلأ ١٢٧، ١٢٨، والنَّبات لأبي حنيفة ٥ / ١٩٩، وصفة جزيرة العرب ٣٢٧، والمخصص ١١ / ١٦٤ .





الرعي بين رياض الأراك قرب الشاقة _ شتاء ١٤٢٥هـ

الأُقْحُوان



قال أبو حنيفة : ((الأُقْحُوان ، والواحدة أُقْحُوانة، والجميع الأقاحيّ، بالتشديد، والأقاحي، بالتخفيف ... وقال الفراء : إذا ألحقوا الألف واللام قالوا: الأقْحُوان والقُحْوان ... وسألت أعرابيا عن الأقْحُوان، فقال: هو بابونجكم هذا الذي يسميه أهل الجبل (البَنِيرَك) . وقال أبو نصر: هو أيضاً البابُونَك . وقال أبو عمرو: الأُقْحُوان من الذكور . وينبت الأُقْحُوان في الغلظ واللين ... وقال أبو عمرو: من العشب الأُقْحُوان، وهو طيب الريح على كل حال؛ ورقه وزهره، وله زهرة بيضاء صافية البياض، ويضخم حتى يكون كأنه اللِّمَم الصغار ... وورق الأقحوان فَتَل غير منبسط كورق الشِّيْح)) (١).

الأقْحُوان
Anthemis yemenensis

COMPOSITAE - الفصيلة المركَّبة




قلت: الأقْحُوان، بضم الأول، عشبة زهرية جميلة، أكثر الشعراء على مر العصور من تشبيه ثغور الحسان بها . وهي أنواع تنبت على قمم السَّراة الباردة، وكذلك في سهولها الشرقية، على ارتفاع ٧٠٠ – ٣٢٠٠م . ولم أشاهدها قطُّ في سهول تهامة الغربية .

ومن أشهر أنواعه في جبال السَّراة أقحوان المرتفعات (*A. yemenensis*) وهو نبات معمر جميل، يرتفع نحو ١٠ – ٢٠سم. ومنابته القمم العالية الباردة وما حولها، ويفترش الأرض، فيظهر على هيئة وسادة أو كهيئة اللمة من الشعر، كما ذكر أبو حنيفة. سيقانه كثيفة، وأوراقه ريشية هدبية، شديدة الخضرة أو خضراء مغبرة، تخرج أزهاره على رؤوس السيقان، وتتكون من نحو ١٠ – ١٢ بتلة بيضاء اللون، مسننة الأطراف، تحيط برأس أصفر اللون شبه مخروطي، وهذه البتلات، خاصة،







• أقحوان الأراضي الزراعية _ A. pseudocotula



هي التي تشبه الأسنان الجميلة الناصعة البياض. وهي تتساقط بعد نحو ٥ – ٧ أيام من تفتح الزهرة، ويبقى الرأس الأصفر أياما أخرى حتى تنضج البذور داخلة . يزهر في الربيع ، وربما استمرت أزهاره في المرتفعات العالية جداً إلى فصل الخريف. ولها رائحة عطرية خفيفة . شاهدت هذا النوع جنوب النماص قريبا من الشفا على ارتفاع ٢٣٠٠م، وفي مرتفات السودة على ارتفاع ٢٧٠٠م، وبالقرب من قمة جبل النبي شعيب غرب صنعاء على ارتفاع ٣٤٠٠م .

ومنها أقحوان الأراضي الزراعية المهجورة (*A. pseudocotula*) وهو نبات حولي يظهر في فصل الشتاء، ويزهر أوائل فصل الربيع، وهو يفترش الأرض أو يرتفع نحو ١٥سم على سيقان قليلة متفرقة. أوراقه هدبية خضراء تميل إلى الصفرة قليلا. يشبه في نظامه الزهري النوع السابق . وأكثر منابته الحقول الزرعية التي تركت زراعتها، وربما









● الأقحوان الحجازي _ *A.zoharyana*

نبت في السفوح والأسناد. شاهدت هذا النوع في أشفية سراة بني عمر، وسفوح جبل البلس من ديار آل ثعلب من خثعم على ارتفاع ١٧٠٠ – ٢١٠٠م .

ومنها الأقحوان الحجازي (*A.zoharyana*) وهذا النوع واسع الانتشار، شاهدته في الهضبة وما حولها من جبال الفقرة غرب المدينة المنورة، على ارتفاع ٩٠٠ – ١٣٠٠م . وشاهدته بأعداد كبيرة جداً فوق الكثبان الرمليه المنحته من الصخور الرسوبية في مدائن صالح، وهضبة حسمى غرب تبوك . يرتفع نحو ١٠ – ١٥ سم، وينبت متجاورا في مجموعات كبيرة، وهو نبات حولي، يظهر بعد سقوط أمطار الشتاء، ويذبل، في الغالب، قبل دخول فصل الربيع .

وينطق الأقحوان في معظم جبال السَّراة بلفظ (القِحْويان) أو (القُحْوَان) والأخير استعمال عربي قديم جاء في شعر عمرو بن معدي كرب الزُّبيديّ، وهو من سراة مَذْحِج، المعروفة اليوم بسراة قطحان، حيث يقول:



• القُراف _ *Felicia abyssinica*



دارٌ لعَمْرةَ إذ تُريكَ مفلَّجاً   عَذْبَ المذاقة واضحَ الألوان
خَصِراً يُشَبَّهُ بَرْدُهُ وبياضُهُ   بالثَّلج أو بمَنَوَّرِ القُحْوَانِ (٢)

وكذلك يسمى في بعض ديار جهينة، وينطقونه (القِحْوان) بكسر الأول. وربما نطقوه (القَيْحُوان) بزيادة الياء مع فتح الأول وضم الثالث. وسمعت بعض حرب من عالية نجد شرق المدينة يسميه (القِحْويان) كما يسمى في عسير، ولكنهم يخرجون القاف بصوت يشبه صوت الزاي. وسمعت أهل جبال مدين يسمونه (الرُّبَيَّان) ، ورأيت دليلي من أهل تلك الجبال يبادر إلى جمعه حيث وجده، وذكر أنهم يشربون مغلي أزهاره لعلاج أمراض البطن والبرد، ودفع الغثيان . وفي سراة بني عمر سمعت من يسميه أيضاً (القُرَاف)؛ لأنهم يقترفونه من الأرض، أي يقتلعونه مع العروق، أو يحتشونه من أصوله، ويقدمونه علفاً للأبقار والأغنام ، ولا أعلم أنهم يستعملونه في شيء غير هذا. ويطلقون القُرَاف أيضاً على نوع آخر من هذه الفصيلة (*Felicia abyssinica*) وهو نوع معمر واسع الانتشار في جبال السراة، يشبه الأقحوان، وينبت إلى جواره في المرتفعات الباردة، أزهاره نضرة جذابة، يميزها لونها الأرجواني الجميل .





• القُرَّاص _ *Tripleurospermum auriculatum*

وسمعت بعض آل ثعلب من سراة خثعم يطلقون القُحْوان أيضاً على الخُلَّة، أحد أنواع الفصيلة الخيمية (*Ammi majus*) وهي التي تسمى (السَّعْيَة) في سراة بني عمر .

وذكر أبو عبيد وغيره من أهل اللغة (٣) أنه يقال للأقحوان: القُرَّاص، وذكر أبو زيد أن القُرَّاص غير الأقحوان، إلا أنه يشبهه، فقال : ((والقُرَّاص : عشبة مقَرَّصة لها نورة صفراء، وثمرتها في نورتها، وهي نحو الأقحوان، خابئة الخضرة، وصفراء النورة، ومنبتها المجاري والغلظ)) (٤) .

والصحيح ما قاله أبو زيد فالقراص نوع آخر من الفصيلة المركبة (*Tripleurospermum auriculatum*) يشبه الأقحوان، ومن هنا وقع الخلط بين النوعين، ولم أشاهد هذا النَّبات في جبال السَّراة، بل في جبال الحجاز حول المدينة المنورة، وشاهدته بوفرة على ضفاف أودية جبال آرة جنوب غرب المدينة المنورة، وجبال البيضاء، شمالها ، وهي جبال جرانيتية متشابهة، ذات تكوين جيولوجي قديم جدًا . وأهل هذه الجبال يسمونه القُرَّاص وبعضهم القُرَيْص، ورقه نحو من أوراق الأقحوان، لكنه غض ممتلئ بالماء، وخضرته قاتمة. وهو كما وصف أبو زيد ذو طعم حار لاذع يقرص اللسان والشفتين، وهذه الصفة تميزه بسهولة عن الأقحوان، ومنها أخذ اسمه . ونَوْرته صفراء مدورة، تشبه نَوْر العَرْفَج (الجَثْجَاث) ليس لها بتلات بيضاء تحيط بها كالأقحوان، ونَوْره بهذه الصفة يميزه بسهولة أكثر عن الأقحوان . وهو يؤكل في ديار بني كلب من جهينة طازجا مع الخبز وسائر الطعام كما يؤكل الجرجير، ويضاف مجففا إلى الإقط والسمن، فيضفي عليهما طعما حريفا ونكهة طيبة . ترعاه المواشي وتعافه الإبل .

(١) النَّبات ٥ / ٢٩، ٣ / ٢٠٣ . وينظر : المفضليات ٩٠، ٣٣٩، وشرح أشعار الهذليين ٣ / ١٠٣٥، ١٢٥٣، وديوان النابغة ٩٥، وذي الرمة ٢ / ٧٥٦، والكشف والتنبيه على الوصف والتشبيه ٢٩٩، والنَّبات للأصمعي ١٤، وأدب الكاتب٩٩، والمخصص ١١ / ١٥٦، والتهذيب ٥ / ١٢٥، وشمس العلوم ٨ / ٥٣٨٤، واللسان ١١ / ٤٩، والقاموس ١٧٠٥، والتاج ١٠ / ٢٨٨ (قحو) .

(٢) ديوانه ١٧٠. وينظر : النَّبات لأبي حنيفة ٥ / ٣٠

(٣) الغريب المصنف ١ / ٤٢٠، والمنتخب ٢ / ٤٦٥، والجمهرة ٢ / ٧٤٢، ٣ / ١٢٣٢، وتهذيب اللغة ٨ / ٣٦٧، والصحاح٣ / ١٠٥٠، واللسان ١١ / ١١٠، والقاموس ٨٠٨ (قرص) .

(٤) الشجر والكلأ ١٠٥ __ ١٠٦ .

جبل صَبِر إلى الشمال الغربي من تعز





الألاء



تباين وصف القدماء للألاءة، فأبو حنيفة يصفها عن أبي زياد بأنها شجرة تعظم وتطول، وأنها حسنة المنظر، مرة الطعم، طيبة الريح، دائمة الخضرة صيفا وشتاء، أوراقها هدب، وحملها يؤكل ما دام رطباً، فإذا عسا امتنع ودُبغ به، والواحدة ألاءة، وربما قصر (١) . ووصفها أبو رياش القيسي بأنها ((شجرة تأويها الثيران؛ لبرد ظلها في الصيف، ولتوقي المطر في الشتاء)) (٢) . وعدها أبو زيد مع الشجيرات الصغيرة، وشبهها بالآس وذكر أن لها ثمرا يشبه سنبل الذرة، وأن منابتها الرمل وبطون الأودية (٣) . وذكر أبو الحسن الهنائي وغيره أنها الدِّفْلى، وأنها طيبة الريح (٤) .

الألاء
Acacia albida

الفصيلة السِّنْفيَّة - LEGUMINOSAE



قلت: الألاءة في السَّراة لفظ ما زال يُطلق على شجرة شوكية ظليلة ضخمة من جنس الطلحيَّات، وأحد أنواع الفصيلة السنفية. وهي نادرة قليلة الانتشار، تنبت في مجموعات، وقد رأيت منها أعدادًا متجاورات نابتة على ارتفاع ١٥٠٠م في سفح شديد الانحدار، في الصدر الأعلى من عقبة الأبناء جنوب بلجرشي، وأخرى في السَّكْران من أودية جبال بالشهم جنوب بلجرشي أيضًا، على ارتفاع ١٨٠٠م .

ترتفع هذه الشجرة نحو ٥ — ١٠ م على جذع أغبر أملس في الشجرة الفتية، يميل إلى السواد والخشونة في الشجرة العتيقة. وأغصانها الحديثة بيضاء مخضرة، يكسوها أشواك قصيرة حادة الأطراف، تقل كثافتها كلما ارتفعت الشجرة حتى تختفي تماما أو تكاد من أغصانها العليا. وربما نبغ من جذورها بعض الأغصان التي تتحول أخيرا إلى شجرة كاملة مستقلة، وهذا يفسر لنا نموها في مجموعات متجاورة . والأوراق





ريشية مركبة تشبه أوراق اليَنْبُوْت أو العَاقُول (*Prosopis farcta*) تظهر أوراقها شتاء، شديدة الخضرة، وتصير مع التقادم إلى الأخضر المغبر، ثم تنحتّ أول الخريف . وأزهارها بيضاء مصفرة، تخرج في الربيع على هيئة سنابل ، يصل طولها إلى نحو ٧ سم، ولها رائحة طيبة، تشبه إلى حد ما رائحة أزهار الطلح. يقع عليها النحل وحشرات أخرى كثيرة. وثمارها سنفية مقوسة أو حلزونية الشكل، تظهر خضراء اللون، ثم صفراء بنية عند النضج ، عرضها نحو ١,٧ سم، وطولها نحو ٥ – ٧ سم .

وفي ديار بالشَّهْم وشَكْر وشرق خثعم، ومعظم بادية غامد تسمى (اللآل) بالمد أو (اللال) بهمزة مسهلة، وهو (الألال) في ديار بالحارث جنوب منطقة الطائف، أبدلوا اللام من الهمزة المتطرفة، وهو كإبدال همزة الضهياء نونا في كلام معظم أهل السراة . وتسمى في نواح من جنوب اليمن وجنوبه الشرقي (العُل) . ويظهر أنها محرفة عن الألاء ثم اللأل، ثم الأل؛ لسهولة تعاقب الهمزة والعين . وسألت عنها بعض رعاة النحل من تهامة خثعم، فسموها، وهم على يقين، الكَنَهْبَل، فربما اختلطت عليهم بشجرة الكنهبل المعروفة أحد نوعي الطلح في السرَّاة؛ لأن هذه الأنواع ليست من نبات أرضهم في تهامة، فيسهل الخلط بينها. وأخبرني غير واحد من نحَّالة شَكْر بأنهم يتخذون من جذوعها الخلايا الجيدة، وأن النحل يثمر نورها فلا ينتج منه العسل، ولكن يدخر منها الرَّدْم (حبوب اللقاح) وعليه تكثر فراخه. وأخبرني آخر أن له عسلا، ولكنه قليل غير مشهور .

وفي جنوب المملكة واليمن شاهدت شجيرة واسعة الانتشار، قريبة الشبه في نظامها الزهري والثمري من هذا النوع، إلا أنها لا تسمو سموه.









أزهارها جميلة لافتة للنظر، مجزعة باللونين الأصفر والبنفسجي، ورائحتها طيبة فواحة، يعقبها ثمار حلزونية الشكل . وسمعت أهل جبال فيفا يسمونها الحَجَوْجَم (*Dichrostachys cinerea*) على زنة الكَنَهْبَل، وفي تهامة عسير، وكثير من أقاليم اليمن يسمونها الحَوْجَم . وفي العدين من محافظة إب يطلقون الحَوْجَم على نوع آخر من هذه الفصيلة (*Pterolobium stellatum*) وهو شجيرة تنبت غياضًا. أعوادها وأوراقها شائكة، وهذه الأشواك كثيفة مَحجَّنة يصعب التخلص منها، ولهذا يتخذها المزارعون أسيجة منيعة حول حقولهم الزراعية. أزهارها تشبه أزهار الألاء ، لها رائحة عطرية جميلة، والنحل يجرسها، وحشرات أخرى كثيرة . وثمارها حمراء مجنَّحَة مسطحة الجانبين، وسمعت أهل جبل صبر يسمونها (زَرْب الكلب) أي شوك الكلب، أضافوه إلى الكلب تمييزا له عن العَبَال الذي يسمونه أيضا (الزَّرْب) . وسمعت أهل جبل مُنْجد يسمونها (المَثَافير) وأخبرني أحد رجال هذا الجبل أنها



● الحَجَوْجَم ـ *Dichrostachys cinerea*

من مراعي الإبل . ويسميها أهل جبل فيفا (العُشَّق) وآخرون (العَشَق) بالفتح والتخفيف، وأصله مأخوذ من شدة الالتصاق والتعلق، وقد قيل: إنه اسم شجرة، تخضر ثم تَدِق وتصفر، ومنه أُخذ العاشق (٥) . وفي سراة بني عمر يقولون (تَعَشْبَق به) إذا لازمه بشدة. وربما كان مقلوبا من (العَقْش) وهو، كما سيأتي ذِكْره وتعليله، تسمية العُلَّيْق عند أهل السَّراة.



ثمر الحَجَوْجَم >

● الحَوْجَم، العَشَق _ *Pterolobium stellatum*









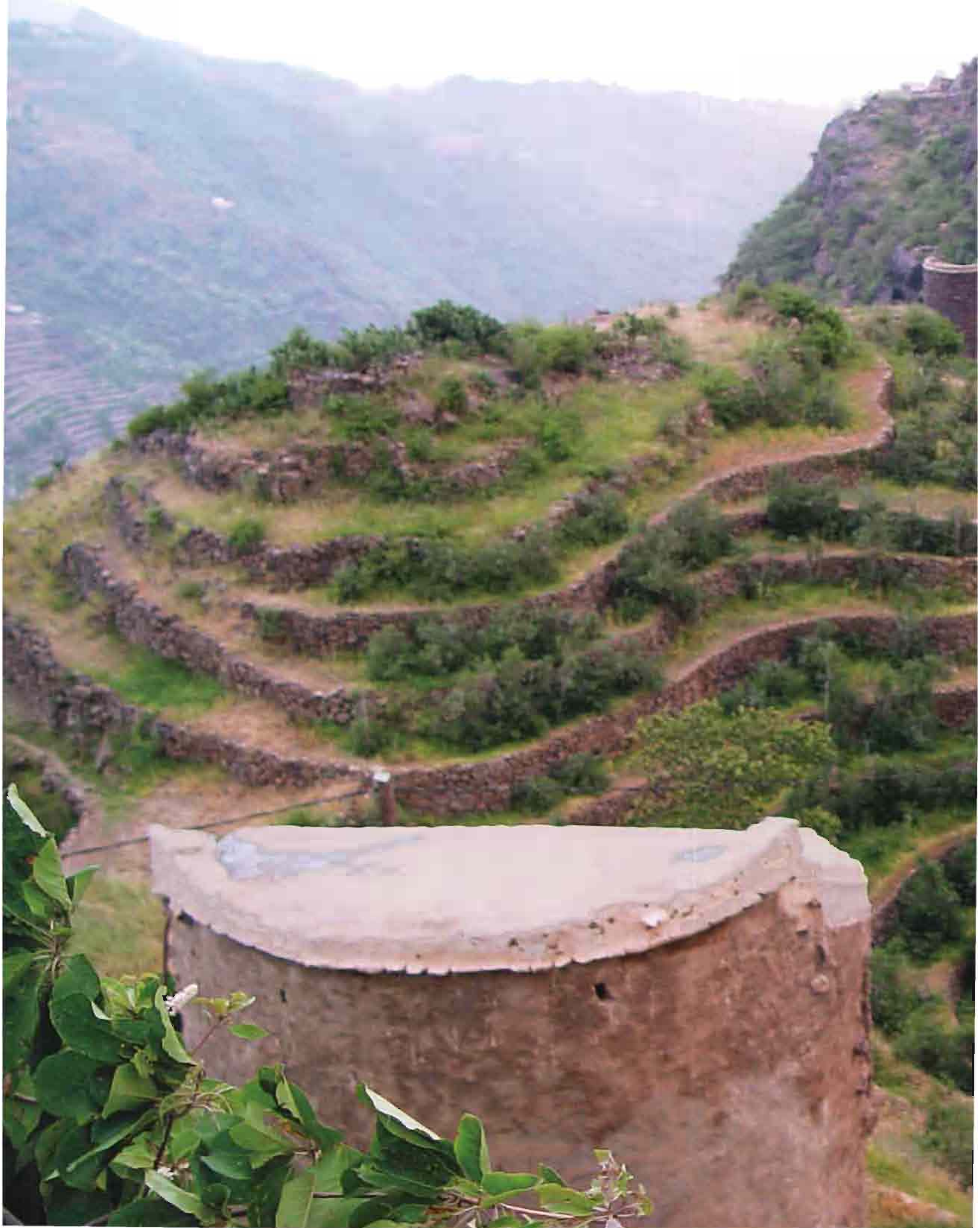
(١) النبات ٣ / ١٠٦، ١٠٧، ٥ / ٢٢ – ٢٣.   (٢) شرح هاشميات الكُميت ٩٤.   (٣) الشجر والكلأ ٨٦ .

(٤) المجرد ١ / ١٩٥. وينظر: النبات للأصمعي ٢١، والمخصص ١١ / ١٦٤، والمقصور والممدود لأبي علي ٣١٧، ومختارات ابن الشجري ٢٥٨، والتهذيب ١٥ / ٤٢٨، واللسان ١ / ١٧٧، والتاج ١ / ٤١ (ألأ) .

(٥) اللسان (عشق) ٩ / ٢٢٤.



نظام المدرجات الزراعية على قمم جبل فيفا



الإلْب



قال أبو حنيفة: ((أخبرني أعرابيّ أن الإلْب شجرة شاكّة، كأنها شجر الأُتْرُجّ، ومنابتها ذُرى الجبال، وهي قليلة جداً، لا يقوم مقامها شيء من الضَّجَاج، قال : ويُسمَّى كل شجرة تُقْشَب بها السباع، أي تُسَم، الضَّجَاج، قال: وهي أجناس كثيرة، وأخبثها الإلب، يؤخذ خَضْبها وأطراف أفنانها فيدق رطباً، ويُقشب به اللحم، ويُطرح للسّباع كلِّها، فلا يُلبثها إذا أكلته، فإن هي شمته ولم تأكله عميت عنه وصُمَّت. قال : وأخبث الإلب إلب خَفَرْضَض، جبل من السَّراة في شق تهامة. وأنشدني لرجل توعد ذئباً بالتضجيج من إلْب خَفَرْضَض:

فما راعني إلا زُهاءُ مُعَانقي … فأيُّ عَنِيق باتَ لي لا أُباليا
ففي ذمَّتي إنْ لم أزُرْهُ بخَلَّة … يظلّ لها منَ سَكْرة الموت لاهيا
تخيرّتُها من فَرْع حَجْناء شاكةٍ … تهاميّة تعلو مسيلا يمانيا

والمُضَجّج والمثمّل كل مسموم، والمُقَشّب المسمُوم بالقِشْب، وهو عشبة، وسنذكرها في بابها، إن شاء الله، ثم قيل لكل مسموم: مقشّب)) (١) .

الإلْب

Capparis tomentosa

CAPPARACEAE - الفصيلة الكَبَرِيَّة



قلت: وصف أبي حنيفة للإلْب ينطبق على شجيرة سامة من الفصيلة الكبرية تسمى الضَّجَاج في جبال عسير، وكذلك تُسمى في أغوار زهران وجبل شدا الأعلى، وأهله بطون من غامد وزهران، والضَّجَّاج عند هؤلاء اسم عين لهذه الشجيرة نفسها، لا اسم جنس كما ورد في كلام الأعرابي، أو قول أبي حنيفة في موضع آخر : ((والضَّجَاج بالفتح كل شجرة تُسم بها السباع، مثل الخِرْوَع والقشْب والإلْب)) (٢) .

وهي شجيرة نادرة من نبات الأصدار، ومنابتها السفوح الصخرية القريبة من شطوط الأودية، على ارتفاع ٧٠٠ – ١٣٠٠م .

تقوم على سيقان متعددة خوّارة بطول ٢ – ٣ م، ولها فروع كثيرة شائكة متشابكة، تتوسد عادة ما حولها من الصخور، فتبدو للناظر من بعيد وكأنها شجرة أراك. أوراقها ناعمة ثخينة، وأشواكها حجناء يصعب التخلص منها. أزهارها بيضاء شعاعية كأزهار اللَّصَف، غير أنها أصغر حجما، وأخف عطراً . تزهر في الربيع، وتنضج ثمارها في نهاية الصيف. وهي، كما روى أبو حنيفة، شبيهة بالأترجة، ولاسيما أوراقها



وثمارها، وتظهر الثمار بلون أخضر مغبر، وعند النضج تتحول إلى اللون البرتقالي المصفر، على هيئة برتقالة صغيرة الحجم .

ولم أعلم أن أحدا من أهل السَّراة يستعملها اليوم لقتل السباع، كما كان يفعل أسلافهم من قبل. وربما رعتها الأنعام فهلكت، وبخاصة الجمال، إذا أكلت القليل منها قضت في الحال، وأصحاب الإبل يبحثون عنها في منابتها فيتخلصون منها بالحرق أو القطع؛ ولذلك قل أن تُرى إلا في المنابت الوعرة التي يعسر على الإبل أن تصل إليها.

وهي شجيرة نادرة بحق، رأيت واحدة منها فقط بالقرب من قرية رُجال في تهامة عسير. وأخرى رأيتها في وادي داراء أحد روافد وادي الأحسبة من ديار بني عُمَر. ثم رأيتها بأعداد لا بأس بها على ضفاف وادي الجوف، وهو واد عميق ينحدر سيله من قمم جبل شدا الأعلى . وأخبرني غير واحد من أهل هذا الجبل بأن أوراقها، وربما ثمارها، قد تُستعمل لإجراء البطن، أو إسقاط الأجنّة، ولكنها مجازفة مهلكة، وأكدوا أن امرأة حاملاً أكلت شيئًا قليلاً من أوراق هذه الشجرة فماتت هي وجنينها في الحال.

وهي التي تسمى في قريتي الجُنُش وحزْنة من ديار بني عمر ((البَرِدَة، والبَرْدَة)) بكسر الراء وإسكانها، ولم أعرف علة واضحة لهذه التسمية، إلا أن تكون بمعنى المُميتة، أخذاً من قولهم : بَرَد الرجل يبرُد إذا مات (٣) .

تسمى هذه الشجيرة، كما أسلفت، الضجّاح، ولم أسمع أن أحدا من أهل السَّراة يسميها الإلب، إنما الإلب عندهم اسم لشجيرة أخرى تنتمي إلى الفصيلة الصَّابيَّة (٤) (*Euphorbia schimperi*) تسمى الدِّهْن. وهي سامة أيضا، ما زالوا يستعملونها حتى يومنا هذا لقتل السباع الضارية، الأمر الذي ساعد على وقوع الخلط بين الشجرتين ؛ ولا غرو فكلاهما سم قاتل، وقد تقدم في قول الأعرابي وقول أبي حنيفة الآنف



أن الضَّجاج بالفتح اسم لكل شجرة تُسم بها السباع، مثل الخِرْوَع والقِشْب والإلب . وسيأتي الحديث عنها بأوسع من هذا في رسم الدِّهْن .

وأما الضِّجَاج بالكسر، فقال أبوحنيفة : ((هو صمغ شجرة مثل شجر اللُّبان ، شائكة غير عظيمة، ينبت بجبل يقال له : قُهوان، من أرض عُمان . وهو صمغ أبيض تغسل به الثياب، فينقيها إنقاء الصابون، ويغسل الناس به رؤوسهم . وله حبٌّ مثل حبِّ الآس أسود يلذع اللسان)) (٥) .

وما زال هذا الصمغ معروفا ومستعملا في عمان إلى اليوم، وهو يخرج من تلقاء نفسه من جذع شجرة من فصيلة البرازيات (*Sterculia africana*) تسمى في جبال ظفار (إكْثُوْرَه) . وهي غير شائكة، وصمغها يُسمى في شمال عُمان (الضِّجُّ) . وعند الاغتسال به ينتج عنه رغوة كثيفة مثل رغوة الشامبو . وربما كان اسم هذه الشجرة محرفا عن (الكَثِيراء) وهو عند العرب اسم لنوع من الصموغ (٦) .





---

(١) النَّبات ٥ / ٤٢، ٦ / ٩٥. وينظر : المخصص ١١ / ١٤٤، ١٤٥، والعمدة ١ / ٥٥، وجامع ابن البيطار ١ / ٧٤، ٢ / ١٢٤، والتكملة (ألب) ١ / ٦٧، واللسان (ألب)١ / ١٧٨، والقاموس (خفرضض) ٤ / ١٥٣، والتاج (ألب) ١ / ١٤٩ .

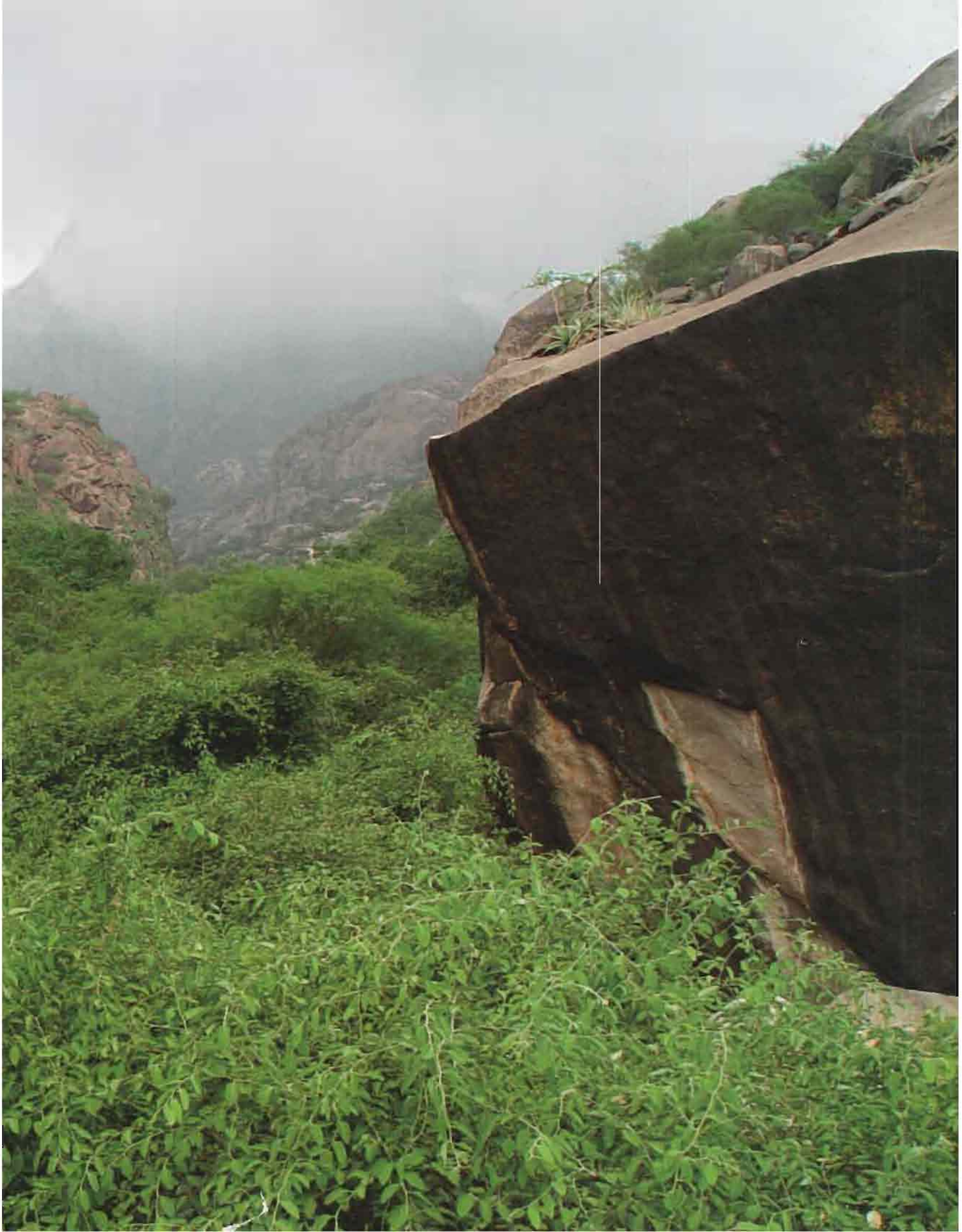
(٢) النَّبات٦ / ٩٥.

(٣) اللسان (برد) ١ / ٣٦٧ .

(٤) نسبة إلى الصاب، أشهر أنواع هذه الفصيلة، وهو تعريب من وضع المؤلف للمصطلح اللاتيني (*Euphorbiaceae*) .

(٥) النَّبات ٦ / ٩٥ .

(٦) ينظر : النَّبات ٦ / ٩٠، والمخصص ١١ / ٢١٧، والقاموس ٦٠٢ (كثر) .





الإلب على ضفاف وادي الجوف من جبل شدا الأعلى _ شمال المخواة

البَان



قال الأصمعيّ : ((من نبات جبال السَّراة ... الشُّوْع، وهو شجر البَان)) (١) . وقال أبو حنيفة : ((البَان شجر يسمو ويطول في استواء مثل نبات الأثل، وورقه أيضاً هَدَب كهدب الأثل، وليس لخشبه صلابةٌ، خشبُ الأثل أصلب منه، وخشب البان رخو خوّار خفيف... وقال أبو زياد: من العضاه البان، وله هدب طوال أخضر شديد الخضرة، وهو ينبت في الهضب (٢) . وثمرته تشبه قرون اللُّوبياء، إلا أن خضرتها شديدة، وفيها حب، ومن ذلك الحب يستخرج دهن البان. وفي طول البان ومنابته من الجبال قال بشر، وذكر جبلا:

وصَعْبٌ تزلُّ العُصْم عن قُذُفاته بحافاته بانٌ طوالٌ وعَرْعَرُ

ولاستواء منابته ونبات أفنانه وطولها ونعمتها شبه الشعراء الجارية الناعمةَ ذات الشَّطاط بها، فقيل كأنها بانة، وكأنها غصن بان ... وواحدة البان بانة، وبه سميت المرأة بانة... ويقال لثمره: الشُّوع، وقال أبو نصر: الشُّوع ثمر البان... والثمرة قد تسمى باسم الشجرة، والشجرة قد تسمى باسم الثمرة، وهو يريع ويكبر على الجدب وقلة الأمطار، والناس يسلفون في ثمره الأموال، فأخبرني رجل من الأعراب أن رجلاً أتى أعرابيا يقتضيه شوعاً كان أسلفه فيه، فقال له الأعرابي: إن لم يأت الله عنده برحمة فما أسرع ما أقضيك . أي إن لم يأت بمطر. وأهل الشوع يستعملون دهنه كما يستعمل أهل السِّمْسم دهن السِّمْسم. وأخبرني أن قضبان البان سمحة خُضْر في خضرة عيدان اللوز المر الصغار الذي يسمى المَزْج، قال: وثمره في قصب طوال، فإن أنى انفتق وانتثر حبه، وحبه أبيض أغبر نحو الفستق، غير أنه أقصر منه وأسمر، وله قشر نحو قشرة الفستق . وأخبرني بعض الأعراب أنهم إذا أرادوا طحنه رُضَّ على الصِّلاء وغُرْبل حتى يعتزل قشره ثم يُطحن ويُعتصر، وهو كثير الدهن دَسِم)) (٣) . وقال في باب الزِّناد : ((شجر البان وشجر القطَن زنادهما جياد . وخشب البان خفيف خوّار . قال الشّاعر :

ولا تَكُ من إخوان كلِّ يَراعة خريع كصَقْب البان جُوْف مكاسرُه (٤)

وقال في باب الروائح : ((وأكثر ما يربّبون بالرَّياحين الشُّوْع، وهو ثمر البان، وهو عندهم كثير، يعتصرونه كما يعتصرون السِّمْسِم، ويستعملون دهنه، ومنه لمن ينبت ببلده شجر كثير)) (٥) .

البَــان

Moringa peregrinea

MORINGACEAE - الفصيلة البَانيَّة

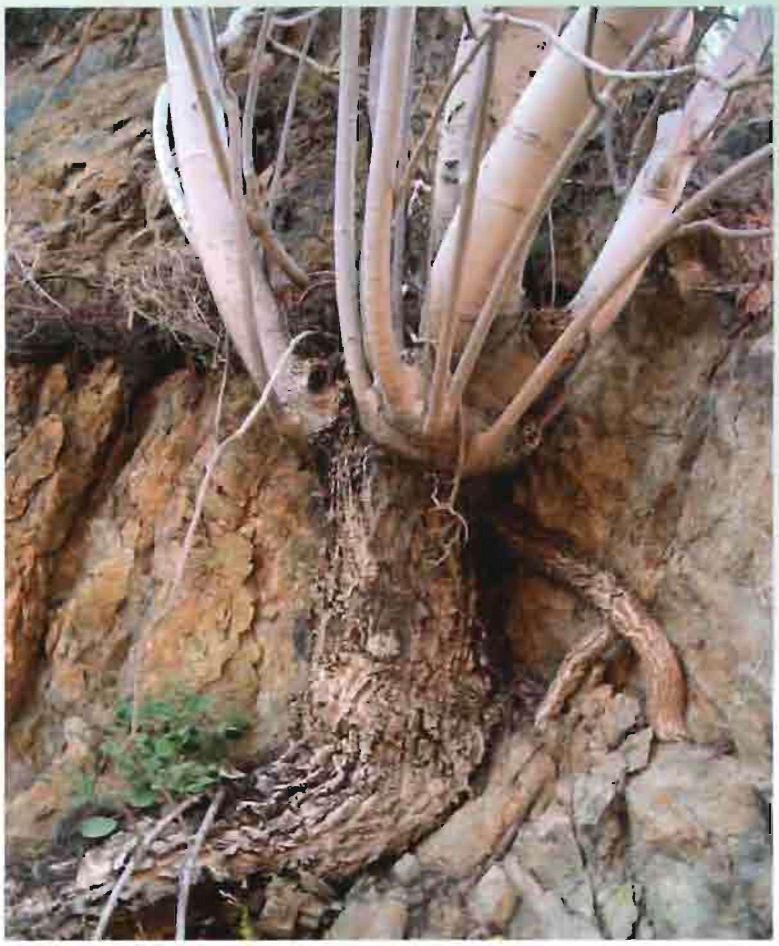
قلت: البان أو الشُّوْع، والمفرد بَانَة وشُوْعة، شجرة رشيقة المنظر، دائمة الخضرة، سريعة النمو، مقاومة لقساوة المناخ، فتنمو وتزدهر – كما قال أبو حنيفة – مع الجدب وشح الأمطار . تشبه كثيراً الأثل، فلا يشك الناظر إليها من بعيد أنها أثلة. تنبت بين شقوق الصخور في أوعر الجبال وأشدها انحدارا، وربما نبتت في بطون الشعاب والأودية وعلى ضفافها، على ارتفاع ٣٠٠ – ١٦٠٠م.

ترتفع البانة أو الشَّوْعة نحو ٥ – ٨ م، على ساق ناعم، لونه رمادي إلى الأبيض، ورمادي ضارب إلى السواد في جذوعها الضخمة العتيقة، وأما البانة الصغيرة فاللون البُني غالب على سيقانها وفروعها الكبيرة، وأما الفروع الحديثة النمو فتظهر بلون أخضر مغبر في الجميع. وجذورها تخترق شقوق الصخور إلى مسافات بعيدة، وربما وسعت الشقوق الصخرية الضيقة. ويحيط بهذه الجذور لحاء ثخين يختزن الماء والغذاء؛ الأمر الذي يساعدها على تحمل الجفاف مدة طويلة من الزمن ، ولجذورها طعم ورائحة يشبهان طعم جذور الأراك ورائحتها، وشاهدت لصغار البان جذورا درنية تساعدها على البقاء في مواسم الجفاف؛ إلى أن تنمو جذورها وتغور في الأعماق حيث تجد الماء . وينتهي ساقها أو فروعها العلوية بأهداب تشبه الأوراق، وليست بأوراق، كما ظن أبي حنيفة، فشبهها بأوراق الأثل، إنما هي أغصان رهيفة خضراء كثيرة متدلية إلى الأسفل، على هيئة خيوط مرسلة. يُسمع لها حفيف عند هبوب الريح . ولم أشاهد لكثير من البان الذي ينبت في جبال الحجاز أوراقا، بل رأيته في صغاره وأفنانه الفتية، ثم يتساقط عن قريب، ويبقى بكثافة لمدة طويلة في كبار البان الذي ينبت في جبال السَّراة . والأوراق صغيرة طولها نحو ٣ – ٤سم، وعرضها نحو ٤ – ٦ مم، لونها أخضر يعلوه زرقة يسيرة، تظهر في الغالب على الفروع الحديثة، وأما النشو الصغير من البان فيظهر له حيث نبت أوراق ريشية متقابلة قليلة، لا تشبه الأوراق التي تظهر على الشجرة الكبيرة، بل هي بأوراق النوع الهندي أشبه (*M.oleifera*) وقد رأيت هذا النوع في المملكة واليمن مستزرعا في الحدائق وبعض المزارع . وفي أعالي وادي الليث من ديار بَجَالة من بني فَهْم شاهدت من ورق البان ما طوله نحو ٥سم، وعرضه من الوسط نحو ١,٥سم. ويتدرج هذا الحجم من الكبر إلى الصغر من قاعدة الغصن إلى قمته. وهو بذلك يفوق ورق النوع الهندي طولا وعرضاً. والأزهار بيضاء مشربة بلون وردي جميل، تظهر كهيئة العناقيد بأعداد كثيفة جدا ، محمولة على عساليج متدلية، ولها رائحة عطرية فوّاحة، ورحيق لذيذ يمصه الرعاة كما يمصون المذخ، وهو رحيق زهرة المظ، ورأيت أسراباً من النحل والفراش، وأنواعا أخرى من الحشرات والطيور تهوي على



البانة في ابتداء نموها







الشجرة تنافس على امتصاصه، وترعى الوعول والماعز هذه الأزهار بنهم بالغ، فتراها تتسلق الصخور الوعرة الشديدة الانحدار؛ لتصل إليها. وحدثني بعض أرباب النحل أنهم يخسرون الكثير من نحلهم إذا أزهر البان، وذلك حين تهب الريح، فإن خويطاته الرهيفة تضرب النحل كالسياط، فتصرعه بأعداد كبيرة.

أما الثمار فتظهر بكثافة على الشجرة حتى تتدلى من ثقلها الأغصان الكبيرة، وربما تكسر منها بعض تلك الأغصان. وتتحول لها الأغصان الصغيرة إلى أعناق ثخينة قادرة على حمل الثمرة، بطول ١٥ – ١٧سم. وهي سريعة النمو، تشبه قرون اللوبياء (الدُّجُر) كما روى أبو حنيفة، لكنها أطول وأعرض، وأوضح تخصراً عند إدراك النضج، يصل طول الثمرة إلى نحو ٢٠ – ٤٠سم، ويصل طول محيطها إلى نحو ٦ – ٧سم، تبقى متدلية على الشجرة نحو أربعة أشهر أو أكثر، لونها أخضر شديد الخضرة، معلمة كالقثاء بأخاديد طولية عميقة، وعند نضجها تتحول إلى اللون الأخضر المغبر، ثم البُني، وتنفلق إلى ثلاثة مصاريع أو مصراعين عن نحو ١٢ – ١٥





تظهر أوراق البان لمدة قصيرة على الفروع الحديثة

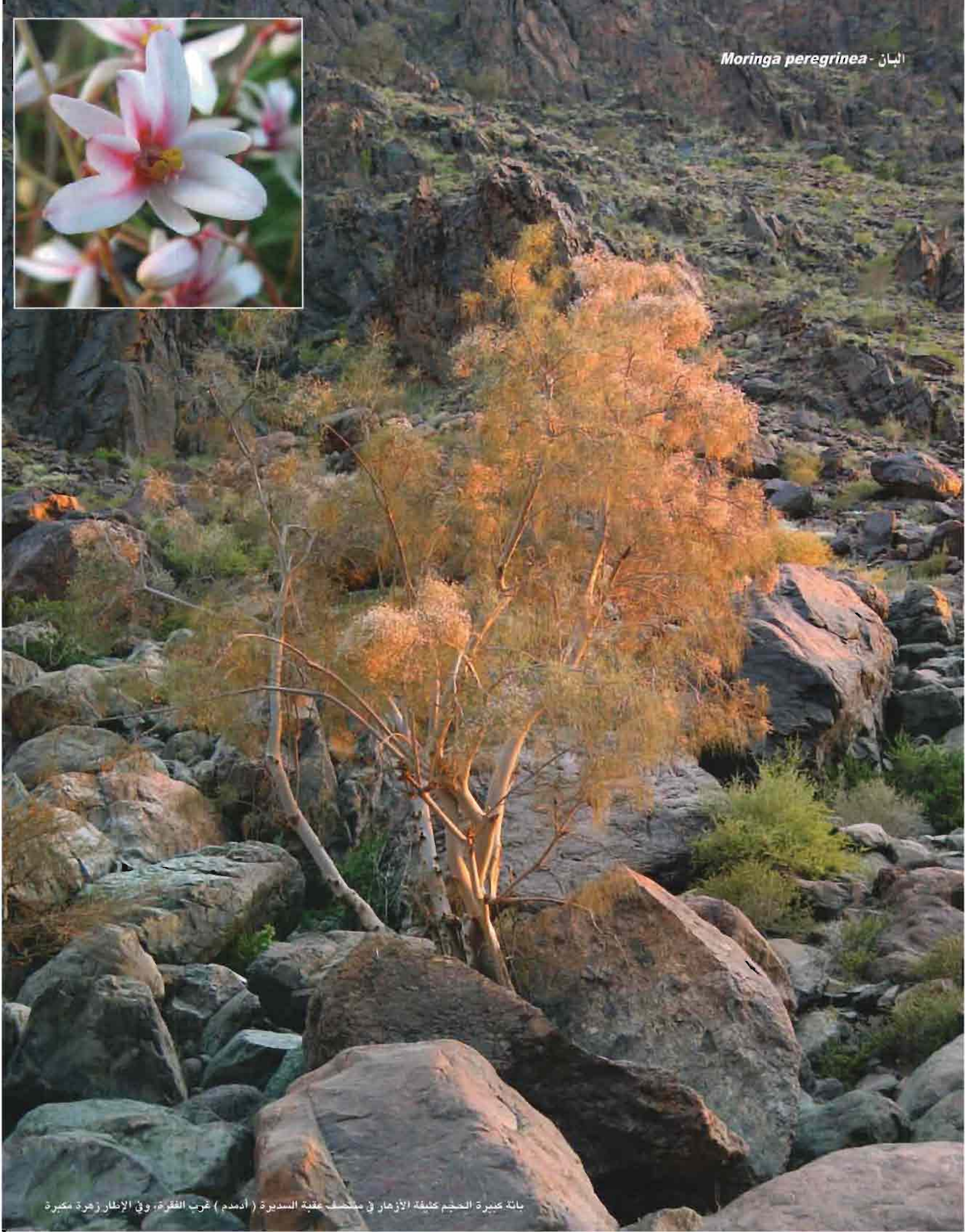


لجذوع البان قدرة عجيبة على اختراق شقوق الصخور الصلبة وتوسيعها



بذرة، بيضاوية ثلاثية الزوايا، على هيئة ثمر الفستق وحجمه، لونها أغبر أو بني يميل إلى البياض، ولها رائحة طيبة . وتظهر الثمار في موسم ظهور بلح التمر الجبلي وتنضج، في الغالب، عند نضجه أو قبله بقليل، حسب الارتفاع الذي تكون عليه .

ويأكل الرعاة البذور، وهي لا تزال خضراء طرية، وطعمها مقبول، مع شيء يسير من المرارة والحرارة، ويقدمونها علفاً للأغنام والإبل، فتسمن عليها، وتغزر ألبانها . وأخبرني بعض أهل رضوى وبواط والكويرة من ديار جهينة أنهم يستخرجون منها زيت البان، ويسمونه (سمن البان) أو (سمن العود) وذلك بعد أن تهرس وتفصل عن غلافها الصلب، ثم تنقع في الماء ليلة كاملة، ثم تطبخ مدة ٦ - ١٠ ساعات، كلما نقص الماء زادوه، حتى يطفو الزيت على الماء، قالوا : ونصطفيه بعد أن يبرد في آنية خاصة، وأخبرني دليلي إلى جبل رضوى بأن أفضل ما يُوقد به لاستخراج ذلك الزيت، هو حطب البان نفسه. قال: وكانوا يصطفونه من على صفحة الماء ببسط اليد بعد تنظيفها فوق ذلك الزيت فيعلق بها، ويُفرغ في إناء آخر، وهكذا حتى لا يبقى على وجه الماء شيء منه، ثم يعيدون وضع الإناء الذي جمعوا فيه الزيت على النار مرة أخرى، ويتركونه حتى الغليان، ويميل لونه إلى الأخضر المسود، وعند ذلك ينقطون عليه قطرات من الماء فيشتد غليانه، فتطيب بذلك نكهته، ويزول ما بقي فيه من مرارة . قال: ونبيعه بأثمان مجزية؛ ونستعمله في الطهي، ويضاف إلى الأطعمة والسلطات. وقال آخر: ونتخذه لعلاج مرض السكر، ونأكل البذور بعد طبخها،



Moringa peregrinea - البان

بانة كبيرة الحجم كثيفة الأزهار في منتصف عقبة السديرة (أدمدم) غرب الفقرة، وفي الإطار زهرة مكبرة









لعلاج أمراض الظهر والمفاصل وعرق النَّسا.

وأخبرني دليلي البلويّ من أهل جبال نسْر وحمَّادة شرق الوَجْه، وهي جبال شُمٌّ جرداء إلا من البَان والعرْن والقَفَل، أخبرني بأنه يتبقى بعد أن تُطبخ البذور لاستخراج الزيت ثفل أبيض يطفو أكثره على سطح الماء، وهو شبيهة بالحمص المطحون وأقل طراوة منه، يسمى (الغُريراء) . قال: وكنا في زمن الصغر ونحن رعاة نأكل منها نحو ثلاث ملاعق صباحا، قبل أن نسرح بأغنامنا، ثم نشرب عليها الماء، فتشبعنا حتى الاتخام، ولا نحتاج معها إلى طعام آخر سائر اليوم . قلت : وقد تحققت من ذلك بنفسي فوجدتها مشبعة حقا؛ وذلك لما تحتويه من عناصر غذائية عالية. وتُسمى في جبال جهينة (السمْسُم) ويخلطونها مع حشف التمر لتحليتها، فربما بقى فيها بعد الطبخ مرارة يسيرة . وأخبرني بعض أهل قدس وورقان: أنهم يستعملون زيت البان لعلاج الحروق، فيترك على الحرق طبقة عازلة رقيقة تبقى نحو ثلاثة أيام، ثم تُقشر وقد طاب موضع الحرق .

وأخبرني رجل من أهل جبال الفقرة بأنهم يدهنون الشكاء والقرب بزيت البان لتطريتها . وقد استعملت أنا هذا



الزيت، فكان من خير الزيوت النَّباتية التي عرفت مذاقاً ورائحة واستطباباً، ولونه شبيه بلون زيت الزيتون أو أفتح قليلا . ورأيت على سيقان البانة مادة صمغية تظهر أولا بلون أصفر، ثم تؤول إلى الأحمر القاتم، قال القدسي: كنا نأخذها فنذيبها في الماء المغلي فإذا برد غسلنا به الجروح، فيعزلها، وتطيب، بإذن الله تعالى، ولكنها لا تؤكل؛ فإن أكلت أفقدت آكلها الوعي . وأخبرني رجل جهني من بني كلب أنهم يسحقونها فيعالجون بها العين الملتهبة أو المصابة بالرمد . وقال القدسي أيضاً: وكنا ننبش عن جذورها، ونستخدم مغليها لعلاج المغص والانتفاخ، وهي حارة من غير طبخ. وأخبرني رجل من أهل جبال آرة (هضبة أم العيال) (٦) أنهم يدقونها ويضمدون بها المفاصل المؤلمة، فتسري حرارتها في الموضع المصاب، فيطيب بإذن الله . وأهل الكويرة والصميمة والأجرد من بني كلب يستعملون بدلا عن ذلك زيت البان .

وأخبرني دليلي من أهل الكويرة من بني كلب بأنهم يدقون أغصان البان الصغيرة، ثم تُمزج بالماء فيعالجون بها الجروح المستعصية من الإنسان والحيوان، وأكثر ما يعالجون بها الجمال المصابة بالدبر، وتُسقى للأغنام المصابة بالسعال الشديد، فتطيب بإذن الله . وأخبرني دليلي إلى جبل رضوى بأنهم يعالجون بها الرَّمد الشديد ، ويضمدون بها عضة الكلب المسعور، بعد أن يغسلوا موضع العضة بالماء والملح .

وسمعت من أهل العيص ورضوى أن البان من أكثر الشجر عرضة لتأثير الصواعق، إذ يُرى بعدها، وقد تكسرت أغصانه أو تصدعت سيقانه، والذي أعرف أن ذلك ليس من تأثير الصواعق، بل من فعل الرياح التي تصاحبها، في الغالب، وعود البان، كما تقدم، لدن سهل الكسر، فيكون ذلك الأثر من الرياح لا من الصواعق . كما أن ذلك العود لا يصلح للوقود، فإنه يهمد سريعاً . وجذعها هش من السهل تجويفه، وفي الأحسبة من تهامة بني عمر يتخذون منه خلايا تستهوي النحل كثيرا كخلايا القفل والخزم . وفي جبل رضوى لفت نظرى أغصان كثيرة من البان يابسة ولحاؤها منجرد عنها، فسألت دليلي إلى هذا الجبل، فذكر أن ذلك من فعل الوعول التي تفضل أغصان البان لتحك بها قرونها، لخلوها من الأشوك، فينجرد اللحاء بفعل ذلك الاحتكاك، ويموت الغصن .

وفي جبال قدس ورضوى وبواط وشمال الحجاز إلى جبال مَدْيَن يطلقون البان على الثمر، وأما الشجرة نفسها فيسمونها (اليَسَر) وهم يريدون العَسَر؛ أخذوه من منابته في الجبال الوعرة والجروف الخطرة التي يعسر الوصول إليها؛ لكنهم نطقوا بالضد تفاؤلاً، على عادة العرب حين سموا الأعمى بصيراً والملدوغ سليماً. وفي السِّهْلة شمال العِيْص سمعت رجلا يسميه (الأسَر) بقلب الياء همزة .

وأهل السَّراة لا يعرفون هذه الشجرة بغير البان . وسمعت أهل جبال الرَّيْث شرق منطقة جازان يسمونه البان، وينطقون الألف





صمغ البان

ممالة نحو الياء . ورأيتها بوفرة في سفوح وادي أُصُبٍ وأُجًّا من أغوار بني ناشر من ديار بني عمر ، وبرغم ذلك فأهل هذه الديار لا يعرفونها، ولا ينتفعون بها في شيء من شؤون حياتهم، غير أنهم يعدونها من شجر المرعى .
وفي الجبل الأخضر شمال عُمان ما زالوا يسمونه (الشُّوْع) وذكرت لبعضهم أنه البان، فلم يعرفوه بهذا الاسم، ويعتصرون زيته بنحو ما ذكر أبو حنيفة، ولهم من بيعه ربح وفير . وفي جبال ظفار يسمونه (البان) وآخرون ينطقونه (اليَان) يقلبون الباء ياء، وربما حذفوا الألف، وكسروا الأول، فقالوا (اليِن) .

ولم تكن شهرة هذه الشجرة محصورة في رشاقتها وحسن منظرها ونعومة أفنانها، حيث افتتن بها الشعراء فشبهوا بها النساء الحسان بجامع نعومة الملمس ورشاقة القوام، ليس ذلك فحسب، فشهرتها في الاقتصاد تفوق شهرتها عند أولئك الشعراء ، وأهم ما اشتهرت به زيتها المستخرج من البذور، والمعروف بدهن البان، وهو غير قابل للتأكسد والحموضة، الأمر الذي رشحه لأن يكون أفضل الزيوت النَّباتية في اكتساب الروائح العطرية، فدخل في شتى التراكيب العطرية الصناعية، وفي صناعة الساعات والطب أيضًا .

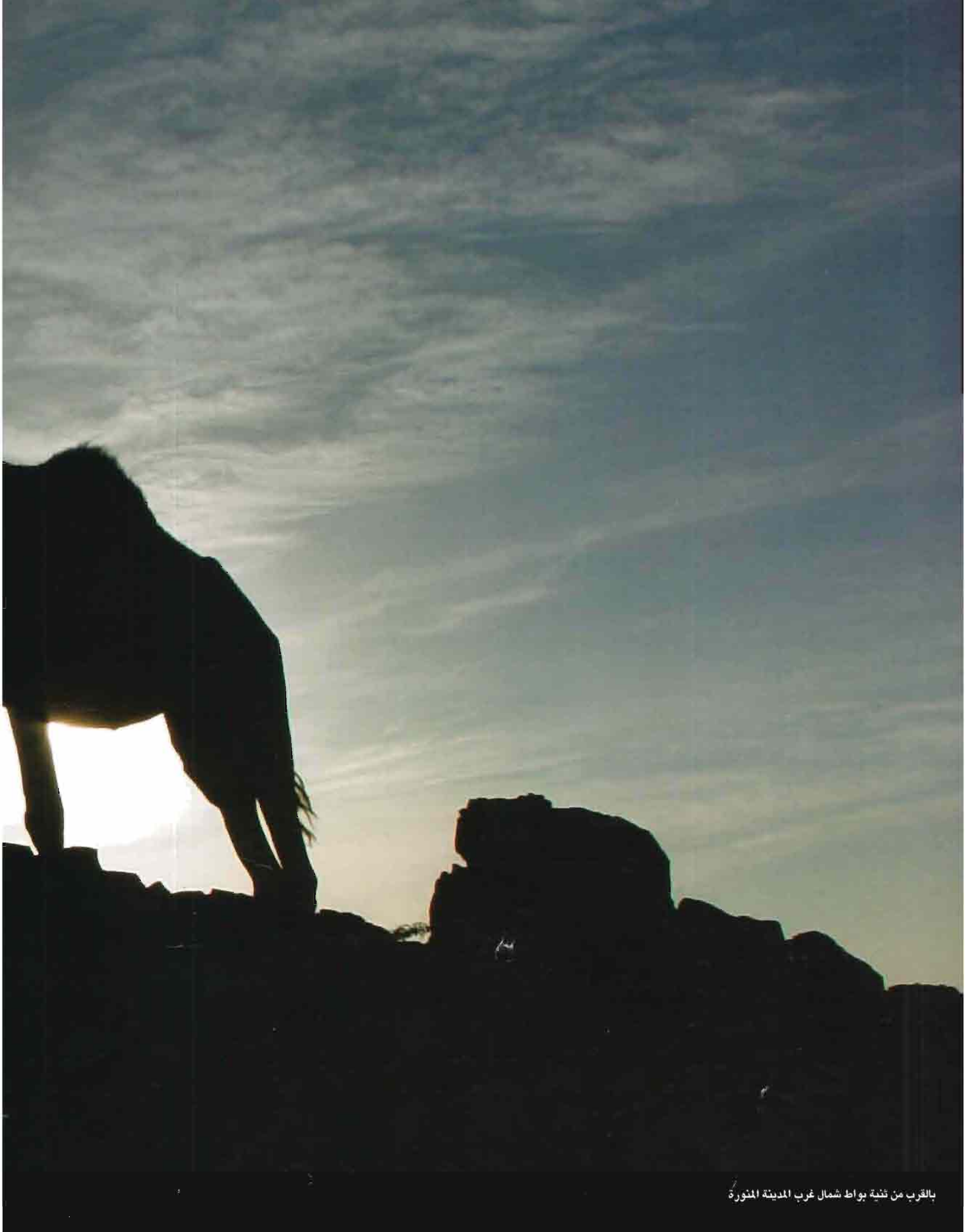
والأهم من هذا أن هذه الشجرة التي لم تنل إلى اليوم المكانة التي تستحقها كأحد أهم مصادر الأمن الغذائي في بلادنا، قد ثبت أنها تحتوي في أوراقها وبذورها وزيتها عناصر غذائية عالية جدًا؛ وذلك يؤهلها لأن تكون من خير ما يزرعه الناس للغذاء والدواء، ولاسيما أن لها مقدرة فائقة على تحمل قساوة المناخ وشح الأمطار لسنوات طويلة .

---

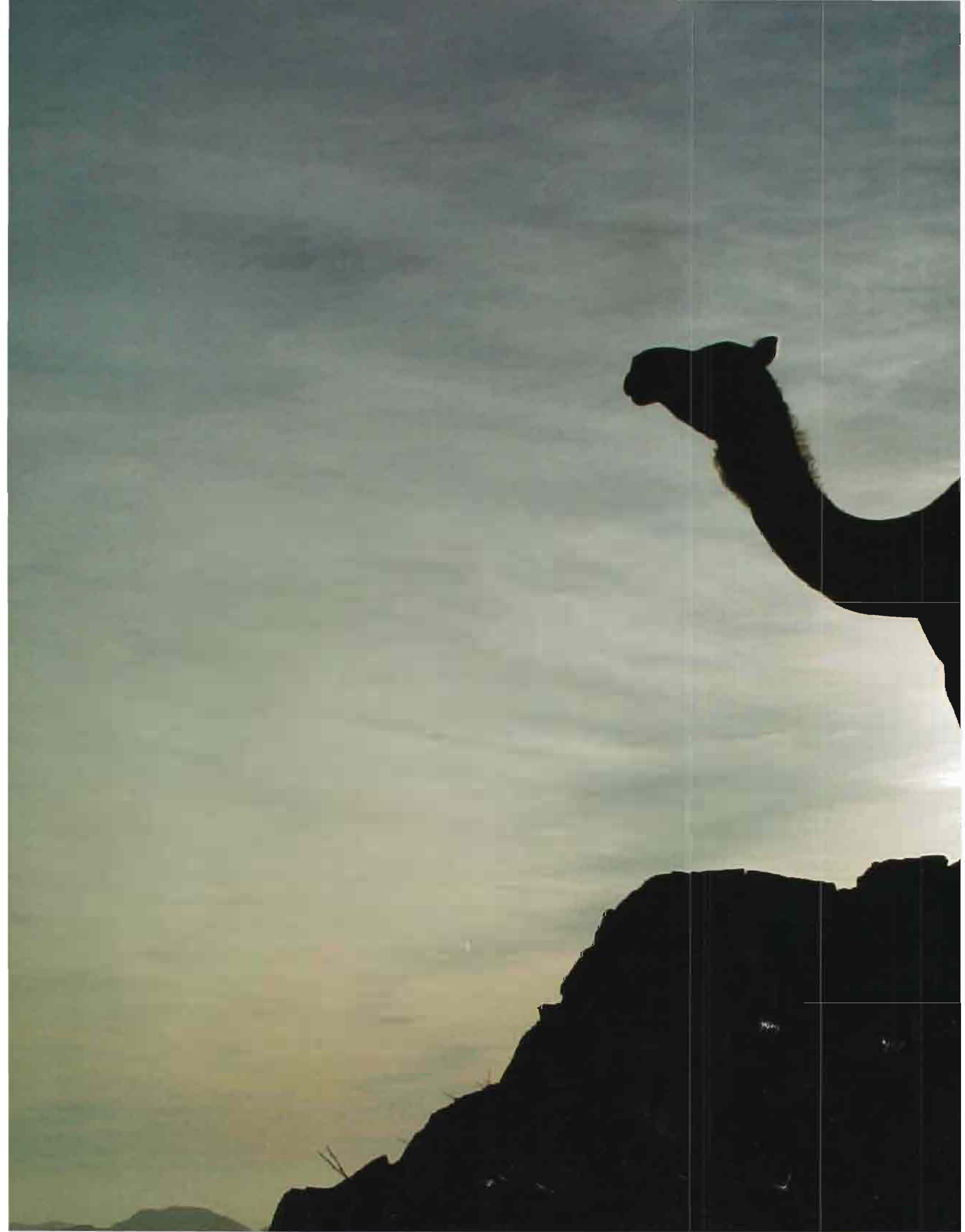
(١) النَّبات٣٦ . (٢) جمع هضبة . (٣) النَّبات ٥ /٤٨– ٤٩. (٤) النَّبات ٢ / ١٢٥.

(٥) النَّبات ٣ / ٢١١ . وينظر : ديوان امرئ القيس٦٠، ١٥٦، ١٧٣، وديوان أوس بن حجر ٩٧، وأمية بن أبي الصلت ٢٨٨، ٣٩٠، وقيس بن الخطيم ١٠٧، وكثير عزة ٢١٧، وابن الرومي ٤ / ١٤٣١، ١٥٠١، والحماسة البصرية ٣ / ٩٩٨، ١١٣٧، والمنتخب في محاسن أشعار العرب ٢ / ٢٥١، وبلاد العرب ٣٩٨، ورسائل الجاحظ٢ / ١٢١، وأدب الكاتب ١٠٠، والمنتخب ٢ / ٤٦١، والمخصص١١ / ١٤٠، وشرح المقامات للشريشي ١ / ٣٠٩، والكشف والتنبيه على الوصف والتشبيه ٢٩٣، وجامع ابن البيطار ١ / ١٠٨، والمعتمد١٧، ومسالك الأبصار ٢٠ / ٢٥٥، والعين٢ /٨، ١٩٠ / ٣٨٠، والجمهرة٢ / ٨٧١، والصحاح٣ / ١٢٣٩، واللسان١ / ٥٦٥، ٧ / ٢٣٨، والقاموس ٩٤٩، ١٥٢٥، والتاج ٥ / ٤٠٤، ٩ / ١٤٧(شوع، بون) .

(٦) جبال آرة، تعرف اليوم بهضبة أم العيال، أو الهضبة بلا إضافة، يفصل بينها وبين جبال قدس، مضيق وادي الفرع، وهي من ديار بني عمرو والرواتعة من حرب .



بالقرب من ثنية بواط شمال غرب المدينة المنورة



البَشَام



قال أبو حنيفة : ((وهو شجر، فيما أخبرني به بعض الأعراب، ذو ساق وأفنان شَكعَة، يعني بالشَّكعَة الكزَّة غير السَّبطة، وورق صغار أكبر من ورق الصَّعتر، ولا ثمر له . قال: وإذا قطعت ورقته أو قُصف غصنه هُريق لَبَناً أبيض، وهو شجر طيبُ الرِّيح والطَّعم، يستاك بقضبانه ... ومنابت البَشَام الحزون والجبال)) (١) .

وذكره مرة في باب الروائح الطيبة، فذكر أنه يُدق ورقه ويخلط بالحناء لتسويد الشعر(٢) .

وقال أبو العباس النَّباتي: ((رأيته بمقربة من قُديد، وهو بجبال مكة كثير جداً ... وقد تحققت شجرته وثمره على الصفة الموجودة بأيدي الناس. ومن الناس من يزعم أن البشام لا يُثمر، والأمر بخلاف زعمه، إلا أن ذلك في بعض الجهات دون بعض، كالذي يكون من الغُبيراء أو الحنَّاء أو غيره من الشجر))(٣) .

وقال الهمداني في كتاب (الجوهرتين) تحت باب (إخلاص الفضة) : ((وخير ما أُخلص به من الفحم فحم القَرَظ، ثم البَشَام والتَّألب)) (٤) .

البَشَام

Commiphora gileadensis

الفصيلة البخوريَّة - BURSERACEAE



البشامة في ابتداء نموها



قلت: البَشَام، والواحدة بَشَامة، شجرة عطرية، واسعة الانتشار، من الفصيلة البخورية. منابتها الحزون والأسناد، وربما نبتت في بطون الشعاب، بين شقوق الصخور وأكنافها، حتى علو ١٥٠٠م، وتجود على علو ٥٠٠ – ٨٠٠ م، ويصغر حجمها ويضعف أريجها كلما علت في منابتها .

ترتفع البَشَامة نحو ٢ – ٣م على جذع أملس معْوَجّ، لونه أصفر، أو أبيض مغبر، مائل إلى الخضرة، يكسوه أحيانا قشور رقيقة صفراء، وتظهر أفنانها سبطة بنية اللون محمرة، فإذا تقادم عليها الزّمن تضخّمت وتثنّت واستحال لونها إلى الصفرة المخضرة . أوراقها قصيرة مدورة الأطراف، تتكون من ثلاث وربما خمس وريقات لاطئة، أو قصيرة الأعناق، وغالبا ما تكون الوريقة الثلاثية الوسطى أكبر من الجانبيتين . يزيد شذاها كلما زاد بها العطش، ويأكلها الرعاة مع أماليدها الغضة . وأزهارها صغيرة متوجة بأربعة فصوص وردية، أو بيضاء مشربة بحمرة خفيفة إلى أن تحمر تماما قبل أن تذبل. وثمارها مدورة أو بيضاوية في حجم حبة الحمصة الصغيرة أو أكبر قليلا، وهي لاطئة أو محمولة على أعناق قصيرة، تظهر خضراء، ثم تؤول عند تمام النضج إلى الأحمر الباهت المغبر، وربما آلت إلى اللون الوردي، يميزها طولا أربعة خطوط بيضاء مصفرة. وتفرز إذا قشرت سائلا قليل اللزوجة،

وعند النضج تنفلق إلى أربعة فصوص كاشفة عن بذرة واحدة صلبة بيضاء، يغلفها لب برتقالي اللون. وكان الرعاة يأكلون هذه الثمار أو يكتفون بمضغها لإطفاء العطش، وأخبرني دليلي من أهل جبال الفقرة بأنها كانت تجفف ثم تطحن، ويكتحل بها، فتجلي العين، وتحد النظر .

والبَشَامة شجرة طيبة الريح، يُتخذ من أفنانها الغضة مساويك، فتنقّي الفم وتذكيه برائحة عطرية جميلة، وربما جُردت من جميع أغصانها العلوية الطرية؛ لأجل هذا الغرض. وتُلقى بعض أغصانها المورقة في آنية الماء أو القِرَب خاصة، فيطيب بها طعم الماء ونكهته، ويُشرب ترياقا سريع الأثر لسموم الثعَابين القاتلة. وربما طبخت منفردة أو مع (الشَّاهي) ولها مذاق لذيذ ورائحة طيبة .

وأوراق البَشَامة مرعى مريء للإبل والغنم، تسمن عليها وتغزر ألبانها، ويطيب طعمها ورائحتها، وهي كذلك من أحب المراعي إلى الوبارة وأرانب البر،





أشكال مختلفة من زهر البشام وثمره ، وعصارة فواحة ناضحة على الفرع الأعلى ـ يمين





ويجد القَنَّاصة أثرها الطيب في لحومها ومرقها، وربما وجدوا كروشها تفوح بعَرْف البشام الطيب، ويجدون أوراقها في حواصل طيور القطا والقَهْبي والحجل. وقد تعري الوبارة خاصة البشامة من أوراقها جميعا، حتى أغصانها الطرية، ترعاها بنهم شديد . وفي حديث عبادة بن الصامت إنه قال : ((يوشك أن يكون خير مال المسلم شاء بين مكة والمدينة ترعى فوق رؤوس الظِّراب، وتأكل من ورق القَتَاد والبَشَام)) (٥) . قال ابن قتيبة: ((وإنما خص القَتَاد والبَشَام؛ لأنه فيما أرى أكثر النبت فيما بين مكة والمدينة))(٦).

وربما أكل الناس أيضا أوراق البشام، وكذلك أغصانها الغضة الحديثة النمو . ومن ذلك ما جاء في حديث عُتْبَة بن غَزْوان، رضي الله عنه، أنه قال : ((لقد رأيتني سابع سبعة مع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ما لنا طعام إلا ورق البَشَام، حتى قَرِحَت أشداقُنا)) (٧) .

ويخلط بعض النساء السرويات أوراق البَشَام بعد تجفيفها بورق الحناء لصبغ الشعر وتعطيره . وفي جبال بواط والكويرة من ديار جهينة تدق أوراقه الخضراء حتى تصبح مزيجا ذا رغوة، فيغسل بها النساء شعورهن وأجسادهن .

وتنضح البَشَامة في فصل الصيف خاصة، سائلا شفافا عبقا، عند جرح ساقها أو كسر أحد أغصانها، وربما نضحته أغصانها الصغيرة بأهون الجذب، وليس هذا السائل أبيض كاللَّبن، كما رواه أبو حنيفة، بل هو كما وصفت، والناس يحتفظون به في خزائن خاصة، ويستعملونه علاجا لكثير من الأمراض، ويضعون منه قطرات على الجرح الحديث فيطهره ويلحمه، وعلى موضع لدغ الحشرات، فيسكِّن ألم اللدغة، ويطهِّر موضعها، ويشربونه مع الماء أو اللبن ترياقا لسموم الثعابين، وعلاجا لقرحة المعدة، ويخلطونه بالزيت لعلاج آلام المفاصل المبرحة . ورأيت أهل بدر والمسيجيد يبادرون إلى أشجار البشام عند ارتفاع حرارة الظهيرة، حيث يكون إفرازه أغزر، فيجمعونه في آنية خاصة، وربما أفرغوه في زجاجات صغيرة (التَّوْلة) ويبيعونه بأثمان مجزية، ويسمونه (البَيْلَسان) وكذلك يسمى في جبال



بشامة على سفح من جبل شدا الأسفل، وقد عَرَّتها الوبارة من أغصانها المورقة جميعًا



صمغ البشامة على ناحية من الساق بعد جرحه

جهينة. وأهل ورقان يسمونه (البَلَسَان) بحذف الياء . وقديما كان يُسمى (بَلْسَم مكة).

وأخبرني رجل غامدي من أشعاف بني ظبيان بأنهم يطبخون أعوادها نحو ست ساعات كلما نقص الماء زادوه، ثم يشربونه علاجا لمرض الربو . وفي العُدين من محافظة إب يُطبخ لحاء البشام ، وتُغسل به الجروح والحروق، فيطهرها ويعجل بشفائها .

وفي الصيف يفرز ساق البشامة من تلقاء نفسه أو بعد جرحه، عصارة صمغية متجمدة، تشبه رائحة اللُّبان لا طعمه . وأخبرني رجل من تهامة خثعم وآخر من جبل شدا الأسفل بأنهم يتخذونها علكا وبخورا . وأهل جبال العبادل وسلا شرق منطقة جازان يعلكونها بصورة أكبر . وعلكها لا يدوم يتلاشى ويذوب مع المضغ في الفم .

ورأيت بعض أهل جبال الحجاز، والسراة، ينزعون شيئا من لحائها، يسمى (النَّجيْرة) في ديار بني كلب من جهينة، فيخرج باطنه بلون أحمر غامق، له رائحة طيبة، فيصنعون منه شرابا لذيذا لطيفا على المعدة، لونه أحمر، يشبه لون الشّاي وطعمه . وقد يشربونه لعلاج التهابات المعدة وقروحها. وربما جاوز بعض أولئك الحد في التحاء عودها، حين يلتحونه من جميع أطرافه، مما يسبب للشجرة أضرارا بالغة . وشاهدت عددا من أشجار البشام النابتة في الجبال غرب المدينة المنورة، وأنحاء من جبال السراة، قد ماتت بسبب هذا الفعل . وذلك، فضلا عن موتها بسبب الجفاف، يعرض بقاء هذه الشجرة لخطر الانقراض .

وأخبرني رجل من أهل جبال رضوى من ديار جهينة بأنهم يتخذون من لحاء البشام، وهو موشك على الجفاف، ومن لحاء السِّدْر كذلك، خليطا يُدق ويُعجن ثم تُطلى به بطون الخلايا؛ فينبعث منها رائحة عطرية تجتذب النحل لاتخاذها بيوتا . قال: وكنا نصنع من أعواد البشام الكبيرة الأقداح والأصوع والملاعق وكؤوس الحجامة والمَيَاجن جمع مَيْجَن، وهو إناء يُدق فيه البارود والبُن وسنابل القمح . وأخبرني بهذا أيضا رجل من بني كلب من أهل الكويرة، قال: ونحن نؤثره على ما سواه من أعواد الشجر؛ لأنه خفيف قوي لا يتشظى .

وفي كثير من تهائم السَّراة يضعون أعواده الصغيرة بين طبقات اللحم المحنوذ، فتمنع التصاقه، وتضفي على اللحم رائحة طيبة ومذاقا لذيذا .

وأخبرني دليلي الغامدي من أهل شدا الأسفل بأنهم يبخرون الآنية بأعواد البشام المخلّعة، ثم يضعون فيها اللَّبن، فيجدون له رائحة طيبة وطعما لذيذا .

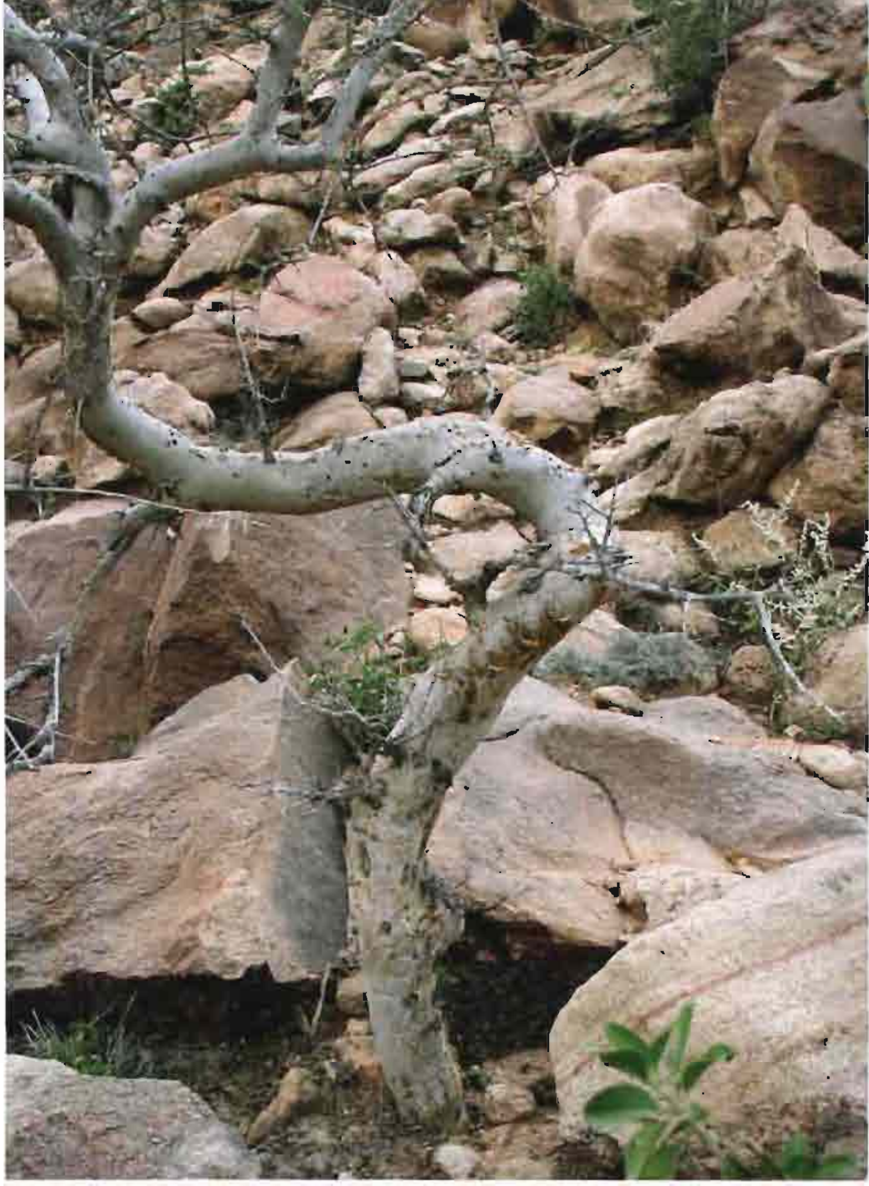
وأخبرني رجل من جبال فيفا بأن النحل يجني من نوره العسل القليل النادر . وقال دليلي الألمعي بأن عسل البشام يظهر في أقراص الشمع لقلته متميزا كسلاسل صيغت من الذهب. وأخبرني رجل من أحامدة الفقرة بأن النحل يصح على البشامة إذا نوَّرت، وتفوح خلاياه بعبيرها الفواح .

وينطقه أهل جبال فيفا (البَشَّام) بتشديد الشين ، وكذلك سمعته في جبال الرَّيْث وجبال الحَيْمَة اليمنية. وكثير من أهل السراة ينطقونه (البُشَام) بضم الباء، وآخرون (البِشَام) بالكسر، وكذلك سمعته في ديار بني كلب من جهينة، وربما نطقوه ممالا بين الفتح والكسر .

ورأيت البشام على سِيْف البحر الأحمر في حرة تدعى حرة طَفيْل من ديار الجحادلة من بني شعبة من كنانة جنوب مكة المكرمة، وأهل هذه الديار ينطقونه أيضا (البُشَام) بضم الأول . وعوده في هذا المنبت



< نزع لحاء البشامة يعجل بموتها

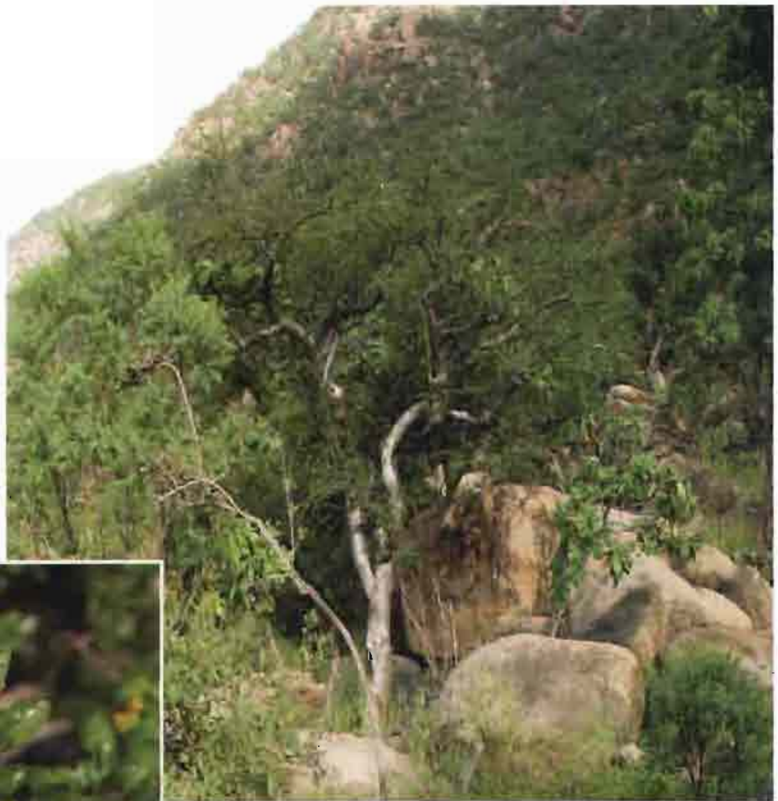


جذع البشامة ينمو في اعوجاج ظاهر



يغلب عليه البياض فتراه مثل عود القَفَل أو السرْح، وعبيره أضعف نشرا من بشام الجبال . وكذلك ينطق البَشَام في تهامة هذيل وبني فَهْم، ويطلقون لفظ (البَيْشَمان) أو (البَيْشَم) بحذف الألف والنون، على نوع من البشام المتقزم، ينبت في الأصدار، وهو لا يعلو كثيرا، بل يتفرع من أصل قصير إلى أغصان كثيرة رهيفة ، مستلقية، في الغالب، على نحو أفقي، لونها بني محمر أو مغبر . ولهذا النوع رائحة قوية فواحة، وهذه الرائحة تثير النحل، فربما انقض على الرجل إن اشتم فيه تلك الرائحة، ولو من مسافة بعيدة . ويستعملون هذا النوع خاصة، للقضاء على قراد النحل، يدخنون بأعواده الخلايا، فيصح النحل بعده ويكثر . ومساويكه أكثر أليافا وليونة . وغيرهم من أهل الحجاز وجبال السراة يسمونه البشام، ولا يفرقون .

وكثيرا ما ينبت مع البشام أنواع أخرى من الفصيلة البخورية كالشرّاح والقَفَل، والعَصَر (المُرّ)، والقَطَف، ومعها أيضا البكا من الفصيلة الصابية، وجميعها شديدة



● لَقْهَم . نوع من البشام في جزيرة سقطرى _ *C. socotranum*







● اللبان الظفاري (المُغُر أو مَغِيْروت) _ *Boswellia sacra*



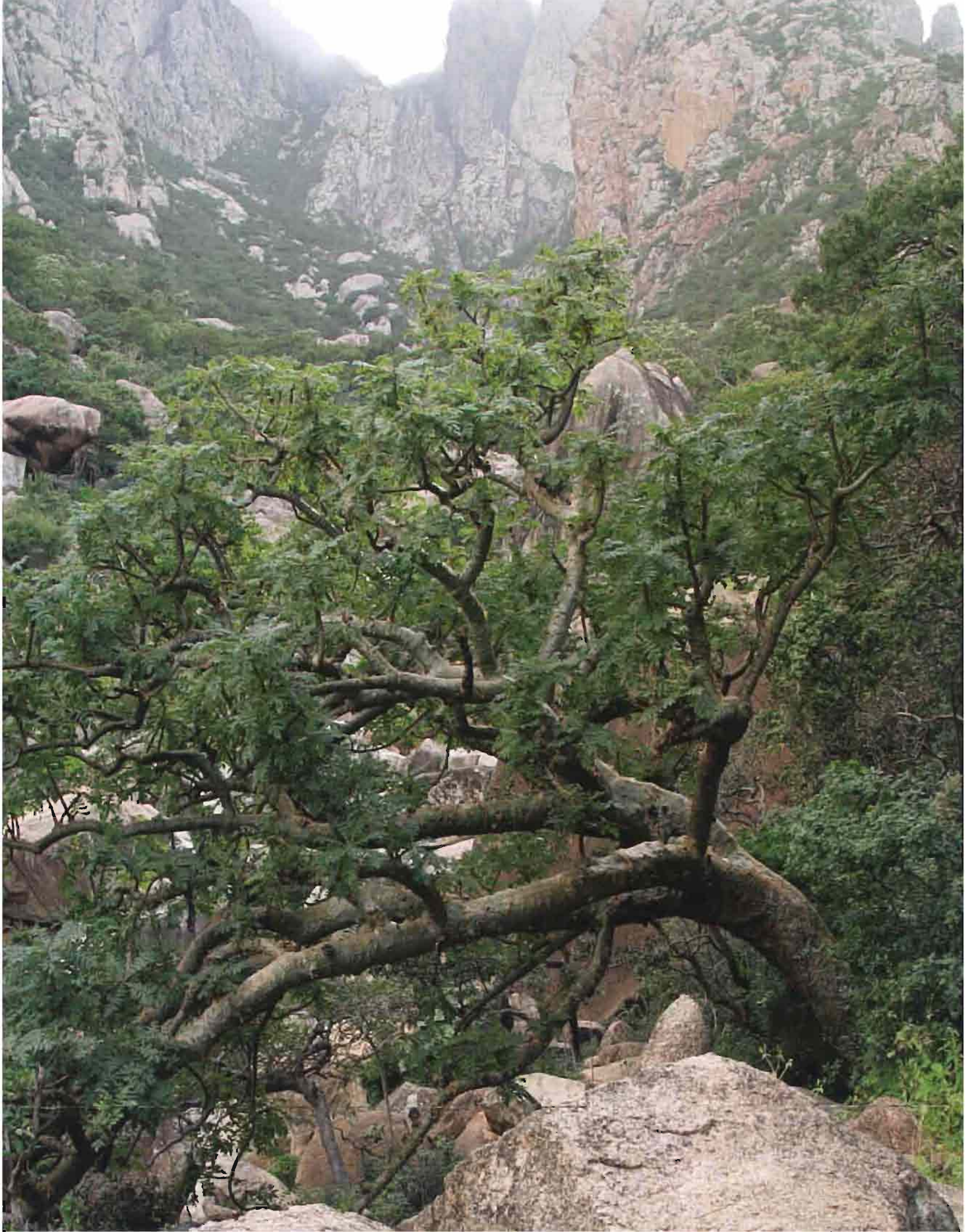
التشابه، من لا يعرفها تمام المعرفة، يصعب عليه التمييز بينها ولو عن كثب، وربما اعتقد أنها شجرة واحدة، إلا البشامة فمن السهل تمييزها عند ملامستها بعطرها الفوّاح الذي لا نظير له في الأنواع الباقية .

وفي جبال ظفار شاهدت نوعًا شديد الشبه بالبشام في نظامه الزهري والثمري، وأما أوراقه فخماسية كبيرة، مكسوة بزغب خفيف، ورائحته تختلف قليلا عن رائحة البشام. وربما كان هو البشام نفسه، على أن يُعزى ذلك الاختلاف إلى طبيعة الأرض والمناخ ، وأهل تلك الجبال يسمونه (شِيْقُوف) أو (شُوْقُوف) وكذلك يسمى البشام في نواح من جنوب اليمن وجنوبه الشرقي، ولعلها لغة حميرية قديمة .

وفي جزيرة سقطرى، رأيت نوعًا من هذه الفصيلة يشبه البشام أيضًا (*C. socotranum*) رأيته بأعداد كبيرة على السفوح وضفاف الأودية، وعوده هنا أسود مغبر، يرشح منه صمغ أحمر . وأهل هذه الجزيرة يتخذون منه المساويك، ورائحته قريبة من رائحة البشام. ويسمونه (لَقْهَم) .

ومن الأنواع المهة ذات الصلة شجرة اللُّبَان المشهورة، ومنها ثلاثة أنواع تنتج عصارة اللبان أو البخور المشهورة، فمنها نوع شاهدته في جبال ظفار (*Boswellia sacra*) وهي شجرة ترتفع نحو ٣ – ٥ م . أوراقها ريشية، متموجة، والورقة الواحدة تتكون من نحو ١٢ – ١٦ وريقة متقابلة، تنتهي بوريقة واحدة هي الأطول والأعرض . أزهارها على هيئة عناقيد، تخرج من آباط الأوراق

صمغ اللبان الظفاري أول ظهوره قبل أن يجف <







● اللبان السقطري (أمعيرو) _ *Boswellia elongate*



● تِلْيَه (نوع آخر من اللبان السقطري) _ *Boswellia nana socotrana*

على رؤوس الأغصان. وثمارها بيضاوية، في حجم ثمرة البشام، أو أكبر قليلا . وأكثر منابتها السفوح الصخرية الجرداء، حيث ينبت البشام . وأهل هذه الجبال يسمونها بالمهرية (المُغُر أو مَغيْروت) . والنوع الآخر شاهدته في جزيرة سقطرى (*B. elongate*) وهي لا تختلف كثيرا في نظامها الزهري والثمري عن النوع الظفاري . وتفرز مثله صمغ اللبان، بطريقة تلقائية أو بجرح جذعها بآلة خاصة مصنوعة من الحديد. وهو أطيب نكهة ورائحة من صمغ اللبان الظفاري . ويسمونها (أمعيرو) . وربما تضخم ساقها حتى لا تلتقي عليه الذراعان، وتحمر أوراقها القديمة قبل أن تسقط، فتظهر بمنظر بهيج يميزها عن سائر الشجر . وشاهدت إلى جوارها نوعا آخر (*B. nana socotrana*) يفرز اللبان أيضا، وأكثر ظهوره في زمن القيظ ، ويعد من أفضل أنواع اللبان طعما ورائحة لدى سكان هذه الجزيرة، يسمونه (تِلْيَة) ويبخرون به منازلهم .

وقد عرف اللُّبان الظفاري، وكذلك السقطري منذ القدم، واستعملته شعوب كثيرة في أغراض شتى، وعالجوا به معظم أمراضهم . وكان هو والمُر (العَصَر) مصدر ثروة عظيمة للدول التي نشأت في جنوب الجزيرة العربية قبل فجر الإسلام .

---

(١) النَّبات ٥ / ٤٦، ٤٧ . وينظر من هذا الكتاب: (باب السواك) ٣ / ٢٢٧. (٢) النَّبات ٣ / ٢١٤ . (٣) جامع ابن البيطار ١ / ١٢٠، ١٢١ .

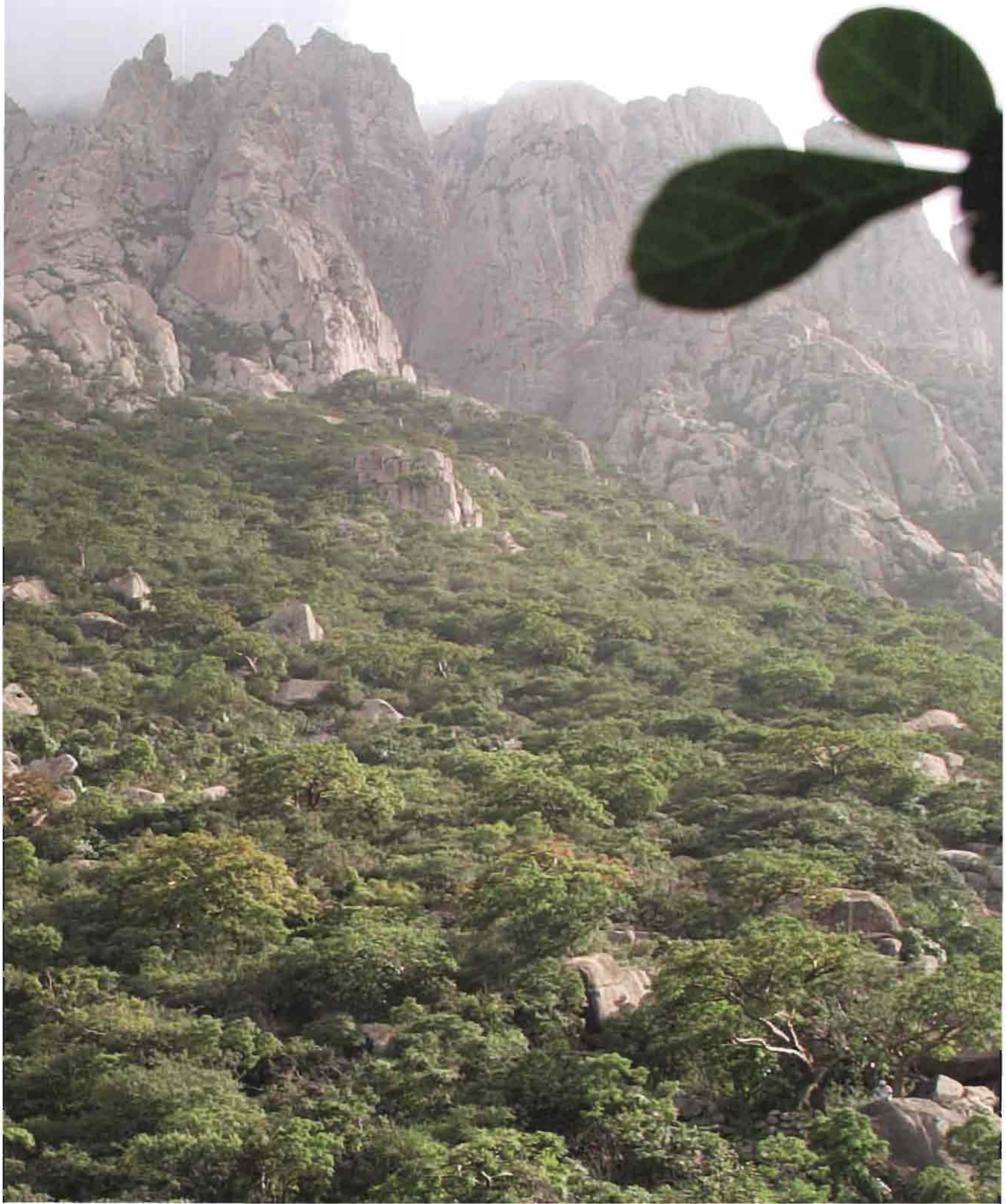
(٤) الجوهرتين ١٥١ . وينظر : ديوان امرئ القيس ٢٥٧، والنابغة الذبياني ١٢١، وعامر بن الطفيل ١٠٦، ولبيد ١٧٠، ورؤبة ١٤٤، وجران العود ١١٩، وجرير ١ / ٢٧٩، ٢٩٤، وابن الرومي ٥ / ٢١٢٩، والحماسة البصرية ٢ / ١١٣٠، ١٢١٩، والنَّبات للأصمعي ٢٤، وأسماء جبال تهامة ٣٩٩، ٤١١، ٤١٧، والمنتخب ٢ / ٤٦١، وصفة جزيرة العرب ٢٤٧، والمخصص ١١ / ١٩٣،

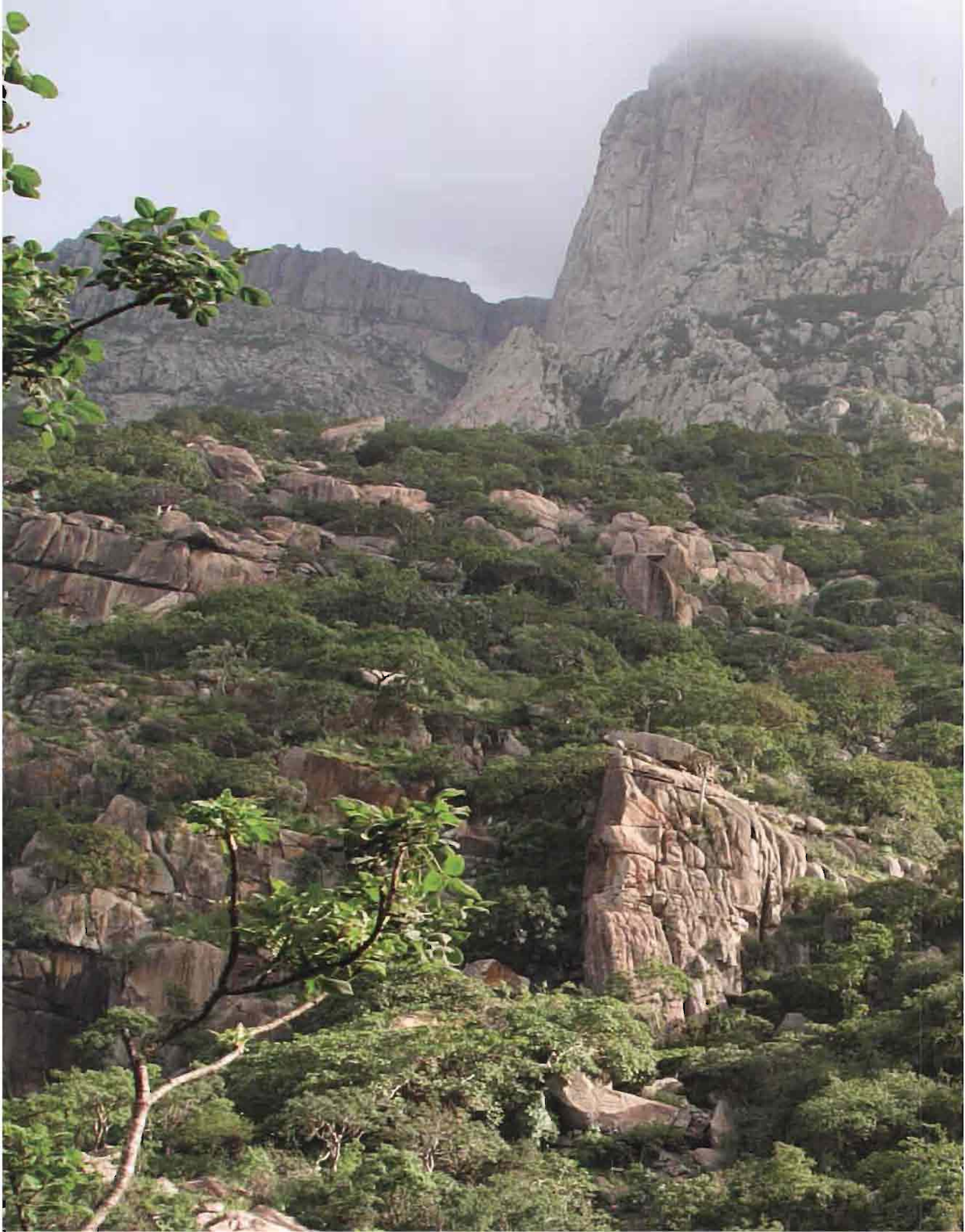
وشرح كفاية المتحفظ ٤٩٢، والمغانم المطابة ٢ / ٥٨٥، والعين ٦ / ٢٧٢، والصحاح ٥ / ١٨٧٣، واللسان ٤١٧، والقاموس ١٢٩٦، والتاج ٨ / ٢٠٢ (بشم) .

(٥) غريب الحديث لابن قتيبة ٢ / ٢٤٨ . وينظر : الفائق ٢ / ٢٧٥، والنهاية ١ / ١٣١ .

(٦) السابق ٢ / ٢٤٩ . (٧) غريب الحديث للخطابي ٢ / ٣٠٠ . (٨) ينظر: تاريخ العرب قبل الإسلام ٧ / ٢٢٨، ٢٢٩ .

غطاء نباتي كثيف على سفوح جبال سقند بجزيرة سقطرى، معظم أنواعه من البخوريات





البَكَا



قال أبو حنيفة: ((أخبرني أعرابيّ قال : البَكَاة مثل البَشَامة، لا فرق بينهما إلا عند العالم بهما، وهما كثيراً ما ينبتان معاً ... قال: وإذا قُطفت البكاة هريقت لبناً أبيض)) (١) .

وقال أبو العباس النَّباتي: ((البَكَا: شجر معروف عند العرب بمكة، وهو شجر شبيه بالبشام، ورقه كورقه، إلا أنه أطول مائل إلى ورق الصعتر الأبيض في الشبه، وثمره كذلك، إلا أنه أكبر منه، وأميل إلى الاستدارة، ويسيل منه دمعة بيضاء عندما يُقطع ورقه. ويُستاك بأغصانه)) (٢) .

البَكا

Euphorbia cuneata



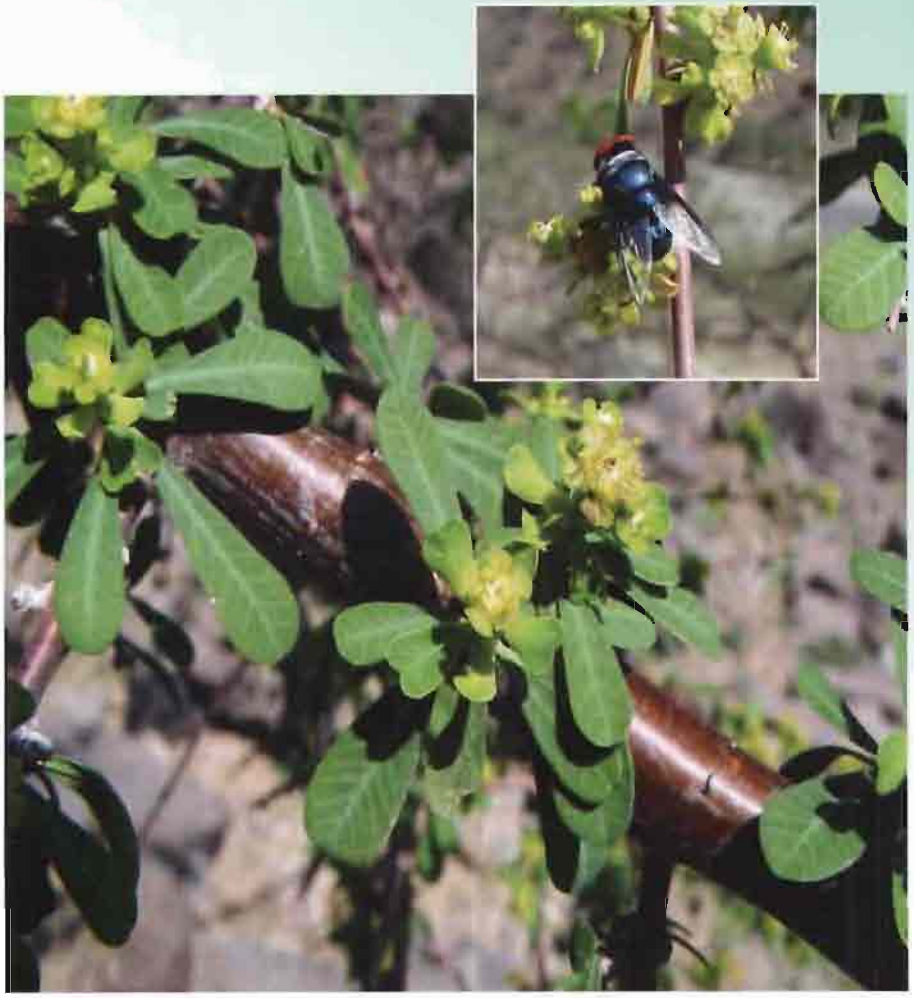




قلت: البَكا، والمفرد بَكاة شجرة أو شجيرة من الفصيلة الصابية، واسعة الانتشار، تنبت في منابت البَشَام خاصة، حتى ارتفاع ١٢٠٠م . وشاهدتها بأعداد كبيرة، قريبا من مستوى سطح البحر، مع أحد أنواع الصاب، في حرة بني هلال، جنوب قرية ذهبان، بين القَحْمَة والبِرْك .

ترتفع البَكاة نحو ٣م، على ساق بني ناعم أملَس، يكسوه أحيانا قشور رقيقة صفراء قاتمة كالبَشَام، وأوراقها صغيرة ضيقة عند القاعدة، عريضة مدورة عند الطرف الطليق، نحو ورق الصعتر اليمني. وأزهارها صفراء مخضرّة، تخرج في مجموعات مع الأوراق، ولها ريحق غزير، يتهافت عليه النحل بأعداد كبيرة. وعسلها أصفر اللون إلى حمرة يسيرة، وطعمه لذيذ مع إسهال يسير. ورأيت فوقها مرارًا ما لا يحصى من أنواع الذباب والفراش والجنادب السوداء. وثمار البكاة كروية في حجم الحمصة الصغيرة، أو أكبر قليلا، تنفلق عند نضجها عن بذور بنية ناعمة .

تدر البكاة عند كسرها عصارة بيضاء غزيرة سامة، يُسم بها كالدِّهْن (الإلْب) ضواري السباع والطيور. وهي، كما ذكر المتقدمون، تشبه البشامة



إلى حد كبير، فربما خلط بينهما الناس، كما خلطوا بين الدَّهْن (الإلب) والعيد . ولا يُستاك بأغصانها، وقد وهم أبو العباس النَّباتي حين ذكر ذلك. فقد أخبرني رجل عامري من تهامة خثعم أنها ربما قتلت الرجل البالغ إن استاك بأحد أغصانها سهوا؛ لشبهها الشديد بالبشامة، فإن لم تقتله، فأدنى ضررها إسهال مفرط يوهن البدن ويضويه، وذكر أنه استاك بغصن منها، وكان شابا يافعا، فسقط مغشيا عليه، قال : وما أفقت إلا عشاء، وقد حُملت إلى البيت .

وأخبرني رجل يمني من أهل البيضاء أنهم كانوا، حين ينتجع الرعاة بعيدًا عن ينابيع المياه العذبة، يشربون من مياه الأمطار المجتمعة في الوقارة، جمع وَقْر، وهي تجاويف صغيرة أو كبيرة تكون في بعض الصخور، فإن كان ماؤها عكرا أو ملوثاً بالطحالب واليرقات، فإنهم يضعون فيه من عصارة هذه الشجرة قطرة واحدة فقط، فتنقشع الأوشاب فورا من على صفحة الماء إلى الأطراف على شكل دائرة مفرغة، يشربون من وسطها، ولا يضرهم شيء . وقد تحققت صحة ذلك بالتجربة .

وهي واسعة الانتشار في تهائم جبال السَّراة، ونادرة جدا في جبال الحجاز الواقعة غرب المدينة المنورة، رأيت ثلاثا منها فقط في شعب (العَطْف)، جنوب جبل ورقان، بالقرب من أنبوب النفط المتجه إلى ينبع. وأخبرني دليلي من أهل هذا الجبل أنهم لا يعرفونها في مكان غيره .



• البَكي ، الحَرطة _ *Jatropha glauca*







● البُكّى، الخرطة ٢ _ *Jatropha pelargoniifolia*



وتعرف هذه الشجرة بالبكا في تهامة هذيل، وجبال آرة وشمنصير، ومناطق من تهامة عسير، وكذلك تسمى في السفوح الشرقية من ديار خثعم . وبهذا أيضاً تعرف في نواح من جنوب اليمن كيافع والبيضاء ورداع . وسمعت أهل جبل ورقان غرب المدينة المنورة ينطقونها (البَكَم) بإبدال الألف ميمًا .

وأما في ديار بني عمر ومعظم تهائم السَّراة فتسمى (الغَزْرَة) وجمعها (الغَزَر) بالتحريك . ولعل هؤلاء أخذوا اسمها من غزارة عصارتها، ولعل تسميتها بالبكا مأخوذ من ذلك أيضاً .

وشاهدت في جبال ظفار نوعا واسع الانتشار من هذا الجنس (*E. smithii*) وهو شديد الشبه بشجرة البكا، يسمونه (هِبْشُنوت) وآخرون (هَيْبَك) وربما كانت الهاء في هذا مبدلة من الهمزة، فيكون على القلب من البكا . وأهل تلك الجبال يستعملون عصارته لعلاج جرب الإبل والمواشي .

وفي كثير من تهائم اليمن يطلقون البَكَا وكذلك البُكّى على شجيرة أخرى من الفصيلة الصابية أيضا، وهي ثلاثة أنواع متشابهة، لا يفرق بينها إلا خبير . فمنها نوع (*Jatropha glauca*) وتسمى في جبال الحَيْمَة وباجل بين الحديدة وصنعاء، (البرَّيْص) وكذلك (الدُّمَيْع) وفي الجبال غرب تعز تعرف بالبكا وكذلك (الدُّمَّع) . وهي التي تسمى في جبال الريث، ونواح أخرى من منطقة جازان (الخَرْطة أو الخُرْطيَّة) وسمعت أهل العطوة من غامد تهامة يسمونها (العَجَاج) . ولعله محرف عن الضَّجاج، وهو في اللغة جنس لكل نبتة سامة. وتسمى في أصدار حزنة (جُحيْراء) وسمعت أهل شدا الأسفل يسمونها (جُخيراء) بالخاء المعجمة . ويسميها أهل الجُنُش من



• البُكَّى ، الخرطة ٣ـ *Jatropha spinosa*

بني عمر (عَجَا حَيْران) فلعل أحدهما محرف عن الآخر . ترتفع نحو ٧٠ – ٩٠ سم . أوراقها ثلاثية، تخضر صيفا، وتنحت شتاء، وأزهارها صغيرة بنفسجية، أو صفراء مخضرة، تخرج في مجموعات على رؤوس الأغصان، ويعقبها ثمر في حجم الحمصة الكبيرة، أو حجم ثمر الخروع، ينفطر عند النضج عن ثلاث بذرات . تفرز عند قطع شيء منها عصارة لزجة تشبه السَّمْن . وتناولها يسبب إسهالا مفرطا، شديد الخطر أيضاً . وفي شدا الأسفل وبعض ديار بني عمر يستعملون جذورها لتسهيل البطن، ويعلمون أنها مجازفة خطرة. وعلمت أن طفلة في الجُنُش من ديار بني عمر ماتت بإسهال شديد بعد أن سُقيت مغلي تلك الجذور .

ومنها نوع (*J. pelargoniifolia*) وهذا النوع واسع الانتشار جدا، وكثيرا ما ينبت مختلطا بالنوع الأول. وهو أكثر ارتفاعا وتفرعا منه. أوراق هذا النوع خضراء فاتحة، يكسوها زغب أبيض خفيف، ولاسيما الأطراف. وهي تحمر ، في الغالب، قبل أن تسقط، فتميزه عن غيره .

ومنها نوع (*J. spinosa*) وهذا النوع أكبر بنحو الضعف من النوع السابق، ويميزه أشواك قليلة، تظهر على الفروع القديمة .





• البُكَّى ، الخرطة ٤ـ *Jatropha variegata*





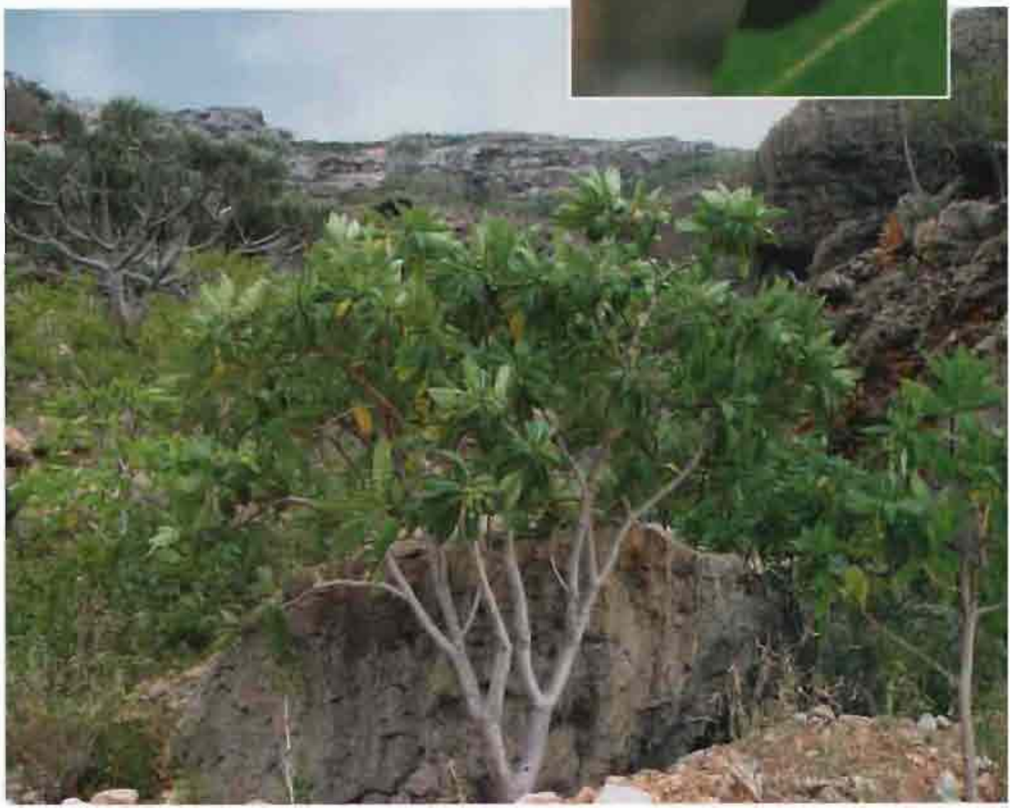


● سِبْرَة _ *Jatropha unicostata*

وهنالك نوع رابع (*J.variegata*) رأيته شمال العُدين يسمى أيضا (البَكا) وهو يشبه الأنواع السابقه في نظامه الزهري والثمري، وأما أوراقه فبسيطة متطاوله تشبه أوراق الدِّفْلى .

ومنها نوع (*J.dhofarica*) رأيته واسع الانتشار في جبال ظفار، وهو يشبه النوع (*J. spinosa*) من هذا الجنس، يسمونه (زِبْرات) أو (زِبْروت) وكذلك يسمى في نواح من جنوب اليمن . ويستعمل أهل ظفار سائله لتعقيم الجروح، وعلاج أمراض العيون، وحساسية الجلد، ويخلطونه بسائل الرُّقَعَة (الطيق) لملء الشجاج الغائرة في الرأس .

ومنها نوع (*J. unicostata*) رأيته في جزيرة سقطرى، يسمونه (سِبْرَة) مرقق الراء، نحو التسمية الظفارية، مع اختلاف النوع . ويعالجون بعصارة هذه النبتة الأغنام الملتهبة عيونها، ويدخنون بأعوادها اليابسة على بيوت النحل عند اشتيارها .



---

(١) النَّبات ٥ / ٦٢ .

(٢) جامع ابن البيطار ١ / ١٤٧ . وينظر : المخصص ١١ / ١٩٣، وشمس العلوم ١ / ٦٠١، والتكملة ٦ / ٣٧٦، واللسان ١ / ٤٧٦، والقاموس ١٦٣٢، والتاج ١٠ / ٤٢ (بكى) .



منابت البكا على سفوح السَّرْب بأسفل عقبة حزنة _ غرب بلجرشي



البُوْت



قال أبو حنيفة : ((البُوْت: من شجرِ الجبال، والواحدة بُوْتَة، ونباتها نبات الزُّعْرُور، وكذلك ثمرتها، إلا أنها إذا أينعت أسوّدت سواداً شديداً، وحَلَت حلاوة شديدة، ولها عُجيمة صغيرة مدورة، وهي تُسوِّد فم آكلها ويد مجتنيها، وثمرتها عناقيد كعناقيد الكَبَاث، والنَّاس يأكلونها)) (١).

البُـوّت
Sideroxylon buxifolium

SAPOTACEAE - الفصيلة اللبخيَّة






قلت: البُوْتَة، شجرة أو شجيرة نادرة، قليلة الانتشار ، تنبت على ارتفاع ١٢٠٠ – ١٨٠٠م .

ترتفع هذه الشجرة نحو ٣ – ٥م على جذع كثير التفرع من أسفله، ويظهر على أغصانها السفلية، خاصة، أطراف حادة تشبه الشوك، تمنع عنها الأذى . أوراقها خضراء مغبرة، دائمة، بيضاوية الشكل، ضيقة من أسفلها عريضة من أعلاها، شبه ثخينة. وأزهارها صفراء مخضرة صغيرة الحجم، لاطئة، تظهر على الأغصان الصغيرة، في مجموعات كبيرة. وكذلك تظهر الثمار، على خلاف القول بأنها عناقيد كعناقيد ثمر الأراك (الكَبَاث).





ثمر البوت في الجبل الأخضر شمال عمان





وثمارها مستديرة أو بيضاوية الشكل، تشبه ثمر النِّبْق أو الشَّدَّن، تظهر خضراء ثم تصفر، وعند نضجها تحمر ثم تسود، ويحلو طعمها، يأكلها الرعاة، وتفرز عند أكلها صبغة حمراء مسودة كثمر التوت عند نضجه. وتحتوي الثمرة بذرة واحدة مدورة ، كما ذكره أبو حنيفة .

رأيت هذه الشجرة لأول مرة على سفوح جبل القهر، وما جاوره من جبال الريث بن خولان. وسمعت أهل هذه الجبال يسمونها (الأكْرَان) وينطقونه (الأشْرَان) بإبدال الكاف شينا . وذكرت لهم أنها البُوت فلم يعرفوا هذا الاسم. شاهدتها على ذلك الجبل، وقد اعترشها شجيرة نادرة من الفصيلة العنبيَّة، يسمونها الأُطْر (*Rhoicissus revoillii*) . وأخبرني غير واحد منهم بأن إبلهم ترعى ورق البُوت، فيمر لبنها من رعية مرارة شديدة .

ثم شاهدتها بأعداد قليلة حول قاعدة جرف الحَبَلَة من ديار قحطان، وسمعت أهل هذه يسمونها أيضا (الأكْرَان) ولا يُبدلون . وأخيرا شاهدتها في جبال آل حَبْس وطَلاَّن شرق بني مالك الخولانية . ولم أعرف اسمها عند هؤلاء، وربما سموها (الأكْرَان) أيضا، لقربهم من جبال الريث .

ثم علمت أن بالجبل الأخضر شمال عُمان شجرة تُسمى البُوْت، فرحلت إلى هنالك فرأيتها من أكثر الأشجار البرية انتشارا في ذلك الجبل، وأهله جميعا ما زالوا يسمونها البُوْت، ويعدون ثمرها من الفواكه الصيفية المحببة، وهو هنا أشد حلاوة وأكبر حجما منه في جبال الرَّيْث، ويباع في أسواق الفاكهة في مسقط وغيرها من المدن العُمانية، ولعلك تسمع الباعة ينادون عليه بالقول: (البُوت لا تموت) لا يعتقدون ذلك، ولكنه إتباع لفظي للبُوت .

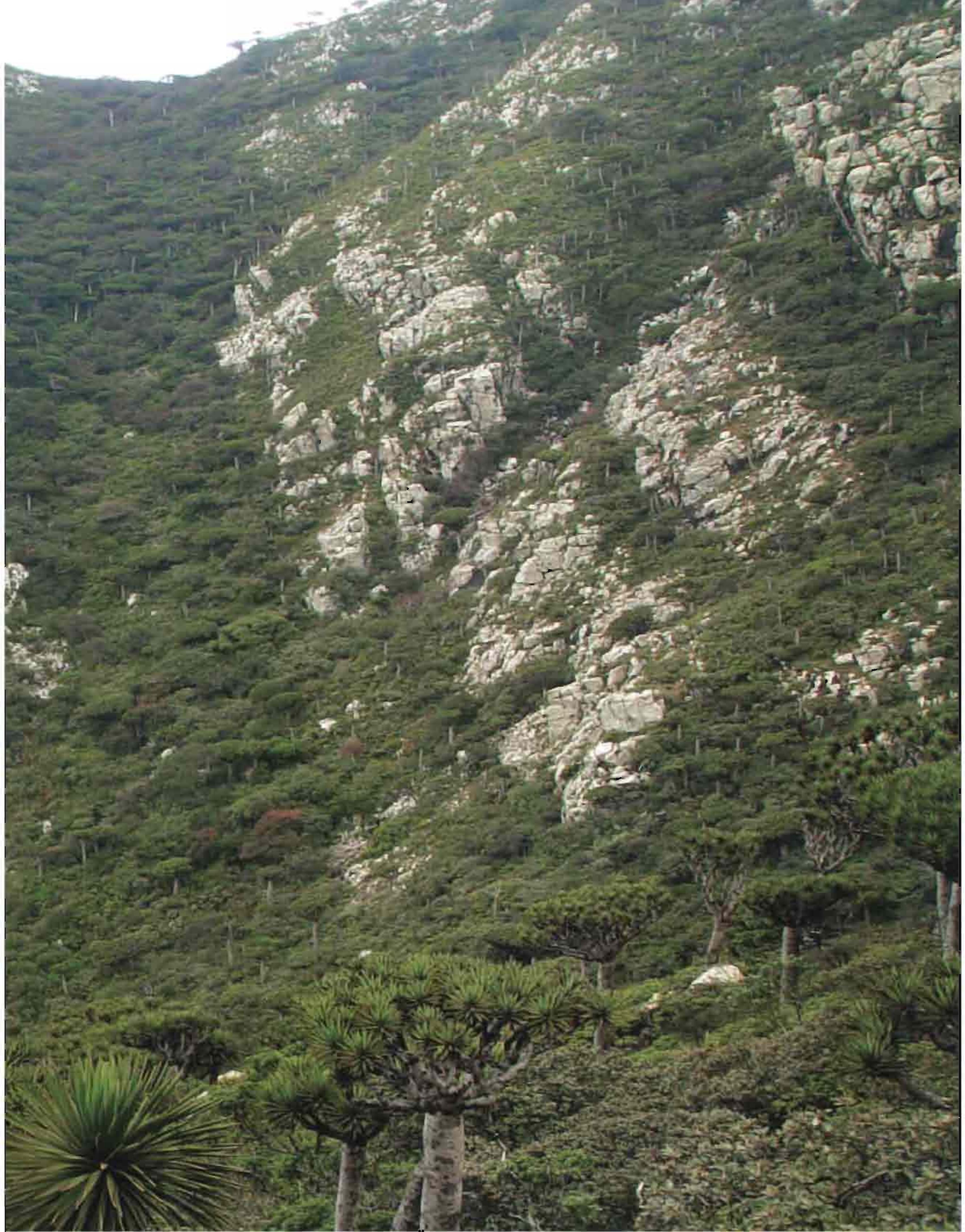
وفي جزيرة سقطرى شاهدت على سفوح جبال حِجْهر شجرة كبيرة من نوع البوت (*S. fimbriatum*) ترتفع نحو ٧م ، وهي تشبه البوت في نظامها الزهري والثمري، ولكن غير شائكة، وأوراقها أكبر بنحو الضعف من ورق البوت. يسمونها (صُمَع أو صَوْمَع) .





● صُمَع . شجرة من نوع البوت تنبت على قمم جزيرة سقطرى _ *S. fimbriatum*

(١) النَّبات ٥ / ٥٠ . وينظر : المخصص١١ / ١٤٥، والجمهرة ١ / ٢٥٧، والتكملة ١ / ٣٠٣، واللسان ١ / ٥٣٣ ، والقاموس ١٨٩ ، والتاج ١ / ٥٢٨ (بوت) .





مرتفعات حِجْهِر (الحجارة) في جزيرة سقطرى

التَّأْلَبُ



ذكره أبو زيد في (كتاب الشَّجر والكلأ) فأخبر أنه من نبات تهامة، ينبت في الجبال والأودية، وأنه من أحسن الأشجار وخيرها (١) .

وقال أبو حنيفة : ((الواحدة تألبة، وهو من عُتُق العيدان التي تُتَّخذ منها القسيّ... ومنابته جبال اليمن، هذا قول الرواة. وفي منابته في الجبال قال الهذلي:

فأزالَ ناضحَها بأبيضَ مُفْرَط   من ماء أَلْهَاب بهنّ التَّألَبُ

واللِّهْب: المهواة بين النِّيقين (٢) . وأَخبرني أعرابيّ أن للتَّألب قطراناً... قال: وللتَّألب عناقيد كعناقيد البُطْم، فإذا أدرك وجفّ اعتُصر للمصابيح، فهو أجود لها من الزيت. قال: وتقع السُّرْفة في التألبة فتعريها من ورقها)) (٣) .

وقال : ((فأما القطران فإن الذي يتخذ منه بأرض العرب يتخذ من ثلاث شجرات، وهي العَرْعَر والعُتُم والتَّألَب، ولا أعلم يتخذ (٤) هناك من غيرها. وإنما يتخذ من عروق هذه الشجر وأعجازها فقط (٥) .

وحكى عن بعض الأعراب: ((أن قطران التَّألب رديء يُجْرِب، ولكنهم يغشُّون به الجيد ليثخن . قال : والناس يعجبهم خثورة القطران)) (٦) .

وقال الهَجَري: ((وخير ما تُعمل منه القسيّ عند مُزينة وبلحارث ومن والاها من التَّألِب)) (٧) .

وقال الهمداني في كتاب ((الجوهرتين)) تحت باب ((إخلاص الفضة)) : ((وخير ما أُخلص به من الفحم فحم القَرَظ، ثم البَشام والتَّألب)) (٨) .

التَّألَب

Rhus retinorrhoea



ANACARDIACEAE - الفصيلة البُطْميَّة

قلت: التَّألَبة، شجرة جميلة، دائمة الخضرة، تنبت في الشواهق، بين الأجمات والشقوق الصخرية، وتشاهد بوفرة تحت قمم الأشعاف، على ارتفاع ١٤٠٠ - ١٩٠٠م .

تسمو التالبة من أصل واحد، يتفرع، في الغالب، إلى سيقان كثيرة نحيلة متفرقة في استقامة واستواء بطول ٢ - ٤م .

أوراقها مكونة من ثلاث وريقات، على هيئة مخلب الطائر، أطرافها تامة، تنتهي برؤوس مستدقة أو شبه حادة، تكون في أول ظهورها خضراء فاتحة زاهية اللون، فإذا تقادم عليها العهد بهت لمعانها، وصارت إلى خضرة غامقة. وتُعلف للأغنام في أزمنة الجدب .

أزهارها صفراء مخضرة صغيرة الحجم، تظهر في عناقيد كأزهار الضرو أو البطم، والنحل يجرسها، فلا يجني منها العسل، لكن العكبر الذي يسميه أهل السَّراة (الرَّدْم)، وهو غذاء يتكاثر عليه النحل، ويبني منه أقراص الشَّمع . وثمارها خضراء صغيرة مفلطحة الشكل، في حجم حبة البُلْسُن (العدس) تظهر خضراء، وعند النضج يتحول لونها إلى الصهبة اللامعة . وكانت تؤكل في أزمنة الجوع السالفة على استحياء وخفية. وفي فصل الصيف تفرز التألبة أحيانا، صمغا قليلا أصفر اللون، طيب الرائحة .

ويتخذ أهل السَّراة من أغصان هذه الشجرة الهراوى والعصي الجيدة. وقد يتخذونها للدباغة، ومثلهم أهل جبل ورقان، ودباغها يُحمِّر الجلد كالعِرْن. وقد يتخذون منها القطران، إذا لم يتيسر لهم ما يكفي من أعواد العتم أو العرعر، وربما خلطوا الثلاثة معاً . وأعوادها اليابسة وقود جيد لاسيما جذوعها العتيقة .

وينطق التألب في معظم مناطق السَّراة (التَّألب) بتسهيل الهمز، وكذا سمعته من أهل جبل شمنصير من سُليم . وكذلك يُنطق في كثير من أقاليم اليمن . وسمعت بعض أهل جبال بُرَع اليمنية ينطقونه (التَّوْلَب) بإبدال الألف واوا .

وفي جبل مَنْعا من ديار بني شهر قرية تسمى التَّالبة، وهي من منابت هذه الشجرة. وفي جبال الفقرة غرب المدينة المنورة شِعْبان يسمى أحدهما (شعب التَّألب الأعلى) والآخر (شعب التَّألب الأسفل) وسألت عن التَّألب أهل هذه الشِّعاب فلم يعرفوه، فالظاهر، والله أعلم ، أنه انقرض منها، وبقي اسمه علما على المكان الذي كان ينبت فيه .

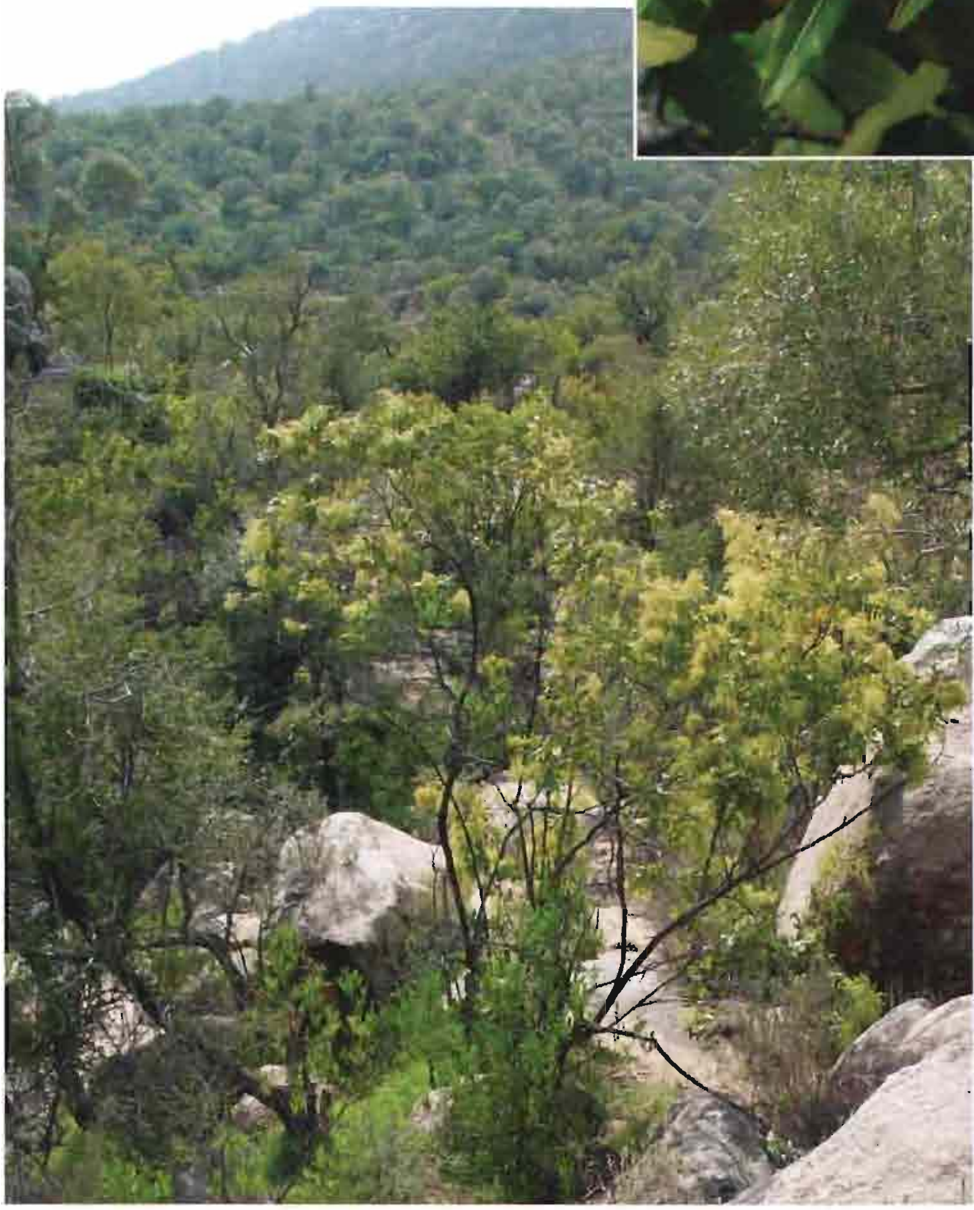
والسرُّفة التي ذكرها أبو حنيفة يرقة سوداء مكسوة بشعر كثيف أبيض، تظهر على التألب، فتعريها ، كما ذكر، من أوراقها . وتظهر، كذلك، على الضرو والبطم والعرتن، ولكنها على التألب







أكثر. وكنا نتحاشى القرب من التألب إذا ظهرت عليه، فإنها تفرز مادة كيماوية إذا لامست الجسد ألهبته وآلمته، وسببت طفحا وحِكّة شديدة، تدوم ساعات وربما أياما، ثم تزول . وما زالت هذه الحشرة تسمى السُّرْفَة في معظم ديار بالحارث وبني سعد وبني سفيان من ثقيف . وتسمى في ديار بني عمر (المِرّ)، وفي بعض ديار غامد تسمى (الكَشَّة) وفي خثعم (الكُشَّة) بضم الأول وفتح الثاني، لعلهم أخذوه من الكُشَّة، وهي الخصلة من الشعر. وفي رجال ألمع من تهامة عسير يسمونها (السَّراة) وفي جبال الفقرة (المُشْرِيَة)، وتسمى في سراة زهران وجبال فيفا وشدا الأعلى (الشَّرْوَة) وكذلك تسمى شجرة التألب في شدا الأعلى، أخذوه من الشَّرَى، وهو الطفح الذي يظهر على الجلد عقب الاقتراب من تلك اليرقات. ويعمد بعض أهل فيفا إلى قطع غصن من





أعداد كبيرة من السرفة تلتهم أوراق التألبة بنهم شديد



السرفة في مرحلة التحول إلى شرنقة





● التألب ٢ _ *R.abyssinica*



أغصان تألبة غير مصابة، فيضعونه على رؤوسهم، ويقتربون من الشجرة المصابة أو يمرون من تحتها فلا يصلهم منها أذى .

وفي شدا الأعلى، يطلقون لفظ التألب على نوع آخر من هذا الجنس (*R.abyssinica*) وهو نوع نادر يشبه التألب كثيراً، ينبت في منابته، ويرتفع ارتفاعه، أو يزيد قليلاً، أوراقه ثلاثية كالتألب، إلا أنها أعرض وأسمك، ذات مظهر شبه بيضاوي، وخضرتها قاتمة غير لامعة، مغبرة من الخلف، وأحيانا من الأمام. تخرج أزهاره من آباط الأوراق ، في هيئة عناقيد على رؤوس الأغصان. وثمره أكبر قليلاً من ثمر التألب . ورأيت هذا النوع أيضا، ينبت إلى جوار النوع السابق في جبال فيفا، وأهل هذه الجبال يطلقون التألب على النوعين،



● التألب ٣ _ *R. natalensis*

أصدار قرية حزنة على ارتفاع ١٥٠٠م . ثم في وادي الجوف من جبل شدا الأعلى على ارتفاع ١٤٠٠م .

وفي شهر محرم من عام ١٤٢٣هـ شاهدت فوق القمم العالية من جبال قدس نوعاً رابعاً من التألب (*Rhus khashash*) (٩) وهو شجرة نادرة، تشبه التألب في نظامها الزهري والثمري وطريقة التفرع، وكذلك تشبهه في نظامها الورقي إلا أن أوراقها أصغر قليلا من ورق التألب، وأقل لمعة منه، وأطرافها العلوية مقسمة إلى ثلاثة فصوص كأوراق العرتن، وربما تامة كالتألب، يصل ارتفاعها إلى نحو ٣ – ٥م، وهي مثل التألب، ليس لها أشواك، وأغصانها الحديثة تظهر بلون بني فاتح إلى غبرة يسيرة. و تقع عليها السُّرْفة، أيضا، فتعريها من أوراقها كافة. وسمعت أهل تلك الجبال يسموها (الهَيْشَر) وذكروا أنهم يستعملونها كالعرن في دباغة الجلود. ثم شاهدتها في جبال الفقرة، حول نبعٍ صغير، في الثلث الأول من طريق عقبة إدْمدم المنحدرة إلى الصديِّرة وينبع . وسألت عنها رجالا من بني كلب مَن جهينة، فأخبروا بأنها تنبت بأعداد قليلة في جبل الصمَّيْمَة بين الطُّوْر والكويرة. وأهل تلك الجبال من جهينة وحرب يسمونها جميعا (الخَشَاش). وهي عندهم، مع ندرتها، من أهم أشجار الوقود والفحم، وذلك ينذر بزوالها . ثم شاهدت التألب إلى جوار الخشاش بأعداد قليلة جدا حول قمم ورقان العالية، وأهل هذا الجبل يسمونهما جميعا (الخَشَاش) ولا يفرقون . وأخيرا شاهدت النوعين على سفوح جبل رضوى، فسمعت دليلي إلى هذا الجبل يسمى التألب خشاشا، ويسمي النوع الآخر (العِرْن القُطني) ونعته بالقطني، للتمييز بينه، وبين العِرْن الشائك .

وسمعت أهل جبال مدين يطلقون الخَشَاش على شجيرة متسلقة من فصيلة القَمَرِيَّات، هي الكَتْنَة (*Cocculus pendulus*) وأما أهل وادي ضِيْم من تهامة هذيل جنوب شرق مكة فيطلقونه على إثرار المنخفضات (*Maytenus heterophylla*) وقد تقدم .

وفي جزيرة سقطرة شاهدت نوعين من التألب متوطنين، أحدهما (*R. Tenuinervis*) أوراقه مفردة ، لا يزيد ارتفاعه في الغالب على

ولا يفرقون، وأما في رجال ألمع فيفرقون بينهما، وذلك بتسمية الأخير (تألب القرود) .

وفي جبل شدا الأسفل يطلقون التألب كذلك، على نوع ثالث من هذ الجنس (*R. natalensis*) رأيته تحت ذي هدى في الطريق إلى وادي الأحسبة ، على ارتفاع ٨٥٠م، وهو نوع نادر قليل الانتشار، يشبه التألب في نظامه الزهري والثمري، وكذلك أوراقه، لكنّ خضرتها مغبرة غير لامعة، وأطرافها قصيرة شبه بيضاوية. ولها رائحة مميزة تختلف تماما عن رائحة أوراق التألب، وتشبه، إلى حد ما، رائحة أوراق الضرو . ثم رأيته في الخَشْعَة أعلى وادي أُجًا من



● الخَشَاش _ *R. khashash*





الخشاش _ غصن غض مزهر

● زُوْرِف (التألب في جزيرة سقطرى) _ *R. somalensis*





مترين . رأيته بأعداد كبيرة جدا في سفوح جبال حِجْهر ومَرْقدو، بل يكاد يكون هو الشجرة الوحيدة في مرقدو . ويسمون هذا النوع (زُوْرِف) وهو شديد الشبه بالنوع الذي ينبت في جبال ظفار (*R. somalensis*) ويسمى بلغتهم المهرية (زِرْفيت) وآخرون (ضِرْفيت) وكانهم خلطوا بينها وبين الضرفة التي يسمونها كذلك ضرفيت، لتشابه الشجرتين في حجم الورقة ولونها. والنوع الآخر (*R. thyrsiflora*) ثلاثي الأوراق، وسمعت دليلي إلى جبال سَقَنْد يسميه (زِرْكين) ويطلق الاسم نفسه على شجرة أخرى من فصيلة الصابونيات (*Allophylus rubifolius*) لها أوراق ثلاثية كأوراق التألب، وثمارها تتدرج من الخضرة إلى الصفرة ثم الحمرة عند تمام النضج ، تظهر من آباط الأوراق في عناقيد صغيرة، كهيئة ثمار التألب، وغير الخبير يظنها تألبة. وهي من نبات جبال ظفار، ويسمونها هنالك (زِرْكِين) أو (زِرْكِيْم) .

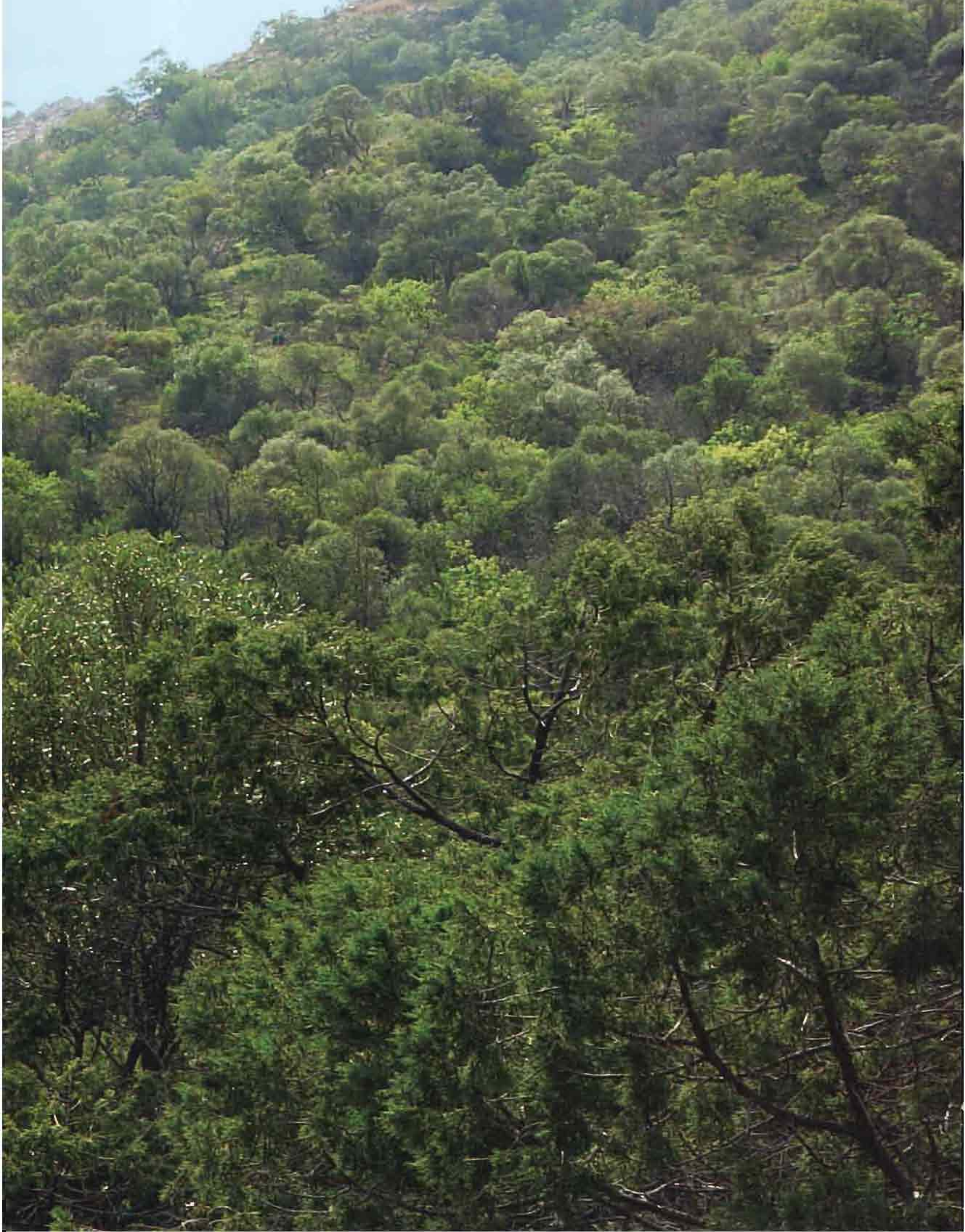
---

(١) الشجر والكلأ ٧٢، ٧٥ . (٢) أي بين القمّتين . (٣) النَّبات ٥ / ٦٧،٦٨ . (٤) كذا . ولعله : أنه يتخذ ..

(٥) النَّبات٣ / ٩٩ . (٦) النَّبات٣ / ١٠٠ . (٨) التعليقات والنوادر٣ / ١٠٥٧ .

(٨) الجوهرتين ١٥١ . وينظر : ديوان امرئ القيس ٢٠٣، وديوان زهير ٢٧٩، وجرير ١ / ٤٩١، والتيجان ٢٩٢، والنَّبات للأصمعي ٥٨، وأسماء جبال تهامة ٤٠٧، والغريب المصنف ١ / ٤١٩، وشرح أشعار الهذليين ٣ / ١١٥٠، والمنتخب ٢ / ٤٦٢، ٥٠٦، والمجرد١ / ٣٠٣، والمخصص١١ / ١٤١،١٤٢، والعمدة ١ / ١١٢، وشرح كفاية المتحفظ ٤٩٦ . وذكرت المعاجم التألب في مادة (ألب) على أن همزته أصلية، وتاءه زائدة، ووزنه ((تَفْعَل)) كما في الصحاح ١ / ٨٨، والعباب (ألب) واللسان١ / ١٧٧، والقاموس ٧٦. كما ذكر أيضا في مادة (تألب) على أن التاء أصلية ووزنه (فَعْلَل) كما في شمس العلوم ٢ / ٧٩٦، واللسان ٢ / ٩، والقاموس ٧٨ . قال الفيروزآبادي : ((وهذا موضع ذكره)) . وينظر أيضا : اللسان (شحط) ٧ / ٤٦، (عضض) ٩ / ٢٥٨، (عضه) ٩ / ٢٦٣، والتاج (تألب) ١ / ١٥٥.

(٩) اسم النوع من وضع المؤلف .





أ. السويداء غابة من التألب والعتم والعرعر _ قرب ترعة ثقيف

التَّنْضُب



قال أبو حنيفة: ((الواحدة منه تَنْضُبَة، وتجمع التَّناضب، والتَّنْضُب، والقليل تَنْضُبات . قال أبو نصر: التَّنْضُب له شوك قصار، قال : ودخان التَّنْضُب أبيض؛ ولذلك شُبِّه الغبار به، وقال غيره: في ورقه تقبّض، وعيدانه بيض، وقال بعض الرواة: التَّنْضُب من شجر القفاف، وتتخذ منه القسي، وقد وصفنا ذلك في باب القسي، ووصفنا بياض دخانه في باب الزناد والنيران والأدخنة، وقال أبو زياد: الحرابي تألف التَّنْضُب، قال: وربما رأينا التَّنْضُبة فيها عدّة من الحرابي الخُضر لا نحصيها، قال: وفي ذلك يقول الشاعر، وهو مثل من أمثال العرب:

أَنَى أُتيحَ له حرْباءُ تَنْضُبةٍ   لا يُرْسلُ السَّاقَ إلا ممسكاً ساقا

ويقال لثمرة التَّنْضُب: الهُمَقِع، والواحدة هُمَقعَة ...وقال أبو زياد: التَّنْضُب شجر ضخام ليس له ورق، وهو يسوّق ويخرج له خشب ضخام وأفنان كثيرة، وإنما ورقه قضبان، تأكله الإبل والغنم؛ تمشق أعالي قضبانه، وله شوكة قليلة صغيرة تأكلها الإبل والغنم)) (١) .

وقال في حديثه عن القداح : ((وتتخذ من التَّنْضُب، وهو عود خوّار أبيض، إلا أنه طويل الأغصان، تتخذ من الغصن ثلاثة أقداح)) (٢) .

التَّنْضُب

Capparis decidua

الفصيلة الكَبَرِيَّة - CAPPARACEAE





قلت: التَّنْضُبة، شجرة شائكة واسعة الانتشار . تنبت في القيعان، والسهول الساحلية، وبطون الشعاب، وضفاف الأودية، حتى علو ١٥٠٠م.

ترتفع التَّنْضُبة على جذع بني مغبر بطول ٢ – ٤ أمتار، وأغصانها خضراء مصفرّة أو مغبرة، تحتمي بأشواك صغيرة حجناء متباعدة ، لكنها حادة مؤذية، يصعب التخلص منها . أوراقها قليلة صغيرة ، تورق وهي نبتة صغيرة، ثم تنحت أوراقها إذا كبرت، فتظهر أغصانها جرداء كثيفة متشابكة . تُرى من بعيد فتشتبه بالمَرْخ . أزهارها كثيفة جداً، تظهر على شكل قبعات كتلك التي يلبسها بعض النساء الأوروبيّات، وهي وردية اللون، لا رائحة لها، تتحول قبل الذبول إلى اللون البرتقالي، يجرسها طائر التمير الأزرق، وأنواع من الحشرات. وترعاها الإبل والغنم بنهم شديد. والثمار كروية أو بيضاوية في حجم الحمصة





أو أكبر قليلاً، تبدو خضراء، ثم تؤول عند النضج إلى اللون الأحمر أو الوردي أو البرتقالي المشوب بحمرة يسيرة، وفي داخلها عدد من البذور مغلفة بلب برتقالي اللون، تأكلها الإبل والغنم وأنواع كثيرة من الطيور، ولاسيما البلبل النُّغْري (القُرع) رأيته يقع عليها بأعداد كبيرة . وقد يأكلها الناس كذلك، وأكلتها فألفيت طعمها مستساغاً، مع حرارة يسيرة تقرص اللسان قليلاً ثم تزول .

وهي مأوى مألوف لأنواع من الأفاعي والثعابين الخطرة؛ تأوى إليها للاحتماء بأغصانها الشوكية المتشابكة، أو لاقتناص الطيور والحشرات التي تقع على أغصانها؛ ابتغاء رحيقها أو ثمارها .

وفي نواح من بادية غامد يصنعون من جذع التنضبة







خاصة خِيَ البعير ، ويعدونه من أفضل المراكب لخفته وقوته . ويتخذون من أغصانها القطران. وفي سراة بني عمر قوم كانوا يستعملون خشبها المتفحم في صناعة البارود، ويعتقدون أنه يكسبه قوة انفجارية شديدة، وذكر لي أحد المعمرين أنه أسرع اشتعالاً وأقوى على تفجير أعظم الصخور وأصلبها من البارود المصنوع من فحم العرعر أو القفل أو غيرهما، باستثناء فحم العُشَر الذي يماثل التنضب في قوة الانفجار وشدته .

ومن جبال رضوى جبل يعرف بجبل التَّنْضُب، وهو من منابت هذه الشجرة، فأضيف إليها. وفي جبال الفقرة شعاب تسمى التَّنْضُب . وهي، كذلك، من منابته، فسميت به .

وينطقه أهل عقيق غامد (التَّنْضَب) بفتح التاء والضاد معًا، وأهل تهامة عسير وجازان وبعض تهائم اليمن يسمونه (السَّدَاد) ويعتقد بعضهم أنه مأوى للجن أو الأرواح الشريرة، وينسجون حوله حكايات وأساطير خرافية عجيبة .

---

(١) النَّبات٥ / ٦٦، ٣ / ١٥٤.
(٢) النَّبات٣ / ٣٤٠ . وينظر : ديوان جرير ١ / ٤٩١، وأسماء جبال تهامة ٤٠٠، والنَّبات للأصمعي ٣٤، والغريب المصنف ١ / ٤٢٣، والجيم١ / ٢٤٦، والمنتخب ٢ / ٤٦٣، وصفة جزيرة العرب ٢٦٩، والخصائص ٢ / ١٦٧، وصفة جزيرة العرب ٢٤٧، والتعليقات والنوادر ٣ / ١١٨٩، والمخصص١١ / ١٨٨، ومجمع الأمثال ١ / ٣٧٦، والعمدة ١ / ١١٧، وشرح كفاية المتحفظ ٤٩٧، وتهذيب اللغة ١٢ / ٤٧، والصحاح١ / ٢٢٦، واللسان ١٤ / ١٧٢، والقاموس ١٧٧، والتاج ١ / ٤٨٩ (نضب) .







التَّنْعِيْم

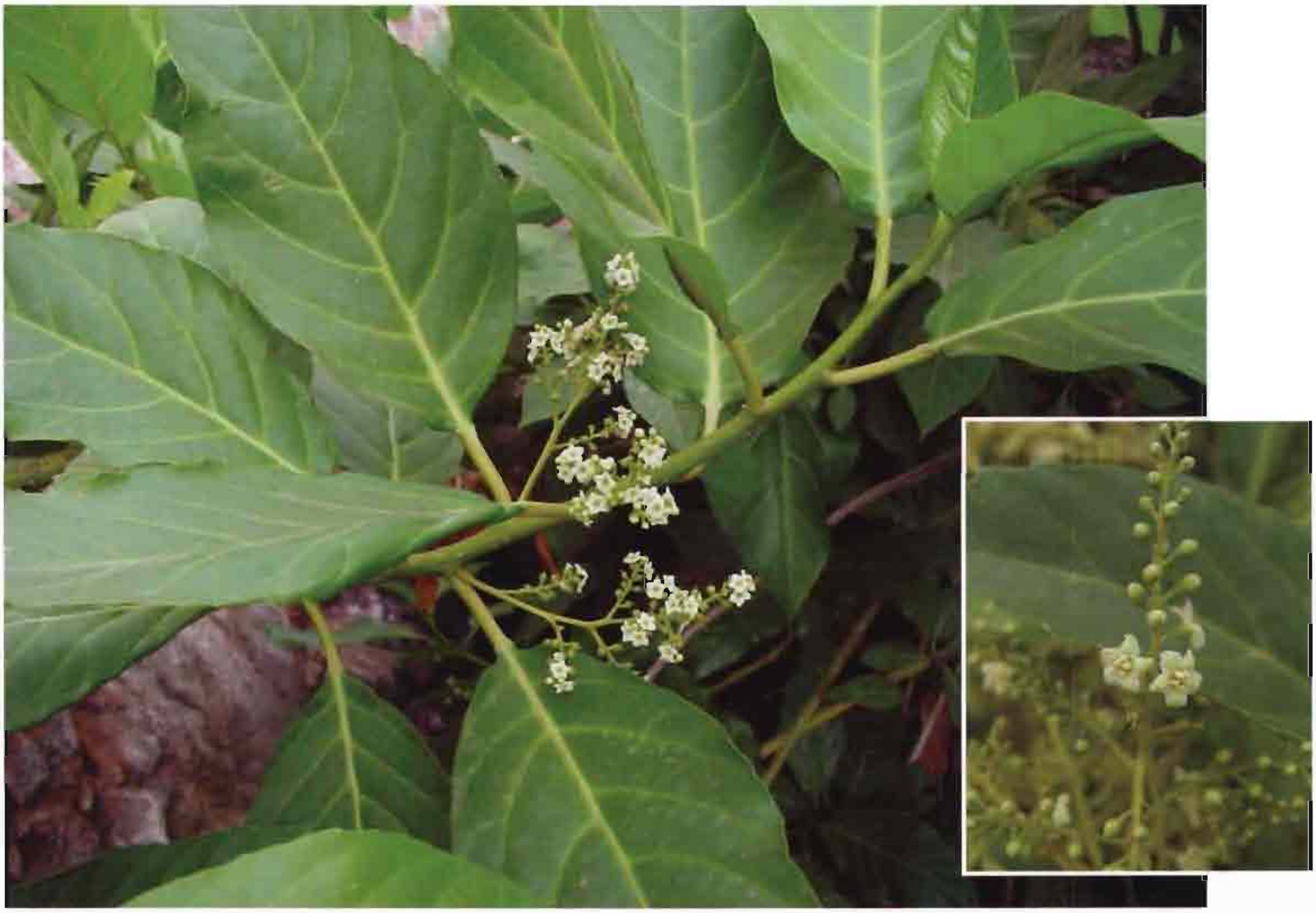


قال أبو حنيفة : ((التَّنْعِيْمة: شجرة عظيمة، دون الضَّبرة، إلا أنها أنعم ورقًا، ورقها مثل ورق السِّلْق، ولا تنبت إلا على ماء، ولا ثمر لها، وهي خضراء، غليظة السَاق . ويقال : أظلُّ الظِّلال ثلاثة : ظِلُّ الضَّبِرة، وظِلُّ التَّنْعِيْمة، وظِلُّ الحَجَر)) (١) .

التَّنِعيم

Maesa lanceolata

الفصيلة الكَتَميَّة - MYRSINACEAE

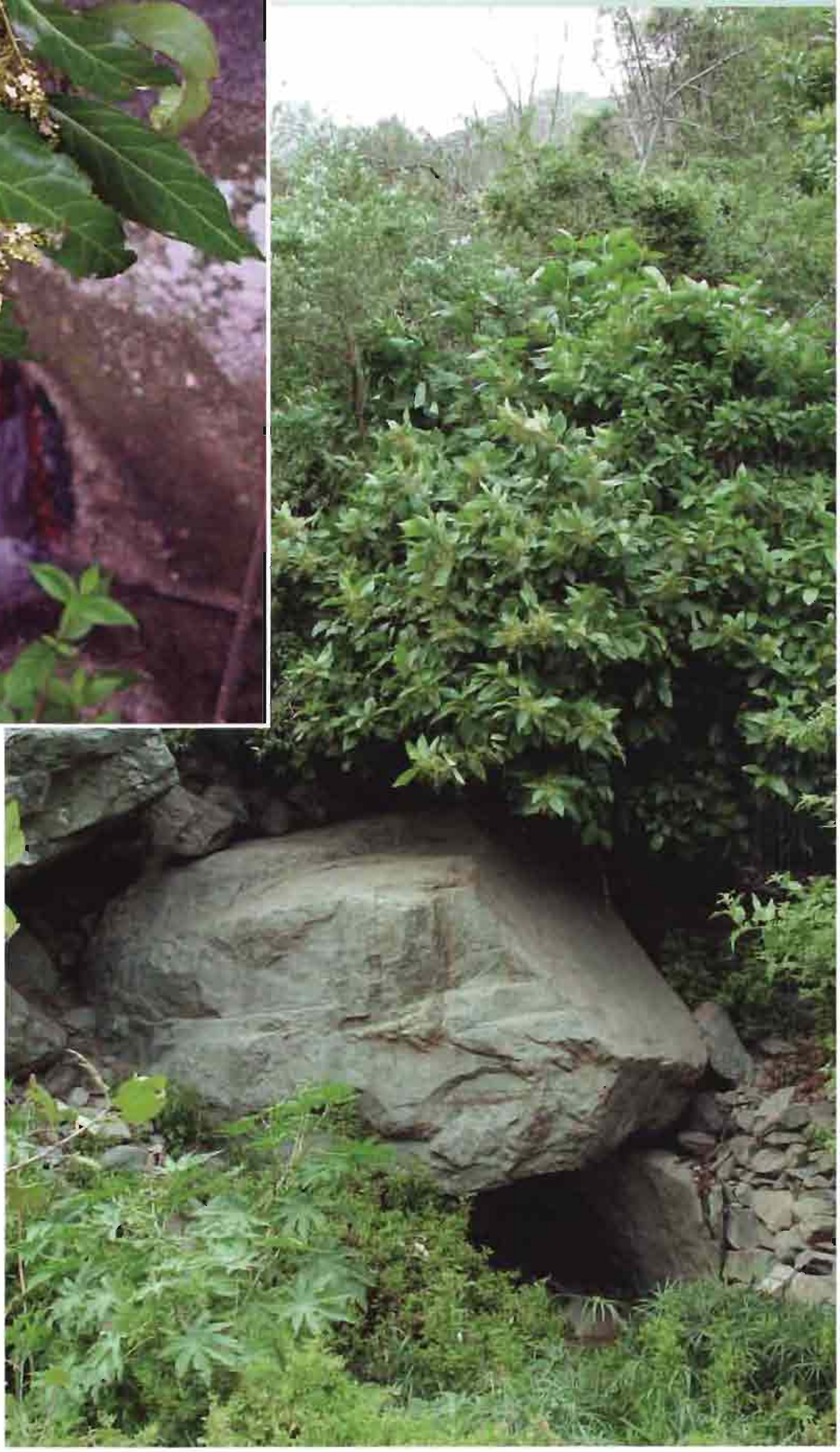


قلت: التَّنعِيْم، والمفرد: تَنْعِيْمة، شجرة جميلة ريَّانة شديدة الخضرة . تنبت في بطون الأودية فوق الينابيع الجارية أو قريبا منها. وأكثر منابتها الأصدار، على ارتفاع ١٥٠٠ - ١٨٠٠م . ورأيتها على ارتفاع ٢٢٠٠م في منتصف جبل إبراهيم من ديار بجيلة (بني مالك) وكذلك على ارتفاع ٢٣٠٠م بأعلى عقبة ريدة غرب مدينة أبها .

ترتفع التَّنعيمة عن الأرض قدر ٥ - ١٠ أمتار، وأوراقها كبيرة مسننة ناعمة متماسكة، لها ظل كثيف بارد، من أحب الظلال إلى الناس . وزهرها أبيض صغير في عناقيد، له رائحة عطرية خفيفة، ولها، بخلاف قول أبي حنيفة، ثمر حبوب، في حجم حبة الذرة الصغيرة، تظهر خضراء، ثم تؤول عند تمام نضجها إلى اللون الأشهب أو الأبيض المشوب بصفرة قليلة .

تتفرع التَّنعيمة، في الغالب، أفنانا كثيرة من أصل واحد، ورأيت لها جذعا ضخما يزيد طوله على خمسة عشر مترا في الحَبَلَة من ديار قحطان . وعودها ناخر كالأنبوب، كانوا يتخذون منه المكاحل والمزامير ومنافيخ النار، وكان الصِّبية يقتطعون منه قدر ٢٥سم، فيسدون ثقبه الأعلى ببعرتين أو ثلاث، أو بقليل من الطين، ثم يطرقونه طرقاً شديداً بعود





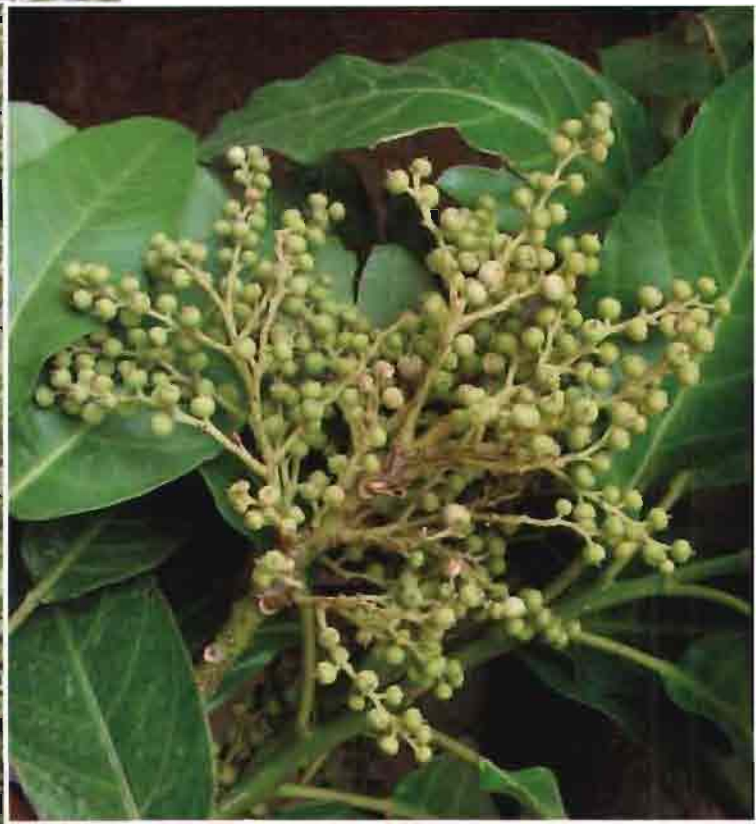


مستقيم يأخذونه من شجيرة تسمى النِّيْم، فيمتلئ التجويف بالهواء، ثم يكبسونه براحة اليد، فيندفع الهواء ضاغطا على تلك السَّدادة، فتنطلق محدثة فرقعة تخيف الطيور والقرود حول مزارعهم، وقد يفعلون ذلك ما غايتهم إلا اللعب والتصابي .

وكانوا يسدون بأوراقها مفجر الكظائم بعد الانتهاء من سقيا الزرع، وربما رعتها الأغنام في الجدب. وفي جبال العبادل يضعون أوراقها فواصل بين ثمار الحُمَر عند تعبئتها وتخزينها، وتضعها المرأة منهم على وجه الرغيف قبل إدخاله التنور (المِيْفا) فيخرج ناعم الوجه غير محترق من الحرارة الزائدة .

وهذه الشجرة تسمى (التِّنْعمان) في تهامة خثعم وعسير، وفي بجيلة (بني مالك) (التَّنَاعِمي) . وهي (الغَيْبَان) في أعالي وادي راش من ديار بني عمر، و (الخِرْوَع) في الحبلة من ديار قحطان؛ أخذوه من عودها الهش الخَرِع . وفي جبال العبادل يسمونها





(الخَمْضَع) وأكثرهم ينطقها (الخَمْشَع) بقلب الضاد شينا، ولكنهم جميعاً يكتبونها بالضاد ، وهي (الهَدَان) في جبال الريث، وينطقها آخرون (الهَدَال) باللام؛ لقربها من النون في المخرج . وفي اليمن سمعت أهل جبل صَبِر يسمونها (المَعَس) ورأيتها في ذلك الجبل على ارتفاع ٢٨٠٠م، بعيدا عن بطون الأودية، في السفوح وأطراف الحقول الزراعية .

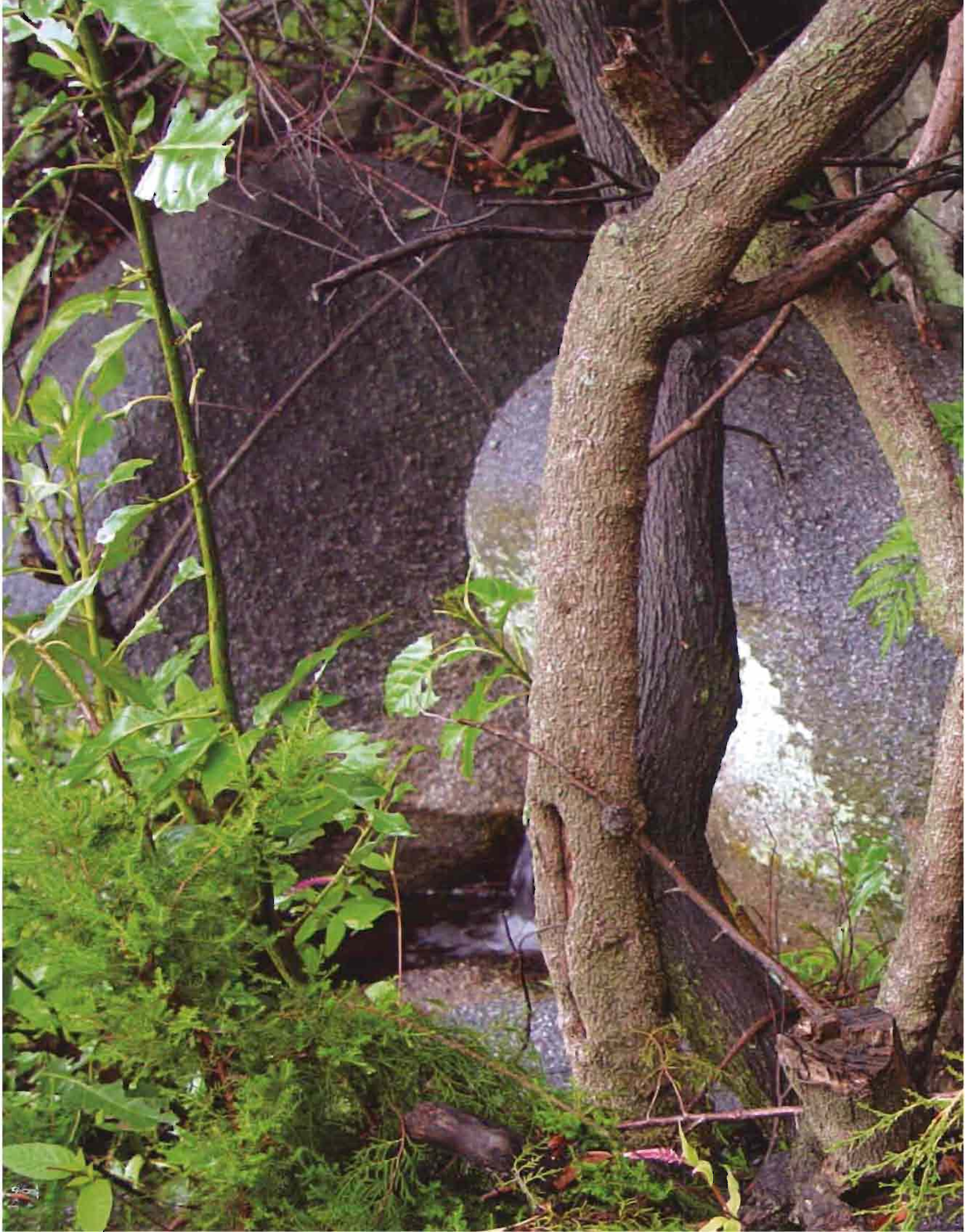
وأما التنعيم في تهامة خثعم وعسير وجازان وبعض تهائم زهران وبني عمر وفي شدا الأسفل، فهو اسم لشجيرة من الفصيلة الكبرية (*Cadaba glandulosa*) سيأتي الحديث عنها في رسم السَّرْح، بإذن الله تعالى .

---

(١) النَّبات ٥ / ٧٢ . وينظر : المخصص ١١ / ١٦٦، ١٦٧، والعمدة ١ / ١١٧، والصحاح٥ / ٢٠٤٤، والمحكم ٢ / ١٣٩، واللسان١٤ / ٢٠٨، والقاموس ١٥٠١، والتاج ٩ / ٧٨ (نعم) .

التنعيمة على نبع ماء _ جبل إبراهيم شمال منطقة الباحة





الثُّعب



قال أبو حنيفة : ((الثُّعْب،والواحدة ثُعْبَة، وهي شبيهة بالثُّوَعة، إلا أنها أخشن ورقاً، وساقها أغبر، وليس لها حمل، ولا منفعة فيها، وهي من شجر الجبل، تنبت في منابت الثُّوْع، ولها ظِلٌّ كثيف)) (١) .

الثُّعب

Combretum molle



COMBRETACEAE - الفصيلة الثُّعبيَّة

قلت: الثُّعْبة شجرة ضخمة ظليلة، منابتها أصدار السراة، في بطون الأودية وشطآنها، وربما نبتت في السفوح، على علو ٩٠٠ – ١٥٠٠م.

تنمو الثُّعْبة في غير ما استقامة على جذع بني مصفر يعلوه غبرة يسيرة، بارتفاع يصل إلى نحو ٧ – ١٥م، وتظهر الأغصان الحديثة بلون أخضر يصفر مع التقادم، والأوراق خضراء كبيرة، تنحت شتاء، تشبه ورق (الجوافة) يحتشها الرعاة لأغنامهم عند الجدب وقلة المرعى، وتعلف كذلك للبقر، وربما استعملت في بعض أقاليم عسير لمنع الحمل. وأزهارها صفراء صغيرة تخرج في عناقيد صغيرة، كفاغية الحناء، لها رائحة طيبة فوّاحة، والنحل ينتابها كثيراً، فيجني منها عسلاً أحمر اللون غير مشتهر، وهو شديد التركيز، يُصاب آكله بالصمم لوقت قصير، ثم يزول من غير سوء. ولها ثمر شبيه بثمر الشّث، لكنه رباعي الأجنحة، يبدو أخضر، ثم يؤول عند النضج إلى اللون الأخضر المصفر، ثم البُني، وربما كانت حمراء مصفرة، كثمار الشث تمامًا.

وعودها مع ضخامته غير صلب، يهرت سريعًا، والربية تنخره، وهي نوع من النمل الأبيض يفتك بالخشب، فلا يستخدم في تسقيف البيوت إلا للضرورة،







وذلك حين لا يجد ساكنو الأصدار ما يكفي من أخشاب العرعر أو العتم ؛ لعلو منابتهما.

وينضح جذعها وأغصانها الكبيرة العلوية صمغًا أسود تأكله القرود، وقد يأكله بعض الناس للتداوي من آلام المعدة والعضلات، وربما أسهل آكله، وهو مر؛ تفوق مرارته صمغ العَصَر (المُر) ويستعمل في نواح من السَّراة بخوراً، فيفوح برائحة ذكية، ويستعمل في مناطق من اليمن غراء للكتب والمصاحف .

وتُنقع الجلود بعد دباغتها في ماء هرسوا فيه ورق الثعب، فتكسبه رائحة طيبة تدوم طويلاً، وفي جبل شدا الأسفل، يستعملون ورقها بعد تساقطه وييبسه في دباغة الجلود .

وليس بين الثُّعْبة والثُّوَعة، بخلاف ما رواه أبو حنيفة، شبه يمكن ملاحظته، إلا أنهما قد ينبتان معاً، ثم ترقى الثعبة إلى حيث لا ينبت الثوع .

وسماها أحمد عيسى (٢)، والدمياطي (٣)، والعقيلي (٤) باللاتينية(*Ficus salicifolia Vahl*) وهو وهم، لأن هذا هو



● الثعب ٢ (القاع، القوع) _ *Terminalia brownii*





اسم الأثأبة، وليس الثعبة .

وتعرف الثُّعْبَة بهذا الاسم في ديار هذيل وزهران وبني مالك، وجبلي شدا الأسفل والأعلى. وأما في ديار بني عمر وتهامة خثعم فيسمونها (العُصَمة)، بضم الأول وفتح الثاني، وجمعها العُصُم، بضم الأول والثاني، وكذلك تسمى في جبال فيفا، وينطقونها (العَصِمَة) بفتح الأول وكسر الثاني، وينطقها أهل جبال العبادل (العَصْمة) بفتح العين وتسكين الصاد، وكذا سمعتها في جبال الريث والقهر، وجبل مُنْجِد، وسمعت رجلاً من أهل جبل الأيتام أحد جبال العبادل ينطقها (العَسْم) بقلب الصاد سيناً، وكذلك تسمى في بعض الأقاليم من جنوب اليمن .

وأما أهل تهامة عسير فهم يسمونها (القَاع) ويطلقون الثُّعْب على نوع آخر من الفصيلة نفسها (*Terminalia brownii*) وهي شجرة واسعة الانتشار في أغوار اليمن، وتمتد إلى الجنوب الغربي من تهائم وأصدار منطقة عسير، ولم أشاهدها في أغوار منطقة الباحة، وما جاورها باتجاه الشمال . وهي شجرة ضخمة تنبت في منابت النوع الأول، تسمى (القَاع) في تهامة بني شهر وجبال فيفا والرَّيْث والحَشْر، وهي (القُوْع) في جبال العبادل وسلا وجبال حَيْدان وحَجَّة باليمن، وأما أهل تهامة عسير فيسمونها كما تقدم (الثِّعْب) وينطقونه بكسر





الأول، وإسكان الثاني، وكذلك تسمى في جبال تعز باليمن، وينطقونه (الثَّعَب) بفتح الأول والثاني . ويُضم الأول في العُدَين من محافظة إب .

والنوعان يتشابهان إلى حد كبير في المنبت والحجم وشكل العود، وكذلك في الورق ونظام الإزهار، وربما ظهرت أوراقها في حجم بيضاوي أكبر. ولأزهارها رائحة طيبة أيضاً، ويجرسها النحل كذلك، ويجني منها عسلا أحمر اللون، حرِّيف الطعم، ويجرس منها أيضاً، العُكْبر فتكثر عليه فراخه، وعسلها إذا اجتمع مع الكعبر صار مر المذاق. وأزهارها بيضاء كثيفة جداً تبهج من حسنها الجبال . وأما ثمارها فتتميز عن ثمار النوع الأول بكونها أحادية الجناح، مسطوحة الجانبين، بيضاوية الشكل، لونها أحمر قاتم، أو بنفسجي، وفي وسطها نتوء به بذرة واحدة أو بذرتان . وعند نضجها تطير بها الرياح إلى مسافات بعيدة عن الشجرة .

وأخبرني دليلي الألمعي بأنهم كانوا ياكلون ثمارها في أزمنة الجوع، وهي لا تزال طرية، وربما أكلت في زمننا هذا للتفكه بطعمها الحامض . وأنهم يستعملون أوراقها في دباغة الجلود، ولحاءها في صبغ الثياب، إذ يُطبخ فيتحلل منه لون أصفر يُصبغ به، فلا يزول أبداً، ويشترطون في الزواج (الثوب المُثَعَّب) ويبيعون اللحاء في الأسواق، ويصدرون الفائض منه إلى أسواق شرق إفريقيا .

وفي جبال العبادل يتخذون من سيقانها خلايا خفيفة الحمل، يألفها النحل. وأخبرني رجل من تهامة بني شهر بأنهم يستخرجون من جوفها إذا يبست نخارة سمراء أو صفراء تخلط مع البخور، فينبعث منها دخان يفوح برائحة طيبة .

وفي ديار بني عمر وتهامة خثعم يطلقون (الثِّعْبة) بكسر الأول، وكذلك (الثَّعَّابة) على شجيرة جميلة من الفصيلة الحنائية (*Woodfordia fruticosa*) ترتفع نحو ١,٥م . أوراقها كثيفة شديدة الخضرة زاهية اللون، تشبه ورق الرمان، تتحول قبل أن تسقط إلى لون أحمر جميل ، تستعمل في دباغة الجلود، وهي من أجود ما يُدبغ به، تترك الجلد مرنا قويا غاية في النعومة. أزهارها حمراء قانئة جميلة، تشبه أزهار المظ، يجرسها





● الثَّعَّابة _ *Woodfordia fruticosa*

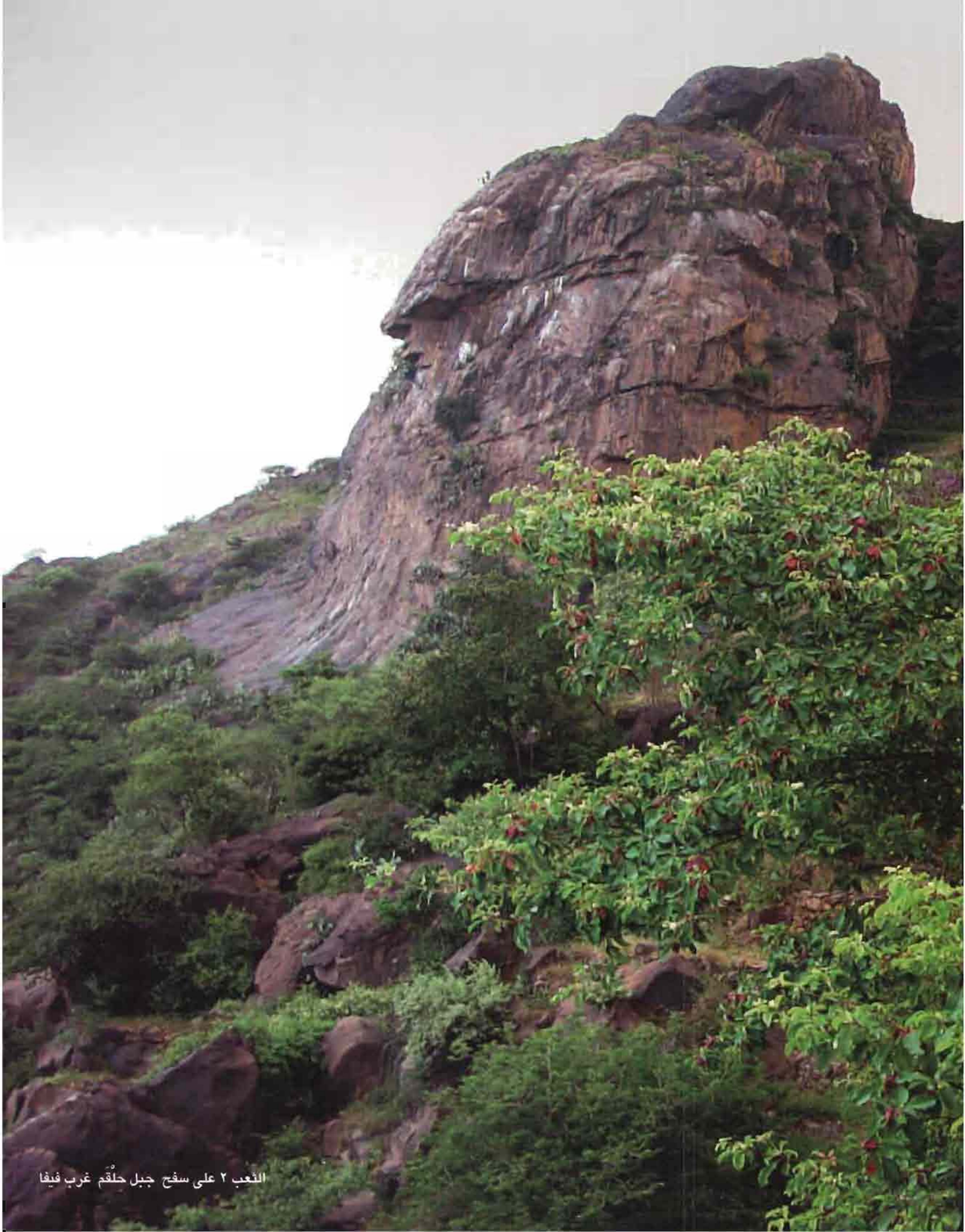
النحل، وثمارها أُسطوانية صغيرة تحتوي بذورا بنية كثيرة العدد. وخشبها وقود جيد. وأكثر منابتها بطون الشعاب والأودية الرطبة الظليلة الشديدة الانحدار، على ارتفاع ١٤٠٠ – ١٦٠٠م . وشاهدتها بوفرة على سفوح جبال ظفار، وهنا يسمونها (تُوْب) بتاء مفخمة، وكأنها محرفة عن الثُّعْب. وهي شجيرة صالحة لتزيين الأفنية والحدائق .





(١) النَّبات ٥ / ٧٥ . وينظر : المخصص١١ / ١٤٥، والعمدة ١ / ١٢٣، والمحكم٢ / ٧٠، والتكملة١ / ٧، واللسان٢ / ٩٨، والقاموس٨٠، والتاج ١ / ١٦٤(ثعب) .
(٢) معجم أسماء النَّبات ٨٣ .
(٣) معجم أسماء النَّباتات الواردة في تاج العروس ٣١ .
(٤) معجم أسماء النَّباتات في منطقة جازان ٣٥ .





الثعب ٢ على سفح جبل حلْقَم غرب فيفا

الثَّوع



قال أبو حنيفة : ((الثُّوَع شجر من أشجار الجبال عظام يسمو، وله ساق غليظة، وعناقيد كعناقيد البُطْم، وهو مما تدوم خضرته، وورقه مثل ورق الجوز، وهو سبط الأغصان، ولا ينتفع به في شيء، والواحدة ثُوَعَة)) (١) .

الثُّـوَع

Boscia angustifolia

الفصيلة الكَبَرِيَّة - CAPPARACEAE







قلت: الثُّوَع، ومفردها ثُوَعَة، بتحريك الواو، شجرة نادرة، تشبه السَّرْحَة، تنبت في السفوح الصخرية الرطبة، على ارتفاع ٨٠٠ – ١٤٠٠م .

ترتفع الثُّوَعة قدر ٣ – ٥ م على ساق أملس شديد البياض، يميزها عن سائر الشجر، وأوراقها خضراء مستطيلة، قاعدتها ضيقة وطرفها الطليق بيضاوي أو قلبي الشكل، وربما حاد . وهي، بخلاف ما قال أبو حنيفة، لا تشبه ورق الجوز ، إلا من وجه بعيد. تظهر أزهارها على هيئة عناقيد صغيرة في أكمام خضراء، ثم تتفتح عن مآبر بيضاء بطول ١سم تقريبا، تخرج من أصل بني محمر، ولها رائحة طيبة، والنحل يثمرها، فيتكاثر عليها، ولا يجني منها العسل . أما ثمارها فهي كروية في حجم النبقة، أو أكبر قليلًا، تظهر خضراء يعلوها بثور صغيرة، وعند النضج تصير قاسية، ذات لون أشهب مصفر، وفي داخلها لب برتقالي يحيط ببذرة صلبة شبه بيضاوية. وربما بذرتين أو ثلاث. وطعم ذلك اللب مقبول إلى حد ما، ولاذع غير مستساغ، إن أكل مع اللحاء. والقرود تأكلها، وأنواع من الطيور .

وعود الثوعة شديد الصلابة، يتخذ منه أهل السَّراة عراقي للغروب، وأعقابًا للبنادق، وعضادة يضعونها على أسنة الحرث، فلا تتشظى ولا تَهْرَت، لا يفوقها في ذلك شيء من أشجارهم إلا العُتْم . ويسقف به سكان الأصدار بيوتهم، فيكون بديلًا مناسبًا عن أعواد العرعر والعتم التي يعسر وصولهم إلى منابتهما في شواهق الجبال، وربما اتخذوا منه الخلايا، وقل أن يمكث فيها النحل .

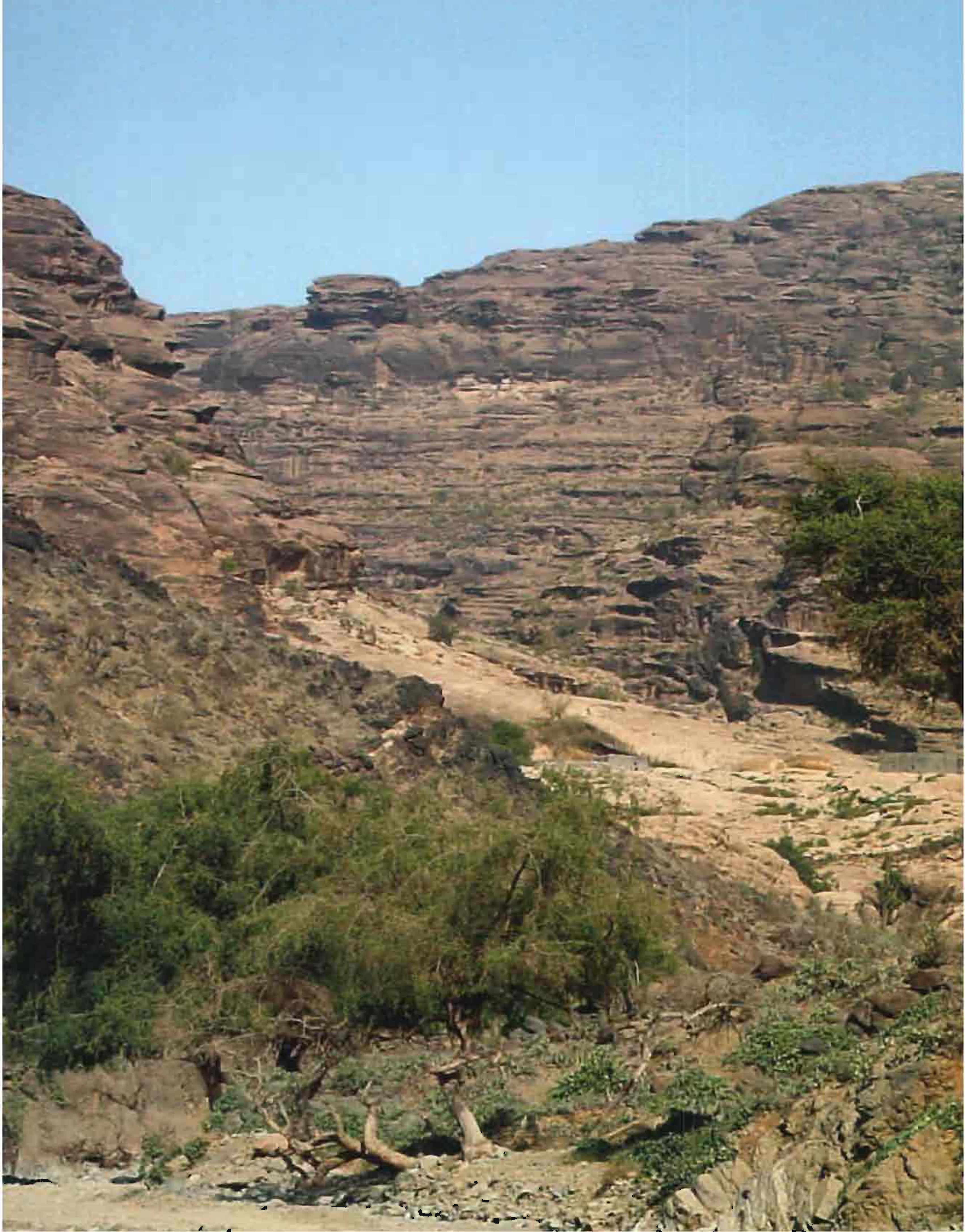
وما زال الناس في جبال السَّراة يسمون هذه الشجرة الثُّوْع، وينطقونها ساكنة الوسط . وفي جبال الحجاز رأيتها بأعداد طيبة في جبال آرة؛ على ضفاف أودية السفوح الجنوبية المفضية سيولها إلى خَلْص (السُّدَّة) وسألت عنها الرواتعة أهل تلك الجبال فلم يعرفوها . وهنا شاهدت على هذه الشجرة ما لا يحصى من يرقات خضراء مجزعة بسواد تتغذى على الأوراق بنهم شديد، فتجردها من معظم أوراقها، وعند الاقتراب من الشجرة تسمع أصواتا واضحة من مفرزاتها المتساقطة التي لا تكاد تتوقف .

---

(١) النَّبات ٥ / ٧٥ . وينظر : المخصص ١١ / ١٤٥، والعمدة ١ / ١٢٥، والتكملة ٤ / ٢٢٦، واللسان٢ / ١٥١، والقاموس٩١٤، والتاج ٥ / ٢٩٤ (ثوع) .



اللوع على ضفاف وادي مروس من روافد وادي لجب . شرق منطقة جازان



الثَّوم



قال أبو حنيفة: ((هي شجرة عظيمة، واسعة الورق، مع طول، شديد الخضرة، ناعم، طيب الريح، أطيب من الآس، يُبسَط في المجالس؛ لطيب ريحه، وتتخذ منه المساويك، ولا ثمرة له)) (١) .
وقال : ((ومن الشجر الذي تؤخذ منه المساويك الثَّوَم، وهو شجر طيب الريح، سرَوَي)) (٢)
وقال في صفة النحل : ((وأخبرني بعض الأعراب أنهم إذا أرادوا إدخال الفراخ الخلية. قالوا: دلكنا باطنها بورق الضُّرْم، فتألف الخلية لعجبها به، وهو طيب الرائحة، ويدلك بالثِّوَم أيضاً، والثِّوَم أيضًا طيب الريح؛ لأن النحل تعجب بالرائحة الطيبة وتكره الرائحة المنتنة)) (٣) .

الثّـوَم

Myrica humilis

الفصيلة الشَّمْعيَّة - MYRICACEAE



قلت: الثَّوَم مثال عِنَب، والواحدة ثوَمة، شجرة كبيرة، تقوم على جذع أغبر خشن بارتفاع يَصِل إلى نحو ١٠ أمتار، ثم تتفرع أغصانها بكثافة، على هيئة مظلة كبيرة . وهي كالغَرَب والتَّنْعيم لا تنبت إلا على ماء أو قريبة منه، أوراقها مفردة شديدة الخضرة، تشبه أوراق الغار أو الأثب، تظهر ناعمة بلون أخضر فاتح، وتشتد خضرتها عند اكتمال النمو، ولها حين تظهر رائحة عطرية فوّاحة، تخفّ وتخبو كلما تقادم عليها العهد، تشبه إلى حد ما رائحة الآس . وتظهر أزهارها في نهايات الأغصان على هيئة عناقيد صغيرة، لونها أصفر مشوب بغبرة أو بحمرة داكنة، ولها، بخلاف ما ذكر أبو حنيفة، ثِمار صغيرة، في حجم حبوب الذرة الصغيرة، تظهر خضراء غامقة، تسودُّ عند النضج، وفي داخلها بذرة واحدة صلبة .



وسيقانها سهلة النحت، يصنع منها أهل السَّراة الصحاف والأقتاب والمقاصب وخلايا النحل، ويتخذون من فروعها الغضة المساويك ومقابض النصل، وقد يدبغون بورقها حين لا يتوفر لهم ما يكفي من أوراق الشَّثِّ .

والثَّوَمة شجرة قليلة الانتشار، رأيتها لأول مرة في منتصف جبل البثراء (جبل إبراهيم) (٤) من ديار بجيلة (بني مالك) على علو ٢٢٠٠م، رأيتها فوق جدول مائي شديد البرودة، ينساب بهدوء بين كهوف مظلمة واسعة. وسمعت دليلي من أهل هذا الجبل ينطقها (الثَّوْم) بفتح الثاء، وإسكان الواو، على مثال القَوْم، وسمعت آخر من أهل هذا الجبل أيضًا، ينطقها مفتوحة الواو .

ثم رأيتها بأعداد قليلة على ضفاف وادي العطفين ووادي عتَّام المنحدر من جبل أثرب إلى أعالي وادي رَنْية على ارتفاع ١٧٠٠ – ١٨٠٠م . وأهل هذه الديار من غامد وحوالة يسمونها (الثُّوَم) بضم الأول وتحريك الواو . وشاهدتها في قرية الحَبَلة من ديار قحطان قرب خميس مشيط، في مجموعات كثيفة وأحجام ضخمة تجن ما تحتها، وسألت عنها غير واحد من أهل تلك القرية فسموها أيضًا (الثُّوَم) وآخرون منهم سموها (الهَدَس) . وشاهدتها كذلك في أعالي الأودية الشديدة الانحدار باتجاه وادي الجُنُش ووادي داراء من ديار بني ناشر من بني عمر، وسمعت أهل تلك الديار يسمونها (الثُّوْع) والظاهر أنهم خلطوا بينها وبين شجرة الثوع المعروفة ، واحتمال القلب يضعفه بعد مخرج الميم عن العين، وربما سهل ذلك اتحادهما في الحرفين الأول والثاني .

وفي الخريف من عام ١٤٢٣هـ رأيتها بأعداد قليلة متناثرة فوق قمم جبل صَبِر، شمال غرب تعز، على ارتفاع ٢٩٠٠م، رأيتها هنالك وليس حولها منابع ماء، وذلك لغزارة المطر ، وقلة التبخر، ولكنها بأحجام صغيرة متقزمة؛ بسبب البرودة الزائدة على ذلك الارتفاع . وسمعت أهل هذا الجبل يسمونها (الثِّوَم) بكسر الأول وفتح الثاني، تماماً، كما ضُبطت في الأصول اللغوية .



وهذه الشجرة نادرة فريدة من نوعها في الجزيرة العربية، وربما تكون في طريقها إلى الانقراض، وقد أخبرني دليلي الغامدي من أهل وادي العَطْفَين بأنها كانت، إلى زمن غير بعيد، تنبت في ذلك الوادي بأعداد كبيرة جدا، فتشكِّل غابات أو أجمات يعسر الولوج من بينها، أما اليوم فقد تناقصت بشكل كبير، ولم يبق منها إلا أشتات متباعدة في طريقها إلى الفناء؛ بسبب الجفاف وانقطاع جريان الماء، الأمر الذي يدعو عقلاء الناس من أهل المنطقة، فضلا عن المعنيين بحماية البيئة، إلى وجوب المحافظة على هذه الشجرة المهمة وتكثيرها .



---

(١) النَّبات ٥ / ٧٥، ٣ / ٢١٨ .

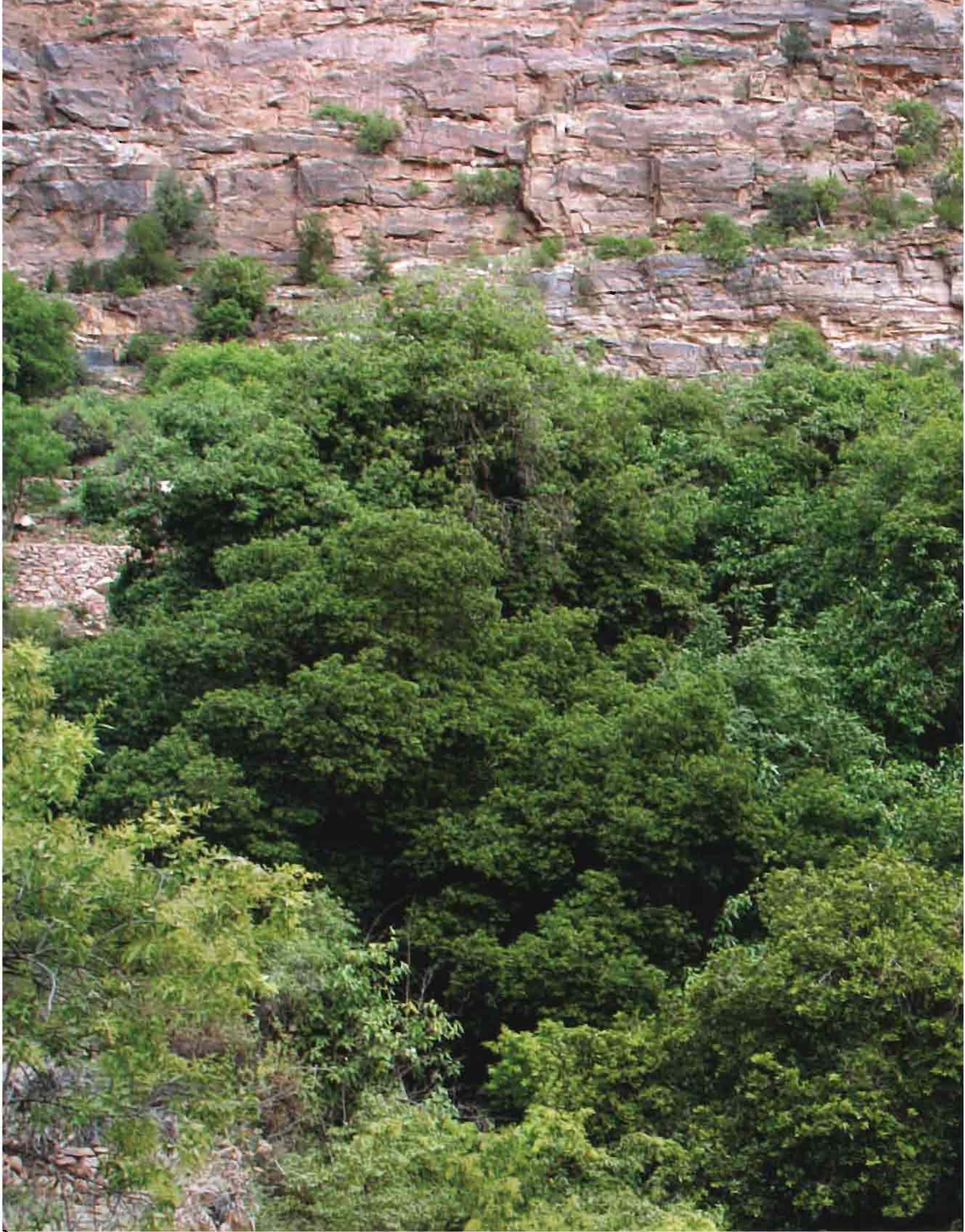
(٢) النَّبات ٣ / ٢٢٩ .

(٣) النَّبات ٣ / ٢٩٢ . و ينظر : المخصص ١١ / ١٩٧، والعمدة ١ / ١٢٤، والتكملة ٥ / ٥٩٦، واللسان ٢ / ١٥٢، والقاموس ١٤٠٣، والتاج ٨ / ٣٣٠ (ثوم) .

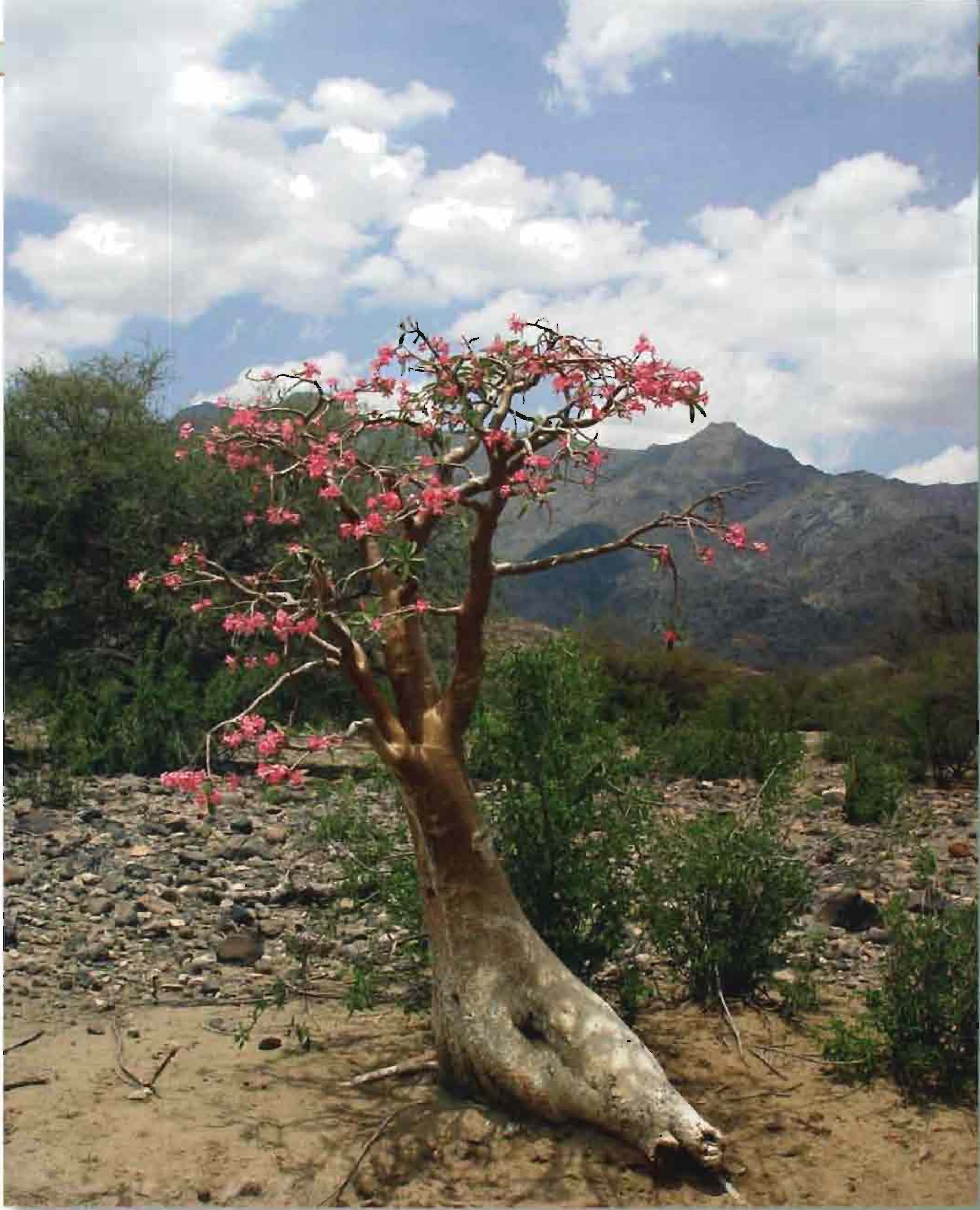
(٤) تعبد فيه إبراهيم بن أدهم، رحمه الله، زمناً، فأضيف إلى اسمه . ولا تزال آثار مصلاه باقية إلى اليوم، شاهدتها في قمة ذلك الجبل، تحت صخرة عظيمة حصينة . وينظر : القاموس (بئر) ٤٤١ .



أجمة من الثَّوم المعمر، على نبع ماء بالحبلة قرب خميس مشيط



الجَرَاز



قال أبو حنيفة : ((الجَرَاز: نبات يظهر مثال القَرْعَة، بلا ورق، يعظم حتى يكون كأنه الناس القعود، فإذا عظمت دَقَّت رؤوسها، وتفرقت، ونوّرت نوراً كنور الدِّفْلى حسنًا تُبهج منه الجبال، وهي منابته، ولا ينُتفع به في شيء من مرعى ولا مأكل، وهو رخو مثل الدُّبَّاء، يُرمى بالحجر فيغيب فيه . أخبرني بذلك الأعراب)) (١).

الجَراز
Adenium obesum

APOCYNACEAE - الفصيلة الدِّفْلِيَّة



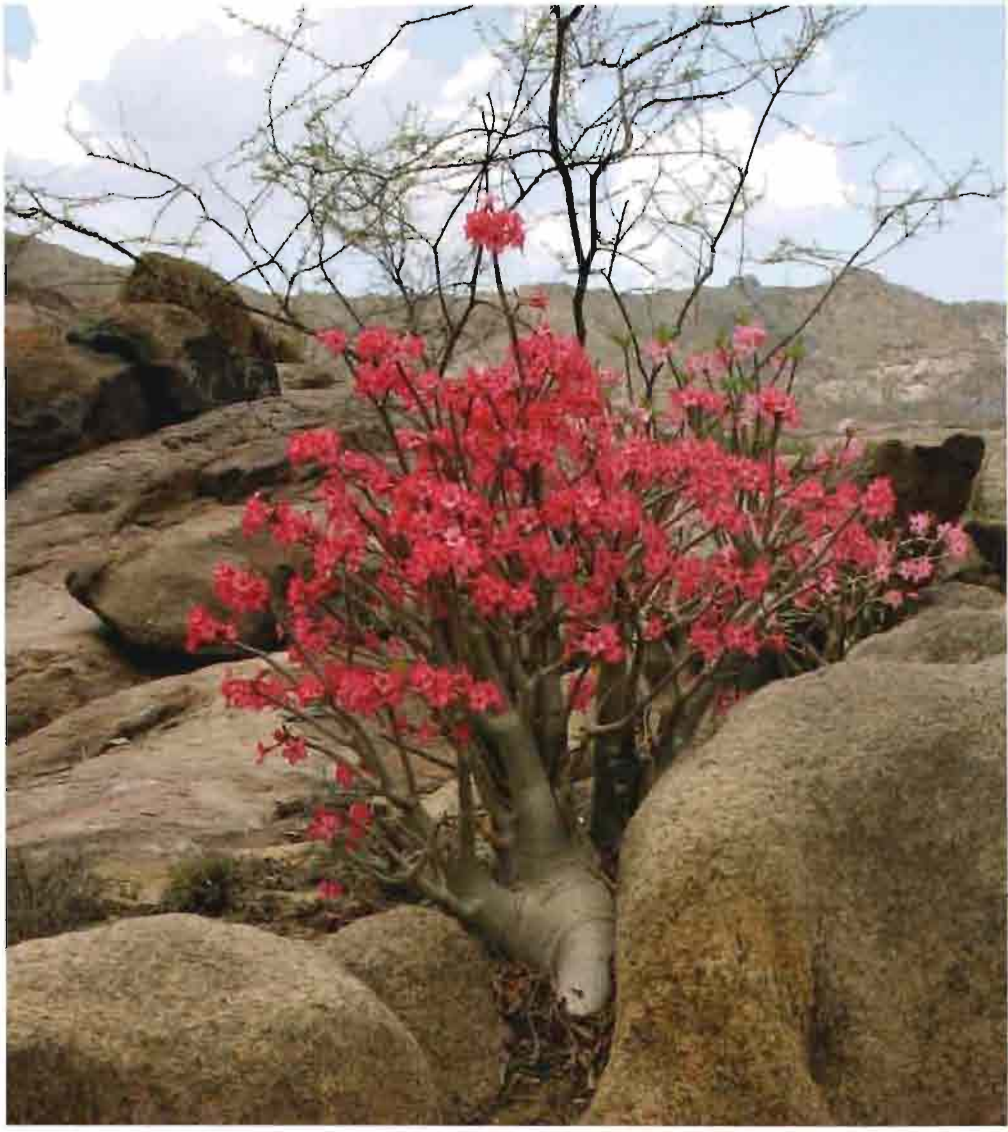


قلت: الجَـرَاز، والـوحدة جَـرَازة : شجرة معمرة، من أجمل الأشجار في جبالِ السَّراة وأكثرها غرابة، تنبت بأشكال غريبة ملفتة للنظر، فربما ظهرت على صورة امرأة عارية الجسد، وكثيرا ما تُشَبَّه بها المرأة المكتنزة اللَّفَّاء . وأكثر منابتها السفوح الغربية في الأكم والأسناد الجُرز، على ارتفاع ٤٠٠ – ١٧٠٠م . وهي واسعة الانتشار في تهائم السَّراة، وتتناقص بالتدريج كلما اتجهنا شمالا، حتى تختفي تماما أو تكاد شمال جبل الناطف بالقرب من سوق العين جنوب أعالي وادي الليث، حول درجة العرض°٢٠,٤٠ ، وخط الطول °٤٠، ٤٠ .

ترتفع الجَرَازة نحو ٢ – ٣ م على جذع شحمي طري منتفخ، أصفر ناعم يميل إلى البياض، عريض من أسفله ضيق من أعلاه، وينشأ في أعلى الجذع فروع متعددة صغيرة، تظهر



الجرازة (العدنة) في ابتداء نموها







عليها الأوراق والأزهار . والأوراق ناعمة مستطيلة شبه بيضاوية، تظهر في نهايات الفروع بعد أمطار الشتاء، وتنحت صيفاً. وأزهارها وردية اللون، وربما وردية محمرة، أو وردية بيضاء، تشبه أزهار الدِّفلى . تظهر في نهايات الفروع أيضاً، ليس لها رائحة، ولا يثمرها النحل، وهي برغم ذلك جميلة جداً، تبهج الناظرين من حسنها، تظهر بكثافة في فصل الربيع، ويبقى بعضها على الشجرة في سائر الفصول، ويسود اعتقاد شائع لدى كثير من أهل تهائم السراة بأن رؤية هذه الأزهار تهيج الرغبة الجنسية لدى النساء، ولاسيما عند ظهورها بكثافة في فصل الربيع ! ومن أمثالهم في ذلك: ((إذا حَنَّن العَدَن حَلِي البَدَن)) أي إذا أزهر الجَرَاز، وهو العَدَن، كما سيأتي بعد قليل . والحُنون: الزهر .

وثمارها بنية اللون، ناعمة الملمس، تظهر أزواجًا على هيئة قلمين منفرجين، وتبقى على النبتة مدة طويلة، وعند تمام نضجها تنشطر إلى مصراعين عن عدد من البذور معلقة بشعيرات ناعمة بيضاء، تطير بها الرياح إلى أماكن قاصية بعيدة .

وتنبت الجرازة أيضا في الأعالي المعتدلة أو منطقة الأصدار على ارتفاع ١٥٠٠-١٧٠٠م، وقد تصل في حالات نادرة إلى قمم السراة الشعفية ، رأيتها كذلك في هضبة يَفْعَان من سراة بني عمر، وهي هضبة شعفية تطل على تهامة . تنبت على هذا الارتفاع وجذعها منحشر عادة بين شقوق الصخور، وفي هذه المنابت يكون لونه بين البُني أو الرمادي الباهت، ويخرج منه



تنشطر الثمرة عند نضجها كاشفة عن البذور معلقة في خصل من الشعر الناعم

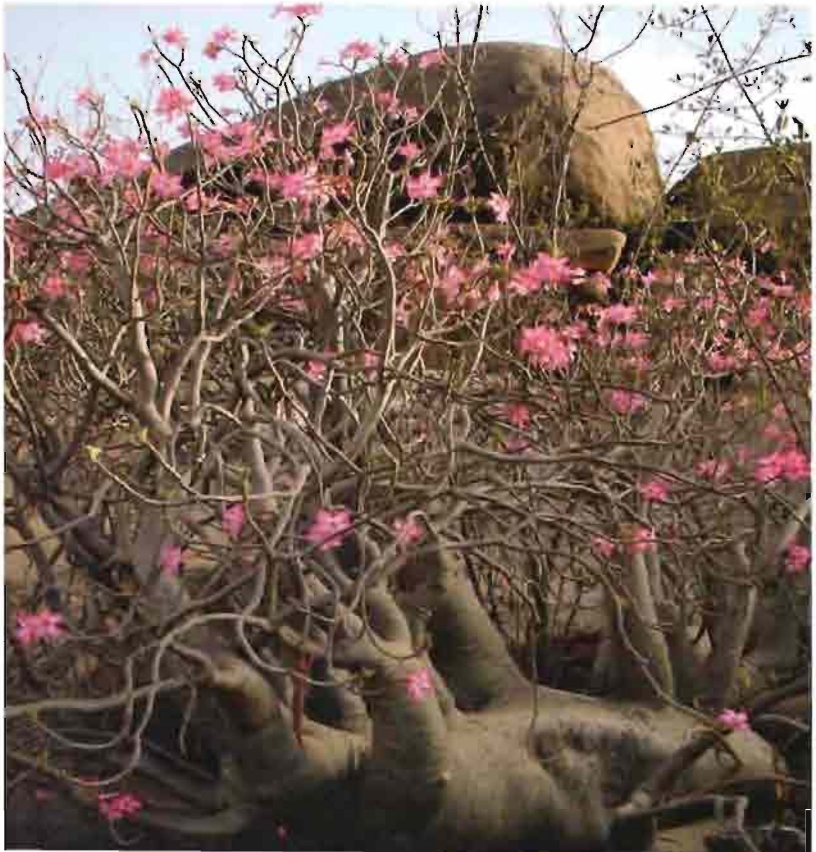


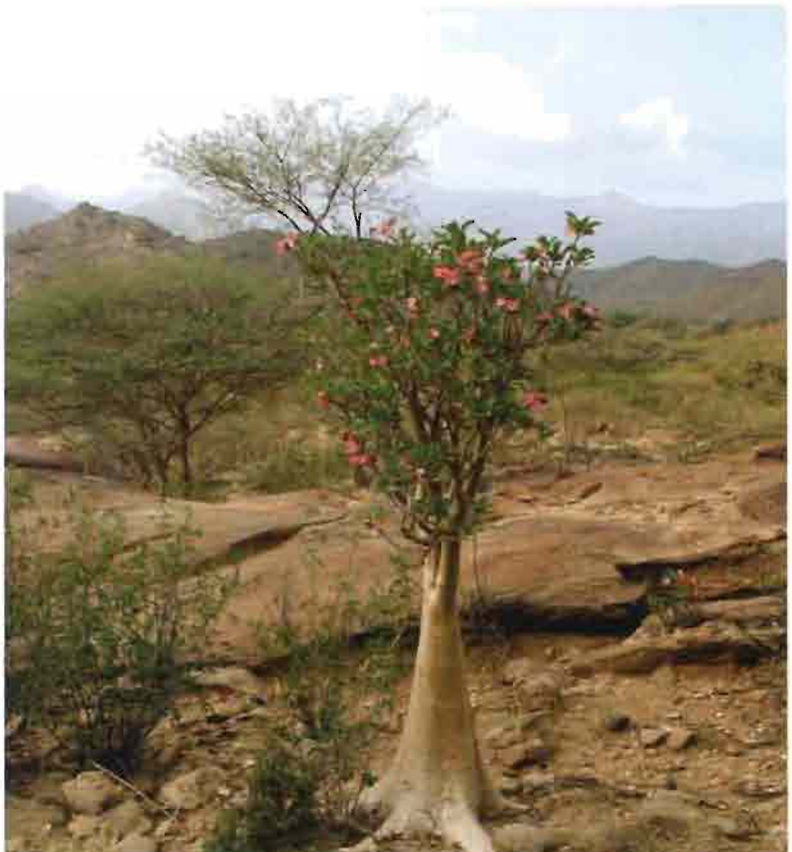


جرازة (عدنة) المرتفعات تنبت منحشرة بين شقوق الصخور

فروع صغيرة الحجم بارتفاع لا يزيد على متر واحد في الغالب. وعلى هذه الهيئة والارتفاع رأيتها بأعداد كبيرة في السفوح الضاحية للشمس من وادي الجنابين، وهو واد رطب غزير المياه يشبه الأغوار الغربية، ولاسيما الأصدار العالية، من حيث درجة الحرارة والرطوبة وأنواع النبات . وهو من أكبر الأودية المنحدرة من قمم سراة غامد وبني عُمَر، والممتد إلى نهاية جبل العُنْق ملتقى وادي رَنْيَة بوادي تَرَاد . وتزهر الجرازة في هذا الوادي في منتصف فصل الصيف، حيث تكون درجة الحرارة هنا في المستوى الذي تكون عليه في فصل الربيع، على ارتفاع ٩٠٠ – ١٢٠٠م من أغوار تهامة .

والجَرَازة بجميع أجزائها سامة، فلا يرعاها شيء من الأنعام، ورأيت عدنة بوادي العين أسفل حمى غيلان من ديار بني عُمر قد أكل النِّيص (الشَّيْهَم) بعض لحائها. وساقها، كما قال أبو حنيفة، خوَّار هشٌ، يُرمى بالحجر فيخترقه، وربما ظهر فيه فرجة، فيتخذ منه النحل بيوتاً. وإذا دُقّ أو قُطع أفرز سائلاً







لزجا أبيض اللون، ويكون شبه شفاف يشبه السَّمْن عند قطع أعناق الأوراق والفروع الصغيرة العليا. وكانوا يضمّدون بذلك السائل الجروح فتطهر وتلتئم سريعاً، ويضعون منه شيئا قليلا على ماء فاتر، ويغسلون به المفاصل المؤلمة، وبعض الأمراض الجلدية المستعصية، وقد يمسحون به أجسادهم لخفض حمى الملاريا. وفي نواح من منطقة جازان يضمدون بلحائها ما يصيب القدم من شوك ونحوه، فيسهل خروجه، أو يخرج من تلقاء نفسه. وفي زيارة المستشرق عبدالله فيلبي (هاري سانت) لجبال شرق منطقة جازان سنة ١٩٣٦م . ذكر بأنها مصدر للبخور(٢) . وهذا غير صحيح؛ فربما اختلط عليه الأمر بشجرة البشام أو نحوها من الأشجار العطرية . وفي الجُنُش من ديار بني عُمر يقتلع الأمهات الجرازة، وهي نبتة صغيرة في بداية النمو، فيطبخنها، ويسقين أطفالهن في مرحلة التسنين قليلا من صفوها مدة ثلاثة أيام، يعتقدن أنه يوقف الإسهال الذي يصاحب عادة تلك المرحلة .

وأخبرني رجل من تهامة زهران بأنهم كانوا يجوفون جذع الجرازة، ويجعلون فيه ثقبا ينحدر إليه الماء من على صفحة الصخور المجاورة، فتحتفظ به زمنا طويلا نقيا باردا، يشرب منه الرعاة إذا انتجعوا بعيدا عن مورد الماء. وكذلك تستعمل خزانا لحفظ المياه في مناطق واسعة من تهائم اليمن .

وربما كان اسم الجرازة مشتقا من منابتها في السفوح والأسناد الصخرية الغليظة، التي يقل نباتها وتكثر صخورها، وتسمى الأرض الجُرُز. وأهل السَّراة لا يعرفونها اليوم إلا باسم (العَدَنَة) ومنه أُخذ اسمها في اللاتينية، ولم يذكره اللغويون. وأما قول أفنون التغلبي (٣) :

سألتُ قومي وقد شُدَّتْ أباعرُهم ما بينَ رُحبةَ ذاتِ العيْصِ والعَدَنِ

فربما أراد بالعَدَن هذه الشجرة. وذهب البكريّ وياقوت أنّه عَلَمٌ على موضعٍ (٤)، ولا أرى ذلك؛ بدليل تعريف العَدَن، وعطفه على العيْص، وهو ما كثرت أشجاره من الضَّال والسَّلم. وعلى هذا يكون العَدَن لفظ نباتي قديم مرادف للجَراز، فات





● إسفيد، تريمو . ثلاثة أشكال مختلفة للجراز (العدن) في جزيرة سقطرى

المعاجم تدوينه . وبه، أيضًا، تعرف في كثير من أقاليم اليمن، وربما سموها (التُّبْحُل) أو (العَصْفيد) أو (دُبَيَّت الضبع) أي دُبَّاء الضبع، على التشبيه والتفريق. وفي جبال ظفار تسمى (الإسْفيد) وكذلك تسمى في جزيرة سقطرى، وآخرون يسمونها (التَّريْمُو) . وهي في تلك الجزيرة من أكثر النَّبات انتشارا وضخامة، وربما زاد ارتفاعها على خمسة أمتار . وشاهدت لبعض أشجاره في هذه الجزيرة أشكال غريبة، سواء من حيث الحجم، أو طريقة التفرع، أو شكل



الأوراق، وأظنه نوعًا آخر من الجَراز . ويستعمل أهل تلك الجزيرة سائل الجرازة لتطهير الجروح وعلاج الحساسية الجلدية، كما يفعل أهل السَّراة. وربما اتخذوا من جذوعها قلادة يضعونها على أعناق صغار الماشية من السخال والبهم، فلا تفرسها القطط البرية المتوحشة. وهي نوع من السنوريات أكبر قليلا من القطط الأهلية المستأنسة، وهي الحيوان الوحشي الوحيد في تلك الجزيرة. قيل: إنها أدخلت إليها من الهند منذ مئات السنين. ومنها يستخرج (الزَّبَاد) الذي يدخل في صناعة العطور . ولحمها من المأكولات الشهية في الصين. وفي هذه الجزيرة رأيت النحل يتخذ من جذوعها بيوتًا، فحاولت الدنو منه وأخذ صورة له، فلم أفلح، وقد صدني بلسعاته المؤلمة، وكنت على حافة جرف متلاف، فلم يسعفني الهرب، وما نجوت حتى تورّم وجهي وأنحاء من جسدي . وأهل هذه الجزيرة لا يربون النحل، بل يشتارون عسله من بيوت طبيعية يتخذها في مغارات الجبال وجذوع الأشجار، ويسمونه (النَّوْب) وهي تسمية عربية فصيحة .

وفي تهامة عسير وجبال الرَّيْث بن خولان يطلقون لفظ الجَرَازة على شجيرة نادرة قلما تُشاهد، من الفصيلة الآلامية (*Adenia venenata*) نسبة إلى المضاف إليه من شجيرة زهرة الآلام (*Passiflora caerulea*) منابتها السفوح الصخرية من أصدار جبال السَّراة، على ارتفاع ٩٠٠ – ١٤٠٠م .

وهي تشبه الجرازة (العَدَنة) وتقوم مثلها على جذع شحمي طري منتفخ ، لا يزيد ارتفاعه في الغالب على ١٥٠سم، لونه أخضر مغبر، ثم تتفرع من الرأس إلى أغصان كثيرة، تتدلى على الصخور كأغصان العيد (الرُوْد)، وربما اختلطت عند تدليها بأغصان العيد فيصعب التمييز بينهما إلا أن تكسر أحد أغصانها المتدلية، فتتميز بعدم إفرازها عصارة بيضاء كالعيد؛ ولذلك التشابه يسميها بعض أهل شدا الأسفل (العِيْدَة) وكذلك (العَيْدَانة) . وسمعت أهل جبال











• الجراز، الدُّوْحن ـ *Adenia venenata*

باجل اليمنية يسمونها (الرِّيْدة) وهو من أسماء العيد أيضًا . وفي الجدب كانوا يعلفونها للأبقار مع أغصان العيد أو بدونه. يظهر على أغصانها الحديثة النمو معاليق تشبه معاليق العنب، وأوراقها قصيرة الأعناق، مقسمة إلى نحو خمسة فصوص ، رأيت أسرابا من النمل الأحمر الصغير يمتص عصارتها الخضراء . وأزهارها صفراء مخضرة، خماسية أو سداسية البتلات، لها رائحة خفيفة طيبة، تظهر مجتمعة على رؤوس السيقان، ويعقبها ثمار جرائية بيضاوية أو قلبية الشكل، خضراء مصفرة، موشاة بخطوط خضراء غامقة، أو بنية مائلة إلى السواد، غلافها صلب مجوَّف من الداخل، ينفطر عند تمام النضج إلى ثلاثة مصاريع يتناثر من بينها نحو ٢٠ – ٣٠ بذرة مفلطحة تشبه حَبَّات العدس . وشاهدتها في جبال فيفا والعبادل وسَلا، بأعداد لا بأس بها، وسمعت أهل تلك الجبال يسمونها (الدُّوْح)، و ينطقها بعض أهل فيفا (الدُّوْحن) بزيادة النون. وهي (العُنْقَب) في العميد وكثير من الجبال الواقعة إلى الجنوب الغربي من محافظة إب . وتسمى في جبل صبر وشدا الأسفل (الصُّفْرَيْقة) أي الصفارة؛ وذلك أن ثمارها مفرغة من الداخل، كما أسلفت، فيُحدث فيها النفخ صفيرا عاليا، بعد أن تُقطع من الرأس وتزال البذور من جوفها .

وفي عَنَازة من أصدار زهران يطلقون (الجَرَاز) على نوع من فصيلة المركبات، سيأتي الحديث عنه في رسم العِيْد، إن شاء الله .

وفي جزيرة سقطرى رأيت نباتا نادرا من الفصيلة القرعيَّة (*Dendrosicyos socotrana*) له جذع شحمي منتفخ، يشبه إلى حد كبير جذع الجَرازة (العَدَنة) وربما فاقه ضخامة وطولا، ولا ينبت إلا في سقطرى وجزيرة سَمْحَة المجاورة لها، يسمونه (قِمْحِن) وهو قريب من لفظ (الدُّوْحن) السالف الذكر، ولعلهما من أصل حميري قديم، وقد تحرف أحدهما عن الآخر . وفي هذه الجزيرة ، أيضاً ، شاهدت نوعًا من الفصيلة التوتية (*Dorstenia gigas*) يقوم على جذع شحمي منتفخ، يشبه كثيرا جذع الجرازة (العَدَنة) يسمونه (كِرْتِب) وله ذكر، سيرد في رسم الحماط، إن شاء الله .



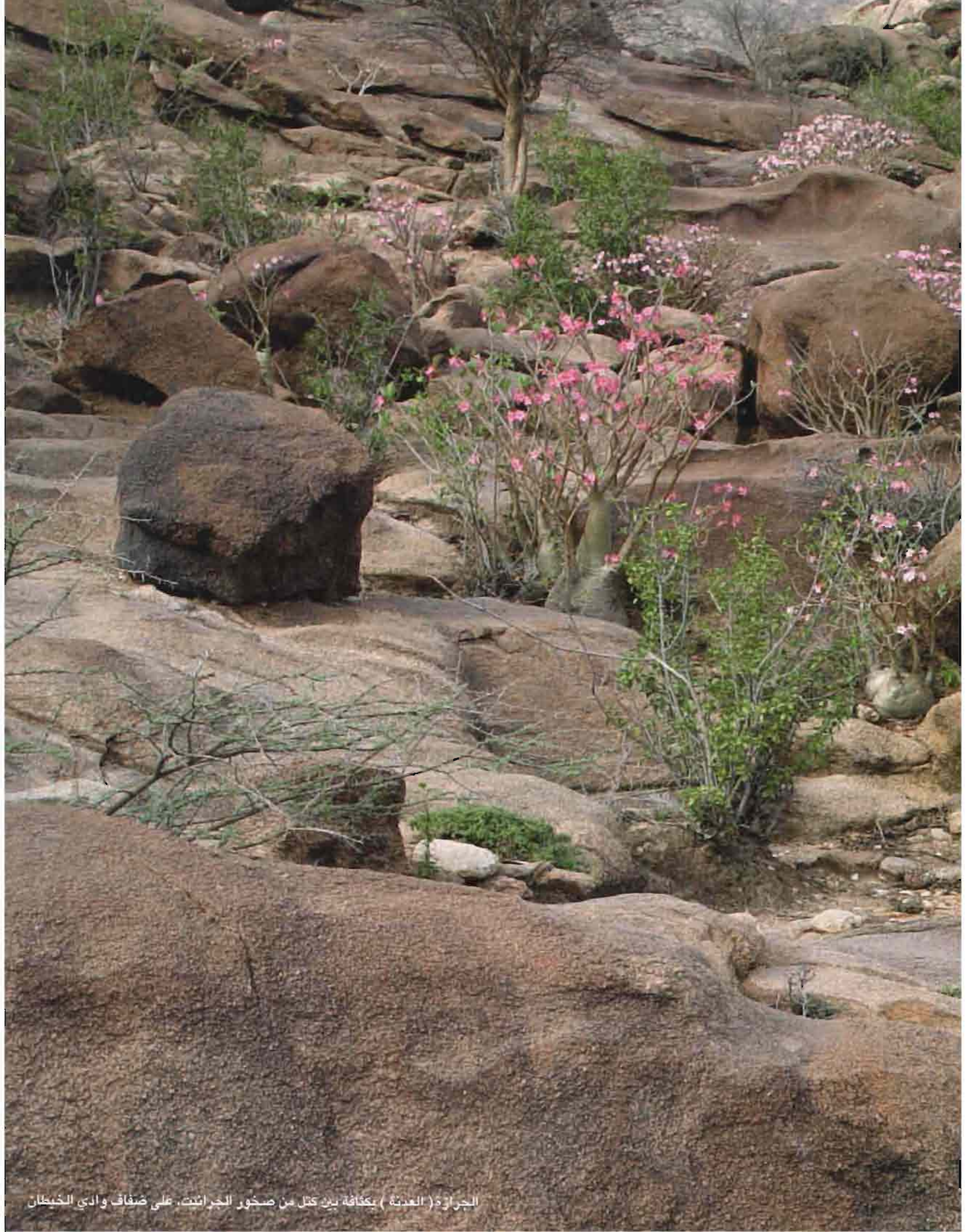
● قِمْحن - *Dendrosicyos socotrana*





(١) النَّبات٥ / ٩٨ . وينظر: المخصص ١٠ / ٢٢١، ٢٢٠، ١١ / ١٤٥، والعمدة ١ / ١٣٠، والتكملة ٣ / ٢٥٠، واللسان ٢ / ٢٤٨، والقاموس ٦٤٩ (جرز) .
(٢) مرتفعات الجزيرة العربية ٢ / ٩٠٦ .
(٣) المفضليات٢٦٢ .
(٤) معجم ما استعجم ١ / ٦٤٣، ٢ / ٩٢٤، ومعجم البلدان ٤ / ٨٩، ٩٠.





الجرازة (العدنة) بكثافة بين كتل من صخور الجرانيت، على ضفاف وادي الخيطان

الجَعْدَة



قال أبو حنيفة : ((أخبرني بعض الأعراب أن نبات الجَعْدَة نبات العِظْلِم، إلا أنها غبراء طيبة الريح، ولها ثمر مثل فُقَّاح الإذخر، إلا أنه أثخن متلبِّد لَيِنٌ، يُحشى به المخاد. قال : ومنبت الجعدة الجبال)) (١) .

الجَعْدَة

Teucrium polium

الفصيلة الشَّفَويَّة - LABIATAE





قلت: الجَعْدَة، وجمعها كلفظ مفردها، نبتة معمرة غبراء كالعبيثران، طيبة الريح، وهي نوعان:

النوع الأول: (*T. polium*) ينبت في جبال الحجاز، كالفقرة وورقان وقدس وغيرها، على ارتفاع ٩٠٠ – ١٨٠٠م. ورأيتها بأعداد يسيرة في سراة هذيل وبني سفيان غرب الطائف، وربما كان هذا أقصى امتداد لها ناحية الجنوب. ترتفع نحو ٢٥ – ٤٠ سم. أوراقها مجعّدة غبراء إلى خضرة يسيرة، ومن صفة التجعيد أُخذ اسمها. ولها فروع كثيرة تخرج من أصل واحد، وتنتهي برؤوس مدورة، كالقطن الملفوف، تحمل زهيرات بيضاء، تؤول إلى الأصفر الباهت حين تنضج البذور داخلها.



● الجعدة في جبال السَّراة _ T. yemense



وأهل جبال الحجاز جميعا يسمونها (الجَعْدَة) وسمعت أهل السَّراة من هذيل يسمونها (مَرْيَمَة) .

والنوع الآخر: (T. yemense) ينبت في قمم السَّراة، في الحداب والأسناد الصخرية، وهو عشبة واسعة الانتشار، أكثر منابتها الشِّعاف التي تتشبَّع برطوبة الضباب معظم أيام السنة، على ارتفاع ١٧٠٠-٢٣٠٠م .

وهي تنمو على وجه الأرض، وربما ارتفع بعض أغصانها إلى نحو ٧ - ١٠ سم، وتنتهي الأغصان بسنابل أو عناقيد، يخرج من أطرافها زهيرات بنفسجية، منحنية إلى الأسفل، أعلاها عريض، وقاعدتها ضيقة، محلاة بخطين أصفرين . يعرف هذا النوع بـ (الجَعْدة) في جبال الريث، وكذلك في مناطق واسعة من جنوب غرب اليمن، وفي سراة عسير يسمونها (ريح فاطمة) وفي سراة بني عمر وزهران (شَيْعَة مريم) وفي ديار بالشهم من غامد تسمى (العُضيَّة) تصغير عضاه، وهو لفظ يطلقونه مكبراً على مجاميع الشجر، فإذا أرادوا الجعدة بعينها نطقوه مصغراً.

وفي الجبل الأخضر شمال عمان شاهدت نوعاً من الجعدة (T. mascatense) يشبه النوع الأخير، حجمًا ورائحة، يسمونه الجَعْدة أيضًا .



وعلى القمم العالية من جبل رضوى شاهدت نوعا من الجعدة (*T. hijazicum*) شديدة الشبه بالنوع الثاني في المنبت والحجم والارتفاع وطريقة التفرع، إلا أن أوراقها مزغبة وعريضة مع قصر زائد، لها رائحة طيبة، تشبه، إلى حد ما، رائحة النوع الأول. أزهارها بيضاء، أو بيضاء بنفسجية، تنتهي إلى أصل مصفر. وسمعت أهل ذلك الجبل يسمونها (جعدة الجبل) أضافوها إلى الجبل، لتمييزها عن النوع الأول الذي ينبت هنالك بأعداد كبيرة .

والجعدة بأنواعها من الأعشاب المستعملة في الطب منذ القدم، وأخبرني غير واحد من أهل جبال الحجاز أنهم كانوا يشربون مغلي النوع الأول لعلاج أمراض الصدر كالسعال ونحوه، وللتخلص من المغص والصداع، ويستعملونه غرغرة عند التهاب الحلق، واستنشاقا لعلاج الزكام أو الرشح . وتضاف إلى (الشّاهي) فتكسبه نكهة عطرية جيدة، مع مرارة قليلة، وإن شُربت بإفراط ضرت، والماشية ترعاها فتصلح عليها، ويُحشى بها الوسائد؛ لنعومتها وطيب ريحها، وتوضع كالعبيثران مع الثياب لمنع العثة، وتُفترش، ويدخن بها البيوت لطرد الهوام .





● الجعدة في جبل رضوى _ *T. hijazicum*

(١) النّبات ٥ / ٨٨، ٣ / ٢٠٧ . وينظر : النّبات للأصمعي ١٦، والمخصص ١١ / ١٤١، ١٤٥،١٨٠، والعمدة ١ / ١٤١، وجامع ابن البيطار ١ / ٢٢٤، وحديقة الأزهار ٨٢، والعين ١ / ٢١٩، وتهذيب اللغة ١ / ٣٤٨، والصحاح٢ / ٤٥٧، واللسان ٢ / ٢٩٤، والتاج ٢ / ٣٢١ (جعد) .





جبل حزنة مطلا على سهل تهامة، وإلى جواره من اليمين جبل حزنة الصغير (الحصنين) _ غرب بلجرشي

الجَلِيل



قال أبو عبيد : ((من أشجار الجبال الجَليْل، وهو الثُّمام، واحدته جَليْلَة)) [١] .

وقال أبو حنيفة عن أبي زياد : ((من الشَجر الثُّمَام، وهو ينبت معاً خَيطاناً دقاقاً، صغار العيدان، تأكله الإبل والغنم، وطول الثمامة على قدر قعدة الرجل، وربما كانت أطول من ذاك بشيء قليل، وله ورق كأنه ورق الحَبِّ، وله ثمرٌ حَبٌ كثير، منه يمتار النمل خيرة ميرة، وهو أبقى شجر نجد عند السَّنَة، يبقى بعد الكلأ؛ وذلك لكثرته ...

قال أبو نصر : أهل الحجاز يسمون الثُّمَام الجَلِيْل، والواحدة جَلِيْلَة، وأنشد (لبلال) :

ألا ليت شعري هل أبيتنَّ ليلةً بِفَجٍّ وحولي إذخرٌ وجَلِيْلُ

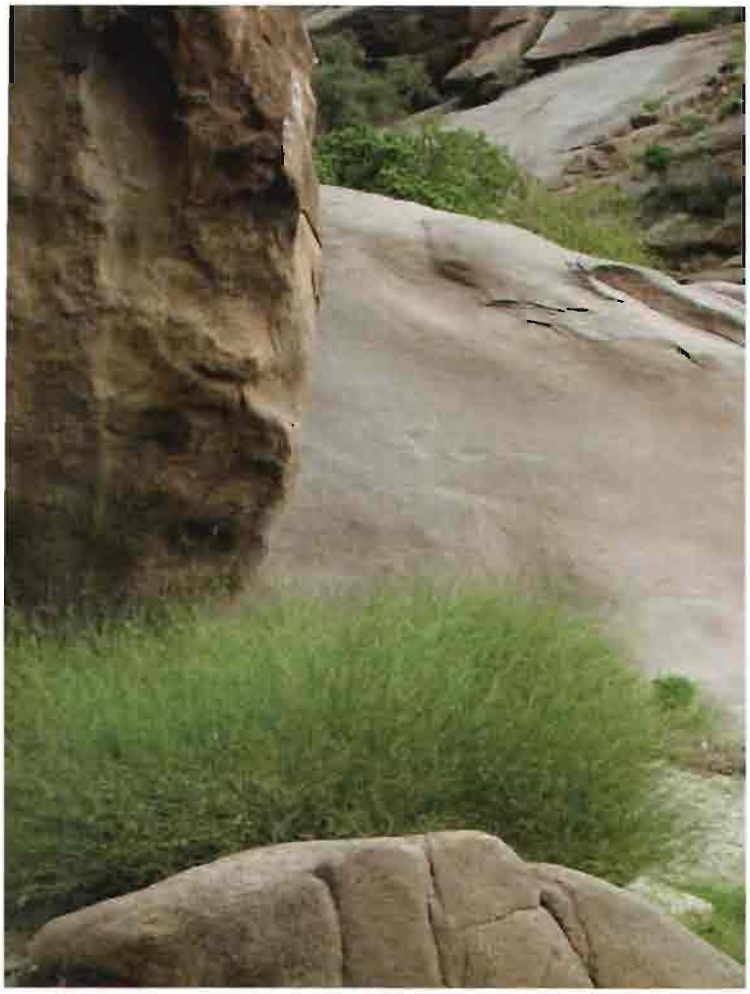
وتجمع أيضاً جلائل[٢] ... وقال بعض الرواة: الثُّمَام من نبات القُفُّ، قال أبو زياد : إذا أصاب المطر الثُّمامة، وهي وافرة الشجرة، فإن أول نبت يظهر فيها يخرج في كعابيرها، والكعابير مثل كعوب الرمح، فتنبت الكعبرة، وهي الكعب ينبت من أعلى العمود إلى أسفله في كل كعبرة، فذلك النبت يسمى الحَجَن، فيقال : قد أحجن الثُّمام، قال : ويسمى الثُّمام الغَرَف، وواحدته غَرَفه، وينبت في السهل والجبل، وفي الغَرَف قال الشاعر :

أضحى سُقَامٌ خلاءً لا أنيسَ به إلا السِّباعُ ومَرُّ الرِّيحِ بالغَرَفِ [٣] .

الجَلِيْل

Panicum turgidum

الفصيلة النَّجيليَّة - GRAMINEAE







قلت: الجَليْلة عشبة معمرة شائعة، تنبت في بطون الأوديـة وسفوح الجبال حتى ارتفاع ١٥٠٠م .

ترتفع عن الأرض نحو ٧٠ – ١٠٠سم، خيطانًا كثيرة دقيقة، من أصل واحد . وسيقانها ذات عقد غليظة، وسطح أملس، تشبه أعواد الخيزران، وأوراقها خشنة طويلة مثل أوراق الحنطة، مع ثخانة زائدة، ولها حبوب مثل حبوب الدخن أو أكبر قليلاً، لونها بني يميل إلى السواد، يمتارها النمل والطير . تظهر متفرقة في سنبلة مدلاة تشبه سنابل الدخن البري، ولها جذور إسفنجية كثيفة تختزن الماء، فتقاوم الجفاف مدة طويلة. وأهل جبال الفقرة وبعض جهينة يمضغون تلك الجذور أو يشربون نقيعها؛ لعلاج مرض يسمونه (خُلْف الطعام) وهو ألم وحرقة في المعدة، تعقب بعض أنـواع الأطعمـة، فيزول الألم، بـإذن الله تعالى، ويعرفونها هم وجيرانهم من جهينة باسم (الضَّرَم) بفتح الضاد والراء، لا يعرفونها بغير هذا الاسم، سوى بعض بني كلب من جهينة فإني سمعتهم يطلقون الثُّمَام على الزهر، والضَّرَم على الأعـواد. وكذلك تسمى في بـارق من تهامة بني شهر، ولعله مأخوذ من استعمالهم يابسه في إضرام النار . وسمعت كثيراً من أهل السَّراة يسمونها الثُّمَام، بضم الأول، ويُفتح في العوامر من تهامة خثعم . ولم أسمع بـأن الغَرَف من أسمائها خاصة، بل الغَرَف عندهم اسم لشجرة كبيرة من الفصيلة الحمحمية، سيأتي الحديث عنها في موضعه من حرف الغين، إن شاء الله تعالى . وسمعت بعض بني سعد يطلق لفظ (الغَرَف) على مجامع النَّباتات العشبية الصغيرة، وربما كان من بينها الجليل . وفي ديار حوالة، وبعض ديار خثعم، وكثير من بادية غامد يطلقون لفظ الغَرِيْف بزيادة الياء، على الحلفاء (*Phragmites australis*) وهي نوع من الفصيلة النجيلية أيضاً . لا تنبت، في الغالب، إلا على ماء جار أو قريب من السطح، وهي التي تسمى في ديار بني عمر (القَصْباء) . ومن أشهر أودية السَّراة التي تنبت الجليل، وادي الخيطان، من روافد وادي قنونا الشهير، وكانوا يشدون إليه الرحال من أماكن قاصية، فيوقرون منه ظهور المطايا، ويستعملونه غما لأسقف المنازل؛ يضعونه فوق الأخشاب؛ فيسد خصاصها، ولا ينفذ من بينها الطين ولا التراب .

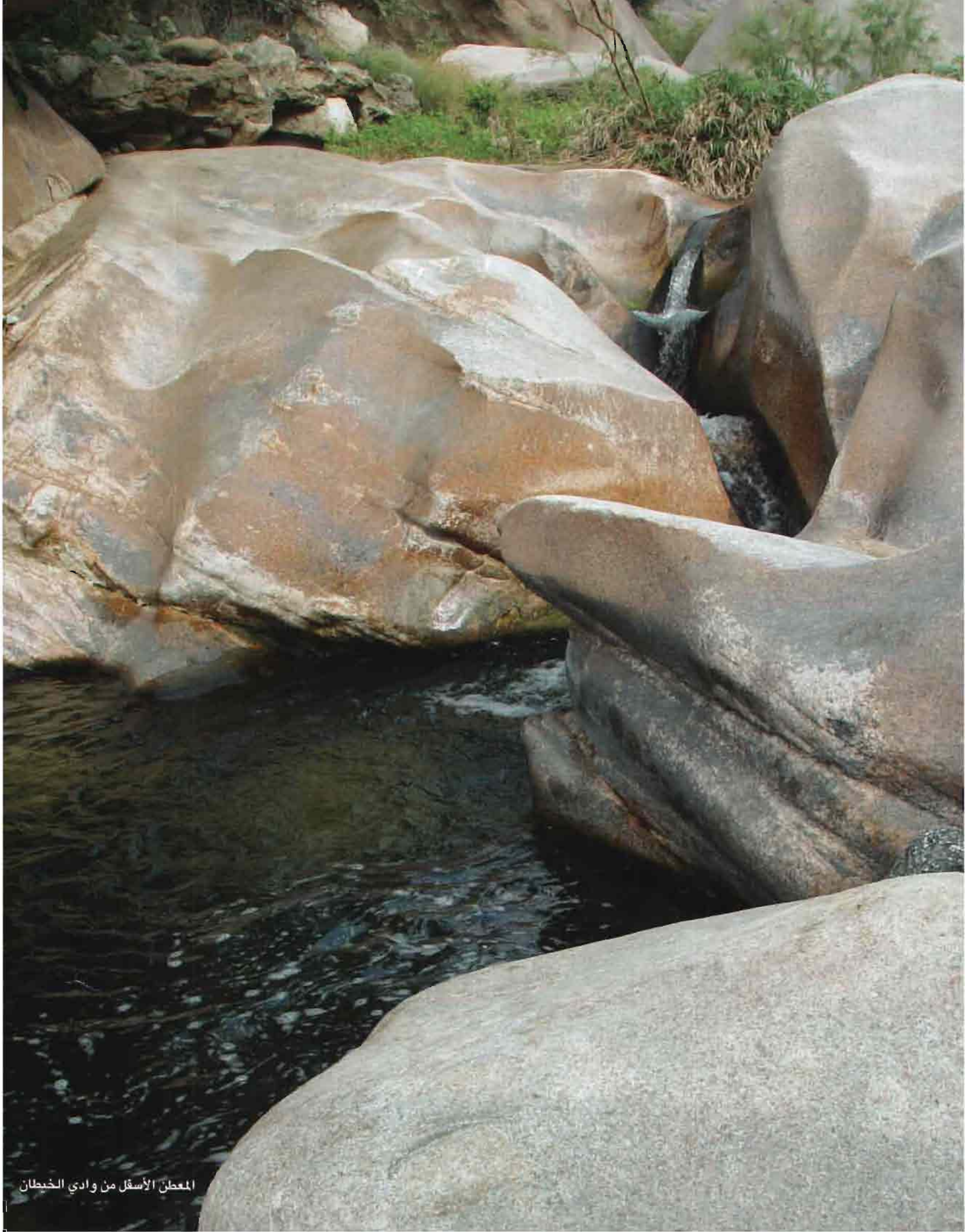
ومن أمثال العرب قولهم : (هو على طرف الثُّمَام) (٤) يُضرب للشيء السهل الذي لا مشقة فيه؛ لأن الثُّمَام لا يطول فيشق على مُتناوله .

(١) الغريب المصنف ١ / ٤١٩.

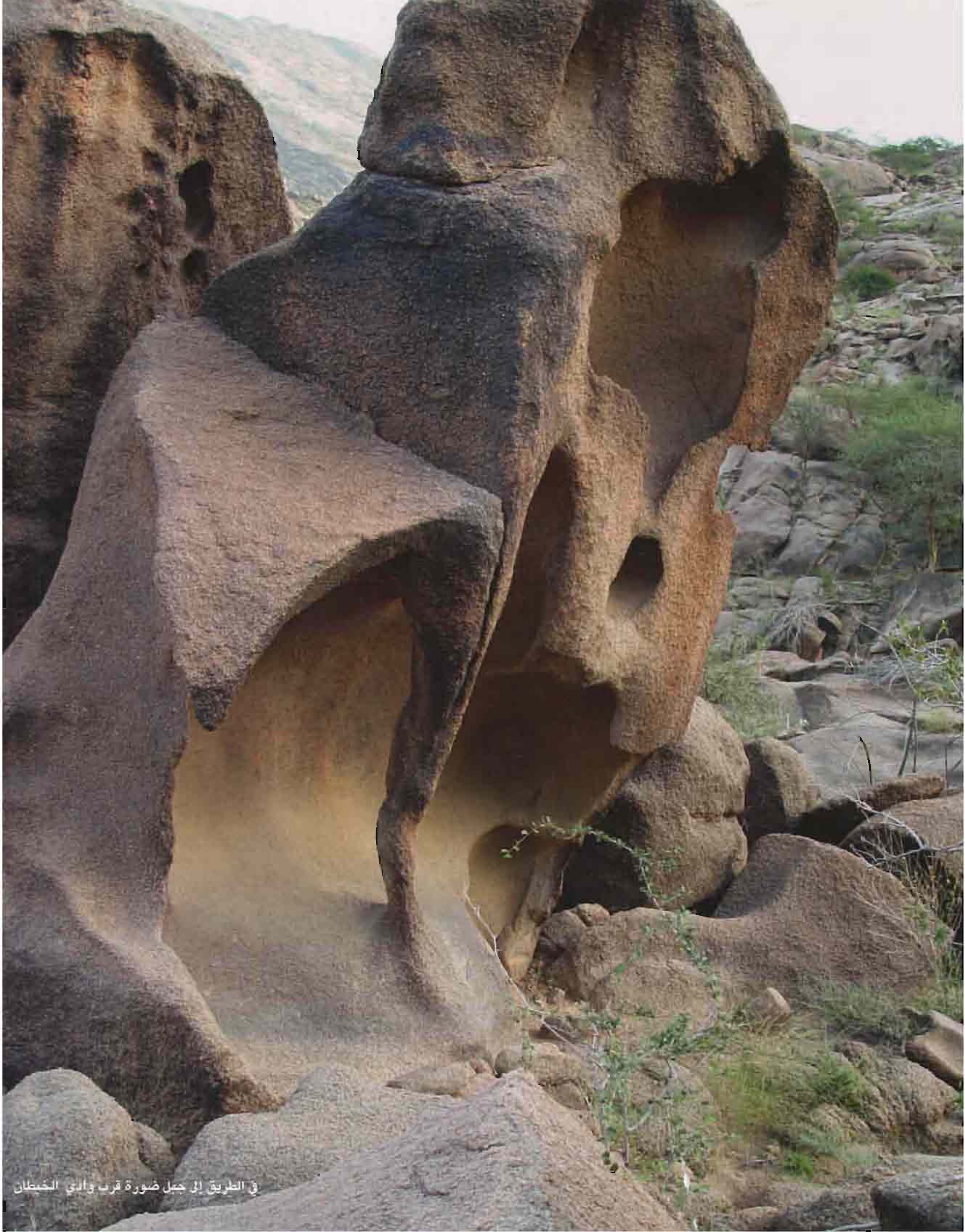
(٢) في النَّبات للأصمعي ص ٢٠: الجليل لغة أهل نجد، وأهل العالية يسمونه الشَّبهان.

(٣) النَّبات ٥ / ٧٨ – ٨٠ . وينظر : ديوان زهير ١٦٠، و لبيد ٢٠٥، ومجنون ليلى ١١٤، وجميل بثينة ١٨٧، وذي الرمة ، ٣ / ١٣٢٦، ١٣٩٦، والشجر والكلأ ١٤١، ١٤٢، ١٤٨، والمنتخب ٢ / ٤٣٢، والمخصص ١١ / ١٤٢، وشرح كفاية المتحفظ ٤٨١، واللسان ٢ / ٣٣٧ والقاموس ١٢٦٥، والتاج ٧ / ٢٦١ (جلل) .

(٤) ثمار القلوب ٥٩٤ ، ومجمع الأمثال ٣ / ٤٧٠، ٤٨٩ .



المعطن الأسفل من وادي الخيطان


في الطريق إلى جبل ضورة قرب وادي الخيطان

الجُمّيز



قال أبو حنيفة : ((من أجناس التِّين تِين الجُمَّيْز، وهو تِين حلوٌ رطبٌ له معاليق طوال ويزبب. قال: وضرب آخر من الجُمَّيْز له شجر عظام يقال للواحدة منها جُمَّيزة وجُمَّيزى على فُعَّيلى، تحمل حملاً كالتِّين في الخلقة، وورقها أصغر من ورق التين، وتينها أصفر صغار وأسود، تكون بالغور تسمى التين الذكر، والأصفر منه حلو، والأسود يدمي الفم، وليس لتينها عِلاقة، وهو لاصق بالعود)) (١) .

الجُمَّيز
Ficus sycomorus

الفصيلة التُّوتيَّة - MORACEAE





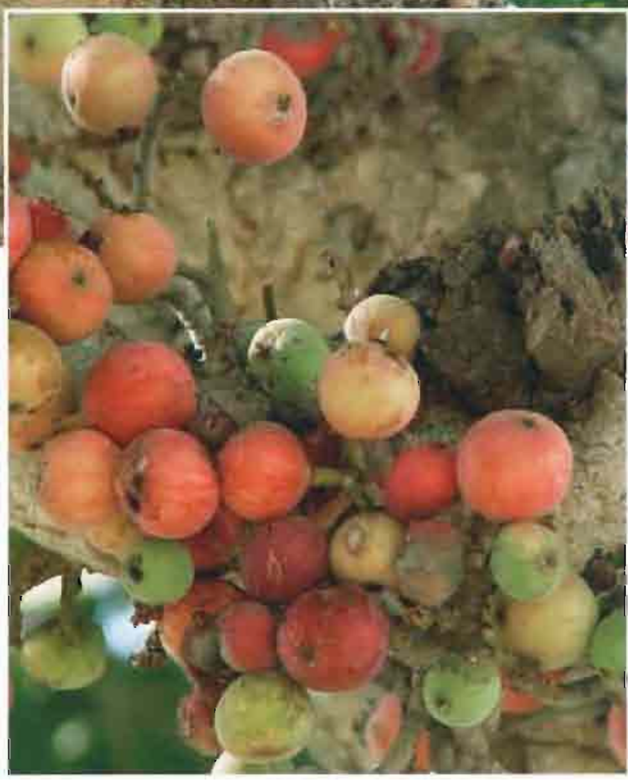

قلت: الجُمَّيزة شجرة ضخمة معمرة، تنبت في تهائم جبال السَّراة وأصدارها، في بطون الأودية وشطآنها، قريبا من الينابيع الجارية أو المياه الجوفية القريبة من السطح، على علو ٦٠٠ – ١٥٠٠م . وربما نبتت في بطون الأودية الرطبة المفضية إلى نجد .

تقوم الجميزة على ساق أبيض أملس، يصل ارتفاعه إلى نحو ٢٠ –٣٠م، إذا جرح هريق سائلاً كثيراً كاللبن، ما يلبث أن يجف فيؤخذ علكاً، وأوراقها كبيرة بحجم راحة اليد أو أكبر قليلا، تشبه ورق التوت، مع خشونة يسيرة، ولها ثمار أكبر بنحو الضعف من ثمر الحماط (التين البري)، تخرج بكثافة على الساق والفروع القديمة، يحملها، كما ذكر أبو حنيفة، معاليق طوال، وليس منها ما هو لاصق بالعود ، كما ذكر في صفة الضرب الآخر من الجميز، وسماه التين الذكر،



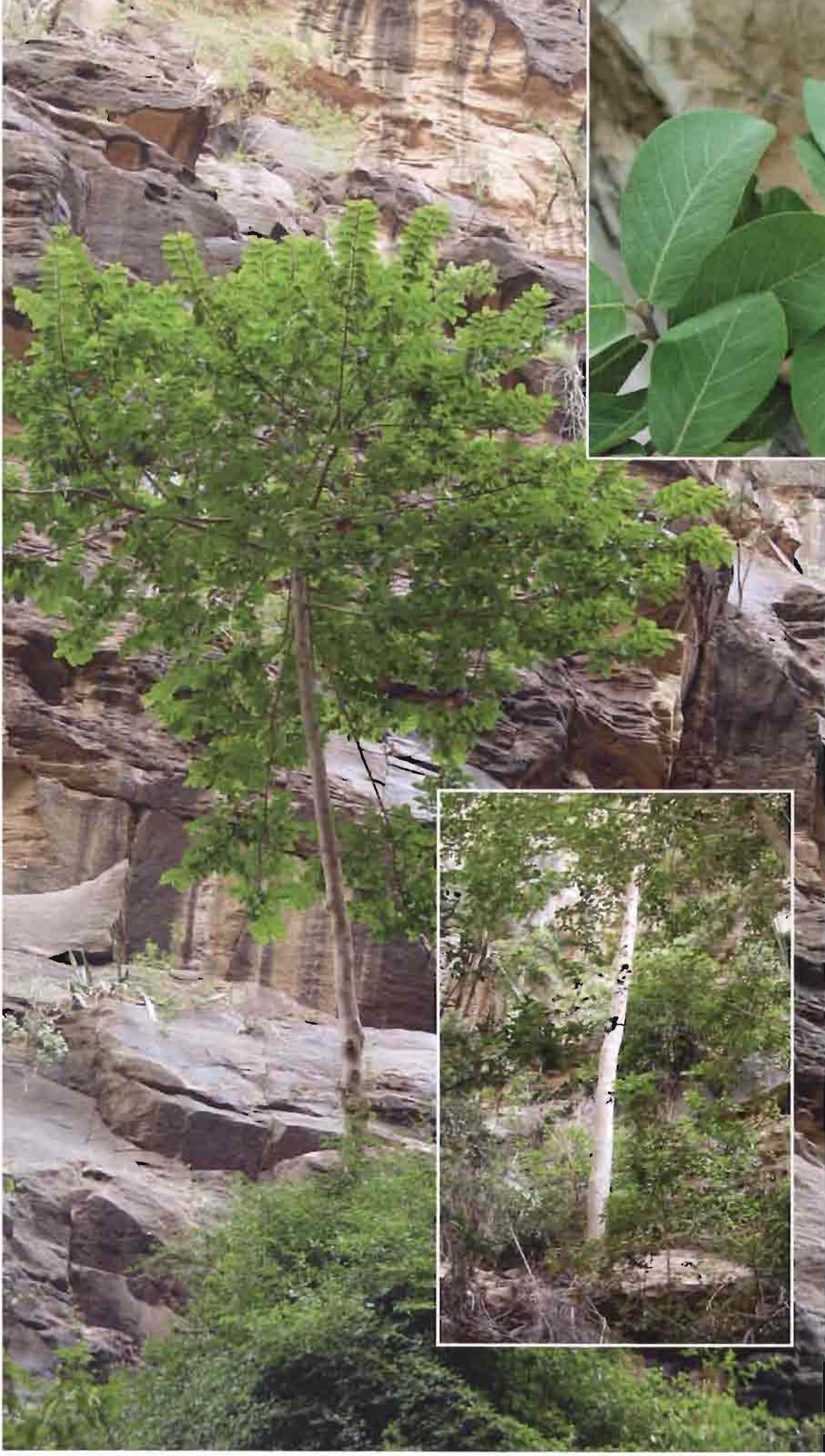
طائر الصُّفري النَّسَاج يبني عشه معلقا بالفروع العالية للجميزة >





بل هذه صفة ثمر الرُّقَع، أما ثمار الجميزة فتظهر، في الغالب، على أغصان صغيرة دائمة يتكرر ظهور الثمر عليها، ولعلها مراد أبي حنيفة بالمعاليق الطوال . وأما الثمرة نفسها فلها كثمر التين معلاق قصير، طوله نحو ٣ سم، يزول مع زوال الثمرة . وتلك الثمار تظهر صلبة، خضراء اللون مغبرة، ثم خضراء مصفرة، وعند تمام نضجها تتحول إلى اللون الوردي المحمر، وتلين، وفي داخلها حبوب كحبوب التين، إلا أنها جافة غير مستساغة، وربما سال منها ما يشبه الدبس عند زيادة الخصب والرواء . وكان الناس في أزمنة المحل والإملاق يأكلونها، وربما تسابقوا إليها، واختصموا عليها، أما اليوم فقليل من يأكلها، وتأكلها الطيور والقرود والأغنام بنهم شديد . وفي تهامة هذيل يسمون هذه الثمار (القَمْهَد) وبعض جهينة يسمونها (العَجْر) كالأثأب . وبعض أهل ورقان (الزُّمْعُد) كثمر العُتُم . وسمعت أهل الجُنُش، من ديار بني عمر يسمونها (الفَوْشَل) .

والجميزة شجرة معمرة، ضخمة الساق، فارعة الطول، أغصانها كثيرة منبسطة، تأوي إليها أنواع من الطيور، وتبني أعشاشها. وأوراقها كثيفة وارفة الظلال، يستظل تحتها المئات من الناس. وفي كثير من تهائم السَّراة وأصدارها يقتلعونها وهي لا تزال نبتة صغيرة، فيعيدون غرسها في الأماكن التي يحتاجون فيها إلى الظل، كأفنية البيوت، والأسواق، والمساجد، ويغرسونها في أطراف المزارع قريبا من الآبار للظل، أو لصد السيول الجارفة . وكانوا يجتردون اللحاء من بعض أغصانها فينقعونه حتى يتعفن ويسهل عليهم تفكيك أليافه وتقسيمها إلى جدائل، ثم يبرمونها خيوطاً؛ يصنعون منها الأوكية والعُقُل والشُّرُك وغير ذلك، وقد يصنعون منها الأرشية، ولكنها أقل جودة من تلك التي يتخذونها





● القُشَّار ، الخَيْزَران ـ *Ficus sp*

من أوراق الخَزَم أو السَّلَب. كما أن عودها رديء لا يصلح للوقود، وربما اتخذوا منه الخلايا، وكذلك الصحاف بأحجام مختلفة، وهي أخف من صحاف الغَرَب، وفي تهامة زهران وبني عمر رأيت من يفضلها لذلك على صحاف الغَرَب، ويبالغون في أثمانها .

وهي شجرة شديدة التحسس، وأصحاب الخبرة من أهل السَّراة وتهامة يتعاملون معها عند قطف ثمارها أو قطع شيء من أغصانها وأوراقها بعناية فائقة؛ إذ إن أي ضرر زائد ينالها ربما انتهى بها إلى الموت، بخلاف أختها الرُّقَعَة التي تحتمل قسوة التعامل. وكانوا يفسرون هلاكها بسبب التعامل الخشن بقولهم: (خَرِعَت) أي ارتاعت من القطع، فيَبِسَت، أو (نَقَزَت) بلغتهم الدارجة. وتفسيرهم هذا إدراك سابق لما توصل إليه العلم حديثا ؛ من أن النَّبات يعتريه ما يعتري الإنسان من مشاعر الحب والكره والخوف والأمن .

وإلى عهد قريب كان أهل بني جُرَّة من سراة غامد، يحمون الجميز النابت في أصدارهم، ويعزرون الذي يقطع شيئا منه بذبح ثوره، أو بدفع قيمته من المال .

وإذا ناهزت الجميزة الهرم تجوَّفَ من النَّخَر جذعها، وأصبحت مأوى لأنواع من الثعابين، والحشرات، ومنها النمل الأسود المعروف في السَّراة بـ (الشَّقَح) وهو صغير الحجم، لكنه سرعان ما يلوث بمتسلق



الجميز - *Ficus sycomorus*

• الحِشْرُف _ *Ficus serrata*

الجميزة بأعداد كبيرة، يحامي عن مسكنه بقرصاته المؤلمة، وربما كان يحامي عن الجميزة نفسها، في معيشة تكافلية، إذ توفر له المسكن، وهو يوفر لها الحماية.

وما زالت الجميزة معروفة بهذا الاسم في جبال الحجاز غرب المدينة المنورة، وأهل السَّراة يسمونها (الإبراءة) و (الإبراية) بالهمز والتسهيل، والجمع (الإبراء) و (الإبرى) بالقصر، وكذلك سمعتها في تهامة هذيل. وتنطق في سراة بني عمر بفتح الهمزة، وتفخيم الراء. وأهل الجُنُش من بني عمر ينطقونها بضم الهمزة . وسمعت أهل شدا الأسفل ينطقونها مكسورة الهمزة مرققة الراء، وكذلك تنطق في نواح من تهامة زهران، وجبال حيدان الخولانية شمال صعدة . وفي ديار ثمالة جنوب الطائف يلتقي الاسمان الجميز والإبرى، فتعرف بهما على السواء . و(الإبرى) لغة يمانية قديمة، تفرد بذكرها أبو عمرو الشيباني(٢). وهي (البُرَاية) في جبال فيفا . و (البرَّاة) والجمع (البرَّى) في جبال باجل اليمنية ومنطقة الضَّحْي شرق الحديدة . وفي العدين من محافظة إب يسمونها (الخَنَس) . وهي (السقَم) في الضالع ونواح أخرى من جنوب اليمن. وفي جبال ظفار تسمى (الغِيْضَة) وآخرون ينطقونها (الغِيْضِيْت) بتاء مفتوحة



جذع الحشرف >



ثمر الحشرف



• السُّوْر _ *Ficus sur*

قبلها ياء .

ومن جبال رضوى جبل يسمونه جبل الإبرى، ولم أقف على هذا الجبل، ولعله يُنبت هذه الشجرة، فسمي بذلك؛ ولا سيما أن سكانه من جهينة، وهي قبيلة قضاعية يمنية. وهم اليوم يعرفون هذه الشجرة باسم الجُميز، ولا يعرفون الإبرى . ويظهر أنها تسمية قديمة، ثم نُسي مدلول تلك التسمية، وبقي اللفظ علما على ذلك الجبل، وهو في هذا مثل جبل البَلَس، وجبل الرَّنْف، وجبل التَّنْضُب، وهي من جبال رضوى التي تنبت أشجار الرَّنْف والتَّنْضُب والبَلَس، وهو الحَمَاط، كما سيأتي في موضعه، بإذن الله .

وفي بطن وادي لَجْب، ومنتصف وادي العين من جبال العبادل شرق منطقة جازان، شاهدت نوعا نادرا من هذا الجنس (*Ficus sp*) وهو شجرة عظيمة تشبه الجميزة، وتقوم على ساق مستقيم فارع، بارتفاع يزيد على ٣٠م، يكسوه لحاء أغبر مبيض، وربما أغبر غامق، تشبه أوراقها أوراق الجميزة، لكنها أكثر عرضا واستطالة، وأشد خضرة منها، مع خشونة واضحة، وتفرز كالجميزة سائلا قليلا أبيض اللون. وثمارها أصغر من ثمر الجميزة، تظهر خضراء صلبة، وعند النضج تصفر وتلين، ثم تحمر عند تناهي النضج . تسمى في جبال العبادل (القُشَّار) . وأهل وادي لَجْب يسمونها (الخَيْزَران) كأنه على التشبيه؛ لاستواء أفنانها. وأخبرني دليلي من أهل هذا الوادي أنهم كانوا يهبطون إليها من جبل القَهْر فيتخذون من ساقها النِّيْر، وهو ما يوضع على عنق الثورين عند الحرث، ويسمونه (المَصْمَدة) ويفضلونه على ما سواه؛ لخفته واستقامته وسهولة نحته . وأخبرني دليلي من أهل جبل سَلاَ أنهم يعلفون أوراقها للبقر، ولا يأكلون ثمارها، وأن عودها الفارع الطول هش لا يصلح في البناء.

وفي العدين ونواح أخرى من جنوب اليمن شاهدت نوعا ثالثا على هيئة الجميز، ينبت بين الأدغال على ضفاف الأودية الرطبة، وربما نبت في السفوح كثيفة الشجر. يرتفع نحو ٢٠ – ٣٠م . أوراقه تشبه أوراق الجميزة، ولكن خشنة كأوراق القُشَّار أو أشد، وثماره كثمار القُشَّار، في الحجم ومراحل النضج. يسمى الحشْرُف (*F. serrata*) أو (*F. exasperata*)أخذوه من خشونة أوراقه، على القلب من الحَرْشف .

وفي جبل صَبِر ومناطق أخرى من جنوب غرب اليمن شاهدت في السفوح وعلى ضفاف الأودية الرطبة نوعًا رابعا من هذا الجنس، يشبه الجميزة كثيرا، لا يكاد يفرق بينهما إلا متأمل بصير. ولكن ثماره أصغر حجما من ثمر الجميز، يسمى السِّوَر بكسر الأول وفتح الثاني ، وآخرون يسمونه (السُّوْر) بضم الأول وتسكين الثاني (*F. sur*) وربما زرعوه؛ لأجل ثماره وظلاله حول منازلهم .

---

(١) النَّبات ٥ / ٧٠ . وينظر : أسماء جبال تهامة ٤١٥ . والمخصص ١١، ١٣٨، والعمدة ١ / ١٣٧، وجامع ابن البيطار ١ /٢٢٨، وحديقة الأزهار ٨٠، والعين ٦ / ٧٢،٧٣، والصحاح ٣ / ٨٦٩، وتهذيب اللغة ١٠ / ٦٣٠، وشمس العلوم ٢ / ١١٦٣، واللسان ٢ / ٣٥٢، والقاموس ٦٥٠، والتاج ٤ / ١٨(جمز) .

(٢) الجيم ١ / ٧٤ .



الجميزة (الإبرى) بجوار الرقعة (يسار) بوادي ذي عين _ شمال المخواة



الحُثَيْل



قال أبو حنيفة : ((زعم أبو نصر أن الحِثْيَل شجر يشبه الشَّوْحَط. و الحِثْيَل من أشجار الجبال ينبت مع النَّبْع وأشباهه. قال أوس بن حجر في وصف قوس:

تعلَّمَها في غِيلها وهي حَظْوَةٌ   بوادٍ به نَبْعٌ طوالٌ وحِثْيَلُ (١)

الحثْيَل
Grewia villosa

الفصيلة الزَّيزفونيَّة - TILIACEAE







قلت: الحثْيَل، والمفرد حثْيَلة، شجرة أو شجيرة قليلة الانتشار، وأكثر منباتها حيث نبت النَّبْع وَالشَّوْحَط، علَى علو ٨٠٠ – ١٣٠٠م .

تقوم الحثْيَلة على سيقان نحيلة غبراء إلى سواد قليل بارتفاع ٢ – ٣ م . ويُتخذ منها الهراوى والعصي الجيدة. أوراقها شبه دائرية أو شبه بيضاوية، في حجم راحة اليد، وقد تتسع مع الرواء وخِصْب المنبت إلى الضعف، لونها أخضر باهت يعلوه غبرة يسيرة، أطرافها مسننة، وقاعدتها قلبية. وهي من المراعي الجيدة للإبل والغنم، وأخبرني دليلي الألمعيّ أنهم كانوا يغسلون رؤوسهم بأوراق الحثيل المهروسة، فيكون منها رغوة كثيفة تنظف الشعر من أصوله وتغذيه . والأزهار برتقالية إلى أرجوانية تميل إلى السمرة، والخويطات صفراء. وثمارها في حجم حبة النبق تظهر خضراء مكسوة بزغب أبيض دقيق، وعند النضج يتحول لونها إلى البُني المشوب بحمرة، وقد يأكلها الرعاة، برغم أنها جافة قليلة الحلاوة، وفي داخلها ٢ – ٤ بذرات صلبة .

تسمى هذه الشجرة في أصدار خثعم وجبال فيفا (الحِثْوَل) بإبدال الياء واوا، وينطق بكسر الواو في الجُنُش من ديار بني عمر . وفي تهامة عسير يسمونها (الفحْوَل) بتقديم الثاء على الحاء وقلبها فاء. أو هو قلب مكاني من (الحفْوَل) وقد روى أبو حنيفة عن أعرابي من أهل اليمن كلاما في صفة الحفْوَل ينطبق أكثره على هذه الشجيرة (٢) . وفي جبال العبادل يسمونها (ركبة امَجمل) أخذوه من شكل ورقها العراض الذي يشبه في استدارته وحجمه ركبة الجمل . وفي جبال الرَّيْث شرق منطقة جازان تسمى (المُشَّة) بمعنى غسول الرأس، ولا يجهلون الاسم الشائع . وهي (الذِّخي) في جبال ظفار . وفي جنوب اليمن تسمى (الشَّوْحَط) وكذلك (العَنْقَص). وسمعت أهل الجبل الأخضر شمال عمان يسمونها (الشَّوْحَطان) وهو خلط بالشَّوْحَط المعروف، لكثير من الخصائص المشتركة بينهما . وشاهدت هذه النبتة بأعداد قليلة جداً في سفوح جبال آرة جنوب المدينة المنورة، إلى جوار نبتة أخرى واسعة الانتشار في جبال السَّراة والحجاز، تُسمى الرُشأ بضم الأول وفتحه (*Triumfetta flavescens*) وهي أنواع تنتمي إلى الفصيلة الزيزفونية أيضًا .

(١) النَّبات ٥ / ١٠٠ . وينظر : ديوان أوس ٩٤، والنَّبات للأصمعي ٣٦، والمنتخب ٢ / ٤٦٢، والمخصص ١١ / ١٤٢، والعمدة ١ / ١٦٣، والصحاح ٤ / ١٦٦٦، وشمس العلوم ٣ / ١٣٣٦، واللسان ٣ / ٤٩، والقاموس ١٢٦٩، والتاج ٧ / ٢٧٣ (حثل) .

(٢) ينظر : النَّبات ٥ / ١٣٣ . والتكملة (حفل) ٥ / ٣١٩ .





وادي ناوان غرب جبلي شدا

الحَدَق

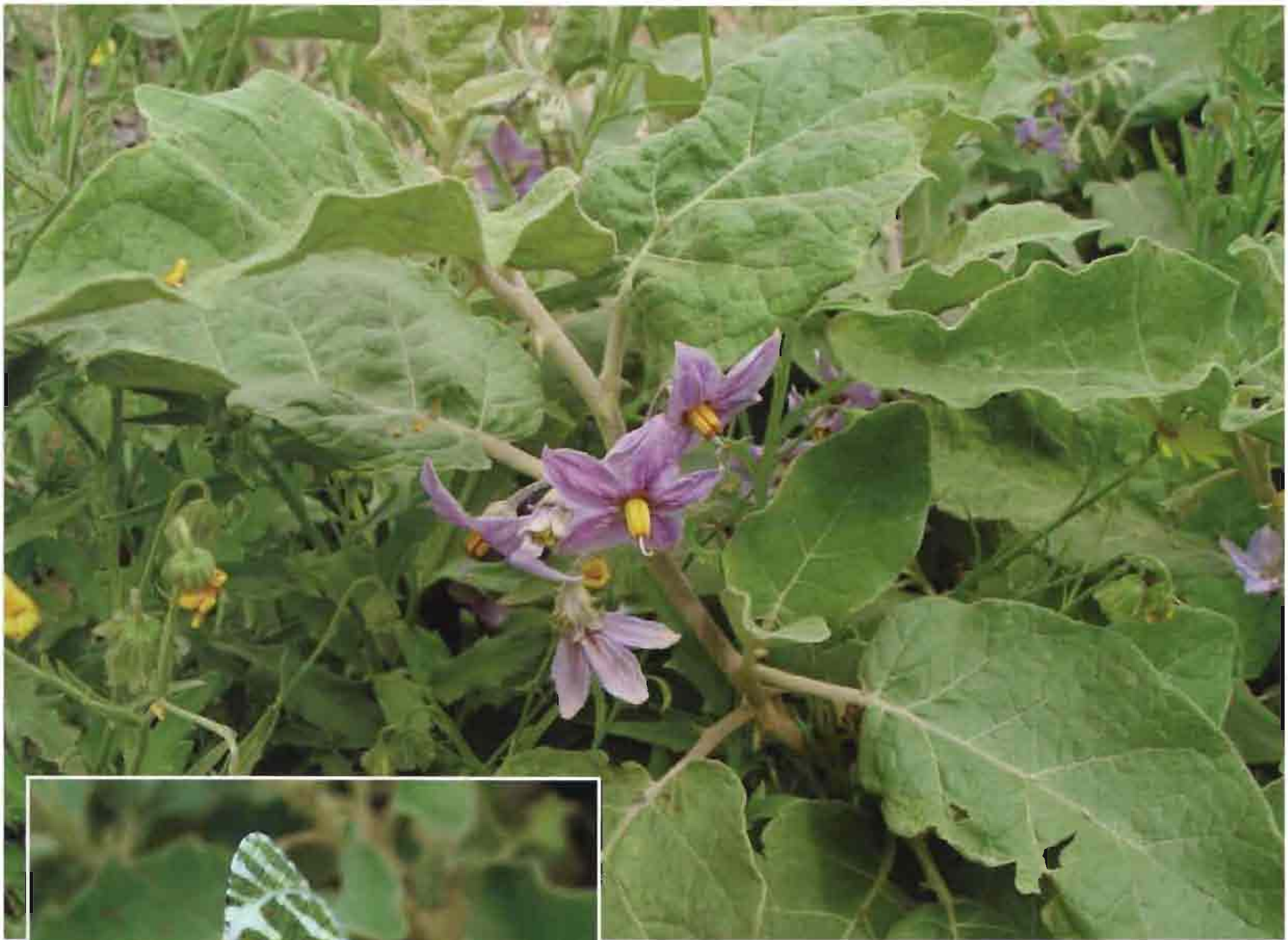


ذكر أبو حنيفة الحَدَق (١) ، وفسره بالباذنجان . وكذا فسرته المعاجم (٢) . ولم تزد على هذا، سوى الصاحب
فقد فسره بأوضح من ذلك، وميزه عن الباذنجان، حين قال : ((الحَدَق: شجر، في لغة هذيل، شاكة مورقة، وهو
أيضًا : الباذنجان)) (٣) . وأوضح تفسير له عند القدماء ما نقله ابن البيطار عن كتاب الرحلة لأبي العباس
النَّباتي، في قوله : ((هو اسم عربي معروف بالقدس، وما والاها لنوع من الباذنجان بري، ينبت عندهم بأريحا
وأرض الغور جميعه، ويعظم نباته حتى يكون أطول من شجر الباذنجان، وفيه شوك مُحجَّن، وثمره يكون
أخضر، ثم يصفر، وقدره على قدر الجوز، وشكله شكل الباذنجان سواء، ورقه وثمره وأغصانه. وهم يغسلون به
الثياب فيُبيِّضها. وكذلك هو عندهم باليمن معروف بما ذكرت . وفي أرض الحبشة، فيما ذكر لي من كان بها. ومنه
نوع آخر صغير كثير الشوك، وورقه صغار، وأغصانه دقاق، وطول شجرته ذراع، رأيته ببلد من أرض الحجاز،
وسألت عنه بعض الأعراب، فسمَّاه لي شوكة العقرب، وقال : إنها تنفع من لدغ العقارب)) (٤) . قال ابن البيطار
معقبا: ((تعرفه أهل اليمن بالعِرْصِم. وهو أيضا كثير بأرض القاهرة من الديار المصرية ...)) (٥) .

الحَدَق

Solanum incanum

الفصيلة الباذنجانيَّة - SOLANACEAE





قلت: الحَدَق، والمفرد حَدَقة، شجيرة، معمرة، واسعة الانتشار، تنبت في فضَاض الجبال، وشطوط الأودية، وأسناد الحقول الزراعية، وجوانب الطرقات، وذلك على ارتفاع ٨٠٠ – ٢٥٠٠م.

تقوم الحَدَقة على ساق أو أكثر، بارتفاع قدره ١٠٠ – ١٥٠ سم. سيقانها وفروعها غبراء مصفرة، مكسوة بأشواك كثيفة حادة مستقيمة وأحيانا محجّنة. وتتخذ وقودًا. أوراقها خضراء مغبرة، متعاقبة بيضاوية متطاولة، وأطرافها تامة أو متموجة، وربما مفصصة، يظهر على معلاق الورقة، أحيانا، أشواك تمتد إلى عرقها الأوسط. وفي الجُنُش من ديار بني عمر





تستعمل، كالليفة، لغسل الأواني المنزلية. أزهارها خماسية الفصوص بنفسجية اللون، مثلثة الشكل، يبرز من بينها مآبر ثخينة صفراء اللون، تحتضن حامل السمة على هيئة أسطوانية، يحملها كأس ومعلاق قصير شوكي . ويعقبها ثمار ملساء، كروية الشكل، شبه صلبة، في حجم ثمرة مشمش متوسطة الحجم، تكون خضراء اللون مغبرة عند ظهورها، ثم خضراء مصفرة، ثم صفراء فاقع لونها عند تمام النضج . وهي سامة، شديدة المرارة، تحتوي على عدد كبير من البذور، لونها بني مصفر،وربما بني إلى سواد قليل . وتظهر الثمار بكثافة، وتدوم على الأغصان مدة طويلة، وربما سقطت الأوراق والثمار ما زالت على أغصانها، تلفت الأنظار . ويترامى بها الأطفال، وهم على حذر من أن تنفطر، ويصل ماؤها إلى عيونهم، فإنه يسبب لها آلاما شديدة.

والحدق، كما ذكر أبو العباس النّباتي، يشبه الباذنجان في كل شيء تقريبا، إلا الثمر فبينهما تباين واختلاف في الهيئة واللون والطعم .

وتستعمل ثمار الحدق في مناطق واسعة من جبال السراة في إزالة الشعر عن





● الحَدَق ٢ _ *S. surratense*

الجلود قبل دباغتها، إذ تهرس بحذر كيلا يطير شيء من مائها إلى العين، وتوضع بعد هرسها على الجلد من داخله، ثم يلف ويدعك .. وهكذا نحو ثلاثة أيام أو أكثر، وبعدها يتم إزالة الشعر بواسطة سكين أو نحوها، فينسلت بأيسر الجهد.
وفي التداوي كان الناس من سراة بني عمر يضمدون بأوراقه الجروح الحادثة والمزمنة، فتجف وتطيب سريعا. ويعالجون نخر الأسنان الشديد الذي يسبب للمريض آلاما مبرحة؛ وذلك بجمع كمية من ثمارها الناضجة في إناء خاص، ثم يضيفون إليها قدرا مناسبا من الماء، ويضعونها على نار هادئة، ويستنشق المريض البخار المتصاعد من الإناء بواسطة قرن مفرغ أو قمع يوضع على الفم، وعندها يتساقط من الفم أنواع من الطفيليات أو الديدان التي تعيش على فضلات الطعام بين الأسنان . وربما تساقط معها جذور الأضراس المتآكلة . وتستعمل مهروسة في نواح من ديار بني عمرو لعلاج الأبدة (اللشمانيا) ويعتصرون ماءها في جبل ورقان لعلاج الجروح المزمنة والمستعصية . وأخبرني رجل من سراة زهران أنهم كانوا يخلطونها بكمية قليلة مع الماء والعسل ثم تُشرب، فتقتل الطفيليات في البطن، وأخبرني دليلي من أهل جبل سَلاَ شرق جازان أنهم كانوا يعالجون بجذورها المنقوعة أو المطبوخة حمى الملاريا.

والحَـدَق هو الاسم الشائع لهذه النبتة في معظم جبال السراة، وكذلك يسميه أهل جبل شمنصير من بني سليم . وهو ليس خاصا بلغة هذيل، كما







● أم لحم _ [S. sepicula] S. glabrata

ذكر الصاحب. وسمعت بعض بني سالم من ثقيف يسمونه (الحَدَج) بإبدال القاف جيما. وفي جبال الحجاز سمعت أهل وادي قَصَب من جبل رضوى يسمونه (حُدَيْج الصَّيْد) للتفريق بينه وبين الحَرْشاء التي يسمونها (حُدَيْج الغَنَم) وهي نوع من الحنظل. ويريدون بالصيد الوعل؛ لأنه من مراعيه، فيما يقولون، يذبحونه فيجدون ثماره في بطنه. وأهل الفقرة من حرب يسمونه (الفَرْقِيْع) وكذلك يُسمى في الكويرة والأجرد من ديار جهينة. وسمعت الصواعد من أهل وادي ريم يسمونه (الحصْرِد) ويطلقون (الحَدَج) بالجيم على الحنظل بنوعيه. وفي تهامة خثعم إلى منطقة جازان وبعض مناطق اليمن يُسمى (النُّقُم). وفي جبال حَيْدان اليمنية يسمون الشجرة نفسها النُّقُم، وثمرها الحَدَق. وسمعت أهل جبل صبر وما حوله يسمونه (العِرْصم) كما ذكر ابن البيطار. وفي جبال ظفار يسمونه (الحَلْقَم) وآخرون ممن لغتهم المهرية يسمونه (الحوقُوت). وأهل جزيرة سقطرى يسمونه (حَرْجَهيْم). وفي الجبل الأخضر شمال عمان يسمونه (الشَّرنْجبان) وهو استعمال قديم، ذكره أبو حنيفة بلفظ (الشَّرْجبان) بحذف النون، فقال: ((الشَّرْجبان شجيرة كشجرة الباذنجان نبته وثمره، غير أنه أبيض، ولا يؤكل. يدبغ بها، وربما خُلطت بالغَلْقَة فيُدبغ بها. قال ابن الأعرابي: الشَّرْجبان شجيرة مشعانَّة (٦) يتحلَّب منه السُّمُّ، ولها أغصان. قال الدينوري: هو كثير الشوك، ورقه وقضبانه)) (٧).

ومن الحَدَق نوع آخر (S. surratense) شاهدته في سفوح الجبال شرق منطقة جازان، على ارتفاع ٧٠٠ – ١١٠٠ م. وهو شبه زاحف، يرتفع عن الأرض نحو ٢٠ – ٣٠ سم. ويتفرع على هيئة شبه دائرية. معظم أجزائه شائكة، وأشواكه كثيفة جداً، يشبه في نظامه الزهري والثمري النوع السابق. يُسمى النُّقُم أيضاً، وسمعت بعض أهل جبل مُنْجِد يسمونه القِشْع.

وفي نواح من جبال سَمَارة وقاع جَهْران وما حولهما يطلقون الحَدَق على نوع آخر من هذا الجنس ([S. glabrata [S. sepicula) وهو الذي يسمى (أم لَحْم) في معظم جبال السراة، وبعض الأنحاء الشمالية من جبال اليمن. وكذلك تسمى في جبل شمنصير والعرضاء من ديار بني سُليم. وهي شجيرة واسعة الانتشار، تنبت على علو ٥٠٠ – ١٨٠٠م. وترتفع على سيقان نحيلة متعددة، كثيفة الأشواك، ذات لون بني غامق، وربما بني مصفر، تخرج من أصل واحد بارتفاع ٤٠ – ٧٠سم. والأوراق صغيرة متطاولة، شائكة من الخلف، والأزهار بنفسجية اللون، صفراء



● أم لحم ٢ _ *S. forsskalii*





المآبر، تشبه أزهار الحدق . ويتلوها ثمار عنبية كثيفة، تظهر خضراء مغبرة، ثم صفراء برتقالية، وحمراء عند تمام النضج . وأشواك هذه النبتة محجنة شديدة الأذي إذا علقت بجسم الإنسان أو ملابسه صعب التخلص منها، ولا تنتزع من الجسد إلا بدم مهراق، وحرقة ممضة، ومن ذلك سموها (أم لحم) . وسمعت رجلا من جبال حَيْدان اليمنية يسميها (النَّخْب) وهو مصدر من معانيه في اللغة خرق الجلد، وإراقة الدم، ونزع اللحم. ولعلها تكون (شوكة العقرب) التي ذكر أبو العباس النَّباتي، والشبه بينهما واضح . وأخبرني رجل من ديار الحُرَّث شرق جازان أنهم كانوا يعاقبون الرعاة إذا أهملوا غنمهم ترعى زرع الغير، بأخذ غصن من هذه النبتة، ووضعه تحت إبط الراعي ثم سحبه بشدة، فيجد منه ألما شديدا، فيكون له عقوبة رادعة، لا يغفل بعدها عن أغنامه أبدا. وهي قليلة الانتشار في جبال الحجاز . وأهل هذه الجبال يسمونها (النَّشْبَة) .

ومنها نوع (*S. forsskalii*) رأيته في أصدار جبال السَّراة ، وكثير من جبال الحجاز. تنبت على ارتفاع ٧٠٠ – ١٢٠٠م . تشبه النوع السابق في نظامها الزهري والثمري، إلا أنها





● أم لحم ٢ _ S. forsskalii

أكبر منه حجما، إذ يزيد طولها، في الغالب، على المتر، وربما وصل طولها إلى خمسة أمتار، إن نبتت بين الشجر مستندة على سيقانه وفروعه العالية. وتخرج ثمارها في مجموعات صغيرة كهيئة العناقيد، حلوة تؤكل. وأوراقها أعرض وأقصر، وغير شائكة، تشبه أوراق الحَدَق شكلا لا حجما. تسمى في جبال السراة (أم لحم) أيضاً. وفي جبال الحجاز يسمونها (النَّشْبَة) كالنوع الأول. أخذوه من نشوب أشواكها في ملابس الناس وأصواف أغنامهم. ومنه يقولون: ((فلان نَشْبة)) للرجل الثقيل الذي يصعب الفكاك منه. وسمعت أهل الكويرة وبواط ورضوى من جهينة يسمون ثمرها (المُصَع) كما يُسمى ثمر العوسج، وهما يتشابهان حجما ولونا ومذاقا.

ومنها نوع آخر (Solanum. sp) قليل الانتشار، شاهدته في قرية حزنة من سراة بني عمر، على علو ١٨٥٠م بالقرب من الشفا. يرتفع نحو ١٢٠سم، على ساق واحد يتفرع، في الغالب، على نحو رأسي، من المنتصف. ويحتمي ساق هذه النبتة وفروعها الصغيرة بأشواك كثيفة حادة مستقيمة في اتجاه أفقي، تشبه أشواك الحدق. أوراقها



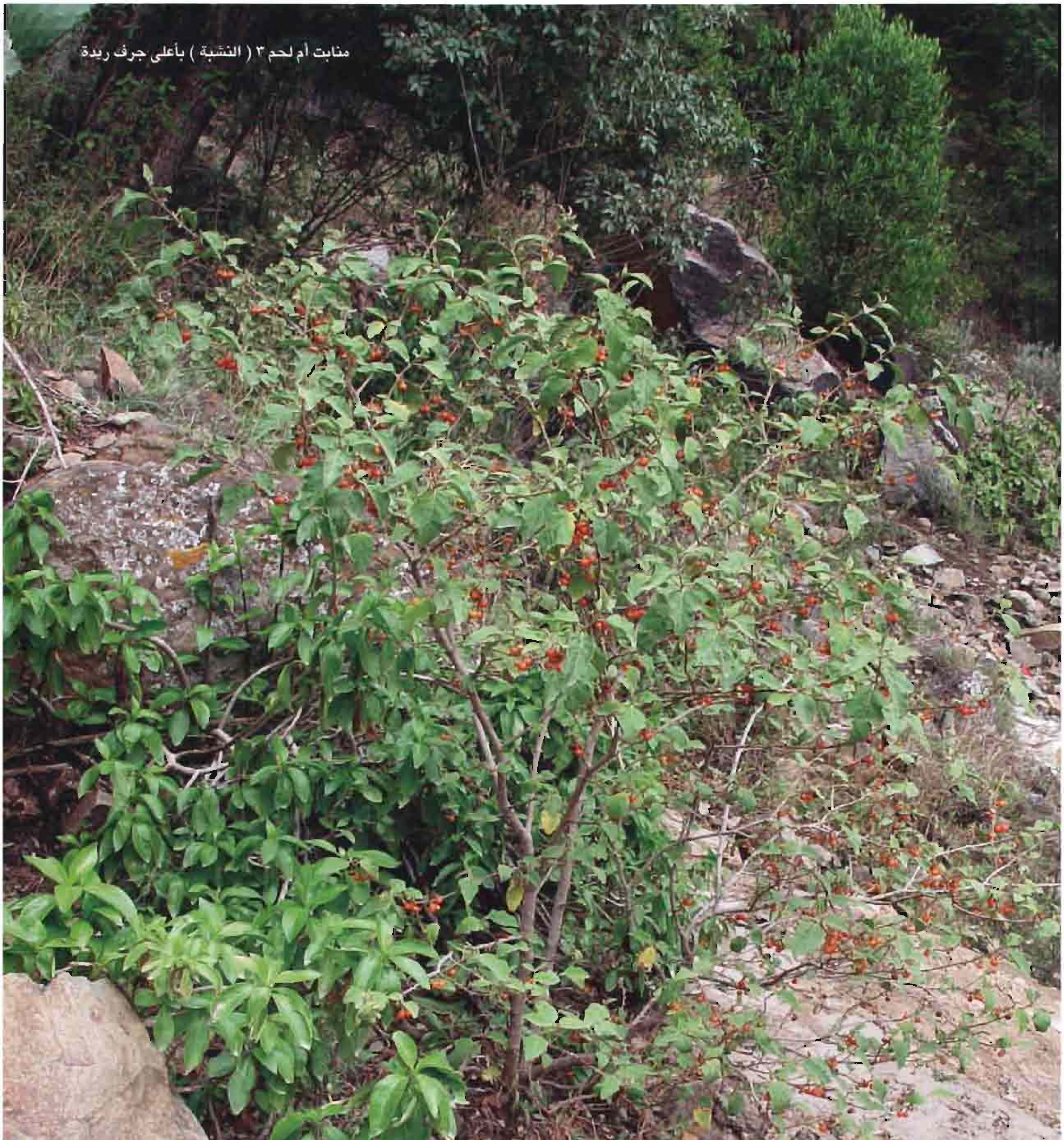




خضراء فاتحة، مفصصة بعمق، أكبر حجما من ورق النوعين الأخيرين، وأقرب إلى حجم أوراق الحدق . يظهر على معلاق الورقة أشواك حادة مؤذية تمتد إلى عرقها الأوسط من الجهتين الخلفية والأمامية . وهي تشبه النشبة في نظامها الزهري والثمري، إلا أن أزهارها بيضاء البتلات، وثمارها عفصة شديدة المرارة، ذقتها فبقيت مرارتها في فمي وقتا طويلا .

• أم لحم ٣ _ *Solanum. sp*

(١) النَّبات ٥ / ١٣٩ .
(٢) المخصص ١٢ / ٦، والتكملة ٥ / ٢٤، واللسان ٣ / ٨٨، والقاموس ١١٢٧، والتاج ٦ / ٣٠٩ (حدق) .
(٣) المحيط ٢ / ٣٤١ .
(٤) جامع ابن البيطار ١ / ٢٦٦ .
(٥) السابق ١ / ٢٦٦ . وينظر : المعتمد ٩٢ .
(٦) أيٍ كثيرة الشوك، تعلق بها أصواف الغنم وثياب الناس .
(٧) النبات ٦ / ٦٤ . وينظر : المخصص ١٢ / ٩، والتكملة (شرجب) ١ / ١٦٨


منابت أم لحم ٣ (النشبة) بأعلى جرف ريدة


المنازل القديمة على سفوح جبل فيفا


حصن أثري قديم على طرف من قرية حزنة ـ غرب بلجرشي



الحَرْمَل



قال أبو حنيفة: ((أخبرني بعض أعراب السَّراة، قال : الحَرْمَلَة شجرة تنبت بقرب الماء، تسمو قضباناً نحو القامة، لها لبن كثير، وورق أغبر طوال دون ورق الخلاف، تتخذ منه الزُّنُد الجياد، وهي أجود الزناد بعد المَرْخ والعَفَار. قال : ويؤخذ لبنها في صوف أو قطن ما حمل، ثم يُسغبل بالزُّبد حتى يُروَّى منه، ثم يُغمل عشرة أيام حتى ينتن، ثم يحك جرب الإنسان الأجرب حكًّا شديدًا، ويقام في الشمس، فيدلك جربه بتلك الصوفة، فيجد مضيضاً شديدًا، ويبرأ . وواحدة الحَرْمَل حَرْمَلة، وبها سمي الرجل حَرْمَلة)) (١) .

وروى عن أعرابي آخر قال : ((ونتخذها (أي الزناد) من الحَرْمَل، وليس هذا الحَرْمَل الذي يتداوى بحبه (٢) ، ولكن شجرة تسمى الحَرْمَلة، تنبت قضباناً سمحة، ولها لبن كثير . وأخبرني غيره من الأعراب قال: زَنْد الحَرْمَلَة أجود الزَّنْد بعد المَرْخ والعَفَار)) (٣) .

الحَرْمَل

Kanahia laniflora

ASCLEPIADACEAE - الفصيلة العُشَرِيَّة



قلت: الحَرْمَل، والمفرد حَرْمَلة، شجيرة جميلة كثيفة الأوراق والفروع، تنبت بالقرب من المياه الجارية، فإن نضب عنها الماء كانت إلى الموت على عَجَل. وأكثر منابتها بطون الأودية المنحدرة إلى الشرق من جبال السَّراة، على ارتفاع ١٣٠٠ – ١٧٠٠م . وفي السفوح الغربية رأيتها بأعداد قليلة أسفل عقبة الحَفْياء من ديار خثعم، على ارتفاع ١٢٠٠م ، ثم رأيتها بأعداد أقل بأعلى وادي العُشُر من تهامة خثعم أيضًا، على ارتفاع ٦٠٠م .

ترتفع الحَرْمَلة نحو ١٠٠ – ١٣٠سم على أصل كثيف التفرع، والفروع صفراء مخضرة، وأوراقها مستطيلة تشبه، أوراق الخلاف (الغَرَب) لكنها – كما ذكر السَّرويُّ – دونه في الطول والعرض، وليست غبراء كما ذكر، بل خضراء شديدة الخضرة، وربما علاها صفرة يسيرة . وهي تورق بكثافة في فصل الصيف، وتنحت في الشتاء معظم تلك الأوراق. والأزهار بيضاء متوجة بخمس بتلات يكسوها زغب ناعم كثيف، لها رائحة خفيفة، تفرز رحيقاً









يستهوي طائر التمير الأزرق وأنواعاً كثيرة من الحشرات، وربما عَلق بها النحل وغيره من الحشرات حتى الهلاك . وتبقى الأزهار قبل أن تذبل زمنًا طويلاً، وتظهر بكثافة ملحوظة، لكن معظمها يفسد، فلا يُثمر منها إلا القليل، والثمار جراء بيضاوية مزدوجة، لونها أخضر مصفر، إذا نضجت انفلقت إلى مصراعين تخرج من بينهما البذور معلقة في خصل من الشعر الناعم، فتطير بها الريح إلى أماكن نائية.

وتفرز الحرملة إذا كسر منها شيء سائلاً دافقاً، لونه أبيض كاللبن، ولم أعلم أن أهل السَّراة مازالوا يستعملونه في علاج المصاب بالجرب، كما رواه أبو حنيفة عن السَّرويّ. وأخبرني رجل يمني من أهل وادي الجنّات بإب أنهم ما زالوا يستعملون ذلك اللبن لعلاج الجرب وحساسية الجلد، ويسمون شجرته (الكَنَح) ومنه أُخذ اسمها في اللاتينية. وسماه آخر من أهل البيضاء (الحُرُمَّل) بضم الأول والثاني، وتشديد الميم، للتفريق بينها وبين الحَرْمل الذي ينتمي إلى الفصيلة الدفلية .

والرعاة يجنبون أغنامهم، إذا وردت الماء، أن ترعى الحرملة؛ خشية أن تنزو قطرة من ذلك السائل إلى أعينها فيصيبها العمى .

وأخبرني رجل حزنويٌّ (٤) من سراة بني عمر أنهم كانوا ينزعون لحاء الحرملة فيزيلون عنه قشرته العلوية الخضراء، وتبقى بطانته الداخلية مكونة من ألياف مرنة يصنعون منها الحبال الصغيرة والخُطم والشُّرك والجدائل، وهي قوية جدًا، تقوم مقام تلك التي يصنعونها من ألياف السَّلَب.

ويُطلق لفظ الحَرْمَل أيضا على نوع آخر من الفصيلة الدِّفْليَّة (*Rhazya stricta*) ويعرف بهذا الاسم في كثير من تهائم السَّراة ونجد وجبال الحجاز . وهو شجيرة معمرة، تنبت في بطون الأودية الفحول وعلى ضفافها حتى علو ٩٠٠م . وهي تقوم على سيقان متعددة بارتفاع





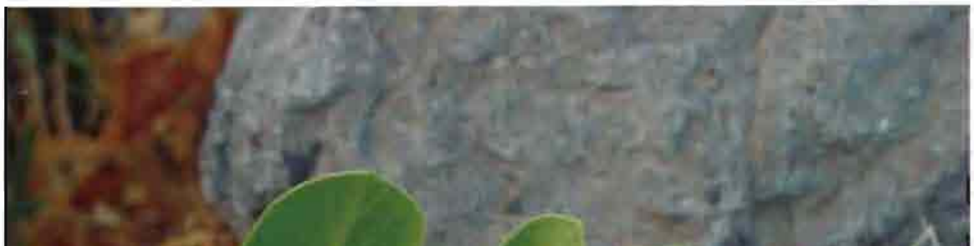
٥٠ – ٧٠ سم . أوراقها كثيفة متعاقبة ثخينة، رمحية أو بيضاوية حادة الطرف، تامة الحواف، تشبه أوراق النوع السابق، لكنها أقصر وأعرض قليلاً، تنمو في الغالب باتجاه رأسي، فيقل تعرضها للشمس، وهي دائمة الخضرة، فتراها صيفًا وشتاء كأنها على شاطئ نَهَر، أزهارها صغيرة بيضاء، لها رائحة عطرية خفيفة، تظهر مجتمعة على رؤوس الأغصان، ويتلوها ثمار قرنية زوجية خضراء مصفرة، تتحول، عند تمام النضج، إلى اللون البُني الفاتح، ثم تنفطر من أعلاها إلى مصراعين تتناثر من بينهما بذور مجنحة بنية اللون، قل أن تنبت إلا بعد شتاء غزير المطر . وهي كالنوع السابق إذا قُصم شيء من أجزائها رشح بسائل أبيض كاللبن .

والنبتة سامة، لا يرعاها الحيوان ، إلا أن لها استعمالات طبية كثيرة، فتستعمل بذورها أو منقوع أوراقها لعلاج أمراض البطن بأنواعها،




● الحرمل ٢ _ *Rhazya stricta*





ويستعملها النساء للتخفيف من آلام الولادة وحمى النفاس، وعلاج حالات الربو الشديدة، والحصر، وآلام المفاصل المزمنة، وتستعمل عصارة الأوراق لتسكين آلام العين والأذن الملتهبة . وكان الناس في بادية الحجاز يُدخنون بورقه على المصاب بالجدري .

ووصف أبو حنيفة هذا النوع عن أبي زياد بقوله: ((من الأغلاث الحَرْمَل. والحَرْمَل ما يأكله شيء إلا المعزى، فإنها تصيب من سنفة الحرمل إذا يبست، وسنفتُه قشورُها ثمرته . وقال : وقد يستوقد الناس بيابس الحرمل إذا لم يجدوا حطبًا غيره، وقد يُتخذ الحَبُّ الذي في سنفته للأدوية، وقد تُطبخ عروق الحرمل فيُسقاها المحموم إذا ماطلته الحُمَّى . وفي امتناع الحرمل على الآكلة، قال الشاعر، وذم قومًا :

هُمُ حَرْمَلٌ أعيا على كلّ آكل

مبيتًا ولو أمسى سوامُهُم دَثْرا

وقال رؤبة في مرارة عُصاره :

سَمَا بأعْقَى من عُصَارِ الحَرْمَلِ

... والحرمل مما إذا هبت عليه الريح تخشخش كالسَّنَا والعشْرق؛ ولذلك قال ابن ميّادة :

كأنَّ في ثوبِها زفزافَ حَرْمَلَةٍ

من أزْمَلِ الحَلْي وَهْنًا حين تنقلبُ (٥)

وفي مناطق من جبال السَّراة أيضًا، وفي سفوحها الشرقية خاصة، يطلق لفظ الحرمل كذلك، على نوع آخر من الفصيلة القدِّيسيَّة (*Peganum harmala*) وهو عشبة صغيرة معمرة، أكثر منابتها السفوح الشرقية من جبال السَّراة، على ارتفاع ١٣٠٠ – ١٦٠٠م . ورأيتها بأعداد طيبة في الحرات جنوب المدينة المنورة على ارتفاع ١٠٠٠ – ١٣٠٠م . ترتفع نحو ٣٠–٥٠ سم، وأوراقها كثيفة، شديدة الخضرة، مقسمة إلى أجزاء خطية صغيرة، تشبه أوراق الثُّفَّاء (حَبّ الرَّشَاد) . وأزهارها بيضاء اللون صفراء المآبر، جميلة المنظر . يزورها النحل، فيجمع منها دقيق اللقاح، ولا ينتج منها العسل؛ لأنه لا رحيق لها. وثمارها كروية في حجم الحمصة الكبيرة، تنفلق عند تمام نضجها إلى ثلاثة مصاريع ينتثر منها عدد كبير من البذور، في حجم الحبة السوداء، والبذور منقرة، ومستديرة من جانب واحد، لونها بني غامق، تشبه بذور البروق . وجميع أجزاء النبتة ينبعث منها رائحة كريهة يضيق منها الصدر . ولها استعمالات طبية كثيرة، فتستعمل بذورها للقضاء على الديدان وسائر الطفيليات من البطن، ويدخن بها في الأماكن الموبوءة لتطهيرها،





• الحرمل ٣ _ *Peganum harmala*

ويستعملها الرجال لزيادة قدرتهم الجنسية، لكن الإفراط في ذلك ربما أدى إلى حالات من الهلوسة والجنون، وربما الموت . والنبتة بجميع أجزائها سامة للحيوان . ورأيتها بوفرة في بطون الأودية التي تخترق السفوح الشرقية من جبال مدين، وسمعت أهل هذه الجبال يسمونها (الحَرْجَل) ويطلقون لفظ الحرمل على النوع المتقدم، من الفصيلة الدفلية . وفي جبل شدا الأعلى يطلقون لفظ الحَرْمَل على شجيرة من الفصيلة الصابيَّة (*Acalypha fruticosa*) وهي التي تسمى الذَّفْران، والزَّحَر. وسيأتي المزيد عنها في رسم الذَّفْراء، بإذن الله تعالى .

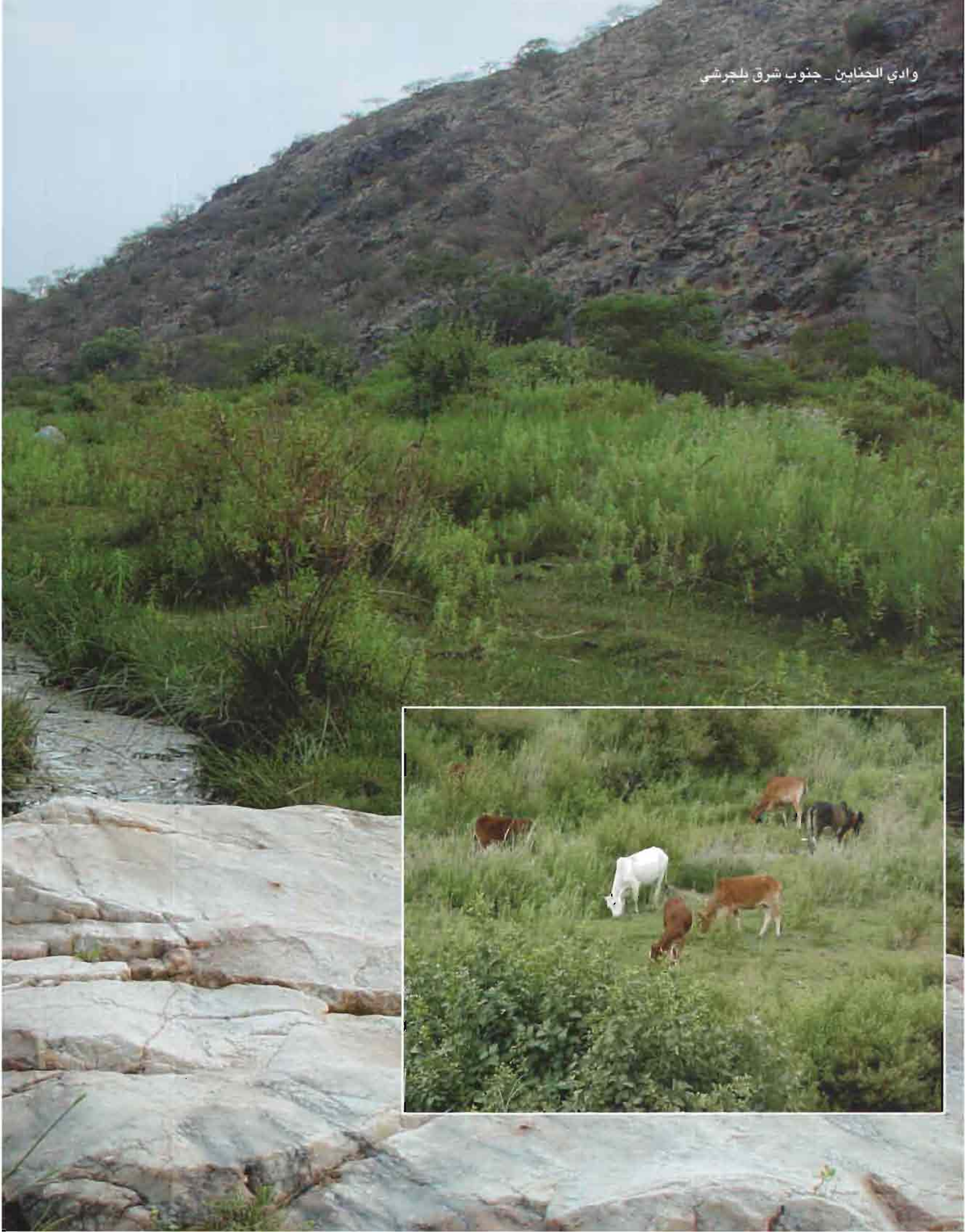
(١) النَّبات ٥ / ١٠٤ .

(٢) يعني الحرمل الذي ينتمي إلى الفصيلة الدفلية، كما سيأتي .

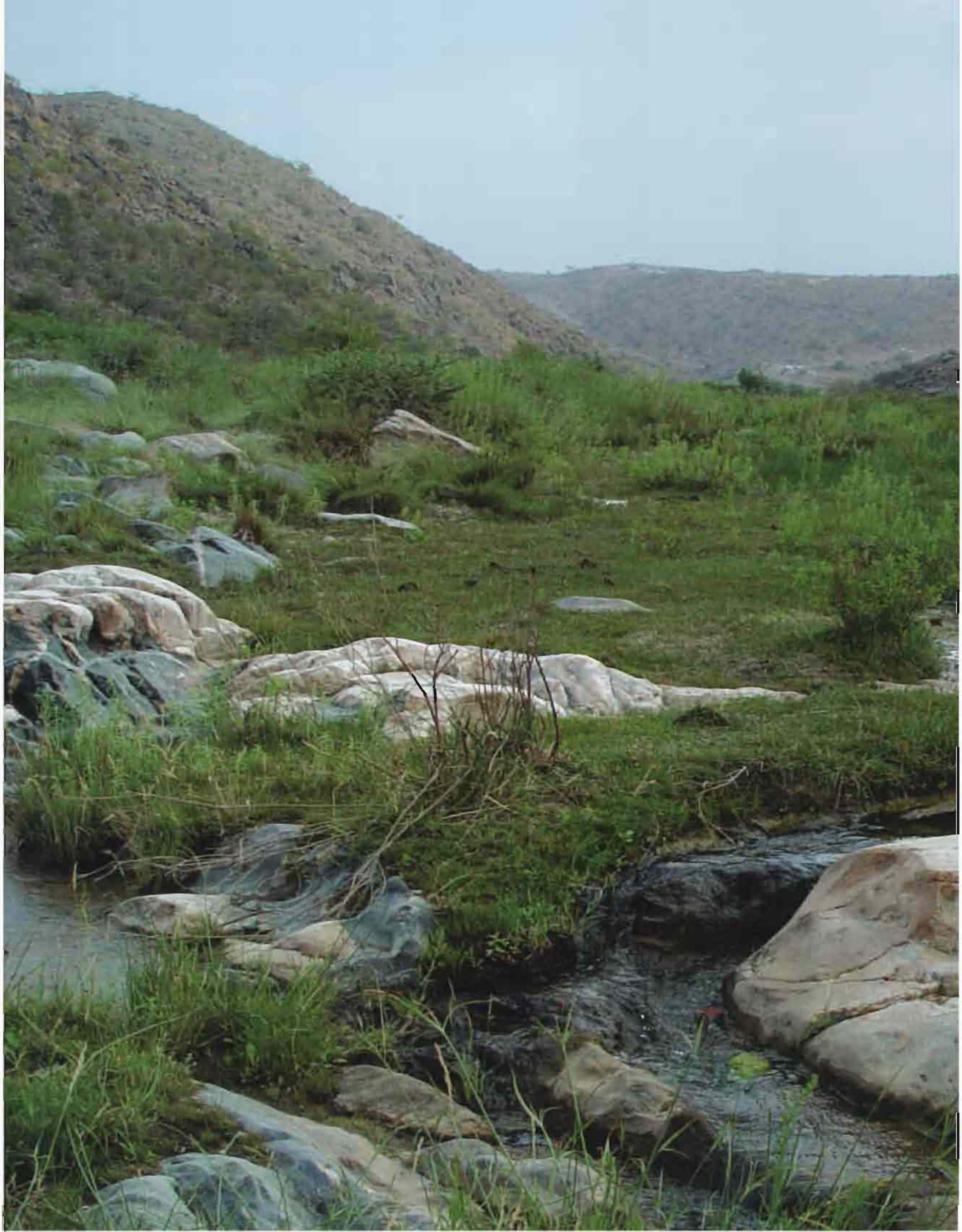
(٣) النَّبات ٣ / ١٢٤، ١٢٥ . وينظر: المخصص ١١ / ١٦٥، والعمدة ١ / ١٦٥، وجامع ابن البيطار١ / ٢٦٨.

(٤) نسبة إلى قرية حزنة. وكذا ينسب أهل هذه القرية أنفسهم، والقياس حزنيّ، ومثله في القديم: غزنة، والنسبة إليها غزنويّ .

(٥) النَّبات ٥ / ١٠٢ .



وادي الجنابين _ جنوب شرق بلجرشي



الحُرَيْمَلَة



قال أبو حنيفة : ((وقال (بعض أعراب السَّراة) : الحُرَيْمَلَة: نحو الرُّمَّانة الصغيرة، ورقها أدقُّ من ورق الرمان، خضراء، تحمل جراء دون جراء العُشَر، فإذا جفَّت انشقت عن ألين قطن، فتُحشى به المخاد، فتكون ناعمة جدا خفيفة، ويُهدى للأشراف، وما أقل ما يجتمع منه؛ لسرعة الرِّياح في تطييره)) (١).

الحُرَيمْلَة

Gomphocarpus fruticosus

ASCLEPIADACEAE - الفصيلة العُشَرِيَّة





تفرز أزهار الحريملة سائلا شفافا (لثى) شديد الحلاوة >

قلت: الحُرِيْملة تصغير حَرْمَلَة، وهي شجيرة معمرة، من أنواع الفصيلة العُشَرية التي تنتمي إليها الحَرْمَلَة الآنفة الذكر، وهي نوعان متشابهان :

النوع الأول: (*G. fruticosus*) ينبت في سفوح الجبال وقممها العالية، وأكثر منابته الأماكن الرطبة بين الإجام، وفي بطون الأودية والشعاب، وذلك على ارتفاع ١٥٠٠ – ٢٢٠٠م .

ترتفع الحُرِيْملة من هذا النوع قدر ١ – ٢م، وتقوم على أصل واحد قصير، لونه أغبر يميل إلى السواد، ثم تتفرع عن قريب إلى سيقان دقيقة صفراء محمرة، أو صفراء باهتة مع خضرة يسيرة، إن قُصف أحد أغصانها أو أي جزء منها تدفق منه سائل أبيض كاللبن، كالحرملة تماما. أوراقها خضراء قاتمة، مستطيلة ضيقة، طولها نحو ١٠سم، وعرضها نحو ٣ – ٤م، فيها مرارة شديدة . وتظهر أزهارها في مجموعات متجهة نحو الأرض، لونها أبيض باهت، يتوجها خمسة فصوص أُسطوانية صفراء ضاربة إلى الحمرة أو السمرة اليسيرة، ينبعث منها رائحة خفيفة غير مستحبة. ورأيت على هذه الأزهار حبيبات شفافة تشبه السكر، تسيل على الأوراق فتكوّن عليها طبقة بيضاء كاللثا . وقد أكلت شيئا من هذه الحبيبات فوجدتها في غاية الحلاوة، أعقبها بعد وقت قصير مرارة يسيرة . وثمارها جراء بيضاوية صفراء مخضرة، عريضة من أسفلها ضيقة من أعلاها تنتهي بطرف طويل مؤنَّف، يكسوها شعيرات حمراء أو بنية ناعمة، فإذا نضجت انفلقت عن بذور معلقة في خصل من الشعر الناعم الأبيض، تطير مع الرياح إلى أماكن نائية، وتستعمله الطيور في تبطين أعشاشها . ولا أعرف أن أحداً من أهل السَّراة ما زال يستعمله في حشو المخاد .

والحريملة ليست مرعى، فهي سامة تعافها البهائم، ولكن تستعمل في إزالة الشعر عن جلود الحيوانات،



فتسحق حتى تصبح كالعجينة، ثم توضع على الشعر، ويلف عليها الجلد، ويغمل نحو يومين أو ثلاثة أو أكثر بحسب سماكة الجلد، ثم يستخرج، ويكشط الشعر عن الجلد بسكين، أو نحوها، فينسلت بأيسر الجهد، ورأيت أهل جبال الحجاز يستعملون لهذا الغرض شجيرة تنتمي إلى فصيلة الحريملة أيضاً، يسمونها العَطْنة أو العَوْنة (*Pergularia tomentos*) ويعالجون بها جرب الإبل، وهي سامة أيضاً. وفي جبال مَدْيَن يسمونها الغَلْقة، وكذلك يسميها أهل الجبل الأخضر، شمال عُمَان، وهو اسمها القديم في أصول اللغة .

ويضمدون بأوراق الحريملة الجروح المزمنة فتطهر، وتلتئم سريعاً، وفي ديار بجيلة (بني مالك) وبني ظبيان من غامد يعالجون الأبدة (اللّشمانيا) بعصارتها البيضاء، فتشفى، بإذن الله . وفي ديار بني عمر وديار بالشهم من غامد يستعملون شعرها الناعم لتضميد الجروح وتطهيرها، فتبرأ على عجل .

وتنطق الحريملة في حزنة من ديار بني عمر (الحَرْمَلَة) مكبرة، وربما سموها (أم الحرير) أخذوه من شعر بذورها الفائق النعومة، وتسمى في بعض سراة عسير وقحطان وجبل القَهْر (القُرُّ). وسمعت أهل شدا الأعلى يسمونها (البُسُس) . وفي ديار بالشهم من غامد يسمونها (البِرْدي) بكسر الباء، وفي بعض قرى بني ظبيان من غامد أيضاً (الشَّمْر) بسكون الميم . وهي (المُعْمِيَة) في جبال فيفا، ويعللون التسمية بأن الغنم يصيبها العمى إذا نزا منها قطرة إلى عيونها. وهي (السُّبَّيْع) في نواح من جبال إب وتعز، و (الحيْرُوم) في جبال ظفار، وآخرون من أهل هذه الجبال يسمونها (أَشْنُوَثيْرِن). ورأيتها في أعالي جبل ورقان، وسألت عنها أهل حَظَة ممن سكن ذلك الجبل، فلم يعرفوا لها اسماً.

والنوع الثاني: (*G. sinaicus*) شجيرة واسعة الانتشار في جبال السَّراة والحجاز، تسمى (الحَرْمَلَة) في ديار بني عُمَر، وديار بالشهم من غامد. وكذلك تُسمى في جهة الشلايل من جبل ورقان. وتسمى في سراة عسير وقحطان (القُرّ الصغير)، تمييزاً لها عن أختها الحريملة التي يسمونها (القُرّ الكبير)، وأهل جبال قدس من عوف يسمونها (شاة الذِّيب)، وكذلك سمعتها في ديار ثمالة،





وفي ديار هذيل يسمونها (شُوَيْرة الذِّيب) لعله محرف عن شُوَيْهة الذئب، تصغير شاة. ويسميها الأحامدة من أهل الفقرة (دَيْد الناقة) كأنهم أخذوه من شكل ثمارها الذي يشبه أطباء الناقة. وهي (الغَزَالة) في الأجرد والكويرة من ديار بني كلب من جهينة، وكذلك تسمى في جبل رضوى، من ديار جهينة أيضاً . وهي (اللُّبَيْنَة) تصغير اللبن، في جبال مَدْيَن من ديار بني عطية والحويطات . وسمعت بعض آل ثعلب من خثعم يسمونها (الحَلاَّبة) أخذوه من سائلها الحليبي .

ومنابت هذه الأسناد الصخرية، وأطراف الحقول، وجوانب الطرق، على ارتفاع ١١٠٠ – ٢٠٠٠م .

ترتفع عن الأرض نحو ٤٠–٦٠سم. أوراقها خضراء باهتة مغبرة، أقصر من أوراق الحريملة وأعرض منها مع ثخانة زائدة . وأما نظامها الزهري والثمري فشبيه بالحريملة لا فرق، إلا أن ثمارها أصغر حجما، ويغلب عليها





● الحُريملة ٢ _ G. sinaicus





اللون الأغبر .

وهي أكثر تحملا للجفاف من أختها الحريملة، وربما كانت أكثر سمية منها، وتستعمل مثلها لإزالة الشعر عن جلود الحيوانات المعدة للدباغة . وفي ديار بالشهم تستعمل عصارتها البيضاء لإزالة الكلف من الوجه، وفي ديار بني عطية والحويطات يستعملونها لإجراء البطن . وفي أعالي ديار بجيلة (بني مالك) ما زالوا يستعملونها كأختها لعلاج الأبدة، يقطرون من سائلها على الموضع المصاب، بعد حكه وتنظيفه، وذلك لمدة سبعة أيام أو نحوها، ويجد المريض من ذلك ألما وحرقة شديدة، ولكن سرعان ما يشفى ، بإذن الله تعالى ، دون أن يبقى للأبدة أثر . وكذلك كانت تستعمل في جبال قدس وتهامة هذيل . وفي رجال ألمع من تهامة عسير يسمونها (عِضَة المَعَزة) أي شجرة الأبدة . وأخبرني دليلي إلى جبل رضوى بأنهم يعالجون بهذه النبتة جرب الإبل، وذلك بعد أن يدقوا الأوراق مع الأغصان، ثم تطبخ مدة قليلة، ثم يُطلى بمائها مواضع الجرب من البعير، بعد أن يشدوا وثاقه؛ لأنه يجد منها حرقة شديدة، ولكنه يبرأ على عجل . ويتعامل معها المعالج بحذر شديد كيلا ينزو من مائها قطرة إلى عينيه، فتسبب له ألما شديدا .

وفي جبال الحجاز يخلطون كثيرا بين هذا النوع ونوع آخر شديد الشبه به، من الفصيلة العشريّة أيضًا،



يسمونه الحَرْجَل (*Solenostemma arghel*) ترتفع هذه النبتة نحو ٥٠ – ٨٠ سم . أوراقها خضراء باهتة مغبرة، كأوراق النوع السابق، إلا أنها أقصر، وأعرض بنحو الضعف. لأزهارها رائحة طيبة، تشبه رائحة الياسمين، تخرج في مجموعات كثيفة على رؤوس الأغصان، ورأيت نوعا من الذباب الأزرق كبير الحجم، يكثر الوقوع عليها. ويعقبها جراء بيضاوية الشكل، تشبه ثمار النوعين السابقين، ولكن ناعمة مرداء، قاعدتها أعرض، وحجمها أكبر ، وعند تمام نضجها تنفطر إلى مصراعين، فتكشف عن عدد كبير من البذور معلقة في خصل من الشعر الناعم الأبيض، تحلق مع الريح إلى أماكن شاسعة بعيدة .

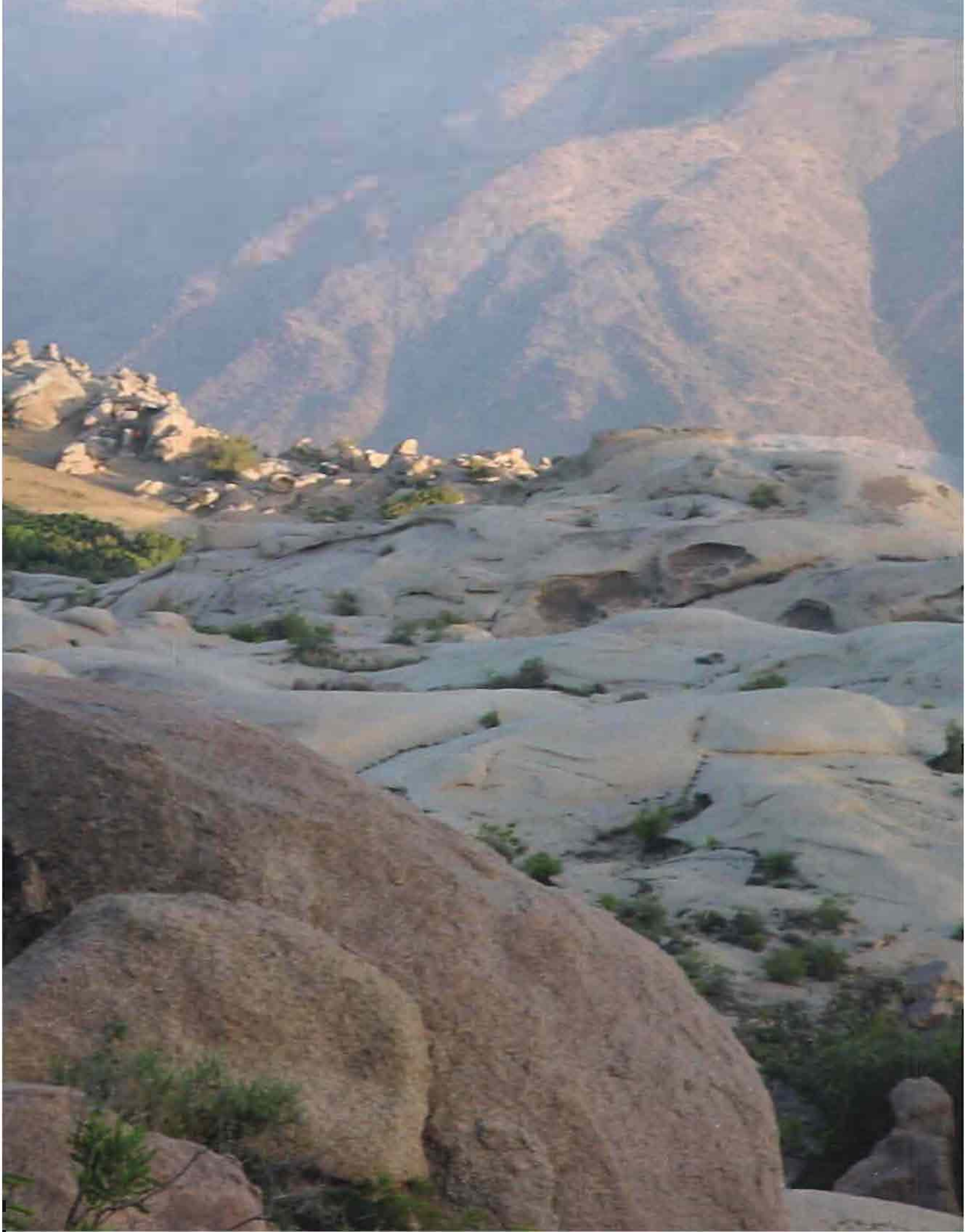
وأخبرني دليلي من أهل جبل رضوى بأنهم يضعون أوراق هذه النبتة على الشاي والقهوة، ويعتقدون أنها شفاء لأدواء كثيرة .

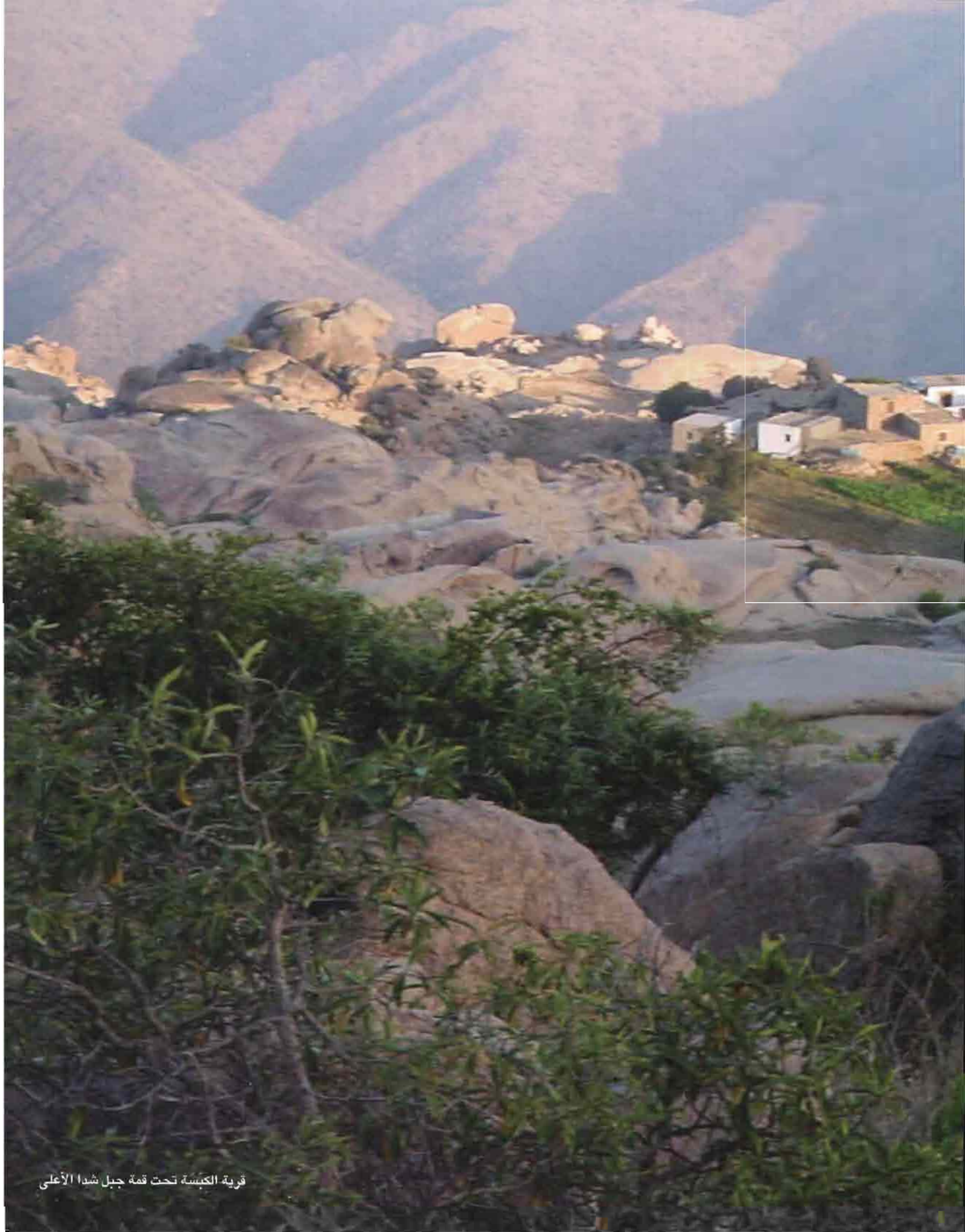
● الحَرْجَل _ *Solenostemma arghel*





(١) النّبات٥ / ١٠٤. وينظر : المخصص ١١ / ١٦٥، والعمدة ١ / ١٧٠، والتكملة ٥ / ٣١٤، واللسان ٣ / ١٤٥، والقاموس ١٢٧١، والتاج ٧ / ٢٧٧ (حرمل) .





قرية الكبَسة تحت قمة جبل شدا الأعلى

الحَلَق



قال أبو حنيفة : ((أخبرني أعرابيٌّ من أهل السَّراة أنها شجرة تنبت نبات الكَرْم، ترتقي في الشَّجر، ولها ورق شبيه بورق العنب، حامض، يُطبخ به اللحم، ولها عناقيد صغار كعناقيد العنب البريّ، يحمرّ ثم يسودّ، فيكون مرًّا، ويؤخذ ورقه فيطبخ، ويجعل ماؤه في العُصْفُر، فيكون أجود له من حب الرُّمَّان، ويُحمل إذا جفَّ في البلاد؛ لذلك . ومنابته جلد الأرض)) (١) .

وقال : ((وزعم بعض الرواة أن الحَلْق شباب للوسمة يخلط بها فيقويها، وقد وصفنا الحَلْق مع العُصْفُر . وأخبرني أن له شبابا، وواحدة الحَلْق حَلْقة)) (٢) .

الحَلْق

Cyphostemma digitatum

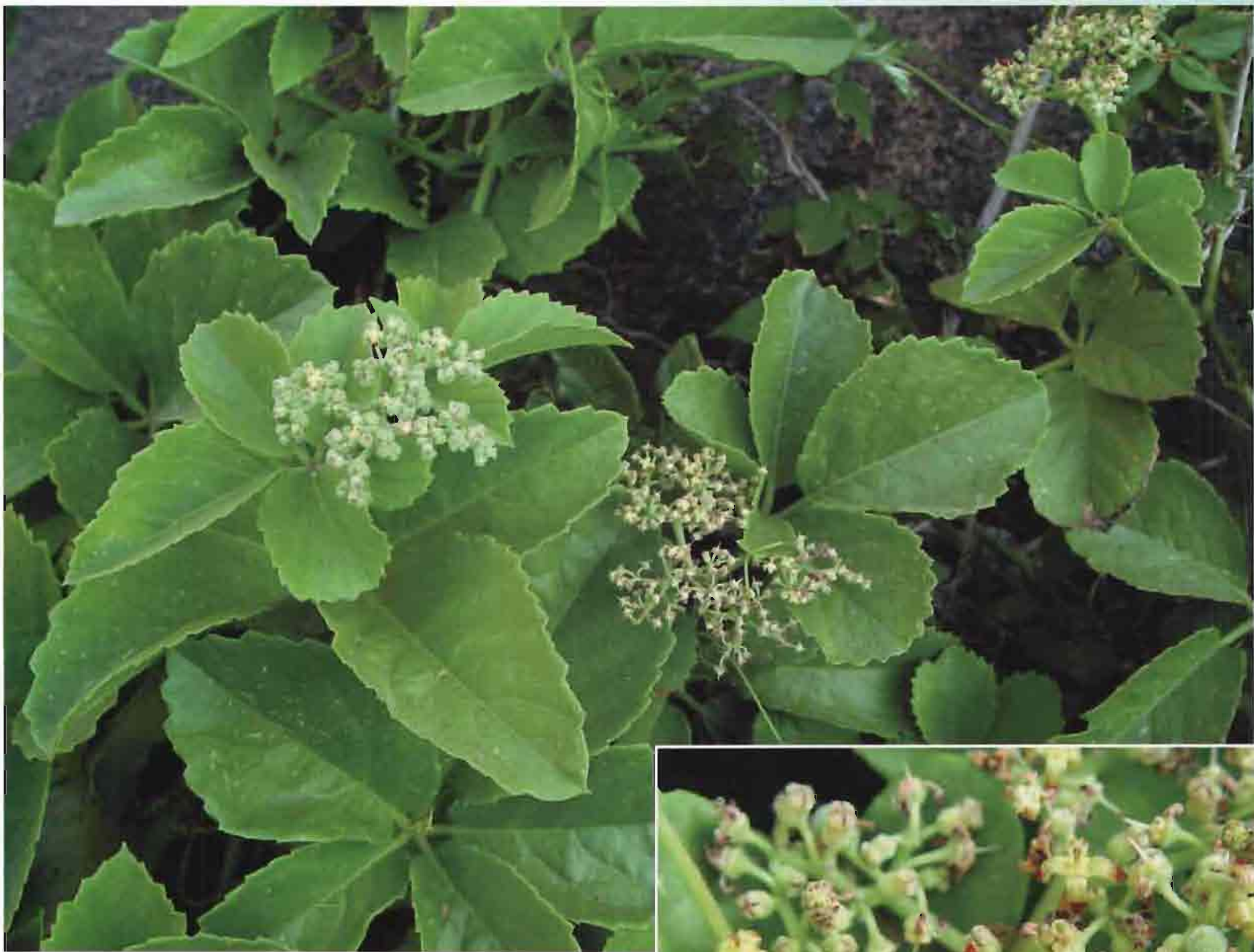
الفصيلة العنبيَّة - VITACEAE

قلت: الحَلْقَة شجيرة متسلقة معترشة، أو زاحفة متدلية. تنتمي إلى الفصيلة العنبيَّة التي منها السَّلَع والغَلف والعنَب . منابتها أغوار جبال السَّراة وأصدارها، في الفِضاض والآجام وبطون الشعاب، على ارتفاع ١٤٠٠ – ١٧٠٠م .

ترتفع الحَلْقَة نحو ٢– ٣م على سيقان لحمية مستديرة، عرضها نحو ٦ – ٩ مم، تخرج من جذور درنية سمراء تشبه البطاطس، تختزن الماء والغذاء في المواسم المطيرة، والأوراق لحمية، تكتنز كذلك الماء، تخرج كل خمس، وربما ثلاث، وريقات معًا على عنق واحد، شبه مثلثة، مسننة الحواف، تظهر متعاقبة مع المعاليق والثمار، فترى في إحدى الجهتين ورقة وفي الأخرى معلاقاً أو ثمرة. والأزهار صفراء صغيرة مخضرّة، يشوبها من أطرافها حمرة يسيرة، تظهر على هيئة عناقيد خيمية. أما الثمار ففي حجم الحمصة الكبيرة تظهر خضراء مغبرة، وعند النضج يضير لونها أحمر قانئا، تأكلها القرود، وقد يأكلها الناس، على الرغم من حرارتها الشديدة .

ويأكل بعض أهل السَّراة أوراق الحلق، ويعدونها من الوجبات الطيبة المغذية؛ ولذلك يقطفون الأوراق الغضة الطرية قبل شروق الشمس، ثم يضعون عليها كمية مناسبة من الماء والملح، ثم توضع على نار هادئة حتى







تنضج، فتؤكل وفيها حموضة زائدة. أو تُصفّى من الماء وتترك حتى تجف، ثم تخلط مع الأطعمة كنوع من التوابل، ولها نكهة وطعم لذيذ أشبه ما يكون بطعم الخل أو الليمون. وأخبرني دليلي من جبل سلا، ورجل آخر معمر من رجال فيفا بأنهم كانوا يأكلونها مطبوخة مع دقيق الدخن أو الذرة، وأنها تقوم عندهم مقام الحجامة في تنقية الجسم من الفضلات والسموم. قال: ونأكل الجذور الدرنية ترياقًا لسموم الثعابين، وهي حارة جدا، لكنها أهون الضررين.

ولا تؤكل أوراق الحلق إلا مطبوخة، وقد جربت أن آكل شيئا منها غير مطبوخ، فوجدتها أولا حامضة الطعم تقرص اللسان، وعقب ذلك بقليل أحسست حرارة شديدة في الحلق، صاحبها ألم كوخز الشوك، دام نحو ثلاث ساعات، مع صعوبة بالغة في النطق. ولعلهم سموه (الحَلْق) لهذا الأثر الذي يحدثه في الحلق، كالقُرّاص والوسمة والحمّاض، إنما أسماؤها مشتقة من أظهر أفعالها، وربما اشتقوه من التحليق، فكلاهما محتمل. ورأيت بعض يرقات الفراش تتغذى على أوراق الحلق بنهم بالغ، فلا تستسيغ الطيور أكلها.

ويُجْلَى الذهب والفضة بالحَلْق والحُمَر، ويُكشف بهما زيف الدراهم



المغشوشة، ذكر ذلك الهمداني في ((كتاب الجوهرتين))[٣]. ونقل محققه الشيخ حمد الجاسر عن القاضي الأكوع قوله : ((شجرة الحَلْقَة، وجمعها الحَلق، وهي تمتد أشبه بامتداد الدباء، ولها ثمر، وهي موجودة بإبّ ومخاليفه، فتؤخذ أوراقها في موسم معين، وتدق ويعمل منها أقراص صغار، وتيبَّس، وتَسْوَدُّ، فإذا احتيج إلى استعمالها وضعت في الماء فذابت، وأدخلت بين اللحم البقري مع قليل من الحُمَر فيحمض المرق)) [٤] . قلت : وكذلك رأيت أهل جبل صَبر يفعلون، وأهدوا إليّ شيئا من تلك الأقراص .

وما زال الحَلْق يُعرف بهذا الاسم في كثير من جبال اليمن، وكذلك في سراة خثعم، وبجيلة (بني مالك) وأصدارهما.

وأما في ديار بني عمر فيسمونه (الغَلَفَاني) وآخرون (غلِف القرود)، ويسمى في سراة زهران (الحَرَد)، وفي الجُنُش من ديار بنيَ عمر يسمونه (الغَلْق) إبدال من الحلق، وسمعت أهل تهامة عسير يسمونه (الحرجاي) وكل هؤلاء لا يأكلونه .

ووجدت الحَلْق في عقبة جبل كَرا (الهَدَة) فأخذت منه غصناً أريته رجلاً من بني سفيان، من سكان شفا الطائف فسماه (الغَلْفَق) ثم سمعته بهذا اللفظ تماماً في جبال القهر وفيفا والعبادل وسلا، شرق منطقة جازان، فربما جاء ذلك الاتفاق، على الرغم من بعد المسافة بينهما؛ لأن بعض سكان تلك الجبال ولاسيما جبال فيفا هم في الأصل قرشيون أشراف هاجروا إلى جنوب الجزيرة العربية، فانتقل الاسم معهم، وربما كان العكس هو الصحيح . ولعلهم نحتوه من الغَلف والحَلْق، أو أن أصله الغَلف، ثم زادوا القاف في آخره للتفريق بينهما. وذكره ابن رسول في حديثه عن الحَلْق فقال : ((وهذا الشجر باليمن يُسمى الغَلْفَق، ومطبوخه المُقَرَّص يُسمى الحَلْقَة، ويُسمى الحامضة، ويشربونه للصفراء، فيقمعها ويُطلقها من أسفل، وهو كثير معروف)) [٥] .





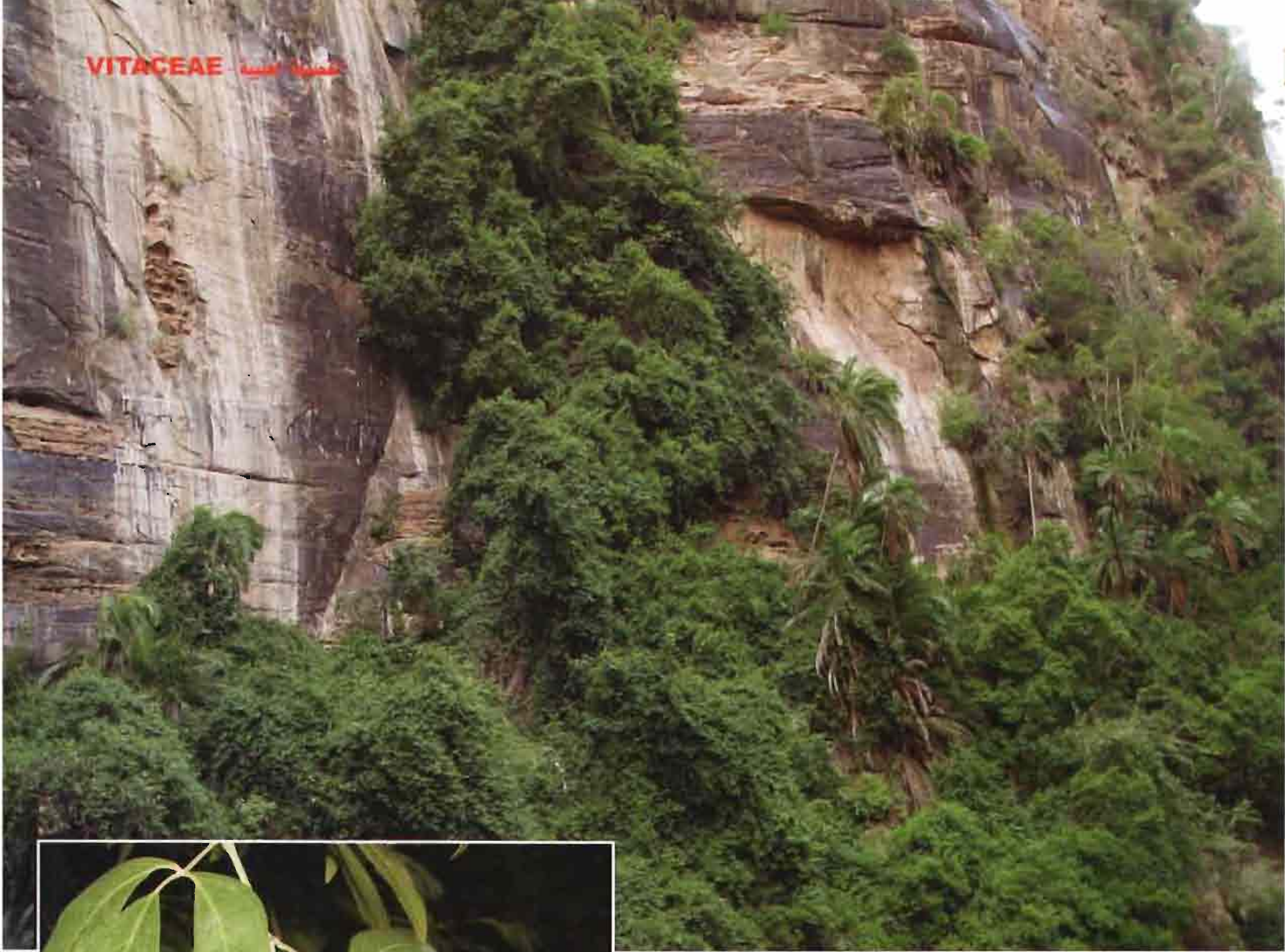
• الحَلْق، الحَلَص (النوع الثاني) _ C. ternatum

وفي رحلتي الأولى إلى جبال آرة آخر شهر صفر، من عام ١٤٢٣هـ رأيت الحلق في كنف صخرة عظيمة في أعالي سفوح آرة (السُّدَّة) فأخذت منه فرعاً مورقا أستخبر عن اسمه أهل تلك الجبال، وهم من الرواتعة من حرب، فسماه رجل منهم (السَّلاَع) وهو يعني السَّلَع، فأشبع فتحة اللام، فذكرت له أن السَّلَع غير هذا ووصفته له، فلم يعرفه . وأخبرني أنهم يعالجون به الأغنام إذا هزلت من أدواء في بطونها، فيسقونها ماء هرسوا فيه الجذور مخلوطة بالعَلَسي (المَقر) والأثب .

ومن هذه الفصيلة نوع آخر شديد الشبه بالحلق (*C. ternatum*) رأيته على ارتفاع ٢٠٠م في تهامة زهران على ضفاف وادي عُلْيَب، وهو واد كبير دائم الجريان تنحدر مياهه من سراة زهران إلى البحر الأحمر، رأيته معترشاً أشجار الصَّاب والأراك والسَّلَم، وله كالحلق وريقات مسننة الأطراف لكنها أصغر وأسمك، تخرج كل ثلاث وريقات معاً على أعناق قصيرة، يقابلها معلاق واحد، وهكذا إلى نهاية الساق، تطبخ بمفردها، أو مع السوق بعد تقطيعها، وتؤكل مثلما يؤكل الحلق أو الغلف. وهي ذات طعم حامض، وقد يضاف إليها أقراص من عجينة الدخن أو الذرة . وهو كأخيه الحلق إن أكل شيء منه بلا طبخ ترك في الحلق ألما وحرقة شديدة . ويحفر عن جذوره الدرنية، فتؤكل بعد أن تطحن ثم تخبز، وأزهاره عنقودية صفراء مخضرة كأزهار الغلف أو الحلق، وثماره كثمارهما إلا أنها أصغر قليلاً، وعند النضج تصير حمراء زاهية اللون . ورأيت هذا النوع بوفرة في جبل صَبِر، وأهل هذا الجبل يسمونه والنوع الأول، كما أسلفت، (الحَلْق) ولا يفرقون، وربما زرعوهما حول منازلهم. وأخبرني غير واحد من أهل هذا الجبل أنهم يمرسونه بعد طبخه، فيخلطونه بالحلبة، فيقوم في تحميضها مقام الحمر أو الليمون، ويستعملونه علاجا للملاريا والصفراء والغثيان والتسمم الغذائي . ورأيت هذا النوع بأعداد كبيرة في جبال ظفار، ولم أر النوع الأول، وهنا يأكله الأطفال والنساء، وأما الرجال فيرون من العيب أكله ، وربما أكلوه خفية، ويسمونه (كُوْم) .

وسألت عن هذا النوع رجلاً من أهل وادي عُلْيَب، فسماه (الحَلَص) بفتح الأول والثاني . ويعرف بهذا الاسم، أيضاً، في معظم الأودية والقرى الجنوبية القريبة من ساحل البحر حتى صامطة بالقرب من مدينة جازان، وفي نواح تقع جنوب شرق جازان يسمونه (الحِلِص) بكسر الأول والثاني . وكأن هؤلاء جميعًا سموه الحلق لشدة الشبه بين النوعين، ثم أبدلوا الصاد من القاف، للتمييز بينهما، وربما أطلق بعضهم لفظ الحَلَص والحَلَق على الغَلَف، وهو نوع آخر من فصيلتهما، كما تقدم . وسيأتي في موضعه .

ومن الأنواع ذات الصلة شجيرة معترشة، من أندر أنواع الفصيلة العنبيَّة في جبال السَّراة، شاهدتها في جبل فيفا وجبل القَهْر ووادي لَجْب من ديار الريث بن خولان، تنبت على ارتفاع ١٢٠٠ – ١٧٠٠م على ضفاف





● الأطر _ *Rhoicissus revoillii*

الأودية، وسفوح الجبال الرطبة المشجرة. وأهل هذه الديار يسمونها الأَطْر (*Rhoicissus revoillii*) والأَطْر في اللغة مصدر بمعنى عطف الشيء وتثنيه، ومنه أخذوا اسم هذه الشجرة؛ لأنها تنبت متسلقة ومعترشة ما حولها من الأشجار بواسطة معاليق تشبه معاليق العنب، وترتفع نحو ٥ – ٧ م . أوراقها ثلاثية كثيفة، شديدة الخضرة، لها طعم حامض يشبه حموضة أوراق العنب. وأزهارها صفراء مخضرة تخرج على هيئة عناقيد صغيرة، ويعقبها ثمار في حجم الحمصة الصغيرة، أو أكبر قليلا، تظهر خضراء، يعلوها بثور دقيقة بيضاء مصفرة، ثم حمراء مسودة عند تمام النضج، وفي داخلها بذرة واحدة مدورة، شبه صلبة، وهي كالورق حامضة الطعم، لا يأكلها الناس، ويتغذى عليها أنواع من الطيور .

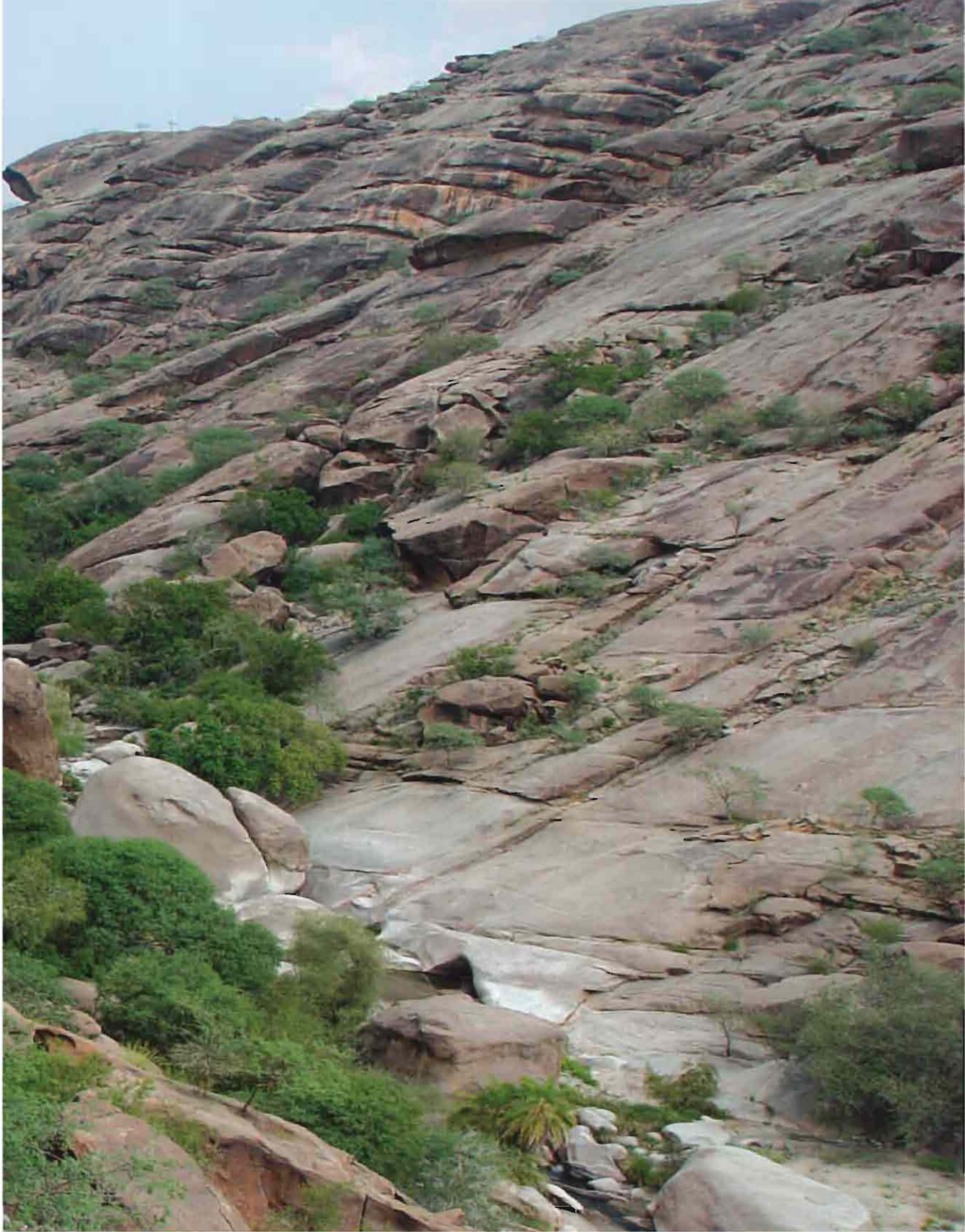
(١) النَّبات٥ / ١٣٢، ٣ / ١٧٠ .

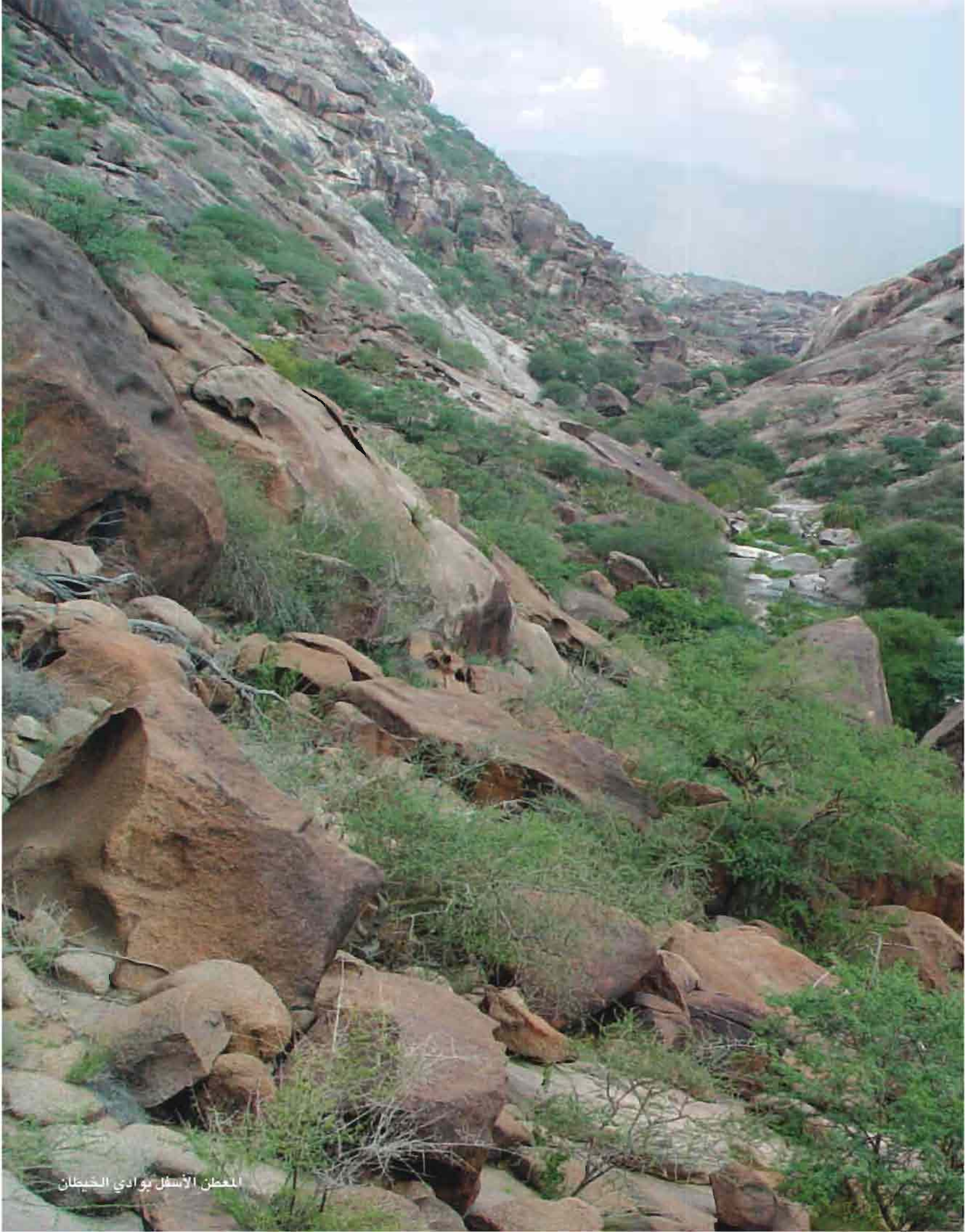
(٢) النَّبات ٣ / ١٨٠ . وينظر : الجوهرتين ١١٠، ١٥٦، ١٩١، ٢٨٦، والمخصص ١١ / ١٤٩، ١٤٧، ٢١٠، والعمدة ١ / ١٧٤، والعين ٣ / ٤٨، والتكملة ٥ / ٣١، واللسان ٢ / ٢٩٤، والقاموس ١١٣١، والتاج ٦ / ٣٢١ (حلق) .

(٣) ص ١١٠، ١٩١.

(٤) كتاب الجوهرتين ٢٨٦ .

(٥) المعتمد ١٠٢ . وينظر اللسان (غلفق) ١٠ / ١٠٣




المعطن الأسفل بوادي الخيطان

الحلُّ



قال أبو حنيفة : ((أخبرني (أعرابي من أهل السَّراة) أن الحلَّة شجرة شاكة أصغر من العوسجة إلا أنها أنعم، ولا ثمر لها، ولها ورق صغار،وهي مرعى صدق، ومنابتها غلظ الأرض، وهي كثيرة في منابتها، وأنشدني في بعير :

يأكل من خَضْبِ سَيَالٍ وسَلَم وحِلَّة لما توطّئها النِّعَم(١)

وقال أبو علي الهَجَري : ((الحلَّة، بجَر الحاء، الشِّبْرِق، والضَّرِيْع إذا يبس، وما دامت رطبة فهي حلَّة وشبْرِق)) (٢) . قال الفراء : ((وأهل الحجاز يسمونه الضَّرِيْع إذا يبس . وهو سم)) (٣) . وقال أبو زيد : ((والشِّبْرِق يقال له : الحِلَّة، ومنبته نجد وتهامة، وثمرته حَسَكَة صغار، ولها زهرة حمراء)) (٤) .

الحِلُّ

Indigofera Spinosa

الفصيلة السُّنْفيَّة - LEGUMINOSAE



قلت: الحلَّة، وجمعها الحلُّ، عشبة أو شجيرة شوكية، واسعة الانتشار، تنبت في سفوح الجبال وبطون الأودية، على ارتفاع ٤٠٠ - ١٥٠٠م .

ترتفع الحلَّة عن الأرض نحو ٣٠سم، وتنبت أعوادًا صغيرة كثيرة تخرج من أصل واحد، فتظهر على هيئة شبه كروية، تفترش الأرض، سيقانها دقيقة بيضاء أو غبراء، وأوراقها ثلاثية صغيرة، تظهر خضراء، يعلوها مع التقادم غبرة يسيرة، تزداد مع الجفاف. وأزهارها صغيرة وردية، وربما حمراء، تظهر في أضعاف الشوك، ولذلك يُلغزون في السرَّاة بقولهم: ((ما شجرة حِنُونها في شوكها ؟)) يريدون الحلة . ويعقبها، بخلاف ما ذكر أبو حنيفة، ثمار أسطوانية







صغيرة، طولها نحو ٢سم، وعرضها نحو ٢,٥مم، وهي، غير سامة، بخلاف قول الفراء . تؤكل في بعض مناطق السراة، وهي لا تزال غضة طرية، وهي، كذلك، ليست حسكاً، كما ذكر أبو زيد ولا تشبهه. وللحلة أشواك كثيفة طويلة شهباء، أطرافها حادة شديدة الحرارة والإيلام، كانوا يعمدون إلى حرقها في الأماكن المطروقة؛ اتقاء شوكها . والغنم ترعى الحلة، والإبل تأكلها بشوكها، فتسمن عليها وتغزر ألبانها.

من أسماء الحلة ، كما ذكر أبو زيد والهَجَري، الشِّبْرِق، ولا تزال تعرف به في الفقرة من ديار حرب، وديار جهينة، وخثعم، وبعض الأقاليم الشمالية من منطقة جازان. وفي أغوار زهران وجبل شدا الأعلى، وسكانه بطون من غامد وزهران، تعرف بالحِلَّة والشِّبْرِقة معًا . وهي (القَطَف) في ديار بني الحارث، وديار بجيلة (بني مالك) وثمالة، وثقيف، وهذيل، وزهران، وكذلك في جبال ورقان، وقدس، وآرة، من ديار حرب . وسمعت بعض هذيل من سكان وادي ضِيْم يسمونها (السِّلْب) بكسر الأول وسكون الثاني .

وأما في ديار بني عمر وخثعم وغامد الزناد وبارق ورجال ألمع، وأهل جبال الرَّيْث،



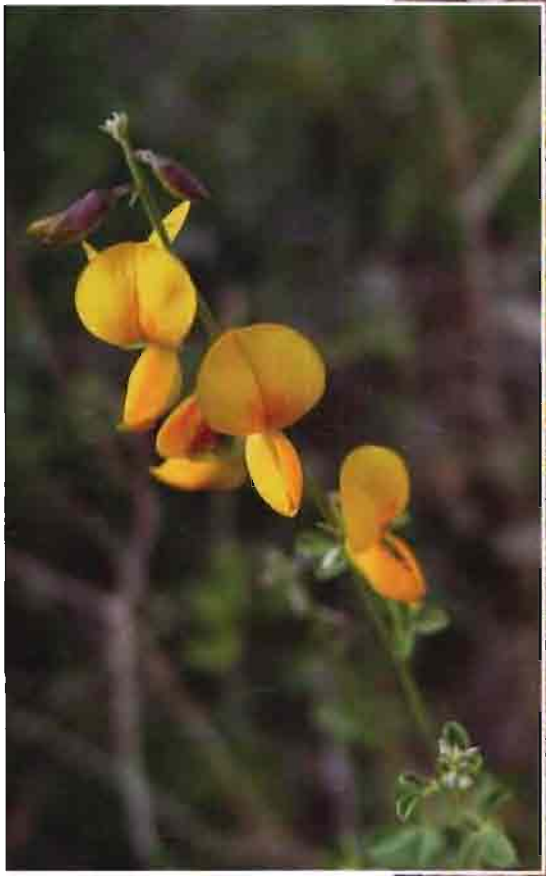




● القطف، الحل غير الشائك _ *I. spiniflora*



فيسمونها الحلَّة، ويطلقون القطف على نوع آخر من الحل (*I. spiniflora*) ليس له شوك، وهو ينبت، في الغالب، مع الحل حيث نبت، ويشبهه إلى درجة يخيل للناظر معها أنهما شيء واحد، إلا أن هذا النوع، كما أسلفت، لا شوك له، وأزهاره حمراء في الغالب، وأوراقه أكبر قليلاً من أوراق الحل، وأما الثمار فقصيرة مقوسة، وسمكها يزيد قليلاً على ثمار الحل. وهو بنحو ملحوظ أكبر حجما وأكثر طولا من الحل . وأخبرني رجل من أهل شدا الأعلى أنهم كانوا يستعملون جذوره بعد تنظيفها وهرسها لتضميد الجروح وتطهيرها. ويجتثه النساء في تهامة بني عمر فيمتشطن به؛ لكثافة أغصانه ودقتها، ولخلوه من الشوك، وربما استعملنه لتنقية السمن واللبن من الشوائب. وفي تهامة هذيل يسمون هذا النوع (العَفَار) وآخرون (الدَّرْمَاء)، وأما الحل نفسه فيسمونه السِّلب، كما تقدم . وسمعت بعض بني عمر يعده نوعاً من الحل أيضًا، وآخرون يسمونه (القُطيفاء) تمييزًا له عن شجيرة أخرى من فصيلة (المحموديات) يسمونها القَطَف، كما سيأتي. وسمعت دليلي من أهل جبل سلا يسمي كلا النوعين الحل، ويميز غير الشائكة، بـ (الحلَّة الدَّبْعاء) . وفي جبال الريث تسمى (دُرِيْدَران) وتسمى في نواح من تهامة اليمن غرب تعز (الدَّرْدَة) سميت بذلك





● القطف، القِصْوَل _ *Crotalaria emarginella*



لخلوها من الشوك، لعله على التشبيه بالدَّرَد في الأنسان . والأحامدة من أهل الفقرة يطلقون لفظ الشِّبرق على النوعين معًا، وأما القطف عندهم فهو نوع آخر ينتمي إلى الفصيلة السُّنْفية نفسها (*Crotalaria emarginella*) يرتفع نحو ٤٥سم، وله أوراق ثلاثية، أكبر من أوراق الحل بنحو ثلاثة أضعاف، وله أزهار كبيرة صفراء فراشية كأزهار الحل، يجرسها النحل، وهو من المراعي الجيدة للأغنام، وهو الذي يسمى (القِصْول) في جبل ورقان.

وفي الفوقاء من ديار خثعم يطلقون القَطَف أيضًا، على نوع من هذه الفصيلة (*Lotus sp*) وهو عشبة جميلة، رأيتها بوفرة في حمى تلك القرية، ترتفع نحو ٢٠ – ٣٠ سم ، وتفترش الأرض على هيئة شبه دائرية، تزهر بكثافة، وأزهارها فراشية وردية اللون محمرة، حسنة المنظر، يعقبها ثمار قرنية، تخرج في مجموعات، تشبه ثمار الحلة . والماشية ترعاها فيصيبها الحَبَط، ولا سيما ثمرها . وأهل الجنش من ديار بني عمر يسمونها (البَقْل) ويمكن زراعتها للزينة .

وفي منابت الحلِّ بنوعيه ينبت عشبة أخرى تنتمي إلى الفصيلة المحموديّة (*Seddera latifolia*) التي منها الرُخَامى واللِّبْلاب، وهي



● القطف، البقل _ *Lotus sp*



شديدة الشبه بالحلّ غير الشائك (*I. spiniflora*) وكثيرا ما ينبتان معاً، فيصعب التمييز بينهما، إلا من خبير حاذق عارف بنبات بيئته، فهما في الحجم سواء، وأوراقها صغيرة غبراء كأوراق القطفة، وليس لها شوك؛ ولذلك وقع الخلط بينهما. وقد سمعت دليلي من أهل جبل حضوضى في تهامة بالقرن يطلق عليهما معا اسم القطف، مع إدراكه الفروق الدقيقة بينهما. وسبقت الإشارة إلى أن (القَطَف) من أسمائها في ديار بني عُمَر، وقد اشتهرت بهذا الاسم عند هؤلاء حتى إذا أطلق، لم تنصرف أذهانهم، في الغالب، إلى سواها . وأوراقها، بعد إنعام النظر، تميزها بوضوح عن الحلّ غير الشائك (*I. spiniflora*) وكذلك أزهارها وثمارها، فليست أوراقها ثلاثية كالحلّ، بل مفردة يكسوها زغب أبيض خفيف، وأزهارها بيضاء صغيرة، تظهر من آباط الأوراق، وثمارها حبوب بيضاوية في حجم حبة الذرة، أو أكبر قليلاً، لونها بني غامق عند نضجها، وتنشطر من أعلاها إلى أربعة مصاريع تخرج من







● القطف، الدرماء، السدرة _ *Seddera latifolia*



بينها البذور . تسمى في جبال آرة (العَفَار) ، وفي تهامة هذيل يسمونها (الدَّرْماء) أو (الدُّرَيْماء)، وهو خلط ناتج عن شدة التشابه بينها وبين الحلِّ غير الشائك (*I. spiniflora*). وفي جبال ورقان وقدس وآره وظفار يطلقون الدَّرْماء على شجيرة أخرى من الفصيلة القدِّيسيَّة (*Fagonia bruguieri*) تشبه الشُّكَاعى. وسمعت رجلا من أهل جبال الفقرة يسميها - أعني ذات الفصيلة المحمودية - (قُشْعَة اللَّبَن) وعلل التسمية بأن الغنم والجمال تأكلها بنهم شديد، فتسمن عليها وتغزر ألبانها. وبالتعليل نفسه سمعت أهل السفوح التهامية غرب تعز يطلقون لفظ (شُخْب اللَّبن) أي المُدِرة للَّبن، على نوع آخر (*Seddera arabica*) وآخرون يسمونها (السَّدْرة) ومن هذا أُخذ اسمها في اللاتينية، وهي تنبت في منابت النوع السابق، وتسمى (القَطَف) أيضاً في العوامر من تهامة خثعم. أغصانها تفترش الأرض، وربما علت قليلا. وأوراقها أكبر قليلا من أوراق النوع السابق، وخضرتها شديدة غير مغبرة، ترعاها الأنعام أيضاً، فتسمن عليها، وتغزر ألبانها. وأزهارها



القطف، شخب اللبن، السدرة _ *Seddera arabica*

أكبر كذلك بنحو خمسة أضعاف، تشبه أزهار الرُّخَامى، أحد أنواع هذه الفصيلة (*Convolvulus bushiricus*) . وفي جزيرة سقطرى سمعتهم يطلقون (الزِّدْرة) بقلب السين زاء على نوع آخر (*S. spinosa*) يشبه كثيرا النوع السابق (*S. latifolia*) .

وفي تهامة عسير ونواح من منطقة جازان يطلقون لفظ القَطَف على شجرتين من الفصيلة البخورية، سيأتي الحديث عنهما في موضعه من حرف القاف، إن شاء الله تعالى .

وفي شدا الأعلى يطلقون لفظ القَطَف أيضًا على شجيرتين شائكتين من الفصيلة المظيَّة، وربما أُطلق عليهما أيضا لفظ الحِلّ . وسيأتي المزيد عنهما في رسم السِّحاء .

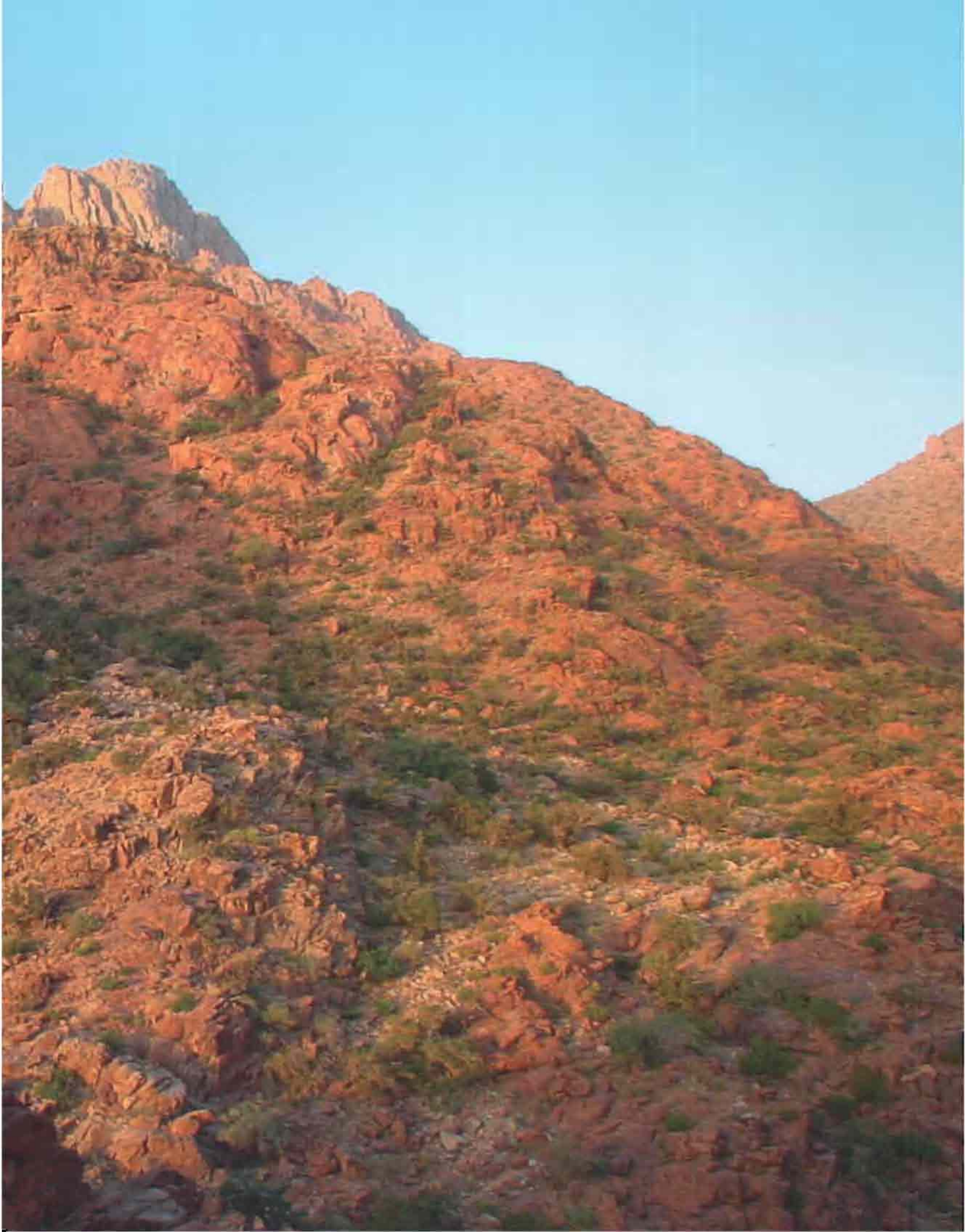
---

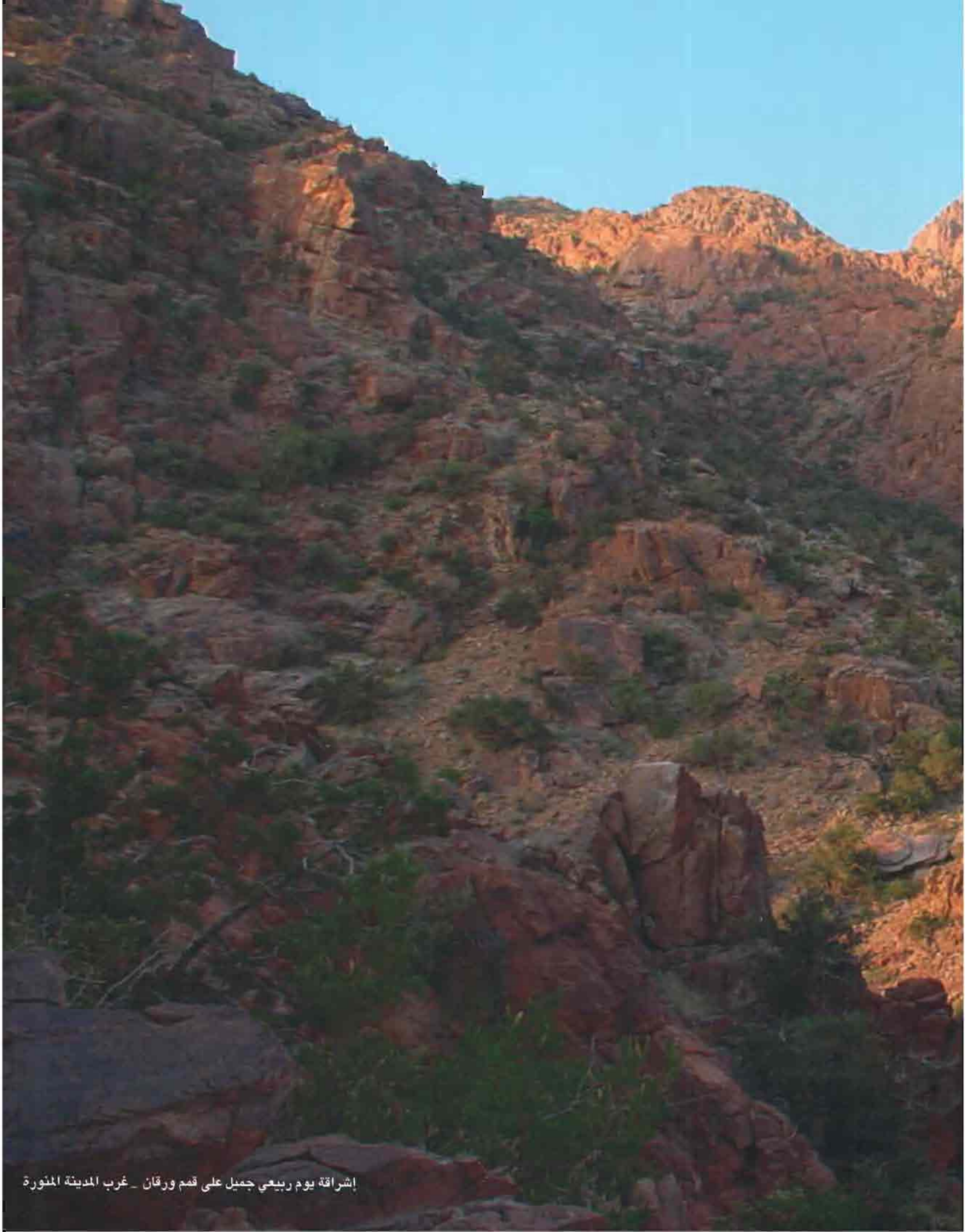
(١) النَّبات ٥ / ١٣٣، ١٥٤ .

(٢) التعليقات والنوادر ٣ / ١٠٩١. وينظر : حدائق الأدب ٢٤٤ .

(٣) معاني القرآن ٣ / ٢٥٧ .

(٤) الشجر والكلأ ٧٧، ٧٨ . وينظر : المنتخب ٢ / ٤٦٣، والمخصص ١١ / ١٤٩، والنهاية ٢ / ٤٤٠، والعمدة ١ / ١٧٣، والتكملة ٥ / ٣٢٣، واللسان ٣ / ٣٠٣، ٧ / ١٨، ٨ / ٥٤، والقاموس ١٢٧٤، والتاج ٧ / ٢٨٣ (ضرع)، (شبرق)، (حلل) .




إشراقة يوم ربيعي جميل على قمم ورقان _ غرب المدينة المنورة

الحَماط



قال أبو حنيفة: ((أخبرني أعرابيٌّ من أهل السَّراة، وهم أهل تين، قال : التِّين بالسَّراة كثير جدا مُباح. قال: ونأكله رطبًا ونزببه فندّخره ... وشجر التِّين الجبلي يقال له : الحَماط، وأخبرني بعض الأعراب أنه في مثل نبات التِّين غير أنه أصغر ورقًا، وله تين كثير من كل لون أسود وأملح، وأصفر، وهو شديد الحلاوة يحرق الفم إذا كان رطبًا ويعقره، فإذا جفَّ ذهب ذلك عنه، وهو يُدَّخر، وله إذا جفَّ متانة وعلوكة. والإبل والغنم ترعاه، وتأكل تينه)) (١) .

وقال: ((من الشَّجر حماط، ومن العشب حماط، فأما الحماط من الشجر، فشجر التِّين الجبلي، قال أبو زياد: هو شبيه بالتِّين خشبه وجناه وريحه، إلا أن جناته هي أشد صفرة وحمرة من التِّين، ومنابته من الجبال، وقد يستوقد بحطبه، ويُتخذ خشبه لما ينتفع به الناس، يبنون عليه البيوت والخيام، ومن احتاج إلى زنده اتخذ منه زندة، وتأكل منه الماشيةُ وَرَقَهُ رطبًا ويابسًا، وليس من شجرة أحب إلى الحيَّات من الحماط، ولما وصف أبو زياد من إلف الحيات الحماط، قيل: شيطان الحماطة، فجرى مثلا، قال الرَّاجز:

ثُمَّتَ لا أدري لعلّي أُرْجَمُ   بمثْل شَيْطانِ الحَمَاطِ الأعْرَمِ

الشيطان : الحيَّة، والأعرم : الأرقط، كذلك الشَّاة العرماء، وقالَ آخَر :

ثُمَّتَ لا أدري لعلّي أقذَفُ   بمثْل شَيْطانِ الحَمَاطِ الأعْرَفِ

الأعرف: الذي له عُرْف، وهو أيضًا الأقرن، له من جلده شبيه بالقَرن ... وقال حميد بن ثور في تشبيه الزِّمام بالحية، وفي نسب الحيَّة إلى الحماط :

فلمَّا أتته أنشَبَتْ في خشاشه   زماما كثُعبان الحماطة مُحْكَما

ومن أمثال العرب قولهم : ذئب الخَمَر، وشيطان الحمَاطة)) (٢) .

الحَمَاط

Ficus palmata (F. carica)

الفصيلة التُّوتِيَّة - MORACEAE



قلت: الحَمَاطَة هي شجرة التِّين البريّ، منابتها بطون الأودية، وشطآنها، وشعاف الجبال بين شقوق الصخور، وأطراف الثمائل، وأفواه الآبار، على ارتفاع ١٣٠٠ – ٢٣٠٠ م .

تقوم الحماطة على ساق أغبر، يميل إلى البياض، يرتفع قدر ٣ – ١٠م، وهو، بخلاف ما ذكر أبو حنيفة، هش ضعيف لا يصلح للوقود ولا تُسقف به البيوت، وربما اتُخذ منه أعمدة لبيوت الشَّعر . أوراقها خشنة، مفصصة بعمق، أو رمحية مفردة، وحوافها مسننة، سطحها أخضر غامق، وخلفها شديد التعريق، تكسوه خضرة فاتحة، وحجمها أصغر من ورق التِّين المزروع، تنحّت شتاء، وتورق أوائل الربيع، فإذا أورقت قُدمت الأوراق علفا للجمال حين يندر المرعى نهاية فصل الشتاء. أزهارها صغيرة لاطئة غير واضحة، وتتكون الزهرة من ثلاثة إلى أربعة تويجات قصيرة، تحتوي ثلاثة أو خمسة مآبر للقاح، وتظهر الثمار خضراء محمولة على أعناق طويلة، وتنضج في منتصف الصيف، وحينئذ يستحيل لونها إلى الأحمر فالأسود، وهذا النوع يسميه أهل السَّراة (الحماط السَّواديّ) وهنالك نوع آخر يسمونه (الحماط البياضيّ) وهو قليل الانتشار، تبقى ثماره عند النضج خضراء يعلوها صفرة يسيرة. وثمار الحماط أحجام صغيرة وكبيرة ومتوسطة، وإذا نضجت، فإنها تؤكل، ومنها ما هو غاية في الحلاوة، ولاسيما أصغرها حجما، وقد تترك حرقة في الفم يسيرة.

وإذا كسر أحد أغصانها، ولاسيما حديث النمو، سال منه لبن أبيض غزير، فكان الرعاة يضعون منه قطرات على حليب الغنم فيروب في الحال، وربما





ثمر ناضج (الحماط البياضي)

استُعمل في المنازل لترويب اللبن، ولاسيما إذا كان الجو باردًا؛ لأن في ترويبه بالطريقة المعتادة إبطاء . وتُدهن به الأثاليل، فيقتلعها من أصولها، وتمرخ به الشوكة في القدم فيسكن ألمها، ويسهل خروجها . وفي نواح من ديار ثمالة يعالجون جروح حيواناتهم بتجفيف أوراق الحماط ثم دقها وذرها على الموضع المصاب . ومن أهل السَّراة دبّاغون يهرسون أوراق الحماط مع أغصانها الغضة، ثم يضعونها قبل الدباغة على الجلود، أو في أجوافها، ويتركونها بعد دعكها، نحو يوم وليلة، فيمرطون منها الشعر بأيسر الجهد، ويسمون ذلك الفعل (الحَمْط) وكذلك يفعل أهل الجبال من جهينة وحرب، ويسمونه (العَطْن) .

وكما روى أبو حنيفة، فإن الأفاعي، ومنها الأفعى المقرَّنة، وكذلك أنواع من الثعابين، تألف الحماط من بين سائر الشجر، تطلب الظل والغذاء؛ وذلك أن طيورًا وحشرات كثيرة تقع على الحماط تبتغي ثماره، فتكون صيداً سهلاً لتلك الأفاعي .





ومن الحماط فحل له ثمر لا ينضج، يسميه أهل السَّراة (السُّدَّاء، والصُّدَّاء) بالسين والصاد، وهي تسمية لأهل السراة قديمة (٣). وربما سموه (السَّيَّاب) ويسمى في ثمالة والعبَلة وبني سعد إلى بلحارث جنوب الطائف (الذُّكَّار) على زنة الصُّدَّاء، ويخرج من ثمره إذا فلقته شيء كغبار الطلع أزرق، كانوا في السَّراة يقطفونه، فيعلّقونه بين أغصان الحماط المثمر، في أعشاش خاصة يصنعونها من العرفج (الجثجاث) فيكون لقاحًا له، وإذا هم فعلوا ذلك صلح الحماط – بإذن الله – وجاد بثمر كثير .

ورأيت الحماط بأعداد قليلة جدًا في أعالي جبال الحجاز، في بطون الشعاب ووضفاف الأودية، وأخبرني رجل من جبال الفقرة بأن هذه الشجرة كانت من نحو أربعين سنة مضت تنب في أجمات كثيفة تجن السفوح وبطون الأودية، فربما صعب اختراقها، وكانت الوعول (البُدُن) تجتن بينها، فلا يراها الرماة . قال : كما كانت مأوى يألفه الثعبان الأصفر، قلت: وهو الأيم أو ما يسمى بـ (الكوبرا العربية) وهو كثير الانتشار في تلك الجبال . وفي جبل ورقان سفح جبلي كبير يُسمى (جبل الحَمَاط) سمي بذلك لكثرة ما كان ينبت فيه من تلك الشجرة، وأما اليوم فهو سفح خال من تلك الشجرة إلا نزر يسير ممزق في بطون الشعاب . وفي جبل رضوى شاهدته بأعداد كبيرة في بطن وادي دُوْرِيت، ويبدأ ظهوره في هذه الوادي من على ارتفاع ٥٥٠م. وهو ارتفاع منخفض جدًا مقارنة بمنابته المنخفضة في جبال السَّراة. كما أنه لا يسمو كثيرا في هذه الجبال عامة، وينبت، في الغالب، شكعا متداخل الأغصان، وأوراقه أصغر حجما وأكثر خشونة من حماط السَّراة، وخضرتها شديدة، تميل إلى السواد . كما أن عوده أصلب وأكثر بياضًا من عوده .

والبَلَس اسم للحَمَاط البري في جبال فيفا، وأقاليم أخرى كثيرة من منطقة جازان وعسير، وهو لغة قديمة معزوة لأهل اليمن (٤) وسمعت أهل جبل صَبر يسمون الشجرة الكبيرة منه البَلَس والصغيرة الحَمَاط . وآخرون يطلقونَ البَلَس على المرزوع، والحماط على البريّ . وبعض اليمنيين يطلق البَلَس أيضاً على التِّين الشوكي، ويميزونه بقولهم : (بَلَس تُرْك) لكونه دخيلا على بلادهم،









ويعتقدون أن الترك هم من أدخله إلى اليمن . وفي جبال ظفار، ولغاتهم بقايا من اللغات اليمنية القديمة، ينطقونه (بَوْلَس) أو (إيْلُوس). وفي جبل رضوى من ديار جهينة يسمون الشجرة نفسها الحماط، وثمرها التِّيْن. وكذلك يسمى في جبال مَدْيَن، ويطلقون على الحماط المثمر صفة (الطَّعَّام) وعلى الذكر غير المثمر (النَّفَل). وفي سراة خثعم يسمونه (الحماط الوحشيّ) تمييزا له عن الحماط المزروع. وهو استعمال قديم، فقد روى أبو حنيفة عن أعرابي من أهل السَّراة أن من أنواع التين عندهم نوعا يسمونه الوحشي، قال : ((وهو ما تباعدت منابته، فنبت في الجبال وشواحط الأودية، ويكون من كل لون أسود وأحمر وأبيض، وهو أصغر التين، وإذا أكل جنياً أحرق الفم، وهو صادق الحلاوة ويُزبب)) (٥) وفي سراة خثعم أيضًا جبل يعرف بالبَلَس، وهو منبت خصيب لهذه الشجرة. ومن جبال رضوى جبل يسمونه جبل البَلَس أيضًا، وهو ينبت الحماط، وأهل هذا الجبل لا يعرفون أن البَلَس من أسماء الحماط، برغم أنهم من جهينة، وهي قبيلة قضاعية يمنية. وأرى أنها تسمية قديمة؛ لأنه ينبت البَلَس، وهو الحماط، ثم نُسي مدلول تلك التسمية، وبقي اللفظ علما على ذلك الجبل، وهو في هذا مثل جبل الرَّنْف، وجبل التَّنْضُب، جبلان من رضوى أيضاً، يُنبتان شجرتي الرَّنْف والتَّنْضُب .

وفي الجبل الأخضر شمال عمان يسمونه (السُّقُم) بالميم، وربما (السُّقُب) بالباء، وهما حرفان يتعاقبان كثيرا في العربية. ويظهر أنه السَّوْقَم في قول أبي حنيفة: ((السَّوْقَم شجر عظام مثل الأثأب سواء، غير أنه أطول من الأثأب وأقل عرضًا . وله ثمر مثل التين، وإذا كان اخضر فإنما هو حجر صلابة، فإذا أدرك اصفر شيئا قليلا ولان ، وحلا حلاوة شديدة . وهو طيب الريح . وهو أغرب من ثمرة الأثأب؛ يتهادى)) (٦) . والسَّوْقَم لغة يمانية قديمة (٧) . وفي الضالع ونواح أخرى من جنوب اليمن يطلقون (السُّقَم) على الجُمَّيز (الإبرى) أحد أنواع هذه الفصيلة، كما تقدم، في موضعه من حرف الجيم .

وفسر أبو الحسن الهنائيّ وغيره الحماط بأنه الجُمَّيز (٨)، والأمر خلاف ذلك، وعذرهم أنهم لم يشاهدوا هاتين الشجرتين في منابتهما الطبيعية، وذلك أن الحماط – وإن كان من جنس الجميز – فإنه يختلف عنه في الحجم والثمر والطعم والمنبت .

ويُعتقد أن الموطن الأصلي للتين المزروع هو جبال السَّراة من جنوب غرب الجزيرة العربية، إذ ينمو هنالك وينتشر بحالتة البرية، ثم انتشرت زراعته إلى سائر أنحاء العالم (٩) .

وأما الحماط من العشب فهو اليابس من عشبة الأفاني، كما سيرد في رسم الكحلاء، بإذن الله .

وفي وادي تنومة من ديار بني شهر رأيت حماطة نابتة في جوف رقعة، ورأيت ساق تلك الحماطة يظهر متفرعًا على قمة جذع الرقعة، وكأنه أحد فروعها الباسقة .

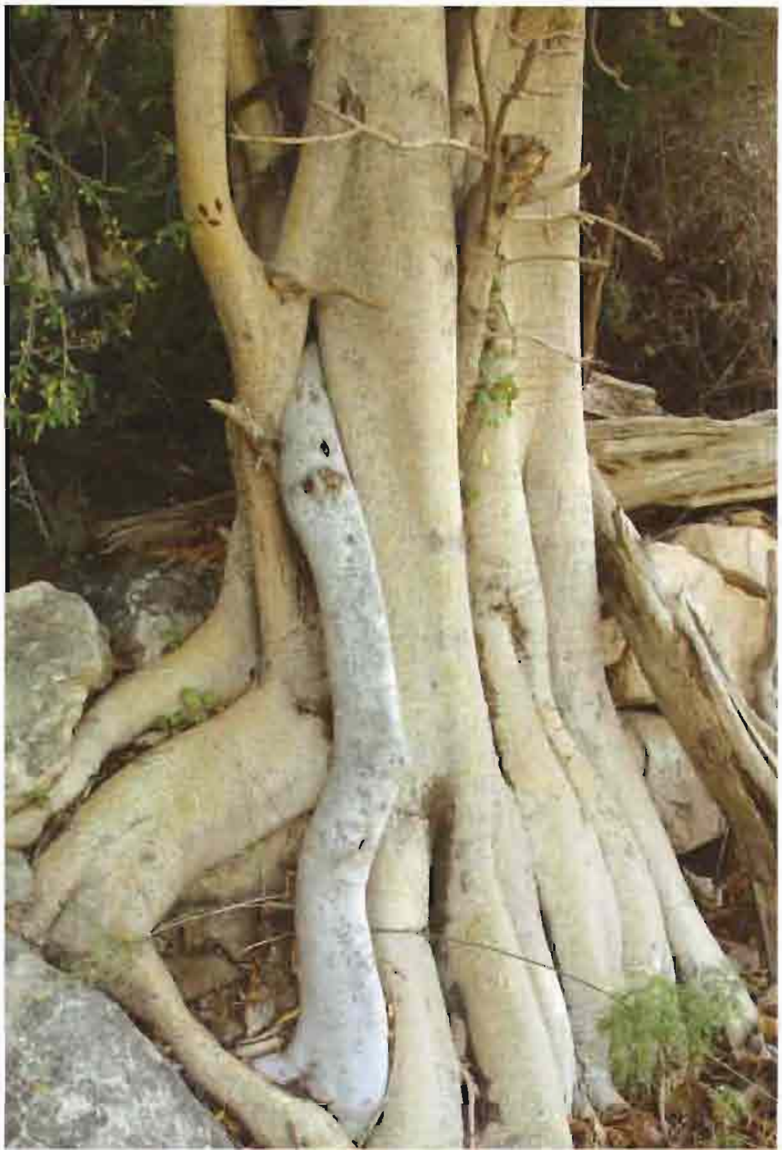
تكمن الثعابين بين أغصان الحماط؛ لاقتناص الطيور





الحماط الذكر (الصُّداء)

ومن الأنواع ذات الصلة (*Dorstenia foetida*) شجيرة صغيرة يعزوها علماء النَّبات إلى الفصيلة التوتية (التِّينية) برغم اختلافها البيِّن عن أنواع تلك الفصيلة. وهي شجيرة أو عشبة صغيرة معمرة منابتها الأغوار الدافئة الرطبة ، على ارتفاع ٩٠٠ – ١٥٠٠م . تنبت منحشرة بين شقوق الصخور وأكنافها، وتقوم على ساق لحمي مجعد، لونه بني مغبر، يعلوه نتوءات متبقية من أصول الأوراق المتساقطة. ترتفع نحو ١٠– ٢٠سم. أوراقها بيضاوية مسننة، وأحيانًا





حماطة تخترق جذع رقعة (تالقة) قرب تنومة <





● أم لقف _ *Dorstenia foetida*





مفصصة بعمق، تخرج مجتمعة على قمة الساق . أزهارها صفراء مخضرة، ثخينة، نجمية الشكل، ليس لها بتلات، بل زوائد طرفية كهيئة قنديل البحر. تفرز هذه النبتة، كالحماطة، عصارة بيضاء يُعالج بها في كثير من جبال السراة الأبدة (اللشمانيا) وذلك بوضع شيء من تلك العصارة على الموضع المصاب، فيجد المريض من أثرها حرقة شديدة، يبرأ بعدها، بإذن الله. وهي أمضّ من عصارة الحرملة أو الحريملة وأبلغ أثرا. وفي سراة خثعم تسمى (البَدَاة) وذلك؛ لشهرتها في علاج الأبدة التي يسمونها أيضا (البَدَاة) . وفي حزنة من سراة بني عمر تسمى (أم لِقْف) واللِّقْف: جانب البناء من حائط ونحوه، وذلك؛ لأن حوائط الحقول من منابتها. وفي تهامة عسير يسمونها (عِضَة العَقير) والعقير عندهم الحيوان الجريح، وأضيفت إليه؛ لأنهم يضمدون بها جرحه، فيبرأ على عجل . وسمعت أهل جبال العبادل يسمونها (فاشق القَمْع) أي فالق الصخر، ونحو هذا يسميها جيرانهم أهل جبال فيفا، فيقولون: (فلِق بَعْر)، وربما أخذوه من الرائحة الكريهة التي تنبعث من هذه النبتة عند قطعها . وهؤلاء يأكلونها لدفع الحموضة الزائدة وانتفاخ البطن، وطعمها حار كالفلفل. وفي اليمن سمعت أهل جبل صَبِر يسمونها (الكُسَر) وهي عندهم من الأعشاب المهمة أيضاً في علاج الأبدة. وفي جبال ظفار يسمونها (كِرْثِب) وهي طعام مفضل عند أهل تلك الجبال، ياكلونها مسلوقة أو مشوية، للتخفيف





● كرثب _ *D . gigas*

من حرارتها الزائدة . وفي جزيرة سقطرى شاهدت نوعا متضخما جداً من هذه النبتة (*D . gigas*) ينبت على حافات الجروف الصخرية الشديدة الانحدار، فيصعب الوصول إليه، يقوم على جذع شحمي منتفخ، يشبه كثيرا جذع الجرازة (العَدَنة) وربما وصل ارتفاعه إلى مترين. وهو نوع غريب نادر ليس له وجود خارج جزيرة سقطرى. وأهل هذه الجزيرة يسمونه (كِرْثِب) أيضًا .

---

(١) النَّبات٥ / ٦٩-٧١ .

(٢) النَّبات ٥ / ١٠٠، ١٠١ . وينظر : كتاب الاختيارين ٩، ومنتهى الطلب ٨ / ٢٨٨، وأسماء جبال تهامة ٤٠٩، والنَّبات للأصمعي٢٧، ٣٦، والغريب المصنف١ / ٤١٩، والحيوان ١ / ١٥٣، ٦ / ١٩٢، وثمار القلوب ٤١٥، ٤٢٢، والمخصص ١١ / ١٣٧، ١٣٨، ١٤٢، ١٥٣، والعمدة ١ / ١٧٤، ومجمع الأمثال ٢ / ١٥٧، و العين ٣ / ١٧٧، وتهذيب اللغة ٤ / ٤٠٢، والمحيط ٣ / ٣٢، والمحكم ٣ / ١٨٥، والتكملة ٤ / ١٢٠، واللسان ٣ / ٣٢٨ (حمط) .

(٣) النَّبات لأبي حنيفة ٥ / ٧٠.

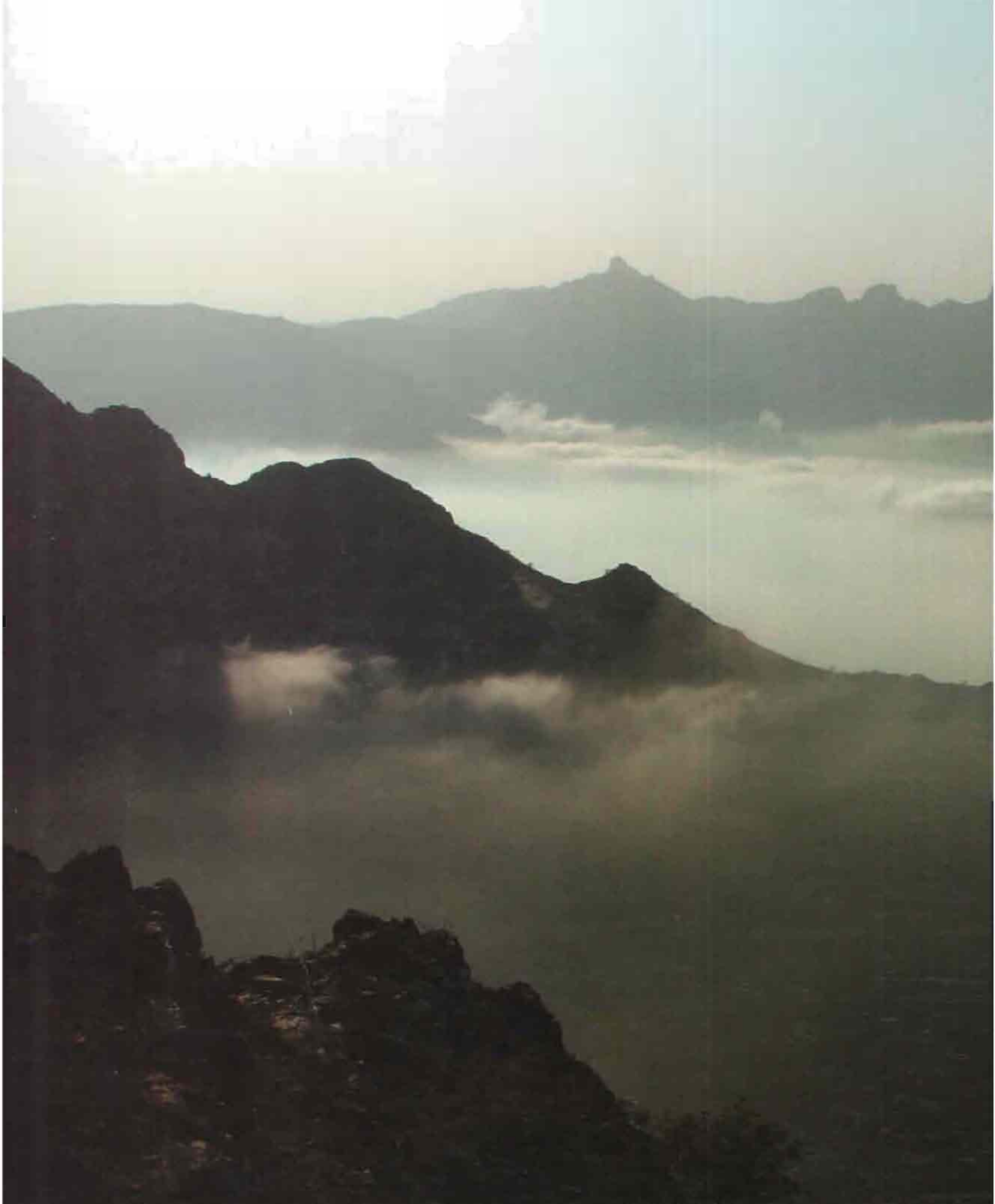
(٤) شمس العلوم ١ / ٦١٢ . وينظر: أدب الكاتب ١٠٠. والمخصص ١١ / ١٣٧. ومبادئ اللغة ١٨١ .

(٥) النَّبات ٥ / ٧٠ . (٦) النَّبات ٦ / ٥٤ . وينظر : المخصص ١١ / ١٩٧، ١٢ / ٨ . (٧) المخصص ١١ / ٨ – ٩ .

(٨) ينظر : المنتخب ١ / ٣٨١، ٣٨٠، ٢ / ٤٦١، وجامع ابن البيطار ١ / ٢٩٢، والعمدة ١ / ١٧٥، والقاموس ٨٥٥، والتاج ٥ / ١٢١(حمط) .

(٩) ينظر: مجلة المنهل ١٣٩ (العدد ٥٥٩، الربيعان ١٤٢٠هـ) .





سحب الخريف في أثناء صعودها إلى قمم الجبال _ جنوب بلجرشي

الحُمَر



قال أبو حنيفة : ((الحُمَر : التَّمْر الهنديّ، وهو بالسَّراة كثير، وكذلك ببلاد عُمان، وورقه مثل ورق الخلاَف الذي يقال له : البَلْخيّ (١) . وقد رأيته فيما بين المسجدين (٢)، ويطبخ به الناس. وسمعت بعض الأَعراب يسميه الحَوْمَر، والأول أكثر على ألسنة العرب . وزعم بعض الرواة أنه يقال لثمرة الحُمَر: الصُّبَّار . وأخبرني أعرابي من أعراب عُمَان أن الحُمَر هو الصُّبَّار إلا أنه قال: هو الحَوْمَر، وقال : شجره عظام مثل شجر الجوز، وثمره قرون مثل ثمر القَرَظ)) (٣) .

الحُمَر

Tamarindus indica

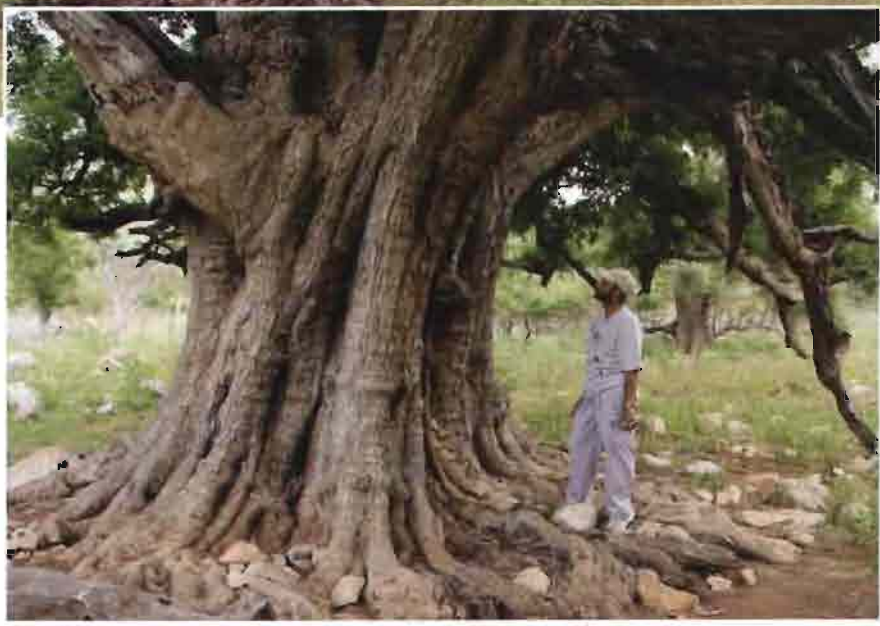
الفصيلة السُّنْفيَّة - LEGUMINOSAE



قلت: الحُمَر، والمفرد حُمَرة، شجرة ضخمة معمرة، تنبت في أغوار جبال السَّراة الغربية، في بطون الأودية الرطبة وشطآنها، بالقرب من المياه السطحية الجارية، أو الجوفية القريبة من السطح، على ارتفاع ٤٠٠ – ١٣٠٠م .

تقوم الحُمَرة على جذع ضخم يكسوه لحاء بني داكن خشن، يرتفع نحو ٧ – ١٥م، وقد يسمو في بعض المنابت المكتظة بالأشجار إلى نحو ٣٠م . وعلى هذه الصفة شاهدته في وادي لَجْب من أودية جبال الريث بن خولان . وإذا عُمرت الحمرة تضخم جذعها فربما بلغ محيطه نحو ٨ م أو أكثر . وتظهر أفنانها الغضة مكسوة بزغب ناعم سرعان ما يزول، وورقها ريشيّ كبير، شبيه بورق الرَّنْف، طعمه حامض. ولها أزهار تظهر في عناقيد صغيرة، يحمل كل عنقود نحو ٥ – ١٠ زهرات تتفتح من أكمام وردية عن لون أبيض موشّى بخطوط حمراء، تتحول مع التقادم إلى اللون الأصفر، وثمارها قرون سُنْفية مخصرَّة، لونها بني غامق، طولها نحو ٥ – ١٠سم، وفي داخل الثمرة بذرتان إلى سبع بذرات،





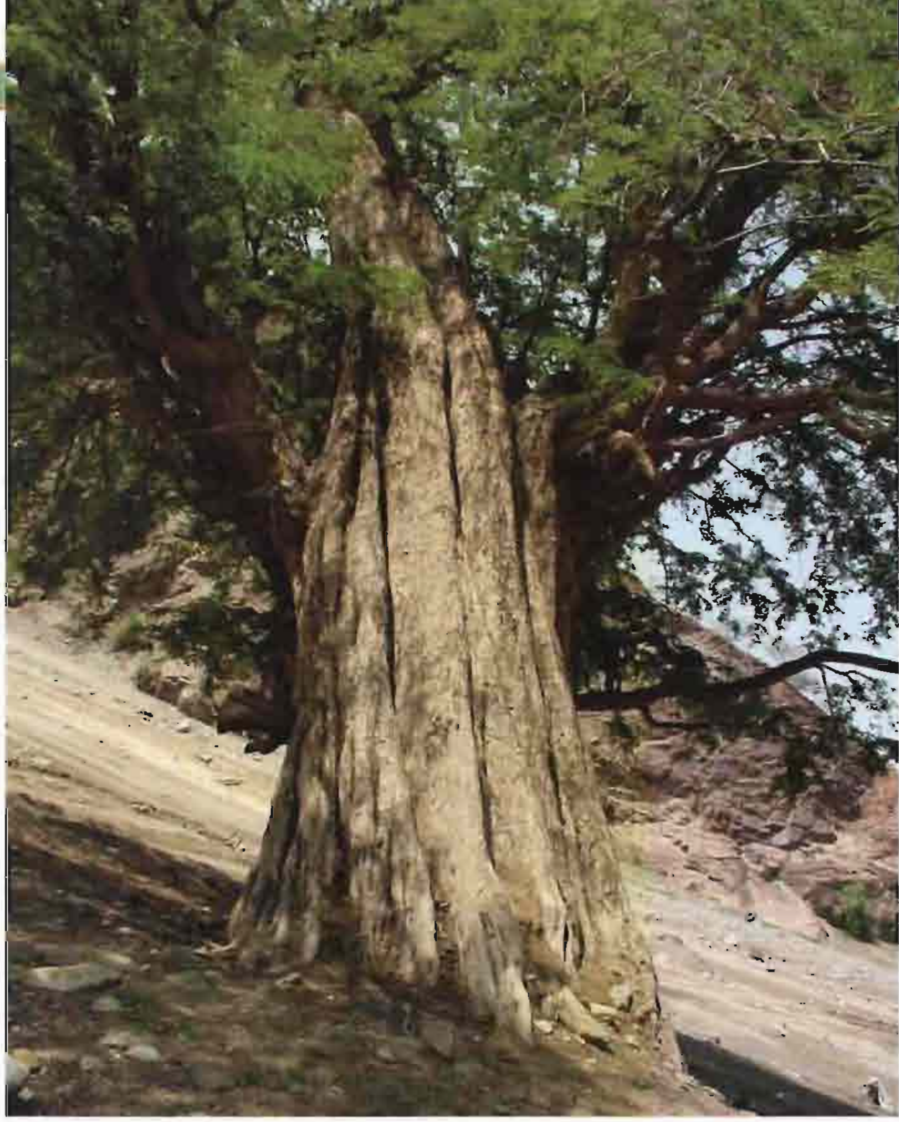


والبذور شبه بيضاوية بنية تميل إلى السواد، يحيط بها لباب بني حامض أشد حموضة من الأوراق، طريء شبيه بعجينة التمر ؛ ولهذا سمي (التمر الهندي) .

والحُمَر هو الاسم الشائع لهذه الشجرة في اليمن ومعظم أغوار جبال السَّراة، وسمعت دليلي من أهل جبال العبادل يسميها (الحَامَر)، (والحَوْمَر) وكذلك سماها دليلي من أهل جبل سلا، وكذا تسمى في جبل مَبْيَنَ شمسان من جبال حجة اليمنية. وفي عُمَان سمعت أهل الجبل الأخضر وظفار ما زالوا يسمون الحُمَر (الصبَّار) كما روى عنهم الأقدمون . وبعض أهل الجبال في ظفار أيضاً يسمونه (صبرْيت) وآخرون (عَرْعير) . وفي جزيرة سقطرى يسمون الشجرة نفسها (صُبْهُر) وثمارها (حُبْهَل) وآخرون (حبْهل) والمفرد (حبْلَة) والحبْلة، في العربية، اسم لثمار السَّلَم والسَّمُر، وأما اسم الشجرة نفسها فليس بعيداً لفظه عن التسمية القديمة لأعراب عمان، ولا غرو، فأهل سقطرى يتحدثون اللغة المهرية، التي لا تزال مستعملة إلى اليوم، مع فروق يسيرة، في محافظة المهرة وظفار جنوب عمان، وهي لغة غير مكتوبة، تنحدر من لغات يمنية قديمة .

وكان السرويون يستعملون لب ثمار هذه الشجرة







لعلاج عدد من الأمراض، كالزُّحار، والتهاب الحلق والصدر، ويصنعون منه عجينة يضعونها فوق العظام المكسورة لتجبيرها، ويضيفونه إلى كثير من أطعمتهم فيكسبها مذاقا مميزاً كطعم الليمون، ويصنعون منه شرابًا لذيذا. وأجوده الحديث الذي لم يذبل . وقد ورد عن السلف أن هذا النَّبات يسمى (خَلّ العرب) لحموضته (٤) .

وتتميز هذه الشجرة، فضلاً عن قيمة ثمارها الغذائية والطبية، بخضرتها الدائمة، وظلها الكثيف، وأزهارها الجميلة الجذابة؛ الأمر الذي يرشحها لأن تكون من أهم أشجار الزينة والظل في الشوارع والمتنزهات العامة .

وفي تهامة بني ناشر من ديار بني عُمر واد يسمى (الحُمَرة) لعله سمي بشجرة من الحُمَر كانت من نباته، فزالت الشجرة، وبقي الاسم علمًا على ذلك الوادي، وهو من روافد وادي بطاط فالأحسبة .

وفي نواح من جبال سمارة والقاعدة جنوب اليمن يطلقون (الحَوْمَر) على شجيرة من هذه الفصيلة (*Cadia purpurea*) وهي التي تسمى (الحِمْرَار) في تهامة عسير، و (اللِّهْب) وربما (النِّهْب) بالنون، في جبال الريث، شرق منطقة جازان . وهي نبتة جميلة غير شائكة، تبدأ في الظهور من منطقة رجال ألمع في تهامة عسير، وتمتد جنوبا إلى السفوح الجنوبية الغربية من جبال اليمن . وأكثر منابتها ضفاف الأودية الصخرية، على ارتفاع ٨٠٠ – ١٥٠٠م. وتقوم على سيقان متعددة نحيلة، تخرج من أصل واحد، مطمور في الأرض أو مرتفع عن سطحها قليلا، تتفرع على



● الحِمرار، الحومر _ *Cadia purpurea*

هيئة مخروطية، ولا يزيد ارتفاعها، في الغالب، عن مترين . أعوادها قصفة سهلة الكسر، فإذا جفت فهي غاية في الصلابة . أوراقها ريشية، خضراء مصفرة، مسربة بالطول من الوسط. لا يرعاها شيء من الحيوان. وأخبرني دليلي الريثي بأنه يقع عليها يرقة صغيرة سوداء فتعريها من جميع أوراقها . وأزهارها كبيرة الحجم جميلة ملفتة للنظر، تظهر مائلة نحو الأرض، وما يزال لونها يتدرج من الصفرة عند ظهورها إلى البنفسجي الفاتح ثم الغامق قبل أن تذبل. وربما كان الحمرار مأخوذا من لون أزهارها، وهو قريب من اللون الأحمر، ولعل من سماها اللِّهْب أيضًا، أخذه من جمال أزهارها؛ لأن من معانيه في اللغة: الرائع الجمال . والنحل لا يثمرها. وأخبرني دليلي الألمعي بأنها تقضي على بعض أنواع الزنابير آكلات النحل والعسل، وهي حشرة ذات لون أصفر مجزع بسواد، لسعها مؤلم جدًا، وربما اجتمع على الرجل البالغ نحو خمس منها فتقتله. وهي تقع على تلك الأزهار، فتميتها في الحال غالبا، فتُشاهد نافقة بأعداد كبيرة تحت الشجرة وما حولها، وربما وصل أحدها إلى خلية الزنابير، فيموت عند دخوله الخلية جميع ما فيها من الزنابير . قال: وتُفرش أغصانه المورقة في مراح البقر والغنم، فتقتل ما فيه من البراغيث. ويعقبها ثمار سنفية مستقيمة، طولها نحو ١٠سم . وعرضها نحو ١سم . وتحتوي الثمرة الواحدة نحوا من ١٠ – ١٢ بذرة مفلطحة الشكل، تشبه حبات العدس الكبيرة .

وسمعت أهل جبل شدا الأسفل يطلقون لفظ الحِمْرار على شجرة أو شجيرة من الفصيلة الصابية (*Flueggea virosa*) لأزهارها رائحة عطرية فوّاحة، يتهافت عليها النحل وأنواع أخرى من الحشرات كثيرة جدًا. وهي التي تسمى ، أيضًا، حناء الجمال أو القرود، كما سبق في رسم الأثب .



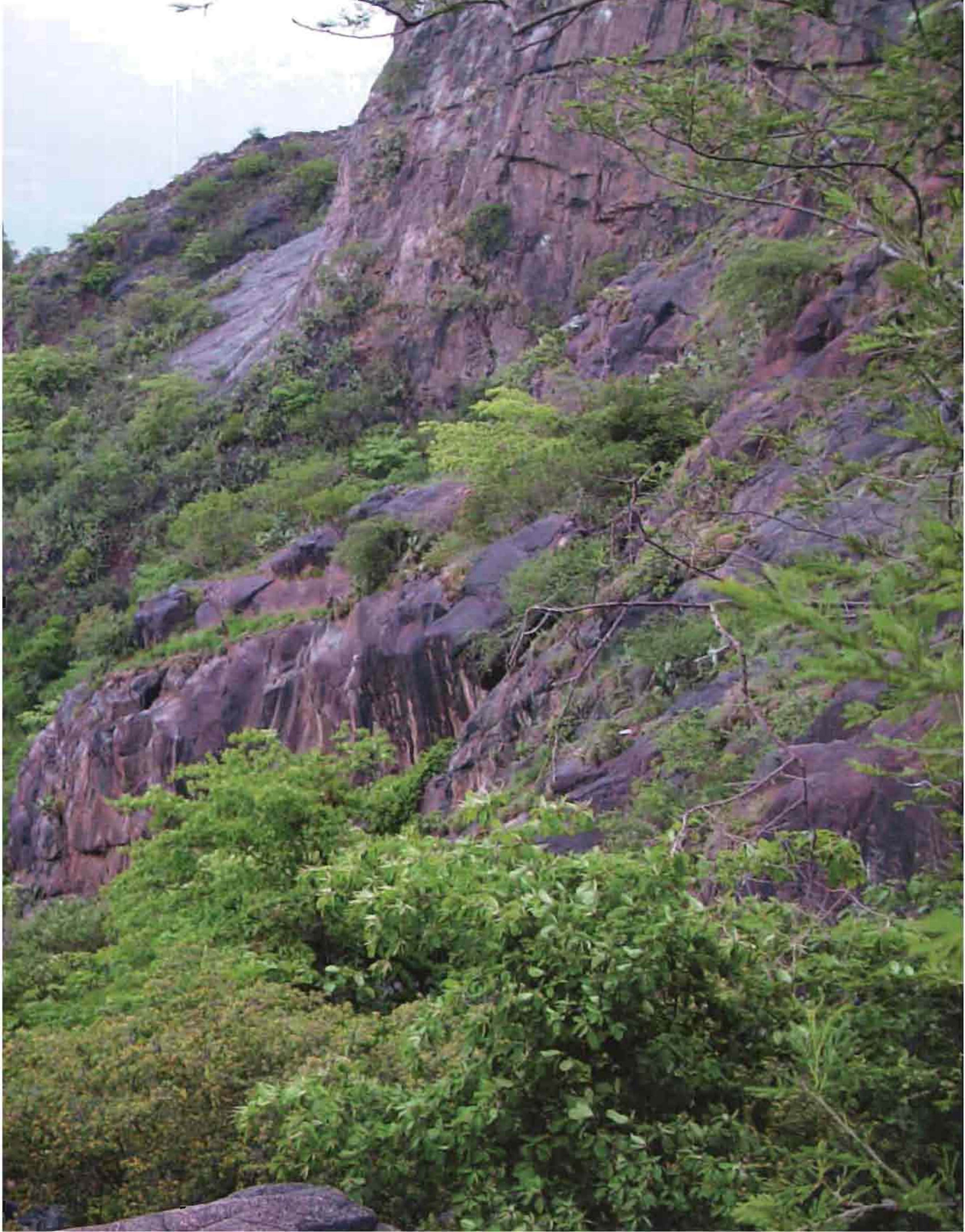
يجود الحمرار في الأراضي الصخرية الصلبة

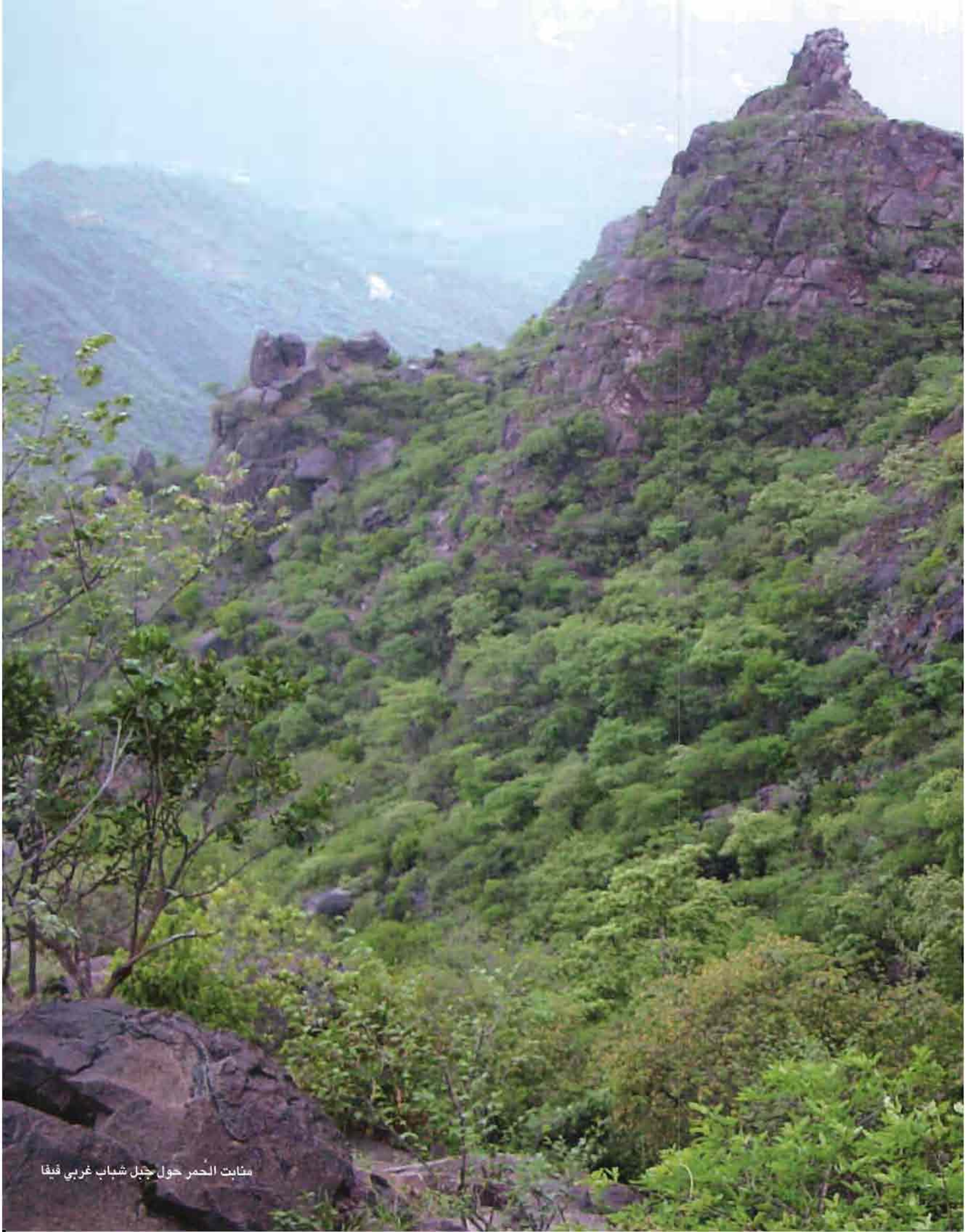
(١) الخلاف البلخي هو الرنف، كما سيأتي في حرف الراء .

(٢) كأنه يعني الأودية التي بين مكة والمدينة .

(٣) النَّبات ٥ / ١٣٤. وينظر : الجوهرتين ١١٠، ١٩١،٢٨٦، والمخصص١١ / ١٣٤، وجامع ابن البيطار ١ / ١٩٢، ٢٩٢، والمعتمد ٥٢، والعمدة١ / ١٨٣، وحديقة الأزهار ٢٩٨، واللسان٣ / ٣٢١، والقاموس ٤٨٥، والتاج ٣ / ١٥٦(حمر) .

(٤) الموسوعة العربية العالمية ٢٥ / ١٦٤.





منابت الُحمر حول جبل شباب غربي فَيفا

الحُمَّاض



قال أبو حنيفة : ((قال أبو زياد: من العشب الحُمَّاض، وهو يطول طولا شديدًا، وله ورقة عريضة، وزهرة حمراء، فإذا دنا يبسه ابيضت زهرته، والناس يأكلونه)) (١) .

وقال الأزهري : ((الحُمَّاض: بقلة بريَّة، تنبت أيام الرَّبيع في مسايل الماء، ولها ثمرة حمراء ... ومنابت الحُمَّاض الشُّعيبات وملاجئ الأودية . وفيها حموضة . وربما نبَّتها الحاضرة في بساتينهم وسقوها وربَّوها، فلا تهيج وقت هَيْج البقول البرية)) (٢) .

الحُمَّاض

Rumex vesicarius

الفصيلة الرَّاونديَّة - POLYGONACEAE



قلت: الحُمَّاض: عشبة ربيعيَّة كثيرة الانتشار، منابتها سفوح الجبال، وبطون الأودية والشعاب، على ارتفاع ٨٠٠ – ١٧٠٠م .

يرتفع الحُمَّاض نحو ٣٠ – ٥٠ سم، وهو يقوم على ساق واحد أو سيقان متعددة تخرج من أصل واحد، وساقه ناعم غض ممتلئ بالماء، يظهر بعد هطول أمطار الشتاء بلون أخضر، وربما امتزج بحمرة يسيرة، فإذا تقادم عليه الوقت اصفر لونه، وقل ماؤه وتجوف داخله، إلى أن يهيج عند منتصف الربيع . ولا يزيد الحُمَّاض، في أحسن أحواله، عن الارتفاع الذي ذكرت، ووصفُ أبي حنيفة له بالطول الشديد، وصف مبالغ فيه، إلا أن يقصد بطوله الشديد النسبه إلى ما سواه من الأعشاب الحولية الصغيرة، ولكنه أطلق فأوهم .

وأوراق الحُمَّاض عريضة، شبه مثلثة، غضة، ناعمة الملمس، يحملها أعناق طويلة، تحمر شيئا قليلا قبل الهياج . وأما الأزهار فصغيرة جدا، تظهر خضراء مصفرة، على هيئة عناقيد تخرج مع أعناق الأوراق، ويعقبها ثمار مجنحة تكون في بداية نموها خضراء مصفرة، تتحول عند الإثمار إلى اللون الوردي أو إلى لون أحمر زاه جميل، وعند تمام النضج يستحيل لونها إلى الأبيض المشوب بحمرة يسيرة، ولها ثلاثة أجنحة رقيقة، يميزها عروق حمراء واضحة، تحتضن بذرة صغيرة بيضاء إلى حمرة يسيرة، وهي تشبه ثمر العثرب، ولكن كبيرة الحجم مقارنة به، وإذا أثمر الحماض توشَّحت منه سفوح الجبال حللا زاهية الحمرة. وربما توهم بعض الناس أن ثماره هي أزهاره، ومنه ما رواه أبو حنيفة عن أبي زياد ؛ وذلك من صغر الأزهار وغلبة الثمار الكبيرة عليها .

ويأكل الناس أوراق الحماض، ولها طعم حامض مستساغ، ومن ذلك اشتقوا



اسمه . وهي تؤكل مع السيقان الغضة أو بمفردها، ورأيت أهل الفقرة يأكلونها مخلوطة بأوراق الكحلاء والقُرّاص والذُعْلُوق، وربما أكلوها مطبوخة كأدام . وتراهم في معظم جبال الحجاز يذهبون إلى منابت الحماض فيجمعونه بكميات كبيرة، فيأكلونه ويتهادونه. وتؤكل أوراقه وعساليجه الغضة لدفع القيء والغثيان، أو لدفع العطش. وقد أكلته حين أصابني العطش في جبل الهضبة أحد جبال الفقرة الغربية، فوجدت منه ارتواء ونشاطا حتى عثرت على الماء . وأخبرني دليلي من أهل الكويرة أنهم كانوا يجمعون الحُمّاض مع القُرّاص (القُرَيّص) والبَرْوَق والكحلاء، وبعد تنظيفها من الجذور والشوائب، تطبخ جميعا مع اللبن الرائب حتى يصير إقطا، فتضفي عليه نكهة لذيذة، وتزيد من عناصره الغذائية، ويدخرونه للشدائد . وهو من المراعي المحببة للإبل، ترعاه إذا سئمت الخُلّة. وترعاه كذلك الأغنام .

وما زال الناس في معظم جبال جُهينة يسمونه الحُمّاض، وكذلك يسميه أهل جبال مَدْيَن وبلي. وفي جبال السراة وكثير من جبال الحجاز يُسمّى (الحُمَيِّض)، وكذلك يُسمّى في الجبل الأخضر شمال عُمان . وسمعت بعض أهل السراة من خثعم وشدا الأسفل ينطقونه (الحُمَّيضَى) بزيادة الألف من آخره .

ومن الحماض نوع آخر (*R.Steudelii*) كبير الحجم،







واسع الانتشار، يُسمى (الحُمَّاض البستاني) أو (السِّلْق البري) (٣) ويسمى في اليمن (حُمَّاض البقر)، أو (لسان البقر)، وسمعت أهل جبل صَبر وجبل النبي شُعيب يسمونه (التِّبْعَل) وربما نطقوه بكسر العين.

وأما أهل السَّراة من غامد وزهران وبني عمر فيسمونه (الخرْوَع) . وفي سراة هذيل يسمونه (الخُرَّيْف) أو (الخَرْفَى) أو (الخَرَفَى) سمعته باللهجات الثلاث . وهو من نبات المرتفعات الباردة أيضًا، ومنابته الأراضي الزراعية المهجورة، وبالقرب من المنازل، وجذوع الأشجار، وأساسات الثمائل، وجوانب الطرق، على ارتفاع ١٧٠٠ – ٢٨٠٠م .

يرتفع هذا النوع نحو ٩٠ – ١٥٠سم، ويقوم على ساق أجوف هشّ، معلم بأخاديد طولية، والأوراق كبيرة ناعمة، خضراء قاتمة، حامضة إلى مرارة يسيرة، تشبه أوراق السلق، طول الورقة نحو ٢٥ سم وعرضها نحو ١٠سم . تظهر في نهاية الخريف وأوائل الشتاء من جذمور صلب معمر مطمور تحت الأرض، لونه الخارجي بني يميل إلى السواد، وداخله أصفر محمر، إذا نبت في مكان تشبّث به، فيصعب اقتلاعه منه . تظهر الأوراق أولاً وتنبسط بكثافة فوق الأرض على



● الخِرْوع ، حُماض البقر _ *R.Steudelii*



شكل دائرة يخرج من بينها الساق، وأما الأوراق التي تنمو على الساق، فيقل عددها ويتضاءل حجمها حتى تنتهي تقريبًا في نهاية الثلث الأول من الساق، وأما الأزهار فتظهر على نهايات الساق ومن أطرافه على هيئة عناقيد طويلة، لونها أصفر مخضر، ويتلوها ثمار صغيرة ثلاثية الأضلاع مسننة الأطراف، تكون في بداية نموها خضراء مصفرة، ثم حمراء مصفرة، وفي أواخر الربيع، عند تمام النضج، يستحيل لونها مع السوق إلى البُني الفاتح ثم القاتم، وتحمل الثمرة بذرة صغيرة بيضاوية الشكل، بنية اللون يشوبها سواد قليل .

ولم أسمع بأن أحدًا من أهل السَّراة يسميه الحُمَّاض إنما يسمونه، كما أسلفت، (الخِرْوَع) وهو استعمال فصيح؛ لأن عوده هش خوار كعود الخروع، والعرب تطلق على كل شجرة ضعيفة خوارة لفظ الخروع، كما قال أبو حنيفة : ((الخروع الأصل فيه شجرة الخروع







المعروفة، ثم قيل لكل نبات قَصِف ريّان من عشب أو شجر: خِرْوَع . قال عديّ بن زيد، ووصف الوحش :

والخُنْسُ يُزْجِينَ عنًّا في طوائفه   يَقْرِمْنَ من خِرْوَعٍ ريّانَ آثارا

يريد النَّبات الخوار من نعمته وريّه، فأما الخِروع بعينه فلا يرعاه شيء . وهو مأخوذ من الخَرَع والخَرَاعة، ومنه قيل للمرأة المتكسرة : خَرِيْع . قال الشاعر :

ولقد غَمَزْتُ قناتكُمْ فوجدتها   خَرِعاً مكاسِرُها كعودِ البَرْوَقِ

وعود البَرْوَق ضعيف)) (٤) .

وأما شجرة الخروع المعروفة، فيسمونها (الجار) وسيأتي الحديث عنها قريبًا . وأما الخِرْفِي، فربما سموه بذلك؛ لأنه يبدأ الظهور في نهاية فصل الخريف.

وفي سراة غامد يطلقون لفظ (الحُمَّيضى) أيضًا، على نوع آخر من الفصيلة نفسها (*Emex spinosus*) أكثر منابته الأراضي الزراعية المهجورة، على ارتفاع ٩٠٠ – ٢٣٠٠م . وسمعت بعض بني عمر يسميه (خروع البلاد) تمييزا له عن النوع الأخير . ويسميه أهل جبل ورقان من حرب وأهل جبل رضوى من جهينة (الرُّكْبَة) . تنمو سيقانه ممتدة على الأرض بطول ٣٠ – ٥٠ سم، وربما ارتفعت بعض سيقانه عن الأرض قليلا. أوراقه تشبه أوراق الحُمَّاض، وطعمها حامض إلى مرارة يسيرة، لا تؤكل، وله جذر جزري أبيض اللون يؤكل، وطعمه حلو . تظهر أزهاره وثماره عند أصول الأوراق محيطة بالساق، وثماره مزودة بأشواك ثلاثية معكفة، تعلق بثياب الناس وأصواف الأغنام ، ينبت شتاء، ويهيج أول الصيف . وهو الحِنْزَاب في أصول اللغة، قال أبو حنيفة : ((الواحدة حِنْزَابة. وقال أبو زياد : من الأحرار الحِنْزَاب، وله ورق عراض، وعرق في الأرض أبيض كأنه الفجلة، يأكله الناس ويطبخونه ... وقال بعض الرواة : الحِنْزَاب جزر البريَّة ، وهو حلو شديد الحلاوة . وورقه فُطح . وقال غيره : منابت الحِنْزَاب الغلَظ، وهو من الذكور)) (٥) .

وفي ذي عين من ديار بني عُمر، وكثير من جبال اليمن، والجبل الأخضر شمال عُمان يُطلق لفظ الحُمَّاض والحُمَّيْضى أيضًا، على نوع من الفصيلة الحُمَّاضيَّة (*Oxalis Corniculata*) وهو عشبة صغيرة، واسعة الانتشار في قمم السَّراة، تشبه بعض أنواع النَّفَل، ارتفاعها لا يزيد، في الغالب، عن ١٥سم، تنبت، في الغالب، بين شقوق الصخور وأكنافها الظليلة الرطبة، في منابت عشبة





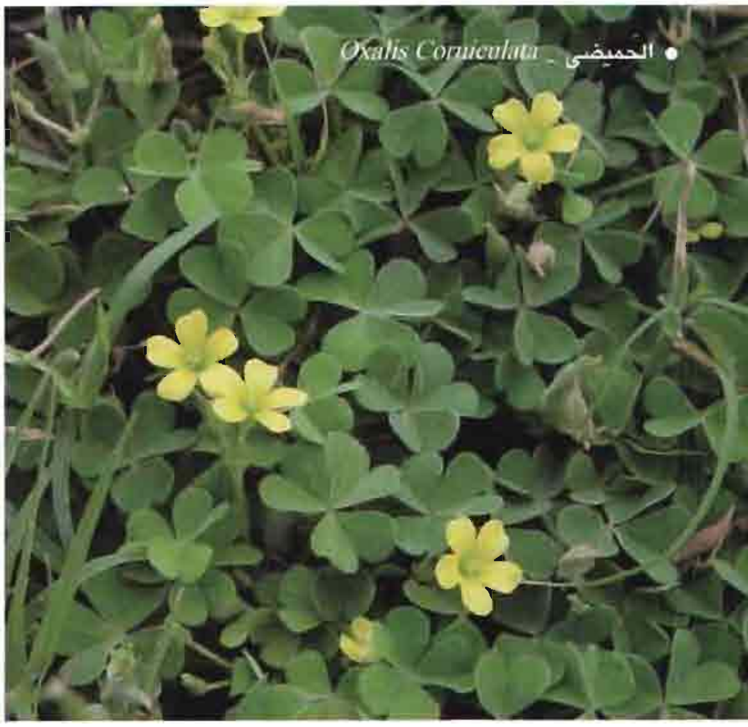


● الحنزاب، خروع البلاد _ Emex spinosus

شتوية من فصيلة المُخَلَّدات، تسمى الخِيْف (*Umbilicus Horizontalis*) وربما نبتت في الحقول الزراعية المهجورة. أوراقها ثلاثية، قلبية الشكل، تحمر قبل أن تسقط، وطعمها حامض، يشبه طعم ثمار الليمون، وأزهارها صغيرة صفراء، خماسية البتلات، تتفتح ضُحى، وتنغلق في العشي، يعقبها ثمار جرائية صغيرة، مؤنفة الطرف . وأهل جبل صبر ينطقونها (الحُميْمِضَة)، وهي (المُحْمضَة) في جبال فيفا، وينطقون الضاد بصوت نحو الفاء، وآخرون يسمونها (المُكْرِسَة) وأظنه محرفا عن (المُضْرِسة) والضَّرَس تحسس في الأسنان، يكون من أكل الحامض .

وفي جبل ورقان من ديار حرب، وجبل رضوى من ديار جهينة يطلقون لفظ (الحويمضة) تصغير حامضة، على عشبة أو شجيرة صغيرة نادرة، من فصيلة الخنازيريَّات (*Lindenbergia Indica Forma Sinaica*) تنبت على ارتفاع ٥٠٠ – ٨٠٠م. وأكثر منابتها الشقوق الصخرية على ضفاف الأودية، وربما نبتت بين الصخور الصغيرة في بطون الأودية . ترتفع نحو ٤٠ – ٦٠سم. أوراقها خضراء مغبرة، تشبه أوراق الشَرَّم، يكسوها شعيرات تفرز مادة زيتية





● الحميضي _ Oxalis Corniculata



● الحويمضة ١ _ *Lindenbergia Indica Forma Sinaica*



● الحويمضة ٢ _ *Lindenbergia Indica Forma*



● حَمْزَج (الحماض السقطري) _ *Begonia Socotrana*

يلتصق بها الغبار والشوائب الطائرة في الهواء؛ ولهذا يسميها بعض أهل رضوى (الدَّبْقَة) وتسمى (الدَّسمَة) في تهامة هذيل. وأما الحويمضة فأخذا من حموضة أوراقها . أزهارها صفراء محمرة الأطراف، تشبه أزهار الفصيلة الشفوية، وهي ذات تويج واحد له ثلاثة فصوص قصيرة. وأخبرني غير واحد من أهل جبل رضوى أن الإبل والغنم ترعى الحويمضة بنهم شديد، فربما هَشَّت أسنانها وتكسَّرت من جراء ذلك. ومنها نوع آخر (*Lindenbergia Indica Forma*) شاهدته في أصدار جبال السَّراة على ضفاف الأودية الجارية، بين شقوق الصخور أيضا، على ارتفاع ١٢٠٠م . وهذا لا يزيد ارتفاعه، في الغالب، على ٢٠ – ٣٠سم .

وفي جزيرة سقطرى شاهدت على السفوح الشديدة الانحدار تحت قمم جبال سَقَنْد الباردة، عشبة جميلة جدا يسمونها بالمهرية (حَمْزَج) من أنواع الفصيلة البغنونية (*Begonia Socotrana*) تنبت في الأنداء بين شقوق الصخور وقرب جذوع الأشجار . ليس لها سوق، وإنما هي أوراق بوقية راحية، يحملها أعناق طويلة . أزهارها وردية اللون حسنة المنظر . رأيت دليلي من أهل هذه الجزيرة وحاملي متاعنا يأكلون أوراقها مع الأعناق، فأكلتها، وهي كثيرة الماء، حامضة الطعم، وحموضتها طيبة تغري بأكل المزيد . ويظهر أن (حَمْزَج) على صلة لغوية قديمة بلفظ الحماض، والجيم زائدة .

(١) النَّبات ٥ / ١١٥ .
(٢) تهذيب اللغة ٤ / ٢٢٤ .
(٣) ينظر : العمدة ١ / ١٧٦، وجامع ابن البيطار ١ / ٢٩٠، والتاج (حمض) ٥ / ٢٣، ومعجم الأعشاب والنَّبات الطبية ١٤٧، ١٤٨ .
(٤) النَّبات ٥ / ١٤٥ .
(٥) النَّبات ٥ / ١٠٦ . وأحرار النَّبات : ما يؤكل ، وما لا يؤكل فهو من الذكور . وينظر : أدب الكاتب ١٠٠، والمخصص ١١ / ١٥٣ .



الحُمَّاض مع الخُلَّة في حمى الفوقاء، ومن خلفه جنوبا يُرى جبل البَلس _ جنوب بلجرشي



الخِرْوَع



قال أبو حنيفة: ((أخبرني أعرابيّ من الأزد قال : الخِرْوَع لا يرعاه شيء، قال : وتُقَشَّب الكلاب بحب الخروع الغضّ، يطرح لها في اللحم فيقتلها أو يُعميها. وذكر بعض العلماء أنه يقال له: السِّمْسِمُ الهنديُّ. وإذا أدرك ثمر الخروع في شجرته، شَقَّ عنه أغطيته ونزا، فربما وقعت منه الحبة على الأذرع الكثيرة، تخذف بها شجرته خذفاً، وقال أبو زياد: من الأغلاث الخروع، وله ورقة عريضة متفرقة الأطراف، وليس يأكله من المال شيء علمنا به. وقد يتخذ من حبه دهن يتداوى به الناس، وربما ضخمت الخروعة حتى تكون مثل التِّينة الضخمة، ولا تكاد تنبت إلا ببطن مسيل، وليس من الشجر شيء أقصف عوداً ولا أضعف من الخِرْوَعة)) (١) .

الخِرْوَع
Ricinus communis

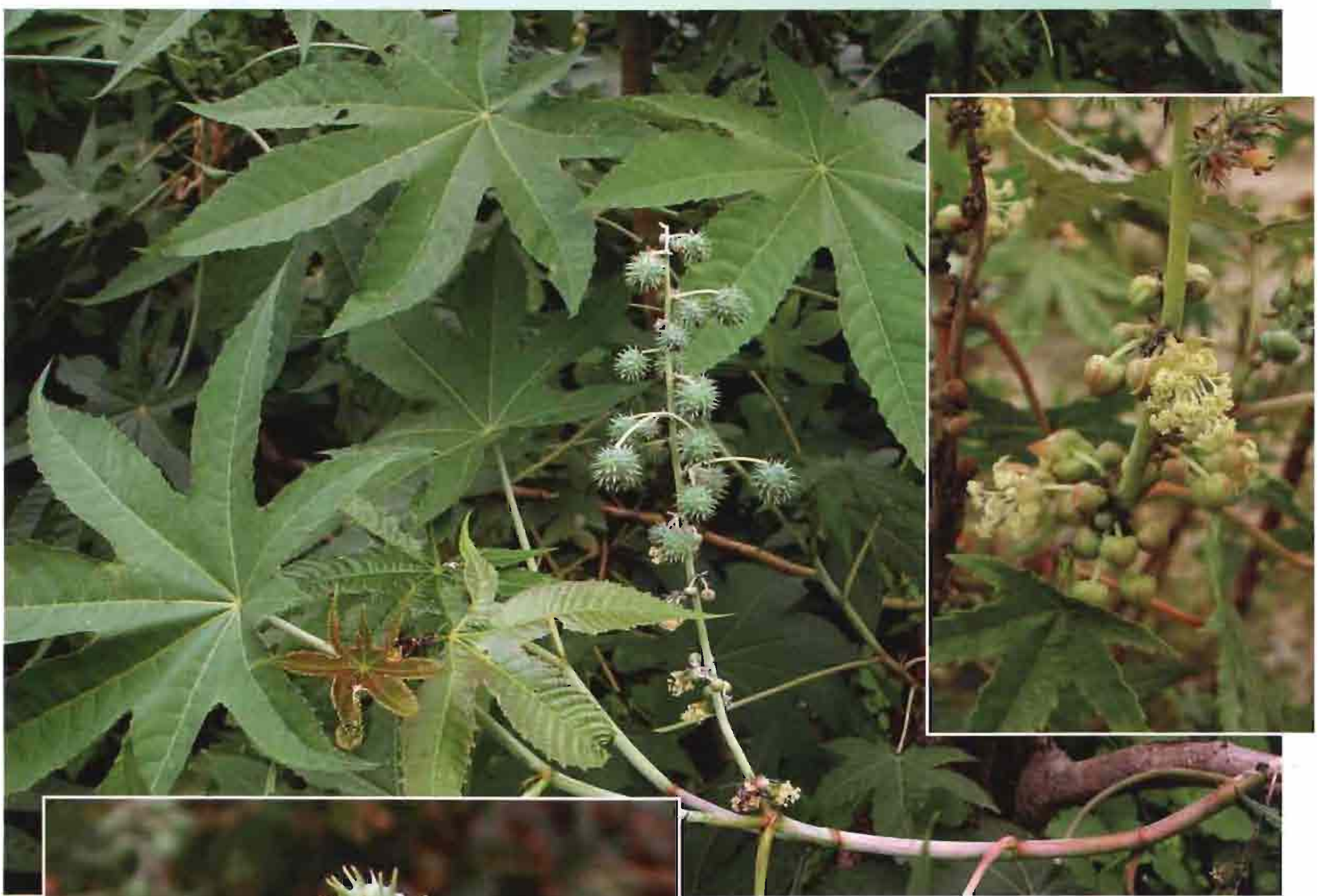
EUPHORBIACEAE - الفصيلة الصَّابيَّـة





قلت: الخِرْوَع، والواحدة خِرْوَعَة، شجيرة واسعة الانتشار تنبت في تهامة والسَّراة حتى ارتفاع ٢٥٠٠م. منابتها ضفاف الأودية، وجوانب الطرق المسلوكة، والأراضي غير المزروعة، وبالقرب من المنازل المأهولة أو المهجورة. ولم أرها قط نابتة في قراديد الجبال، ولا الحداب المرتفعة النائية عن الأودية والدور.

تقوم الخَرْوَعَة على جذع هشّ خوّار، يرتفع نحو ١,٥ – ٣م، لونه بني فاتح مغبر، والفروع الحديثة خضراء مغبرة، وربما حمراء مائلة إلى السواد قليلا. تتفرع الخروعة إلى أغصان كثيرة، والأوراق كبيرة أشبه ما تكون بكف مبسوطة مفرجة الأصابع، أطرافها مستدقة، مسننة الجوانب. والأزهار صفراء صغيرة تتخذ في مجموعها شكل العثكول، وأما الثمار فتظهر على هيئة كرات مقسمة إلى ثلاثة فصوص، لونها أخضر مغبر، ومن الخروع صنف نادر ثماره صفراء اللون، وآخر حمراء اللون، وربما وردية اللون محمرة. يكسوها أشواك لينة ناعمة، فإذا نضجت قست قشرتها، ثم تنفلق عن بذور غبراء تشبه القُرَاد المتخم، مجزعة بخطوط سوداء أو بنية، وهي تنطلق بفعل الضغط الداخلي للثمرة بعيدًا





● الخروع الشائع .

عن الشجرة، محدثة فرقعة يسيرة . وهذه البذور سامة يكفي القليل منها لقتل رجل بالغ، ويعتصر منها زيت يدخل في صناعة الطب وغيره، وهو المعروف طبيا بـ (زيت الخروع). وأوراقها سامة أيضًا، لا يرعاها شيء، فإن رعتها الأغنام في الجدب هلكت، ولاسيما البهم والسخال .

وفي السَّراة كان الناس يتخذون من لحاء الخروعة اليابس أليافًا ناعمة يفتلونها فيجعلون منها خيوطاً للشِّكاء والقِرَب والأنحاء . ويتخذ النساء من أوراقها أغطية لأيديهن وأرجلهن المخضبة بعجينة الحناء، وربما اتخذوا من سيقانها المنافخ والمزامير .

وأهل السَّراة يسمون الخروع (الجار) لا يعرفونه بغير هذا الاسم، فربما سموه بذلك لما كانت منابته مجاورة لبيوتهم وطرقاتهم، أو هو مأخوذ من الجريان؛ حين رأوا فعله في إجراء البطن، وجاء في الحديث الشريف ما يدل على هذا المعنى، فقد ثبت أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم ، قال لإحدى نسائه: ((بم





● صنف آخر من الخروع أحمر الثمر



تستمشين؟ قالت: بالشُّبْرم قال: حار جار . قالت: ثم استمشيت بالسَّنَا)) (٢) . وأما الخروع عندهم فيطلقون على نبت شتوي معمر من الفصيلة الرَّاوندية، تقدم الكلام عنه في رسم الحُمَّاض . وسمعت أهل جبل السُّودة من بني مُغيد يطلقون لفظ الخروع على شجيرة من فصيلة المركَّبات (*Senecio hadiensis*) وهي شجيرة نَخِرَة قِصْفَة، تشبه الرَّنْد، وجدتها أعلى عقبة رَيْدَة . ويضمدون بورقها المهروس جراحات الختان . وسمعت أهل جبل صَبر يسمونها (الخضْرابة). وسمعت أهل الحَبَلَة من ديار قحطان يُطلقون (الخِرْوَع) على التَّنْعِيْمة؛ أخذوه أيضًا، من عودها الهش الخَرِع، وقد تقدم .

وأهل جبال مَدْيَن من بني عطية والحويطات يسمون الخروع (الجَرْوَى) فلعله مأخود من الجريان أيضًا. وفي جبال العبادل يسمونه (الخَنْشَع) وبذوره (الزَّيْت) وفي جبل صَبر يسمى (التَّبْشَع) ويزرعونه حول المنازل لمنع تكاثر النمل . وفي الجبل الأخضر يسمونه (العَرَش) وفي جبال ظفار يسمى (العَشْعَش) و (الجُنيْجِنة) وربما نطقوا الجيم قافًا.

وسمعت أهل جبل فيفا يسمون الخروع نفسه (الزَّيْت) وربما

● صنف ثالث أصفر الثمر >







• الخروع، الشَّرْب _ *Jatropha curcas*

سموه أيضا (الجار) ، وأما لفظ (الخروع) فيطلقونه على شجرة أخرى من الفصيلة نفسها (*Jatropha curcas*) وهي شجرة كبيرة مورقة، قصفة، سريعة النمو، جميلة المنظر، ترتفع نحو ٣ – ٦م. أوراقها راحية كبيرة شديدة الخضرة، وثمارها ناعمة ملساء، حجمها يربو على ثمار النوع السابق بنحو الضعف، تظهر خضراء فاتحة، وعند النضج تتحول إلى لون أصفر جميل، إذا قُطفت تدفق منها سائل مخاطي لزج، وعند تناهي النضج تصير إلى البُني المسود، ثم تنفلق عن بذرتين أو ثلاث بيضاوية الشكل، غبراء أو بنية مائلة إلى السواد، في حجم عجمة التمر أو







أصغر قليلا . وبذورها مسهلة جدًا، تكفي واحدة منها لإحداث إسهال مفرط، وقد تقتل ثلاث منها الرجل البالغ .

وسمعت بعضهم ينطقها (الخَوْرَع) بتقديم الواو على الراء . وفي تَعز وإب وكثير من مناطق اليمن تسمى الشَّرْب، والمفرد شَرْبَة، سموها بمصدر الفعل شَرِبَ. وسمعتهم في جبال حَجَّة يسمونها (حَبَّة ونص) فربما كان ذلك هو مقدار ما يأخذونه من ثمارها لتسهيل البطن . وأخبرني رجل من أهل وادي الجنَّات في إب أنهم يستعملون زيتها علاجًا للجروح المزمنة والمنتنة .

وزيتها سريع الاشتعال جدًا، كان يُستعمل للإنارة في كثير من مخاليف اليمن، وربما نظموا الحبوب في سلك، وأشعلوا في طرفه النار، فتبقى مشتعلة مدة طويلة. وقد تكون هذه الشجرة، مستقبلاً، مصدرًا لوقود نظيف لا ينفد أبدًا، لو أحسن استغلالها .

---

(١) النَّبات ٥ / ١٤٦. وينظر : ديوان ابن الرومي ٤ / ١٤٩٤، ١٤٩٧، والنَّبات للأصمعي ٣٥، وجامع ابن البيطار ١ / ٣٢١، والمعتمد١٢١، والعمدة ١ / ٢٠٨، والعين ١ / ١١٧، والجمهرة ١ / ٥٨٨، وتهذيب اللغة ١ / ١٦٢، والصحاح ٣ / ١٢٠٣، واللسان ٤ / ٦٧، والقاموس ٩٢٠، والتاج ٥ / ٣١٦ (خرع) .

(٢) أخرجه الترمذي (٢٠٨١) ، وأحمد (٢٧١٢٥) والبيهقي ٩ / ٣٤٦ ، واللفظ للترمذي .



وادي الجنات بالقرب من مدينة إب _ جنوب اليمن



الخَزَم



الخزم على السفوح الشرقية من جبل ورقان ـ غرب المدينة المنورة

قال أبو حنيفة : ((أخبرني أعرابيٌّ من أهلِ السَّراة، قال : الخَزَم شجر مثل الدَّوْم سواء، غير أنه أقصر وأعرض وأعبل[١] ، والشبه واحد، وله أقناء وبُسْر، يسودُّ إذا يَنَع، لا يأكله الناس، ولكن الغربان حريصة عليه تنتابه، قال : وربما رأينا أسراب الغربان تمر فيقول الناس: ((تِريد قَمْلَى وتُقَمَّلَ)) وهما جبلان من السَّراة[٢] لا ينبتان شيئاً إلا الخزم . قال: ويتخذ من جذوعه خلايا النحل فتألفها جداً، وتتخذ من خُوْصه وعُسُبه[٣] الحبال والخُطُم تدق على الجَبْء، وهي الفرازيم مثل فرازيم الحذَّائين[٤]، ثم تُفتل دقاقاً وغلاظاً. وقال غيره: لَلخزَّامين بالمدينة سوق، ذكر ذلك الأصمعيُّ))[٥].

وقال : ((وإذا عسلت النَّحل فما يتخذ لها النَّاس من خشب خاصة فهي النَّحائت، والواحدة نحيتة؛ وإنما سميت نحائت لأنها تُنحت بالفؤوس من سوق الشجر العظام، وأعرف ذلك الخَزَم والعَرْعَر والعُتُم ... وخلايا الخَزَم أوفقها للنَّحل، وشهدها أعظم لأنها أوسع))[٦].

وقال: ((وأخبرني البكري، قال : الخَزَم مثل الطُّفْي، والطُّفْي خُوْص الدَّوْم، والدَّوْم شجر المُقْل. قال : يُؤتى به إلى المدينة من قُدْس، وهو جبل العَرْج[٧] ، فينقع في الماء، فإذا ابتلَّ دُقَّ على الفرازيم حتى يلين ويخلص من حشوه، فينتثر منه، ثم يعمل حبالاً على كل ضرب، وحباله لينة باقية ما لم يشتد عليها الحرّ. قال: وهي في الأنداء خير من حبال الجلود))[٨] .

وقال الصَّغَاني: ((والعَرَاب: حمل الخَزَم، وهو شجر يُفتل من لحائه الحبال، الواحدة عرابة، تأكله القرود، وربما أكله النَّاس في المجاعة)) [٩].

الخَـزَم

Dracaena ombet (D. serrulata)

الفصيلة الأغافيَّة - AGAVACEAE



الخزم بأعلى وادي قصَب من جبل رضوى ـ شمال شرق ينبع

قلت: الخَزَم، والمفرد خَزَمة، من الأشجار النادرة المعمرة في جبال السَّراة والحجاز، منابتها السفوح الصخرية الجرداء، وربما نبتت في مهاوي القمم الشديدة الانحدار، على علو ١١٠٠ – ١٧٠٠م .

ترتفع الخزمة نحو ٣ – ٥م . وذلك على ساق ثخين ليفي، يكسوه لحاء أغبر، وربما أغبر إلى سواد قليل، معلم بأخاديد طولية عميقة في الشجرة المعمرة، ويتشعب في غير ما استواء إلى فروع كثيرة، فإن نبتت الخزمة في الشقوق الصخرية، فقل أن تتفرع؛ وتبقى أوراقها مجتمعة على قمة الساق؛ وذلك لعدم وجود مجال لنمو الجذور وتمددها بين تلك الشقوق . وساقها كالنخلة؛ ينطوي على شحم أبيض يسمى في جبال الحجاز (الجُمَّار) والناس هنالك يأكلونه. والأوراق ليفية خضراء باهتة حادة الأطراف، على هيئة السيوف، طولها نحو ٥٠ – ٨٠ سم، وعرضها نحو ٥سم، تظهر مجتمعة في أعلى الفروع، وتنتصب الحديثة منها للأعلى، أما القديمة فتتدلى مصفرة إلى الأسفل، وتمكث على الشجرة بعد أن تجف زمنا طويلا قبل أن تسقط، وتتجمع بين الفروع والأغصان الصغيرة فيكون لها ظل كثيف بارد . وقد يتخذ

















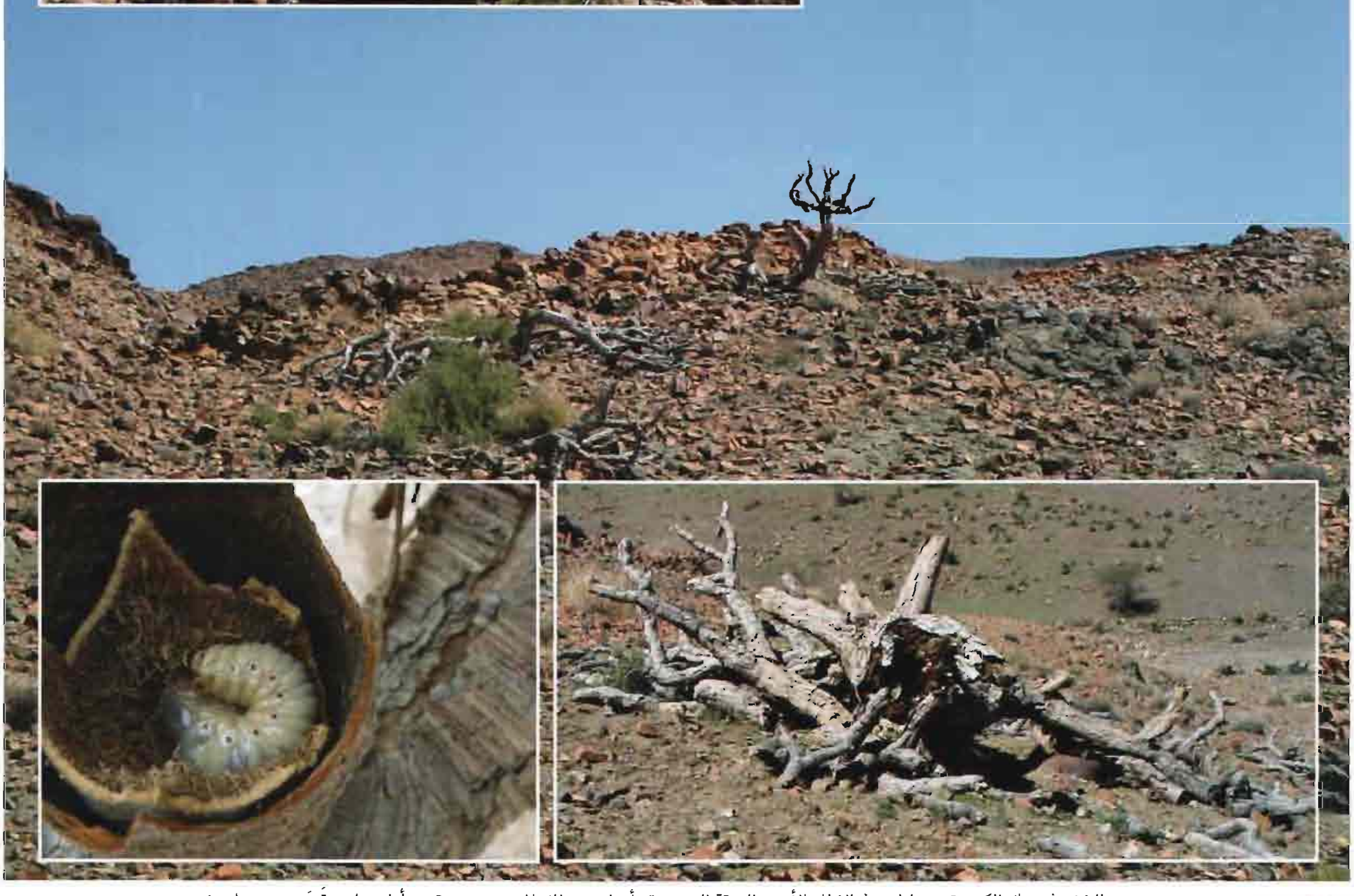
منها الرعاة مخابئ لأمتعتهم. وربما أكلوا أصول الأوراق الحديثة النمو، وطعمها مقبول . تظهر الأزهار من منتصف الربيع إلى أوائل الصيف في عناقيد كثيفة مجتمعة على شمراخ طويل كهيئة القنو، يجاوز طوله المتر، يسميه أهل ورقان وقدس والأجرد (العَرْمُوْز)، وربما أكله الناس وهو ما زال طريا من لدن ظهوره إلى نحو شهر واحد، وذلك بعد خشر لحائه. ولون تلك الأزهار أبيض إلى لون وردي يسير، ولها رائحة خفيفة طيبة، تظهر بكثافة على أشجار الخزم، فتبتهج من حسنها سفوح الجبال . والنحل يثمرها، فيجني من رحيقها عسلا وافرا أبيض اللون، وربما شابه حمرة يسيرة. ولا تظهر الأزهار، في الغالب، إلا عقب شتاء ممطر، ولو كان مطره يسيرًا. أما الثمار فهي كروية في حجم الحمصة الصغيرة أو أكبر قليلاً، تظهر خضراء، وتؤول عند النضج إلى اللون الأصفر ثم البرتقالي المحمر، ثم البُني، ثم تسود أخيرا، وتنفلق عن بذرة واحدة إلى ثلاث. وربما أكلها الناس في المجاعات، وهي ما زالت خضراء طرية، ولكنها مرة الطعم، والكثير منها يمرض ويحم. أخبرني بهذا دليلي من أهل جبل ورقان، قال: وهي غذاء جيد للإبل تسمن عليه، وتغزر ألبانها، وتزين ألوانها وأوبارها. وفي ديار بني كلب من جهينة يقولون للنّاقة السّمينة: ((قد أكلت العراد)) والعراد عندهم ثمر الخزم، فجعلوه كالمَثَل، سواء أكَلَتْ ذلك الثمر أو لم تأكله. وهو، في المقابل، سم قاتل للأغنام ولاسيما عند نضجه؛ تموت خلال أسبوع من حين أكلته، بعد أن تصفر عيونها ولحومها وعظامها، حتى دمها يصفرٌ، وهذه الأعراض تسمى في ديار بني كلب من جهينة (مرض الصُّفَار) . وتأكله أنواع كثيرة من الطيور تتجمع عليه أسراباً كالغربان والحَجَل والقَهْبي واليَحْمُوم (الضُّوْعي) . وأخبرني راع من أهل ورقان بأن أغنامهم قد ترعى في المحل ما انحت من الورق اليابس تحت الشجرة، ولا يضرها.

وكانوا يصرمون أوراق الخزم، ثم يضربونها بالهراوى على سطح صلب أملس حتى تصبح أليافاً مفككة، ثم يغملونها بأغصان الشجر أو التراب نحو



موت الخزم في جبل ورقان >

أسبوعين في حفر يعدونها لذلك، حتى تهترئ وتلين، ثم تُستخرج، فتغسل في القلوت، فتخرج أليافًا ناصعة البياض، فيفتلونها، ويتخذون منها أجود أنواع الأرشية والحبال بعد السلّب. وأخبرني رجل من غامد الزناد وآخر شدوي من قرية العرباء أنهم كانوا يضربونها بعد الصرام بالهراوى، ويتركونها في الشمس حتى تجف، ثم يزيلون بأيديهم الأوشاب العالقة بالألياف، ثم يفتلون منها الحبال، التي تظهر بلون أصفر مخضر، إذ تصطبغ أليافها بخضرة الورق في أثناء عملية الضرب . وبالرغم من سهولة هذه الطريقة وسرعتها، إلا أن حبال الطريقة الأولى أقوى وأبقى وأنعم .وهناك طريقة ثالثة ذكرها رجل من بني كلب من جهينة، فذكر أنهم كانوا ينقعون أوراق الخزم في الماء نحو عشرين يوما، حتى تهترى وتلين، ثم يستخرجونها ويغسلونها في ماء آخر، فتظهر أليافها ناصعة البياض، ثم يفتلونها ويتخذون منها الحبال.



موت الخزم في جبال الكويرة وبواط . وفي الإطار الأيسر اليرقة التي يعتقد أنها سبب ذلك الموت. مصورة من أعلى وادي قَصَب من جبل رضوى



الخزم في جبال السَّراة . خزمة صغيرة في شق جرف شديد الانحدار من جبل شدا الأعلى

قال: وهو عمل لا يقوم به، عادة، إلا النساء؛ إذ يعد الرجال فعل ذلك معيبًا لهم .

وجذع الخزمة خفيف، سهل القطع والنحت، تُتخذ منه الخلايا، وأخبرني دليلي من أهل ورقان أنهم يتخذون منه أجود الخلايا، ويسمونها (القرْف) وكذلك المقاعد والمتاكي، وما زالوا يستعملونها إلى اليوم، ورأيتها في منزله. ورأيت بعض أهل قُدْس يقطعون الخزم الأخضر، ويتخذون من جذوعه، بعد تجويفها، خلايا النحل، ويعتقدون، كذلك، أن خير الخلايا ما كان منحوتًا من جذوع الخزم. وقد اتخذ بعضهم قطع أشجاره لصنع الخلايا مهنة وتجارة؛ وحدّثني أحدهم أنه باع من هذه الخلايا بأكثر من ثلاثين ألف ريال. الأمر الذي يعرض شجرته النادرة للفناء التام من ذلك الجبل .

ورأيت على جذع الخزمة صمغًا أحمر يميل إلى السواد، فأخبرني غير واحد من أهل ورقان أنهم يسمونه (مَصْطكى الخزم) وأنهم يذيبونه في الماء فيظهر بلون أحمر قاتم، فيلحمون به الأقداح وأكواب القهوة المصنوعة من الطين. وقد يتخذه الأطفال علكًا للمضغ. وهو شبيه بالعصارة التي ينتجها خزم جزيرة سقطرى، وهي التي تسمى دم الأخوين، كما سيأتي بعد قليل .

وقد اشتهرت جبال الحجاز الواقعة غرب المدينة المنورة، وكذلك شمالها وجنوبها الغربي، منذ القدم بإنبات الخَزَم . ورأيت منه اليوم أشتاتًا متفرقات هنا وهناك، رأيته في جبال آره وقُدْس ورضوى وورقان والبيضاء . وفي جبل رضوى رأيته بأعداد طيبة بأعلى وادي قَصَب المفضية سيوله إلى تلعة نَزَّى. وأهل هذا الوادي يحمونه مع الشَّوْحَط والقَفَل منذ زمن بعيد؛ لأنه من أكثر أشجار ذلك الجبل عرضة للقطع الجائر . وأم أكبر انتشار للخزم في جبال الحجاز فرأيته على سفوح جبل ورقان غوره وجِلْسِه، رأيته بأحجام كبيرة ومعمرة. وأعتقد أن عصورا قديمة مطيرة يختلف مناخها عن مناخ عصرنا هذا قد أنبتت ذلك الشجر حتى وصل إلى تلك الأحجام الكبيرة والمعمرة. وهو اليوم في تناقص مستمر؛ بسبب القطع والجفاف والهرم، ولا ترى ما يعوضه إلا ما ندر . وقد أخبرني غير واحد من أهل جبل ورقان، ومنهم الطاعن في السِّن، أخبروا بأنه كان في الماضي القريب ينبت في أجمات كثيفة تجنٌ الجمال، وكذلك الأغنام، وربما افترسها الذئب، وهم لا يشعرون . وأخبرني أحدهم من أهل شفا رِيْم أنهم كانوا يقطعون أقناء ثمره؛ لإطعام الإبل، وهم يتنقلون على الأغصان من شجرة إلى أخرى دون أن ينزلوا إلى الأرض؛ وذلك لكثافته وتقارب منابته. قالوا: وهو، برغم ذلك، بطيء النمو جدًا، فبعض صغاره التي أروني لم تطل أبدا مذ عرفوها من نحو سبعين سنة مضت . ولا يخفى أن هذا القول، وهو إشارتهم إلى بطء نموه الشديد؛ دليل على أن شجرة الخزم الكبيرة تحتاج حتى يكتمل نموها إلى مئات السنين وربما فوق ذلك بكثير. وكم هي الخسارة أن تنمو شجرة عبر أحقاب من ذلك الزمن الطويل، حتى إذا اكتمل نموها اجتثت من أصولها في دقائق معدودة! وهذا، بلا شك، خطر ماحق يتهددها بالفناء السريع، ما لم يتوجه لها عناية خاصة جدًا؛ تتمثل في المبادرة إلى حمايتها في منابتها الطبيعية، وتشجيع أولئك الذين سبقوا إلى حمايتها . وتنمية الوعي والمعرفة لدى عامة الناس الذين تنبت في جبالهم بأهمية رعايتها والحفاظ عليها، وبيان مدى الخسارة التي سوف تلحق بهم وبالبيئة من حولهم، فيما لو انقرضت هذه الشجرة المهمة من أرضهم .



الخزم بأعلى قمة في جبل فيفا





ومن جبال الحجاز التي زال منها الخزم تمامًا جبال الفقرة (الأشعر) وقديمًا كانت الحبال تُفتل لزمزم من خزم هذه الجبال(١٠). وانقرض، كذلك، من جبال بواط والكويرة والأجرد من ديار بني كلب من جهينة، إلا النزر اليسير الذي لا يذكر بجانب ما كان ينبت فيها من تلك الشجرة. وقد أخبرني غير واحد من أهل تلك الجبال أن الرجل ذا الهمة كان يقطع المسافة بين جبلي الصميمة والأجرد، وهو يسير في ظله النهار كله لا يضحيه للشمس إلا فيما ندر. وربما استظل تحت الخزمة الواحدة نحو مائتي رأس من الغنم. وتواترت أقوالهم على أنه انقرض من جبالهم تلك، بعد أن حلّ به مرض غريب غامض أنتنت منه سفوح الجبال، ظهر ذلك المرض فجأة عام ١٣٩٥هـ، ولم يكن ذلك بسبب الجفاف فقد سبق المرض نحو ثلاث سنوات من الخصب والرواء. قالوا: وقد أزهر في تلك السنة إزهارا كثيفًا لم يسبق له مثيل، الأمر الذي لفت أنظار الناس وأثار دهشتهم، ثم أينعت ثماره وحلت حلاوة شديدة، وكانت تتساقط على الأرض بكثافة عالية، حتى نفق آنذاك معظم المواشي من أكل ما تساقط منه. وما إن أوشك موسم الثمر على الانتهاء حتى كانت الكارثة، فقد أخذ ينبعث من تلك الأشجار، قبل أن تموت ثم تهوي إلى الأرض، رائحة منتنة تشتم من مكان بعيد، ويسيل من أغصانها سائل زيتي أسود اللون. وأخبر أحدهم أنه كان يرى على سيقان الخزم وتحت جذوعه في أثناء مرضه وبعد سقوطه ما لا يحصى من يرقات حشرة غريبة. قلت: لعلها يرقة سوسة النخل الحمراء، انتقل عدواها إلى الخزم؛ إذ الأعراض متشابهة. وقد رأيت بقاياه الميتة ما زالت على سفوح تلك الجبال خاوية بأعداد كبيرة مذهلة؛ تشهد على تلك الكارثة المحزنة. هذا ما قلته مدة من الزمن. ثم كانت رحلتي الأخيرة إلى جبل رضوى، في يوم الخميس، الموافق للخامس عشر من شهر ربيع الأول من عام ١٤٢٧هـ، وهنالك شاهدت بأعلى وادي قَصَب من ذلك الجبل يرقة في جذع خزمة خاوية. فقال دليلي ومن معه من أهل ذلك الوادي: هي لحشرة كالجُعَل تثقب لحاء الخزمة، وتضع بيوضها داخل جُمَّاره، فإذا فقس خرج يرقات كبيرة الحجم، كثيرة العدد، تتغذى على ذلك الجُمَّار، وقل أن تعيش الخزمة بعد ذلك. قلت: ويظهر أن هذه الحشرة هي الحشرة نفسها التي أودت بخزم بواط والكويرة، ولكنها هنا نادرة قليلة، لم تصل إلى درجة الوباء، ولكنها نذير خطر.





الخزم في جبال السَّراة (شعب أم الخزم ، بأعلى وادي الجنش)



وأما جبال السَّراة فلم يكن خزمها بأحسن حالا منه في جبال الحجاز . فقد انقرض من معظم منابته في تلك الجبال، ومنها جبل قَمْلى المذكور في رواية أبي حنيفة عن السرَوي، وقد زرت ذلك الجبل، فلم أشاهد عليه شيئا من الخزم . إلا أن هنالك بقايا رأيتها في مواضع قليلة معدودة من تلك الجبال ، فرأيت في جبل شدا الأعلى أعدادا قليلة متناثرة حول قمته وتحت قرية الكَبسَة، ونحو عشر خزمات في شعب أم الخزم بأعلى وادي الجُنُش إلى الغرب من عقبة الأبناء، وخزمة أخرى صغيرة فريدة رأيتها في عقبة قرية حزنة، في العِرْق المعروف بالرَّضْم، وسألت عنها أهل تلك القرية فلم يعرفوها؛ لندرتها . ورأيت منه أعدادا قليلة في سفوح عقبة الجَوّة المفضية إلى الفَرْشَة من تهامة قحطان، وذلك على ارتفاع ١٤٠٠ – ١٨٠٠ م . وكذلك رأيته في جبال القَهْر والرَّيْث والحَشْر وفيفا وآل حَبْس من ديار خولان شرق منطقة جازان، وفي جبل آل حَبْس رأيته بأعداد طيبة لم أحصها نابتا وسط مستعمرة من شجيرات الكراث. وإلى الجنوب الشرقي من هذه. الجبال رأيته بأعداد لا بأس بها في



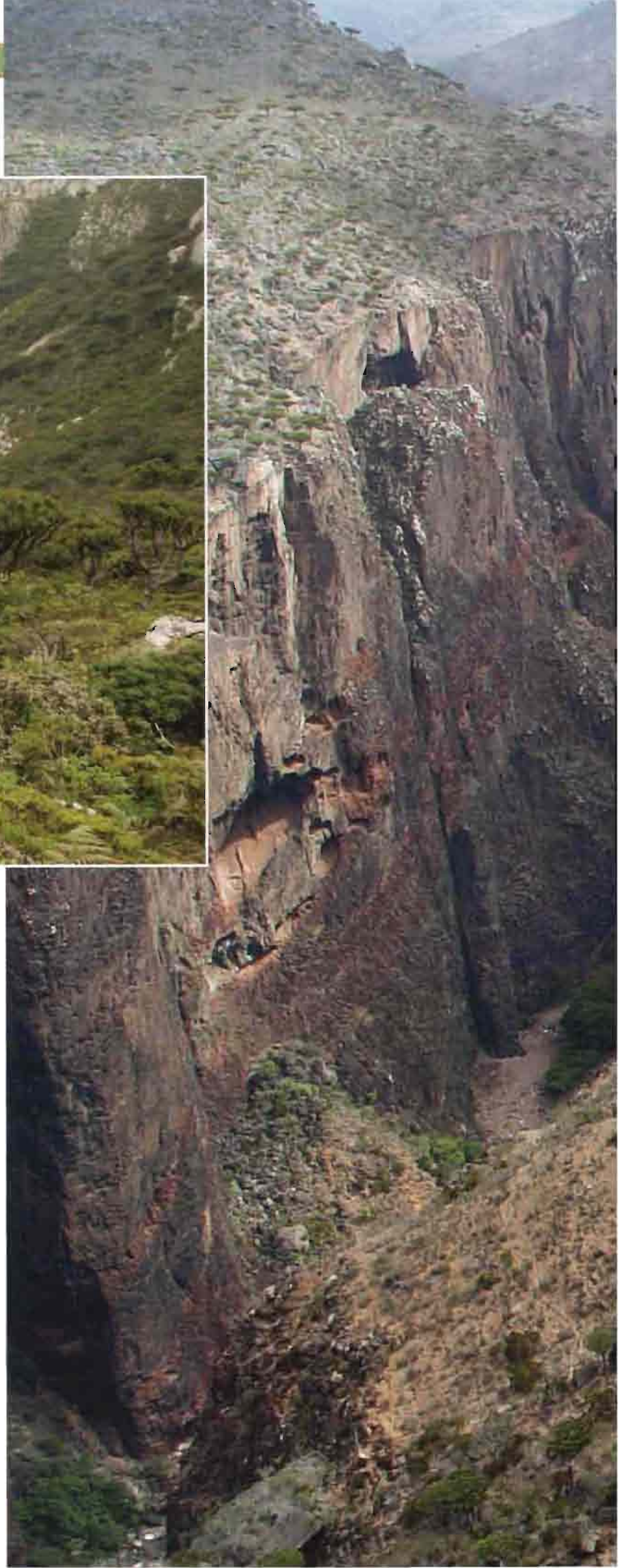
● الخَزَم في جزيرة سقطرى (أعْرَهِيْب) _ *D. cinnabari*



سفوح رسوبية (رملية) قرب منفذ عَلْب على الحدود السعودية اليمنية. وفي زيارة المستشرق عبد الله فيلبي لهذه المنطقة ذكر أنه رأى الخَزَم بوفرة في سلسلة جبال وعوع والأتم وضراوية، وذكر أنه من أشجار اللبان(١١) ، وهو خطأ بَيِنٌ، كخطئه السابق حين ذكر أن الجرازة (العَدَنة) من أشجار البخور . وقد أخبرني دليلي من أهل جبال العبادل أنه كان ينبت إلى عهد غير بعيد بأعداد طيبة على جبل القَفْرة أحد أكبر تلك الجبال، ثم انقرض منه إلا القليل جدا . ورأيته كذلك حول قمة جبل حضوضى في تهامة بالقرن، وأهل هذا الجبل يطلقون عليه خَزَم قُلَّة حضوضى، أي قمة حضوضى، وهو استعمال فصيح . وأخيرا رأيت منه أعدادا طيبة لم أحصها في سفوح جبل ضُوَرَة من ديار العوامر في تهامة خثعم . وجميع ذلك كان أصغر حجمًا وأقل تفرعًا من الخزم النابت في جبال الحجاز؛ إذ لا يزيد ارتفاعه، في الغالب، على مترين، ولا تفرعه على ثلاثة أو خمسة أفرع على الأكثر، عدا الذي رأيت في عقبة الجَوّ فإنه يشبه في حجمه وطريقة تفرعه خزم جبال الحجاز . كما أن أوراق صغار الخزم في السَّراة تنمو قائمة وأخرى مائلة نحو الأرض، بخلاف أوراق صغار الخزم الحجازي، فإنها تنمو جميعا بطريقة



Dracaena ombet (*D. serrulata*) الخزم





رأسية مستقيمة، كما أنها أقل انطواء على نفسها، وأكثر صلابة من النوع السَّروي .

هذا وإن من أخطر ما يتهدد شجرة الخزم ويعجل بزوالها من جبال السَّراة، وبعض جبال الحجاز الجنوبية، فضلا عن الجفاف وغيره من المخاطر، هو القرود؛ فإنها من أخطر ما يهدد حياة هذه الشجرة وبقاءها؛ فهي تلجأ عند انعدام القوت في سنوات القحط وقلة الخصب إلى قشر اللحاء، وأكل الجُمَّار الذي في جوف الساق، فتضعف الشجرة شيئا فشيئا حتى تموت. وقد زاد الخطر بزيادة أعداد القرود في هذه الجبال وانتشارها على نحو أكبر من ذي قبل؛ وذلك بعد انقراض كثير من الضواري المفترسة التي كانت تكبح تكاثرها، ولاسيما عدوها اللدود النمر العربي، الأمر الذي يوجب الحد من تكاثر هذه الحيوانات بطرق علمية مدروسة، فقد أفسدت الكثير من نظم البيئة .

والخَزَم هو الاسم الشائع لهذه الشجرة في كثير من جبال السَّراة والحجاز. وفي جبال عسير وجازان واليمن يسمونها (العَرَاب) باسم ثمرها . وفي الأجرد والكويرة من ديار جهينة يسمون الثمر نفسه (العَرَاد) بقلب الباء دالاً، كما سبق . وأهل جبل رضوى خاصة يسمونه (العَرَام) بقلب الباء ميما، وهما حرفان يتعاقبان كثيرا في العربية . واخبرني رجل خثعمي من أهل جبل أثرب أنهم يسمونها الخَزَم، ويطلقون العَرَاب على السَّلَب . وفي جبال ظفار يسمونها (عَرِيْب) والجمع (عَيْرُوب) وتنمو في تلك الجبال بإحجام متقزمة .







ومن الخَزَم نوع آخر رأيته في جزيرة سقطرى (*D. cinnabari*) وهو شبيه في حجمه وطوله وطريقة تفرعه بالخَزَم النابت في جبال الحجاز، رأيته بأعداد كبيرة جداً فوق مرتفعات دِقْسم ومُوْمي وحِجْهِر من تلك الجزيرة، وأشجاره هنا ضخمة ومعمرة جدًا، وربما زاد محيط جذعها على أكثر من ثلاثة أمتار، وهي تتفرع بكثافة على هيئة مظلة، لا خصاص في ظلها، فربما استظل تحت الشجرة الواحدة نحو ثلاثين بقرة أو أكثر. وما نبت منه في صدوع الجروف الشديدة الانحدار، فالغالب أنه، كالنوع الأول، لا يتفرع، بل يعلو في السماء طويلا، وتخرج أوراقه على قمة الساق مجتمعة، كما تخرج على قمة الفرع الواحد . وأهل هذه الجزيرة يسمونه بلغتهم المهرية (أعْرِيب) أو (أعْرَهِيْب)، بتحريف يسير عن اسمه أو اسم ثمره في العربية. ويسمونه كذلك (دم الأخوين) وهذا اسم قديم، يطلق في الأصل على العصارة التي تنتجها هذه الشجرة، وهي عصارة حمراء تشبه لون الدم، قبل أن تجف؛ ولذلك سميت دم الأخوين. تخرج من تلقاء نفسها على الجذوع أو الفروع، في حجم أنملة الإبهام أو نحوها، وربما ظهرت في تجاويف صغيرة تُعمل في جذع الشجرة أو أحد فروعها . والتي تخرج من تلقاء





الخزم (أَغْرَمِيْب) يسمو عاليًا، ولا يتفرع، إن نبت في الصدوع الصخرية الشديدة الانحدار

Dracaena ombet (D. serrulata) الخَزَم



نفسها أجود عندهم من تلك التي تخرج بفعل يد الإنسان . وسمعت آخرين يسمون تلك العصارة (إمْصُلُه) بصاد مرققة تشبه السين، ولام مفخمة .

وفي الجدب يعلفون أوراق هذه الشجرة وثمارها للأبقار، وأما الأغنام والجمال فحالها معه كحالها مع الخزم وثمره في جبال الحجاز، كما تقدم .

وتشتهر جزيرة سقطرى منذ القدم بإنتاج عصارة دم الأخوين وتصديرها، وكانت من أهم مصادر الدخل لسكان هذه الجزيرة، وما زالوا يصدرونها إلى الهند وبعض الدول المجاورة ولكن بكميات قليلة. ويستعملونها لعلاج كثير من أمراضهم، فتستعمل لعلاج آلام البطن الحادة، كالقرحة ونحوها، والتهاب العين بعد خلطه بالكحل، وإيقاف نزيف المرأة، والجروح عامة، وكذلك تستعمل صبغة حمراء لتلوين الأثاث والأسقف وتزيين الحوائط وواجهات المنازل، وتستعمل أيضاً، بعد غليها، لطلاء الأواني الفخارية، فتكسبها لمعة شفافة جميلة .

والأيْدَع من أسماء تلك العصارة، قال أبو حنيفة : ((أخبرني أعرابي قال : الأيدع صمغ أحمر يؤتى به من سقطرى، جزيرة الصبر السقطريّ، تدواى به الجراحات ... وقال آخرون : بل شجر أحمر يُصبغ به، وهو عند الرواة دم الأخوين)) (١٢) . وفي رسم سقطرى ذكر ياقوت الأيدع في تفسير دم الأخوين، وذكر أن أهلها يسمونه أيضًا القاطر؛ لأنها تقطر تلك العصارة الحمراء (١٣) . وذكر غيره من أسمائها أيضاً : العَنْدَم، والشَيَّان(١٤). وذكر عرام السُلَمِيُّ الأيدع وأنه من نبات جبال الحجاز، وأن شجرته تشبه الدُلْبْ، ولها وردة حمراء ليست بطيبة الريح، وليس لها ثمر، وذكر نهي رسول الله، صلى الله عليه وسلم، عن كسر شيء من أغصانها(١٥). ولم أجد من أهل جبال الحجاز أحدا يعرف دلالة الأيْدَع، سواء فسرته بقول أبي حنيفة أم بقول عرام السُلمي .





(١) أعبل : أكثف أوراقًا .

(٢) ما زال قَمْلى معروفاً إلى اليوم، وينطق بفتح القاف وسكون الميم، وهو جبل شامخ يقع في بُهَر من ديار الحِلّة من بادية غامد، وهو في منتصف الطريق بين الباحة والعقيق؛ على يمين الهابط من الباحة. وأما تُقُمَل فلم أعرفه، ولم يعرفه أحد ممن سألت .

(٣) الخوص، أوراقه، والعسب، ماتنبت عليه تلك الأوراق . (٤) هي أخشاب أفقية مسطحة .

(٥) النَّبات ٥ / ١٤٣، ١٤٤ . (٦) النَّبات ٣ / ٢٨٧_ ٢٨٨ .

(٧) أي قدس الأبيض، ويقع إلى الشمال من قدس الأسود (إدقس) . ويقطع بينه وبين ورقان عقبة ركوبة، وهي العقبة التي سلكها الرسول، صلى الله عليه وسلم، في هجرته إلى المدينة المنورة. وهو اليوم من ديار التراجمة من حرب، ويسمونه الجبل الأحمر . والعرج واد فحل غرب هذا الجبل، معظم روافده تنحدر من جبل ثافل الأكبر (جبل صُبح) وسكانه بنو صُبح من حرب .

(٨) النَّبات ٣ / ٢٥٠، ٣ / ٧٥، ٢٤٩ .

(٩) التكملة (عرب) ١ / ٢٠٧ . وينظر: ديوان أمية بن أبي الصلت ٢٨٨، والنابغة الجعدي ١٥٦، واللزوميات٣٩٦، وشرح أشعار الهذليين٢ / ٧٦٤، ٣ / ١١٣٢، وأسماء جبال تهامة٤٠٢، ٤١١، والنَّبات للأصمعي ٣٧، والاشتقاق ٥٦٣، والمنتخب ٢ / ٤٦٣. وصفة جزيرة العرب ٢٤٧، وكفاية المتحفظ ١٩٨، والتعليقات والنوادر٣ / ١١٨٩، والمخصص ٨ / ١٨٠، ١١ / ١٤١، ١٤٤، والعمدة ١ / ٢٠٩، ومعجم البلدان١ / ٧٩، ٥ / ٣٧٢، والمغانم المطابة ٢ / ٥٨٥، ٣ / ١١٤٦، والعين ٤ / ٢٣١ والصحاح ٥ / ١٩١١، وشمس العلوم ٣ / ١٧٨٣، واللسان ٤ / ٨٥، والقاموس ١٤٢٣، والتاج ٨ / ٢٧٤ (خزم) .

(١٠) ينظر: التعليقات والنوادر ٣ / ١٣١٩، ومعجم ما استعجم ١ / ١٧٥ .

(١١) مرتفعات الجزيرة العربية ٢ / ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٨٠.

(١٢) النَّبات ٥ / ٣٩، ٥ / ١٧٠ . (١٣) معجم البلدان ٣ / ٢٢٧ . (١٤) ينظر: أدب الكاتب ٩٩، والمنتخب ٢ / ٤٦٥، ومبادئ اللغة ١٨٧ .

(١٥) أسماء جبال تهامة ٤٠٠ . وينظر : معجم البلدان ١ / ٧١ .



الخزم على قمم جبال حِجْهِر (الحجارة) في جزيرة سقطرى





الخِطْر

قال أبو حنيفة: ((يُشبُّ الحنَّاء بالخِطْر فيُسَوِّد. أخبرني بعض الأعراب أنه شبيه بالكَتَم، قال: وكثيرا ما ينبت معه. وأخبرني غيره أن نبات الخِطْر نبات الحَبَق كأنه هو)) (١) . وقال في موضع آخر: ((الخِطْر نبات يختضب به الشيوخ مع الحِنَّاء فيقنّئه، وأخبرني أعرابي من أهل السَّراة قال: هو شبيه بالكَتَم إلا أن منابته أسهل من منابت الكَتَم، وكثيرا ما ينبت مع الكَتَم، والكَتَم نبات أخضر، له ورق كورق الآس، أو أصغر)) (٢) .

وقال نشوان الحميري : ((الخِطْر : ضرب من النَّبات يُختضب به، له زهر أحمر كثير الورق والأغصان)) (٣) .

وذهب كثير من العلماء إلى أن الخِطْر والوَسْمَة والعِظْلِم والنِّيْل شيء واحد، فقال أبو حنيفة : ((قال البكريّ : الخِطْر والوَسْمة شيء واحد)) (٤) .

وقال الربعيّ : ((العِظْلِم والخطر: شجر النِّيْل، والوَسْمة: شجر النِّيْل أيضا)) (٥).

وكذلك قال صاحب الرَّوْحَة، ونقل عن الأمويّ قوله : ((العِظْلِم شجر النَّيْلَج بأرض السِّنْد . وقال بعضهم : هي التَّنُّومة)) (٦).

وقال أبو حنيفة عن العِظْلِم: ((أخبرني أعرابي من أهل السَّرَاة، قال : العِظْلِمة شجرة ترتفع على ساق نحو الذراع، ولها فروع في أطرافها كَنَوْر الكزبرة، وهي شجرة غبراء، وليل عِظْلِم : مظلم على التَّشبيه ...)) (٧) . وقال : ((ومما تجمد عصارته العِظْلِم، والعِظْلِم شجيرة من الرِّبَّة تنبت أخيراً، وتدوم خضرتها، وعصارتها إذا جمدت فجفَّت فهو الذي يسمى النِّيْلَنْج ... وأخبرني بعض الأعراب أن العِظْلِم هو الوَسْمَة، وقد قيل هو الوَسْمَة الذكر)) (٨) . وقال : ((وقد يخلط الوَسْمَة أيضا بالحناء فيكون له شباباً ومسوّدا، والوسمة: العِظْلِم . أخبرني بذلك غير واحد من أهل المعرفة، فيجفف ويطبخ ويشبَّب به الحناء، وربما اختضب بالوسمة وحدها بعد الحنَّاء . والعظلم شجرة، النِّيْلَنْج من عصيرها يُتخذ . قال ابن هَرْمَة :

ولقد رأيتُ بلحيتي مُسْتَحْدَثًا   شَيْبًا أقاتلُ لونَهُ بالعِظْلِم

قال أبو مسْحَل: أهل الحجاز يثقّلون الوَسْمَة، فيقولون الوَسِمَة يكسرون السين، ولا أحسب العِظْلِم سُمّي وسمة إلا من الوسامة؛ لأنه يستر قبوح الشَّيب، ويُشبِّه الشَّيخ بالشَّاب)) (٩) .

الخِطْر

Indigofera articulata

الفصيلة السُّنْفيَّة - LEGUMINOSAE







قلت: الأقوال المتقدمة جميعها تدل على أن الخِطْر والعِظْلِم والوَسْمَة والنِّيْلة كلها شيء واحد، وإنما تعددت أسماؤه من قبيل تعدد اللغات أو اللهجات. وهو من نبات أغوار السَّراة، الذي كانوا يستعملونه في الخضاب وصبغ الثياب ونحو ذلك. ولقد سألت عنه بلفظ الخِطْر والعِظْلِم في نواحٍ مختلفة من جبال السَّراة فلم يعرفه أحد بهذين الاسمين، فذكرت استعمالهما في الخضاب والصبغ، فأروني في ديار بني عمر شجيرة يسمونها الشَّبَّة، وهي ترتفع نحو ٣٠ – ٦٠سم. أوراقها ريشية مركبة، لونها أغبر يميل إلى الزرقة، وأزهارها صغيرة حمراء، تظهر مع أصول الأوراق، وثمارها سُنْفية مخصرة ومقوسة، عرضها نحو ٣مم، وطولها ٢سم تقريباً. منابتها ضفاف الأودية وجوانب الطرق، على ارتفاع ٧٠٠ – ١٥٠٠م. فلعلهم سموها الشَّبَّة لأنها شباب للحناء، أو لأنها، كما علل أبو حنيفة، تُشبِّه الشيخ بالشاب. وسمعت بعض بني عمر يسميها أيضاً (حِنَّا السَّاعة)؛ قال: لأنه يُصبغ بها بعد طحنها وعجنها، على الفور. وسمعت رجلاً من تهامة بالقرن يسميها (النِّيْلة) قال: ونصبغ بها الثياب البيضاء التي يلبسها النساء خاصة.

وفي أعالي جبل فيفا رأيت نوعا شديد الشبه بالنوع المتقدم، وسألت عنه دليلي من أهل هذا الجبل فسماه الخَدِيْش (*I. caerulea*). قال: وإذا دقت وعجنت وأصبحت جاهزة للصبغ سميناها (النِّيْلة). قال غيره: ونستعملها أيضاً لتجفيف الدم وإيقاف النزيف، وقال آخر: ونصنع منها لبخة نضمد بها الظفر الملتهب المؤلم، أو المخلوع، فيقف الألم من فوره، وكذلك النزيف، ويبرأ موضعه عن قريب. ويتخذون من جذورها



● الخَدِيْش، النيلة _ *I. caerulea*

مساويك، فتعالج أمراض اللثة، وتدع الأسنان نظيفة ناصعة البياض. ونحو هذه الاستعمالات سمعتها من امرأة من جبال حجة اليمنية. قالت: ونسميها (الصَّبْغَة) وسمعت رجلا من جبال حَوَّاص غرب تعز يسميها (الخُضَّار) لعله أراد المسوِّدَة؛ لأن العرب تطلق الخضرة وتريد بها السَّواد . وفي جازان ونواح من جبال الحَيْمَة شرق الحديدة تسمى (حِوَر) وكذلك تسمى في جبال ظفار جنوب عمان، وآخرون يسمونها (حَوِيْر) بزيادة الياء، وقد رأيتها بأعداد كبيرة جدا في سهول صلالة، ويسميها أهل شمال عمان (النِّيْلة) ويزرعونها منذ أزمنة قديمة مصدرا للصبغ الأزرق المعروف . ويستعملها النساء في ظفار والشِّحْر ونواح أخرى من جبال حضرموت لتخضيب اليدين بدلا عن الحناء . وفي جبال بني حريص شرق منطقة جازان رأيت الرجال صغارا وكبارا يصبغون بها وجوههم وأيديهم؛ وفق عادات قديمة موروثة . وذكر عبد الله فيلبي في زيارته لمنطقة جازان سنة ١٩٣٦م أنه شاهد عند مروره بمدينة صبيا وما جاورها مزارع واسعة لنبات الحِوَر . وذكر أنه مصدر صبغة النيلة المشهورة، التي أخذت تحتضر على عصره، بعد ظهور النيلة الصناعية التي أدت إلى تثبيط زراعة النيلة على نطاق تجاري(١٠) .

وفي تهامة عسير أروني، بعد السؤال، نبتة صغيرة من هذا الجنس



● الوَسمة _ *I. tinctoria*





يسمونها الوَسْمَة (*I. tinctoria*) ترتفع نحو ٤٠سم، وهي كثيفة الأوراق والأغصان، أزهارها حمراء كالنوع الأول . وأما أوراقها فريشية مركبة، أقل عرضا من أوراقه وأكثر استطالة منها، لونها أخضر فاتح يعلوه غبرة يسيرة، وثمارها قرون أُسطوانية بعرض ١,٥مم، وطول ٤سم، مستقيمة غير مخصرة، تظهر خضراء، ثم تؤول عند النضج إلى اللون البُني الفاتح. وقد رأيتها في رُجال ألمع نابتة بوفرة على جوانب الطرق، على ارتفاع ٩٠٠ – ١٣٠٠م . ورأيتها في جزيرة سقطرى بأعداد أكبر ، وسمعت أهل هذه الجزيرة يسمونها (طَيْفَر) .

وهم يقطفون أوراق الوسمة أو الشَّبَّة، ويتركونها حتى تجف، ثم تُطحن فتُعجن من أول الليل بالحقينة (اللبن الرائب) أو بالماء المالح، وتترك حتى الصباح، ثم يخضبون بها اليدين بعد خلطها بالحناء أو بدونه، وكذلك يستعملونها في تخضيب شعر اللحية والرأس. وفي كثير من تهائم السَّراة كانوا يصدرون الوسمة أو الشَّبَّة إلى الأسواق ورقًا أو عجينة أو طحيناً. والذين يشتغلون بها هم (الخَدَّاشون) في تهامة عسير . وأصله من الخديش، اسم هذه النبتة في الجبال شرق منطقة جازان . وجرَّبتُ على طريقتهم كلا النوعين فوجدت لهما صبغاً ليس بالأسود الخالص، بل هو أزرق مظلم، وصبغ الشَّبَّة أكثر زرقة من الوسمة، وإذا خُلط بالحناء واختُضب به ضاعف سواده، كما جاء في روايات الأقدمين .

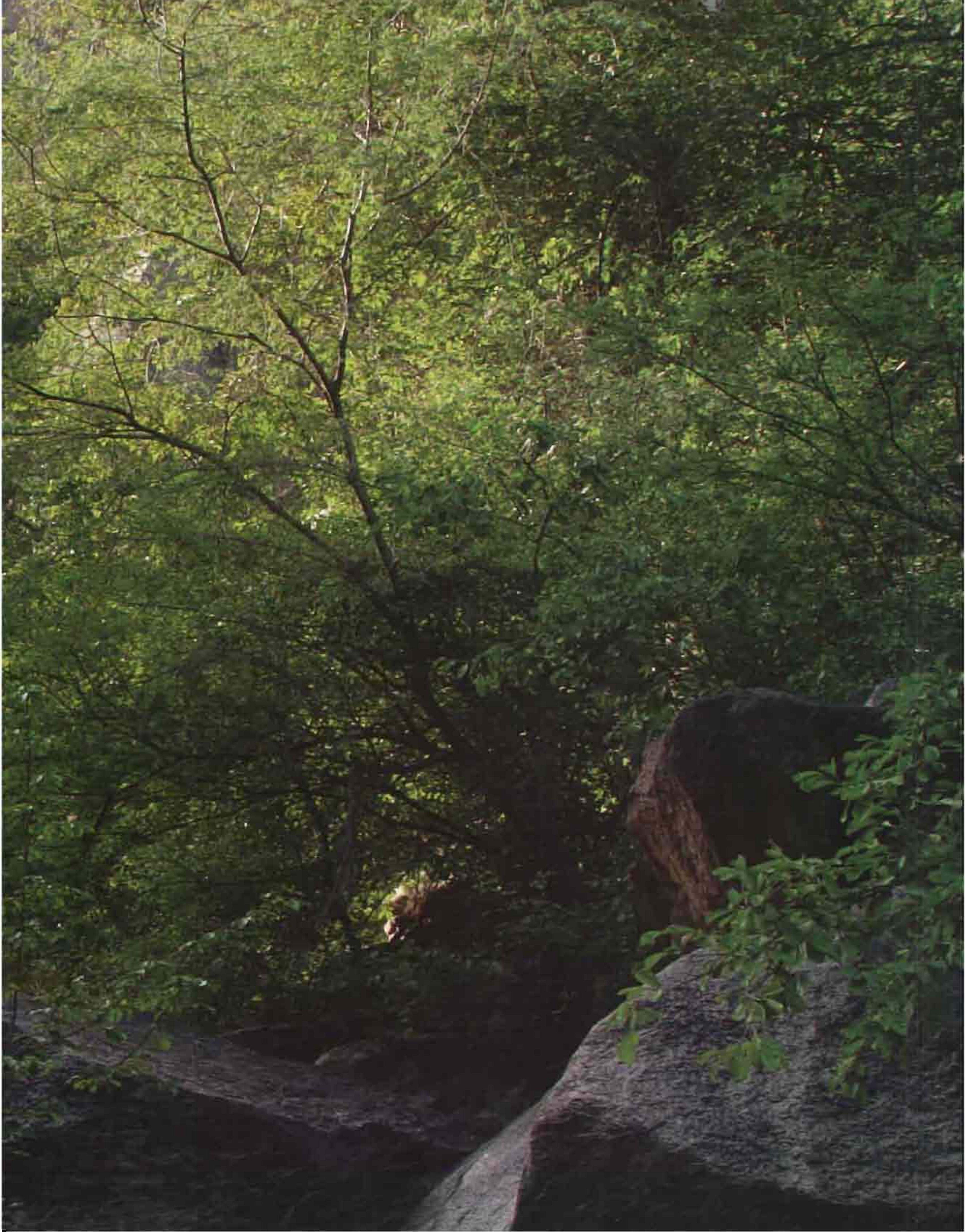
وبعد هذا، فليعلم أن الخطر أو العظلم لا يشبه بحال الكَتَم، سوى أن كلًا منهما يُستعمل مع الحناء للخضاب الأسود، ولعل من شبه الخطر بالكتم أراد هذا المعنى . وهما لا ينبتان معًا، كما جاء في رواية السَّروي، فمنابت الكتم الشواهق الباردة، ومنابت الخطر، كما تقدم، الأصدار أو الأغوار التهامية الدافئة . وهو كذلك بخلاف ما جاء في رواية الأمويّ، فليس هو التَّنُّوْم الذي ينتمي إلى الفصيلة الصابية (*Chrozophora oblongifolia*) وإن كان هذا مما يصبغ به أيضًا، كالخِطْر .

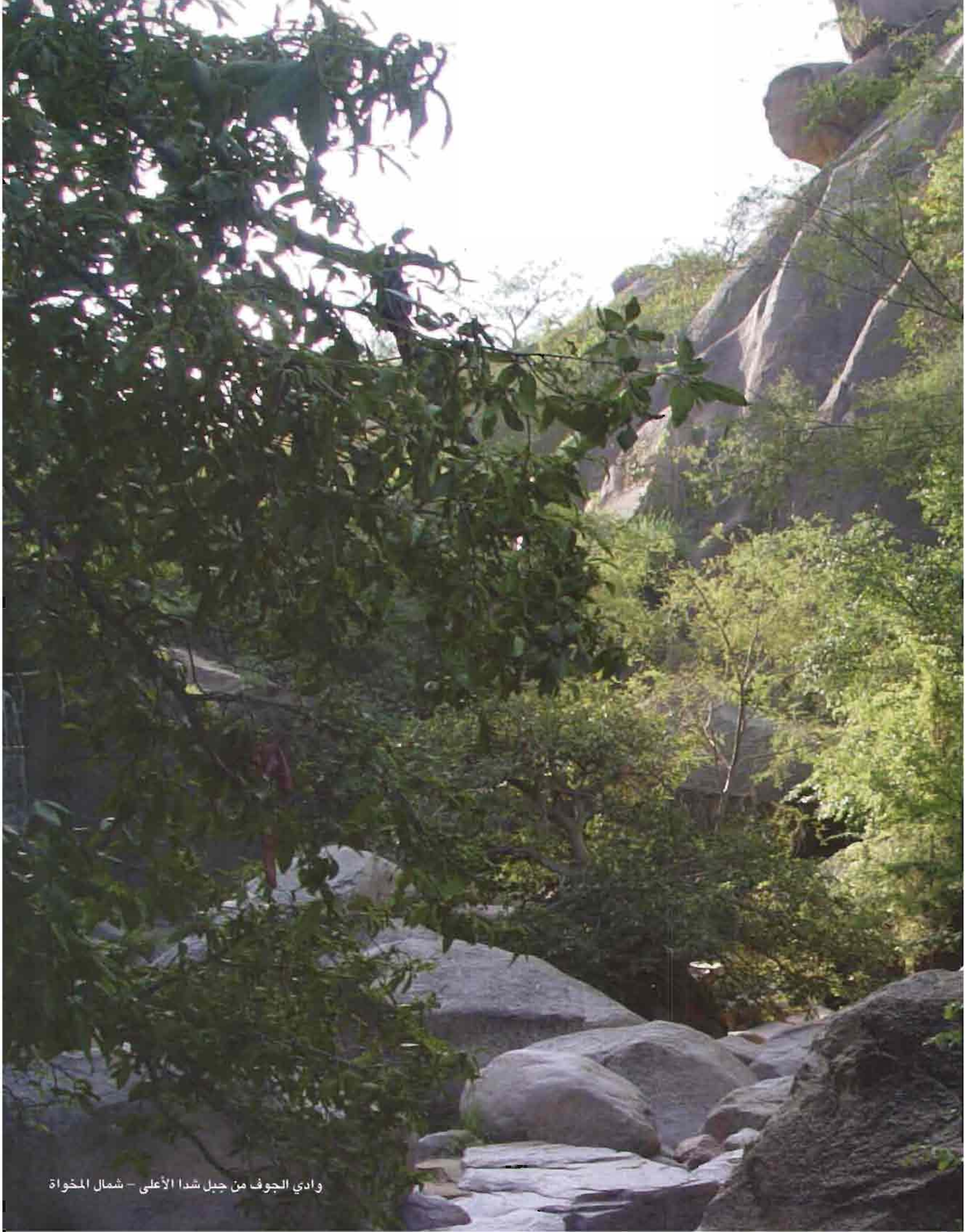
---

(١) النَّبات ٣ / ١٨٠ . (٢) النَّبات ٥ / ١٦٤، ٣ / ١٨٠ . (٣) شمس العلوم ٣ / ١٨٣٩ . (٤) النَّبات ٣ / ١٨٠، ٦ / ٣٣٧ . وينظر : مبادئ اللغة ١٨٧ .

(٥) نظام الغريب ٢١٠ . (٦) الروحة في الضاد والظاء ج١ (ق / ٤٤) . (٧) النَّبات ٦ / ١٤٣ . (٨) النَّبات ٣ / ٩٨ .

(٩) النَّبات ٣ / ١٧٩، ١٨٠ . وينظر: ديوان ابن الرومي ٣ / ١١٣٩، و النوادر لأبي مسحل ١ / ٢٤٢، والغريب المصنف ١ / ٤٣٣، وأدب الكاتب٩٩، والمنتخب ٢ / ٤٦٥، والتنبيهات ١٤١، والمخصص ١١ / ١٦٥،٢١٢، وجامع ابن البيطار١ / ٣٣٥، ٢ / ١٧٣، ٤٩٦، والطب النبوي ٤٤١، والعمدة ١ / ٢١٠، وشرح كفاية المتحفظ ٤٨٨، والعين ٣ / ٣٤٢، ٤ / ٢١٤، والجمهرة١ / ٥٨٨، وديوان الأدب١ / ١٨١، وتهذيب اللغة ٧ / ٢٢٣، والصحاح ٢ / ٦٤٨، ٥ / ١٩٨٨، وشمس العلوم ٧ / ٤٦١٧، والمغرب ٢ / ٣٥٥، واللسان ٤ / ١٣٤، ٥ / ١٨٣، ٩ / ٢٧٨، ١٢ / ٣١٣، والقاموس ٤٩٤، ١٤٧٠، والتاج ٣ / ١٨٣، ٨ / ٤٠٢ (خطر، عظلم) . (١٠) مرتفعات الجزيرة العربية ٢ / ٨٦٩ .





وادي الجوف من جبل شدا الأعلى - شمال المخواة

الخَلَص



قال أبو حنيفة : ((أخبرني أعرابيٌّ أن الخَلَص شجر ينبت نبات الكَرْم، يتعلق بالشَّجر فيعلو، وله ورق أغبر رقاق مدوّرة واسعة، وله ورد كورد المَرْو (١)، وأصوله مشرّبة، وهو طيب الريح، وله حب كحب عنب الثعلب، تجتمع الثلاث والأربع معًا، وهو أحمر كخرز العقيق، لا يُؤكل ولكنه يُرعى)) (٢) .

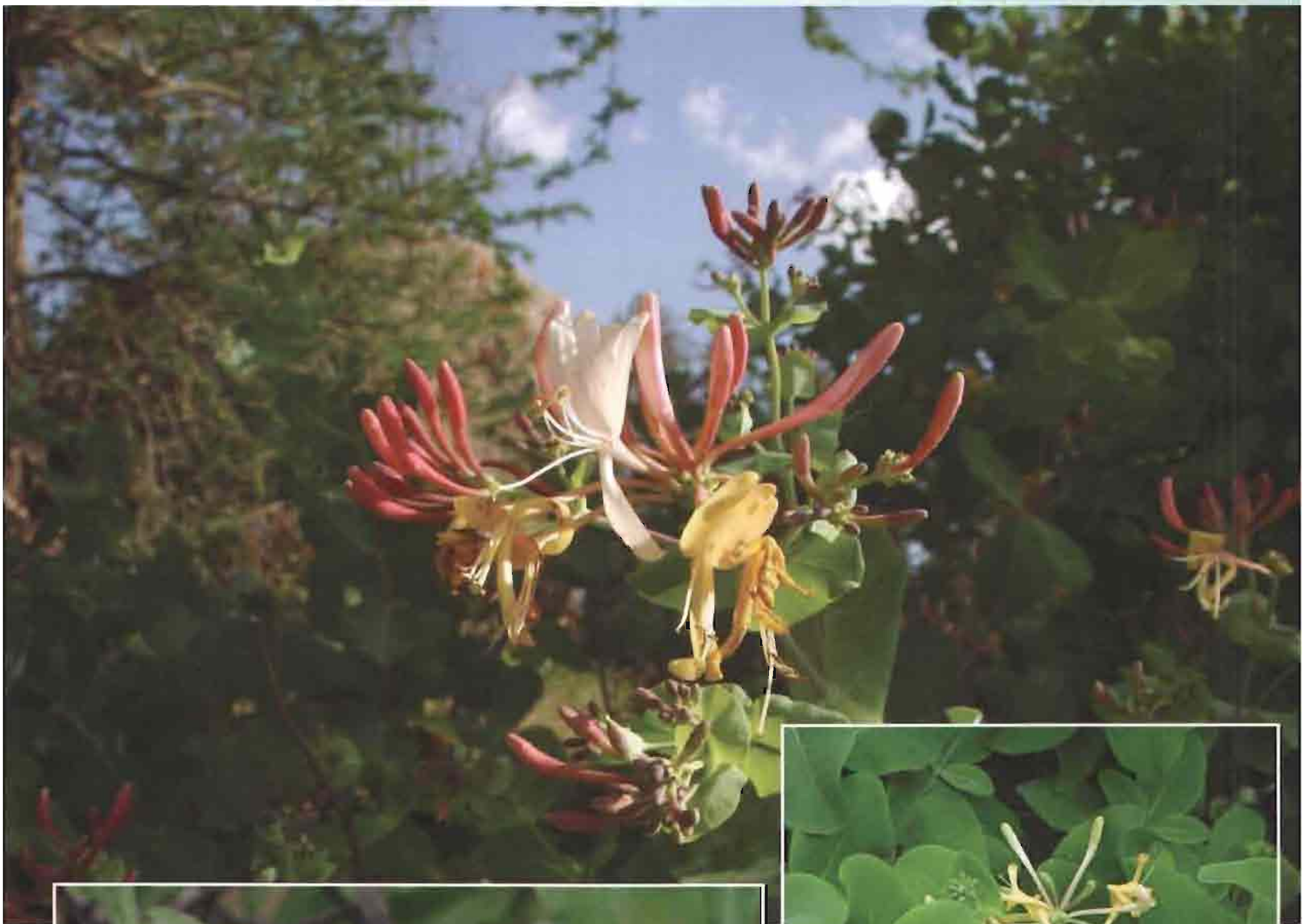
الخَلَص
Lonicera etrusca

CAPRIFOLIACEAE - فصيلة البلسانيَّات



قلت: الخَلَص ومفرده خَلَصَة، شجرة معمرة، من نوادر النَّبات في جبال السَّراة، تنبت في الأماكن الندية الهشة بين الأجمات، معترشة ما حولها من الأشجار أو الصخور، على علو ١٨٠٠ - ٢٥٠٠م .

تقوم الخَلَصَة على ساق خوّار بارتفاع ٢ – ٣ م، أوراقها شبه دائرية أو بيضاوية، خضراء يعلوها غبرة مع زرقة يسيرة، وظهرها شاحب أغبر إلى بياض، وربما رعتها الأغنام. تزهر في الربيع، وتخرج الأزهار في أزواج على رؤوس الأغصان من آباط الأوراق الصغيرة، بيضاء مشربة أصولها بحمرة، تتحول مع التقادم إلى اللون الأصفر، ولها تويج ثنائي، الأعلى مسنن الطرف، والأسفل صغير تام، ومن بينهما تبرز خيوط المآبر الطويلة، وتفوح ببَنَّة ذكيّة يعطر شذاها المكان من حولها، والنحل ينتابها كثيرا. وهي تأخذ بعض الشبه من أزهار المَرْو (*Salvia dominica*) وأما الثمار فتظهر خضراء، وعند تمام النضج تصير حمراء قانئة في حجم الحمصة الصغيرة، تشبه ثمر الثِّلثان (عنب الثعلب) كما رواه أبو حنيفة، وربما أفرزت سائلاً لزجًا كالسَّمْن، يَسيل على الساق والأوراق، ولا يأكلها الناس .

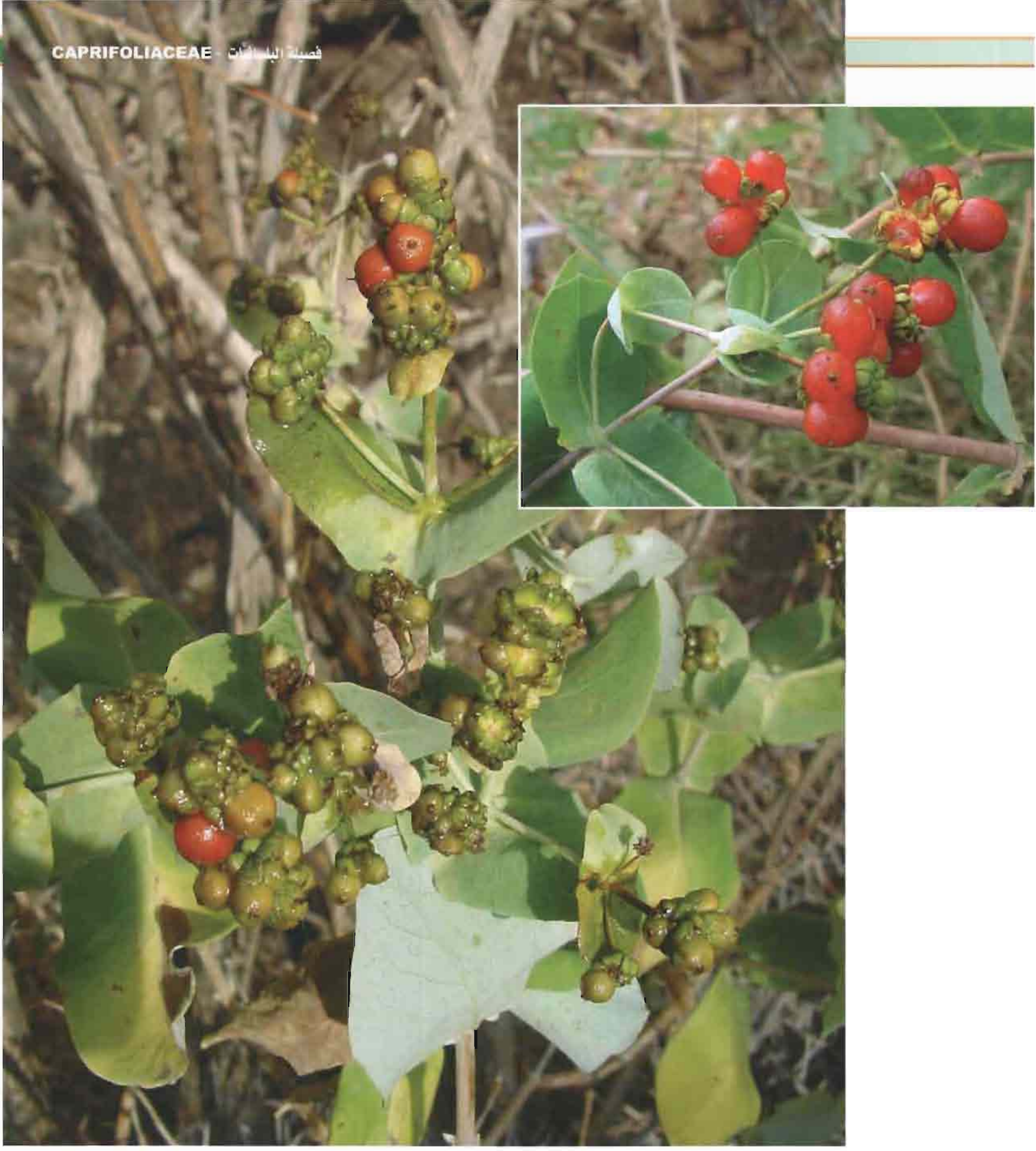






وفي حزنة من سراة بني عمر كانوا يتخذون من أعوادها الصغيرة المسابح، يؤخذ عود مستقيم فيقطع أجزاء صغيرة بحجم خرز المسبحة المعتاد وعدده، ثم تُنظم في خيط، وتستعمل في التّسبيح .

وذكر ياقوت(٣) أن الخَلَصَة المضاف إليها ذو في قولهم : (ذي الخَلَصَة) وهو الصَّنَم الذي كانت تعبده دوس في الجاهلية، هي هذه الشجرة وعرّف بها. فإن صح ذلك، فهو دليل آخر يضاف إلى أدلة من رجح أن صَنَم ذي الخَلَصَة كان في دَوْس بسراة زهران، وليس في تَبَالة(٤) ؛ لأن أرضها منخفضة، ليست من منابت الخَلَص.

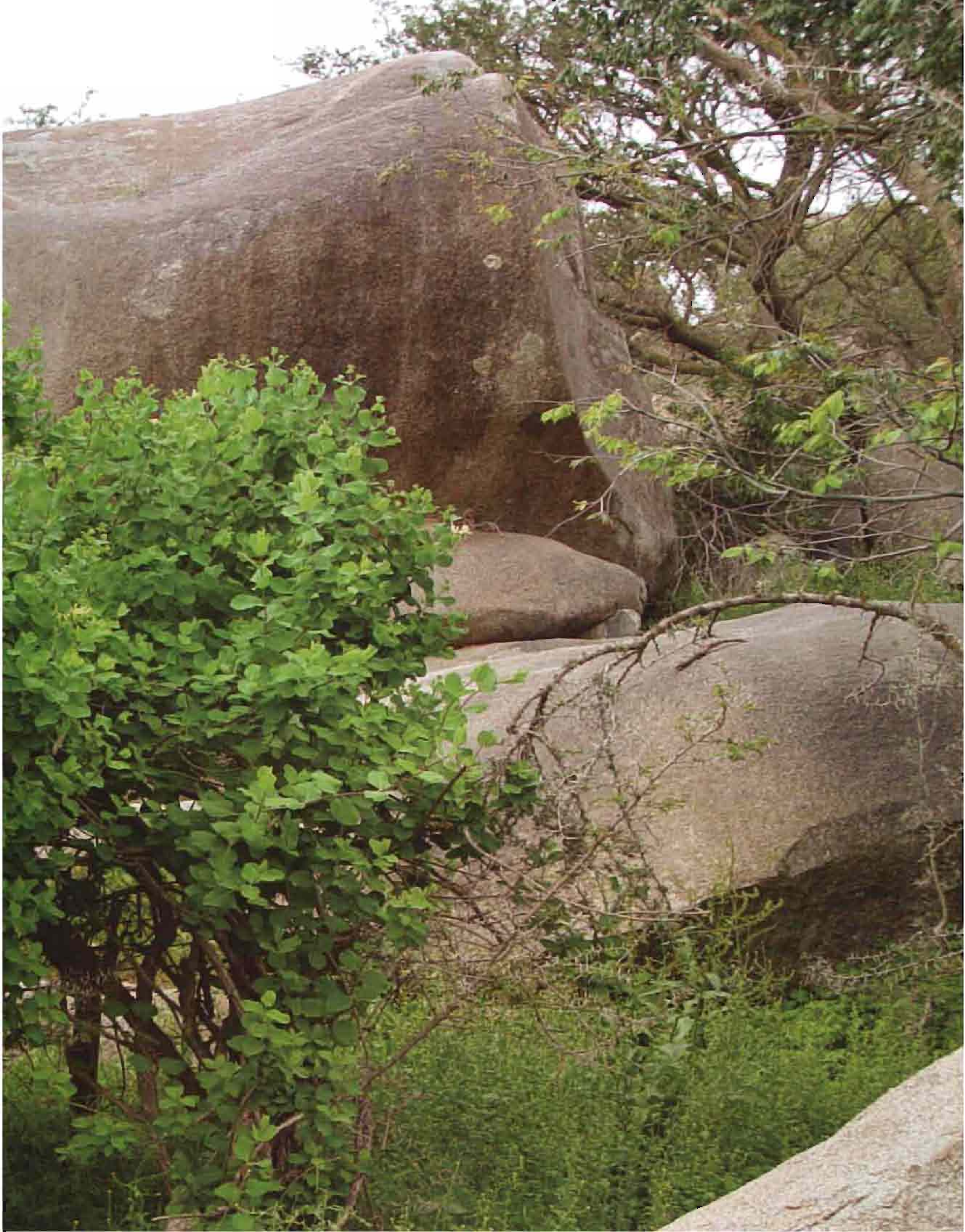


(١) هو الأُذْنة والمرو في جبال الحجاز، والخُزامى في بادية غامد .

(٢) النَّبات٥ / ١٦٢، ٣ / ٢١٨ . وينظر : المخصص١١ / ١٩٧، والعمدة ١ / ٢١١، والتكملة ٢ / ٦، واللسان٤ / ١٧٥، والقاموس ٧٩٦-٧٩٧، والتاج ٤ / ٣٨٩ (خلص) .

(٣) معجم البلدان٢ / ٣٨٣ .

(٤) ينظر : الأصنام ٣٥، والتبيان في تاريخ وأنساب زهران ١ / ١٣١-١٤٦ .





منابت الخُلص في الحوْزة من وادي المدان _ غرب بلجرشي

الدَّنْقة



قال أبو حنيفة: ((قال أبو عمرو: الزُّوَان: الشَّيْلَم، يُهمز ولا يهمز، والواحدة زُوَانة، وكذلك قال اللِّحياني، وقال: أخرجت من الطعام زُوَانه وزُؤَانه وزوَانه. وأخبرني بعض أعراب السَّراة قال: الزُّوَان هو حبة تكون في الحنطة تنقّى منها، وهي تُسْكِر، ونُسمِّيها الدَّنْقَة)) (١) .

الدَّنْقَة
Lolium temulentum

الفصيلة النَّجيليَّة - GRAMINEAE





قلت: الدَّنْقَة: عشبة حولية من الفصيلة النجيلية، تنبت في الشتاء وأوائل الربيع بين الحنطة أو الشعير، وقد تنبت بمفردها في التربة الطينية الرطبة. وأكثر منابتها المرتفعات الباردة حتى علو ٢٧٠٠م .

ترتفع الدنقة عن الأرض نحو ٥٠ – ٧٠ سم، أوراقها شريطية خشنة طويلة تشبه أوراق الحنطة، ولها سنابل متعاقبة صغيرة، تحمل حبوباً صغيرة حلوة الطعم، أصغر كثيرًا من حبوب الحنطة .

ويحرص الزُّرّاع عند الحصاد على ألا تختلط الدنقة بالصِّرام، فإن غفلوا عنها، ولم ينقّوها، وطحنوها مع





• الزِّن _ *Avena fatua*

الحنطة، أسكرت آكليها إسكارًا شديدًا، وترعاها الأغنام مع الكلأ فلا تؤثر فيها في الغالب.

وفي سراة غامد وبني عمر يسمون الزُّوَان الدَّنْقَة والسَّكْرَة أيضا، ويطلقون الزُّوَان على نوع آخر . وسمعت أهل ورقان يسمونها (السَّكْرانة) ويسميها أهل جبال مَدْيَن (العضْو) ويطلقون لفظ (السَّكْرانة) أو (السَّيْكَرانَة) بزيادة الياء بعد السين، على نبات مسكر جدا، من الفصيلة الباذنجانيَّة (*Hyoscyamus muticus*) . وسمعت بعض أهل ورقان جهة الشلايل، يطلقون السَّكرانة أيضا، على نوع آخر نادر من الفصيلة الباذنجانيَّة (*Hyoscyamus sp*) وهو مسكر كأخيه، وسمعت دليلي إلى جبل رضوى يسميه (العضْو) قال : وربما رعته الإبل فأضر بها، وتُعَالج به من الجَرَب . قلت: وخلطوا بينها؛ لتشابه آثارها .



وفي حزنة من سراة بني عمر يفرقون بين الدَّنْقَة والسَّكْرة، يقولون: الدَّنْقَة تظهر حبوبها سوداء فاسدة، وحبوب السَّكْرة تظهر سليمة ناضجة، وهي التي تُسكر .

ووفي مناطق واسعة من جبال اليمن يسمون الدَّنْقة (الحَنْذَرَة) وهي لغة يمنية قديمة، ذكرها نشوان الحميري(٢) وهو يمني، ولم ترد عند غيره من أصحاب المعاجم .

وفي سراة غامد وبني عُمر ما زالوا يستعملون لفظ الزُّوَان، كما أسلفت، ولكن على عشبة أخرى من هذه الفصيلة أيضا، غير مسكرة (*Avena fatua [A. barbata]*) تنبت في منابت الدنقة، وهم ينطقونها (الزُّنّ) بحذف الواو والألف، وتثقيل النون . وكذا تسمى في جبال الفقرة وقُدس، وينطقونها (الزِّيْوان) بكسر الزاء، وياء بعدها زائدة. وهي من المراعي الجيدة والمسمنة للبقر والغنم .

(١) النَّبات ٥ / ٢٠٣– ٢٠٤، ٥ / ١٧٨. وينظر : الجيم ٢ / ١٨٧، وجامع ابن البيطار١ / ٣٨٠، والتكملة ٥ / ٥٥، والقاموس١١٤٢، والتاج ٦ / ٣٤٩ (دنق) .

(٢) شمس العلوم ٥ / ٢٨٧٢ .



وادي الحلية بقرية حزنة، من منابت الدنقة في فصل الشتاء .



الدِّهْن



ذكره أبو حنيفة في إشارة عابرة، بعد ما ذكر الدِّفْلَى (١) وأنها سُمٌّ نَحَّار، فقال : ((الدِّهْن شجرة سوء أيضاً كالدِّفْلَى، قال أبو وَجْزَة :

وحدَّث الدِّهْن والدِّفْلَى خبيركُما   وسالَ تحتكُما سَيْلٌ فَمَا نَشَفا

وقوله : خبيركما، الخبير والحديث سواء، ولم يُحلَّ لنا الدِّهْن)) (٢) .

ولم يذكر عنه أكثر من هذا، وهو في القاموس جنس لكل شجرة سامة، قال : ((الدِّهْن بالكسر، من الشجر : ما يُقتل به السِّباع، واحده بهاء)) (٣) .

الدِّهْن

Euphorbia schimperi

EUPHORBIACEAE - الفصيلة الصَّابيَّة



قلت: الدِّهْن شجيرة واسعة الانتشار، ما زالت تعرف بهذا الاسم في ديار هذيل وبني سفيان غرب الطائف إلى ديار بلحارث جنوبًا، وكذلك تسمى في كثير من أقاليم جنوب اليمن، وسمعت أهل جبل صَبِر وغيرهم ينطقونها (الدَّهَن) بفتح الأول والثاني ، وربما اشبعوا فتحة الهاء فتولَّد عنها الألِف. وهي التي تسمى (الإِلْب) في معظم مناطق السَّراة وتهامة، كما أسلفت في رسم الإلْب . وسمعت بعض أهل تهامة بني عُمر وخثعم يسميها ولْبًا، بإبدال الهمزة واوا. وفي جبل حضوضى من تهامة بلقرن ينطقونه (الأَلَب) بفتح الهمزة واللام. وفي جبال الريث يسمونها (المُلَبِّنَة) أخذوه من عصارتها الشبيهة باللَّبن .

وهي تنبت في مجموعات كثيفة على ارتفاع ٩٠٠ – ١٨٠٠م . وأكثر منابتها السفوح الصخرية الضاحية للشمس، وتقوم على سيقان متعددة دائرية، عديمة الأوراق في الغالب، ارتفاعها نحو ٩٠ – ١٣٠سم، وعرضها نحو ٨ – ١٠ مم، وربما نبتت بجوار إحدى الشجر فتعلقت بها كالعيد تمامًا، وقد يزيد طولها، حينئذ، على ثلاثة أمتار . لونها أخضر يميل إلى الصفرة قليلاً، تفرز إذا كُسر أحد سيقانها عصارة لبنية دافقة، كريهة الرائحة شيئًا ما . أوراقها متعاقبة طولها نحو ١,٥ – ٣ سم وعرضها نحو ٣ملم، وهي قليلة، تظهر بعد نزول المطر على الفروع الحديثة، ثم تصفر وتتساقط سريعًا فتبقي السيقان جرداء معظم شهور السنة . أزهارها صفراء مخضرة، أو صفراء إلى البرتقالي، تخرج مجتمعة على رؤوس الأغصان، يتوسطها، في الغالب، زهرة مذكرة لها ثماني تويجات (بتلات) تحيط بوزيم قطني يحتوي على حبوب اللقاح، تظهر أولا، وتذوي قبل الأزهار المؤنثة. وهذه الأخيرة لها أربعة تويجات قصيرة ثخينة، شبه بيضاوية، أفقية أو منحنية قليلاً إلى الأسفل، تظهر منفصلة الواحدة



زهيرات مؤنثة يتوسطها زهرة مذكرة



عن الأخرى، ومصطفة في دائرة بها فراغ بحجم تويج، تتدلى منه الثمرة عند ظهورها . وتحيط بوزيم أزغب قطني، يبرز منه أصل الثمرة، وفي رأسها خويطات اللقاح، وتبقى التويجيات، في الغالب، حتى تنضج الثمرة نضجًا كاملاً ثم تتساقط بالتدريج، والنحل يثمرها فيجني منها عسلا لذيذ الطعم، لكنه كريه الرائحة .

وأما الثمار فتظهر خضراء مصفرة، ثم حمراء مصفرة في حجم الحِمِّصة الكبيرة ، تنفلق عند تمام النضج إلى ثلاثة فصوص، يحتوي كل فص بذرة واحدة لونها أسود مشرب بالبياض .

وهذه النبتة سامة للإنسان والحيوان، وقطرات قليلة من سائلها اللبني تسبب إسهالا مفرطا، وهذا معنى قول أبو وَجْزَة : ((وسال تحتكما سيل فما نَشَفا)) وكان أهل السَّراة يدسون سائلها اللَّبَني في اللحم، بعد حنذه وتفليحه، ثم يطرحونه في الخلاء للسباع، فيجدونها في اليوم التالي ملقاة حول الطُعْم هالكة. وأخبرني رجل من غامد الزناد، قال: كنا نختار الإلب (الدِّهْن) من المنابت التي لا يظهر عليها سُهيل اليماني؛ يرون أنه ذو سم











بالغ يفتك بالسباع الضارية من فوره . وأخبرني آخر من بلحارث أن جمّالة من قبيلة زهران أطعموا جمالهم الدِّهْن يظنون أنه العيد، فنفق عدد كبير منها . وأما الغنم فربما أصابت اليسير من فروعه الحديثة دونما ضرر .

وفي جبل شدا الأسفل، وهو لغامد خاصة، يضعون من عصارته تلك شيئا يسيرا على الجروح الغائرة المنتنة، فيجد المريض منه في الموضع المصاب ألما ممضا، لكنه يطيب بعدها، بإذن الله تعالى .

وهي تنبت، كما أسلفت، في مجموعات كبيرة فيكون منها أحراج كثيفة، رأيتها كذلك في عقبة جبل كَرا (الهَدَة) وفي سفوح وادي مَذْوَد أحد روافد وادي رنية، وفي قرية سَهَاوة من قرى بني عمر التهامية. وأخبرني دليلي من أهل هذه القرية، بأنها مأوى لطيور القَهْبي والحَجَل والقطا تجتّن بينها وتضع بيضها، وتخنس فيها أنواع من السباع كالذئاب والضباع والثعالب .



● الدِّهْن الحجازي – *E. consobrina*



ويشتبه الدِّهْن، عند من لا خبرة له، بشجيرة أخرى من الفصيلة العُشَرية، تسمى العَيْد (*Sarcostemma forskaolianum*) وأخرى كذلك من فصيلة المركّبات، تسمى الشَّرَاز ، وتسمى أيضًا العيد (*Kleinia odora*) . سيأتي الحديث عنهما في حرف العين، إن شاء الله. وربما نبتت الأنواع الثلاثة معًا فتشتبه على الرائي إلى حد كبير، إلا أن النوعين الأخيرين غير سامين، تعلك عصارتهما بعد تجفيفها، وتؤكل أطرافهما الغضة، وربما هلك بعض الناس؛ بسبب صعوبة التمييز بينهما وبين الدِّهْن إلا من خبير حاذق بنبات بيئته. وبسبب من ذلك التشابه وقع الخلط في أسماء هذه الأنواع، فسمعت رجلا من جبال العبادل التابعة لمنطقة جازان يطلق لفظ (الإلب) على العيد الذي ينتمي إلى الفصيلة العُشَرية، وفي وادي رخمات من ديار بالحارث يطلقون على العيد أو الشَّرَاز الذي ينتمي إلى فصيلة المركبات .

وفي جبال الحجاز يطلقون لفظ الدِّهْن على شجيرة أخرى شبيهة به، تنتمي إلى الفصيلة الصابية أيضًا







(E. consobrina) وربما نطقها بعض أهل ورقان (الدِّهِن) بكسر الأول والثاني . وهي كالنوع الأول أكثر منابتها السفوح الضاحية للشمس، على علو ١٢٠٠ – ١٤٠٠م . وتنمو بارتفاع قدره ٧٠ – ١٠٠سم، وتتفرع بكثافة على هيئة شبه كروية، قطرها نحو ١٠٠ – ٢٠٠ سم .

وهي تشبه الدِّهْن في كل شيء، إلا أن سيقانها أقل ثخانة من سيقانه، وأكثر تفرعًا منه، وكذلك الأزهار والثمار تبدو أصغر من أزهار الدهن وثماره، وتتميز الثمار خاصة بزوايا ثلاثية عميقة واضحة . والنحل يثمرها، وعسلها مثله في النوع الأول. وتفرز أيضًا عصارة لبنية سامة تخلط باللحم، وتطرح للذئاب فتقتلها في الحال .

تنبت هذه الشجيرة في جبال الحجاز غرب المدينة المنورة حتى وادي السيل الكبير، رأيتها في السفوح المنحدرة إلى هذا الوادي بأعداد كبيرة تواري ما حولها من النباتات العشبية. ورأيتها لأول مرة في سفوح جبل قُدْس (إدقس) الشرقية، فلم أعرفها، وقطعت منها غصنا حملته إلى أسفل السفح؛ أسأل عنه دليلي من أهل ذلك الجبل، فلما رآه أشار أن ألقيه من الفور، وحذرني من خطورتها. وقد أحسست بعد ذلك إلى آخر النهار بشيء من الغثيان، فربما كان ذلك من أثرها حقيقة أو وهمًا .

وأخبرني غير واحد من أهل جبال الحجاز أن الغنم تأكل هذه الشجيرة فلا تضرها بشيء، وتأكلها الجمال فلا تلبث بعدها كثيرا .

وفي الجبل الأخضر شمال عمان يسمون الدِّهْن (العَسْبَق) وهو مرادف قديم، ذكره ابن دريد وغيره، بكسر الأول والثالث (٤). وفي جبال ظفار يسمونه (مَوْت) وآخرون (هِبْشُنوت). وفي جزيرة سقطرى اليمنية يسمونه (إمْتَهَ) بتفخيم التاء، وآخرون يسمونه (العَشْبَق) بالشين، كما يسمى في الجبل الأخضر، وتعاقب السين والشين كثير في



● إمْتَهَ _ *E. arbuscula*



اللغات اليعربية (السَّامية) ومنها اللغة المهرية، لغة أهل ظفار وجزيرة سقطرى. ويطلقون (العَشْبَق) أيضاً __ أعني أهل تلك الجزيرة __ على العَيْد المنتمي إلى الفصيلة العُشرية، فلا يميزون بينهما، ويحذرون من كلا النوعين. كما يطلقون لفظ (إمْتَهَ) أيضاً، على نوع آخر سام من الفصيلة الصابية أيضاً (*E. arbuscula*) وهو شجرة كبيرة، تقوم على جذع إسنفجي منتفخ، بارتفاع ٢- ٣م ثم تتفرع على هيئة مظلة، فتشتبه من بعيد بشجرة الخزم السقطري (أعْرَهِيْب) وتشبه فروعها الصغيرة في طريقة تفرعها سيقان الدِّهْن، وكذلك تشبهه في نظامها الزهري والثمري، ويظهر على رؤوس أغصانها الفتية أوراق صغيرة تشبه أوراق الدهن . وربما رعته الأغنام في أشهر الجفاف، كالدهن، دون أن يصيبها منه ضرر. وهو لا يوجد إلا في جزيرة سقطرى وجزيرة سَمْحَة المجاورة . ويستعمل أهل سقطرى عصارتها البيضاء لعلاج المريض بالجذام، فيبرأ على عجل. وكان من أهل الجزيرة سحرة ومشعوذون يضعون قطرات من تلك العصارة فوق جمر متقد، فينبعث







● الشِّرْفِث ـ *E. balsamifera*

منه دخان كثيف مزعج، يستغلونه في أعمالهم السحرية .

ومن الأنواع ذات الصلة الشِّرْفِث (*E. balsamifera*) وهو شجيرة واسعة الانتشار في جنوب المملكة العربية السعودية، ولاسيما بين سراة عَبيدة ونجران . تنبت على ارتفاع ١٥٠٠ – ٢٢٠٠م . وربما نبتت إلى جوار الدهن أو مختلطة به . تنبت على هيئة شبه كروية، فيراها الناظر من بعيد كالخراف على السفوح ترعى . ترتفع نحو ١٢٠سم، وهي تشبه الدهن في نظامها الزهري والثمري، وتفرز لبنا أبيض اللون غزير الدفق، إذا هُصر ساقها أو كسر أي جزء منها . أوراقها ثخينة، تظهر عادة على هيئة شبه دائرة على رؤوس السيقان أو الفروع . وهي غير سامة تؤكل أوراقها الغضة، وربما أكلت ثمارها، بالرغم من طعمها الحار . تسمى (الشِّرْفِث) بكسر الأول والثالث، في جنوب المملكة وأجزاء من شمال اليمن . وهي لغة يمنية قديمة، رواها أبو عمرو الشَّيباني





الشرْفِث (طِشْقُوت) في جبال ظفار

بالفتح عن رجل من هَمْدان (٥). وسمعت بعض أهل ريدة، وهم من حاشد، أحد بطون همدان ينطقونه (الشَّرْفَث) بفتح الأول والثالث . ورأيتها في جبال ظفار في منطقة القَطْن خاصة، وأهل هذه الجبال يسمونها (طِشْقُوت) . ويجمعون عصارتها بكميات كبيرة، ثم تُجفَّف وتُشكَّل على هيئة قوالب، وتباع في الأسواق. وتستعمل كاللُّبان مضغًا ، فتعطر الفم برائحة طيبة، ويستعملها النساء بعد مضغها لإزالة الشعر غير المرغوب فيه من أجسادهن .

وفي جزيرة سقطرى، يطلقون لفظ (طُوْقش) وكأنه محرف عن (طِشْقُوت) على نوع آخر من هذه الفصيلة (*E. abdulkori*) وهي شجرة جميلة جدًا، تحمر أوراقها قبل أن تسقط، فتظهر في منظر بهيج. شاهدتها على فراع جبال حِجْهر . ورأيت على أزهارها ما لايحصى من أنواع الذباب ومنها الذباب الأزرق، الذي يُشاهد كثيرا على أزهار البَكَا .



● طُوْقش ـ *E. abdulkori*





مستعمرات كبيرة من أشجار طوقش فوق جبال حِجْهِر بجزيرة سقطرى

(١) الدِّفْلى (*Nerium oleander*) من أسمائها أيضاً (الحَبَن) وهو لغة قديمة معزوة إلى أهل عمان . وأهل الجبل الأخضر في شمال عمان ما زالوا يعرفونها بهذا الاسم. ورأيتها في ذلك الجبل برية بأعداد كبيرة في بطون الأودية وعلى ضفافها. وكذلك رأيتها في جبال الدِّيْسة وقراقر شرق ضبا، وأهل هذه المنطقة يسمونها الدِّفْلى . وينظر : النَّبات ٥ / ١٦٩ .

(٢) النَّبات ٥ / ١٧٠ . وينظر : العمدة ١ / ٢٣٤ .

(٣) القاموس ١٥٤٦ . وينظر : اللسان ٤ / ٤٣٥ (دهن) .

(٤) الجمهرة ٢ / ١١٢٥ ، والمحكم ٢ / ٤٠٣، والتكملة ٥ / ١١٤، والقاموس ١١٧٣ (عسبق) .

(٥) الجيم ٢ / ١٥٨ . وينظر : القاموس (شرفث) ٢١٩.



الإنته بأعداد كبيرة جدا بوادي عيهفت في جزيرة سقطرى



الدَّوْم



قال أبو حنيفة: ((الدَّوْم: واحدته دَوْمَة، وهو شجر المُقْل، وبها سُمِّيت المرأة دَوْمَة. والدَّوْمَة تعبُل وتسمو، ولها خُوْص كخُوص النَّخل، وتخرج أقناءً كأقناء النَّخلة فيها المُقْل . ويقال لخُوْصها: الطُّفْي والأُبْلُم، والواحد طُفْية وأُبْلُمة . ويُنسج من خُوصها حُصُر تُسمَّى الطُّفْي باسم الخُوْص ... وَخُوْصُها خُوْص متين قوي باق، يُصنع منه أشباه الغرائر تُعبَّى فيها الأمتعة، وتُحمل على الإبل في البلاد . وثمره المُقْل والوَقْل ... وقال ابن الأعرابيُّ: المُقْل إذا كان رطبا فهو البَهْش، وشجره الدَّوْم . ورُوي أن رجلا قرأ على عمر بن الخطَّاب، رضي الله عنه، حرفا أنكره، فقال: من أقرأك هذا ؟ فقال: أبو موسى الأشعريُّ، فقال: إن أبا موسى لم يكن من أهل البَهْش؛ يريد أهل الحجاز . وقال الزُّبير بن بكَّار أبو عبد الله: المُقْل إذا كان رطبًا لم يُدرِك فهو البَهْش، فإذا يبس فهو الوَقْل، والذي يُؤكل منه يقال له الحَتيُّ، وداخله العَجَم . وذهب بعض الرواة إلى أن الخَشْل هو حُتَات المُقْل، وحُتاته هو الحَتيُّ، وهو سويق المُقْل ... وذكر أبو زياد أن من العرب من يُسمي النَّبِق دَوْمًا . وقال عُمارة: العظام من السِّدر دَوْمٌ))(١) .

الدَّوْم

Hyphaene thebaica

الفصيلة النخليَّة - PALMAE



دومة في ابتداء نموها (طُفية)

قلت: الدَّوْمَة شجرة جميلة، واسعة الانتشار، فارعة الطول، وارفة الظِّلال. من أشهر نباتات سهول تهامة وأهمها. تنبت على ضفاف الأودية الساحلية الرطبة المفضية إلى البحر الأحمر، وتظهر على امتداد تلك الأودية وروافدها في مجموعات كبيرة، فتشكل أحراجا بل أدغالا واسعة، تأوي إليها أنواع من الأحياء الفطرية، حتى علو ٧٠٠م . وكثيرا ما تُرى في منابتها العليا إلى جوار شجرة الأراك، وتتوغل في منابتها الدنيا إلى أن تجاور أشجار القَرْم والقَنْدَل في خلجان الأودية المتصلة بشاطىء البحر . ورأيتها على ارتفاع يزيد قليلا على ألف متر في الأودية القريبة من الفَرْشَة بتهامة قحطان، ثم تعود للظهور بصورة ملفتة على ارتفاع ٧٠٠م في ملتقى وادي دفا بأعالي وادي بيش، وهو من أعظم الأودية التي تنبت فيه هذه الشجرة، مكونة أدغالا واسعة، يصعب في معظم الأحيان اجتيازها. وكذلك رأيتها بأعداد كبيرة على ضفاف وادي يَخْرُف أحد روافد بيش العظيم . ورأيتها في سفوح جبل دَقْنا غرب وادي الخيطان على ارتفاع ١٢٠٠م . رأيتها في بطن شعيب ندي، بجوار مستعمرة صغيرة من نخيل الغَضَف (الشُّطُب) . وتنبت، ولكن بأعداد أقل، على ضفاف الأودية



الدوم في وادي خلص آرة (السُّدة) جنوب غرب المدينة



الفيضية الفحول المنحدرة إلى الشرق من جبال السَّراة . وفي جبال الحجاز رأيتها بأعداد قليلة جدا جنوب غرب المدينة المنورة على ضفاف وادي العقيق في منطقة حمراء الأسد، ثم في خَلْص آرة (السُّدَّة) وهو من أعظم الأودية المنحدرة من جبال آرة . ثم رأيتها بأعداد لا بأس بها في عدد من الأودية جهة الحناكية والصويدرة شرق المدينة المنورة، ثم إلى الشمال منها على ضفاف وادي الغَرْس جنوب خيبر، وكان يعرف بوادي الدَّوْم . وشاهدتها، كذلك، قريبا من مزارع النخيل في الأودية والشعاب حول خيبر، وكل ذلك على ارتفاع يتراوح ما بين ٧٠٠ – ٨٥٠ م . وفي أقصى الشمال من جبال الحجاز شاهدتها بأعداد قليلة مع الدِّفْلى في وادي قَراقِر من أودية جبال الدِّيْسَة، جنوب جبال مَدْيَن . وقد ذكر العلماء عن قاع مَدْيَن أنه كان ينبت الدوم، وأن الأيكة التي جاء ذكرها في قوله تعالى: ﴿ كَذَّبَ أَصحابُ الأَيْكَةِ المُرْسَلينَ ﴾ (٢) كان معظم أشجارها من الدَّوْم (٣) . وما زال لفظ الأيكة يطلق على قاع أو دلتا قرب البدع، ينتهي إليها سيل وادي عُفَال قبل أن ينحرف باتجاه الغرب صوب





الدوم على ضفاف وادي العشر

البحر الأحمر، وهي اليوم شبه خالية من النبات إلا قليلا من النخل والأثل وبعض الشجيرات المتناثرة، ولم أشاهد فيها شيئا من أشجار الدَّوْم .

ترتفع هذه الشجرة نحو ١٠ – ٢٠ م . وتقوم على جذع أسطواني ليفي يكسوه كالنخلة نتوءات من أصول أعناق الأوراق القديمة، يتشعب إلى فروع ثنائية مستقيمة، وهي حالة نادرة بين أنواع الفصيلة النخلية . والأوراق راحية تشبه المهفة، ذات شطف شعاعية، تظهر مجتمعة على قمم الأفرع، يحملها أعناق طويلة كجريد النخل، على طرفيها أشواك حادة معكوفة باتجاه رأسي . تزهر في الربيع زمن إزهار النخل، وأزهارها نجمية صغيرة صفراء، تخرج ملتصقة بكثافة على نحو أربعة أو خمسة رؤوس تتشعب من أقناء غمدية طويلة، على نحو أفقي سوطي، ولها رائحة طيبة، تلقحها الرياح، وسرعان ما تتساقط، فيرى تحت الشجرة صفرة كثيفة ملفتة للنظر . ويتلوها ثمار بنية محمرة بيضاوية الشكل، في حجم حبة زيتون صغيرة، فلا تزال تنمو حتى تصير إلى حجم تفاحة صغيرة، ولون بُني غامق، ثم بُني مسود لامع عند تمام النضج . وتبقى على الشجرة مدة طويلة، وقد تظهر الثمار الحديثة، ولما تساقط ثمارها القديمة .

ولقد كان لهذه الشجرة، وما زال، أهمية كبيرة، فهي كأختها النخلة شجرة طيبة مباركة، ينتفع الناس بجميع أجزائها، بأخشابها، وأليافها، وثمارها، وبذورها، وظلالها . فكانوا يستخدمون خشبها لبناء الأكواخ (العُشش) وتسقيف البيوت، وكانت تستعمله العرب لذلك من عصور غابرة، فقد روي أن قُصيَّ بن كلاب أعاد بناء الكعبة، وسقفها بجذوع الدوم وجريد النخل (٤) .

وفي جبال الكويرة وبُواط من ديار جهينة يصنعون خلايا النحل من تلك الجذوع. ويقطعون خوصه الذي يسمونه (الطِّفْي) ثم يجففونه أياما، فإذا أرادوا استعماله نقعوه في الماء حتى يلين، فيصنعون منه البُسط (الهدوم) والقفاف، والزنابيل، والسِّلال، والأسرة الخشبية، التي يسمونها القعائد، جمع قعادة، وكذلك المكانس، والحبال، والمهفَّات، وسفر الطعام، ومهاد الأطفال (الميازب) والمظلات التي توضع على الرأس، ويلبسها النساء خاصة عند الصرام والرعي، ويسمونها القُبْعَة، وكذلك الحُصُر التي تُشد على ظهور الجمال، وتُحمل فيها







الأمتعة إلى سائر البلاد .

وأما ثمرها فقد كان غذاء مهما لكثير من الناس، ولا سيما في أزمنة الجوع الخالية، كانوا يأكلون الطبقة الليفية التي تقع بين غلاف النواة والقشرة الخارجية البنية اللون التي يتم كشطها بواسطة فِهْر أو آلة صلبة، فيظهر ما تحتها بلون بُني مصفر، له رائحة طيبة، وطعم شبيه بالخبز الخمير، وربما نُقعت في ماء بعد تقشيرها، ثم شُرب ذلك الماء . والغلاف الداخلي ليفي أيضا، متوسط الصلابة، يحتوي على نواة داخلية بنية اللون، في حجم بيضة الحمام، وهي صلبة جدًا، كسرتها، بعد محاولات مضنية، فظهرت من الداخل بيضاء مجوفة كثمر جوز الهند، وتختزن ما دامت حديثة عهد بالشجرة سائلا حلوا يُشرب، وهذه النواة تُسمى في نواح من منطقة جازان (الفَرْصَة) والجمع الفَرْص، وهو استعمال لغوي قديم (٥) . وفي هذه المنطقة كانوا يجمعون الثمار بكيمات كبيرة، ثم تُصدر إلى الخارج، وذكر عبدالله فيلبي في زيارته لمدينة جازان سنة ١٩٣٦م أنه شاهد ثمار الدوم مع بالات من أوراقه تُشحن إلى ميناء عدن ومصوع الإرتيري، قال: ويُشحن من الثمار إلى ميناء مصوع ما يقارب ٢٥٠٠ كيس كل سنة؛ لأجل صناعة العاج المزيف (٦) . وكان الاحتلال الإيطالي، قد أقام في إرتيريا مصانع تنتج الأزارير من نواة الدوم .

وفي نواح من جنوب اليمن يستخرجون من هذه الشجرة عصارة كحولية يسمونها (الطَّاري) تُخزن في مكان مظلم قرابة أربعين يومًا، فتتحول بعدها إلى الخل (٧) .

وللدومة ظل من أوسع الظلال وأبردها، يحبه الناس، ويتقون به حرارة





الصيف، ووهج الشمس، وتستظل تحته أيضا أغنامهم وسائر أنعامهم . وقد رُوي أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، جلس يوما في ظل دَوْمة (٨) .

وتعرف هذه الشجرة باسم الدَّوْم في كثير من تهائم السراة والحجاز . وفي تهامة خثعم وبني عمر يطلقون (الطِّفْي) على الدوم ما دام صغيرا، وربما عمدوا إلى قطع رأس الدومة فلا تطول، وتكون الأوراق في متناول أيدهم . وينطقه الناس في تهامة بني عمر (الطِّفِي) بكسر الأول والثاني . وفي أسافل جبال الريث يسمون الدوم ما دام صغيرا (الخَبَار) و كذلك (الطُّفْي) . فإذا كبر سموه الدَّوْم، وثمره البَهْش . وفي جبال حَجَّة اليمنية يسمون الدوم نفسه (البَهَش) بتحريك الهاء، وكذلك يُسمى في تهامة قحطان، تسمية للشجرة باسم ثمرها ، وهو استعمال قديم، كما تقدم في كلام أبي حنيفة . ونقل أبو عمرو عن رجل من خزاعة قوله: ((ثمر الدَّوْمَة: الفِرْص ما دام أحمر، فإذا احلولى فهو الفَضِيخ، فإذا يبس فهو البَهْش، والحِصْرِم قشره الأعلى وهو القِرْف، والذي يؤكل منه الحَتيُّ وهو الجُلاف، والجلدة اليابسة عُكَّاة، ونواته: المُلْج، وجماعه المِلَجة. والمِثْبَرَة: أول ما تنبت الدَّوْمَة))(٩) وسمعت أهل الكويرة وبُواط من جهينة يسمون الشجرة نفسها الدوم، وثمرها الوَقْل، وهو، كذلك، استعمال عربي قديم، ذكره أبو حنيفة أيضًا .

وفي معظم جبال اليمن يطلقون (الدَّوْم) على ثمر السِّدر، وربما سموا السِّدر نفسه دَوْما، وكل ذلك استعمال عربي فصيح، كما نقله أبو حنيفة عن عُمارة وأبي زياد .

---

(١) النبات ٥ / ١٦٧ – ١٦٩، ٦ / ٣٣٨ . وينظر : ديوان امرئ القيس ٥٧، والنابغة الجعدي ٢٢٦، وشرح أشعار الهذليين ٣ / ١٢٨٢، وأدب الكاتب ١٠٠، وديوان عمرو بن شأس ٣٤، وحدائق الأدب ٢٤٩،

ومجمع الأمثال ٣ / ٢٨٩، والمخصص ١١ / ١٣٦، والعين ٥ / ١٧٥، والمحيط ٩ / ٣٨٠، واللسان ٤ / ٤٤٩، والقاموس ١٤٣٢، والتاج ٨ / ٢٩٧ (دوم) .

(٢) الشعراء ١٧٦ .

(٣) تفسير الطبري ١٤ / ٤٨، ٢٣ / ١٣١، ومعجم ما استعجم ١ / ٢١٦ ، واللسان (أيك) ١ / ٢٨٩ .

(٤) مقدمة ابن خلدون ١ / ٤٢٣ . (٥) القاموس (فرص) ٨٠٧ . (٦) مرتفعات الجزيرة العربية ٢ / ٨٧٥ .

(٧) ينظر تفصيل أوسع عن طريقة استخراجه : كتاب النباتات الطبية في اليمن ١١٣ .

(٨) مسند الإمام أحمد (١٦٣٩٠) والنهاية ٢ / ١٤١ .

(٩) الجيم ٢ / ٢٧٨ . وينظر من هذا المصدر نفسه: ٣ / ٨٥ .





الدَّوْم بأعالي وادي ضَمَد _ شرق صبيا

الذُّرَق



قال أبو حنيفة : ((الذُّرَق : نبت مثل الكُرَّاث الجبلي الدِّقاق، ورقه إلى الرِّقَّة، ويرتفع على ساق رقيقة، في أعلاها قماعل صغار، فيها حب أغبر حلو، يؤكل رطبا، تحبه الرِّعاء، ويأتون به أهليهم، فإذا جف لم تعرض له، وله أبصال صغار، لها قشرة سوداء، فإذا قُشرت قُشرت عن بياض، وهي صادقة الحلاوة، كثيرة الماء، يأكلها الناس زمن الربيع)) (١) .

الذُّرَق
Romulea fischeri

الفصيلة السَّوْسَنيَّة - IRIDACEAE





قلت: الـذُّرَق، عشبة شتوية، تنبت في شعاف الجبال العالية بعد هطول أمطار الشتاء، وأكثر منابتها الأسناد الصلبة، وربما نبتت في الحقول الزراعية المتروكة، وذلك على ارتفاع ١٨٠٠ – ٢٢٠٠م .

أوراقها إبرية طويلة شديدة الخضرة، تظهر، كما ذكرت، بعد هطول أمطار الشتاء، وفي نهاية هذا الفصل وأوائل فصل الربيع، يظهر لها أزهار جميلة، لونها أبيض إلى الأرجواني الخفيف، وربما ظهرت بلون أرجواني خالص، ويجرسها أنواع من الحشرات . وثمارها أسطوانية الشكل، طولها نحو ١سم









ثمر الذُرَق



وعرضها نصف ذلك، تخرج على سوق رقيقة طولها نحو ٧ – ١٠سم، وتنشطر عند النضج عن نحو ١٠ بذرات مدورة الشكل، في حجم حبة الدخن أو أكبر قليلا . وجذورها أبصال صغيرة بيضاء يكسوها غلاف ليفي بني اللون إلى سواد قليل، يحفر عنها الناس، ثم يزيلون قشرتها، فإذا قُشرت صارت بيضاء شبه مستديرة، فيأكلونها مشوية أو نيئة. وهي غذاء محبب لأنواع من الحيوان، كالقرود والنيصة (الشياهم) وطيور الحَجَل والقَهْبي (الشِّنّير) وحيث نبت الذرق تجد في الأرض حفرا صغيرة من آثارها .

وهو (الذُرَق) بضم الأول وتحريك الثاني، كما ضبطته الأصول بلا نص، ويشترك معه في ذلك أحد أنواع النَّفَل، كما سيأتي في موضعه. وينطقه الناس في سراة غامد وزهران (الذَّرْق) بالذال وسكون الراء . وفي حزنة من سراة بني عمر وخثعم ونواح من سراة زهران ينطقونه

بصلة الذرق يأكلها الأنسان وكثير من الحيوان >







• ذُرَق الخيل (الصنف الأول) _ *Gladiolus abyssinicus*

(الزَّرْق) بالزاء المفتوحة، وتسكين الراء . وينطقه بعض بني ناشر من بني عُمر، وبعض بني ظبيان من غامد (الضَّرْق) بالضاد، يفخمون الذال فتنقلب ضاداً . وسمعت بعض بالخزمر من زهران يسميه (بصل الحَجَل) .

ومن الذُّرَق نوع آخر، يُسمى في سراة بني عمر زَرْق الخيل (*Gladiolus abyssinicus*) يقلبون الذال أيضا . وأضيف إلى الخيل؛ لأنهم كانوا يعلفونه إياها، وكذلك يعلفونه الحمير والأغنام والأبقار. له جذور بصلية لا تختلف في مظهرها عن جذور النوع السابق، وربما أكبر منها قليلا، لكن طعمها غير مستساغ، فلا تؤكل . وهو نبات جميل، يظهر في منتصف الشتاء، ويزهر في الربيع. منابته كذلك الأتربة الندية الهشة تحت ظلال الشجر، وبين شقوق الصخور، أوراقه شريطية طويلة تشبه أوراق الشعير، أو أعرض . وأزهاره حمراء زاهية، حسنة المنظر، تظهر على شمراخ









• ذُرَق الخيل (الصنف الثاني)
G. dalenii









ثمار الصنف الثاني من ذُرَق الخيل _ G. dalenii



طويل، ولها رحيق حلو يحرص الرعاة على امتصاصه.
ومنه نوع آخر، يسمونه أيضا ذَرْق الخيل (G. dalenii) وجذوره لا تؤكل كذلك، ولا يمكن تمييزه عن سابقه إلا بنظامه الزهري، وهما من النَّباتات الجميلة التي يمكن زراعتها للزينة في الأفياء الباردة، والمواضع الظليلة داخل المنازل.

ومن أنواع هذا الجنس أيضاً نوع رأيته بأعداد كبيرة في سفوح جبال ظفار (G. ukambanensis) يسمونه (البَيْضَح) أوراقه كأوراق النوع الأخير (زرق الخيل) وأزهاره بيضاء اللون، عديمة الرائحة. وله جذور بصلية كأبصال الذُّرَق، يأكلها أهل تلك الجبال، بعد إزالة قشرتها البُنية وبعد أن تُشوى بعناية خاصة مع بعر الغنم وروث الجمال. وهي مشبعة للغاية، وربما تكون طعام الرعاة الوحيد في الخلاء لأيام طويلة.

وفي أعالي جبال الحجاز رأيت نوعًا من الأبصال، شديد الشبه بالذُّرَق في منابته وطريقة نموه، على أن علماء النَّبات يعدونه من أنواع الفصيلة الزنبقية (Gagea reticulata) أزهاره صفراء اللون جميلة، في حجم وهيئة أزهار الذُّرَق. رأيته بأعداد وفيرة في شعاف الفقرة وقُدْس، ويشاركه بصورة ملفتة في تلك المنابت الذَّبَح والكَلْخ والجَرْجار، وكلها شجيرات ذات أزهار صفراء اللون، فلا تكاد تراه وتميزه عنها إلا عن كثب. وجذوره البصلية في حجم بصلة الذُّرَق أيضا، يأكلها الناس والحيوان كما يؤكل الذُّرَق، وسمعت أهل تلك الجبال

• البيضح _ G. ukambanensis >



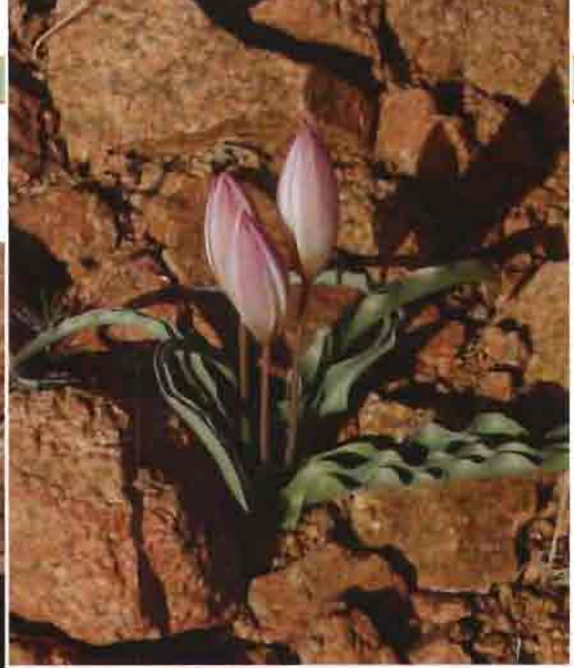
• السُّعيد _ *Gagea reticulata*



يسمونه (السُّعَّيْد) . وأهل جبل اللوز يسمونه (القُعيْصِلان الحلو) .

ومثل هذا نوع آخر (*Tulipa biflora*) شاهدته بوفرة في القمم العالية من جبال مَدْيَن، أوراقه عريضه، تشبه أوراق الكُرَّاث، أطرافها مستقيمة أو مموَّجة، وأزهاره بيضاء مشربة أصولها بصُفرة فاقعة، وله جذور بصلية في حجم بصلة الذُّرَق أيضاً، تُقَشرً، فتصير إلى لون أبيض. تؤكل، وهي كثيرة الماء، لذيذة الطعم . وأهل تلك الجبال يسمونه (الفُري) أخذوه من القشرة التي تغلف البصلة، وهي نسيج ألياف تشبه خيوط الفِراء .





● الفِرِي _ *Tulipa biflora*





(١) المحكم (ذرق) ٦ / ٣٤٦، والعمدة ١ / ٢٤٠ . وينظر: اللسان (ذرق) ٥ / ٣٩ .



منابت الذرق على السفوح الشرقية من جبل أثرب - جنوب بلجرشي



الذَّفْراء



قال أبو حنيفة : ((أخبرني أعرابيٌّ من زَهْران قال: الذَّفْراء عشبة تنبت في السّهول على ساق، ولها فروع وورق صغار نحو ورق الشِّيْح، مرّة ذَفِرة، يُدق ورقها ويشرب لوجع الجوف، وحُمَّى الرِّبْع(١) والكبد، فَيُقيء وينفع جداً، ولها نَوْر أصفر حسن، وتكثر في منابتها، وقلَّما تعرض لها الماشية إلا في رطوبتها قليلاً لكراهتها. قال: وكانت امرأة من موالي ثقيف تزوجت في غامد في بني كبير، فكانت تصبغ ثياب أولادها أبدًا صفرًا، فسموا بني ذَفْراء، يريدون بذلك صفرة نَوْر الذَّفْراء، فهم إلى اليوم يعرفون ببني ذفراء)) (٢) .

الذَّفْراء

Achillea biebersteinii

الفصيلة المركَّبة - COMPOSITAE



قلت: الذَّفْراء: شجيرة حولية شتوية جميلة، تنبت في مجموعات، وأكثر منابتها الأراضي التي تُركت زراعتها، وذلك على علو ١٨٠٠ – ٢٣٠٠م .

تتفرع سيقانها من أصل واحد بارتفاع قدره ٣٠ – ٥٠سم . وأوراقها أهداب ريشيّة خضراء مع غبرة يسيرة، تزهر في منتصف الربيع، وأزهارها خيميّة، تظهر بيضاء مخضرة ثم تؤول إلى الأصفر الفاقع . تخرج في رؤوس السيقان، ولها رائحة عطرية قوية؛ ومن هنا سميت ذفراء؛ لأن الذَّفْرة، في اللغة، هي الرائحة القوية سواء كانت خبيثة أو طيبة .

والذَّفْراء من النَّباتات التي يحبها النحل كثيرا، فكان السَّرويّون يقطفون أزهارها، فإذا جفت مزجوها بالماء، وربما أضافوا إليها ما تفتت من بقايا الشمع القديم ، ودعكوا بها أجواف الخلايا؛ فيألفها النحل ويتخذها بيوتًا. وكانوا يجعلون أزهارها في طاقات يضعونها في مداخل البيوت على عوارض الأبواب، لطيب ريحها، وطرد الذباب والبعوض عن بيوتهم. ويمضغون أوراقها لتسكين وجع الأضراس، وربما غلوها ثم اغتسلوا بالماء المغلي؛ لعلاج الحساسية المزمنة .



Achillea biebersteinii - الذفراء







وما زالت الذفراء تعرف بهذا الاسم في معظم مناطق السـَّراة، وربما نطقها بعضهم (دفراء) بإبدال الذال دالا أو (ضفراء) بإبدالها ضادًا، أو (ثفراء) بإبدالها ثاء، أو (ثُفيراء) بالتصغير وإبدال الذال ثاء، سَهّل ذلك كله قرب مخارج هذه الحروف من الذال . وسمعت أهل جبال فيفا والعبادل وسلا يسمونها (الغُلَّيم) وكذلك تسمى في جبال حَجَّة شمال اليمن . ورأيت بعضهم يزرعها في آنية خاصة حول شرفات المنازل وأبوابها، ويتخذون من أوراقها ونَوْرها مع الريحان والعبيثران عصابة على رؤوسهم ؛ يتخذونها للزينة والطيب .

وفي تهامة خثعم وجبال سَلاَ والعبادل، وجبال الحيمة وحجة اليمنية يطلقون الذِّفْراء على شجيرة من الفصيلة الصَّابيَّة (*Acalypha fruticosa*) ترتفع نحو ١٣٠سم . أوراقها خضراء غامقة، خشنة الملمس، مسننة الأطراف، تنتهي برأس شبه حاد، تنبت في بطون الأودية الدافئة حتى ارتفاع ١٤٠٠م . لأوراق هذه الشجيرة رائحة عطرية قوية، ومن ذلك سميت ذفراء؛ لأن الذِّفْرة ، كما أسلفت،



• الذَّفْراء، الزَّحَر، النَّمْي _ *Acalypha fruticosa*



الرائحة القوية طيبة كانت أو خبيثة . وأكثرهم يبدل الهمزة نونًا، فيقول: (الذَّفْران)، كما أبدل أهل السَّراة همزة الضهياء نونا، فقالوا: (الضَّهْيان) وهو على غير القياس، كقولهم في النسبة إلى صنعاء: صنعاني . وهي التي تسمى (الأَنْمَى) بالقصر أو (الأنمَـي) بالياء في تهائم عسير، وجبال الريث بن خولان، وهي (النَّمْي) في تهامة قحطان، وكذا تسمي في أعالي الجُنُش ، من ديار بني عمر، وينطقونها (النِّمْي) بكسر الأول . وهي (الزَّحَر) في تهامة هذيل وبني عُمر وزهران وأصدارهم . وتسمى في أقاليم جنوب اليمن (العَنْشط) أو (الحنْشط) بالعين أو الحاء، وربما فتحوا الأول . وسمعت سكان قرية الكَبسَة من جبل شدا الأعلى يسمونها (الحَرْمَل) . وفي جبال حجة تخلط أوراقها باللَّبن، ويُشرب لعلاج أمراض البرد، وآلام البطن، وقتل طفيليات الأمعاء. وفي جبال رَيْمة يمضغون الأوراق ويضمدون بها الجروح الحديثة، فتعقمها وتوقف نزفها وتعجل بشفائها ، وفي جبل صَبِر يستعملونها لإيقاف الرُّعَاف شماً، ويستعملون مغلي الأوراق لعلاج التهابات الفم واللثة، وكذلك يُستعمل منقوعها لعلاج ضروع الماعز الملتهبة. وفي جبال حَيْدان من ديار خولان بن عامر تهرس الأوراق ويُضمد





بها المفاصل المؤلمة، وربما أبدلوا الذال في نطقهم لها ضادا أو ثاء . وقد ترعاها الأغنام، ولكنها ضارة بها. وربما استعملت سيقانها في تسقيف المنازل كعيدان المظ تمامًا.

وسمعت رجلا من أهل وادي دَفَا من ديار آل تَلَيْد من خولان، يطلق (الذُّفيراء) بالتصغير على الشَّيْعة (*Lavandula pubescens*) أحد أنواع الفصيلة الشفوية. والحديث عنها في موضعه من حرف الشين، إن شاء الله .

وفي الجبل الأخضر شمال عُمان يطلقون (الضَّفْراء) بالضاد، على شجيرة من الفصيلة السُّنْفية (*Tephrosia haussknechtii*) تشبه الخِطْر .

---

(١) حمي الرِّبْع: هو أن يُحمَّ يوما، وتذهب عنه يومين، ثم يُحمّ في اليوم الرابع .

(٢) النَّبات ٥ / ١٧٩. وينظر : المخصص١١ / ١٥٩، والمقصور والممدود لأبي علي القالي ٣٨٩، وجامع ابن البيطار ١ / ٤١٦، والتكملة (ذفر) ٢ / ٥٢٧- ٥٢٩ . ولا يُعرف اليوم في بني كبير، أحد يدعى ببني ذفراء . وفي العمدة ١ / ٢٤٣ : ((وباسم هذه الشجرة سميت قبيلة من العرب، يقال لهم : بنو ذفراء، من أجل أكلهم إياها فنتنت أفواههم بها ! وقيل من أجل صفرة ألوانهم والثياب فسُموا بزهرها)) .



منابت الذفراء بوادي حزنة _ غرب بلجرشي



الذُّنَّبان



قال أبو حنيفة : ((أخبرني أعرابيٌّ من أهل السَّراة قال : الذَّنَبَان عُشيب له جزرة لا تؤكل، وقضبان مثمرة من أسفلها إلى قمتها، ولها ورق مثل ورق الطَّرْخَون، تنبت في القيعان وما قارب المزارع، وهو ناجع في السائمة، وله نويرة غبراء تجرسها النحل، ويسمو قدر نصف القامة، تشبع الثِّنتان منها بعيرًا، وكأن قضبانها أذناب الحرابيّ؛ ولذلك سموها الذَّنَبَان، والوحدة ذَنَبانة ...

وقال بعض الأعراب: الذَّنَبَان أخضر، له ورق كورق الشِّبْت وقضبان مثل أذناب الضِّباب)) (١).

الذَّنَبان
Caylusea hexagyna

الفصيلة البُلَيْحَاوِيَّة - RESEDACEAE



قلت: الذَّنَبَان شجيرة واسعة الانتشار، من أشهر أنواع الفصيلة البُلَيحاويّة التي ينتمي إليها القُرَضىءُ الشهير أيضًا. منابتها بطون الأودية، والحقول الزراعية المهملة، وما حولها، حتى علو ١٩٠٠م .

لهذه الشجيرة قضبان كثيفة تخرج من جذمور جزري واحد بارتفاع ٣٠ –٥٠سم، ولم أشاهدها قط بالطول الذي أخبر به السَّرَوِيّ. أزهارها صغيرة بيضاء، تتحول مع التقادم إلى اللون البرتقالي أو البُني الفاتح، ولها رحيق غزير يجني منه النحل عسلا خفيف القوام أبيض اللون، يعد عند أهل السَّراة أحد الأنواع المشهورة من عسل الصيف. ومعظم أطرافها العلوية معكوفة أو ملتفة كأذناب الحرابي خاصة، والأوراق صغيرة مستطيلة، تشبه ورق الثفاء (حب الرشاد) أو الطرخون، كما روى أبو حنيفة، تخرج مع أصول القضبان.

وهذه الشجيرة من أحب المراعي إلى الإبل، والثنتان منها لا تشبع شاة، فضلا عن بعير . والغنم تسمن عليها، وتدر ألبانها، وأهل حزنة من بني عمر يسمونها (أم لَبَن) وسمعت رجلا من بني الطُّفيل من زهران يسميها (أم سَمْن) سموها بذلك؛ لأن الغنم ترعاها فيغزر لبنها وسمنها.

وأهل جبال مَدْيَن ما زالوا يطلقون على هذا النوع لفظ (الذَّنَبان) بفتح الأول والثاني، كما ضبطته المعاجم اللغوية، وكذلك ينطقه بعض بني كلب من جهينة. وينطقه أهل الفقرة من حرب، وأهل جبل رضوى من جهينة (الذِّنِبان) بكسر الأول والثاني . وكذلك يسميه أهل جبل ورقان، وأكثرهم ينطقه



Caylusea hexagyna - الذنبان





(الذِّنبا) بحذف النون تخفيفا. وسمعت رجلا من بني مشهور من بني شهر يسميه (الذَّيْنَبَان) بزيادة الياء، وسماه رجل يمانٍ من أهل البيضاء (الذُّنيْبَان) بالتصغير. ويسميه أهل بني ظبيان من غامد (ذَنَب البِسٍّ) أي ذيل القط . وسمعت دليلي من جبال العبادل على الحدود اليمنية، يسميه (ذيل امبِسٍّ) .

وذكر أحمد عيسى بك(٢) ، والدمياطي(٣) وأحمد مجاهد(٤) أنواعًا من جنس الذَّنَبَان، فذكروها جميعاً باسم الذَّنَبَان .

ويطلق الذَّنَبَان أيضًا، على نوع آخر من الأعشاب النجيليّة (*Polypogon monspeliensis*) وهو استعمال لغوي قديم. قال أبو زيد : ((الذَّنَبَان والذَّنَبَانة: عشبة لها سنبل في أطرافها كأنه سنبل الذرة، ولها قُضُب وورق، ومنبتها بكل مكان ما خلا حُرّ الرمل)) (٥) وقال الخليل : ((وبعضهم يسميه ذَنَب الثعلب)) (٦) .

وهذا النوع ما زال يعرف أيضاً باسم الذِّنبان بكسر الأول والثاني، في جبال





● الذَّنَبَان ، ذنب الثعلب _ *Polypogon monspeliensis*



السَّراة وفي بعض جبال الحجاز، وهو نبات حولي، يظهر في منتصف الشتاء، ويهيج أول الصيف، منابته الحقول الزراعية، وما حولها، وكذلك في الأراضي الزراعية المهملة، وربما نبت في السفوح وبطون الأودية، ويجود تحت الأشجار، ولاسيما العرعر والطلح .

وهو يرتفع على سيقان متعددة تخرج من أصل واحد بطول ٢٠ - ٣٠سم، والأوراق شريطية حرشاء، طولها نحو ١٥سم، وعرضها نحو ٣ - ٥مم، وتنتهي السيقان بسنبلة أسطوانية الشكل طولها نحو ٧ - ١٠ سم، وعرضها نحو ٢سم، وهي كثيفة الشعر، ناعمة الملمس، تشبه ذنب الثعلب، ومن هنا سمي ذنب أو ذيل الثعلب أو الذَّنَبان ، وربما سمي أيضا ذيل القط . وهو من المراعي الجيدة المسمنة .

وفي سراة بني عُمر يطلقون (ذنب الحُصيني) أي ذنب الثَّعلب، على الخُرِّم (*Verbascum nubicu*) أحد أنواع الفصيلة الخنازيرية .

---

(١) النَّبات ٥ / ١٨٢. وينظر : النَّبات للأصمعي ١٥، والمخصص١١ / ١٥٩، ١٨٠، والعمدة ١ / ٢٤٢، والجمهرة ١ / ٣٠٦، وتهذيب اللغة ١٤ / ٤٤٠، والصحاح ١ / ١٢٩، واللسان٥ / ٦٥، والتاج ١ / ٢٥٥، ٢٥٦ (ذنب) .

(٢) معجم أسماء النَّبات ١٢٧ . (٣) معجم أسماء النَّبات الواردة في تاج العروس ٦١ . (٤) نباتات المملكة العربية السعودية ٢ / ٨١٨، ٨٥٠ .

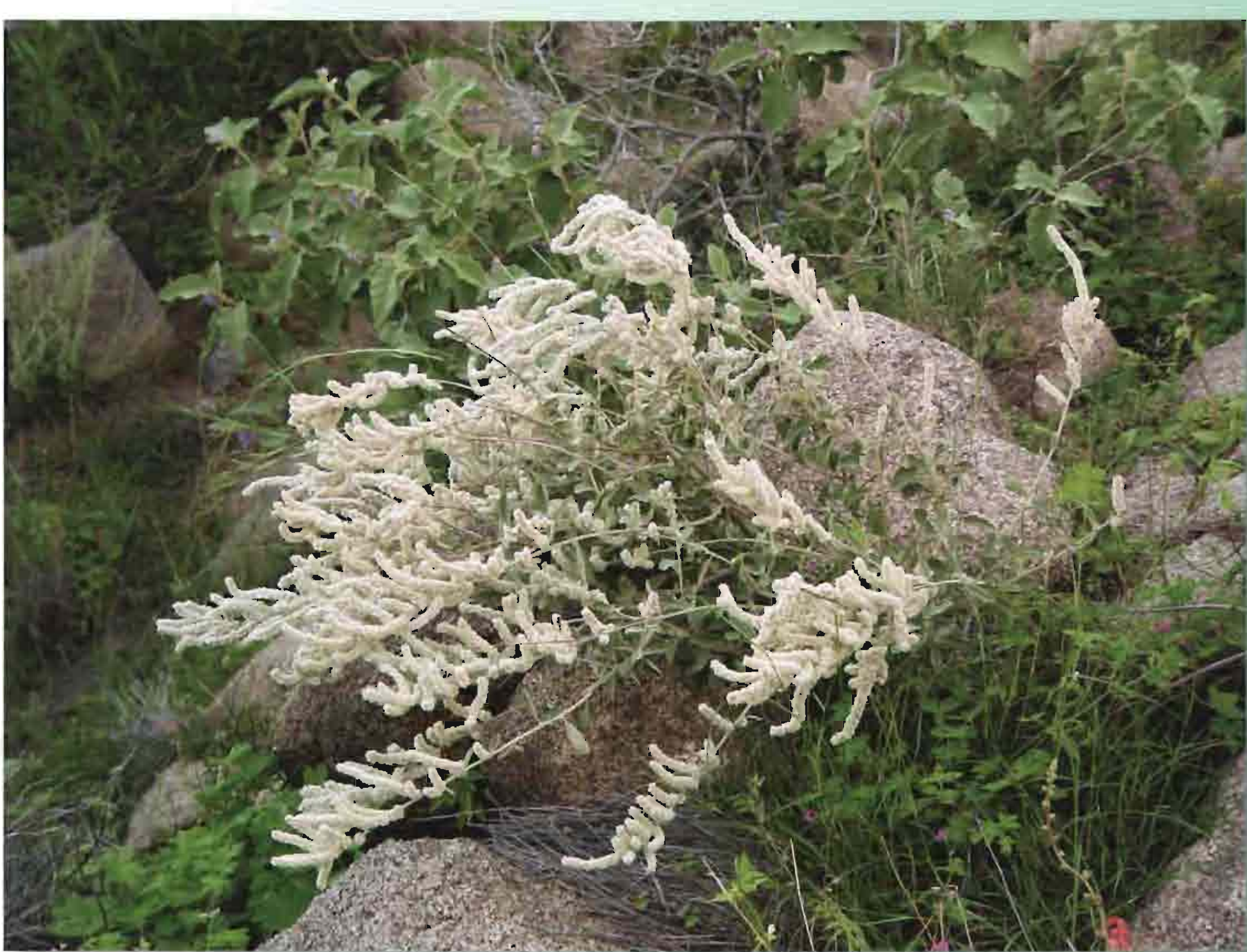
(٥) الشجر والكلأ ١١٣. (٦) العين ٨ / ١٩١، ومختصره للزبيدي٢ / ٣٥٧ .





طائر اليحموم (الضوعي الصُّفية) على سفوح جبل فيفا

الرَّاء



قال أبو حنيفة عن أبي زياد: ((من الأغلاث الرَّاء، واحدته، راءة، وهو شجر أبيض، لا تكون الرَّاءة أطول ولا أعرض من قدر الإنسان جالسا، ولها ثمر أبيض دقيق يحشى به بدائد الرَّحْل والبراذع، وما أرادوا أن يحشوا به. ومنابته، فيما زعم بعض الرواة، هو خلاف قول أبي زياد في المنبت، وأخبرني غيره من الأعراب أن الراء شجيرة جبلية كأنها عظلمة، ولها زهرة بيضاء لينة، كأنها قطن، تُخرط وتحشى بها الوسائد، وسائر الأديم، فتكون كأنها حُشيت بالريش مع خفة)) (١) .

الرَّاء
Aerva javanica

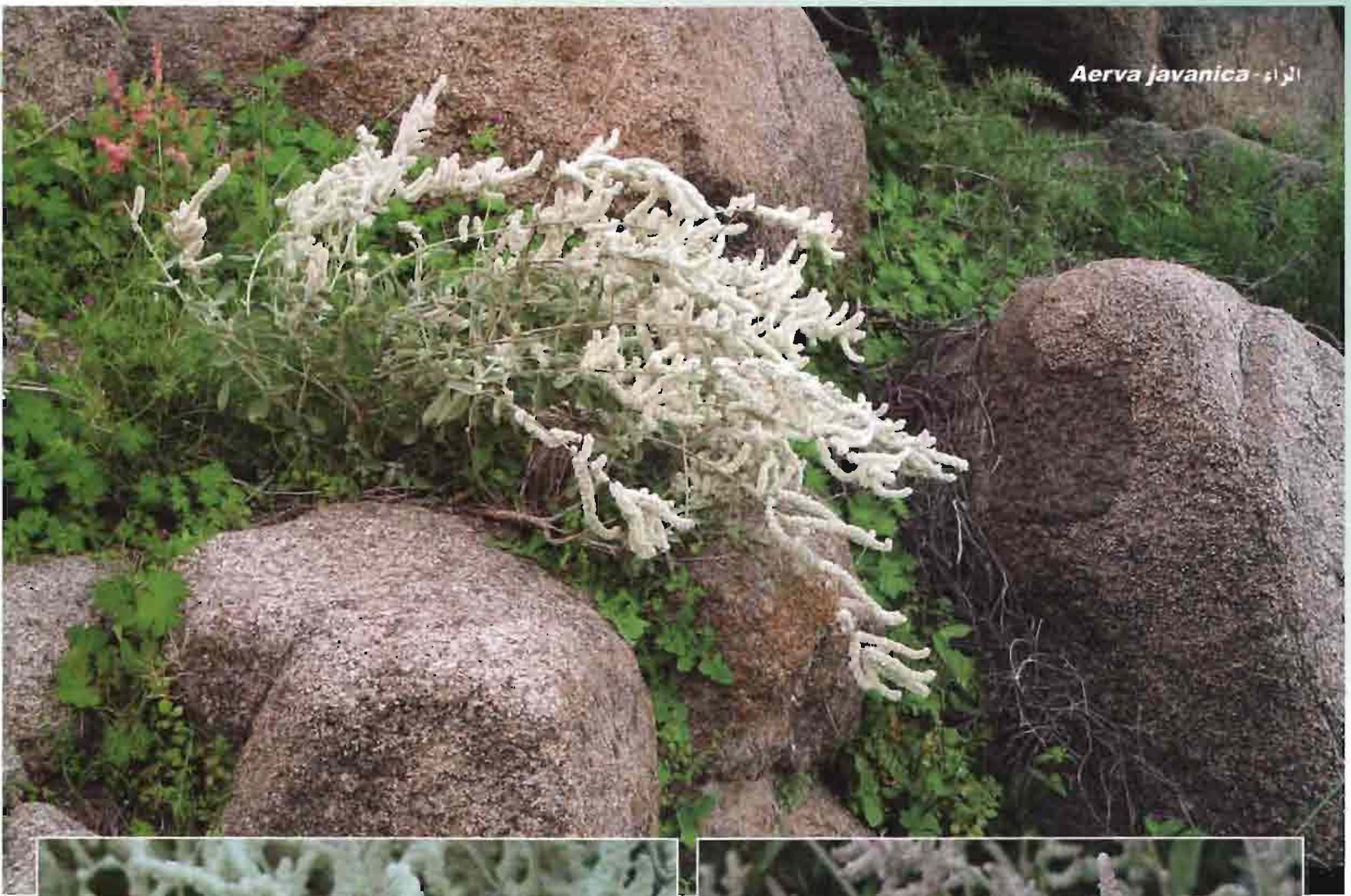
AMARANTHACEAE - الفصيلة القطيفية



قلت: الرَّاء شجيرة معمرة، واسعة الانتشار، منابتها السهول وسفوح الجبال حتى ارتفاع ١٦٠٠م .

ترتفع نحو ٥٠ – ٨٠سم، وتتفرع إلى سيقان كثيرة من جذمور ظاهر أو مطمور في الأرض . أوراقها غبراء مخضرة، بيضاوية الشكل، يكسوها زغب ناعم أبيض اللون، تظهر بكثافة أسفل الساق، ثم تتناقص وتصغر كلما علت حتى يتجرد علو الساق من الورق كافة، ولا يرعاها الحيوان إلا عند الضرورة . والأزهار تظهر على هيئة سنابل، وهي بيضاء بنفسجية، صغيرة الحجم جدا، لا تتميز بوضوح عن الثمار، وثمارها بيضاء ناعمة تظهر على هيئة قطن منفوش، تحوي في داخلها بذورا في حجم حبة الدخن أو أصغر، سوداء اللون لامعة، تنتشر بواسطة الريح إلى أماكن بعيدة . وإذا أثمرت ظهرت في منظر حسن بهيج، كأنما هي خراف بيضاء، أو قطع من الثلج تناثرت على سفوح الجبال. وأخبرني دليلي العُمري من أهل الجُنُش أن النحل يقع على ثمار الراء فيثمر منها ما يسمونه (العَبَس) وهو مادة يسد بها الثقوب والشقوق داخل الخلية .

وكان الناس إلى عهد قريب أدركته يخرجون إلى الجبال فيخرطون سنابلها القطنية بأيديهم، ويجمعونها في أكياس كبيرة ولكن خفيفة الوزن، فتباع في الأسواق، بأثمان مجزية، ويُحشى بها، كما ذكر أبو حنيفة، الفرش والمخاد والوسائد والمتاكي، وكذلك





فرع مزهر



يبقى الثمر مدة طويلة قبل أن تذروه الرياح

يُحشى بها الحلوس والبراذع والسروج التي توضع على ظهور الحمير والجمال .

وفي اليمن أكد الباحثون الذين درسوا جثث (شبام الغراس) المحنطة التي عثروا عليها في المقابر الصخرية أن اليمنيين القدماء استخدموا الراء في حشو أجواف تلك الجثث، وعدوا هذه ميزة، لأن الراء أكثر امتصاصا للرطوبة من الألياف ونشارة الخشب المستعملة في مصر القديمة(٢) .

وفي ديار بني عمر تُمضغ أوراق الراء أو جذوره، وتُضمد بها الجروح، فيقف نزفها، وتبرأ على عجل . وفي نواح من تهامة عسير كانوا يعالجون الجمال والأغنام الملتهبة عيونها بعصارة جذور هذه النبتة . وأخبرني أحد الأفارقة أنهم يشربون هذه العصارة في بلادهم ترياقا لسموم الثعابين.

وهذه الشجيرة ما زالت تسمى الرَّاء في معظم الجبال شرق منطقة جازان، ومناطق كثيرة من أنحاء اليمن، وكذلك تُسمى في تهامة هذيل، ونواح من تهامة بني شهر. وسمعت بعض أهل جبال الريث ينطقونها (الرَّاي) بإبدال الهمزة ياء. وفي نواح أخرى من منطقة جازان يسمونها (الإرواء) ويستعملون ثمارها ضمادا للجروح الدامية، فتساعد على إيقاف النزيف . وأهل جبل حضوضى



● الراء، دبيلاء الغنم _ *A. lanata*

من تهامة بالقرن يسمونها الرَّاء أو (الرَّيْن) بإبدال الألف ياء والهمزة نونا، وآخرون يسمونها (الدُّبَيْلاء) وبهذا الأخير تعرف في ديار بني عمر كافة . وسمعت أهل شدا الأسفل ينطقونه (الدُّبيْل) بلا مد . وهي (الرَّيْل) في جبال مَدْين، بإبدال الياء من الألف واللام من الهمزة . وفي معظم جبال الحجاز يسمونها (الطِّرْف) بفتح الأول وكسره . ويطلقون (الرَّيْن) على أنوع أخرى من الفصيلة الخبازية، أشهرها ما يسمى (الحَوْص) في جبال السَّراة (*Abutilon bidentatum*) وفي الأجرد والكويرة من ديار بني كلب من جهينة يسمونها (الرَّيْن) كذلك، وسمعت بعضهم يقول (رَيْن الطِّرْف) لتمييزها عن أنواع الرَّيْن المنتمية إلى الفصيلة الخبازية . وفي جزيرة سقطرى تسمى (فأ) وأهل جبال ظفار يسمونها (إفَهْ) وآخرون يسمونها (الرَّاع) بإبدال الهمزة عينا .

ومن الراء نوع آخر (*A. lanata*) ينبت، في الغالب، حيث نبت النوع الأول، وهي صغيرة الحجم مقارنة به، وكذلك أوراقها وأزهارها وثمارها. ترتفع نحو ٣٠ – ٥٠سم . تسمى في الجُنُش من ديار بني عُمر (دُبيلاء الغنم) تمييزا لها عن النوع السابق الذي قد يميزونه أيضاً بقولهم (دُبيلاء البقر) وليس لهذه الإضافة من معنى سوى التمييز بين النوعين . وأخبرني دليلي الجُنُشي أنهم كانوا يحشون بهذه النبتة كاملة المساند والمتاكي . وسمعت دليلي الهذلي إلى أعالي وادي ضِيْم يسمي هذا النوع (اللُّبَيْداء) ويظهر أن (الدُّبَيْلاء) قد قُلب منه .

وكان يسمي النوع الأول الرَّاء، وما صغر منه يسميه (الرُّوَيَّة) ويعتقد أنه نوع ثالث . وسمعت أهل جزيرة سقطرى يسمونه (فأ) كالنوع السابق، ولا يفرقون .

---

(١) النَّبات ٥ / ١٩٠، ١٩١. وينظر : النَّبات للأصمعي ١٩، والمقصور والممدود لأبي علي القالي ٣١٣، والعمدة ١ / ٢٤٥، والعين ٨ / ٣١٣، والتهذيب ١٥ / ٣٢٧، والمحيط ١٠ / ٣٠٢، وشمس العلوم ٤ / ٢٦٧١، واللسان ٥ / ٣٥٣، والقاموس٥٣، والتاج ١ / ٧٣ (روأ) .

(٢) ينظر: المعجم اليمني في اللغة والتراث ٣٣٧ .



الراء على سفح صخري في جبل دَقْنا _ جنوب بلجرشي



الرَّتَم



قال الأصمعيّ : ((ومن نبات جبال السَّراة : الشَّثُّ والعرعر ... والرَّتَم)) (١) .

وقال أبو حنيفة : ((الرَّتَمَة: نبات من دِقّ الشجر، شُبّه، فيما زُعم، بالرُّتُم، وهي الخيوط . ومنه الرَّتْمَة: الخيط الذي يُشد في الأصبع للتذكرة، وهو معنى قول الشَّاعر :

هل ينفعَنْكَ اليومَ إنْ همَّتْ بهم   كَثْرَةُ ما تُوصي وتعقادُ الرَّتَم

ويقال لها : الرَّتائم، وقال الرَّاجز في الرَّتَم من النَّبات :

نظرتُ والعَيْنُ مُبِينَةُ التَّهَم   إلى سَنَا نارٍ وقودُها الرَّتَم(٢)

الرَّتَم

Retama raetam





قلت: الرَّتَم، والمفرد رَتَمَة، شجيرة مرداء تشبه صغار المَرْخ، تنبت في بطون الشعاب والأودية الواسعة، وشطآنها، وربما نبتت في السفوح الصخرية الجرداء، وذلك على ارتفاع ٧٠٠ – ١٨٠٠م .

ترتفع الرَّتمة عن الأرض قدر ١ – ٢م على أعواد كثيرة مستقيمة، تخرج من أصل واحد، أسفلها أصفر يميل إلى اللون البُني، وأعلاها أخضر مصفر، ثم تتفرع إلى خويطات دقيقة خضراء، تشبه خويطات شجر البان، وهي لينة ناعمة، لكنها قوية مرنة، تُفتل بشدة فلا تنقطع . لها أوراق ثخينة، صغيرة جدًا، مستطيلة إلى شبه بيضاوية، تظهر على الأغصان الغضة الحديثة النمو، لا تلبث أن تسقط عن قريب. أزهارها فراشية بيضاء كثيفة، تخرج من أصل بنفسجي قاتم، يشوبها من الوسط لون بنفسجي فاتح، ولها رائحة خفيفة طيبة . تُسمى في جبال مَدْيَن (الخَام) . وتدوم هذه الأزهار طويلاً، فيتميز بها الرتم، وتبهج من حسنة بطون الأودية وسفوح الجبال. ويعقبها ثمار خضراء مصفرة، وربما احمرت عند نضجها، تشبه عند اكتمال نموها حب (الهيل) المعروف، ولها طعم لا يختلف كثيرا عن طعم ثمار الدُّجُر (اللُّوبيا) ثم تنفطر عن بذرة واحدة، وربما بذرتين أو ثلاث، سوداء اللون أو بنية مشربة بالسواد، في هيئة بذرة الدُّجُر أيضًا، وحجمها .

والرَّتَم، بخلاف ما ذكر الأصمعي، ليس من نبات جبال السَّراة، ولم أشاهده قط في جبال الحجاز القريبة من المدينة المنورة . وأول ظهور له يبدأ من نواحي العشاش من ديار عنزة شرقا إلى ملتقى وادي الجزْل بوادي الحَمْض من ديار بلي وجهينة غربا، قريبا من خط العرض ٢٦،٠٠° شمال منطقة المدينة المنورَة .







ومن هنا يأخذ في سعة الانتشار شمالا، وقد رأيته بأعداد كبيرة جنوب غرب العلا، في بطن وادي الجِزْل وعلى ضفافه إلى القمم العالية من جبال الوَرْد، لا تكاد ترى في هذه الجِبال نباتا غيره، ثم بت ليلتي في هذه الجبال فألفيتها شديدة البرودة، وفي صباح تلك الليلة انحدرت سدفة إلى الشمال الغربي ثم إلى الغرب، وفي أثناء الطريق رأيته يتناقص بالتدريج، حتى اختفى تمامًا حين أتهمت . ثم رأيته بكثافة في أودية جبال مَدْيَن وسفوحها الشرقية خاصة، وهو أكثر انتشارا في الأودية وبطون الشعاب. ويُعرف بالرَّتَم في منابته تلك جميعا، ومنه أخذ اسمه في اللاتينية . وربما نطقوه (الرُّتَم) بضم الأول .

والرَّتَم من المراعي الجيدة للأغنام ترعى أغصانه الحديثة النمو، وأزهاره وثماره، ولكنّ الرعاة يحاذرون عليها الإفراط في رعيه دون غيره، كيلا تنهجف، فيما يقولون، عظامها وتعوجّ عراقيبها . وقل أن ترعاه الإبل،







ولكنها تكثر من الهشيم اليابس المتساقط منه تحت الشجرة، وإذا ما رعته الإبل أو الغنم ، فآكلُ لحمها أو شاربُ حليبها، غير المعتاد، يصيبه لأول مرة خدر ودوار ورعشة بأطرافه، وانخفاض سريع لسكر الجسم، وأهل منابت الرتم من بلي يسمون هذه الأعراض (الرَّتَام) ويعالجون المصاب بها بأن يطعموه السكر أو نحوه من حلو الطعام. قالوا: وربما ظهرت أعراض الرَّتَام على الرجل الغريب غير المعتاد باستنشاقه دخان الرتم فقط . وقد أكلت من ثمره شيئا قليلا حين رأيته لأول مرة ، فوجدت طعمه مقبولا، يشبه، كما أسلفت، طعم الدجر (اللُّوبيا) فشعرت بعد وقت قصير بخمول ورعشة في الأطراف والفكين، وعسر في الكلام، واستمر ذلك حتى أكلت تميرات قليلة بعد نحو ساعة من أكله. وأرجو أن يكون لهذا النَّبات شأن في علاج مرض السكر، إذا ما دُرس وأجريت عليه التجارب العلمية الكافية .

والرتم من أهم مصادر الوقود عند قبائل الشمال من بلي وعنزة والحويطات وبني عطية وغيرهم، فهو أكثر نبات بلادهم، ولكنه في درجة متوسطة مقارنة بوقود القرظ أو السمر المشهور عند قبائل العرب عامة. وكان كذلك مصدرا مهمًا لدباغة الجلود عند تلك القبائل، فكان النساء يجمعن أعواده الغضة، بكميات كبيرة، ثم يجتمعن على هرسها، ودعك الجلود بها .

ومن عادات العرب القديمة ما ذكره ابن السِّكِّيت في تعليقه على قول الشاعر المتقدم :

هل ينفعَنْكَ اليومَ إنْ همَّتْ بهم ....

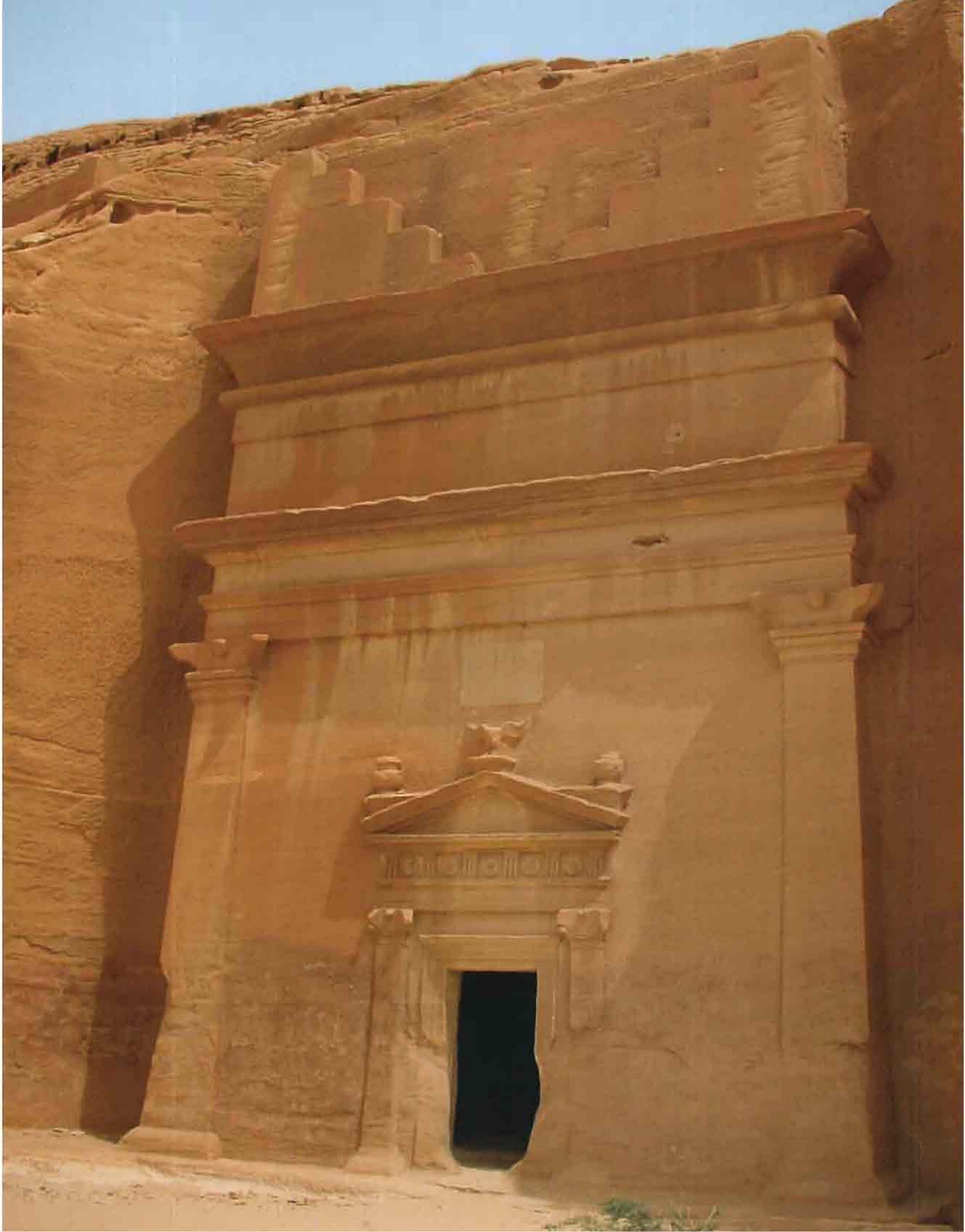
قال : ((كان الرجل إذا خرج في سَفَر عمد إلى هذا الشجر فعقد بعض أغصانه ببعض، فإذا رجع من سَفَر فأصابه على تلك الحال قال : لم تخنّي امرأتي، وإن أصابه وقد انحلَّ قال : قد خانتني)) (٣) . وذكروا مثل هذا أيضا، عن العُشَر، وسيأتي في موضعه من حرف العين، إن شاء الله تعالى .

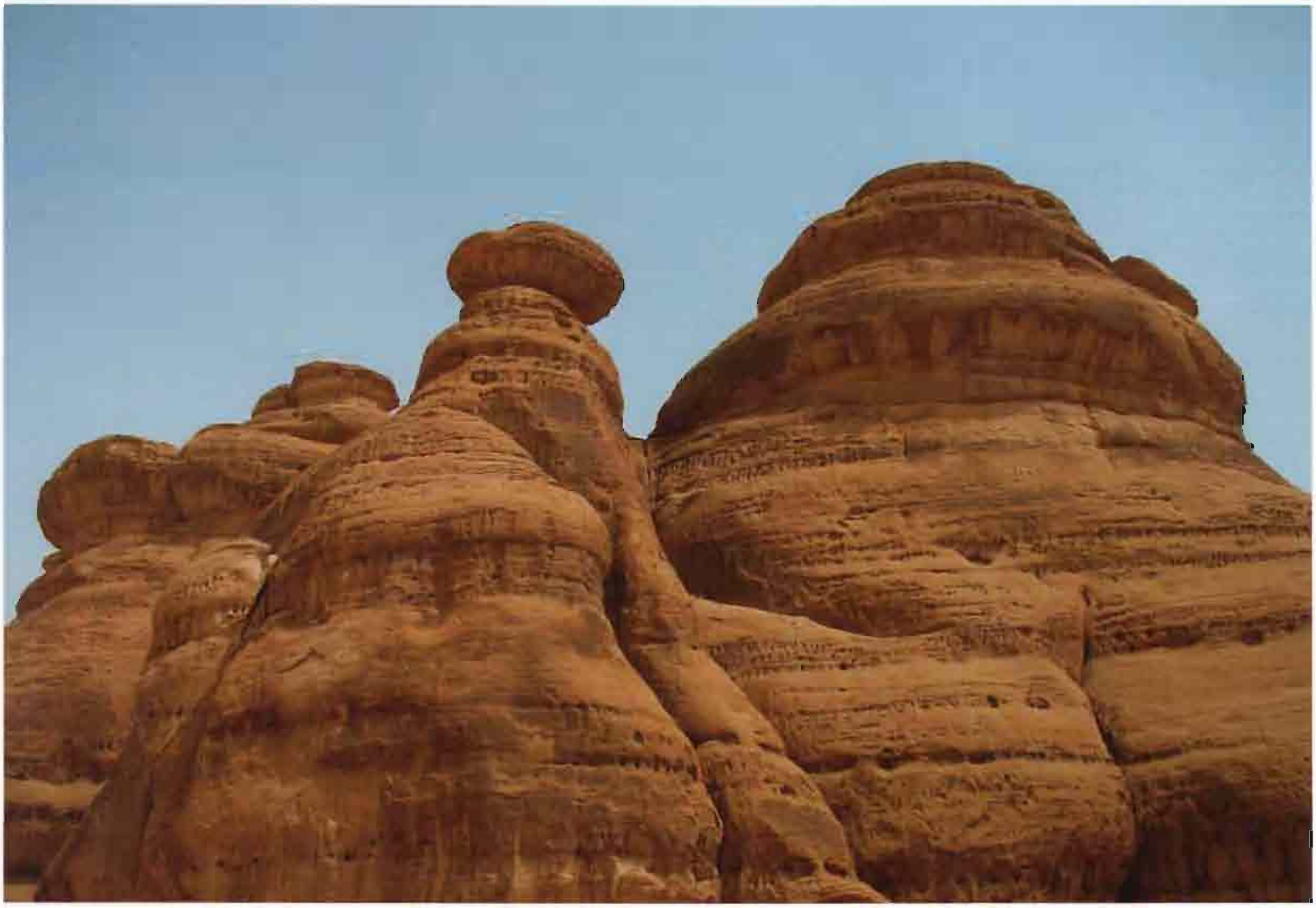
---

(١) النَّبات ٣٦ – ٣٧ .

(٢) النَّبات ٥ /١٩٧. وينظر : التعليقات والنوادر ٣ /١٠٦٧، والمخصص ١١ /١٤١، ١٤٤، والعمدة ١ /٢٥٠، وجامع ابن البيطار ١ /٤٣١، وفيه (الرثم) بالثاء، تصحيف، والعين ٨ /١١٨، وشمس العلوم ٤ /٢٤٠٢، والمغرب ١ /٣٢٠، والتكملة ٦ /٣٠، واللسان ٥ /١٣٣، والقاموس ١٤٣٥، والتاج ٨ /٣٠٣ (رتم) .

(٣) إصلاح المنطق ٥٨ . وينظر : صبح الأعشى ١ /٤٠٨ .







مدائن صالح _ شمال العلا

الرُّقَع



قال أبوحنيفة: ((الواحدة رُقَعَة، أخبرني أعرابيّ من أهل السَّراة قال : الرُّقَعَة شجرة عظيمة كالجَوْزَة، ساقها كساق الدُّلْبَة، ولها ورق كورق القَرْع أخضر فيه صهبة يسيرة، ولها ثمر أمثال التين العظام، كأنه صغار الرُّمان، لا ينبت في أضعاف الورق كما ينبت التين، ولكن من الخشب اليابس ينصدع عنه، وله معاليق وحمل كثير جدًا، يزبب منه أمر عظيم، تقطّر منه القطرات. قال: ولا نسميه جُمَّيزًا ولا تينًا ولكن رُقَعًا. قال: وساق الرُّقَعَة هشّة يقطعها الفأس بأهون السعي. قال: ونقطعها في الجدب فنعلف الماشية ورقها، قال: ورأيت منه بالشام شيئا، وللرُّقَعَة حَبٌّ كحَبِّ التين، وهي غليظة القشر، غير أنها حلوة طيّبة يأكلها الناس والماشية، وكثيراً ما تنبت مع العرعر في الجبال، فتراها تسامي العَرْعَر)) (١) .

الرُّقَع
Ficus vasta

الفصيلة التُّوتِيَّة - MORACEAE



قلت: الرُّقَعَة شجرة ضخمة معمرة، قليلة الانتشار، تنبت على قمم السراة وفراعها القريبة من الأشفية، وأكثر ما تنبت بين جلاميد الصخور من نوع الجرانيت خاصة، وكثيرا ما تنبت إلى جوار العرعر، كما رواه السَّرَوِيُّ، على علو ١٧٠٠ – ٢٠٠٠م .

ترتفع الرقعة نحو ١٠ – ٣٠م على جذع غاية في الضخامة، وتنتشر فروعها في الأفق على شكل مظلة كبيرة قد يزيد قطرها على ٥٠ مترا . وربما نمت بعض أغصانها الوسطى باتجاه طولي، وهي مأوى محبب لكثير من أنواع الطيور، وتتخذ الحداء، خاصة، من أغصانها العالية ملاذا تبني فيه أعشاشها الضخمة. وجذعها أَصفر أملس به نتوءات كثيرة وأخاديد عميقة، وهو يعظم جدًا، فربما وصل محيطه إلى نحو ٩م، وإذا جرح تدفق منه سائل أبيض كاللبن، فإذا جفّ اتخذوا منه علكا. ورأيت الناس في كثير من أقاليم اليمن يتعاهدون جذعها بالتهذيب والتشذيب فتسمو عاليا. أوراقها كبيرة شبه مستديرة، في حجم ورق القَرْع، كما رواه أبو حنيفة، ووجه الورقة أخضر ذو رواء، تتشعب فيه عروق صفراء، وأما ظهرها فأخضر إلى صهبة واضحة. وتظهر الثمار مرة أو مرتين في السنة، على شكل مجموعات ملتصقة برؤوس الأغصان الصغيرة، المعراة من الورق، وربما استتم الغصن نموه من بينها، فتظهر الثمار تحت الجزء المكسو بالأوراق، وتكون عند ظهورها خضراء مغبرة قاسية، يكسوها زغب أبيض خفيف، فإذا أينعت صار لونها أخضر يميل إلى الصفرة



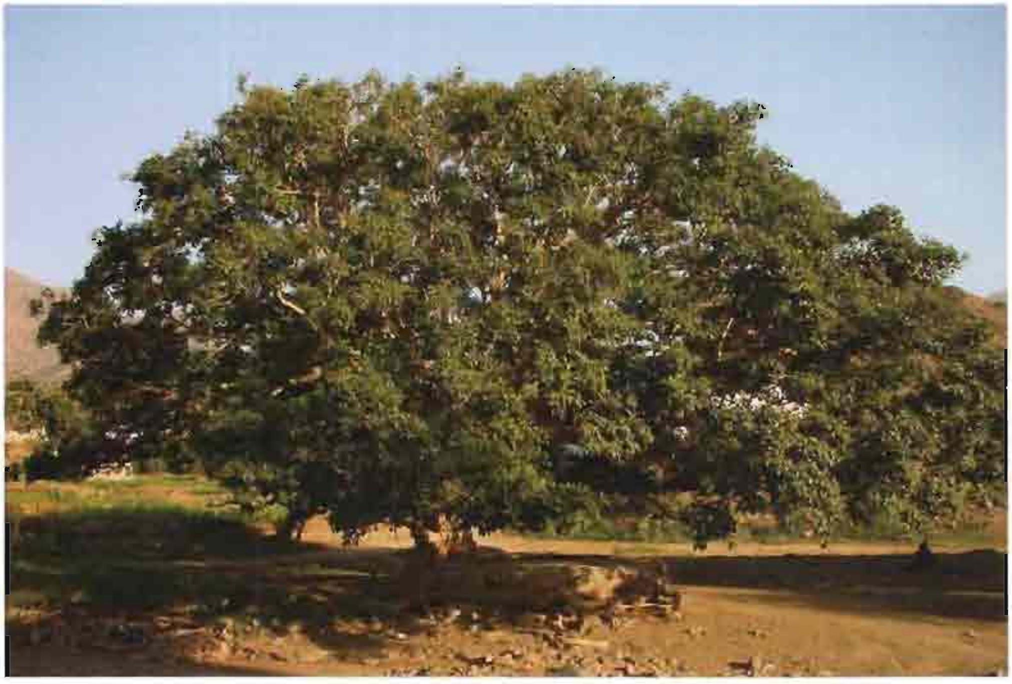
الرقعة (يسار) إلى جوار الجُميزة بوادي ذي عين

قليلاً، فيأكلها الناس، وفي داخلها بذور صغيرة تشبه بذور ثمر التين (الحَمَاط) وهي طرية حلوة المذاق، يأكلها الناس، وكثير من الطيور ولاسيما الخفافيش آكلة الفواكه. وتأكل الأغنام ما تساقط منها بنهم شديد. وما رواه أبو حنيفة عن السَّرويّ في وصف الثمر لا ينطبق على ثمر الرقعة، بل على ثمر الجميزة. وأما قوله : ((تقطر منه القطرات)) فربما أراد أنها تقطر عند التزبيب سائلا كالدِّبْس .

وتهبط الرقعة إلى الأغوار الدافئة الرطبة حتى ارتفاع ٩٠٠م لكنها لا تنبت في هذه المنخفضات إلا في منابت الجميزة؛ في بطون الأودية أو على ضفافها، ولا تراها أبدًا نابتة في السفوح البعيدة بطون الأودية، كما أنها لا تسمو في الأغوار المنخفضة سموها في قمم السَّراة، لكونها من نبات الأرض الباردة، وتراها في الأصدار وأسافل الجبال نابتة بجوار أختها الجميزة (الإبراية) فترى الأخيرة تفوقها، في الغالب، ضخامة وشموخًا واتساعًا. وقد تعلو وتتضخم في هذه المنابت المنخفضة إن وجدت عناية خاصة من الإنسان أو وجدت من الماء ما يكفيها، وقد رأيتها كذلك على ارتفاع ٦٠٠م في قرية قَنَا غرب



< مراحل نموها الأولى من خلال شق صخري



^ رقعة عملاقة على فوهة بئر بوادي قنا



رقعة بأعلى وادي مَرْوَس نابتة في جذع شجرة من العُتْم



رقعة بوادي لجب نابتة على سفح صخري شديد الانحدار



عروق هوائية متدلية

محائل بنحو ٣٠كم . رأيتها في وادٍ ضيق على فوهة بئر عميقة، وقد أرسلت جذورها إلى عمق الماء فتضخمت حتى بلغ محيط جذعها نحو ثمانية أمتار، الأمر الذي قل أن يُشاهد في المنابت الطبيعية للرقع . وشاهدتها في العُدين وجبال حجة بأعداد كبيرة وأطوال منيفة، شاهدتها في وادي شَرَس، على ارتفاع ١١٠٠م .

والرقعة لا تنبت في السهل من الأرض، لا تنبت إلا في الوعر بين شقوق الصخور في التربة اليسيرة التي تجتمع فيها، ثم تتسلل جذورها من بين الشقوق إلى باطن الأرض، فإذا عظمت ملأت تلك الشقوق، وتغشّت الصخور المجاورة لها، فتصبح كالجزء من الجذع، وتخترق، بحثا عن الماء، أعماق الأرض إلى مسافات بعيدة، قد تصل في امتدادها الأفقي إلى مئات الأمتار. وتسير جذورها تحت الأرض حتى إذا التقى جذر بآخر أو أكثر التحم به، فصارا جذرا واحدا، فيزداد قوة ومتانة، ويسير إلى مسافات أطول. وربما تدلى من أصول فروعها عروق هوائية صغيرة تنغرس في الأرض، وتعظم مع الزمن حتى تصبح ساقا آخر داعما للشجرة. وشاهدتها في وادي لجب نابتة في شق جرف صخري شديد الانحدار، وقد أرسلت جذورها الهوائية في استقامة كالحبال إلى بطن الوادي، لمسافة تزيد على ٣٠ م . وشاهدت نحو هذا المنظر



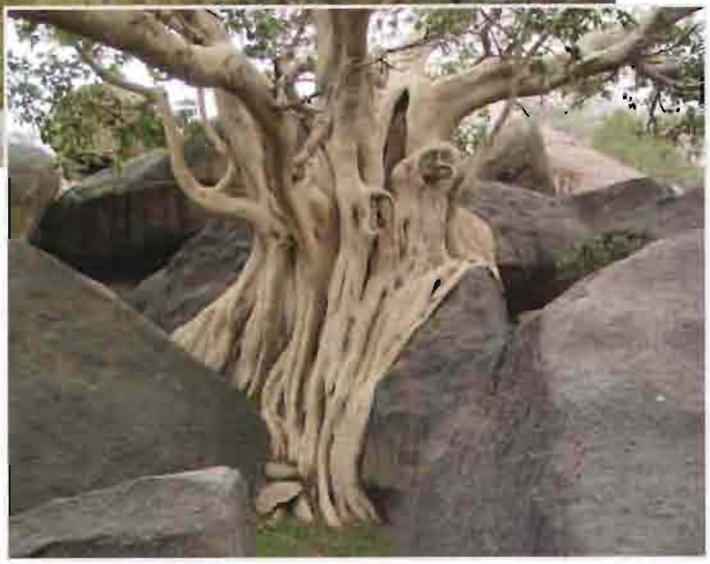


جذع الرقعة وقد غشي وجه الصخور من حوله

في جزيرة سقطرى . وفي أعلى وادي مَرُوْس من جبال الرَّيْث شاهدتها وقد نبتت في تجويف صغير بين أغصان شجرة معمرة من العُتُم، ثم تسللت جذورها من على جذع تلك الشجرة إلى باطن الأرض، في منظر عجيب بديع .

والرقعة ذات ظل وارف لا خصاص فيه، يستظل تحته المئات من الناس، وكان الناس من أهل السَّراة يقيمون تحت ظلالها الأسواق الكبيرة، ويعقدون الاتفاقات والأحلاف، ويفضّون المنازعات. وقد تقتلع من منبتها الطبيعي ليعاد زرعها في الأسواق، وفي ساحات المساجد، وبالقرب من المنازل، فتوفر للناس الظل الذي يحتاجونه، ورأيت كثيرا من أشجار الرقع الضخمة نابتة في بعض الأسواق القديمة وحول المساجد العتيقة، والمنازل المهجورة شاهدة على الماضي القريب الذي كانت فيه الرقعة ذات شأن كبير في حياة كثير من الناس .

وهذه الشجرة تعمر طويلاً، إذ يقدر الرجال المعمرون من أهل السَّراة حياة بعض أشجار الرقع بمئات السنين، توارثوا تقدير عمرها كابرا عن كابر، ومن ذلك رقعة سوق الأحد في بني كبير، ورقعة سوق السبت في بلجرشي، ورقعة قُرى العَسَلة والمَرْبَاة وحزنة. وسمعتهم يقدرون عمر هذه الأخيرة بنحو خمسمئة عام، وكانت موقوفة على الفقراء من نحو مئة سنة مضت؛ وإلى زمن ليس بالبعيد كانوا يتسابقون إليها جُهْمة أو عشياً، من قرى نائية، لعلهم يجدون من ثمارها ما يمسكون به رمقهم حتى الفَرَج. وعلى هذه الرقعة شاهدت سربا من الحمام الأخضر المهاجر ذي البطن الأصفر، يتغذى على ثمارها اليانعة؛ يتقوّى بها في طريق هجرته. وفي وادي ظَهْر شمال صنعاء شاهدت رقعة معمرة ضخمة يُقدرون عمرها بأكثر من





< رقعة وادي قنا

سبعمئة عام .

وكان الرعاة في فصل الشتاء يجمعون ما تساقط من أوراقها وثمارها فيعلفونها أبقارهم وأغنامهم، حيث تحبس في مراحها أياما ليس في إمكانهم إخراجها للمرعى، بسبب استمرار هطول الأمطار، وكثافة الضباب الذي يسميه أهل السَّراة (الرَّابِضَة أو الداجي)، ويعبرون عن تلك الأيام بـ (السَّابر أو السَّبْر) وكل ذلك تعبير فصيح .

وخشبها كالحماط لا يصلح للوقود، يهمد سريعا، وينبعث منه دخان أسود كثيف، إلا أنهم كانوا يستغلون ذلك الدخان لطرد الحشرات المؤذية من مراح البهائم . وقد يصنعون من سوقها خلايا للنحل، وصحافا كبيرة واسعة، لكن ذلك قليل؛ لأنها لا تدوم طويلاً، ويستعيضون عنها، بل يؤثرون عليها، الصحاف المصنوعة من شجر الغَرَب المعروف .

والرقعة كالجميزة إذا ناهزت الهرم تجوَّف من النَّخر جذعها، وأصبحت مأوى لأنواع من الثعابين، والحشرات، ومنها النمل الأسود المعروف في السَّراة بـ (الشَّقَح) وهو صغير الحجم، لكنه سرعان ما يلوث بمتسلق الرقعة بأعداد كبيرة، يحامي عن مسكنه بقرصاته المؤلمة، وربما كان يحامي عن الرقعة نفسها، في معيشة تكافلية، توفر له المسكن، وهو يوفر لها الحماية .

وينطقها أهل السَّراة اليوم (الرُّقَّعَة) بتضعيف القاف وفتحها . وسمعت رجلا من بالخزمر من زهران ينطقها (الرُّقَّاعَة) بزيادة الألف بعد القاف . وأكثر سراة الحَجْر يسمونها (التَّالَقَة) وسمعت أهل وادي الغَيْل من أصدار بني عمرو يسمونها الرُّقَّعَة، كسائر أهل السَّراة . وهي (التَّالَقَة) كذلك، في جبال فيفا، وجبال باجل اليمنية، وأهلها من حَرَاز . وأهل جبال العبادل والقَهْر ومُنْجِد وسَلا، وجبال حجة وحيدان باليمن ينطقونها (التَّالُوْقة)، وكذلك سمعتها في تهامة هذيل وسراة بني سفيان من ثقيف . وسمعت أهل وادي ظَهْر شمال صنعاء ينطقونها (الطَّالُوْقة) بقلب التاء طاء . وهم يفخمون التاء في سائر كلامهم حتى تنقلب طاء . وهي (التَّوْلَقَة) في جبال تعز وجبال البيضاء جنوب شرق اليمن، وفي العُدَين (الطَّوْلَق) بقلب التاء طاء . وفي جبال ظفار يسمون الشجرة نفسها (طِيْق) وثمرها (أحْفُور) . وفي جزيرة سقطرى يسمونها (طِق) وأراه من الطَّوْلَق، ثم حذفوا الواو واللام اختصارا . وورق الرقع في هذه الجزيرة صغير حجمه، مقارنة برقع السَّراة .





ثمار الرقعة تحيط برؤوس الأغصان في كثافة عالية

وأما الرُّقَّعَة في اليمن وجبال العبادل وفيفا شرق منطقة جازان، فلفظ يطلقونه على شجرة أخرى، جميلة معمرة وارفة الظلال، وهي التي تسمى في جبال الريث (الوَصَف) وهي نوع نادر من الفصيلة الملزيّة (*Trichilia emetica*) ترتفع نحو ٩ – ١٥م . ولها أوراق شبه بيضاوية تشبه أوراق الجوافة، وثمارها في حجم ثمر شجرة الرقع، إلا أنها محاطة بغلاف صلب ينفطر عن ثلاثة فصوص قاسية، تشبه فصوص الثوم حجما وهيئة، لونها أحمر أو برتقالي مصفر، مع سواد على ظهرها شبه مستدير . ولها طعم شبيه بطعم ثمار (القورو) أكلها يسبب الغثيان وربما القيء، وتعلف أوراقها وثمارها للبقر . وهذه الشجرة نادرة قليلة الانتشار، وأخبرني دليلي الفيفي بأنها في تناقص من جبالهم مستمر .





● الرُّقَّع في اليمن وجنوب المملكة _ *Trichilia emetica*

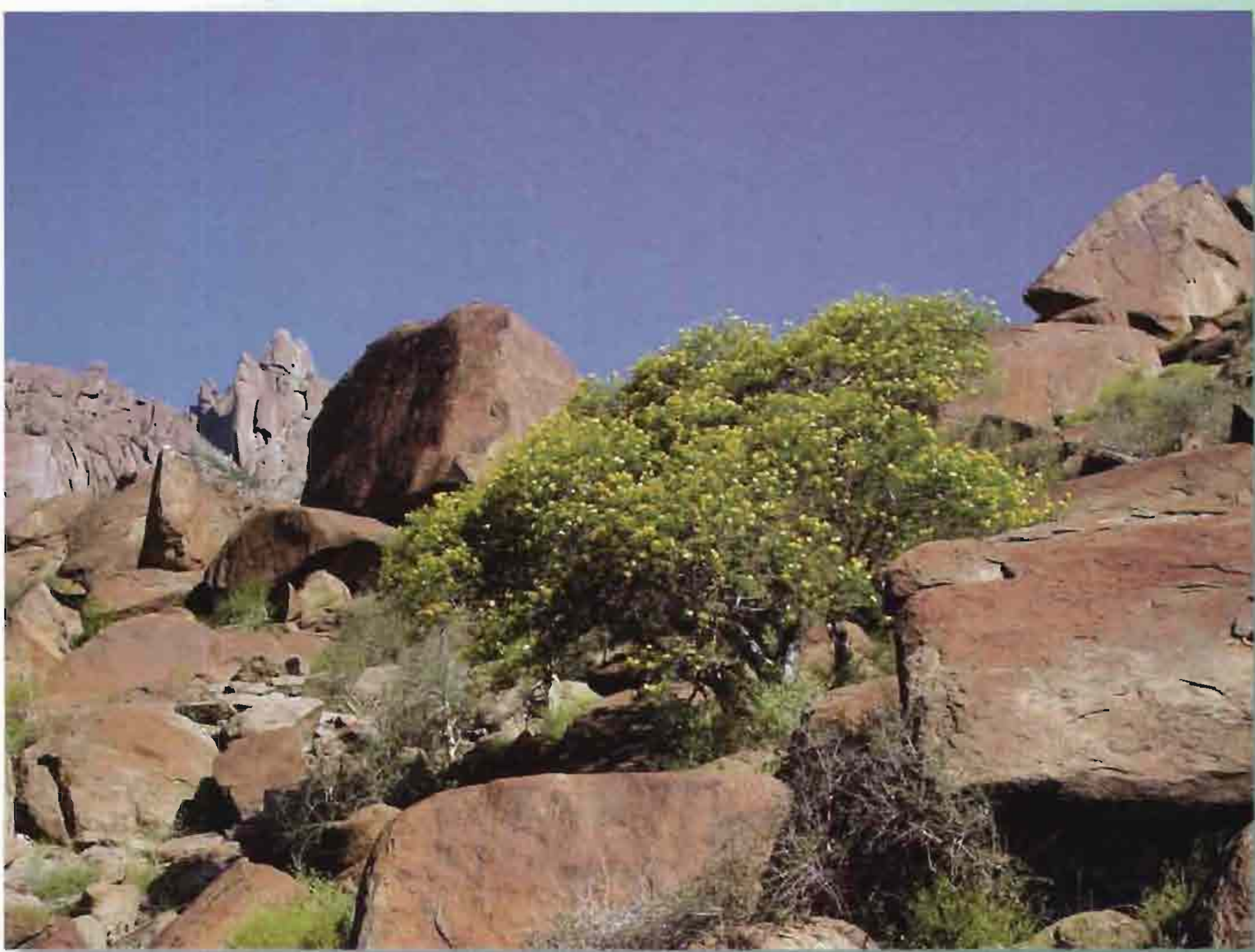
(١) النَّبات ٥ / ١٩٨ . وينظر : العمدة ١ / ٢٦٢، والتكملة ٤ / ٢٦٣، واللسان٥ / ٢٨٦، والقاموس٩٣٣، والتاج ٥ / ٣٦٠ (رقع) .





جذع الرقعة (يمين) بجوار جذع الجميزه على نبع وادي ذي عين

الرَّنْفُ



قال عَرَّام السُّلَميُّ في تعريفه لجبلي رَضْوَى وعَزْوَر: ((وهما جبلان شاهقان منيعان، لا يرومهما أحد، نابتهما الشَّوْحَط والقَرَظ والرَّنْف، وهو شجر يشبه الضَّهْياء)) (١).

وذكره الأصمعي في نبات جبال السَّراة، فقال : ((وهو بَهْرامَج البر)) (٢) وقلّده أبو عبيد فذكره في باب أشجار الجبال، وقال : ((لا أدري ما بَهْرامَج البر، وأظنها فارسيّة)) (٣) .

وقال أبو حنيفة : ((قال أبو نصر: الرَّنْف بَهْرامَج البر، وقال غيره: الرَّنْف من شجر الجبال، وفي مقتل تأبط شراً أن الذي رماه لاذ منه برَنْفَة، فلم يزل تأبط يجذمها بالسيف حتى وصل إليه فقتله، ثم مات من رميته. وفي أن الرَّنْف من شجر الجبال قال أوس في صفة القوس :

تعلَّمَها في غيْلها وهي حَظْوَةٌ بواد به نَبْعٌ طوالٌ وحثْيَلُ
وبانٌ وظيَّانٌ ورَنْفٌ وشَوْحَطٌ أَلَفٌ أثيثٌ ناعِـمٌ متغيِّـلُ

وهذه كلها من أشجار الجبال. وأخبرني أعرابي من أهل السَّراة قال : الرَّنْف هو هذا الشجر الذي يقال له الخِلاف البَلْخيّ هو بعينه. وقال الأصمعيُّ: هو البَهْرَامج البريّ، وهو من شجر الجبال. والبهرامج فارسيّ، وهو الخِلاف البَلْخَيّ ... والرَّنْف مما ينضم ورقه إلى قضبانه إذا جاء الليل، وينتشر بالنهار)) (٤). وقال مرّة : ((البَهْرَامَج فارسيّ، وهو الرَّنْف، وهو ضربان، ضرب منه مشرّبٌ شَعْرُ نَورِه حُمرةً، ومنه أخضر هيادب النَّوْر... وكلا النوعين طيب الرائحة)) (٥) .

الرَّنْف
Delonix elata

LEGUMINOSAE - الفصيلة السِّنْفيَّة

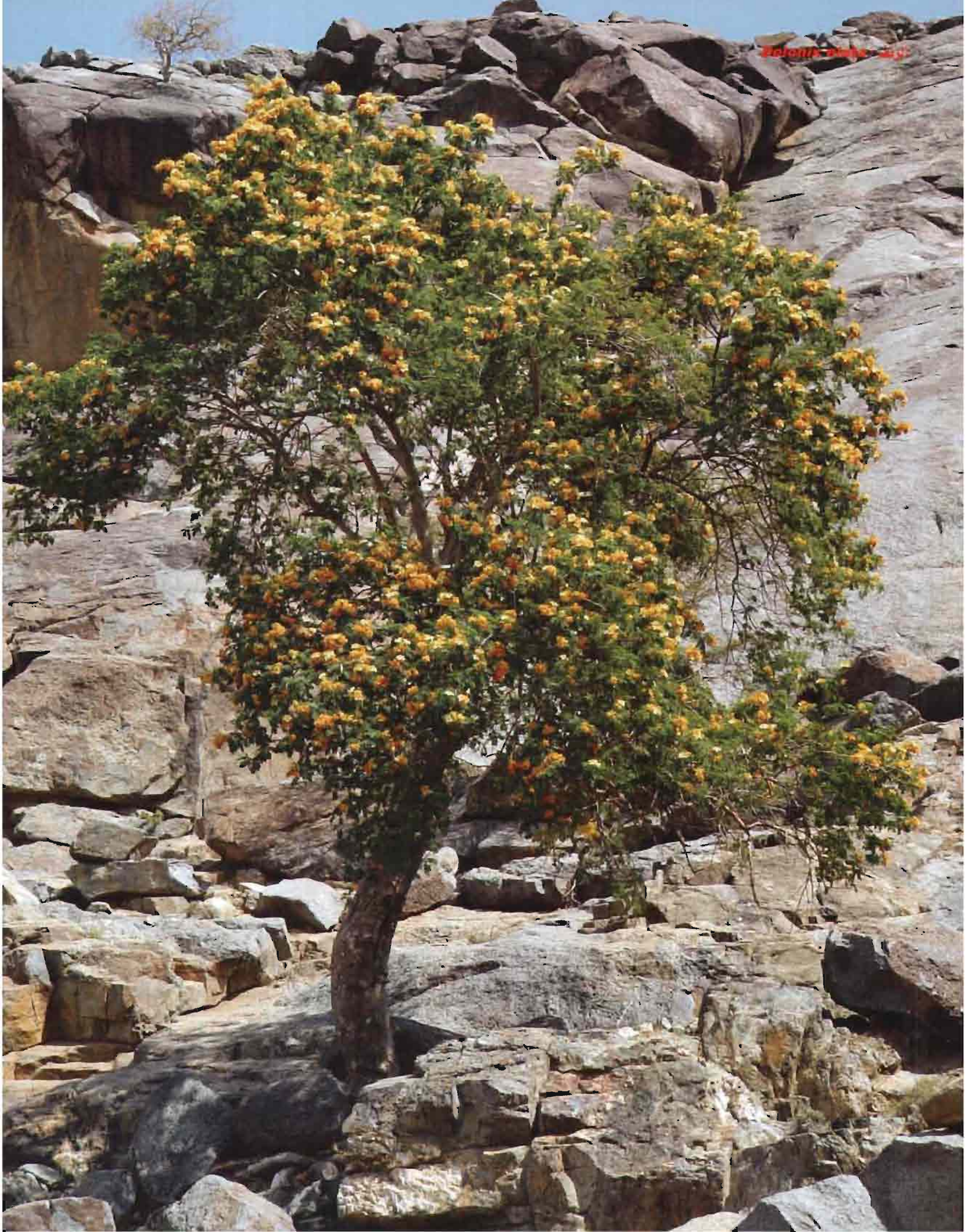


قلت: الرَّنْف والمفرد رَنْفَة، شجرة جميلة وارفة الظلال، قليلة الانتشار، تنبت على ضفاف الأودية أو بالقرب منها، على ارتفاع ٤٠٠ – ٩٠٠م .

ترتفع الرنفة نحو ٥ – ٩ أمتار، على ساق أملس مغبر اللون إلى بياض قليل، أو بني، وهو رديء ضعيف لا يصلح للبناء، ولا للوقود. وقد يظهر بأسفله عَجَارم كتلك التي تظهر على السرَّاء والقَفَل. أوراقها ريشية مركبة تشبه ورق الحُمُر، وربما أشبهت، كما ذكر عرام، ورق الضهياء إذا أورقت هذه الأخيرة في موسم مطير ومكان خصيب. وكما ذكر أبو حنيفة، فقد شاهدت ورقها ينطوي على نفسه ليلا وينتشر نهارا . أزهارها جميلة كثيفة، تظهر في مجموعات على رؤوس الأغصان، تكون قبل أن تتفتح في أكمام خضراء بيضاوية في حجم الأنملة، ثم تنفتح عن خمسة تويجات، أربعة منها بيضاء والخامس أصفر صغير ملتف أسفله، منفتح أعلاه، كالقمع، وتصبح جميعاً صفراء باهتة تدوم طويلا قبل أن تذبل، ولهذه الأزهار خيوط (مآبر) بارزة بوضوح إلى الخارج. والأزهار ذات منظر بهيج، ورائحة طيبة فوّاحة، لا تظهر، في الغالب، إلا بعد موسم مطير. وقد تقع النحلة على قمع الزهرة فينكمش عليها حتى تهلك، أو تتخلص بصعوبة بالغة . ذكر ذلك بعض رعاة النحل . أما الثمار فهي سُنْفية مسطحة مستطيلة، تشبه عند ظهورها ثمر الأَرْكُوْض (*Anagyris foetida*) عند ظهوره، وهو أحد أنواع هذه الفصيلة في جبال السَّراة . رأسها مدبب ينتهي بخيط معكوف، يبلغ طول الثمرة الواحدة نحو ١٠سم وعرضها نحو ١,٥ سم، تظهر مخضرة اللون ثم تتحول إلى اللون البُني الباهت، وتنفلق عن بذور لونها بني فاتح مشوب بالبُنيّ الغامق، والإبل حريصة على أكلها، وقد يأكلها الناس، وهي لا تزال خضراء طرية، وفيها حموضة محببة إلى النساء الحوامل .






Delonix elata





وقد رأيت الرَّنْف في معظم أغوار جبال السَّراة، ورأيته بأعداد كبيرة وأحجام ضخمة في أودية صخرية قديمة عالية الخصوبة في الطريق إلى الخُوْبة، من ديار الحُرَّث شرق جازان . وفي جبال الحجاز رأيته بأعداد قليلة على ضفاف وادي ظلامة من أودية جبل قدس، وبعض الأودية الصغيرة شرق جبل ورقان، ورأيته بأعداد أكبر في شعاب الصويعدة إلى الجنوب الغربي من ورقان . ثم رأيته على سفوح جبال آرة المفضية سيولها إلى خَلْص آرة (السدَّة) رأيته بأعداد كبيرة جدا في مراحل عمرية مختلفة، على شطآن الأودية، وبعيدا عنها في السفوح وظهور الجبال. ولم أره بهذه الكثافة في منطقة أخرى . وأخبرت بأنه ينبت بكثافة في جبل الرَّنْف أحد جبال رضوى من ديار جهينة، من جهته الجنوبية الشرقية، وبه سُمي الجبل . وهو كذلك من نبات جبل شمنصير من ديار بني سُليم .

وأهل تلك الجبال جميعًا يسمونه الرَّنْف، بفتح الفاء، كما ضبطته معاجم اللغة، وكذلك سمعته بأسافل جبال الحَيْمَة اليمنية . وسمعت رجلا من أهل قلْوَة من تهامة زهران، ينطقها (الرُّنْفَة) بضم الراء، ولم أسمعها من غيره . ورأيت هذه الشجرة في تهائم هذيل، فبعض أهل هذه الديار سماها الرَّنْفَ، وآخرون يسمونها (شجرة الجنة) كأنهم لحسن منظرها شبهوها بأشجار الجنة. وفي جبال الريث من خولان يسمونها (الرَّفَّة) أبدلوا من النون فاء وأدغموا الفاء في الفاء . وهي واسعة الانتشار في جبال ظفار القريبة من صلالة جنوب عمان، وأهل هذه الجبال يسمونها (إِيْرِيْر) . وفي مدينة صلالة رأيتها مزروعة في الحدائق والشّوارع للزينة والظل . ومعظم نباتات الحدائق العامة في عُمان هي من النباتات المحلية المتأصلة .

وفي صدر قرية حزنة من أغوار جبال السَّراة، واد يعرف بـ (وادي الرَّنْفَة)، من روافد وادي داراء، ثم الأحسبة .

ومن الرنف نوع آخر (*D. regia*) وهو من أشهر أشجار الزينة والظل، وهذا النوع ليس من نبات الجزيرة العربية، ولكن مجلوب إليها من جزيرة مدغشقر جنوب شرق قارة إفريقيا. أزهاره جميلة كثيفة ناصعة الحمرة. ومن أسمائه الدارجة على ألسنة العوام (ذقن الباشا) أو (البنسيانه) لا يكادون يعرفون أنه الرَّنْف في العربية .

---

(١) أسماء جبال تهامة ٣٩٦،٣٩٧. (٢) النَّبات ٣٦ . (٣) الغريب المصنف ١ / ٤١٩ .

(٤) النَّبات٥ / ١٨٤ـ١٨٥ . وينظر : ديوان أوس بن حجر ٩٤.

(٥) النَّبات ٥ / ٦٠ . وينظر : ديوان اللزوميات ١٦٦ ، وأدب الكاتب ٩٨، والمنتخب ١ / ٢٥٠، ٢ / ٤٦١، ومبادئ اللغة ١٩٠، والمخصص ١١ / ١٤٣، والعمدة ١ / ٢٦٠، وتهذيب اللغة ١٥ / ٢٠٨، والصحاح ٤ / ١٣٦٧، والعباب (حرف الفاء) ٢٢٩، والتكملة٤ / ٤٨١، واللسان ٥ / ٣٣٢، والقاموس ١٠٥٣، والتاج ٦ / ١٢٢(رنف) .



منابت الرنف على سفوح جبل آرة (هضبة أم العيال) جنوب غرب المدينة المنورة



الزُّعْرُور



قال الخليل : ((الزُّعْرُور: شجر، الواحدة بالهاء، تكون حمراء ثمرتها، وربما كانت صفراء، نواتها كنواة النَّبق في الصَّلابة والاستدارة إلا أنها مطبقة تكون اثنتين في ثمرة واحدة، ونواة النَّبِق واحدة أبدا)) (١) .

وقال أبو حنيفة: ((واحدته زُعْرُورة، وهو ضربان: أصفر وأحمر، والأصفر أعظم، وهو من شجر الجبال)) (٢) .

الزُّعْرُور

Cotoneaster nummularia

الفصيلة الورديَّة - ROSACEAE

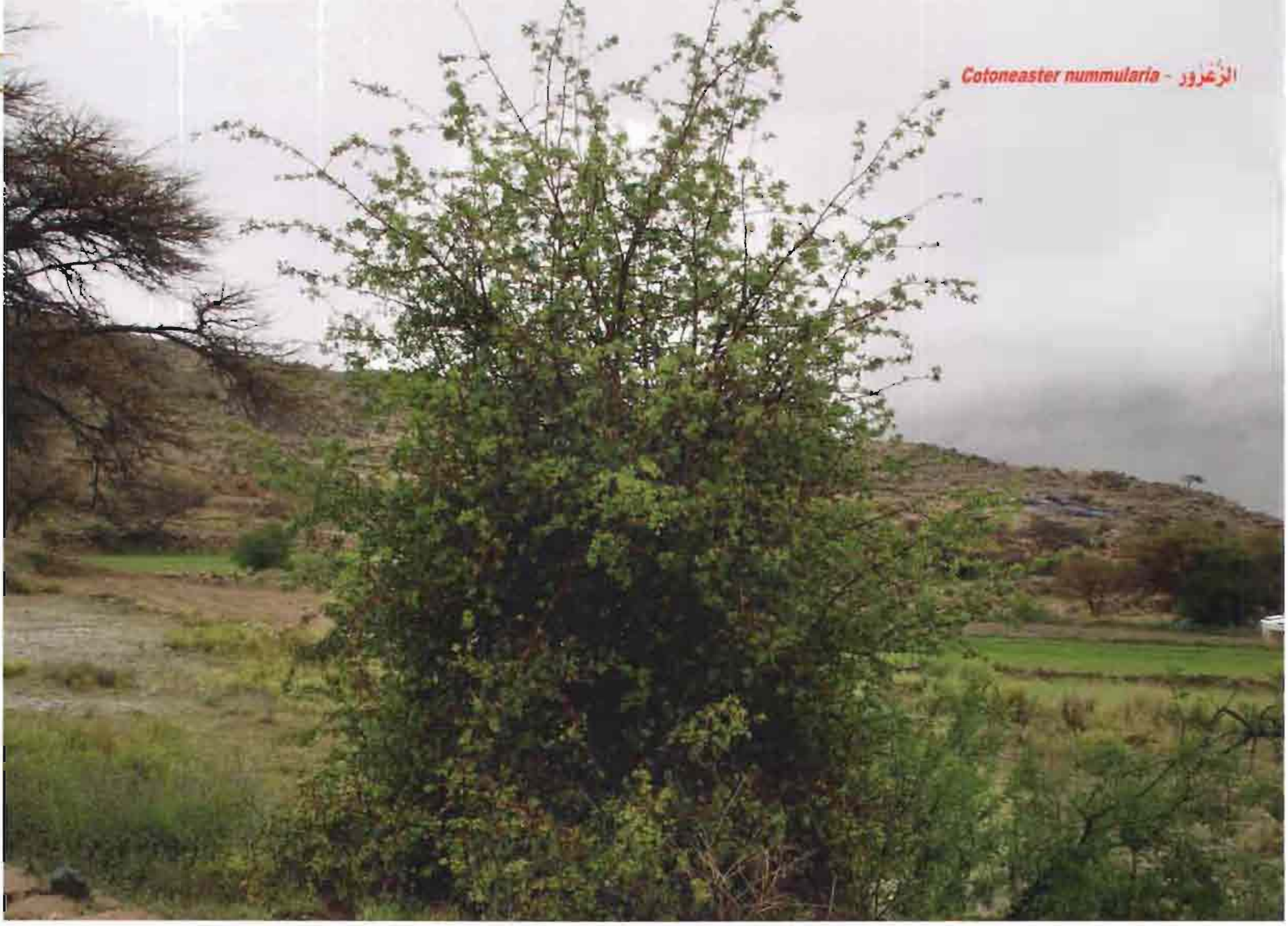




قلت: الزُّعْرور، شجيرة نادرة، من نبات جبال السَّراة، وشمال جبال الحجاز، وهي نوعان:

النوع الأول (*C. nummularia*) : شجيرة ترتفع نحو ٢ – ٣م . وتنبت أغصانا كثيرة من أصل واحد. أوراقها بيضاوية أو شبه مستديرة، تنحت شتاء، وتظهر مع الأزهار أوائل الربيع، وأزهارها بيضاء كثيفة، تخرج في مجموعات، تشبه أزهار الكَرَز . وتظهر الثمار بلون أخضر، تنضج في منتصف فصل الصيف، وعند نضجها تصير إلى الأرجواني الغامق. وتحتوي الثمرة على بذرتين صلبتين، كما ذكر الخليل، رحمه الله .

رأيت هذا النوع في بطون الشعاب جنوب جبل اللوز بالقرب من غار موسى. وتسمى في هذا الجبل وسائر جبال مدين الزَّعْرُور، بفتح الأول. ثم رأيتها بوفرة في شعاف بني عمرو، وسفوح جبل إبراهيم وفراعه العالية من ديار بجيلة (بني مالك) ورأيتها بأعداد أوفر قريبا من مسجد إبراهيم بن أدهم وحول بِرْكَته، على ارتفاع ٢٥٥٠م. وأهل هذا الجبل لا يسمونها الزَّعْرُور، ولكن (نَبْع الجبل) نطقوه مضافا إلى الجبل، ويعنون به جبل إبراهيم، لتمييزه



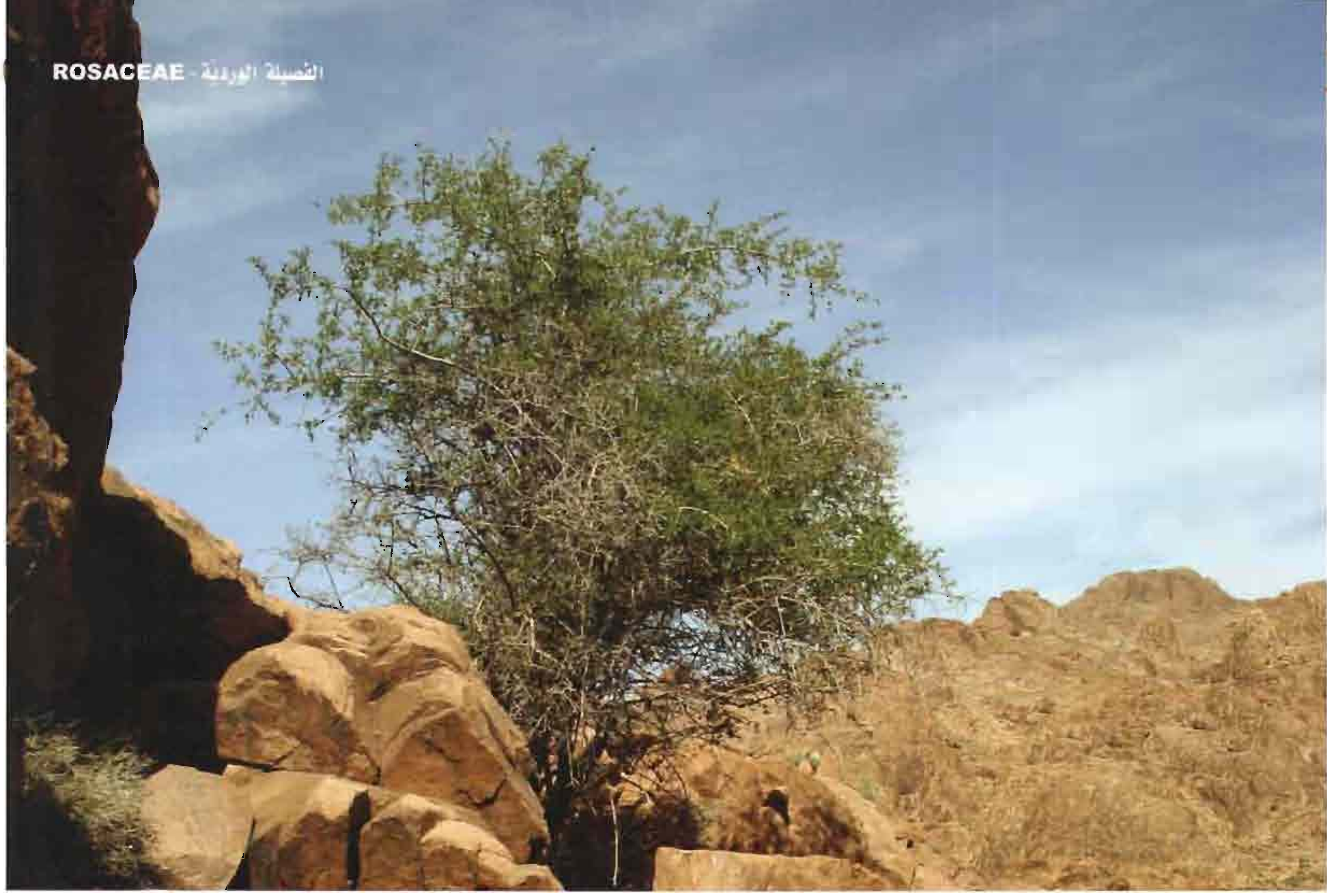
● الزعرور ٢، قَرَى النَّوء _ Crataegus sinaica





عن النَّبْع (*Grewia tenax*) الذي ينبت في التهائم والأصدار، والذي ينتمي إلى الفصيلة الزيزفونية. وهي حقًا تشبه النَّبْع في الحجم وطريقة النمو والتفرع، وكذلك في هيئة الأوراق والثمار، ولأجل هذا سموها النَّبْع. ورأيت أهل ذلك الجبل يتخذون من أغصانها الصغيرة المساويك الجيدة. وتؤكل ثمارها في جبال مدين، وهنا يتأخر نضجها إلى نهاية فصل الصيف وأوائل الخريف. ويتخذون من أعوادها العصي والهراوى، وهي، كعود النبع، قوية مرنة.

والنوع الثاني (*Crataegus sinaica*) : رأيته في شعاف بني شهر وبني عمرو، على ارتفاع ٢٣٠٠ – ٢٥٠٠م . وأهل تلك الديار يسمونه (قَرَى النَّوء) ولم أعرف علة واضحة لهذه التسمية، وسمعت بعضهم يطلقها، أيضًا، على النوع السابق. يرتفع هذا النوع نحو ٢ – ٣م . وهو يشبه النوع السابق في نظامه الزهري والثمري، إلا أن ثماره أكبر قليلا من ثماره، والأوراق ذات قاعدة ضيقة، وقمة عريضة، وتنقسم، القمة، في الغالب، إلى نحو ثلاثة فصوص. ولأغصانه نهايات حادة تشبه الشوك، فيتخذ منه أهل تلك الأشعاف سياجات لمزروعاتهم، وحظائر أنعامهم، وهي مرعى. وهذا النوع واسع الانتشار في بلاد الشام، ويسمونه أيضا، الزَّعْرُور، أو الزَّعْرُور الشائك. وله في طب الأعشاب استعمالات مهمة لأمراض القلب وغيرها(٣).



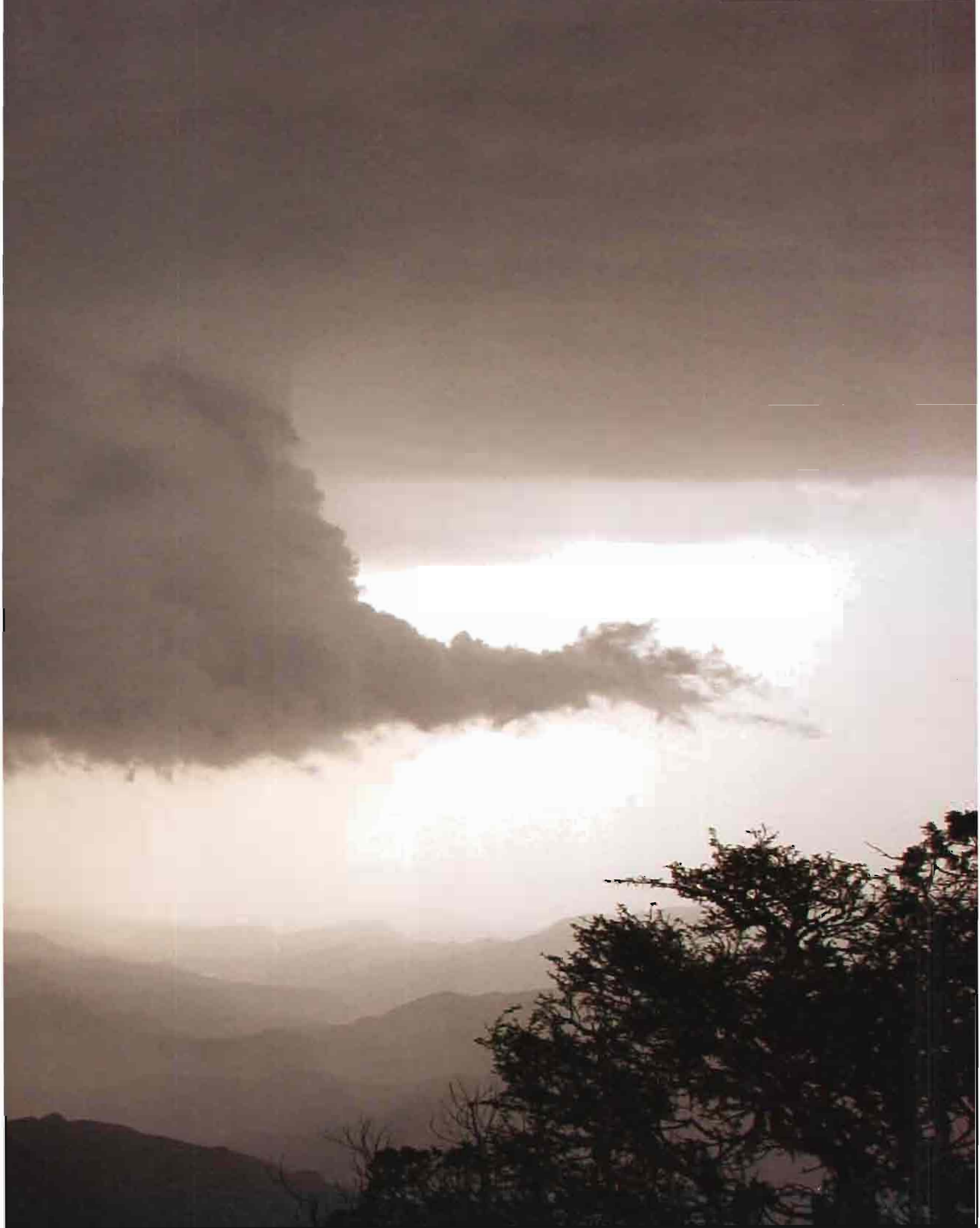


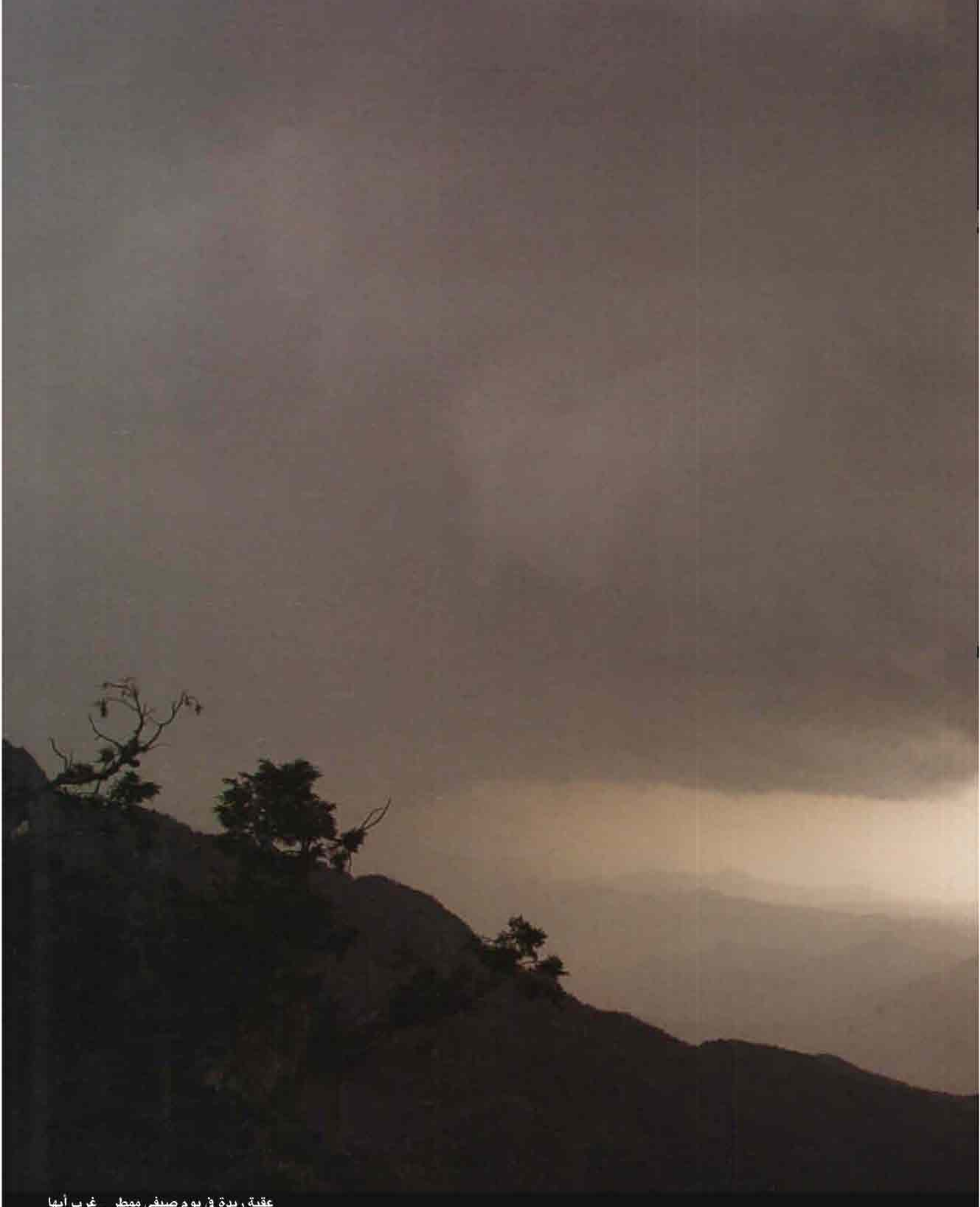


• اللوز البري _ *Prunus korshinskyi*

وفي جبال مدين شاهدت إلى جوار الزُّعْرُور نوعًا آخر من الفصيلة الوردية، هو اللَّوْز البري (*Prunus korshinskyi*) يرتفع هذا نحو ٣ — ٥ م . وهو يشبه اللوز المزروع في نظامه الزهري والثمري، ولكن ثماره أصغر من ثماره، وطعمها مُرٌّ. شاهدته بوفرة في جبل اللوز، وهو أكثر نباتات هذا الجبل وأصبرها على الجفاف، فصار علمًا عليه. وأكثر منابته بطون الشعاب .

(١) العين ١ / ٣٥٣ .
(٢) النَّبات ٥ / ٢٠٥. وينظر: المخصص ١١ / ١٣٨، ١٤٥، واتفاق المباني وافتراق المعاني ١٨٧، والتهذيب، ٢ / ١٣٣، والتكملة ٣ / ٩، واللسان ٦ / ٤٤، والتاج ٣ / ٢٣٧ (زعر) .
(٣) ينظر: التداوي بالأعشاب والنَّباتات الطبية ٨٦، وموسوعة النَّباتات الطبية ١ / ٧٥ ، ومعجم الأعشاب والنَّباتات الطبية ١٧٥ .





عقبة ريدة في يوم صيفي ممطر _ غرب أبها



الزَّقُّوم

قال أبو حنيفة : ((أخبرني أعرابيٌّ من أزد السَّراة قال: الزَّقُّوْم شُجيرة غبراء صغيرة الورق مدوّرتها، لا شوك لها، ذَفِرَة مُرَّة، لها كعابر في سوقها كثيرة، ولها وُرَيد ضعيف جداً يجرسها النَّحل، ونَوْرتها بيضاء، ويستعرض أصلها ويستأرض، ورأس ورقها قبيح جداً، وهو مرعى، ومنابتها السَّهْل)) (١) .

الزَّقُّوْم
Marrubium vulgare

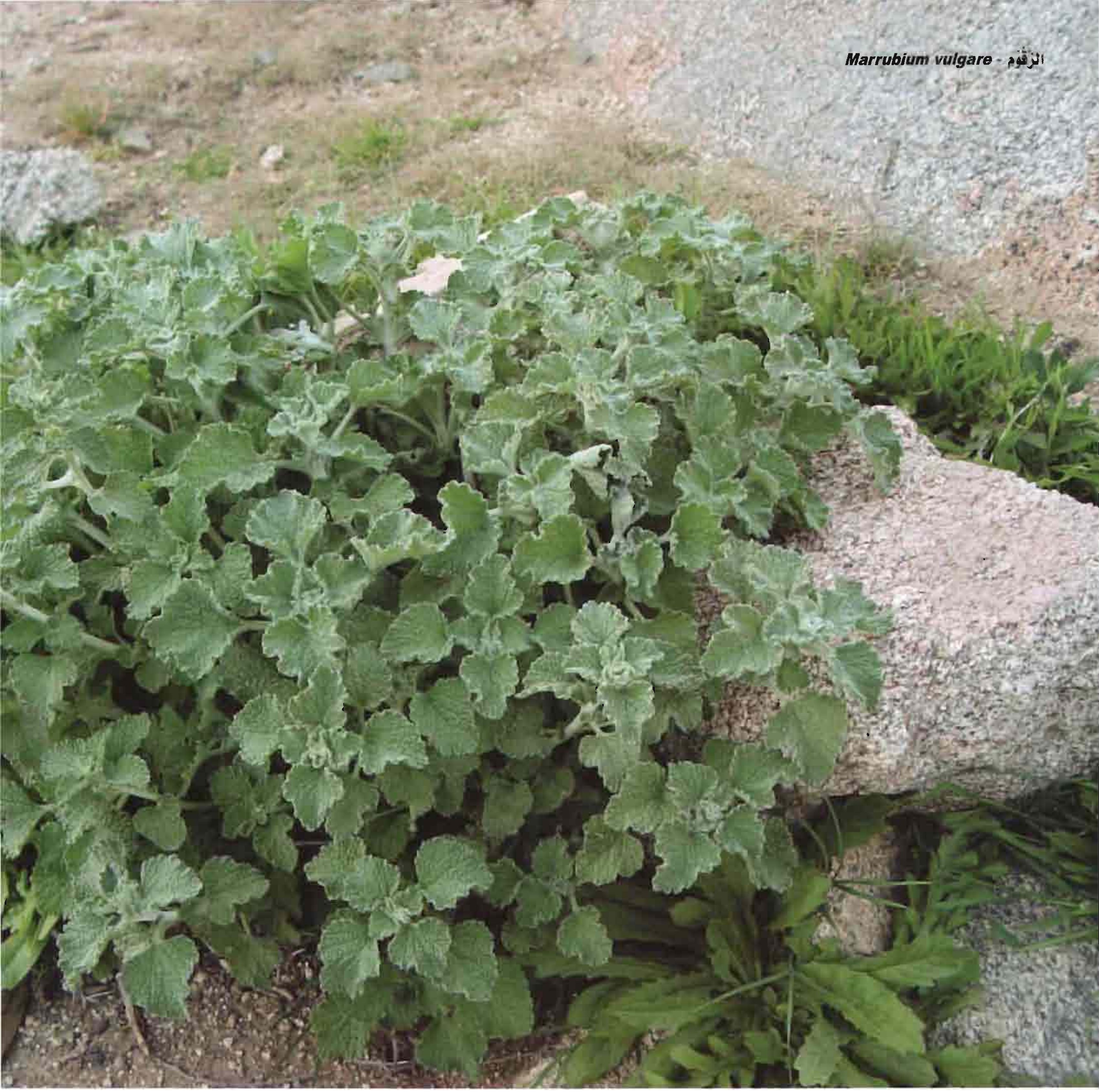
الفصيلة الشَّفويَّة - LABIATAE



قلت: الزَّقُّوْم شُجيرة معمرة، واسعة الانتشار، تنبت على جوانب الطرق، وحوائط المنازل، وفي الحقول الزراعية المهملة، وربما نبتت في الحداب والأسناد بين الصخور الصغيرة، وبالقرب من جذوع أشجار العرعر والطلح، على ارتفاع ١٨٠٠ – ٢٠٠٠ م .

للزَّقُّوم سيقان كثيرة تصعد من جذمور واحد بارتفاع ٣٠ – ٧٠ سم، والساق أخضر مربع منتصب قليل التفرع، يكسوه زغب أبيض خفيف، والأوراق بيضاوية أو شبه دائرية، مسننة الأطراف، غبراء مجعّدة، تزداد غبرة إلى بياض في فصل الصيف أو الجفاف . والأزهار بيضاء تخرج من آباط الأوراق من أكمام دائرية ملتفة على الساق، يعقبها ثمار لها أسنان معكوفة تعلق، إذا يبست، بثياب الناس وأصواف أغنامهم، مما يتيح لها الانتشار إلى مساحات واسعة .

والزَّقُّوْم مرارته شديدة ورائحته كريهة، إذا اختلط بحطب طُبخ به الطعام، لم يكد أحد يأكله من شدة المرارة التي تنتقل إليه من دخان الزقوم. وكانوا يعالجون بذلك الدخان التهاب الأذن الشديد، أو الصمم الناتج عنه،



فتطيب سريعاً، بإذن الله تعالى .

وأما قول السَّرويّ إنه مرعى، فإني لم أشاهد حيوانًا يرعاه قط، وأخبرني أحد الرعاة من بني ظبيان أن أغنامهم قد ترعى الزقوم في أزمنة المحل الشديد، فيمر من ذلك لحومها وكروشها وأمعاؤها، حتى حليبها يصير شديد المرارة . وأما النحل، فإني رأيته يقع على حَنُّوْنه فيجني منه عسلا حلو المذاق لا مرارة فيه . وهذا النَّبات، برغم مرارته الشديدة، يعد من النَّباتات ذات الفوائد الطبية المتعددة، وهو المعروف في طب الأعشاب المعاصر باسم (الفَرَاسيون الأبيض) (٢) .

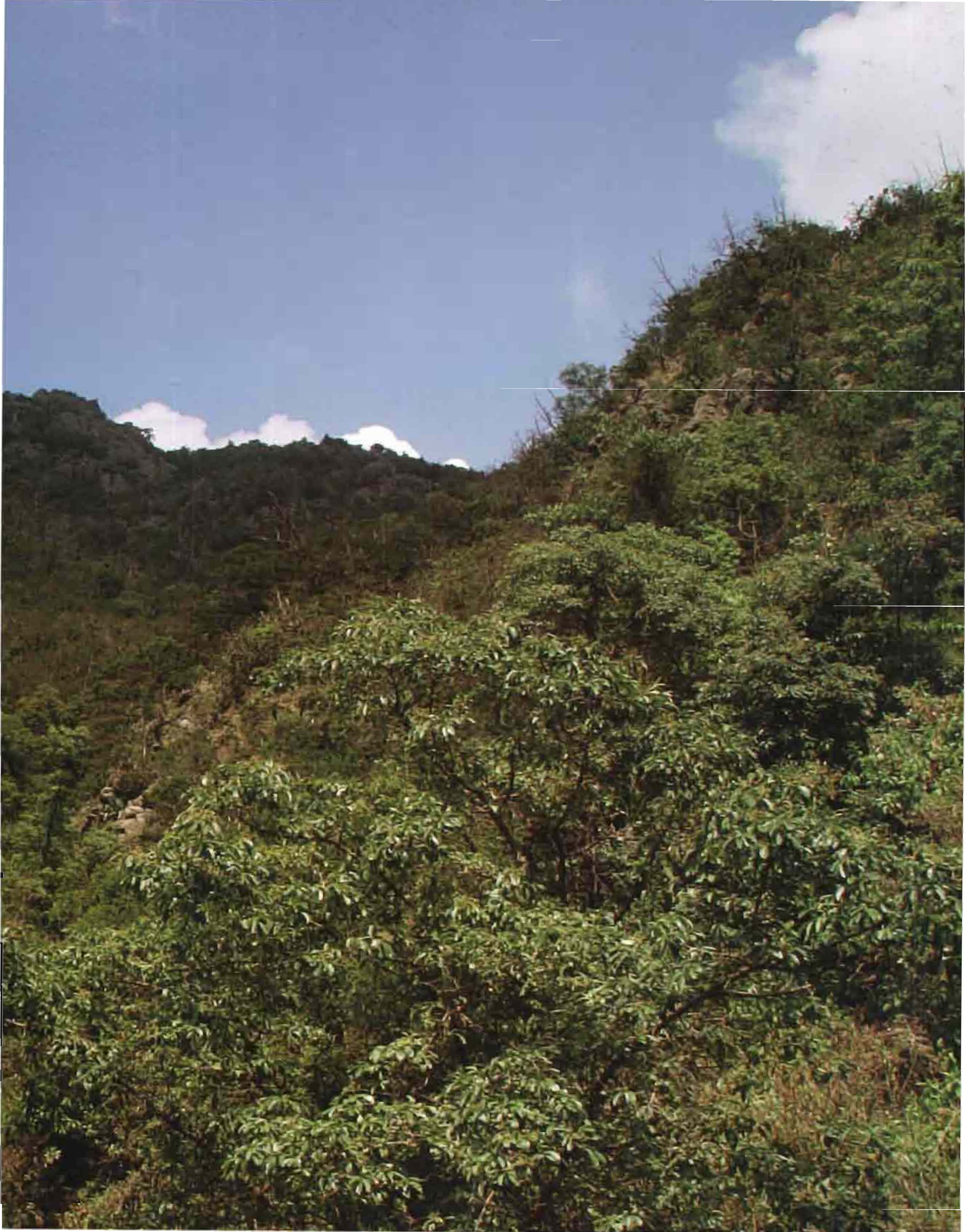
وما زال الزَّقُّوْم معروفًا بهذا الاسم في معظم جبال السَّراة. وفي جبال قدس من ديار حرب يطلقون لفظ الزَّقُّوْم على عشبة عطرية من الفصيلة الشفوية أيضاً، وهي التي تسمى في كثير من مناطق السَّراة (شَيْعَة اللَّبن أو شَيْعَة البقر) وسنذكرها في موضعها مع الشَّيْعَة، بإذن الله .





(١) النَّبات ٥ / ٢٠٤. وينظر : المخصص١١ / ١٥٢، ١٦٠، والعمدة ١ / ٢٧٨، واللسان (زقم) ٦ / ٦١.

(٢) ينظر : معجم الأعشاب والنَّباتات الطبية ٢٥٣، والأعشاب في كتاب ٦٦٤ ، والنَّباتات المستخدمة في الطب الشعبي السعودي ١٦٨ .




غطاء نباتي كثيف بأعلى جرف ريدة _ غرب أبها



السَّحَاء

قال أبو زيد : ((السِّحَاء والواحدة سحَاءة، وهي شجرة شاكّة كأنها بقلة، ومنبتها السَّهل والجبل، وثمرتها بيضاء وحمراء، وهي عشبة من عشب الرَّبيع ما دامت خضَراء، وشجرة في القيظ إذا يبست)) [١] .

وقال أبو حنيفة : ((أخبرني بعض أعراب السَّراة، وهي معدن السِّحاء، قال : السِّحاء شوك قصار، لازم للأرض، لا يسمو، يكثر في منابته، ولا ورق له، وفي أضعاف شوكه أقماع كثيرة، فتجيء النحل فتدخل في أجواف تلك الأقماع، وعسلها معروف. و (ضبٌ ساحٍ) يرعى السِّحاء ويصلح عليه، وإذا بلغت الغاية، قيل: (ضَبُّ السِّحاء)، كما قيل: (تَيْسُ الحُلَّب) . وعن الأعراب: السِّحاء شجَرة صغيرة مثل الكف، له شوك، وزهرته بيضاء مشربة، تسمى البَهْرَمة)) [٢] .

وقال أيضا: ((عسل النَّدْغِ والسِّحاء أبيض ناصع كأنه زبد الضأن، وهما شجرتان بيضاوا الزهر .

وزعم الأصمعي أن النَّدْغَ صعتر البر، وقد روى عنهم أيضاً أن السِّحَاء صعتر البر، وسألت عنه بعض الأعراب فأنكره، وقال: ليس بصعتر، وهو شبيه في منظره[٣] بالحَوْك.

ولا يرعاه شيء إلا النَّحل، فهو أبداً لها زاهر، وأكثر منابته تهامة، ترى الأرض مسْتَحْلسَة منه . قال : والسِّحاء شوك قصار كثير الزهر كثير العسل . وروى الأصمعيٌ أن سليمان بن عبد الملك حجّ فأتى الطائف فوجد رَيح الندغ فكتب إلى والي الطائف: انظر لي عسلاً من عسل النَّدْغ والسِّحَاء، أخضر في السقاء أبيض في الإناء من حداب بني شبابة. فأخبرني بعض الأعراب أنه إذا كان في السِّقاء فنظرت إليه رأيته كأنه اللبن المذَرَّح، فإذا أخرجت منه شيئاً قليلاً فجعلته في إناء رأيته أبيض ... والمذَرَّح المذيق الذي أكثر عليه الماء، وإذا أكثر الماء على اللَّبن أخضرَّ ... وأما حِدَاب بني شبابة فإنها من جبال السَّراة ينزلها بنو شبابة من فهم بن مالك من الأزد)) [٤] .

وقال أبو علي : ((والسِّحاء نبت تأكله النحل فيطيب عسلها عليه. وقالوا: من خير العسل عسل النَّدْغ والسِّحاء)) [٥] .

السِّحَاء
Blepharis ciliaris

الفصيلة المظيَّة - ACANTHACEAE



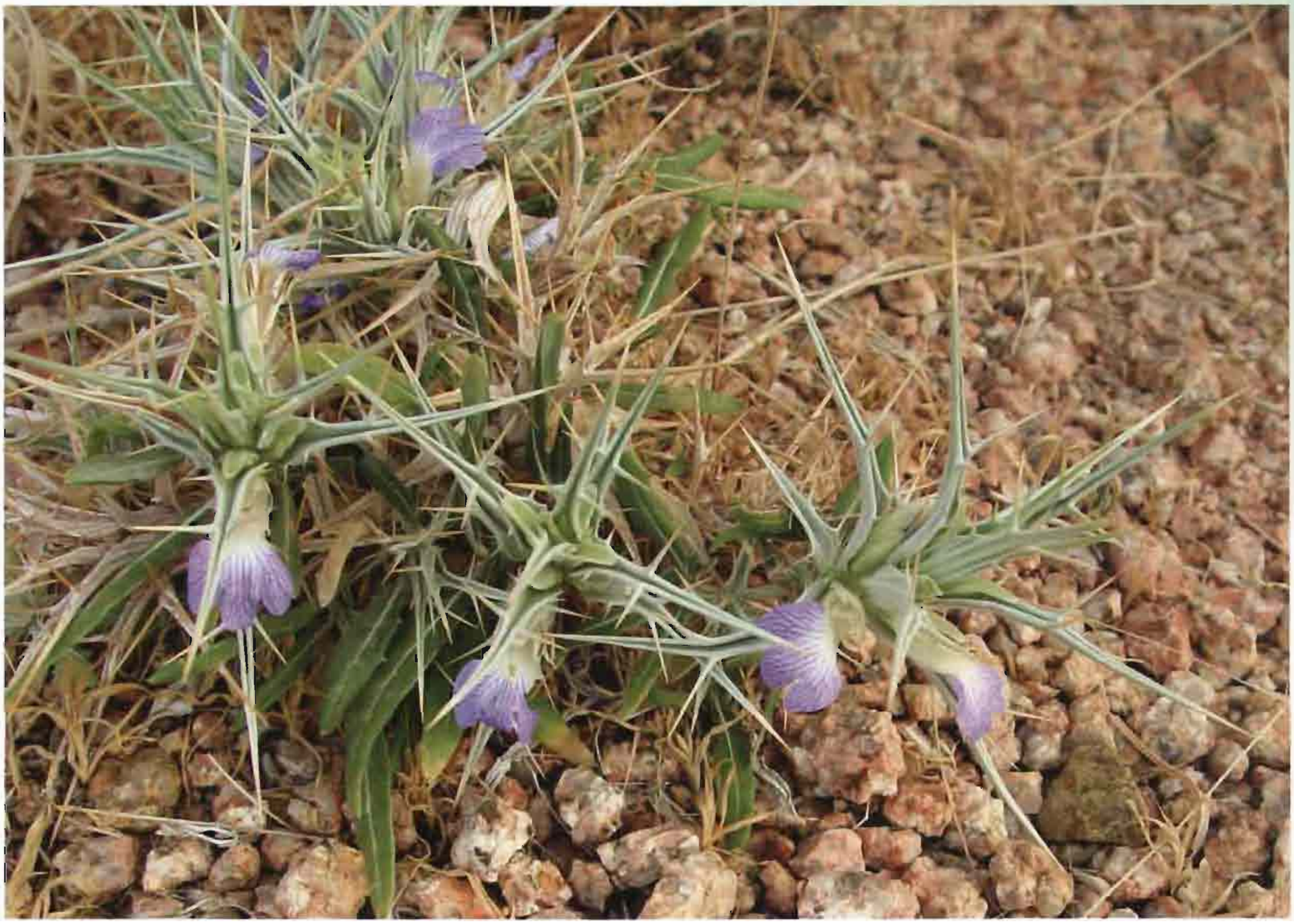




قلت: السِّحاء والسِّحا، يكسر فيُمد ويُفتح فيُقصر(٦)، شجيرة شوكية واسعة الانتشار، حولية وربما معمرة، وهي غير الزعتر، ولا تشبهه. منابتها الحزون، والأسناد، والسفوح الصخرية الغليظة، حتى ارتفاع ١٨٠٠م.

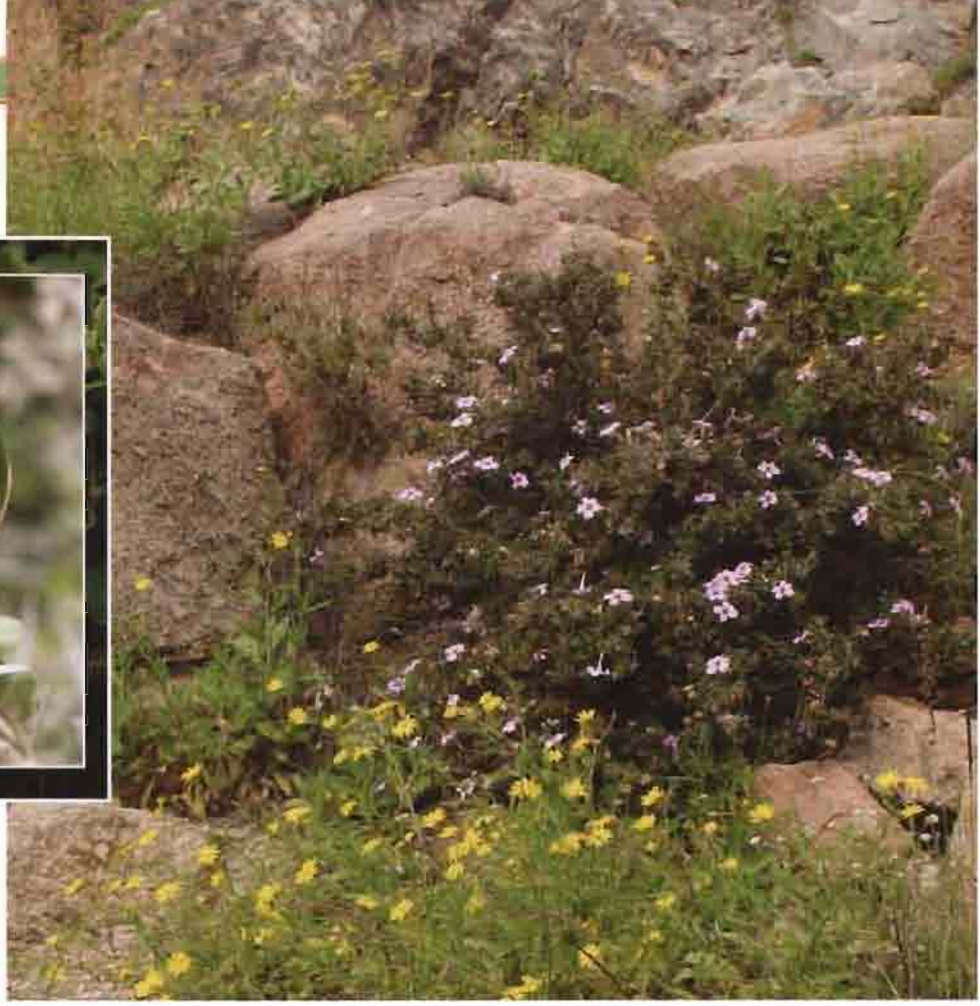
ترتفع عن الأرض قدر ١٠ — ٢٠سم، على ساق بني يميل إلى الحمرة، ينتهي بأشواك محيطة، تخرج من أربع زوايا، لها أصل عريض وأطراف حادة جدا، تظهر مجتمعة ومنتصبة على هيئة أذناب الضِّباب، لونها أخضر ضارب إلى البياض، وكثيراً ما تغشى الساق من أسفله إلى قمته، فلا يرى منه شيء، وهي، إن وُطئت، حارة شديدة الإيلام.

وللسِّحاء، بخلاف ما روى أبو حنيفة، أوراق مستطيلة، شديدة الخضرة، وربما خضراء مغبرة من الوسط. على أطرافها أشواك قليلة غير مؤذية، تظهر، غالبا، أسفل الساق ممتدة على





وجه الأرض، ترعاها الإبل، فيخثر لبنها ويطيب. وترعاها كذلك الأغنام في المحل فتسمن عليها وتدر ألبانها. وأما الأزهار فيخرج كل أربع زهرات معا، تخرج من آباط الأشواك، على عدد الزوايا الأربع، لها تاج واحد ذو ثلاثة فصوص، وليست حمراء كما روى أبو زيد بل زرقاء ساطعة، مع بياض يسير في أصولها، تتحول كاملة مع التقادم الى اللون الأبيض، ثم صفراء باهتة عند الذبول. وأخبرني بعض أهل ورقان والفقرة بأنهم يأكلون أزهار السِّحاء، يستشفون بها لكثير من أمراض الجهاز الهضمي. والنحل ينتابها كثيرا، فربما علقت أجنحته بأشواكها، فيهلك. ويجني منها عسلا رقيقا أبيض اللون، يميل إلى الصفرة قليلاً، يجمد (يتبلور) إذا اشتد عليه البرد شتاء. وهو كعسل الضهياء والسِّدْر لا يتلف، وإن طال عليه الزمن. وذكر لي أحد بني كلب من جهينة أنهم يشربونه لعلاج الأورام الخبيثة خاصة. ويعتقد بعض أهل السَّراة أنه يزيد في قدرة الرجل الجنسية . ويعقبها ثمار بيضاوية مفلطحة مستدقة الأصل والقمة، كسائر ثمار





• الشَّخَث الشائع _ *Barleria bispinosa*





أنواع هذه الفصيلة، تخرج مغلفة في أخبية رقيقة، تبقى على الثمرة حتى نضجها وسقوطها على الأرض .

وأهل السَّراة ينطقونها (السَّحا) بالفتح والقصر، وهي لغة، كما تقدم. وفي هذيل ينطقونها (السِّحا) بالكسر والقصر . وتسمى في جبل رضوى (الإسْحا) بالقصر وهمزة مكسورة قبل السين، وكذلك تسمى في ديار بني كلب من جهينة، وآخرون منهم يسمونها (الشَّوْكة) وكذا يسميها الصواعد في جبل ورقان، ولا يجهلون اسمها الشائع . وفي بادية غامد تسمى (النَّقِيْع) وبهذا أيضاً تعرف في معظم بوادي عتيبة وسُليم ومطير، وربما سميت في بعض تلك البوادي (شوك الضَّب) لأنه حريص على أكل أوراقها الخضراء التي تخرج أسفل الساق، وهي في جبال مَدْيَن (شوك البِلّ) أي الإبل . وأهل جبال فيفا يسمونها (الشُخَّيْرا)، وسمعت رجلا من جنوب جبال العبادل يسميها (الشَّخَّارة) وسماها آخر من شمال هذه الجبال (الزَّغَف)، وبهذا الأخير تُعرف في جبال سلا والرَّيْث والصَّهاليل والعِزّين، وكذلك تسمى في جبال الحَيْمَة اليمنية. وفي نواح من جنوب اليمن يسمونها (شَخَث الكلب) .

ومن الأنواع ذات الصلة شجيرة واسعة الانتشار، كثيفة الأشواك، هي (الشَّخَث) بلا إضافة، في معظم تهائم السَّراة وأصدارها، وهي أنواع ثلاثة :

الأول (*Barleria bispinosa*) أزهاره زرقاء بنفسجية، ويرتفع نحو ٥٠ – ٧٠ سم . والآخر (*B. trispinosa*) أزهاره صفراء برتقالية، ويرتفع نحو ٣٠ – ٤٠ سم . ويمصون رحيق هذه الأزهار كما تمص أزهار المظ. وثمارهما شبه بيضاوية، عريضة الوسط، ضيقة الطرفين . وفي أصدار بني عُمر تسمع من يطلق على هذين النوعين لفظ (الحِلّ) ولا يجهلون اسمهما الشائع. وفي شدا



• الشَّخَث ٢، الحَيْحَمان _ B. trispinosa





الأعلى يسمونهما (القَطَف) . وهما (الشَّخَظ) بالظاء في جبل صَبِر . وفي جبال الريث وسلا يسمون الأول (الشَّخَث) والثاني (الحَيْحَمان). وفي جبال رَيْمَة اليمنية يستعملون أوراقهما بعد هرسها ضمادا للجروح الحديثة والمزمنة، والشجاج الغائرة . ورأيت النوع الثاني بوفرة على السفوح المفضية إلى السُّدة من جبال آرة (هضبة أم العيال) . وأخيرا رأيته بأعداد كبيرة على سفوح جبل شمنصير، وسألت عنه أهل هذا الجبل فسموه (الشُّكاعى) . وهما من المراعي الجيدة للإبل .

وأما الثالث (*B. acanthoides*) فيميزه أزهار بيضاء، ذات أعناق طويلة أنبوبية، يصل طولها إلى ٨ — ١٢ سم . تتفتح ليلا، وتدوم إلى إشراقة اليوم التالي . تخرج من بين كأسين على هيئة الأوراق، لونهما بني بنفسجي أو بني مصفر . وثماره كثمارهما . وأشواكه تشبه أشواك السِّحاء؛ ولهذا يسميه أهل جبل شدا الأسفل السَّحا أيضًا . وقد رأيت هذا النوع على بعض فراع جبل رضوى على ارتفاع ١٢٥٠م . وسمعت دليلي إلى هذا الجبل يسميه (الفَشْفَاش) .









• الشَّخَث ٣، السَحا، القَشْقَاش _ *B. acanthoides*

---

(١) الشجر والكلأ ٧٩، ٨٠.

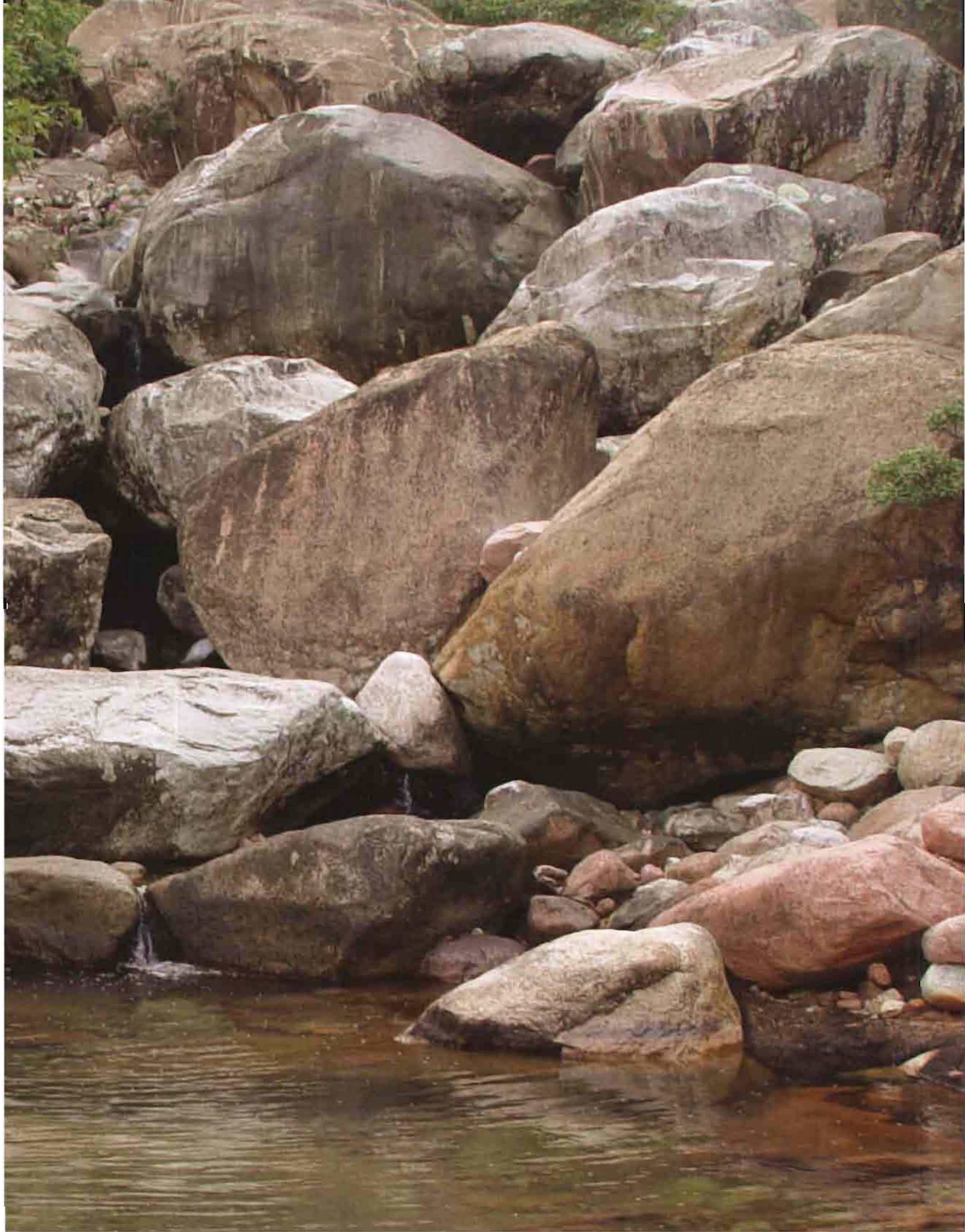
(٢) النَّبات ٦ / ٢٩، ٣ / ١٦.

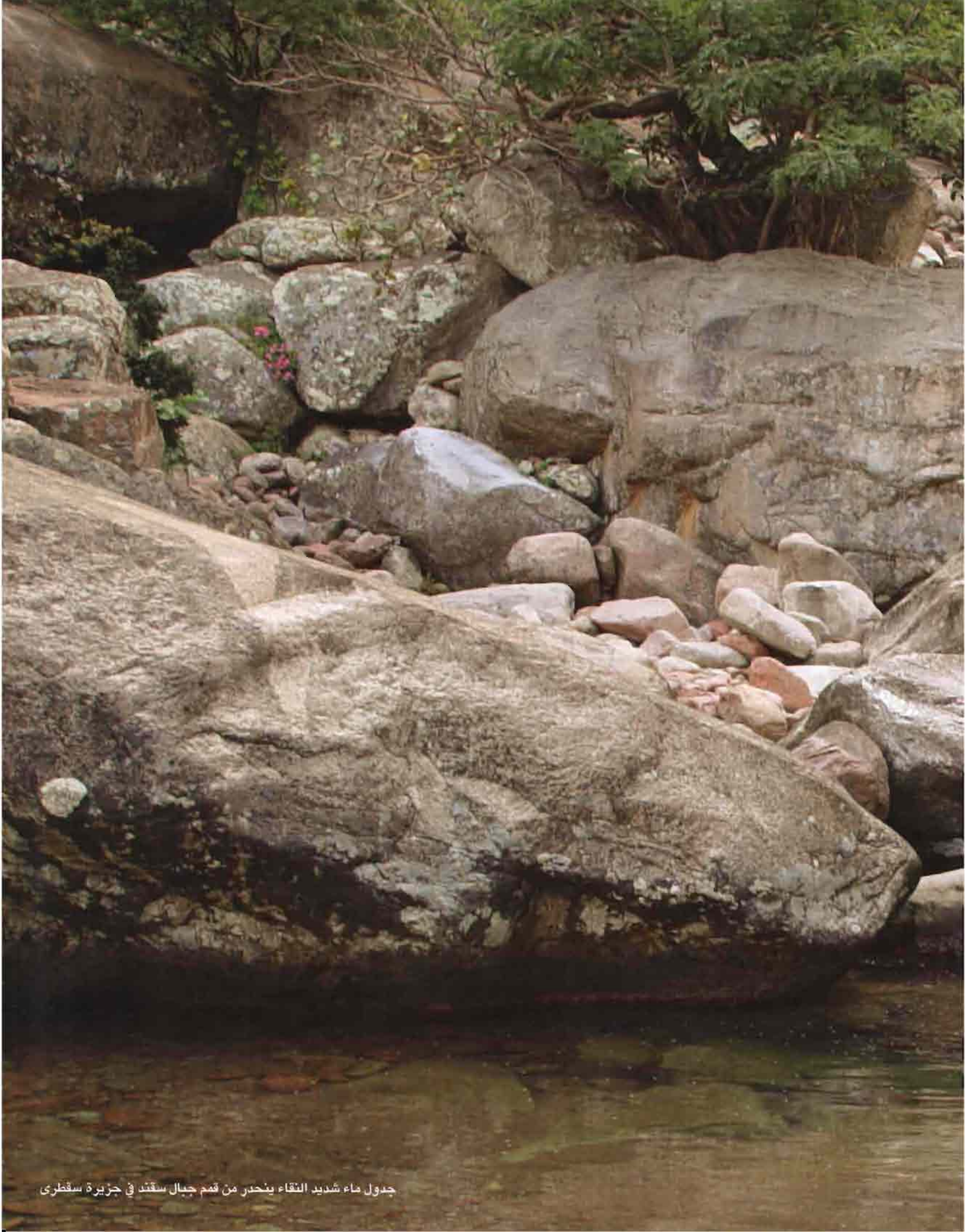
(٣) أي الندغ .

(٤) النَّبات٣ / ٢٦٤، ٢٦٦. وينظر : الفائق ٣ / ٤١٩، والنهاية ٥ / ٣٥ .

(٥) المقصور والممدود ٤٤٥. وينظر: المنتخب٢ / ٤٦٤، والتنبيهات على أغلاط الرواة (البقية) ١٧٨، والتعليقات والنوادر ٣ / ١١٩٤، والمخصص ٨ / ١٨٢، ١١ / ١٨٨، والفائق ٣ / ٤١٩، والعمدة ٢ / ٥٣٣، ونحل عُبَر النحل ٣٥، ٣٦، وتهذيب اللغة ٥ / ١٧٠، والصحاح ٦ / ٢٣٧٣، وشمس العلوم ٥ / ٣٠٠١، واللسان ٣ / ٢٣، ٦ / ٢٠١، ٧ / ٢٤٠، والقاموس ١٦٦٩، والتاج ١٠ / ١٧٠(سحو) .

(٦) المحكم (سحو) ٣ / ٢٧٠ .





جدول ماء شديد النقاء ينحدر من قمم جبال سقند في جزيرة سقطرى

السِّدْر



قال أبو حنيفة: ((السِّدْر شجر النَبْق . واحده سِدْرة، وجمعها سِدَر، وسُدُوْر، الأخيرة نادرة . قال أبو زياد: السِّدْر من العضاه، وهو لونَان: فمنه عُبرَيٌّ، ومنه ضَالٌ . فأما العُبريٌّ فما لا شوك فيه إلا ما لا يضير . وأما الضَّال فهو ذو شوك . وللسِّدْر ورقة عريضة مدورة في عُبريِّة وضَالة . وشوكة الضَّال حجناء حديدة ... قال ونَبِق الضَّال صغار وتسميه بعض العرب الدَّوْم ، وشجره دانٍ من الأرض)) (١) .

السِّدْر

Ziziphus spina – christi



RHAMNACEAE - الفصيلة السِّدْريَّة

قلت: السِّدْرة شجرة عظيمة معمرة، من أهم أشجار جبال السَّراة والحجاز، وأوسعها انتشارا، تنبت على ارتفاع قريب من مستوى سطح البحر، وتعلو في السهول والجبال حتى ارتفاع ٢٥٠٠م .

وهي كما ذكر المتقدمون نوعان :

الأول: العُبْريُّ (*Z. spina – christi*) وأكثر منابت هذا النوع بطون الأودية الرطبة حول المياه الجارية، أو الجوفية القريبة من السطح، وربما نبت في سفوح الجبال وفراعها العالية. وهو في الأغوار وبطون الأودية المنخفضة شرقي جبال السَّراة أضخم وأكثر ارتفاعا منه في السفوح أو الفراع العالية .

يقوم هذا النوع على جذع ضخم، غاية في الصلابة، ذو لحاء بني اللون ضارب إلى السواد، معلَّم بأخاديد خشنة طولية، بارتفاع قدره ٥ – ١٠م . ويتفرع إلى أغصان كثيفة على هيئة القبة الكبيرة، وعنها يتفرع أفنان صغيرة تتدلى بكثافة نحو الأرض . والأغصان العتيقة بنية اللون مغبرة، أو بنية ضاربة إلى السواد، والحديثة بنية مصفرة، والأحدث خضراء مغبرة. يكسوها أشواك زوجية قصيرة، قليلة الضرر، تخرج مع قاعدة معلاق الورقة، وربما تجردت تماما من أشواكها إن نبتت على ماء . والأوراق بيضاوية متطاولة، قاعدتها متغيرة من مدورة إلى شبه قلبية، تامة الحواف وربما مسننة على نحو دقيق، يميزها ثلاثة عروق صُفر، تبرز بوضوح على ظهر الورقة، وبنحو أقل على وجهها. أزهارها صفراء اللون مخضرة، صغيرة الحجم، تخرج على أفنانها الصغيرة، على هيئة عناقيد إبطية. ولها عند إزهارها رائحة عطرية تفوح في الأرجاء الواسعة . ويختلف موعد إزهار هذا النوع بحسب منباته، فما نبت منه في أودية السفوح الشرقية، فأزهاره تظهر أواخر فصل الصيف إلى منتصف الخريف. ويتأخر ظهورها إلى أوائل فصل الشتاء في سدر تهامة . ويعقبها ثمار لحمية كروية الشكل، تظهر خضراء، ثم صفراء، وعند نضجها تتحول إلى اللون البني المصفر، ثم إلى البني الغامق عند تناهي النضج . وهي حلوة الطعم، ذات رائحة طيبة، وقد يكون من ثمر العبري ما طعمه عفص مزز أو حامض الطعم . وتحتوي الثمرة على بذرة واحدة شبه صلبة، بنية اللون .

وأما النوع الثاني فهو الضَّال (*Ziziphus nummularia*) وأكثر منابت هذا النوع السفوح الصخرية، وأطراف الحقول الزراعية، وجوانب الطرق، وبطون الشعاب، وربما نبت إلى جوار العُبري في بطون الأودية الكبيرة، على ارتفاع ٦٠٠ – ٢٥٠٠م .



يرتفع الضَّال عن الأرض قدر ٢ – ٥م، وذلك على ساق يتفرع عنه أغصان شائكة كثيفة دقيقة، شديدة التعرج، تغطي الساق، في الغالب، من أسفله إلى أعلاه، فيصعب التعامل معها أو الولوج من تحتها. يظهر الساق القديم بلون أسود مغبر، وأما الأغصان الفتية فتظهر بلون أبيض مخضر، ثم أبيض مصفر؛ ومن هنا سُمّي هذا النوع من السِّدْر بالأَشْكَل أيضا؛ لما كان عوده على لونين. والأشكل عند العرب كل









• السِّدْر الضَّال __ *Ziziphus nummularia*



لونين مختلطين، ومنه أشكل عليه الأمر، إذا اختلط. وقد وصفه أبو حنيفة بقوله : ((أخبرني بعض الأعراب أن الأشكل شجر مثل شجر العُنَّاب في شوكه وعقف أغصانه، غير أنه أصغر ورقاً، وأكثر أفناناً. قال : وهو صلب جداً، وله نُبَيقة حامضة شديدة الحموضة، ومنابته شواهق الجبال، وتتخذ منه القسي، وإذا لم تكن شجرته عتيقة متقادمة كان عودها أصفر شديد الصفرة، وإذا تقادمت شجرته واستحكمت، جاء عودها نصفين: نصفًا أصفر شديد الصفرة، ونصفًا أسود شديد السواد)) (٢).

وقال ابن دريد : ((الأَشْكَل : السِّدْر الجبليّ، فأهل الحجاز ومن حولهم يسمونه الضَّال، وأهل الرمل من بني سعد ومن جاورهم يسمونه الأَشْكَل))(٣) . وهذا دليل على أن الضَّال والأشكل شيء واحد .

وعود الضَّالة أو الأَشْكَلة قوي رزين، ولاسيما النابت منها في الشواهق الباردة، وأشواكها حادة كثيفة غالبة على أوراقها، إذا علق بها شيء صعب تخليصه . تخرج أزواجا متقابلة شوكة معكوفة نحو الأسفل، يقابلها، في الغالب، شوكة مستقيمة على نحو أفقي . ورأيت أنواعًا من الطيور تبني أعشاشها بين أغصان هذه الشجرة؛ فتوفر لها ملاذا آمنا. والأوراق بيضاوية شبه مستديرة، أصغر كثيرا من أوراق العُبْريّ، والأزهار بيضاء





• القَصَم _ Ziziphus sp





• السدر الجبلي (ضال حلو الثمر) - Z. spina – christi

صغيرة مخضرّة، ثم بيضاء مصفرة. وتظهر الثمار خضراء مشوبة بحمرة من الجهة المقابلة للشمس، ثم تصفر إلى حمرة قليلة، وعند الإدراك يتحول لونها إلى البُني الغامق . وهذه الثمار أصغر من ثمر السِّدْر العُبريّ، وطعمها حامض إلى مر .

ومن الضَّال ما له ثمر حلو، أو شديد الحلاوة، وأراه العُبْري نفسه (Z. spina – christi) ينبت شكعًا متعرجا، كثيف الأشواك، إن نبت في السفوح بعيدا عن المياه، فهو والعُبري نوع واحد، ولكن يختلف حجمه ومظهره باختلاف منابته، وأما ذو الثمر الحامض أو العفص من العُبري فأراه الضال أو الأشكل نفسه، يعظم كالعُبري إن نبت على المياه في بطون الأودية . يؤيد ذلك قول الأصمعي : ((ومن شجر الحجاز ... السِّدر، فما كان بريًا فهو ضَال، وما كان ينبت في



• الشَّدان _ Z. mucronata

الأنهار فهو عُبْري)) (٤). وعود الضَّال او الأشكل قوي رزين، ولاسيما النابت منها في الشواهق الباردة ، يتخذون منه العصي والهراوى الجيدة، وحطبه وقود جيد. وربما استعملوه كالعُبري فسقفوا به المنازل، واتخذوا منه الأبواب والنوافذ، وصنعوا منه الصحاف والرحال، وخلايا النحل، ومهاريس يدقون فيها الحبوب ونحوها، وربما دقوا فيها البارود، ولكنه معها خطر سريع الاشتعال، وربما أحدث وفاة أو عاهات مستديمة. وكان أهل الخبرة من أهل السَّراة يحذرون من استعمال مهاريس السِّدْر في صناعة البارود . ويتخذون من أعواد الضال خاصة زرائب

للأغنام، وسياجات للمزارع يصعب اقتحامها. وفي ديار بني عُمر يستخرجون من أجواف جذوعها المعمرة الخالعة جُذاذا تُطبخ فيتحلَّل منها صبغ احمر تُصبغ به الثياب، يسمونها الثياب المُصَلَّبة. ويعلق منه بالثياب رائحة طيبة تدوم طويلا . وفي تهامة خثعم يشرب النساء مغلي الجذور لمنع الحمل .

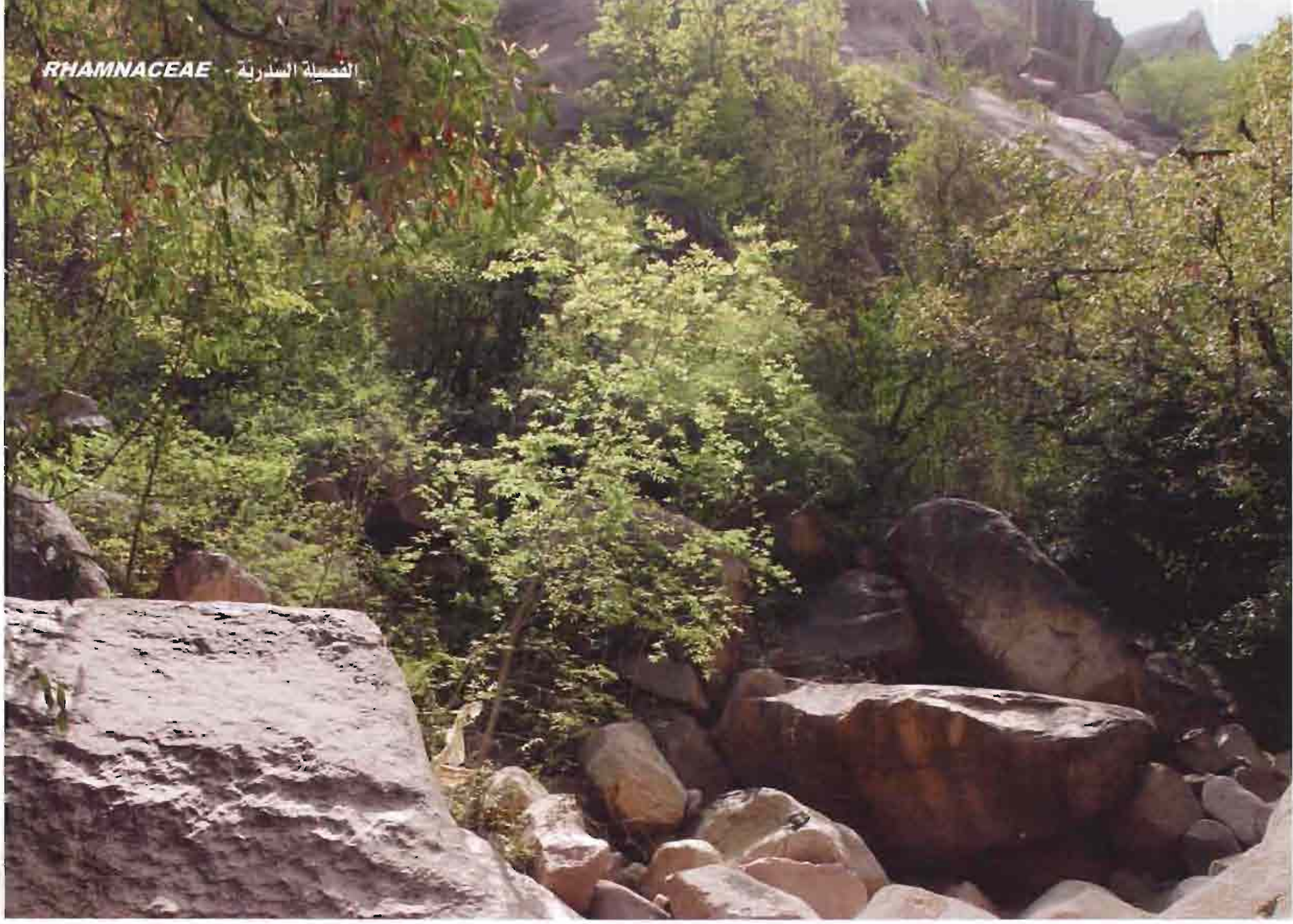
وأوراق السدر من المراعي الجيدة للإبل والغنم، تسمن عليه وتصح . وتهرس أوراق العُبري خاصة، وتستعمل في كثير من جبال السراة والحجاز لتنظيف الجسد، وغسل الشعر وتنعيمه، وتنظيف فروة الرأس، والنساء على ذلك أحرص. وتُطبخ في جبال الفقرة، ويُشرب صفوها لعلاج أمراض البطن كالمغص ونحوه. ويُغتسل بها في بواط والكويرة ونواح أخرى من ديار جهينة لعلاج بعض أنواع الحساسية الجلدية.

وإذا أزهرت السِّدْرة بنوعيها فإن النحل يجني من رحيقها عسلا وافرا لذيذا، هو أشهر أنواع العسل الذي تنتجه مناحل السراة، ومن أغلاها ثمنا. يستعمله الناس علاجاً لكثير من أمراضهم، ولا سيما أمراض الجهاز الهضمي كالقرحة والتهاب المعدة، ونحوها، يشربونه على الرِّيْق مذابا في ماء فاتر. وكذلك يشربه بعض الرجال لزيادة مقدرتهم الجنسية. وعسل سدرة الأغوار أرق قواما، وأشد حلاوة من عسل السفوح الشرقية، لونه أصفر محمر، فإذا تقادم عليه العهد ثقل وزنه، وتغير لونه إلى الأحمر المسود . وأخبرني أحد أرباب النحل أنهم يخسرون كثيرا من نحلهم إذا أزهرت السِّدْرة وحدها، أي لم يزهر معها نوع آخر من الشجر، كالسَّمُرَة أو السَّيَالة ونحوهما؛ لأن النحل لا يتكاثر على السِّدْرة، وإنما يجمع منها العسل الخالص، وربما الرِّدْم (العكبر) فيجدون الخلية بعد الموسم الذي لم يزهر فيه سوى السِّدْر، وقد فني من نحلها أكثر من النصف .

ولثمر هذه الشجرة أهمية غذائية كبيرة، وقد كان الناس في أزمنة الجوع الخالية يعيشون الأيام الطوال تحت أشجار السِّدْر، وليس لهم طعام آخر سوى ذلك الثمر، وقد ترتحل أسر بجميع أفرادها من مسافات بعيدة إلى حيث الأودية التي تنبت السدر المثمر بكميات كافية . ومن أشهر تلك الأودية وادي الخيطان من تهامة خثعم، ووادي خاط من تهامة بني شهر، ووادي صبيا وهروب وبَيْش من منطقة جازان . وما زال الناس إلى يومنا هذا يجمعون تلك الثمار بحرص



• العُرَّاج _ *Ziziphus sp*









وعناية فائقة، أما بهز أغصانها أو ضربها بمخابط طويلة أو رجمها بالحجارة، فيأكلونها تفكهًا، أو يدخرونها، أو يبيعونها على جنبات الطرق، أو في الأسواق كسائر الفواكه .

وفي معظم جبال السَّراة يسمون ثمر السِّدْر، أيًا كان نوعه، النَّبق، بفتح الأول وكسر الثاني، وفي جبال الحجاز (النِّبْق) بكسر الأول وإسكان الثاني، وهما لغتان . وسمعت بعض العوامر من تهامة خثعم يسمونه (اليَنَى) بإبدال الياء من الجيم. وفي جبال الحيمة اليمنية ونواح أخرى من جنوب اليمن يسمونه (الدَّوْم) وربما سموا السدرة نفسها دَوْما باسم الثمر، وفي نواح من منطقة جازان وشمال اليمن يسمونه (الكَيْن) . وكل ذلك استعمال عربي فصيح(٥) . والدَّوْم أيضًا، اسم لشجرة من الفصيلة النخلية، سبق الحديث عنها .

وشاهدت الناس بدءا من تهامة خثعم إلى تهائم اليمن وسرواته يتعاهدون هذه الشجرة بالتشذيب والتهذيب، فتعود أكثف أغصانا وأغزر ثمارا . وفي سروات اليمن يفعلون ذلك بنوعي السِّدْر ضَاله وعُبريه .

ولم أجد أحدا من أهل السَّراة والحجاز يفرق في التسمية بين النوعين، بل يسمونهما جميعا السِّدر، مع إدراكهم الفرق الواضح بين النوعين. وسمعت كثيرا من أهل السَّراة يجمعون السِّدر على (سُدور) وتقدم في كلام أبي حنيفة أنها نادرة . وفي الجُنُش من أغوار بني عمر يسمون السِّدْرة الصغيرة من الضال (الشَّعَكَة) قلبوه من الشَّكَعَة، وأهل غامد الزناد يسمونها (الشَّقَحَة) كأنهم



• النُّكُر _ *Berchemia discolor*

أرادوا الشَّكَعَة فأبدلوا لقرب المخرجين، وفي جبل شدا الأسفل تسمى (الشَّبَحة) محرفة، فيما يظهر، من السابقة. وفي جبال الحجاز يسمونها (السَّيْدور) مصغرة من السِّدْر. وأخبرني رجل من أهل وادي الأبرقين من جبال الفقرة أنهم يطلقون هذا اللفظ على نوع من السدر متقزم، يزهر ولا يثمر. وفي جبال مَدْيَن يسمونها (العُلَّيْق) أخذوه من فعل أشواكها، كما تقدم. وفي جبال الرَّيْث يسمونه (اللَّزّ) وهو في اللغة لزوم الشيء بالشيء وشدة التصاقه به، مأخوذ، أيضًا، من فعل أشواكه كالعليق. وفي نواح من تهامة عسير يسمونها (العُرْمُض) وآخرون يجعلونه؛ أي العُرْمُض اسما لكل شجرة صغيرة شَكَعَة شائكة.

والعَرْمَض، بفتح العين والميم، اسم قديم عند أهل السَّراة لهذا النوع من السِّدْر، قال أبو حنيفة : ((العَرْمَض: شجر من السِّدْر، صغار لا يكبر، ولا يسمو، وشوكه أمثال مناقير الطير، وهو أصلبها عيدانًا، وأعتقها قوسًا . قال: وسمعت ذلك، أيضًا، من بعض أعراب السَّراة، قال: وهو سِدْر قميء جعد. يريد بالجعد الكزّ غير السَّبْط)) (٦) .

وفي جزيرة سقطرى يسمون هذا النوع من السِّدْر (الآكْش) يخرجون الكاف بصوت قريب من القاف، ولعل الهمزة فيه مبدلة من العين، فيكون أصله (العَكَش) وهي صفة تطلق في العربية على النَّبات الكثير الملتف، أو الكثير الشوك كالشكعة. وسمعت آخرين يسمون العبري وما عظم من الضَّال (الضَّأد) ولعله محرف عن الضَّال، أو عن السِّدر بعد حذف الراء. ويسمون الثمر (جرْهِم) مرقق الراء . وكذلك تسمى الشجرة في جبال ظفار، وربما نطقوا الألفَ ممالة نحو الياء، وربما سموه أيضًا العِلْب . ورأيت في هذه الجبال أيضًا، نوعا آخر من السِّدْر (*Z. leucodermis*) يشبه الضَّال في كثافة أشواكه وعقف أغصانه، يرتفع نحو ١,٥ م . ويسمونه (حَيْضِيْت) وربما نطقه آخرون (حَيْبَض) ، وثماره غاية في الحلاوة، يحرص الناس على أكلها وتخزينها إلى



النُّكُر . نظامه الزهري والثمري

وقت الحاجة، وربما زرعوه لأجل ثماره حول بيوتهم .

وفي الجبل الأخضر شمال عُمان رأيت نوعًا آخر من السِّدْر البري (*Ziziphus sp*) يسمّونه (القَصَم) يرتفع نحو ٣م. وهو قليل الأشواك، أو لا شوك له، وثماره عفصة حامضة لا تؤكل .

ومن الأنواع ذات الصلة نوع رأيته في جبال الريث وأعالي جبل فيفا (*Z. mucronata*) يسميه أهل جبل فيفا (الشِّدَان) وكذلك يسمى في جبل سلا، ولعله محرف عن (الشِّذّان) وهي لغة قديمة في السِّدْر، عزاها أبو عمرو الشَّيباني لأهل تهامة(٧) أو هو من (السَّدَار) وهو اسم هذه الشجرة في بعض أقاليم جنوب اليمن. وفي جبال الريث يسمونه (عَرْج قاني) نعتوه بالقنوء؛ تمييزا له بلون ثماره . وفي جبال العبادل وسلا، وأهلها بطون من حرب بن خولان، يُسمى (العُرَّج) يثقلون الراء للفرق بينه وبين الضَّال والعُبري الذي يسمونهما جميعا (العَرْج) بالتخفيف، وهو واحد من ثلاثة أسماء مروية عن السَّلَف، يُعرف بها السِّدْر في جنوب المملكة واليمن، هي: العَرْج، والدَّوْم، والعِلْب.

ينبت هذا النوع على ارتفاع ١٥٠٠م، ويرتفع نحو ٧م. ولهذه الشجرة أوراق ناعمة، تشبه أوراق الشبارق حجما وهيئة. وأزهارها صفراء مخضرة تشبه أزهار السِّدْر، وثمارها في حجم النبق أو أصغر قليلا، تظهر خضراء مشوبة بحمرة، على هيئة عناقيد العنب، ثم تصفر، وعند النضج تؤول إلى الأحمر ثم الأرجواني القاتم أو اللون البُني المسود، وطعمها مر عفص .

وشاهدت في وادي العين من جبال العبادل أيضا، نوعا آخر من السِّدْر (*Ziziphus sp*) يسمونه (العُرَّاج) بتثقيل الراء وزيادة الألف، وفي العُدين من محافظة إب يسمونه (العُلاَّب) على زنة العُرَّاج. وشاهدته في وادي الجوف من جبل شدا الأعلى، وكذلك في وادي الجوف من جبل أثرب، وأهل هذه الجبال يعدونه نوعاً من السِّدْر، ولا يميزونه باسم خاص . منابت هذا بطون الأودية الرطبة على علو ١٢٠٠م. يرتفع نحو ٨م، ويشبه الشِّدان حجما وورقا وثمارا، إلا أن ثماره تخرج منفردة أو في شبه عناقيد قصيرة، وله أشواك صغيرة محجنة وقليلة .

ورأيت إلى جوار هاتين شجرة أخرى من الفصيلة السِّدْرية أيضًا (*Berchemia discolor*) يسميها أهل الجبال شرق منطقة جازان (النُّكُر) وكذلك تُسمى في تهامة عسير، وهي شجرة وَرِقَة، كثيفة التفرع، ترتفع نحو ٥م . أوراقها واضحة التعريق، تشبه أوراق الضال، لكنها أكثر استطالة واستدارة منها، أزهارها صفراء مخضرة تشبه أزهار السِّدْر عامة، وثمارها بيضاوية الشكل، أكبر قليلا من ثمر السِّدْر، تظهر خضراء مغبرة، ثم تصفر عند النضج، وتؤكل، وفي داخلها لب لزج شبه شفاف يغلف الثمرة، وطعمها لذيذ، لا يشبه طعم ثمر السِّدْر . وعود النكر أحمر ضارب إلى السواد، وهو صلب جدا، كان أرباب النحل من أهل جبال فيفا يتخذون منه الخلايا التي يشيدون عليها جدران المنازل ، فتدوم آمادا طويلة .

---

(١) النبات ٦ / ٣٢. وينظر : العين ٧ / ٢٢٤، والتهذيب ١٢ / ٣٥٣، واللسان ٦ / ٢١٣، والقاموس ٥٢٠، والتاج (سدر) .

(٢) النَّبات ٥ / ٢١ . والمعج : المَرُّ . والمرامي : السهام، الواحدة مرماة .

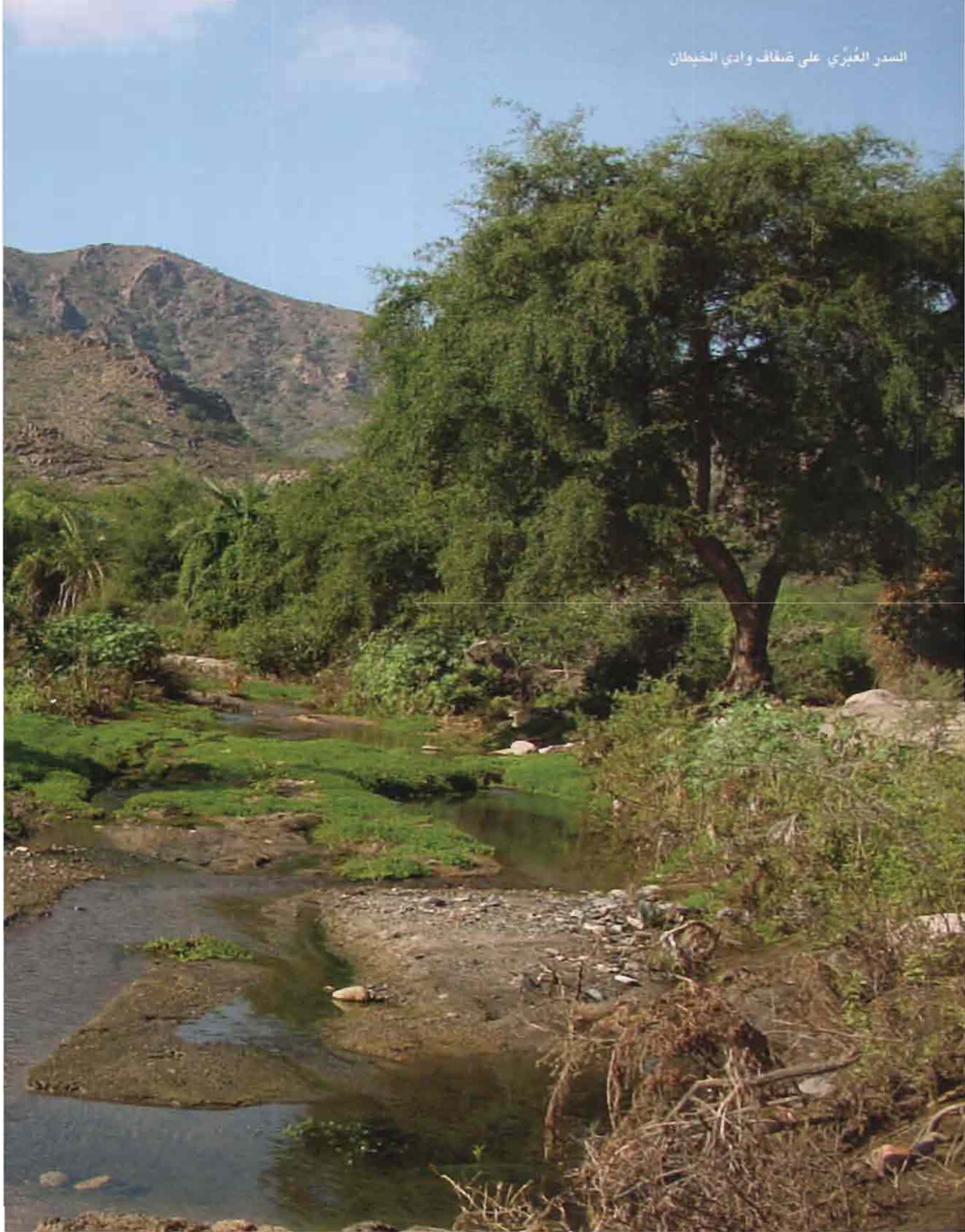
(٣) الجمهرة ٢ / ٨٧٧ . وينظر: ديوان طرفة ٦٣، والعجاج ٢٠٠، وابن مقبل ٨٠، وجرير ١ / ٤٩١، وابن الرومي ٢ / ٥٩٤، والشجر والكلأ ٦٧، والجوهرتين ٨٥، والمخصص ١١ / ١٨٥، وشرح كفاية المتحفظ ٤٨٧، والعمدة ١ / ٧٦، ٢ / ٥٣٣، والعين ٧ / ٥٧، والصحاح ٥ / ١٧٣٦، واللسان ٧ / ١٧٨– ١٧٩، والقاموس ١٣١٧، والتاج ٧ / ٣٩٣ (شكل، ضأل) .

(٤) النَّبات ٢٣ . وينظر : أدب الكاتب ١٠٠ .

(٥) ينظر: النَّبات لأبي حنيفة ٥ / ١٦٩، والجيم ٢ / ٢٧٦، والتكملة ٦ / ٣٠٤، واللسان ١٢ / ٢٠٥ (كين) .

(٦) النَّبات٦ / ١٣٢. وينظر : الروحة في الضاد والظاء ج ١(ق / ٣٢) ، والتعليقات والنوادر ٣ / ١١٩٢، والعين (عرمض) ٢ / ٣٢٥ .

(٧) الجيم ٢ / ٢٧٦ . وينظر: العمدة ٢ / ٥٧٩، والعباب (شذذ) والقاموس (شذذ) ٤٢٧ .



السدر العُبْرِي على ضفاف وادي الخيطان





السَّذَاب

قال أبو حنيفة : ((السَّذاب: الفَيْجَن ... فارسي قد جرى في كلام العرب ... وفي الخبر أن الحَجَّاج قال لطبَّاخة: اعمل لنا صَعْصَفَة(١) وأكثر فَيْجَنها. والصَعْصَفَة لغة ثقيفية فيما ذُكر)) (٢).

وقال ابن دريد : ((فأما هذه البقلة المعروفة بالسَّذَاب فمعربة، ولا أعلم للسَّذاب اسما بالعربية، إلا ان أهل اليمن يسمونه الخُتْف)) (٣).

وقال في موضع آخر: ((والفَيْجَن الذي يسمي السَّذَاب لغة شامية. قال أبو بكر : لا أعرف للسَّذَاب اسمًا في لغة أهل نجد، إلا أن أهل اليمن يسمونه الخُفت)) (٤) .

وقال الصَّغَاني : ((السَّذَاب هذا البقل المعروف، فارسي معرَّب، وعربيه الصحيح: الفَيْجَل والفَيْجَن)) (٥) .

السَّذَاب

Ruta chalepensis

RUTACEAE - الفصيلة السَّذابية



قلت: السَّذَاب، شجيرة معمرة، دائمة الخضرة، من أشهر النَّباتات العطرية في شعاف جبال السَّراة، تنبت قرب المنازل، وعلى جوانب الطرق، وحول جذوع الأشجار، ولاسيما الحَمَاط والطَّلْح والعَرْعَر، وذلك على ارتفاع ١٧٠٠ – ٢٦٠٠م .

تقوم السَّذابة على ساق أسطواني نحيل، كثير التفرع، بارتفاع ٤٠ – ٧٠سم. أوراقها خضراء مغبرة، تميل إلى الزرقة قليلا، إذا تقادم عليها العهد . وهي مركبة، طويلة الأعناق، مكونة من وريقات ثلاثية التقطيع أو أكثر، متطاولة، بيضاوية الشكل. تزهر في الربيع، وتظهر أزهارها على هيئة عناقيد فوق رؤوس الأغصان، متوَّجة بأربع بتلات صفراء اللون، وربما صفراء مخضرة، مقعرة الشكل، مسننة أو مهدبة الأطراف، وثمارها صلبة، مسامية السطح، مقسمة إلى أربعة فصوص، مستدقة الأطراف، تنفلق عند نضجها إلى أربعة مصاريع، تتناثر من بينها البذور .

لأوراق السَّذَاب رائحة عطرية قوية جدًا، يستحسنها بعض الناس، وينفر منها آخرون، وتستعمل في كثير من جبال السَّراة بعد هرسها ضمادا لعلاج لدغات الأفاعي والعقارب، وكذلك لعلاج الصداع والتهابات المفاصل، ويستعمل ماؤها أو بخورها لعلاج الآذان والعيون الملتهبة. وتجفف وتوضع في خرقة، ويستنشقها المصاب بالصداع، فتعجل بشفائه، بإذن الله. وتستنشق كذلك لعلاج الصرع ونحوه من الأمراض العقلية . ويبخرون بها المنازل؛ إذ يعتقدون بقوة أنها طاردة للجان والأفاعي وسائر الهوام . وأخبرت أن أم حُبين خاصة (الحُبيني) تحتمي بهذه النبتة، إذا وقعت طريدة للأفاعي أو الثعابين فتأمن على







نفسها . وذكروا أن ابن عرس يأكل السذاب إذا قاتل الحية، فلا يضره سمها[٦] . وفي اليمن سألت امرأة تبيع السذّاب على قارعة الطريق، فذكرت أنهم يستعملونه في الأعراس حجابا من العين والجن ؛ يضعونه عن يمين العروس وشمالها . ومن أهل السّراة من يجمع السّذاب ويبيعه مع النّباتات العطرية كالبعيثران والريحان، وهو يسود بشرة جامعيه، وربما أورث لهم آلاما في العضلات والمفاصل تزول بعد ساعات قليلة. وقد يزرعونه في الحقول وأفنية البيوت. وفي تهامة بني عمر يقولون: ((خوط شَذّاب خير من مئة كتاب)) مبالغة؛ لمنافعة الطبية الكثيرة .

وفي ديار بني ناشر من سراة بني عمر كانوا يطبخون أوراقه مع الدُّجُر (اللوبيا) فتضفي عليه نكهة طيبة. وأخبرني رجل من أهل جبل صَبِر باليمن أنهم يطبخونها كذلك مع اللّبن، فيكون منه وجبة ذات نكهة لذيذة . وآخرون لا يطبخونها إلا مع لبأ البقرة بعد ولادتها، ويسمون ذلك اللِّبأ (الفَصْعَة) .

وله استعمالات أخرى كثيرة في طب الأعشاب القديم والمعاصر من أهمها استعماله في علاج بعض أنواع الشلل، وتخليص الجهاز الهضمي من الديدان، وإدرار الطمث، والحث على الإجهاض، ويستعمل مانعاً قويا للحمل، إذ يوخذ مقدار ملعقة صغيرة من مسحوق الأوراق المجففة، تضاف إلى كوب من الماء سبق غليه، ويترك نحو خمس عشرة دقيقة، ثم يُصفى ويشرب بمعدل مرتين في اليوم الواحد . والجرعات الكبيرة منه تسبب أعراض تسمم شديدة الخطر .

وما زال السَّذّاب معروفا بهذا الاسم في كثير من جبال اليمن، وسمعت من ينطقه (الشَّذّاب) بالشين أيضا . وكذا ينطقه الناس (بالشين) في معظم جبال السّراة. وفي سراة بني عمر إلى حوالة وبالشهم جنوبا ينطقونه (الشُزّاب) بضم الشين وقلب الذال زايا مضعفة. وهو (الشّدّاب) بالشين والدال المهملة، في نواح من سهول منطقة جازان. وسمعت أهل الجبال شرق هذه المنطقة يسمونه (الخَزّام) .

والخُتْف، كما رواه ابن دريد، هو الاسم القديم للسّذاب بلغة أهل اليمن، والخُفْت لغة فيه[٧] . وما زالت هذه اللغة مستعملة في الجبل الأخضر شمال عمان، وينطقونها (الخطْف) أو (الخضْف) بكسر الخاء، وتفخيم التاء وقلبها طاء، أو ضادا. وربما نطقوه (الخذْف) بالذال. وبعضهم ينطقه (الذّاب) بحذف السّين من السّذاب، ويستعملونه لعلاج المغص ونحوه من أمراض المعدة .

ومن أنواع هذه الفصيلة شجيرة رأيتها بأعداد كبيرة في بواط والكويرة من جبال جهينة، ورأيتها بأعداد أكبر في سفوح جبل رضوى، على





● العُفينة _ *Haplophyllum tuberculatum*



ارتفاع ١١٠٠ – ١٣٠٠م . وسمعت أهل هذا الجبل يسمونها العُفينة (*Haplophyllum tuberculatum*) سموها برائحتها الكريهة التي تفوح عند أدنى ملامسة لها. وهي تقوم على سيقان نحيلة متعددة، تخرج من أصل واحد، وترتفع نحو ٣٠ – ٥٠سم . أوراقها خضراء مغبرة، متطاولة، عريضة الوسط، مستدقة الطرفين، تامة أو متموجة الأطراف. وتظهر بأشكال أخرى، يظهر على الورقة من خلفها غدد بارزة صغيرة . ولا يرعاها شيء من الحيوان . أزهارها صفراء مخضرة، كأزهار السذاب، لكنها أصغر حجما، تخرج مثله في مجموعات على رؤوس الأغصان . وثمارها كروية الشكل، مقعرة السطح، يعلوها بثور بارزة كثيفة، تنفلق عند نضجها إلى خمسة مصاريع، تتناثر من بينها البذور . وهي التي تسمى في جبال ظفار وسهول صلالة جنوب عمان (شجرة البعوض) لأنهم يعتقدون بقوة أنها طاردة للبعوض، وغيره من الحشرات الضارة .

ولم يذكر القدماء أنها العُفينة، وربما كانت (أم كَلْب) التي وصفها أبو حنيفة بقوله : ((أم كَلْب: شجيرة جبلية وجَلَدية، لها نور أصفر، وورق في خلقة ورق الخِلاف . يستحسنها الناظر إليها، فإذا حركها فاحت بأنتن رائحة وأخبثها.





● الضِّرْم، الضُّرْئِم _ *Teclea nobili*

أخبرني أعرابي قال: ربما تخللتها الغنم فحاكتها فأنتنت حتى يتجنبها الحلاب، فتُباعد عن البيوت، وليست بمرعى)) (٨) .

وسمعت أهل ورقان يطلقون العُفَينة على شجيرة أخرى من الفصيلة الحمحمية (*Cleome sp*) لها أيضا، رائحة كريهة .

وإلى هذه الفصيلة أيضا، تنتمي أنواع الحمضيات كالليمون والبرتقال والأُترج، وينتمي إليها، أيضاً، الضِّرْم (*Teclea nobili*) وهو نوع بري واسع الانتشار في السفوح الغربية من جبال السَّراة، لم تذكره المعاجم، ولعله المراد بقول صاحب كتاب الروحة في الضَّاد والظاء : ((الضِّرْم مكسورٌ على وزن قِدْر : ضربٌ من الشجر تمرضُ الإبل من أكله ، وضَرِمَت الإبل)) (٩) وذكره ابن سيده، ولم يحله(١٠) . وهو يشبه في نظامه الزهري والثمري أنواع (الفصيلة البُطْمية) التي ينتمي إليها الضِّرو والتألب. يُسمى في سراة عسير (الضِّرْم) بكسر الضاد، وإسكان الراء، وكذلك يسمى في جبلي شدا، وجبال فيفا والرَّيْث والعِزِّيْن، ولكن





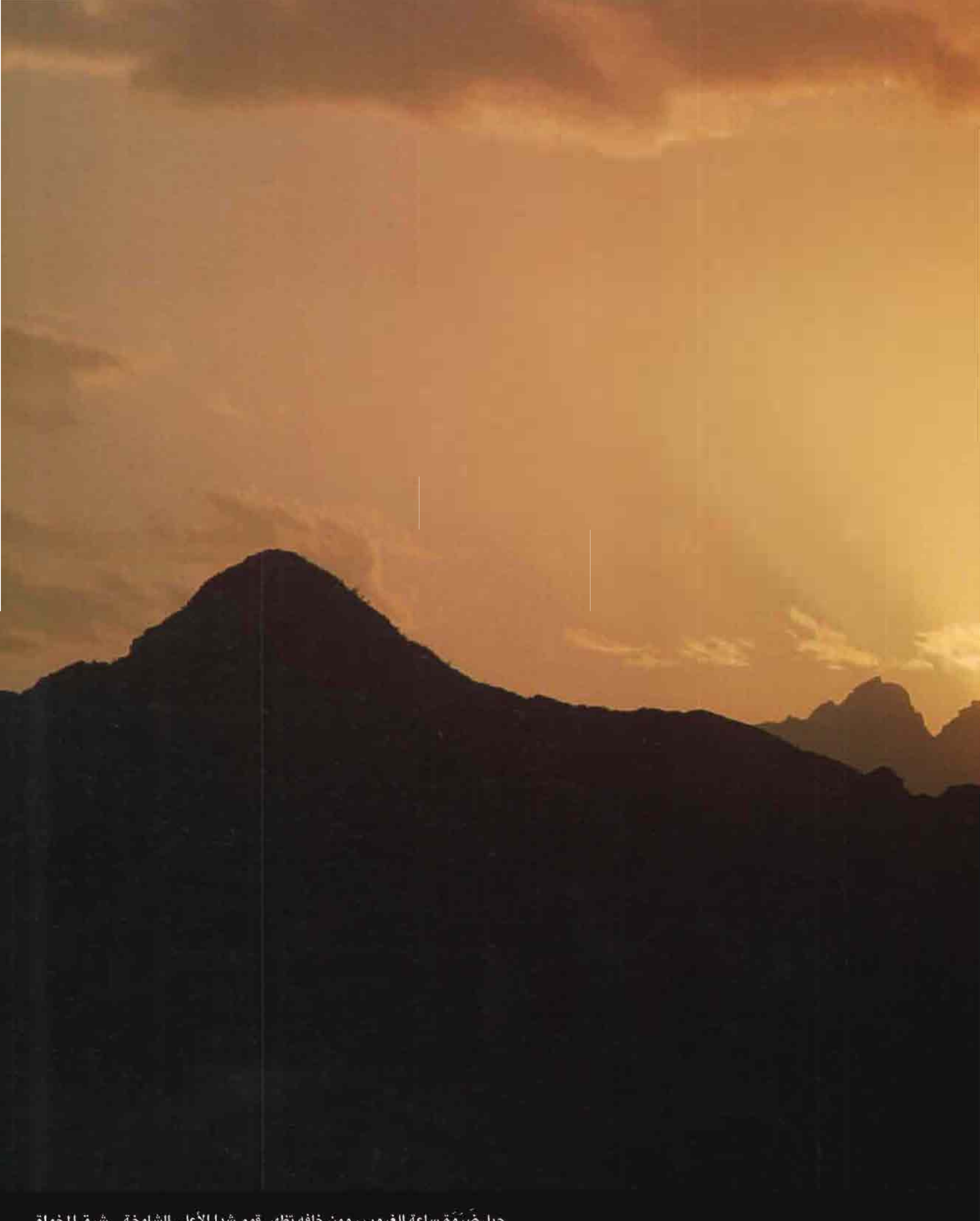


هؤلاء، من غير أهل شدا وعسير، يخرجون الضاد بصوت نحو الثاء أو الفاء، وأهل جبال العبادل يسمونه (الضِّرْيَم) بزيادة الياء، وينطقون الضاد بصوت لا تميز أهو صوت الشين أو الفاء، وسمعت أهل العدين من محافظة إب ينطقونه (الضِّرْئم) بالهمز ، وفي نواحٍ أخرى من جبال اليمن (الضَّرِم) بفتح الأول وكسر الثاني، وحذف الهمز . وفي تهامة خثعم وأهل العطوة من غامد الزِّناد يسمونه (الهُطَيْلاء) لعلهم أخذوه من تهدل أوراقه، وهو طولها وميلها نحو الأرض . وتكون الطاء قد قُلبت من الدال .

منابت هذه الشجرة الأصدار على ارتفاع ١٥٠٠م، وهي ترتفع نحو ٢ – ٥ م، ولها أوراق ثخينة ثلاثية كأوراق التألب، غير أنها أكبر، ورائحتها تشبه إلى حد ما رائحة أوراق الليمون، والأغنام ترعاها. أزهارها صفراء تخرج على هيئة عناقيد في نهايات الأغصان، لها رائحة عطرية خفيفة، والنحل يثمرها. ويعقبها ثمار بيضاوية، تبدو صفراء مخضرة، ثم صفراء محمرة إلى حمرة خالصة، في حجم الزيتونة الصغيرة، يتغذى عليها أجناس من الطيور . وفي جبال فيفا يضمدون بأوراقها، بعد تسخينها، الكدمات والرضوض التي تقع في المفاصل والعضلات .

(١) الصَّعْصَفَة: لحم يُطبخ بخل .
(٢) النَّبات ٦ / ٣٣، ١٩٥ .
(٣) الجمهرة ١ / ٣٠٤ .
(٤) الجمهرة ٢ / ١١٧٢.
(٥) التكملة (سذب) ١ / ١٥٥ . وينظر : أدب الكاتب ٩٩، والمعرب ١٨٩، وحديقة الأزهار ٢٦٢، وجامع ابن البيطار ٢ / ٧ ، والعمدة ٢ / ٥٣٤، والمعتمد ٢١٩، واللسان ١٠ / ١٩٠، والقاموس ١٥٧٦، والتاج ٩ / ٢٩٩ (فجن) .
(٦) الإمتاع والمؤانسة ١ / ١٦٧ .
(٧) المخصص ١٢ / ٧ . وينظر : التكملة ١ / ٣١٢ ، والتهذيب ٧ / ٣٠٦ ، واللسان ٤ / ٢٤، ١٥١ (خفت) .
(٨) النبات ٥ / ٤٣ .
(٩) الروحة في الضاد والظاء (١ /ق ٢٧٤) .
(١٠) المخصص ١٢ / ٩ .





جبل ضَرَوَة ساعة الغروب ، ومن خلفه تظهر قمم شدا الأعلى الشامخة _ شرق المخواة



السَّرَاء

قال أبو حنيفة : ((السَّرَاء من عُتُق الشَّجر الذي يتخذ منه القسيّ. وقيل: هو أجود النَّبْع . يذهب إلى معنى السَّرْو، أي الأصفر . قال : وأَخْلِق بأن يكون ذلك كما قال؛ لأن أوسًا وصف قوس نبع فأطنب في وصفها ثم جعلها سَرَاء، فلولا أَن السَّرَاء نَبْعٌ ما فعل، وهو قوله :

وصفراءُ من نَبْع كأنَّ نذيرَها   إذا لم تُخفِّضْهُ من النَّبْعِ أفْكَلُ

وبالغ في وصفها، ثم ذكر عرض صاحبها إيَّاها للبيع وامتناعه، وقولَ أصحابه له: بع فقد أُرْغِبْتَ :

فأزعجَهُ أن قيل شتَّانَ ما تَرى   إليكَ وعُوْدٌ من سَرَاءٍ معَطَّلُ (١)

السَّرَاء
Grewia erythraea

الفصيلة الزَّيزفونيَّة - TILIACEAE



قلت: السَّرَاء، والمفردة سَراءة، شجرة صغيرة معمرة، تنبت في سفوح الجبال وضفاف الأودية المنخفضة، على ارتفاع ٦٠٠ – ١٥٠٠م .

ترتفع السَّراءة نحو ٢ – ٣م على جذع واحد أو أكثر، لونه أغبر مسود، يظهر عليه تجاعيد طولية صغيرة مبعثرة، وربما ظهر عليه مع التقادم وبلوغ الهرم عجارم بحجم قبضة اليد أو أكبر، والفروع قليلة، تتجرد من الورق بعد اكتمال نموها، والأوراق مفردة متعاقبة، ثم هي خشنة، رمحية الشكل، أو بيضاوية تظهر أحيانا على هيئة قلب، أطرافها مسننة، وخضرتها غامقة، تشبه ورق الشَّوْحَط، في شكلها وثخانتها، إلا أنها أصغر منه قليلاً، وأكبر من ورق النَّبْع، وربما فاق حجمها في المنابت الخصبة المرتوية حجم ورق الشَّوْحَط. وهي من المراعي المفضلة للأغنام والوعول والوبارة . أزهارها بيضاء ناصعة، طيبة الرائحة، تزهر غالبا بعد نزول الغيث متى نزل، والنحل يجرسها. وأما الثمار فتظهر على هيئة عناقيد صغيرة، يحتوي كل عنقود منها نحوا من أربع ثمرات أو ثلاث ملتصق بعضها ببعض، تظهر خضراء، فإذا قاربت النضج، اصفر لونها إلى البرتقالي، فإذا تم نضجها احمرت حمرة قانئة. يأكلها الرعاة، وهي حلوة لذيذة الطعم، ويأكلها كذلك القرود، وأنواع من الطيور كثيرة، كالقَهْبي والحَجَل واليَمَام (الجَمَام) والبلبل العربي (القُرَع) وغيرها .

وعود السَّرَاء قوي رزين، أقوى من عود النَّبْع والشَّوْحَط والنَّشَم والشِّرْيان، وأثقل منه، كان أهل السَّراة وما زالوا يتخذون منه العصي والهراوى الجيدة، برغم أن عوده



إذا جف، وقد تجرد من لحائه، ظهرت به شروخ بين طرفيه، تماما كعود الشَّوْحَط، لكن ذلك لا يؤثر في قوته، وربما فضلوا عليه عود الشَّوْحَط لخفته واستقامته، أو فضلوا عود النَّشَم أو النَّبْع؛ لأن عودهما قل أن يتشظَّى، إذا جفَّ.



وبين السَّراء والنَّبْع، والفصيلة احدة، شبه كبير؛ ولذلك وقع فيهما خلط عند كثير من الناس من قديم وحديث. وقد سمعت بعض أهل السَّراة يسمي أحدهما باسم الآخر. وشاهدته في جبال الحجاز في الفقرة وورقان وقدس وغيرها، ولم أشاهد معه النَّبْع، شاهدته فقط، كما سيأتي في موضعه، في الحرة إلى الشرق من جبل قدس. وسألت عن السَّراء أهل تلك الجبال، فلم يعرفوه بهذا اللفظ، وإنما يسمونه النَّبْع. وهذا الذي رأيت لا يختلف كثيرا عن السَّراء الذي ينبت في جبال السَّراة، سوى





● السَّراء في جبال الحجاز (جبال البيضاء شمال المدينة المنورة)



أن عود الأول أملس، وذو لون أغبر ضارب إلى البياض قليلا، وأوراقه أعرض قليلا، وأكثر سماكة، ويمكن عزو تلك الفروق اليسيرة إلى اختلاف المنابت وطبيعة المناخ. وعلى هذه الهيئة أيضًا، شاهدته في جبال البيضاء شمال المدينة المنورة .

ومعظم أهل السَّراة اليوم ينطقونه (السَّرَى) بالقصر، وفي بعض ديار بني عمر ينطقونه (السَّرَع) بحذف الألف وقلب الهمزة عيناً، وربما قلبوا السين صادًا. وسمعت أهل جبل شمنصير من سُليم يسمونه (الصَّرّ) ويطلقون لفظ (السَّرَى) بالقصر على ثمر النَّبْع، وكذلك يسمى ثمر النبع في جهات من منطقة عسير وجازان . وفي جبال الرَّيث لا يفرقون بينه وبين النَّبْع فيسمونهما جميعًا (النَّبْع) وكذلك سمعته في ديار هذيل . وفي جبال إب وتعز يسمونه الشَّوْحَط ولا يفرقون بينهما . وهو (الشَّرْحَم) في



● السَّراء المتقزم في جبال الحجاز _ Grewia sp



الجبل الأخضر شمال عُمان، وفي جنوبه يسميه المهرة من أهل ظفار (ظَخَانِيتي) ينطقون الظاء نطقا عربيا صحيحا. وفي جزيرة سقطرى يطلقون لفظ (حِرْشِهِم) على شجيرة من هذا الجنس (G. mansouriana) وهو نحو اسم السَّراء في الجبل الأخضر .

والعُجْرُم هو السَّراء نفسه، سمي بذلك للعجارم التي تظهر على جذع هذه الشجرة وسيقانها، إذا تقادم عليها الزمن، وأوشكت على الهرم، وليس كل أشجار السَّراء تظهر عليها تلك العجارم، بل في بعضها دون بعض، وسألت عن العُجْرُم في مناطق مختلفة من جبال السَّراة، فلم يعرفه أحد بهذا الاسم، فإذا وصفته لهم وذكرت العجارم التي تظهر على سيقانه قالوا: هو السَّراء، ثم أكدت ذلك بقطع عود من السَّراء مورق، تظهر فيه بعض تلك العجارم، وعود آخر



● السَّراء المتقزم في جبال السَّراة _ *Grewia sp*



من النَّبْع، ثم عرضتهما في سوق المخواة الأسبوعي على جمع كبير من الناس ينتمون إلى قبائل مختلفة من بني عمر وغامد وزهران، وغيرهم، فأجمع أهل الخبرة منهم على أن الأول عود سَراء، والأخير عود نَبْع .

وذكر أبو حنيفة العُجْرُم، فقال : ((والعُجْرُم، واحدته عُجْرُمَة، وبها سمي الرجل، شجرة كالنَّشَمة إلا أنها إذا كثرت عقدها سميت العجرمة؛ ولذلك قيل للناقة المعقرَبة الخلق: معجرمة . ويقال لها أيضا : عجرومة. وإنها شجرة عظيمة، لها كعاب كهيئة العقد، وذلك الذي عجرمها ... تتخذ منها القسيّ . وقال: العُجْرُمة والنَّشَمة شيء واحد، والجمع عُجْرُم، وعِجْرِم، قال العجّاج، ووصف المطايا:

نواحلاً مثلَ قسيٍّ العِجْرِم

وهي العُجْرومة. وعُجْرُمتُها: غِلظ عقدها)) (٢) .







● السَّراء المتقزم في جبال السَّراة _ *Grewia sp*

شبَّه أبو حنيفة في الأول العُجْرُمة بالنَّشَمة، ثم نقل أن العُجْرُمة والنَّشَمَة اسمان لشجرة واحدة، والأمر بخلاف ذلك، فالعُجْرُمة التي هي السَّراء، نوع، والنَّشَمَة شجرة أخرى كبيرة الحجم، نوع آخر، وهي لا تشبه العُجْرم، وهو السَّراء إلا من وجه بعيد، وإن كان الجميع ينتمي إلى فصيلة واحدة، وربما ظهر في النَّشَمة بعض العجارم الكبيرة، ولكنها نادرة جدًا، ولم تشتهر بها كالسَّراء، وقد تظهر العجارم أيضًا، في أشجار أخرى، كالقَفَل والشَّقَب والرُّقَع والحَماط، لكنها ليست بالكثرة التي تظهر بها في أعواد السَّراء؛ لذلك لم تشتهر بها، ولم يُسمِّها أحد العُجْرم. وإذا ذكرتَ العُجْرم ووصفتَه لأهل السَّراة؛ من الذين لهم خبرة واسعة ومعرفة ثاقبة بنبات بلادهم، لم يذكروا لك شيئا من تلكم الأشجار غير السَّراء .

والسَّراء موصوف منذ القدم بظهور العجارم على سيقانه، قال الأعشى يصف قوسا له مصنوعة من السَّراء :

سَلاَجَمَ كالنَّحل أنحى لها   قضيبَ سَرَاءٍ قليلَ الأُبَنْ(٣)



والأُبَن : هي العقد أو العجارم التي تظهر على السَّاق .

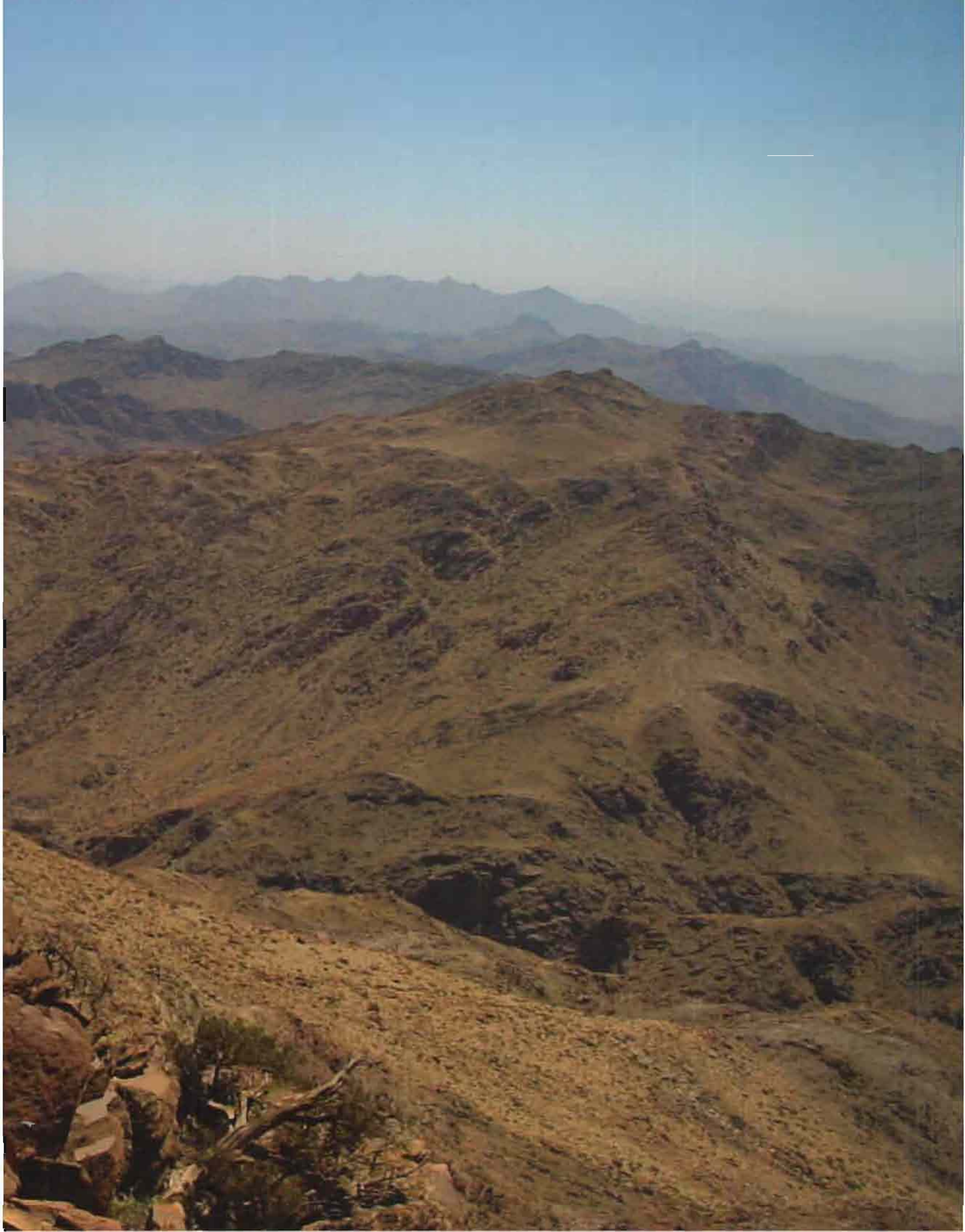
وفي جبال البيضاء شمال المدينة المنورة شاهدت إلى جوار السَّراء، ولأول مرة، نوعًا آخر شديد الشبه به (*Grewia sp*) وذلك في التاسع من شهر محرم من عام ١٤٢٢هـ، وهو نوع متقزم يقوم على جذع قصير، لا يزيد ارتفاعه على ٧٠ – ٩٠سم، ويفترش، في الغالب، ما حوله من الصخور، أوراقه صغيرة شبه بيضاوية، وأما أزهاره وثماره فلا تختلف عن السَّراء كثيرا . وسألت عن هذا النوع رجلا من أهل الفقرة فسمَّاه (النبُيَع) نطقوه مصغرا؛ للتفريق بينه، وبين السَّراء الذي يسمونه، كما أسلفت، النَّبْع. وأما أهل ورقان فيسمونه النَّبْع ولا يفرقون. وشاهدته في جبل رضوى بأعداد كبيرة جدا، وسمعت أهل هذا الجبل من جهينة يسمونه (الصرَّا) بصاد وألف مقصورة، وسألتهم عن النوع الأول، ووصفته لهم، فلم يعرفوه . وأجود منابته في ذلك الجبل على ارتفاع ١٢٠٠ – ١٥٠٠م . وعلى تلك الهيئة، وذلك الارتفاع رأيته في جبال السَّراة، رأيته على سفوح جبل شُعْران وعقبة السَّقيفة من ديار بني عُمَر، وكثير من أهل هذه الديار لا يفرقون بينه وبين النَّبْع أيضًا، وآخرون يعدونه نوعًا من السَّراء. وهذا الذي رأيت في سراة بني عُمر يميزه أزهار ذات خويطات لقاحيَّة وردية اللون أو حمراء، كأزهار الشَّوْحَط . وفي السفوح الشرقية من تلك السَّراة، شاهدته بأعداد كبيرة جدا إلى جوار الشَّوْحَط والنَّشَم، شاهدته على الضفاف العيا لوادي الجنابين، أو ما يسمى عجام فارس، على ارتفاع ١٧٠٠م .

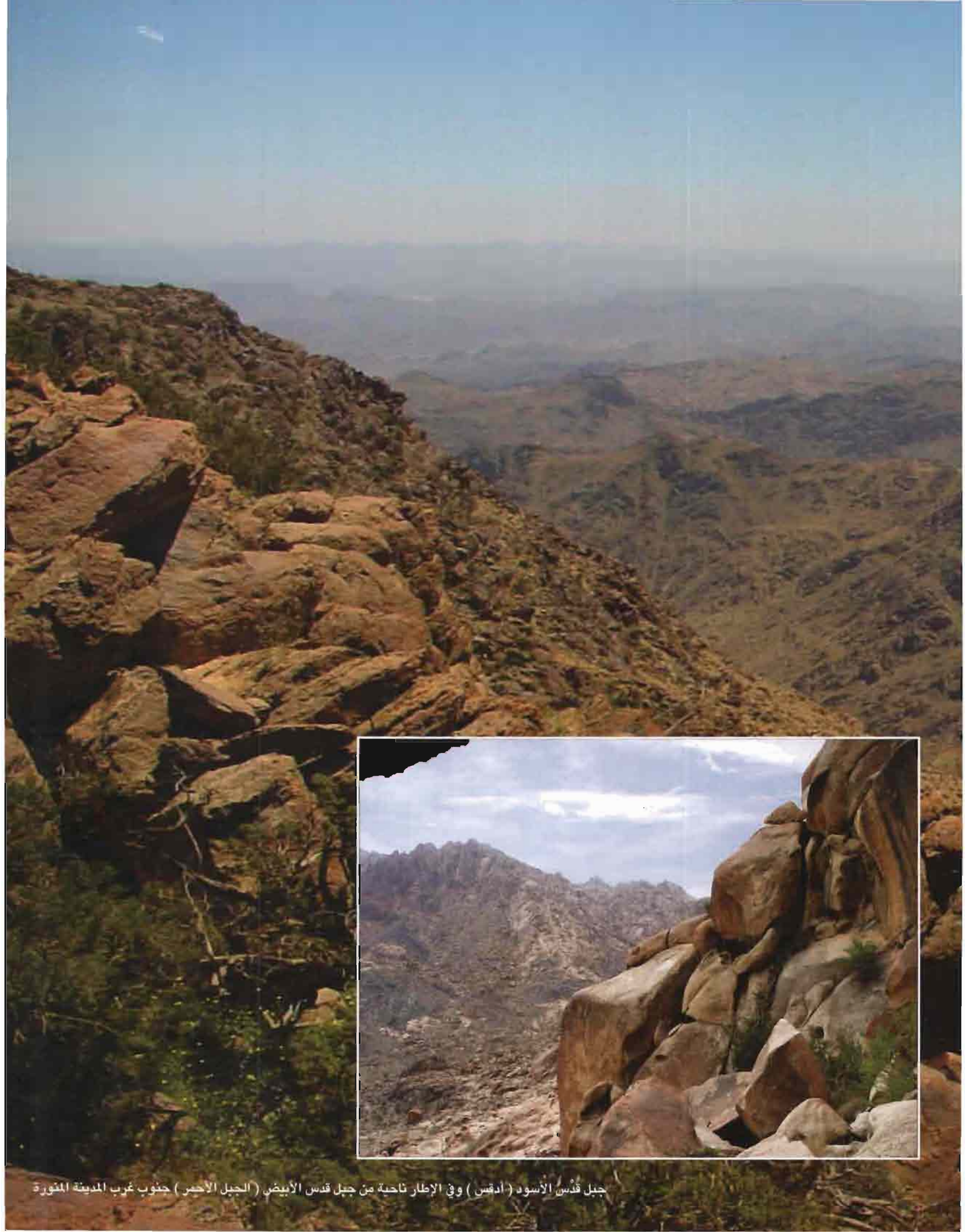
---

(١) المخصص ١١ / ١٤٣ . وينظر : ديوان أوس ٩٤، وزهير ١٠٦، والأعشى ٧٥، وعنترة ٢٣١، وسلامة بن جندل ١٤٢، والنابغة الشيباني ١٠١ ، والشماخ ١٦٥، وجرير ١ / ٤٩١، والشجر والكلأ ٧١،٧٣، ٧٥، والتيجان ٢٩٢، والنَّبات للأصمعي ٣٦، والنَّبات لأبي حنيفة ٣ / ٢٤٠، والاختيارين ١١، ١٢، والمنتخب٢ / ٥٠٦، والخصائص ٢ / ١٦٧، والعمدة ٢ / ٥٣٦، والجمهرة ٢ / ١٠٦٥، وتهذيب اللغة ١٣ / ٥٤، ٦٣، واللسان ٦ / ٢٢٤ (سرأ، سرو) .

(٢) النَّبات٦ / ١٢٥ . وينظر : ديوان جرير ١ / ٤٩١، والنَّبات للأصمعي ٣٣، والمنتخب ٢ / ٥٠٦، والمقصور والممدود لأبي علي القالي ٣٥٠، وصفة جزيرة العرب ٢٤٧، والمخصص ٨ / ١٢١، ١١ / ١٤٦، والجيم ٢ / ٢٥٢، والتكملة٦ / ٨٨، واللسان٩ / ٥٧، والقاموس ١٤٦٦، والتاج ٨ / ٣٩٢ (عجرم) .

(٣) ديوانه ٧٥ .





جبل قُدْس الأسود (أدقس) وفي الإطار ناحية من جبل قدس الأبيض (الجبل الأحمر) جنوب غرب المدينة المنورة

السَّرْح



قال أبو حنيفة: ((السَّرْحَة دَوْحَة مِحْلال واسعة، يحلُّ تحتها الناس في الصَّيف، ويبتنون تحتها البيوت، وظلُّها صالح . قال الشَّاعر:

فيا سَرْحَةَ الرُّكْبانِ ظِلُّكَ باردٌ   وماؤكِ عَذْبٌ لا يحِلُّ لِوارِدِ

والسَّرْح شجر كبار عظام طوال، لا يُرعى، وإنما يُستظل فيه . وينبت بنجد في السهل والغلظ، ولا ينبت في رمل ولا جبل . ولا يأكله المال إلا قليلا. له ثمر أصفر . واحدته سرحة ... وأخبرني أعرابي قال: في السَّرْحَة غُبرة، وهي دون الأثل في الطول، وورقها صغار، وهي سبطة الأفنان. قال: وهي مائلة النبتة أبدًا، وميلها من بين جميع الشجر في شق اليَمَن ... له عنب يسمى الآء، أبيض يأكله الناس، ويعملون منه الرُّبَّ، ليس له شوك، يشبه الزيتون)) (١) .

وقال الهَجَري: ((ويقول أهل السَّراة والصَّدْر: " أخشر الشَّجر، والسَّرْح لا يُعْبِل " معناه لا ينحتّ ورقه))(٢).

السَّرْح

Maerua crassifolia

الفصيلة الكَبَرِيَّة - CAPPARACEAE



السَّرْح على سفوح جبل شدا الأسفل (سرح الجبال)



قلت: السَّرْحَة شجرة جميلة المنظر، وارفة الظل، تتحمل أقصى درجات الجفاف، تنبت بأعداد قليلة هنا وهناك في السهول وبطون الأودية الواسعة والقيعان. وتصعد، بخلاف قول أبي حنيفة، إلى سفوح الجبال، حتى علو ١٥٠٠م .

ترتفع السَّرْحَة نحو ٣ – ٦م، على جذع أملس أبيض تعلوه غبرة يسيرة، وربما بلغ محيط الجذع في السَّرْحَة المعمرة نحو ٢م، وكلما علت في السفوح كان جذعها أصغر حجما، وأقل تفرعا، وظلها مشتتا قليل النفع . وليست أفنانها سبطة، كما روى أبو حنيفة، بل العوج غالب عليها. وينمو جذعها مستقيما أو مائلا، وليس لها اتجاه ثابت تميل إليه، كما روى أبو حنيفة. وإذا نبتت السَّرْحَة في القيعان حيث ترعى الجمال والأغنام، تفرع من جذعها أغصان كثيرة جدا، فينمو



سرحة صغيرة، تنمو في حماية فروع جانبية كثيفة





الجذع من بينها محتميا بها، حتى إذا بلغت قمته الارتفاع الآمن، تجرد من معظم أغصانه الجانبية تلك، ولاسيما السفلية منها.وربما التحم فرعان أو أكثر من فروع السرحة ليصبحا فرعا واحدا . وأوراقها كثيفة صغيرة بيضاوية أو مدورة، لا تنحتّ؛ فتراها دائمة الخضرة والظل، أزهارها كثيفة جدا، تظهر في أكمام خضراء محمرة، كحبات الحمّص الصغيرة، أو أكبر قليلاً، ما تلبث أن تتفتح عن خيوط (مآبر) بيضاء بطول ٢,٥سم تقريبا، والنحل ينتابها وحشرات أخرى كثيرة، فتسمع حولها دويا وطنينا ملفتا، وتشتم منها بَنَة طيّبة. وأما الثمار فعنبية، كما روى أبو حنيفة، مؤنفة الطرف، أو تظهر على شكل قرون قصيرة مخصّرة الجوانب، تخرج في معاليق من آباط الأوراق، وما زال بعض الناس يأكلها، ولم أستسغ طعمها . وسمعت أهل جبال مَدْيَن يسمون ثمر السَّرْح (الهَدَال) . وكذلك يسميها بعض جهينة من أهل العِيْص والحرَّة .

وأعوادها قوية لا توهنها آفات الخشب، فتستعمل في بناء البيوت والحظائر وغيرها . ولكن لا تستعمل وقودا إلا عند الضرورة؛ وذلك لأن دخانها كثيف، ويترك في الطعام نكهة غير مستساغة .

وكان الشعراء يكنون بالسَّرْحة عن المرأة، قال حميد بن ثور:

وهل أنا إنْ عَلَّلْت نفسي بسَرْحة ... من السَّرْح مسدودٌ عليّ طريقُ

أبى الله إلا أنَّ سَرْحَةَ مالكٍ ... على كل أفنانِ العضَاه تَرُوقُ (٣)

وسمعت بعضا من تهامة عسير يطلقون لفظ السَّرْح على مجاميع الشجر، وربما كان من بينها السَّرْح . وذكر أبو عمرو الشَّيباني أنه يقال لصغار السَّرْح : الذَّكْوان، والواحدة: ذَكْوانة(٤) .

ومن أنواع هذه الفصيلة شجيرة تسمى في ديار بني عُمر السُّرَّاحَة (*Cadaba farinosa*) للتفريق بينها وبين السَّرْحَة، تنبت على ارتفاع



• السُّرَّاحَة، التَّسْريحة _ *Cadaba farinosa*







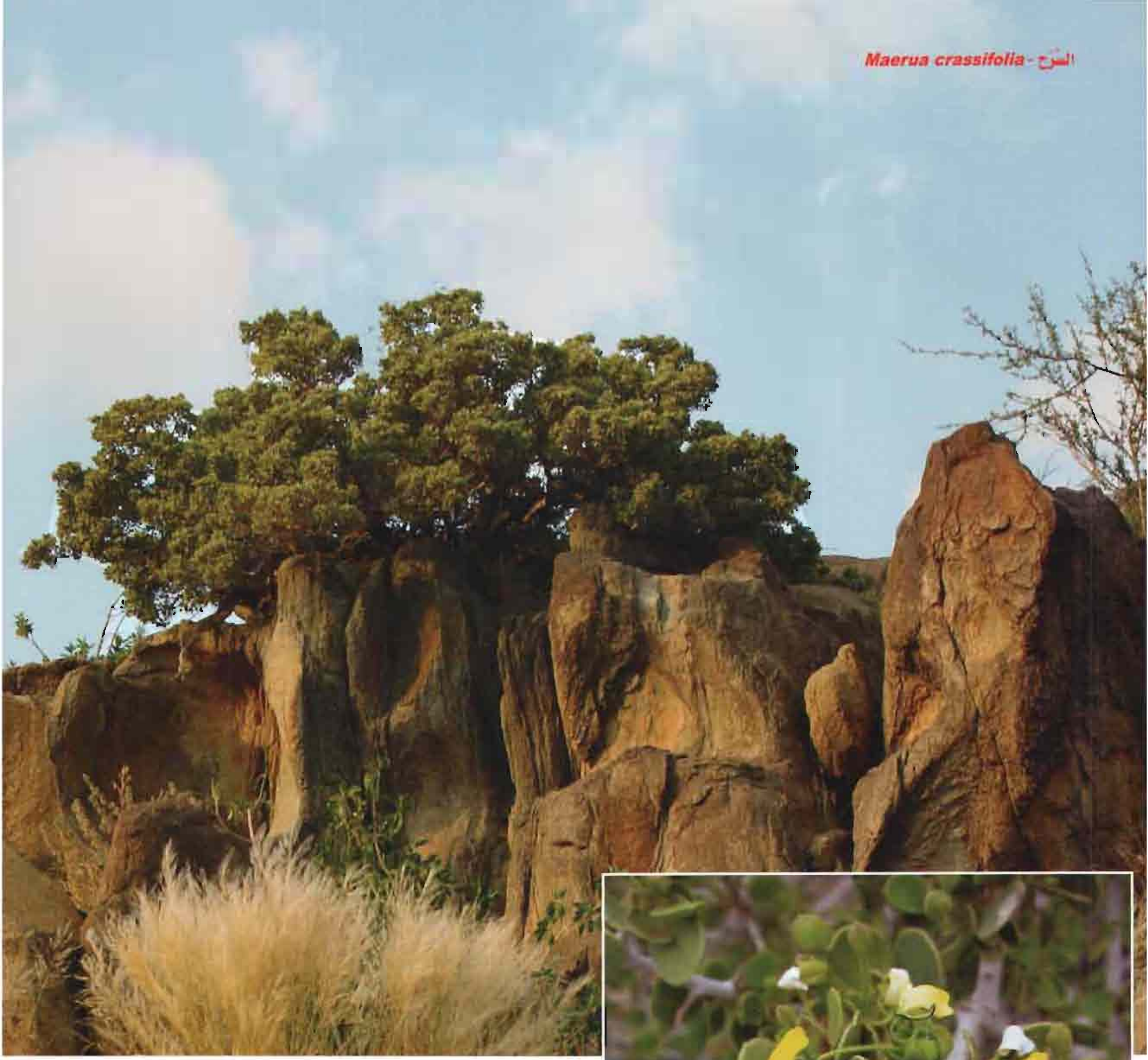
السَّرَّاحَة في نظامها الزهري والثمري





● القَضَب _ *Cadaba rotundifolia*

٩٠٠ – ١٥٠٠م، وتقوم على سوق نحيلة متعددة، وربما قامت على ساق واحد، لونه أغبر نحيل يميل إلى السواد، بارتفاع ١,٥ – ٢,٥م. أوراقها خضراء مغبرة تشبه كثيرا أوراق السَّرْح؛ ومن ذلك سموها السِّرَّاحة. أوراقها أشد غبرة من أوراق السَّرْح، مع زرقة يسيرة. وأزهارها صفراء قاتمة تميل إلى اللون البُني، وثمارها قرون أُسطوانية مقوسة ومخصرةً. تظهر خضراء مغبرة، وعند النضج تنشطر عن غلاف داخلي برتقالي اللون، في داخلة البذور. ورأيتها بوفرة في القيعان والحرات الواقعة إلى الجنوب من المدينة المنورة، وسمعت أهل هذه الديار من حرب يسمونها (التَّسْريحة) وكذلك تسمى في بادية غامد وبالحارث وعتيبة. وسمعت دليلي القرني إلى جبل حضوضى، يسميها السَّوَسيَّة. فذكرت له أن السَّوَاس غير





● القَضَب ٢، التَّنْعيم _ *Cadaba glandulosa*

هذا، فلم يعرفه. وفي نواح من جنوب اليمن تسمى (السَّرْحة) وكذلك (الجَرْدَب) وأهل ظفار يسمونها السَّرْحة أيضًا، وآخرون (سِرْمَر) وكأنه محرف عن (صَوْمَر) اسم النوع الآتي بعد قليل .

ومن الأنواع ذات الصلة شجيرة تسمى القَضَب (*Cadaba rotundifolia*) في تهامة عسير وجازان واليمن، وربما أشبعوا فتحة الضاد فقالوا: القَضَاب. ومنه أُخذ اسمها اللاتيني . وذكرها أبو حنيفة وغيره بإسكان الضاد (٥). ونص على فتح الضاد صاحب كتاب الرَّوْحَة(٦)، وذكر أن من معادنها وادي عُلْيَب في تهامة زهران . منابتها الأسناد الصخرية عند أقدام الجبال حتى علو ٩٠٠م . ترتفع نحو ٢م،



وليس لها أشواك، وأوراقها ناعمة مستديرة أو بيضاوية، تشبه أوراق اللصف، ولكنها أرق، وربما أكبر حجمًا. وخضرتها فاتحة تميل إلى الصفرة قليلا. وهي من مراعي الإبل، فإن أفرطت في رعيها أورثتها السعال. ولها أزهار صغيرة صفراء، يعقبها ثمار قرنية صغيرة، تشبه ثمر السُّرَّاحة، وأعوادها قصفة سهلة الكسر .

وفي جبل حَضَوْضى من تهامة بالقرن سمعت دليلي من أهل هذا الجبل يطلق القَضَب أيضًا، على نوع آخر من هذه الفصيلة (*Cadaba glandulosa*) وهي تنبت في منابت القَضَب، وتعرف في كثير من تهائم السَّراة بالتَّنْعيْم، لا يزيد ارتفاعها على متر واحد، تنبت، في الغالب، متدلية كاللصف (القنغر) على حافات الجروف الصخرية، على ارتفاع ٨٠٠ – ١٣٠٠م . أوراقها خضراء باهتة، شبه مستدير،











• القُسَيَّا _ *Cadaba longifolia*



يكسوها شعيرات ناعمة لزجة، وكذلك الثمار. أزهارها تشبه أزهار القَضَب، لها تويج واحد أصفر اللون، يتحول إلى البياض قبل الذبول، ويفوح من أوراقها رائحة كرائحة أوراق (العُسَّيْلا) أحد أنواع الأفاني (*Alkanna orientalis*) وهي رائحة تشبه صنان التيس الفحل، ولاسيما عند ظهور الأزهار. وأخبرني دليلي الألمعي أنهم كانوا يغسلون بمائها المنقوع المصاب بالصفراء ؛ فما يلبث أن يبرأ من مرضه .

ومنها (القُسَيَّا) نوع آخر من هذه الفصيلة (*Cadaba longifolia*) تشبه السَّراحة في نظامهما الزهري والثمري، لكن أوراقها نحيلة مستطيلة تشبه أوراق العُتُم، وأطول منها بنحو الضعف وربما أكثر. تنبت في الغالب حيث نبت القَضَب، والإبل حريصة عليها. منابتها الحزون والآكام حتى ارتفاع ٩٠٠م . وأكثر ما رأيتها في جبل شدا الأسفل، وأهل هذا الجبل يتخذون منها القطران . وأخبرني دليلي إلى



• الصَّوْمر ـ *Maerua oblongifolia*



• الصَّوْمر ٢ ـ *Maerua triphylla*

جبال الريث أنهم يستخرجون من أعوادها مُهلا جيدا تُطلى به الغنم.

وإلى جوار هذه، وعلى الارتفاع السابق نفسه، رأيت نوعًا آخر من جنس السَّرْح، يسمى في حزنة من سراة بني عُمر الصَّوْمر (*Maerua oblongifolia*) وربما أبدلوا الراء لاما، فقالوا (الصَّوْمَل) غير الصَّوْمَل الشجرة الكبيرة المعروفة (*Breonadia salicina*) فإنها لا تنبت في ديارهم، فهم لا يعرفونها. والصَّوْمَر شجيرة غير شائكة، تنبت زاحفة متدلية كاللصف أو معترشة . أوراقها مستطيلة شبه بيضاوية، شديدة الخضرة، مائلة إلى الغبرة وأحيانا إلى السواد . وأزهارها شعاعية، تشبه أزهار السَّرْح، وتفوح برائحة عطرية ذكية . ويعقبها ثمار مقسمة إلى كتل كروية صغيرة غير منتظمة، تحوي عددا من البذور، يحملها معاليق طويلة، تظهر خضراء مصفرة، ثم حمراء باهتة عند النضج. وقد ذكر أبو حنيفة الصَّوْمَر، وحلاه بقول ينطبق معظمه على هذه النبتة(٧) . ورأيته بأعلى جبل شمنصير من ديار بنِي سُليم، وسمعت أهله يسمونه (الغاشية) . وأهل ظفار يطلقون (السِّيمر) على شجرة من هذه الفصيلة (*Boscia arabica*) تشبه السَّرْح . فلعله محرف عن الصَّوْمَر . وفي الجبل الأخضر شمالي عُمان يطلقون (الصَّوْمَر) على شجيرة من الفصيلة الشفوية (*subnuda Lavandula*) تشبه الشَّيْعة كثيرا .

وفي جبال فيفا ينمو إلى جوار الصَّوْمَر شجيرة (*Maerua triphylla*) من جنسه، وهي مثلة تعترش الأشجار، وربما الرِّجام . أوراقها خضراء مصفرة، تتكون، غالبًا، من ثلاث وريقات بيضاوية الشكل، الوريقة الوسطى كبيرة الحجم، كأوراق الصَّوْمَر . وأزهارها بيضاء شعاعية كأزهار الصَّوْمَر أيضًا، لكن لا رائحة لها، والنحل يجرسها . وثمارها كروية الشكل أو بيضاوية، في حجم زيتونة كبيرة، يحملها، كثمار الصومر، معاليق طويلة . لونها أخضر قاتم، يعلوها بثور بيضاء مصفرة. ورأيتها، أيضًا، بوفرة على السفوح المنخفضة من جبال سُمَارة، جنوب اليمن . ولم أعرف ما تُسمى عند أهل تلك الجبال .

---

(١) النَّبات٦ / ٣٥ .

(٢) التعليقات والنوادر ٣ /١١٠١. وينظر : أسماء جبال تهامة ٤٠١، والنَّبات للأصمعي ١٩، والغريب المصنف ١ / ٤٢٠، والمنتخب ٢ /٤٦٢، والفصوص ١ /٣١٦، والمخصص ١١ / ١٨٩، والعمدة ٢ /٥٣٦، والعين٣ /١٣٧، وتهذيب اللغة٢ /٢٩٧، ٢٩٨، والصحاح ١ / ٣٧٤، والمحكم٣ /١٣٥، والتكملة٢ /٤٣، واللسان٦ /٢٣١، و القاموس٢٨٦، والتاج ٢ / ١٦١(سرح) .

(٣) ديوانه ٤٠ . وينظر : ديوان امرئ القيس٢٢٦، وتأبط شراً١٢٣، وعنترة٢١٢، وجرير١ / ٣٤١ .

(٤) الجيم ١ / ٢٧٩ .

(٥) النَّبات ٦ / ٢١٤ ، والتكملة (قضب) ١ / ٢٤٢ .

(٦) الروحة في الضاد والظاء (١ / ق ١٥٧) .

(٧) النَّبات ٦ / ٩١ .





منابت السّرح وكثير من أنواعه الأخرى على سفوح نطع الصخرية بجبل شدا الأسفل _ غرب المخواة

السَّلَب[13]



قال أبو حنيفة : ((ومما تُتخذ منه الحبال الجياد السَّلَب . وأخبرني من عرفه من الأعراب أنه نبات يرتفع في مثل خلقة الشَّمْعة التي يُستصبح بها إلا أنها غليظة طويلة، وأنهم يقطعونها من أصولها، ثم يعمدون إلى أخدود في الأرض قد حفروه، فيوقدون عليه حتى يحمى، ثم يستخرجون جمره ورماده، ثم يلقون ذلك السَّلَب فيه حتى يغملوه بالورق والتراب، فيتركونه حتى ينضج، ثم يخرجونه إذا برد فيأتون به الماء فيغسلونه حتى يَنْقى ويذهب ما بين أوتاره من حشو، وتخلص الخيوط كأنها أذناب الخيل، وقد لانت، فيتخذون منه ضروب الحبال الدِّقاق والغلاظ والأزمَّة والخُطُم والخُزُم، ثم تُحمل في البلاد. وهي أجود من حبال القُنَّب وأبقى. وهي حبال أهل السَّروات والتَّهائم واليَمَن . ومنابته التَّهائم . وأنشدني بعض اليمانيّين :

إنْ تعجبوا منَّا فما فينا عَجَبْ   قومٌ يمانونَ حبالُنا السَّلَبْ (١)

السَّلَب
Sansevieria ehrenbergii

الفصيلة الأغافيَّة - AGAVACEAE





قلت: السَّلَب نبات معمر، ينبت في الأغوار الغربية الدافئة من جبال السَّراة . ومنابته الأكنان الرطبة الهشَّة تحت الأشجار، وبين جلاميد الصخور، على ارتفاع ٣٠٠ – ١٢٠٠م .

يرتفع نحو ٧٠ – ١٢٠سم، وليس له ساق، إنما هو أوراق ثخينة ذات ألياف، تنشأ كهيئة السيوف من أصل واحد، وربما استطالت إلى قامة الرجل الربعة، وهي حادة الأطراف، رأسها حاد كذؤابة السَّيف، فيتعامل الناس معها بحذر شديد، وإلا تركت في الجسم جرحًا غائرا، وسطحها ناعم أملس، والأطراف مطرزة بخطين دقيقين أحدهما بني والآخر أبيض مصفر، وينطوي طرفا الورقة على بعضهما قليلاً، فتظهر الأوراق على هيئة سُرب ينحدر منها الماء والندى إلى الجذور .







والأزهار بيضاء مشربة بلون أخضر محمر، تظهر في الربيع من بين الأوراق على رأس شمراخ متفرع، يشبه القنو، يجاوز رؤوس الأوراق، ويزيد طوله، في الغالب، على المتر، ودون ذلك رأيته في جبال ظفار، جنوب عُمان، وهنا رأيت البعض منه مزهرا من أسفله إلى أعلاه بلا تفرع . ولهذه الأزهار رحيق ينتابه النمل خاصة بأعداد كبيرة، والثمار خضراء كروية، موشاة بنقط بيض باهتة، يصير لونها أصفر أو برتقاليا عند النضج. وتحتوي كل ثمرة عددا قليلا من البذور القاسية، وأخبرني دليلي العُمَري من أهل الجُنُش أنهم كانوا يجمعونها في أزمنة الجوع الخالية، فتطحن كما يطحن الشعير أو البر، ثم تخبز وتؤكل .

وكان السَّلَب من أهم الموارد الاقتصادية لأهل السَّراة، إذ كان يُصنع منه الحبال والأرشية وغيرها. وأخبرني دليلي العُمَري أيضاً أنهم كانوا يتقاسمون منابت السلب في الجبال، كلٌ يعرف حصته، ويرثها مَن بعده. وهم يقطعون الأوراق أولاً، ثم يضربونها بالهراوى (المناجم) على سطح صلب أملس، حتى يلين اللحاء ويتحلل، ثم تدفن (تُجْبَنَ بلغتهم) في حفرة نحو عشرة أيام، ويضعون تحت الأوراق وفوقها أوراق الغلف، ثم يستخرجونها ولها رائحة كريهة، تجتذب نحوها أعدادا كبيرة







• السَّلَب في جبال ظفار

من الذباب، ثم تغسل بالماء، فيذهب ما بقي من اللحاء، وإذا بتلك الأوراق قد تحولت إلى خيوط ناصعة البياض، بطول الورقة، ثم تُشرَّق في الشمس حتى تجف، ثم تفتل ويصنع منها الأرشية وغيرها. وقديما اشتهرت قرية الحُمْران التابعة لمدينة بلجرشي (وادي سَيْل) بصناعة الأرشية والحبال من السَّلَب .

وتعد الأرشية المصنوعة من هذه النبتة من أجود أنواع الحبال وأقواها وأطولها عمرا، فعند نقل الجلاميد الضخمة لغرض البناء كان الناس من أهل السَّراة يستعملون لحملها تلك الأرشية، وكان الرجال الذين يتدلّون من أعالي القمم لجمع العسل البري من الوقاب النائية في الجروف الخطرة، أو اقتناص أعشاش الطيور، أو إنقاذ الماعز المحصور في مهاوي الجروف، كانوا يربطون أنفسهم بتلك الأرشية ؛ لثقتهم الزائدة في قوتها ومتانتها، وكذلك كانوا يفعلون إذا أرادوا الغوص في الآبار العميقة، ومثلهم الصبية الذين يتعلمون فيها السباحة .

وأخبرني رجل من تهامة بالأسمر أن لهم طريقة أخرى في معالجة السَّلَب، فقال : نحن نجتثه من أصوله ثم ندقه على حجر مسطح أملس محدّب، دقًّا خفيفا لا يقطع أليافه، ندقه بفهر مدوّر بحجم قبضة اليدين، ويبقى الثلث الأخير منه حيث قبضة اليد، ثم نأخذ خشبة مستقيمة، نسميها المحاص (من التمحيص) فنسحبها عليه بشدة، فيتخلص مما يشوبه، وتخرج الألياف بيضاء خالية من الأوشاب . ثم نلفها في خشبة حتى الثلث المتبقي، فنفعل به فعلنا السابق . قال: ونحن نتخذ منه مقالع في أطرافها خيوط مرسلة أقل من







• السلّب، الخَرَق _ *S. forskaliana*







الشبر لم تنسج، نسميها (مَفَاقِع)، نضرب بها في الهواء فتحدث صوتاً مدويًا يخيف الطيور ويطردها عن الزرع، ويطرد غيرها من الحيوانات والهوام الضارة .

وفي جبال سَوْدان باليمن وجدت امرأة تبيع أوراق السَّلب في حزم على قارعة الطريق، فسألتها، فسمته الشُقَر، قالت : ونضربه بالعصي حتى يتفتت، فنقدمه علفا لأغنامنا حين تقل الأمطار وتندر المراعي . ونجففه في الشمس، ونصنع منه الحبال .

ومن السَّلَب نوع آخر (*S. forskaliana*) يسمى في معظم جبال السَّراة (الخَرَق). وربما أبدلت الخاء هاءً في بعض تهائم اليمن. وفي صدور هذيل يسمونه (الضَرْع) ومعظم بني ناشر من بني عمر يسمونه السَّلَب أيضًا . منابته كالسَّلَب الأكنان الندية الهشة بين





الصخور وتحت الأشجار، على علو ٧٠٠ – ١٥٠٠م . ورأيته في وادي الجنابين من أودية السفوح الشرقية، على ارتفاع ١٧٠٠م . وهو يكثر في منابته بواسطة فسائل تنبت بجوار النبتة الأم غالبا. وهذا النوع يشبه السَّلَب، لا يكاد يميز بينهما الناظر من بعيد، إلا أن أوراق الخَرَق أعرض، وأقل ثخانة وصلابة، وأشد خضرة، وطرفاها أقل انطواء على بعضهما من أوراق السَّلَب، وتتميز أوراقه أيضًا بخطوط عرضية باهتة مغبرة، تُحلّي خلف الورقة من أسفلها إلى أعلاها؛، تشبه جلد النمر المخطط .

ويزهر الخرق صيفاً، وأزهاره بيضاء ناصعة، تظهر على هيئة أزهار السَّلَب، مع طول زائد، ولها رائحة طيبة، وثماره كثمر السَّلَب أيضاً حجما ولوناً. وقد يتخذ أهل السرَاة من أوراقه أرشية وحبالاً وغيرها، يعالجونها كما يعالجون أوراق السَّلَب، إلا أنها أقل جودة من تلك. وأخبرني دليلي من أهل جبل سلا أنهم كانوا يدقون الأوراق حتى تظهر الألياف، فيهنؤون بها الإبل، ويصنعون منها قبعات الأطفال (القُبْع، القَوْبَع) وربما صنعوا منها الشرُك والأوكية والحبال الصغيرة .

وفي هذا العصر راج هذا الأخير، واشتهر أكثر من النوع الأول؛ لكونه أحد أهم نباتات الزينة، إذ يزرع في الأماكن الظليلة، في الحدائق وداخل المنازل، ونحوهما، فينمو ويزدهر، ويظهر في منظر جميل، ولاسيما إن وجد عناية خاصة .

وفي جبال الريث شرق منطقة جازان يسمون السَّلَب (أَمْهَار) فإذا قطعوه وجردوه من لحائه سموا أليافه بعد تنقيتها من الشَّوائب السَّلَب . وفي جبال ظفار جنوب عمان يسمون السلب (شِيْبَتّه) وآخرون (الشِّيْطة) . وفي إب وتعز ومناطق أخرى من جنوب اليمن وشماله يسمونه (السَّلْعَف) بكسر

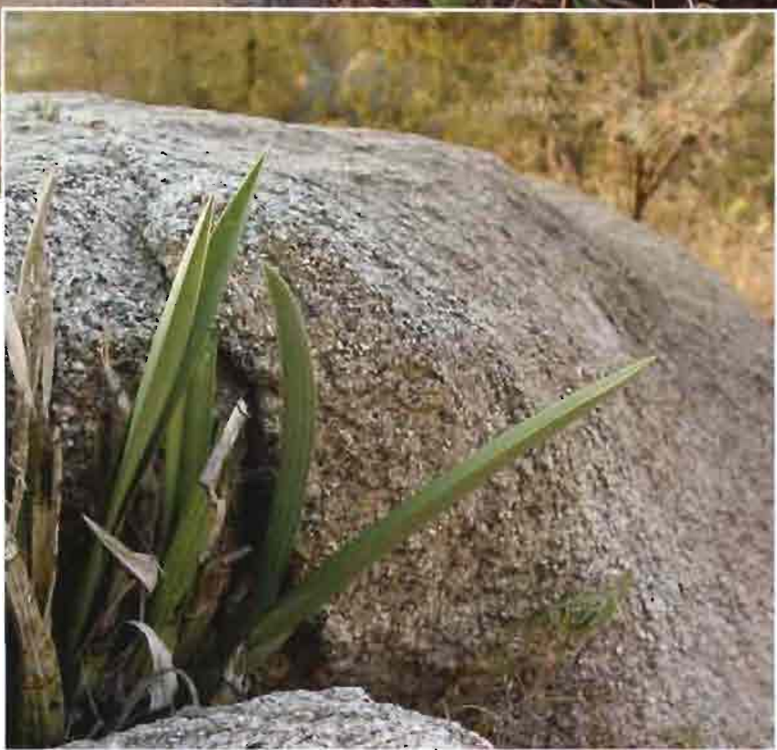


• السَّلْعَف _ *Agave amcricana*

العين وفتحها، وربما نطقوه (الصَّلْعَف) بالصاد، وفي جهات من جبال حَجَّة وعَمْران يسمى (الخَوْص) وآخرون منهم يسمونه ، كما تقدم (الشُّقَّر) . وفي جبال الحَيْمَة يسمونه (الجَزَب) وآخرون (القَزَب) . وفي جبل صبر سمعتهم يطلقون السَّلْعَف على الخرق أيضًا .

وفي الجبال الواقعة بين إب وتعز يطلقون السَّلْعَف على نوع دخيل من الفصيلة الأغافيَّة أيضًا (*Agave americana*) أوراقه سيفية ثخينة، تنتهي برؤوس حادة شديدة الأذى، تشبه أوراق السَّلَب، تخرج أوراقه من أصل واحد على شكل دائري، ومن بينها يخرج ساق يرتفع نحو ٥م، ثم ينشأ





• السَّحْلَب، السَّلَب _ *Eulophia petersii*

في أعلاه فروع أفقية صغيرة تحمل الأزهار والثمار، ويحمل أيضًا فسائل لها أوراق صغيرة مسننة، تسقط فتنمو من جديد . وهو واسع الانتشار برياً في جبال إب وتعز والقاعدة، وهو كالخزم سام جدًا للأغنام، ترعاه فلا تلبث بعده كثيرًا، وربما زرعه الفلاحون حول حقولهم، فيكون سياجًا منيعاً، يصعب اقتحامه .

وفي سراة بني عمر يطلقون السَّلَب أيضًا، على نوع من الفصيلة السَّحْلبية، هو السَّحْلَب (*Eulophia petersii*) وبعض أهل الجُنُش يسميه السَّلَب المبروم، تمييزا له عن السَّلَب. وفي جبل شدا الأعلى

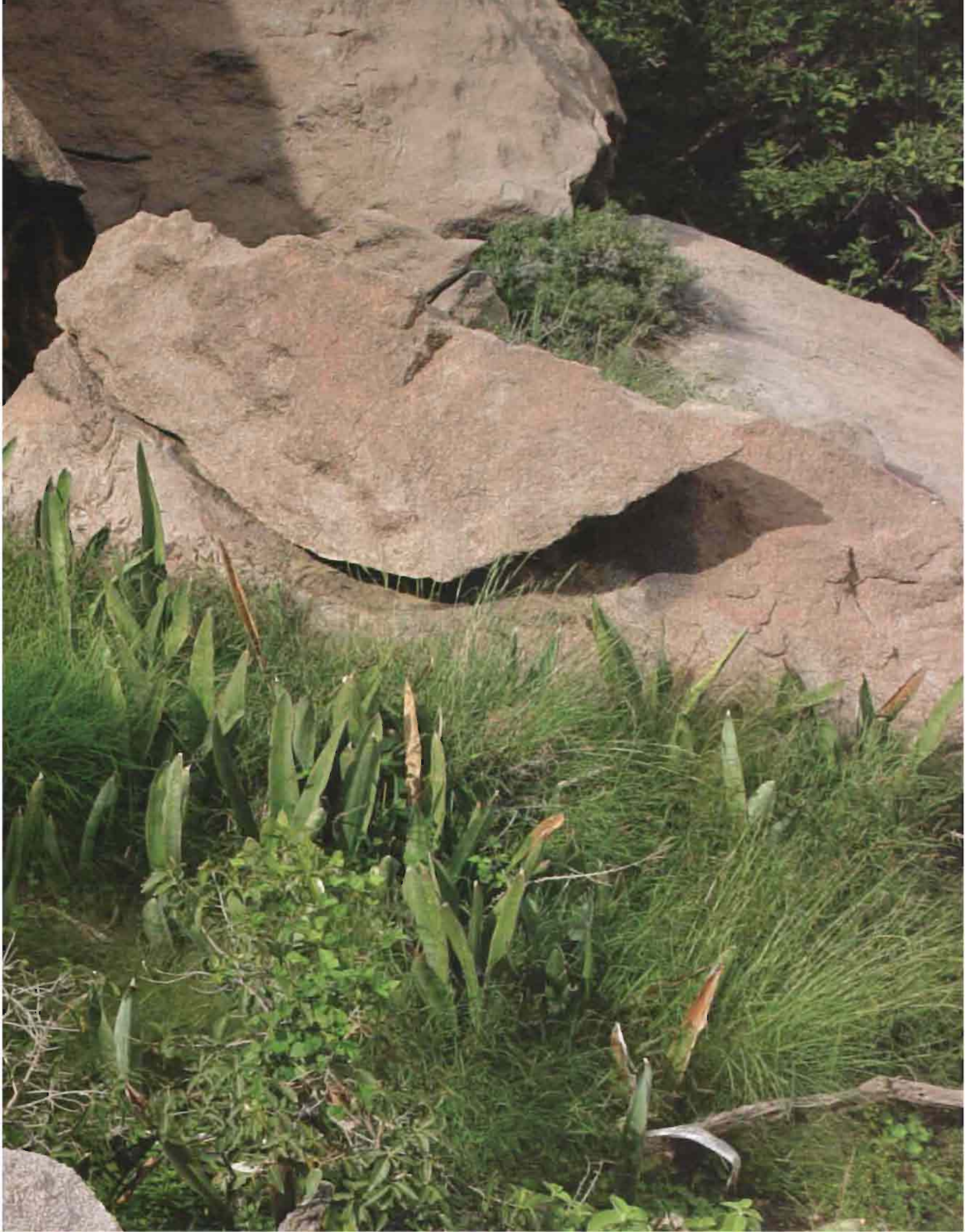


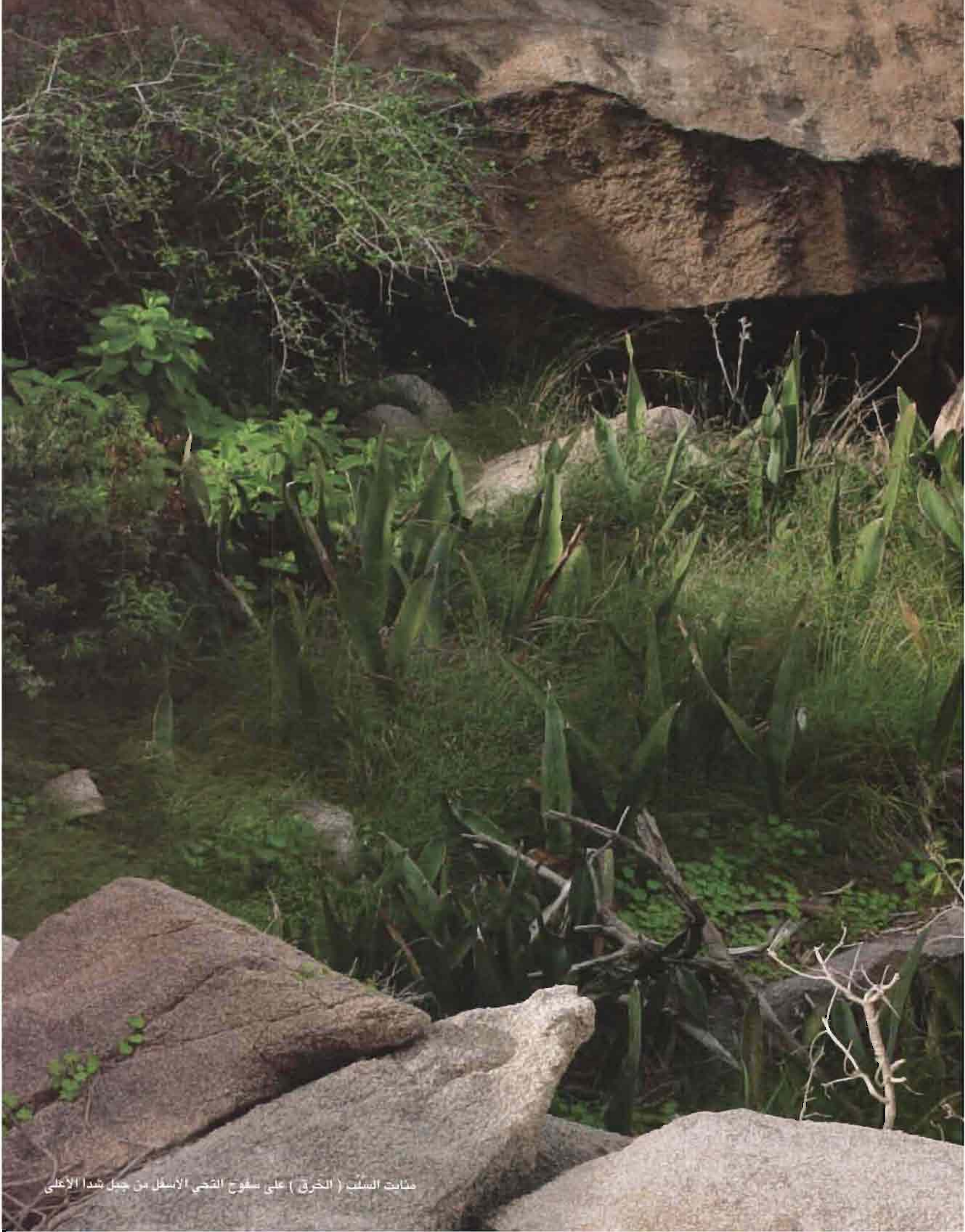


يسمونه (الطَّحْلَب) لعله محرف عن السَّحْلَب. وآخرون يسمونه (ذَرْوَة السَّلَب) أي ابن السَّلَب. سموه سلبا للشبه الكبير بين النوعين، وكذلك لاستعمالهم أليافه في صناعة الحبال الصغيرة والشُّرُك والأوكية، وهي قوية مرنة في جودة حبال السَّلَب. وربما كان السَّحْلَب نفسه ماخوذا من السلب مع زيادة الحاء. وهذا النَّبات قليل الانتشار، منابته أعالي الأصدار، على ارتفاع ١٥٠٠ – ١٧٠٠م . له درنات بارزة على سطح الأرض بيضاوية الشكل، معلمة بأخاديد طولية، طولها نحو ٢٠سم، تختزن في جوفها الماء والغذاء، ويكسوها غلاف شمعي يمنع عنها التبخر، وتبقى الدرنة حية حتى يظهر أخرى بجوارها فتموت الأولى. ويظهر في أعلاها ورقتان أوثلاث، تشبه أوراق السَّلَب، شكلا لا حجما، إذ لا يزيد طول الورقة، في الغالب، عن ٣٠سم . والأزهار بنية اللون إلى بنفسجية، يحليها من الداخل عروق بيضاء، تظهر بأعداد كبيرة، محمولة على شمراخ ينشأ من قاعدة الدرنات، يصل طوله إلى نحو ١٣٠سم . ويعقبها ثمار بيضاوية الشكل، بنفسجية اللون، معلمة بأخاديد يميل لونها إلى الأخضر المصفر .

---

(١) النَّبات ٣ / ٢٥٣ . وينظر : شرح أشعار الهذليين١ / ٥٣، ٢ / ٥٨٠، وغريب الحديث لأبي عبيد ٤ / ٢٤٣، والفصوص ٢ / ٨، وفيه تفصيل جيد. والنهاية ٢ / ٣٨٧، والعين ٧ / ٢٦١، وتهذيب اللغة١٢ / ٤٣٤، والصحاح ١ / ١٤٩، وشمس العلوم ٥ / ٣١٤٩، واللسان ٦ / ٣١٩، ١٤ / ١٤٥، والتاج ١ / ٣٠١ (سلب) .





منابت السلَب (الخرق) على سفوح التحي الأسفل من جبل شدا الأعلى

السَّلَع



قال أبو حنيفة: ((أخبرني أعرابيٌّ من أهل السَّراة، قال : السَّلَع: شجرة مثل السَّنَعْبُق إلا أنه ينبت بقرب الشَّجرة ثم يتعلق بها فيرتقي حبالاً خضرًا، لا ورق لها، ولكن قضبان يلتف على الغصون ويشتبك. وله ثمر مثل عناقيد العنب، صغار، فإذا أينع أسود، فتأكله القرود فقط، لا يأكله الناس ولا السَّائمة. قال: ولم أذقه، وأحسبه مرًّا . قال: وإذا قُصف سال منه ماء لزج صاف، له سعابيب)) (١) .

قال : ((والنَّعام تأكل السَّلَع، وهو سم كله، ولذلك قال الشاعر:

فهم سراع إليكم بين ملتقط   شوكًا وآخر يجني الصَّاب والسَّلعا(٢)

قال: ((ومنه المُسَلَّعة؛ كانت العرب في جاهلِيتها تأخذ حطب السَّلع والعُشَر في المجاعات وقحوط القطر، فتوقر ظهور البَقَر منها. وقيل : يعلّقون ذلك في أذنابهم، ثم تلفح النار فيها، يستمطرون بلهب النَّار المشبَّه بسنا البرق . وقيل يضرمون فيها النَّار، وهم يُصعدونها في الجبل، فيُمطرون، زعموا)) (٣) .

السَّلَع

Cissus quadrangularis

الفصيلة العنبيَّة - VITACEAE



قلت: السَّلَع شجيرة متسلقة معترشة معمرة، واسعة الانتشار. منابتها الأغوار الدافئة الرطبة من جبال السَّراة، تنبت في بطون الأودية وضفافها، حتى ارتفاع ١٣٠٠م.

ترتفع عن الأرض قدر ٢ – ١٠م، ولها معاليق كمعاليق العنب إن نبتت قرب شجرة تعلقت بها، وإلا زحفت على الأرض أو تدلت على الصخر، لها سيقان، لحمية خضراء مربعة، ذات مفاصل، عرضها نحو ١ سم، وقد يزيد قليلاً، يظهر على زوايا سيقانها الغضة، أحيانا، زغب أبيض خفيف. وربما تتدلى من سيقانها المعترشة عروق هوائية تصل إلى الأرض فينجم عنها سيقان جديدة. ولها، بخلاف ما رواه السَّرويّ، أوراق تظهر على السوق الحديثة النمو، أما القديمة فتتعرى من الورق تماماً. ولعل ذلك السَّرويّ رآها في غير وقت الإيراق، فظن أنه لا ورق لها ألبتة. والأوراق خضراء ثخينة، تزداد ثخانة كلما انخفضت منابت السلع. وهي بيضاوية الشكل، أو شبه مثلثة، وربما ظهرت بثلاثة فصوص عميقة، مسننة الأطراف. وهي تكتنز الماء في أوراقها وسوقها، فإذا قُصفت سال منها ماء أبيض صاف لزج له سعابيب، كما وصف السَّرويّ، وقد ذقت ذلك السائل، فكان له أثر حار لاذع كأثر مشروب ساخن، ثم يورث في الحلق حرارة وألما كوخز الشوك، كأثر أوراق









جذور هوائية متدلية ، ينجم عنها سيقان جديدة

الحَلْق. فإن لامس الجلد أورثه حكة وحرقة يسيرة، وإن وقع منه شيء في العين سبب لها ألماً وحرقة شديدة. وأزهارها صفراء مخضرة، تظهر من المفاصل على السوق الحديثة في عناقيد صغيرة تقابل الأوراق، فترى في إحدى الجهتين عنقوداً، وفي الأخرى ورقة، وهكذا إلى قمة الساق. وقد رأيت عليها مرة ما لا يحصى من الفراش والزنابير. وثمارها بيضاوية في حجم النَّبِقَة، تظهر خضراء فإذا نضجت احمرت حمرة قانئة، يشوبها أحياناً سواد قليل، وفي داخلها بذرة واحدة أو بذرتان .

والسَّلَع غير سام، كان أهل السَّراة في المجاعات يطبخون ورقه كالغلف فيأكلونه. وأخبرني رجل من تهامة خثعم بأنهم كانوا قبل أكله يطبخونه ثلاث مرات، في كل مرة يريقون الماء الذي طُبخ فيه، فتلطف حرارته وتعتدل حموضته، ثم يضيفون إليه شيئًا من حليب البقر أو الغنم، فيخوضونه حتى يصير كالحساء فيأكلونه، وفيه حموضة كالغلف. وإذا حنذوا اللحم وضعوا سيقان السَّلع فوق الجمر مباشرة ثم وضعوا فوقه اللحم. فتنضجه الحراراة، ولا يحترق بالجمر. وإن أضافوا كمية أخرى من اللحم فصلوا بينهما بأعواد صغيرة من البَشَام أو الشَّقَب، فتطيب بها نكهة اللحم، ولا يلتصق بعضه ببعض. وأخبرني رجل من أهل جبال فيفا أنهم كانوا يهرسون أوراقه ويضيفون إليها نصف كميتها من دقيق الذرة، فيأكلها المصاب بحمى الملاريا، فيشفى .



● عترهن _ C. hamaderohensis نوع نادر من السلع في جزيرة سقطرى



وتمرس فيضمدون بها الجروح الحديثة، وموضع الختان من الصبي، فيبرأ على عجل، بإذن الله تعالى. والأغنام تعافه، فإذا أجدبت الأرض وندرت المراعي حنذه الرعاة كما يحنذون الغلف وقدموه علفًا لها، فتسمن عليه، ويغزر درُّها، وتطيب ألبانها ولحومها طعمًا ورائحة.

وإلى عهد غير بعيد كان كثير من أهل السَّراة يستمطرون، كعادة الجاهليين، بالبقر، دون أن يوقروه بالسَّلع أو العُشَر، فكانوا يتخيرون بقرة سمينة، ثم يطوفون بها الأودية حول قراهم، فيصعدون جبلا وعرًا ويهبطون من آخر، وهم حفاة عراة إلا من ثياب رثة، ورؤوسهم مكشوفة، وفي سيرهم يضجّون إلى خالقهم بالدعاء والتضرع، ويرددون في إلحاح وخشوع وانكسار قولهم : ((يا حنَّان يا منَّان مُنَّ علينا بالمطْران)) وهكذا .. حتى إذا انتهوا إلى المكان الذي قد بدأوا منه، صلوا ركعتين، ثم يذبحون تلك البقرة، ويوزعون لحمها على كل فقير ومحتاج . وقد أخبرني نفر كثير ممن عاصر ذلك الفعل وشاهده





● عترهن _ C. subaphylla نوع من السلع في جزيرة سقطرى

بأنهم كانوا يُسقون بفعلهم هذا، بإذن الله تعالى . وربما منعهم غزر المطر من إتمام ذبح البقرة وجزرها .

وسمعت أهل الزَّيْمَة من الأشراف وجيرانهم من بني مسعود من هذيل ينطقونه (السَّلَعي) بزيادة الياء في آخره . وأخبرني غير واحد من أهل جبل شمنصير، من بني سُليم، أنه من نبات بطون الأودية المنخفضة من ذلك الجبل، وأنهم ما زالوا يسمونه السَّلَع، ولم أره . ويُسمَّى في معظم ديار بني عمر وتهامة زهران (الصمَّيعاء) أخذوه من هيئة الورق الشبيهة بالأذن الصمعاء، وأكثرهم لا يجهل اسمه الشائع. وسمعت رجلا من أهل وادي قنونا يسميه (الحَرد) .

وأخيرا شاهدت هذه النبتة بأعداد طيبة في منتصف وادي قَصَب من جبل رضوى . ولم أرها في غيره من الجبال المجاورة . وسمعت أهل ذلك الوادي يسمونها (الأصابع) شبهوا سيقانها المربعة





الشكل بأصابع اليد . وذكرت لهم أنها السَّلَع، فلم يعرفوها بهذا اللفظ .

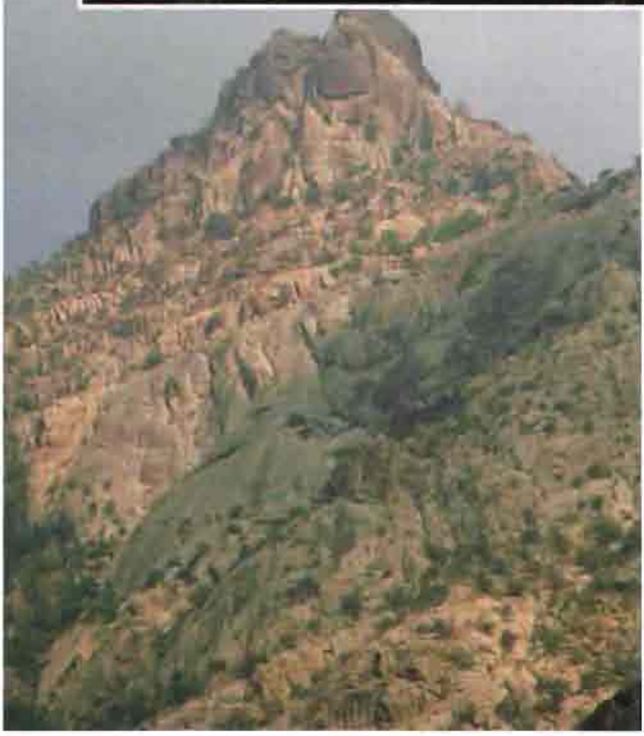
وفي جبال ظفار يسمون السَّلَع (عِتْره) بتاء مفخمة وراء رقيقة، وآخرون (عَطْراء) بالمد . ورأيت في جزيرة سقطرى نوعًا من هذه الفصيلة يشبه السَّلَع (*C. hamaderohensis*) وهو واسع الانتشار في تلك الجزيرة، وأهلها يسمونه أيضًا (عِتْرَهَن) أو (عِتْرَها) بترقيق الراء، وربما قلبوا التاء طاء. ويطلقونه أيضا، على شجيرة أخرى من الفصيلة نفسها (*C. subaphylla*) تشبه النوع السابق في طريقة الإزهار والإثمار، وتتميز عنه بسيقانها المفلطحة شبه الأسطوانية، وثمارها قلبية الشكل في الغالب. وهما نوعان نادران متوطنان في تلك الجزيرة .

---

(١) النَّبات ٦ / ٤٤ .

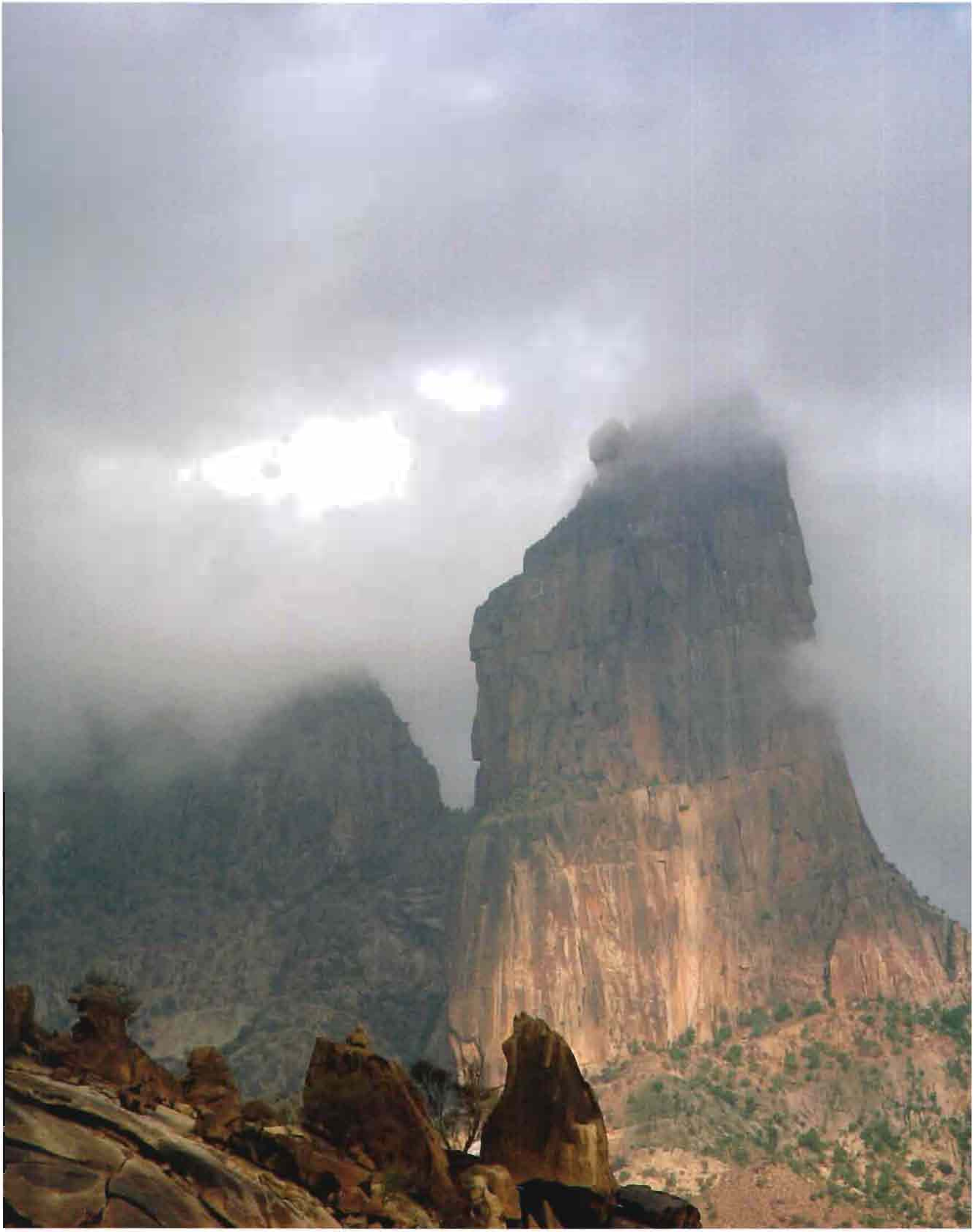
(٢) النَّبات ٣ / ٤٦ .

(٣) النَّبات ٦ / ٤٤. وينظر : ديوان الأعشى ٣٩٥، وأمية بن أبي الصلت٢١٤، وأبي العتاهية ٢٣٠، وابن الرومي ١ / ٢٧٤، ٤ / ١٥٣٠، والنَّبات للأصمعي ١٦، والغريب المصنف ١ / ٤٣٨، والحيوان ٤ / ٤٦٦، ٤٦٨، والمنتخب٢ / ٤٦٣، والمخصص١١ / ٢١٤، ونظام الغريب٢١٢، ٢١٧، والأزمنة والأمكنة ٢ / ١٢٤، ٢٥٦، وصبح الأعشى ١ / ٤٠٩، والعمدة ٢ / ٥٤٠، والعين ١ / ٣٣٥، والجمهرة ٢ / ٨٤١، والصحاح ٣ / ١٢٣١، والمحكم ١ / ٣٠٦، واللسان ٧ / ٤٣٤، ١٤ / ٥٥، ١٥، ٢٧، والقاموس ٩٤٢، والتاج ٥ / ٣٨٥ (سلع) .





منابت السلع والغلف بوادي مليل، ومن خلفه القارة من جبل شدا الأعلى ، شموخ يعانق السماء





السَّلَم

قال أبو حنيفة : ((السَّلَم سَلِب العيدان طولاً، شِبْه القُضْبان، وليس له خشب وإن عظم، وله شوك دقاق طوال، حادٌّ إذا أصاب رِجْل الإنسان . قال وللسَّلَم بَرَمَةٌ صَفراء، وهي أطيب البرَم ريحًا . ويُدبغ بورقه . وعن الأعراب: للسَّلَمة زهرة صَفراء فيها حبة خضراء، طيبة الريح، وفيها شيء من مرارة، وتجد بها الظباء وجداً شديدًا . واحدته سَلَمَة بفتح اللام، وقد يجمع السَّلَم على أسلام . قال رؤبة:

كأنمَّا هَيَّجَ حينَ أَطْلَقا   مِنْ ذاتِ أَسْلامٍ عِصيًّا شقَقا

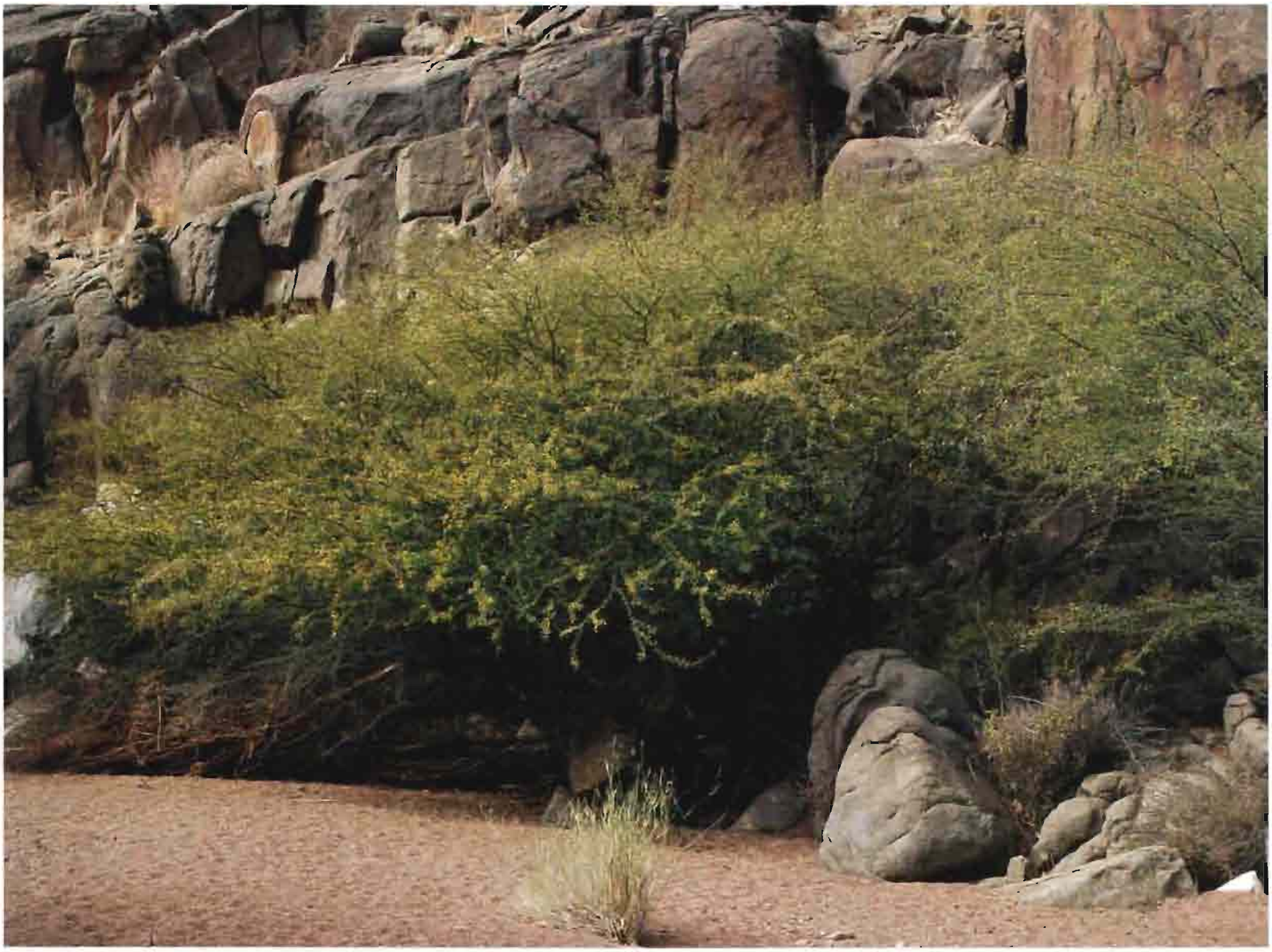
وبه سُمي الرَّجل سَلَمَة . وأرض مَسْلُوماء كَثيرة السَّلَم)) (١) .

وقال في باب دباغة الجلود : ((قال أبو زياد : خيرها ما دُبغ بالقَرَظ ثم الأَرْطَى ثم السَّلَم ... فإن دُبِغَ بورقه قيل: سِقاء مَسْلُوم، وإن دُبغ بنَجَبه، قيل: سقاء مَنْجُوب . قال: وكلُّ شيء من السَّلَمة مُرٌّ)) (٢) .

السَّلَم

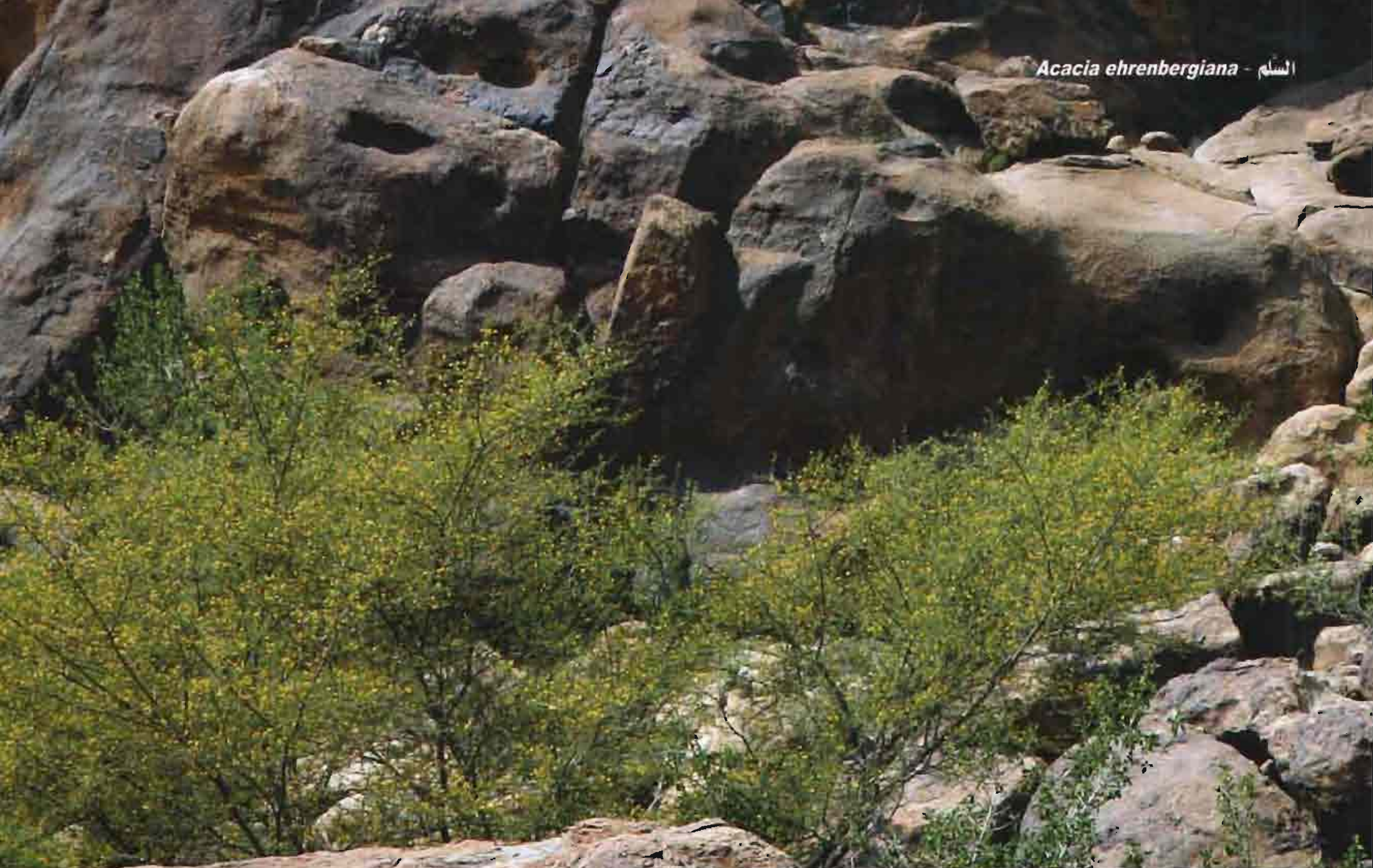
Acacia ehrenbergiana

الفصيلة السُّنْفيَّة - LEGUMINOSAE



قلت: السَّلَمة شجرة شوكية شهيرة، واسعة الانتشار في جبال السَّراة والحجاز، أكثر منابتها تهائم السَّراة، وتنبت هنالك في مجموعات كبيرة، فربما كان منها أجمات وأحراج واسعة يصعب الولوج من خلالها، يقال لها أيضًا: السَّلْيل (٣). تنبت في بطون الأودية الفيحاء، وعلى ضفافها الواسعة، وذلك على ارتفاع ١٠٠ – ٩٠٠م . وقد تنبت في الحزون والأسناد وأعالي الجبال حتى ارتفاع ١٥٠٠م، لكنها في المنابت العالية تكون، في الغالب، أصغر حجما وأقل تفرعًا .

ترتفع السَّلَمة عن الأرض قدر ٣ – ٤م على سيقان كثيرة فنواء، تخرج من أصل واحد، على نحو دائرة مخروطية الشكل، وهي، كما ذكر أبو حنيفة، سَلب العيدان طولا، ليس لها ساق يعظم كالطَّلْح والسَّمُر، وإنما هي أعواد نحيلة شبه مستقيمة ملساء، لا يزيد قطر أعظمها، في الغالب، على ١٢سم، يكسوها أحيانا قشور رقيقة صفراء، تُرى بوضح عند شروق الشمس وبعد زوالها نحو الغروب. ورأيت القرود في بعض سهول تهامة تقشر لحاءها فتمتص من مقشرها سائلا صمغيا حلو الطعم . وتموت الأغصان، غالبًا، من جراء ذلك الفعل . وأشواكها طويلة حادة، بيضاء اللون، مؤلمة حارة عند وطئها. وأوراقها ريشية قليلة، تظهر من بين أصول الأشواك في مجموعات على أعناق قصيرة، تسقط أواخر الربيع، فتظهر الشجرة بعدها جرداء، محمرة العيدان، كأنها يابسة، ثم تظهر مع الأزهار في نهاية الشتاء، تزهر بكثافة، فتصفر منها بطون الأودية. وأزهارها بَرَمٌ صُفْرٌ زاهية اللون، في حجم أزهار الطلح، وطعمها مر، لكنها أطيب البرَم ريحًا، كما ذكر



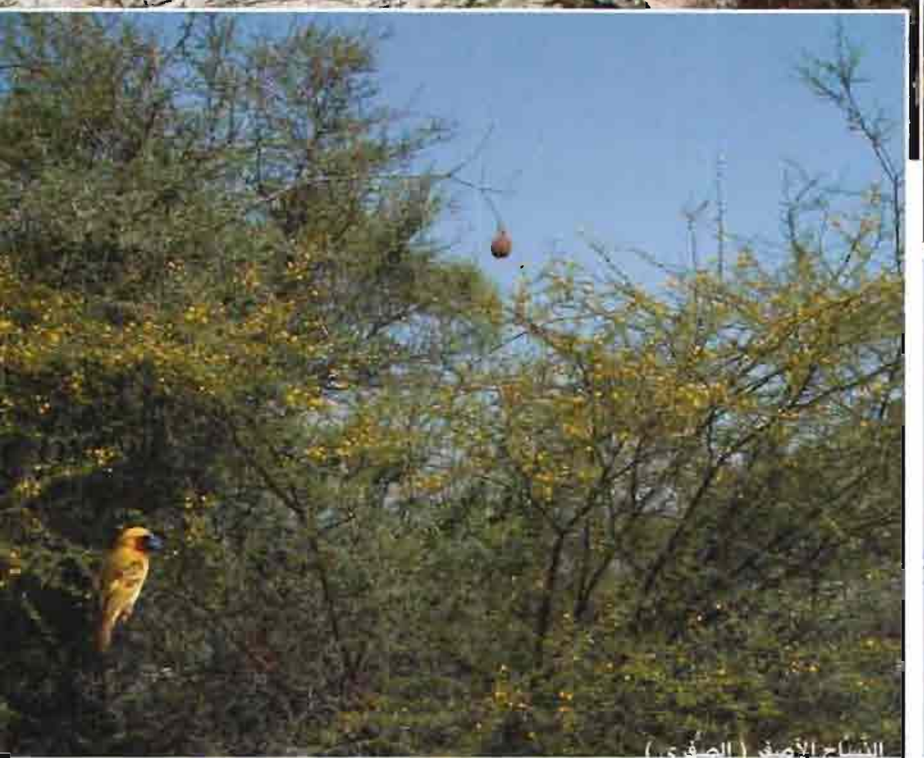
Acacia ehrenbergiana - السَلَم



النُهس (الصُرد)



النغر الأزرق



النساج الأصفر (الصفري)









أبو حنيفة، وتدوم أزهارها إلى منتصف الربيع . يجرسها النحل وكثير من الحشرات وطائر التمير الأزرق، ويكمن النُّهَس بين أغصانها لاقتناص الحشرات الزائرة . ورأيت الماعز يلتهم ما تساقط منها بنهم وشراهة. ويخرج من الزهرة الواحدة نحو ٣ - ٥ ثمار سنفية، مقوسة مخصرةً، طولها نحو ٨سم، وعرضها نحو ٤ ملم، وطعمها كالزهر مر غير مستساغ، وسمعت كثيرا من بادية الحجاز يسمون أزهار السَّلَمة (البَلَّة) وثمارها (الحِبْلَة)، وكذا يسمون أزهار السَّيَال والسَّمُر وثمارهما، وهو استعمال عربي فصيح(٤) . وكذلك يُسمَّى ثمر السلمة في جبل شدا الأسفل ، وينطقونه (الحُبُلة) بضم الأول والثاني . وسمعت أهل جبل شمنصير، من بني سليم، يطلقون (البَلَّة) على زهر كافة الأنواع الطلحية التي تنبت في ديارهم .

وربما ظهر على بعض فروعها العالية زوائد من الأغصان الدقيقة العقيمة التي سرعان ما تموت، وتتدلى على هيئة شبه كروية، يكسوها أوراق مجعدة قليلة وأشواك قصيرة قليلة كذلك .

وأخبرني عدد من أرباب النحل في ديار خثعم وبني عمر بأن النحل يثمر أزهار السلمة بشراهة، فيصيبه الحبط، فيُرى كالغثاء ميتا حول الخلايا، ولاسيما عند أول ظهور الأزهار، أو حين تزهر وليس في المراعي شجر مزهر سواها. وقال أحدهم: ولا يضرها منه شيء بعد مرور عشرة أيام أو أكثر على ظهور الأزهار. قال: وكذلك حاله عند ظهور أزهار القرظ . وعسلها أحمر اللون، يميل مع التقادم إلى السواد، وهو قليل نادر ليس له شهرة كعسل الطَّلْح أو السَّمُر، وبنو







الغازي شرق منطقة جازان وبعض أهل جبال فيفا يسمونه (عسل البَلَّة) .

وما زال بعض أهل السَّراة يستعملون لحاء السَّلَمة في الدباغة، وهو من أفضل أنواع الدباغ عندهم بعد القَرَظ. ويستعملون خشبها وقوداً، لكنه ليس في جودة وقود القَرَظ أو السَّمُر . ومن عادات العرب أنهم كانوا إذا أرادوا احتطاب السَّلَم شدوه ثم قطعوه، قال المبرد: ومن ذلك قول الحجاج : ((والله لأحزمنَّكم حزم السَّلَمة، ولأضربنَّكم ضرب غرائب الإبل))(٥) .

والإبل ترعى السَّلَم، وكذلك الماعز تنوش منه ما قرب من الأرض، وربما استعمل الرعاة المخابط لضرب الأوراق، نتسقط بأيسر جهد، فترعاه إبلهم وأغنامهم . وهو من أفضل المراعي، كما جاء في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((إن خير



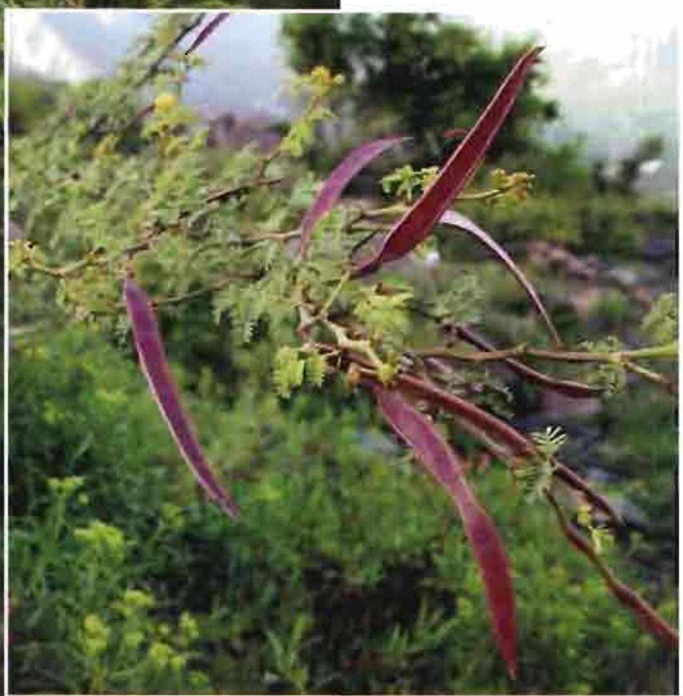
• الحَرَض _ *A. yemenensis*

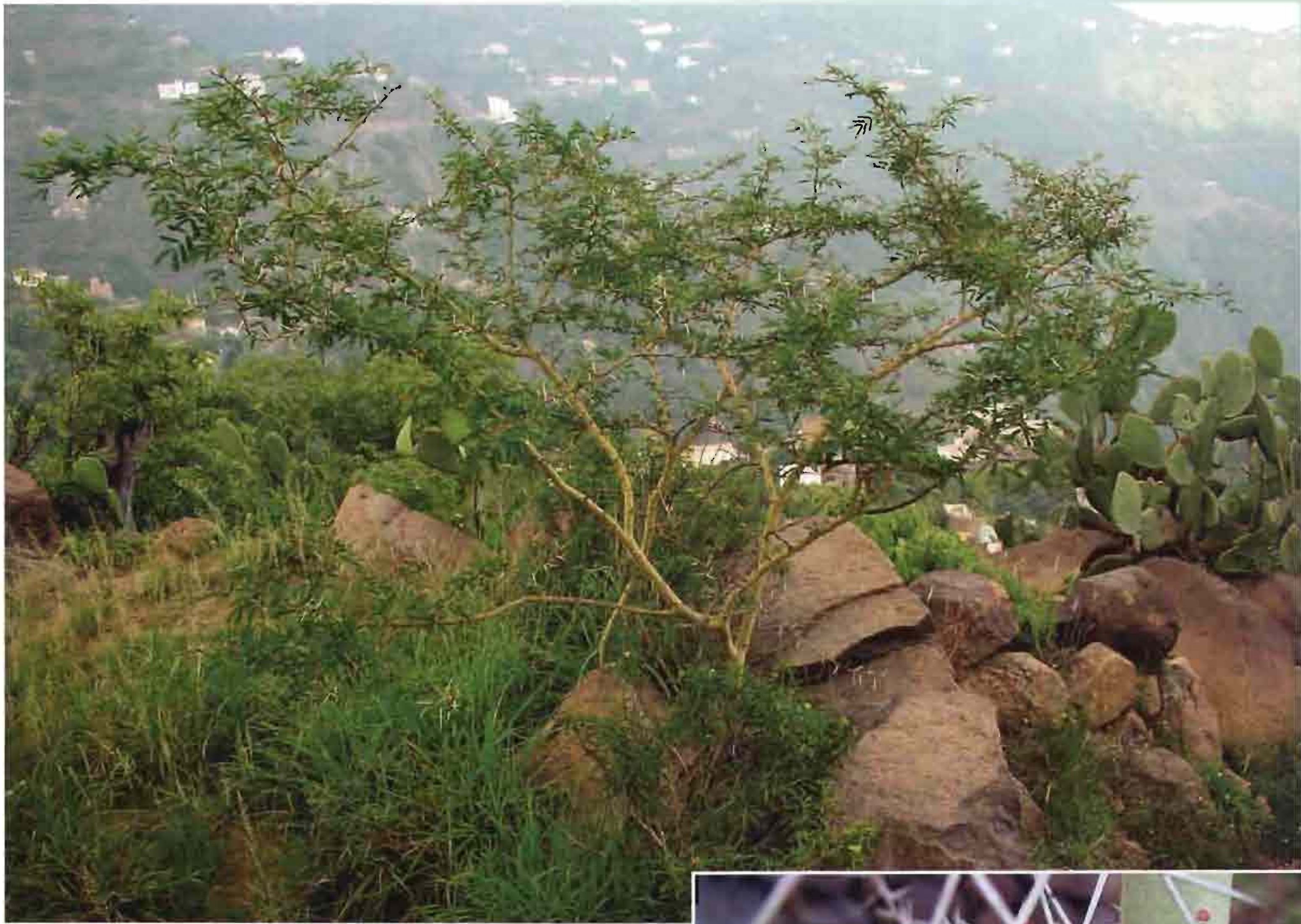
الماء الشَّبِم، وخير المال الغنم، وخير المرعى الأراك والسَّلَم، إذا أَخْلَف كان لَجيناً، وإذا سَقط كان دَرينا، وإذا أُكل كان لبَينا)) (٦) .

وتَبني الطيور أعشاشها بين أغصان السَّلَم الكثيفة ، فتوفر لها الحماية الكافية، وكثيرا ما يلفت النظر إليها عش العصفور الأصفر المرقَّط الظهر (الصُّفْري) الذي ينسج عشه معلقا على أغصانها النحيلة كهيئة الكلية. ويشيع اعتقاد لدى الناس في بعض ديار جهينة أن الثعبان الأسود خاصة، لا يضر الإنسان أبدا إن كانت عصاه من سَلَم لم تسمها النار أو عضة إنسان !!

وذهب الخليل وبعض أئمة اللغة إلى أن القَرَظ هو ورق السَّلَم(٧)، وليس الأمر كذلك ؛ لأن القَرَظ شجر بعينه غير السَّلَم، فشجرة القَرَظ وإن كانت تشبه السَّلَمة، وتنتمي مثلها إلى المجموعة الطلحية، إلا أن بينهما فروقاً كثيرة يمكن ببعضها التمييز بينهما بأيسر الجهد .







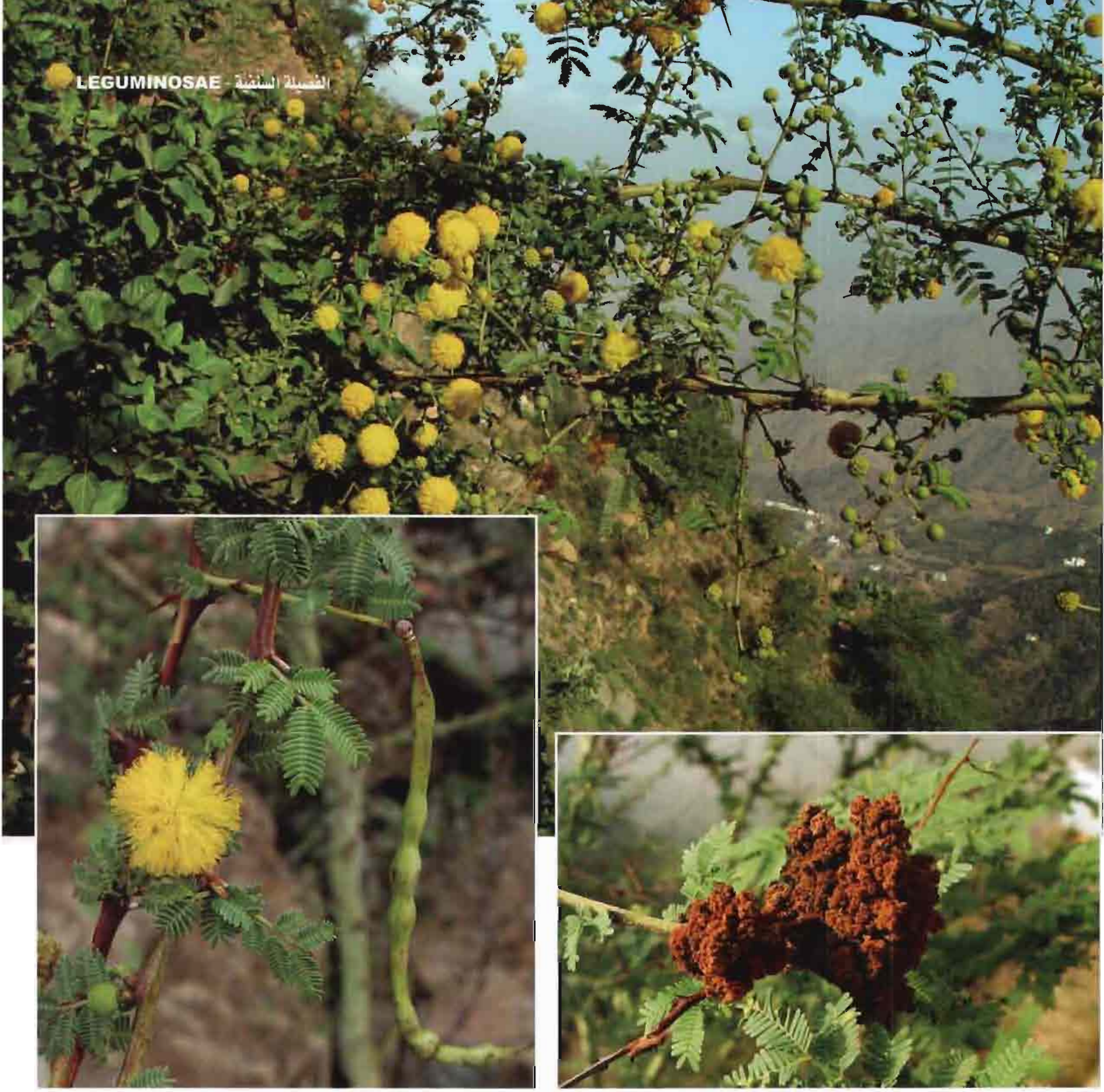


● المِيَّل _ A. seyal

وسمعت أهل جبل رضوى من جهينة يسمونها (السِّلمة) بكسر الأول والثاني، وهي السِّلَام في تهائم اليمن وجازان وعسير، وهي تسمية بجمع الجمع، أو هي لغة قديمة في السَّلَم، نقلها أبو عبيد وغيره (٨) . وسمعت بعض أهل جبال حَجَّة باليمن يسمونها (السَّمْر) ولا يفرقون . وسمعت أهل جبال الرِّيْث يسمونها (الحَرَاض) فذكرت لهم أنها السَّلَم، فلم يعرفوها بهذا .

وفي نواح من جنوب اليمن يطلقون الحَرَض أو الحَرَاض، وربما (الحَراز) بالزاء، على شجيرة صغيرة من الفصيلة السنفية (*A. yemenensis*) تشبه السَّلَم، رأيتها بوفرة بين تعز والقاعدة إلى جبال سمارة، على ارتفاع ١٣٠٠ – ١٨٠٠م . ترتفع نحو ١ – ٢ م . وهي تتفرع سيقانا نحيلة من أصل واحد مطمور في الأرض . أزهارها تشبه إلى حد كبير أزهار السَّلَم، وثمارها مسطحة بنفسجية محمرة، تشبه ثمار القرظ .

وفي أعالي جبال فيفا رأيت شجرة تشبه السَّلَم أيضًا (*A. seyal*) لها أزهار صفراء طيبة الريح، وثمارها في حجم ثمار السَّلَمة، أو أطول قليلا، مقوسة على نحو يسير، وعودها أخضر مغبر، قد يتم من خلاله شيء من التمثيل الضوئي . وأشواكها أقصر من أشواك السَّلَم، يظهر على أغصانها لفائف بنية تشبه الحديد الصدئ، يسميها أهل تلك الجبال (المَيَّل) بإمالة الميم. وفي القاعدة بين إب وتعز يسمونها الطَّلْح .



(١) النَّبات ٦ / ٤٥ .

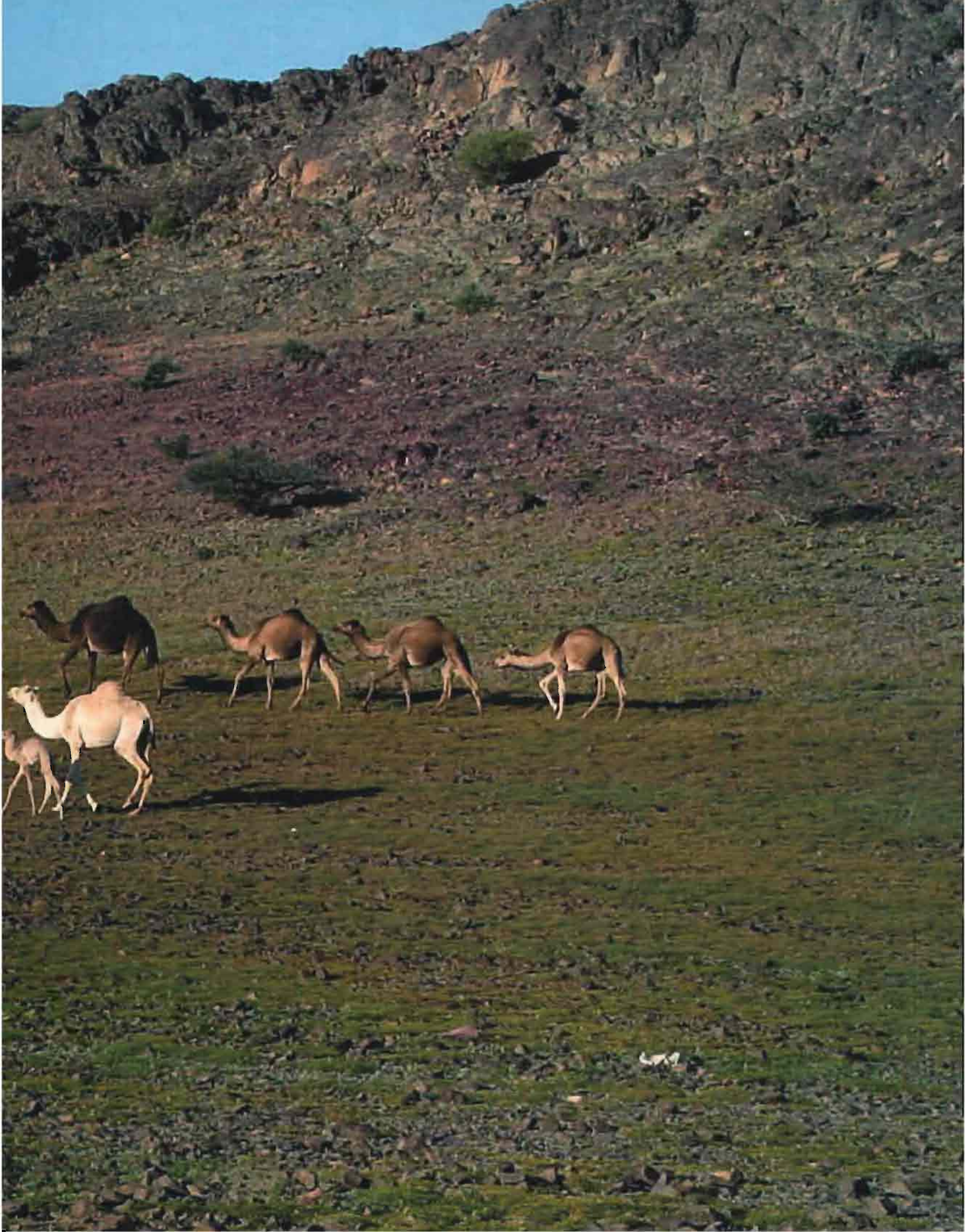
(٢) النَّبات ٣ / ١٠٦ . ونَجَبَه : لحاؤه . وينظر : ديوان بشر بن أبي خازم ١٤٣، ٢١٥، ودريد بن الصِّمَّة ٦٩، وزهير ١٢٨، والنابغة الجعدي ١٥٧، ورؤبة ١١٢، والأصمعيات ١٥٧، والشجر والكلأ ٥٧، ١٢٣، والنوادر لأبي مسحل ١ / ٣٩٥، والنَّبات للأصمعي ٢٣، والغريب المصنف ١ / ٤٢٢، والاشتقاق ٣٥، والمنتخب ٢ / ٤٦٢، والجوهرتين ٨٥، وصفة جزيرة العرب ٢٤٧، وكفاية المتحفظ ١٩٦، والمخصص ١١ / ١٨١، والعمدة ٢ / ٥٤٠، والمحيط ٨ / ٣٣٣، والمحكم ٨ / ٥١٥، واللسان ٦ / ٣٤٧، والقاموس ١٤٤٨، والتاج ٨ / ٣٣٧ (سلم) .

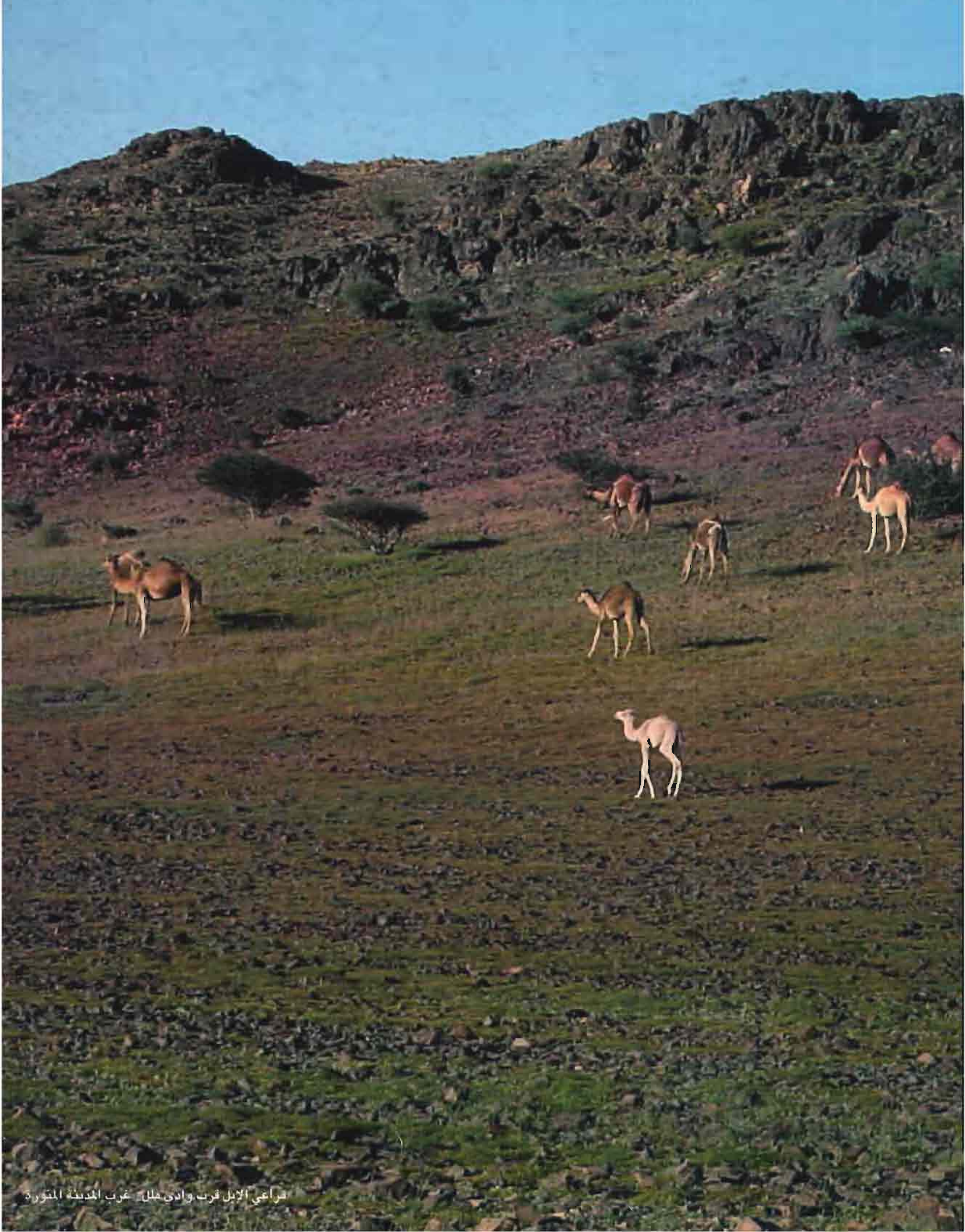
(٣) الشجر والكلأ ١٢٢ . (٤) ينظر : النَّبات ٥ / ١٢٤ – ١٢٥ . (٥) الكامل ١ / ١١١ . وينظر : ثمار القلوب ٥٩٦ .

(٦) غريب الحديث لابن قتيبة ١ / ٥٤٢، قال في تفسيره : الشبم : الماء البارد، واللجين: ورقها الغض المخبوط، والدرين : ورقها الجاف بعد أن يسقط، واللبين : المدر للبن المكثر له . وينظر : الفائق ١ / ٤٣٢.

(٧) ينظر: العين ٥ / ١٣٣، ٧ / ٢٦٦، والمحيط ٥ / ٣٧١، والصحاح ٣ / ١١٧٧ (قرظ)، ومعجم البلدان ٤ / ٣٢٥، ٣٣٧ .

(٨) تهذيب اللغة . ينظر : الغريب المصنف ١ / ٤٢٣، وتهذيب اللغة (سلم) ١٢ / ٤٤٦ .





مراعي الإبل قرب وادي ملل، غرب المدينة المنورة



السَّمُر

قال أبو زيد : ((ومن العضَاه : السَّمُر، وواحدته سَمُرة، وهي شجرة حجازية نجدية شاكَّة، ومنبتها بكل مكان ما خلا حُرَّ الرّمل . ويقَال لنَوْرها أول ما يخرج : البرَمَة ... ينبت فيها زغب بيض هو نَوْرها، فإذا خرجت فتيك البَلَّة والفَتْلَة، فإذا سقطن عن طرف العود الذي ينبتن فيه، نبتت فيه الحُبْلَة في طرف عودهن وسقطن . والحُبْلَة وعاء الحَبِّ كأنها وعاء الباقلاء، ولا تكون الحُبْلَة إلا للسَّلَم والسَّمُر، وأما جميع العِضَاهِ بعدُ فالسُّنْفة مكان الحُبْلَة)) (١).

قال : ((ويقال للسَّمُر إذا كثر في موضع : الحَرَجَة)) (٢) .

وقال أبو حنيفة : ((السَّمُر، واحدته سَمُرَة، وبها سُمي الرجل، وهو طوال عَثِين، صغار الورق، قصار الشوك، يعمل من لحائه أرشية، وله بَرَمَة صفراء، ثم تصير حُبْلَة متعكِّشَة مجتمعة، كأنها قرون اللُّوبيا، إلا أنها متثنّية مجتمعة. ولها زهرة تنبت جوفه يقال لها العَنَم، واحدتها عَنَمَة، يُشبَّه بها البَنَان . وقيل : هي أغصان تنبت في أصله، حمر، لا تشبه سائر أغصانه ... ويخرج من أجواف السَّمُر شيء أسود في حمرة، يُسمى دَوْدَم، وهو مثل الصمغ، يشبه الدَّم . فيقال حاضت السَّمُرة)) (٣) .

السَّمُر
Acacia tortilis

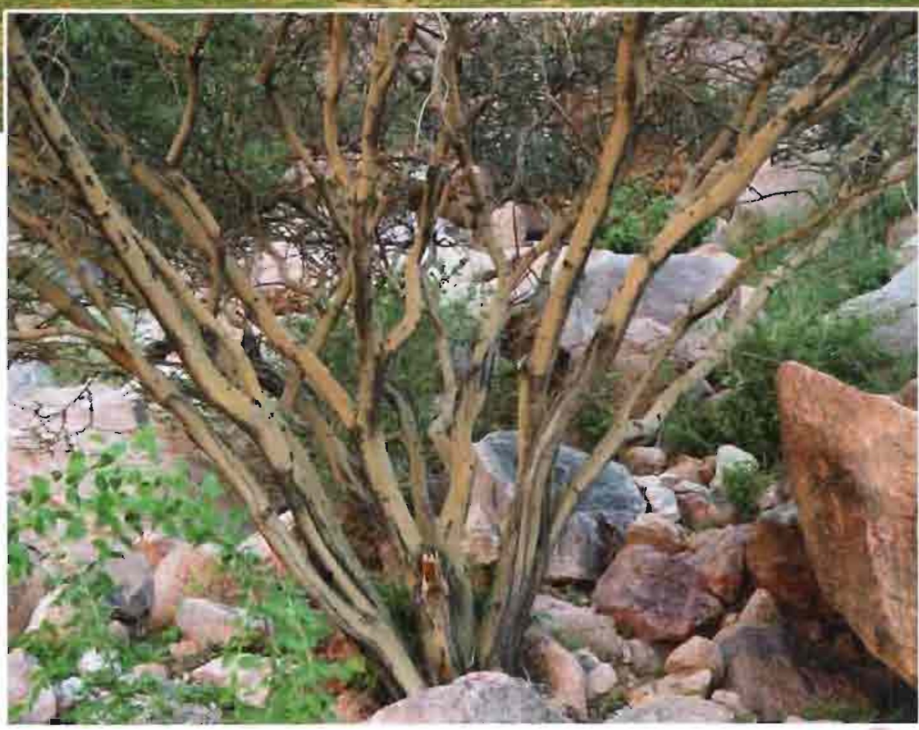
LEGUMINOSAE - الفصيلة السُّنْفيَّة



قلت: السَّمُرَة شجرة شائكة، واسعة الانتشار، تتحمل فترات الجفاف الطويلة، منابتها الأسناد والحزون، وبطون الأودية القديمة، والسهول الساحلية، على ارتفاع ١٠٠ – ١٢٠٠م ، وتصل إلى ارتفاع ١٥٠٠م في السفوح الشرقية من جبال السَّراة .

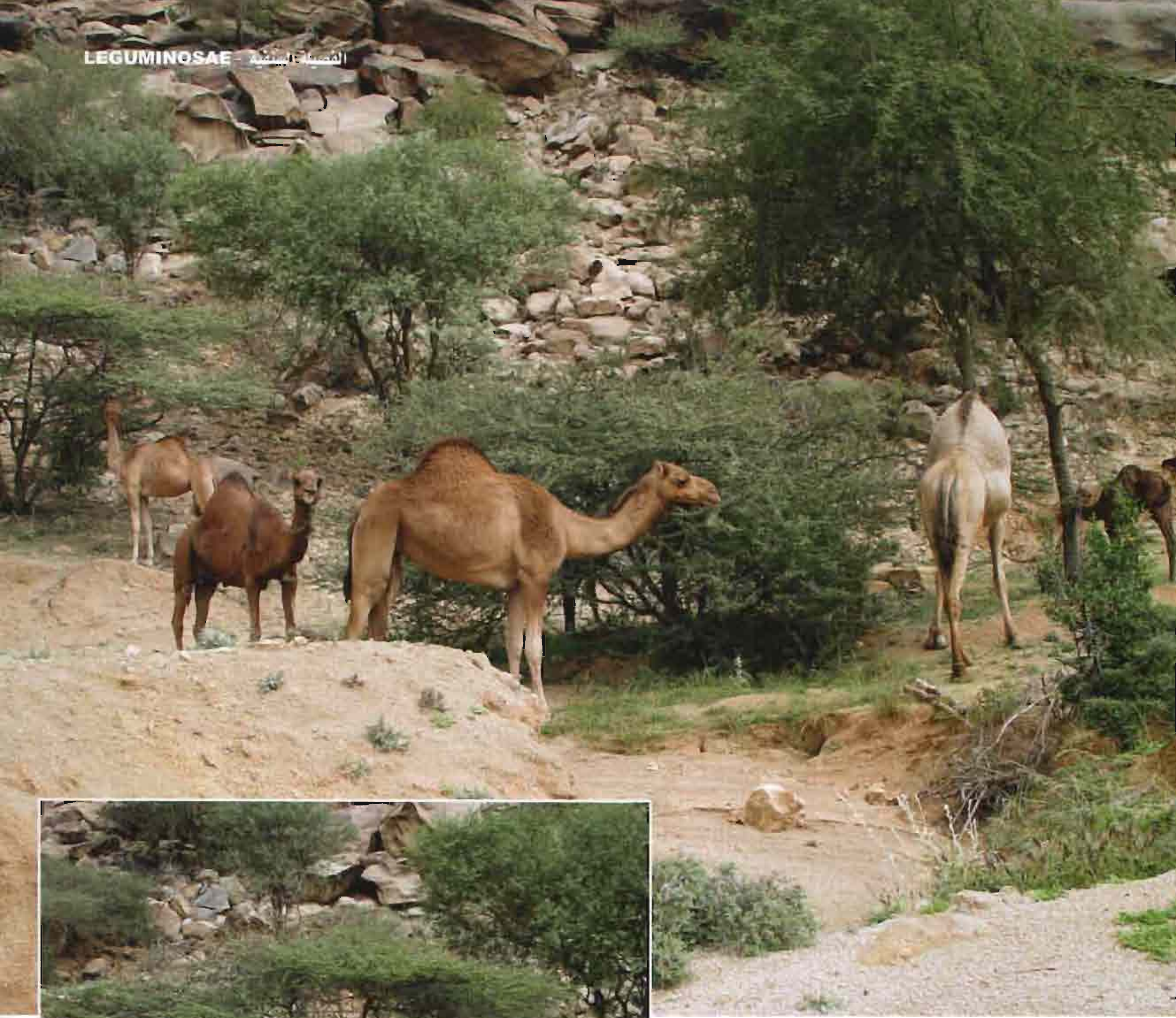
ترتفع السَّمُرَة نحو ٣ – ٧م على ساق واحد أو أكثر، ثم تتفرع في الأفق على هيئة شبه دائرية، مسطحة، تشبه المظلة، ظلالها خَصَاص، وقد يكون لها ظل وارف كثيف. أشواكها كثيفة حادة بيضاء، طولها نحو ٣ – ٤سم، ويظهر معها أشواك قصيرة قليلة محجَّنة، تشبه أشواك القتاد أو العرفط. أوراقها ريشية قصيرة قليلة، ينحت معظمها في فصل الصيف. تزهر في سهول تهامة أول فصل الربيع، وتتأخر إلى منتصفه في السفوح الشرقية من جبال السَّراة والحجاز. ومدة إزهارها قصيرة تستمر نحو شهر واحد أو أقل، وأزهارها بيضاء مصفرة، أصغر من أزهار الطَّلْح والسَّلَم، ولها قبل شروق الشمس خاصة رائحة عطرية فوّاحة تشبه رائحة أزهار الطَّلْح، ويعقبها ثمار سنفية مخصرة، ومقوسة بشدة (لولبية) تشبه ثمر السَّيال الحجازي .





وهي كالسَّلَمة سمعت كثيرا من أهل جبال الحجاز ومَدْيَن يسمون أزهارها (البَلَّة) وثمارها (الحِبْلَة) بكسر الحاء. وأهل شدا الأسفل يسمون الثمار خاصة (الخُرْصَة) . وسمعت بعض أهل الشلائل قرب ورقان يسمون أزهارها (الزُّغيباء) أخذوه من الزَّغَب على تلك الأزهار .

والنحل يثمر أزهارها، فيجني منها عسلا كثيرا مشهورا، يسمونه (عسل السَّمُرة) وهو يأتي في المرتبة الثانية بعد عسل الطلح؛ لأنه يصير إلى الحموضة بتقادم العهد عليه، بخلاف عسل الطلحة . إلا أن الأكثر من أهل السَّراة يعتقدون أنه أفضل أنواع العسل للعلاج؛ وذلك أنهم يشتمون رائحته تنبعث بقوة مع مفرزات أبدانهم، فبنوا عليه ذلك الاعتقاد . وأخبرني أحد أرباب النحل من تهامة خثعم أنه أنقذ قدم أبيه المصابة بالغرغرينا بعد





أن قرر الأطباء بترها، وذلك بأن غَمَرَ موضع الجرح بعسل السَّمُرة مدة خمسة أيام فقط، فأخذ الموضع بعدها يجف ويتماثل للشفاء السريع .

وأوراقها وثمارها من المراعي الجيدة المسمنة للإبل والغنم، وهي مثل السَّلَم، يستعمل الرعاة المخابط لضرب أوراقها، فتسقط لهم بأيسر جهد، وكذلك ثمارها .

وربما أكل الرعاة أزهارها، وكذلك ثمارها تؤكل وهي ما زالت غضة طرية، وتسمى، وحالها كذلك، في ديار الأحامدة من أهل الفقرة (العَلْقَة) وهي مشبعة مغذية، وطعمها طيب مقبول. وكانت العرب من قديم تأكل هذه الثمار، وقد أثر عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أنه أكلها هو وأصحابه في بعض غزواته (٤) .





ويفرز ساق السمرة سائلا أحمر يميل إلى السواد، يشبه الدم، ما زال يسمى في كثير من جبال الحجاز (الدَّوْدَم) سواء ظهر في السَّمُرة أو في السَّيَال أو الطَّلْح . ويقال له، أيضًا (الدَّيْدَم) لغة قديمة(٥) . وكانت العرب تعلقه على أولادها إذا خافوا عليهم الجن أو الحسد . قالت امرأة تصف ولدا :

كانت عليه سِنَّة من هرَّة

وثَعلَب والحيضُ حيضُ السَّمُرة (٦)

وأهل ورقان يتخذونه علاجًا؛ لتعقيم الجروح، وإزالة الأثاليل. ويخرج مع ذلك السائل صمغ يجرسه النحل، وذكر لي غير واحد من أرباب النحل أنه يجرسه فيسد به الثقوب والفجوات الواسعة داخل الخلية . ويستعمله أهل ورقان أيضًا، في تجبير الكسور من الإنسان والحيوان . وربما استعملوه في تجبير غيرهما من الجمادات .
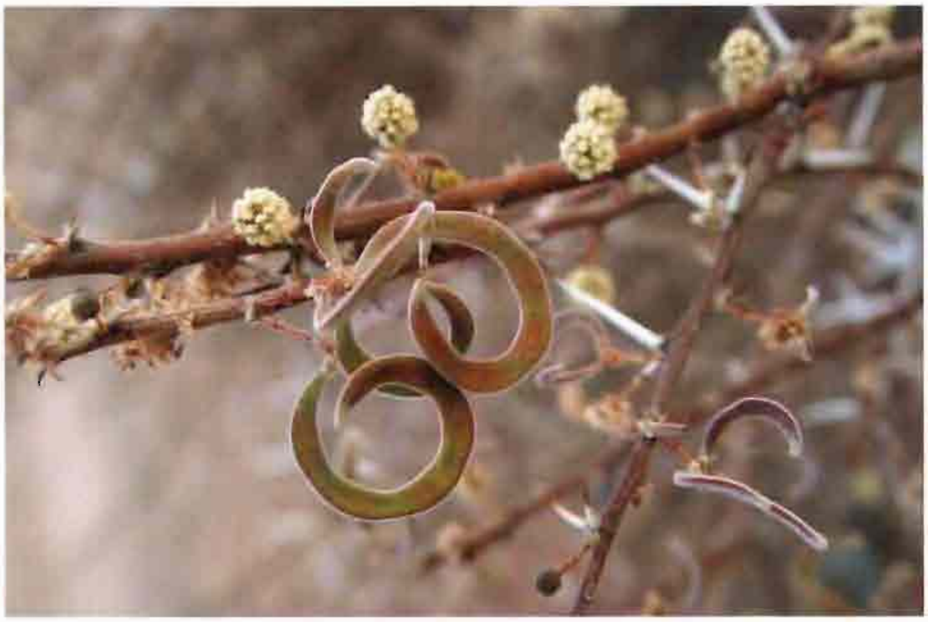
وقد يستعمل الناس أعواد السَّمُرة في بناء أسقف المنازل، لكن الأرضة تفتك بها، بيد أنها أكثر مقاومة لها من سائر الاخشاب التي تأكلها الأرضة. وبعض جهينة يستعملونها في الدباغة؛ يدبغون باللُّب الأحمر داخل العود . وحطبها وقود جيد، طويل التوقد، قليل الدخان، لا يفوقها في ذلك إلا القرظ، ولكن الأخير نادر، عسير المنبت، فقل احتطابه.

وذكر الهمداني أن من علامات وجود الذهب في أرض معدن



صمغ (غراء) السمرة، يجرسه النحل؛ فيسد به الثقوب داخل الخلية





الذهب كثرة ما ينمو بها من كل شجرة حارة النار كالسَّمُر والسَّلَم والضَّال (٧) .

وأكثر منابت السَّمُر في جزيرة العرب سهول تهامة، وقد جاءت الإشارة إلى ذلك في قوله صلى الله عليه وسلم : ((والذي نفسي بيده لو أفاء الله عليكم مثل سَمُر تهامة نعما لقسمته بينكم)) (٨) . ففي هذا الحديث إشارة إلى وفرة أشجار السمر في سهول تهامة على عهده، صلى الله عليه وسلم . ولكنها اليوم في تناقص مستمر، بسبب الرعي المفرط، وشح الأمطار، وكونها من أكثر الشجر احتطابا، إذ اتخذها بعض الناس مهنة للتكسب؛ يبيعون أخشابها في الأسواق، حطبا أو فحما، وكثيرا ما يقطعونها وهي لا تزال خضراء، وقد رأيتهم يستخدمون في قطعها المناشير الكهربائة الحديثة، وربما اجتثت مع جذورها، وربما استعجل بعضهم موتها باستعمال وسائل غير نزيهة . الأمر الذي يهددها بالفناء العاجل، ما لم يوضع ضوابط صارمة تحد من قطعها الجائر، وتضمن المحافظة عليها، ومن أهمها إيجاد البدائل المناسبة التي تكفل لأصحاب تلك المهنة عدم قطع أرزاقهم. ويتعين ذلك حين نعلم أن السَّمُرة من الأشجار البطيئة النمو جداً، وأنك لا ترى لها نشوا صغارا يعوض ما قضى إلا النزر اليسير .

والسَّمُرة، فضلا عما تقدم، شأن كبير في سيرة النبي، صلى الله عليه وسلم، وأصحابه الطاهرين. فتحت هذه الشجرة بايع الصحابة رضوان الله عليهم، رسول، صلى الله عليه وسلم، بيعة الرضوان يوم الحديبية (٩) . وبها ظهرت إحدى معجزاته، صلى الله عليه وسلم، وذلك فيما رُوي أن ابن عُمَر، رضي الله عنهما، قال : ((كنا مع النبي، صلى الله عليه وسلم، في سفر، فأقبل أعرابي، فلما دنا منه قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: أين تريد ؟ قال: إلى أهلي. قال: هل لك إلى خير ؟ قال: ما هو ؟ قال: تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك





الدُّودَم (حيض السَّمُرة عند العرب)

له، وأن محمدا عبده ورسوله . قال: هل من شاهد على ما تقول ؟ قال، صلى الله عليه وسلم : هذه السَّمُرة؛ فدعاها رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وهي بشاطىء الوادي، فأقبلت تخد الأرض خدا حتى كانت بين يديه، فاستشهدها ثلاثا فشهدت أنه كما قال، ثم رجعت إلى منبتها)) (١٠) .

ورُوي أن الشجرة التي استظل تحتها موسى، عليه الصلاة والسلام، كانت سمرة، وكذلك الشجرة التي نودي من عندها، في إحدى الروايات (١١) .

ورُوي عن عمر بن الخطاب أنه مر برجل يقطع سمرا في البادية، فأنكر عليه، وقال : ((رعيت بَغْوَتَها وبَرْمَتها وحُبْلَتها وبَلَّتَها وفَتْلَتَها، ثم تقطعها!!)) (١٢) .

وتنطق السَّمُرة في سراة غامد وزهران وبني عمر (السُّمُرة) بضم الأول والثاني؛ تحقيقا للانسجام الصوتي بين الحرفين ، وأهل الحجاز ينطقونها (السَّمْرة) بفتح الأول وإسكان الثاني، وكذلك سمعتها في تهامة هذيل وعسير وجازان. وهي لغة قديمة عزاها ابن دريد إلى أهل الحجاز، وعزا الفتح مع الضم إلى تميم (١٣). وسمعت راعيا معمرا في فرعة وادي نخال من تهامة بالقرن يسميها (سِمِرة) بكسر الأول والثاني، وترقيق الراء . وسمعت أهل جبل رضوى وبعض بني كلب من جهينة يسمونها (الشِّيَرة) يريدون الشَّجرة، غلبوا الجنس، ثم أبدلوا الجيم ياء، وهي لغة قديمة أيضًا، يستشهدون لها بقول أم الهيثم غُنية الأعرابية :

إذا لم يَكُنْ فيكُنَّ ظلٌّ ولا جَنًى فأبْعَدَكُنَّ اللَّهُ من شيرَاتِ (١٤) .

وتسمى (الشَّجَرة) كذلك، في جبال ظفار، وآخرون من هؤلاء يسمونها





من أنواع الدَّوْدَم على جذع السمرة

(طُوْلَحَ) أو (حَرُوْض) .

وأما العَنَم الذي ذكر أبو حنيفة أنه يظهر في جوف السَّمُرة، أي على أغصانها، فهو نبات متطفل من نوع الهَدَال الذي يظهر على أشجار الطَّلْح وغيره، سيأتي الحديث عنه بأكثر من هذا في رسم الهَدَال، بإذن الله تعالى .

---

(١) الشجر والكلأ ٥٤ – ٥٦ .

(٢) الشجر والكلأ ١٢٢.

(٣) النَّبات ٦ /٤٧، ٥ / ٨٩ . وينظر : ديوان امرئ القيس ٩، وطرفة ٧٠، وجران العود ١٠٤، وشرح أشعار الهذليين ٣ /١٢٥٦، والمفضليات ١ / ٩٠، والنَّبات للأصمعي ٢٣، والاشتقاق ٥٦٣، وصفة جزيرة العرب ٢٤٧، والمنتخب ٢ /٤٦٢، والفصوص ٣ /١٨١، والمخصص ١١ / ١٨٤، وإسفار الفصيح ٢ /٨٠٤، والعمدة ٢ /٥٤٤، وشرح كفاية المتحفظ ٤٩١، والعين ٧ / ٢٥٥، وتهذيب اللغة ٥ /٨١، ١٢ / ٤٢١، والمقاييس ٣ / ١٠١، واللسان ٦ / ٣٦٠، والقاموس ٥٢٥، والتاج ٣ /٢٧٨(سمر) .

(٤) ينظر : صحيح البخاري ٥ / ٢٣٧١، وابن حبان ١٥ / ٤٤٩، ومسند أحمد ١ / ١٨١، ١٨٦.

(٥) الجيم ١ / ٢٤٣ .　　(٦) صبح الأعشى ١ / ٤٠٦ .　　(٧) الجوهرتين ٨٥ .

(٨) أخرجه مالك في الموطأ ٢ / ٤٥٧ . وبلفظ نحوه في المعجم الكبير ١١ / ٢٢٠، وسنن البيهقي ٧ /١٧، ٩ /١٠٢ .

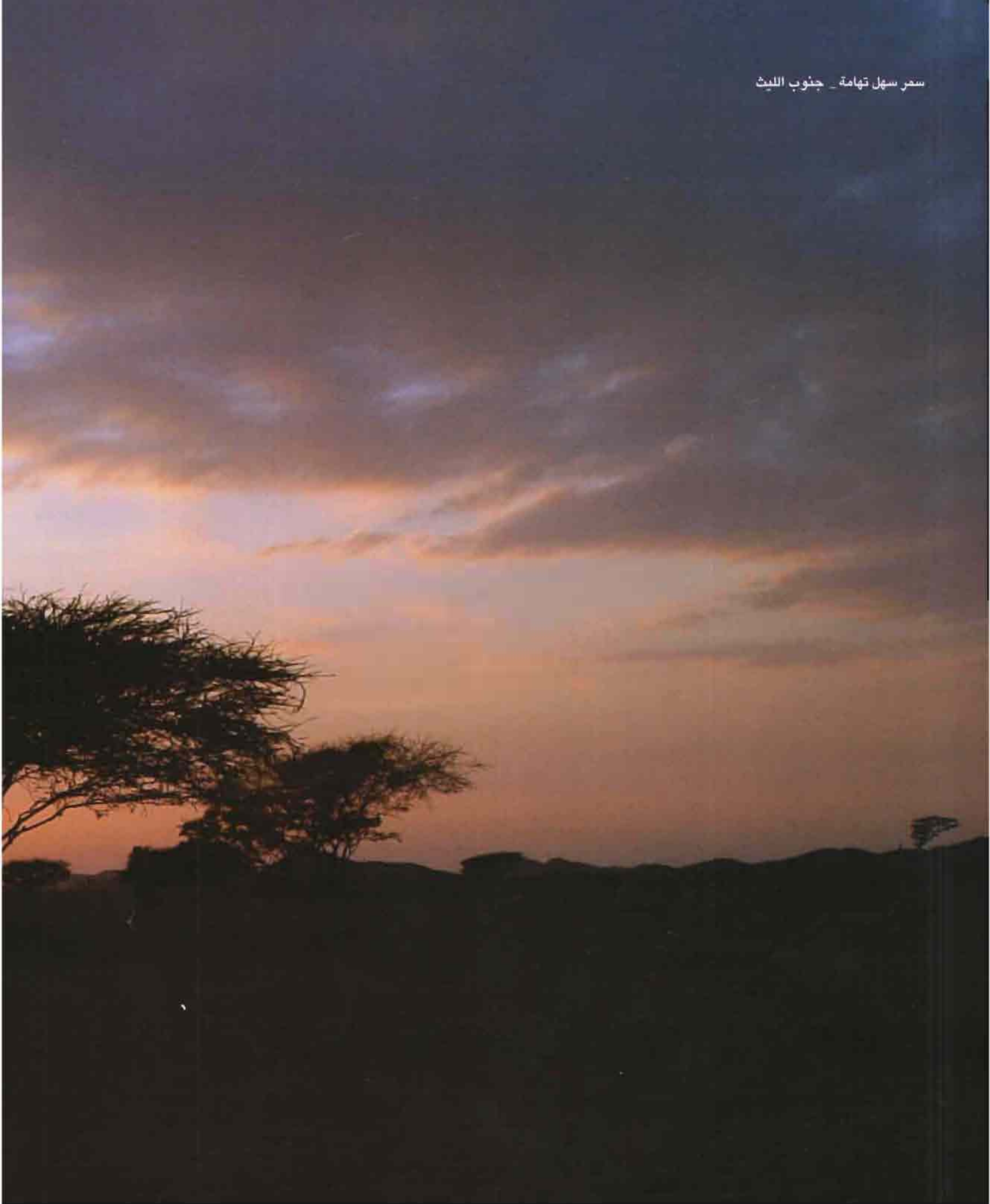
(٩) ينظر : الطبقات الكبرى لابن سعد ٤ / ١٩، وشرح صحيح مسلم للنووي ١٢ / ١١٥ .

(١٠) صحيح ابن حبان ١٤ / ٤٣٤ .

(١١) ينظر: تفسير الطبري ١١ /٥٨، ٧١، والقرطبي ١٣ /١٧٨، ١٨٦، وابن كثير ٣ / ٣٩٥، ٣٩٩ ، وكتاب العصا لابن منقذ ١٠ .

(١٢) النهاية ١ / ١٤٤ .　　(١٣) الاشتقاق ٨٠ .

(١٤) النخل لأبي حاتم ٤١، والأمالي، لأبي علي ٢ / ٢١٤، والإبدال ١ / ٢٦٠، والمزهر ١ / ٤٧٥ . ويروى: فأبعدكن الله من سمرات. حدائق الأدب ٢٤٢. وينظر: الكنز اللغوي ٢٩.



سحر سهل تهامة _ جنوب الليث



السَّنَعْبُق

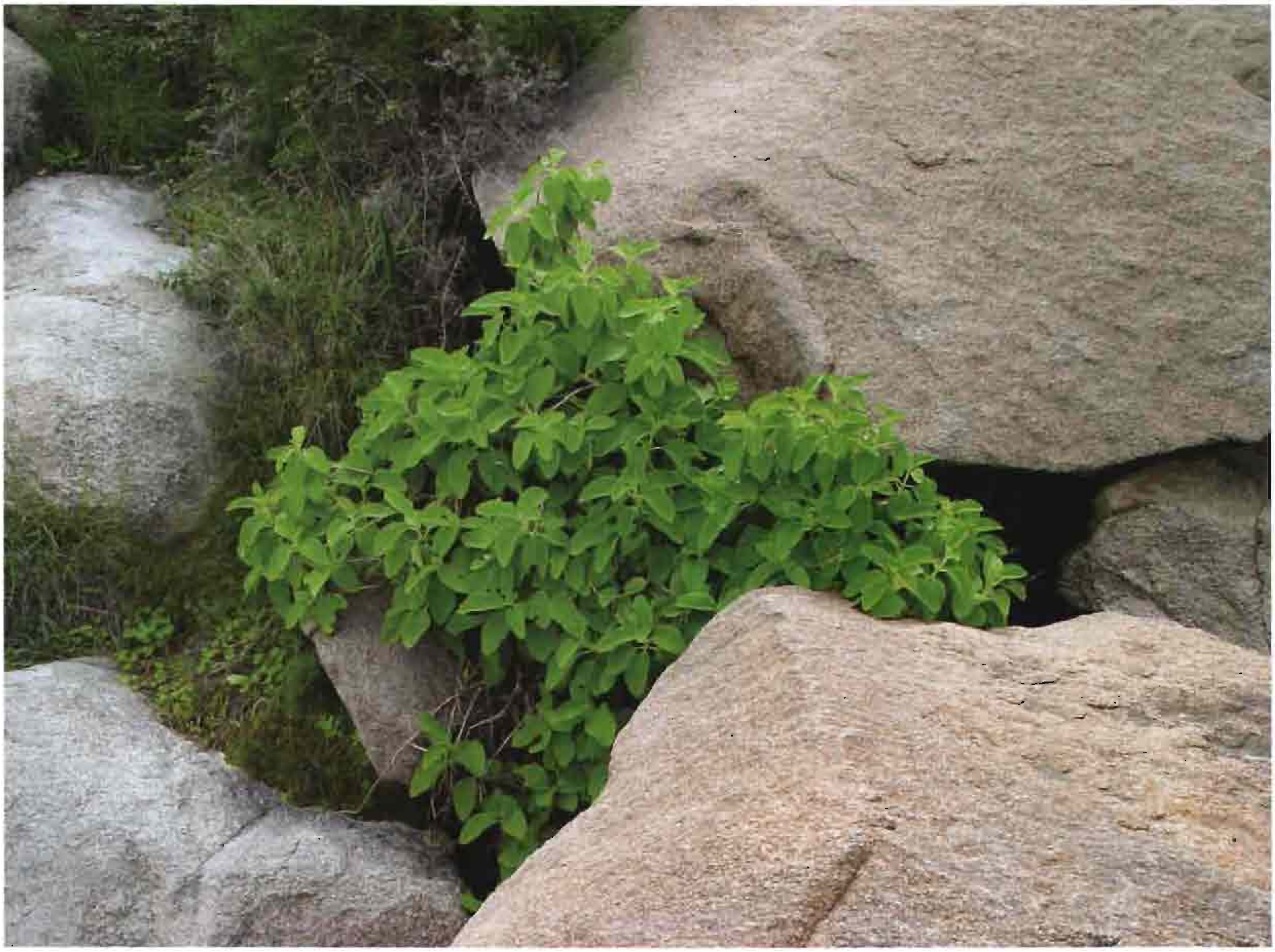


السَّنَعْبُق لفظ يطلقه أهل السَّراة اليوم على نوع من الفصيلة الشَّفَوية، ليس له عندهم استعمال غير هذا، وأما قول أبي حنيفة: ((أخبرني أعرابي من الأزد، قال : السَّنَعْبُق نبات ينبت في الصخر (في أعراض الجبال العالية) فيتدلى حبالاً خضرًا، لا ورق لها، وله نَوْر مثل نَوْر الدِّفْلى، لا يأكله شيء، ولا تجرسه النحل، له رائحة خبيثة، وإذا قصف منه عود سال منه ماء صاف لزج، له سَعَابِيْب)) (١) . فلم أجد فيما طفت من جبال السَّراة من يعرف السَّنَعْبُق بهذا الوصف الذي قد تقدم بعضه في الكلام عن السَّلَع .

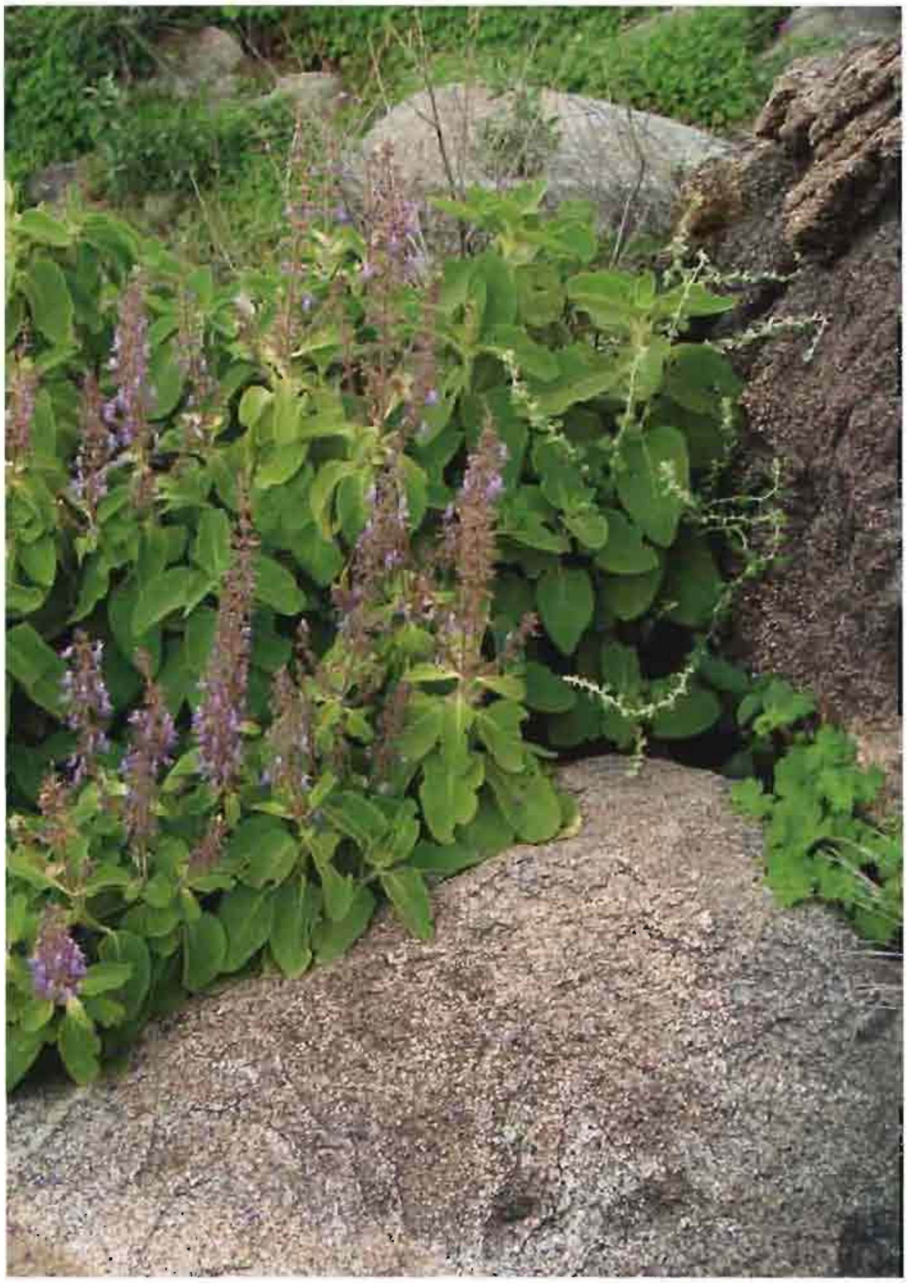
السَّنَعْبُق

Plectranthus asirensis

الفصيلة الشَّفَويَّة - LABIATAE



وهنا أقول: إن أقرب نباتات السَّراة التي يمكن أن ينطبق عليها شيء من ذلك الوصف شجيرات أربع هي: العيْد والشَّرَاز والنِّهْب والدِّهْن (الإلب) المنتمي إلى الفصيلة الصابية، فأما الأول، وهو العيد، فبعيد أن يكون هو المراد، وإن كان مما ينبت في شواهق الجبال متدلياً كالحبال بلا ورق؛ لكنه طيب الرائحة، يؤكل، والنحل يثمر نوره، ويفرز إذا قصف سائلاً متدفقاً كاللبن، وليس ماء صافياً له سعابيب، كما جاء في صفة السَّنَعْبُق. وأستبعدُ، أيضا، أن يكون هو الشَّرَاز، برغم أنه يفرز، إذا قُصف، ماء صافيا له سعابيب، إلا أنه طيب الرائحة تعلك عصارته بعد أن تجف، وهو يرتفع قدر متر، ولا يتدلى كالحبال في شواهق الجبال. وأما النِّهْب فإنه يتدلى خيطانا بلا ورق في أعراض الجبال العالية أيضاً، وله نَوْر يشبه على نحو ضعيف نَوْر الدِّفْلى، وماء صاف كأنه سعابيب، ولكنه عطري الرائحة، وهو من نوع الشَّراز الذي يسمى العيد في بعض مناطق السَّراة، وسيأتي المزيد عنهما في حرف العين، إن شاء الله. وأما الدِّهْن (وهو الإلْب في عرف معظم أهل السَّراة اليوم) فهو أقرب تلك الأنواع إلى صفة السَّنَعْبُق الواردة في كلام الأزدي، لولا قوله بأن السَّنَعْبُق إذا قُصف عوده سال منه ماء صاف لزج، له سعابيب، وأن له نورا مثل نور الدفلى، وأن النَّحل لا يثمره، والواقع أن ماء الدِّهْن (الإلْب) أبيض كاللبن، يدفق بغزارة







إذا قصف عوده، وليس له سعابيب، ونوره أصفر إلى البرتقالي أو أصفر مخضر، ولا يشبه نور الدفلى، والنحل يثمره. فإن استثنينا كل هذا، فباقي الصفات تنطبق عليه، فهو مما ينبت في أعراض الجبال العالية أعوادًا خضراء جرداء إلا من وريقات صغيرة تظهر على أطرافه الحديثة النمو، ثم تزول سريعا، وقد يتدلى كالحبال إن نبت على حافات الجروف، وهو سام لا يأكله شيء، وسائله كريه الرائحة. وربما أراد بنوره الشبيه بنور الدفلى ثمره، فإنه يتناهى عند نضجه إلى لون وردي، شبيه بلون أزهار الدفلى، فربما ظن الناظر إليه من بعيد، وهو على غير خبرة، أنه زهر لا ثمر.

وأكثر أهل السَّراة اليوم يسمون الدِّهْن، كما تقدم، الإلْب. وأما الإلْب الذي جاءت صفته على لسان رجل من الأزد، لعله الأزدي نفسه الذي وصف السَّنَعْبُق، فقد سبق في رسم الإلْب أنه اسم لشجرة سامة شائكة من الفصيلة اللصفية (*Capparis tomentosa*) يسميها أهل السَّراة اليوم الضَّجَّاج وربما البَرِدَة، ولم أسمع أن





• صنف نادر من السنعبق أبيض الزهر

أحدا منهم يسميها الإلْب، إنما الإلب عندهم، كما أسلفت، اسم للدِّهْن. فلعلهم قد جعلوا الإلب جنسا لكل شجرة سامة، ثم خصوا به في زمن ما تلك الشجرة المنتمية إلى الفصيلة الصابية (*Euphorbia schimperi*) ومثاله الضَّجَاج، فهو في الأصل اسم جنس، ثم صار في لغتهم اليوم اسمًا لشجرة بعينها. وسبق توضيح هذا في رسم الإلب أول الكتاب .

ولعل أبا حنيفة كان واهمًا حين نقل هذه الرواية في صفة السَّنَعْبُق؛ لأنه كان ينقل، في الغالب، بلا مشاهدة، وربما كان الأزدي نفسه هو الواهم ؛ لأن لفظ السَّنَعْبُق ما زال مستعملاً، كما أسلفت، في سراة الأزد على نبت مشهور من الفصيلة الشفوية (*P. asirensis*) وهو بعيد كل البعد عن الوصف الذي ذكره الأزدي. وما زال بنو كنانة وبنو الطفيل من زهران ينطقونه (السَّنَعْبُق) بفتح الأول والثاني. وينطقه الناس في سراة غامد وبني عمر (السُّنُعْبُق) بضم الأول والثاني. وأهل شدا الأعلى، وهم بطون من زهران وغامد، يسقطون النون، فيقولون (السُّعْبُق) . ويظهر أن إيراد السَّنَعْبُق بتلك الصفة إنما هو خلط وتحريف وقع عند القدماء بين لفظتي السنعبق، والعسبق، وقد تقدم في رسم الدِّهْن أن العسبق والعشبق بالشين، اسم قديم مرادف للدهن، ما زال مستعملا في الجبل الأخضر شمال عُمان، وكذلك في جزيرة سُقطرى اليمنية .

والسَّنَعْبُق في عرف أهل السَّراة اليوم: شجيرة عطرية، من نبات الشواهق الباردة، تنبت في الأسناد والسفوح الصخرية الوعرة المنحدرة إلى أغوار تهامة على علو ١٥٠٠ – ٢٠٠٠م، وهي تتفرع سيقانا متعددة قائمة من أصل واحد بارتفاع ٨٠ – ١٢٠سم .





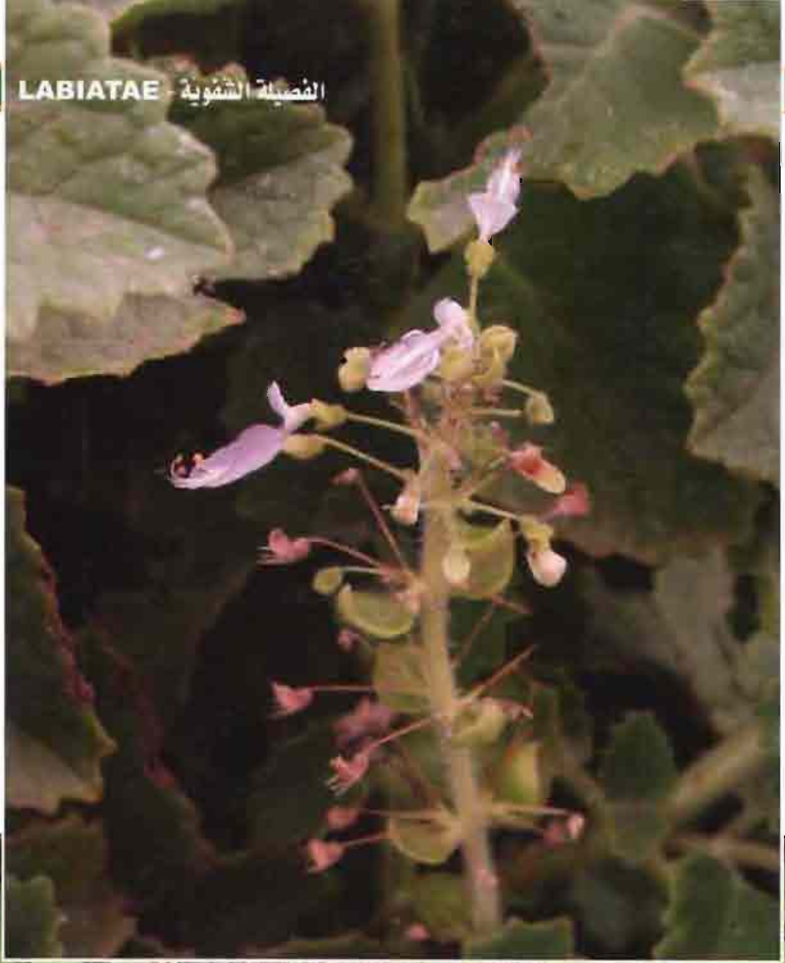


• الرَّنْد _ *P. barbatus*

وهذه النبتة تقوم على سيقان هشة خوارة سهلة الكسر، لا تفرز شيئا عند كسرها، والأوراق خضراء ناعمة كبيرة لها رائحة طيبة. تزهر في الربيع، وأزهارها كثيفة، تظهر منفردة عن الأوراق على الثلث الأعلى من السيقان، لونها بنفسجي غامق، مشربة أصولها بالبياض، وربما كانت الزهرة كلها بيضاء، يكسوها زغب أبيض ناعم، ولها رائحة عطرية طيبة . وتستعمل أوراقها في السَّراة بعد تجفيفها وطحنها مادة موقفة للنزف، ومعقمة للجروح الحديثة والمزمنة، ولنعومتها كان النِّساء السرويات يستعملنها لتنظيف أطفالهن بعد التبرز، لا سيما إن كان الموضع ملتهبًا، فإنها تنظفه وتطهره، وتعجِّل بشفائه .

وهي (السُّنُعْبُر) بالسين، وربما (الصُّنُعْبُر) بالصاد، وإبدال القاف راء، في معظم مناطق عسير إلى جبال فيفا، وقد تكون لغة يمانية قديمة، إن كانت هي المعنية في قول الحميري: ((الصَّنَعْبَر : شجر، وهو السَّنَعْبَر)) (٢) . وذكر غيره أن الصَّنَعْبَر والصَّعْبَر أيضاً، شجر بمنزلة السِّدْر (٣) . وهي (السُّقَيَّا) في ديار هذيل وبني سفيان من ثقيف، و(العَذْق) في بجيلة (بني مالك) و (شار القرود) في نواح من سراة زهران .

وفي أعالي جبل ورقان وقليل من جبال الحجاز غيره رأيت عشبة أو شجيرة من الفصيلة الشفوية أيضًا (*P. barbatus*) وهي تشبه السَّنَعْبُق في دلالته المعاصرة عند أهل السَّراة، ترتفع عن الأرض نحو ٧٠سم، وتمتاز عن السَّنَعْبُق بأوراقها الأثخن والأصغر حجما، وأنها أكثر ماء ورواء من أوراقه، ورائحتها عطرية فواحة تفوق تلك التي تنبعث من أوراق السَّنَعْبُق. وهي من أحب المراعي إلى الإبل، تطيب برعيها لحومها وألبانها، وأهل تلك الجبال يسمونها



(الرَّنْد) ويتخذون من فروعها المساويك. وهي نادرة جدًا، وربما كانت في طريقها إلى الانقراض من تلك الجبال .

واختلفوا قديماً في الرند، على ثلاثة أقوال (٤)، فقيل: هو الآس، وقيل: هو الغار (*Laurus nobilis*) وقيل: هو شجر ينبت بالبادية طيب الرائحة كالعَبَيْثَران. وأخلق بقائل هذا أن يكون مراده الرند المعروف في جبال الحجاز، وهي التي تُنبت العبيثران أيضاً، وإن كان الرَّند لا يشبهه بحال، وإنما شُبِّه به بجامع الرائحة الطيبة فيهما، أو لأنهما ينبتان، في الغالب، معًا .

ومن الأنواع ذات الصلة المباشرة نوع يسمى في معظم جبال السَّراة الشَّار (*P. tenuiflorus*) منابته الأصدار الدافئة المعتدلة، على ارتفاع ٩٠٠ – ١٤٠٠م . وهو نبات معمر، يرتفع نحو ٣٠سم . وربما وصل

• الشَّار _ *P. tenuiflorus*





السنبق - *Plectranthus asirensis*



طوله في الرواء والمنبت الخصب إلى أكثر من ٥٠سم متدليا أو زاحفا على الأرض . سيقانه قصفة زغباء ، وأوراقه لحمية رخصة مشبعة بالماء . له رائحة عطرية فوّاحة، تشبه رائحة الصعتر، وربما زُرع في الحقول وأفنية المنازل، لطيب ريحه، أو كنوع من الخضار، يؤكل، وطعمه لذيذ مع شيء يسير من الحرارة والحموضة المستحبة، ولاسيما إذا قطف في الرواء قبل أن تطلع عليه الشمس. ويأكله بعض أهل السَّراة لدفع الحموضة، وعلاج التهاب المعدة والصدر، وبحة الصوت، وتُعصر أوراقه في الأذن الملتهبة، فتطيب بإذن الله، وتأكله المرضع لخفض حرارة ابنها الرضيع. ويباع في الأسواق مع الغلف، للأكل ، أو لاستعماله عصابة على الرأس مع أنواع أخرى من الرياحين .

ومنها المُسْمر (*P. marrubioides*) وهو نوع آخر نادر شديد الشبه بالشَّار، ينبت في منابته، ويرتفع نحو ٢٠ – ٤٠سم. أوراقه لحمية مشبعة بالماء كالشار، وربما كانت أكثر ثخانة من أوراقه. لها رائحة عطرية مميزة تختلف عن رائحة الشار، لا تؤكل، وطعمها





• المُسْمِر _ *P. marrubioides*

مر، وهو من أنواع الرياحين التي تستعمل عصابة على الرؤوس، وتوضع أوراقه، كالضيمران، على الزبدة عند تسخينها فتضفي على السمن نكهة لذيذة ورائحة مستحبة، وتدعك به بطون الخلايا ليألفها النحل. يسمى (المُسْمِر) في ديار بني عمر، ولعله محرف عن السَّيْمران المحرف عن الضَّيمران، كما سيأتي في موضعه . وسمعت بعض بني ظبيان يسميه أيضًا الشَّار، ويفرقون بين النوعين بالرائحة . وفي سراة زهران يسمونه (الشُّوَيْراء)، كأنهم بالتصغير والمد يفرقون بين النوعين . وهو (الهِردَة) في تهامة هذيل، أخذوه من أوراقه اللحمية وسرعة تهرّدها. وربما هو الهِرْداء أو الهِرْدى التي ذكر الأصمعي وأبو حنيفة أنها نبت، ولم يصفاها بشيء(٥). وهو الذي يسمى (النَّعْشَة) أو (الصمَّد) في نواح من جبال شرق منطقة جازان . وربما أبدلت الشين ثاء في جبال حرب الخولانية شرق منطقة جازان . وفي مناطق من تهائم عسير يسمونه (النَّعْفاء) أو (النُّعيْفاء) بالتصغير، وربما أطلقوا هذا الاسم على نوع نادر من هذا الجنس (*P. cylindraceus*) يشبه الرَّنْد . وفي جبال ظفار يسمونه (ضُفْرُق) ويدعكون بأوراقه أجسادهم عند الاغتسال. وكذلك يستعمل في جزيرة سقطرى، ويسمونه (ضَفْرَع) بالعين المهملة بدل القاف . ويظهر أنه محرف عن ذفراء بمعنى الرائحة الطيبة، كما سبق في رسم الذفراء .

---

(١) النَّبات ٦ / ٥٠. ٣ / ٢٢٣. وينظر : المخصص ١١ / ١٤٩، والمحكم ٢ / ٤٠٣، والتكملة ٥ / ٨٥، واللسان ٦ / ٢٦٢، والقاموس ١١٥٤، والتاج ٦ / ٣٨١ (سعبق) .

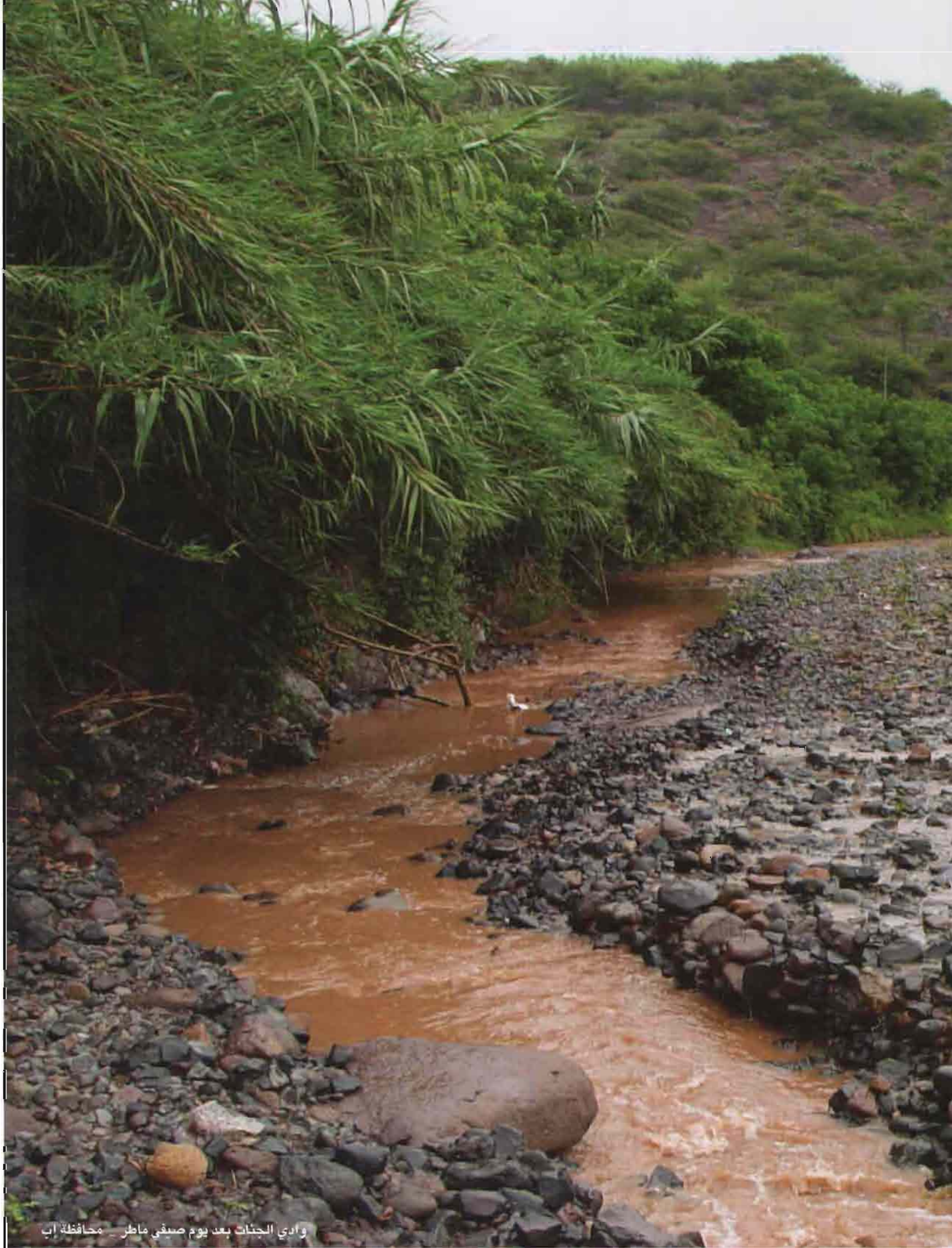
(٢) شمس العلوم ٦ / ٣٧٤٧ .

(٣) المحيط ٢ / ٢٨١، والصحاح ٢ / ٧١٣ ، والمحكم ٢ / ٤٤٤ (صعبر) .

(٤) ينظر: النَّبات للأصمعي٣٢، والنَّبات لأبي حنيفة ٣ / ٢١٠، ٥ / ٢٦، ١٨٥، وأدب الكاتب ١٠٠، والمنتخب ١ / ٢٥١، والمخصص ١١ / ١٩٥، ونظام الغريب ٢١٥، واللسان (رند) ٥ / ٣٣٢ .

(٥) ينظر: النبات للاصمعي٢٢، ولأبي حنيفة ٦ / ٤٤، والمخصص ١٢ / ٨ .





وادي الجنات بعد يوم صيفي ماطر ـ محافظة اب

السُّوَاس



قال الخليل : ((السَّوَاس : شجر، الواحدة بالهاء، من أفضل ما يتخذ منه زَنْد؛ لأنه قلَّما يَصْلَد)) (١) .

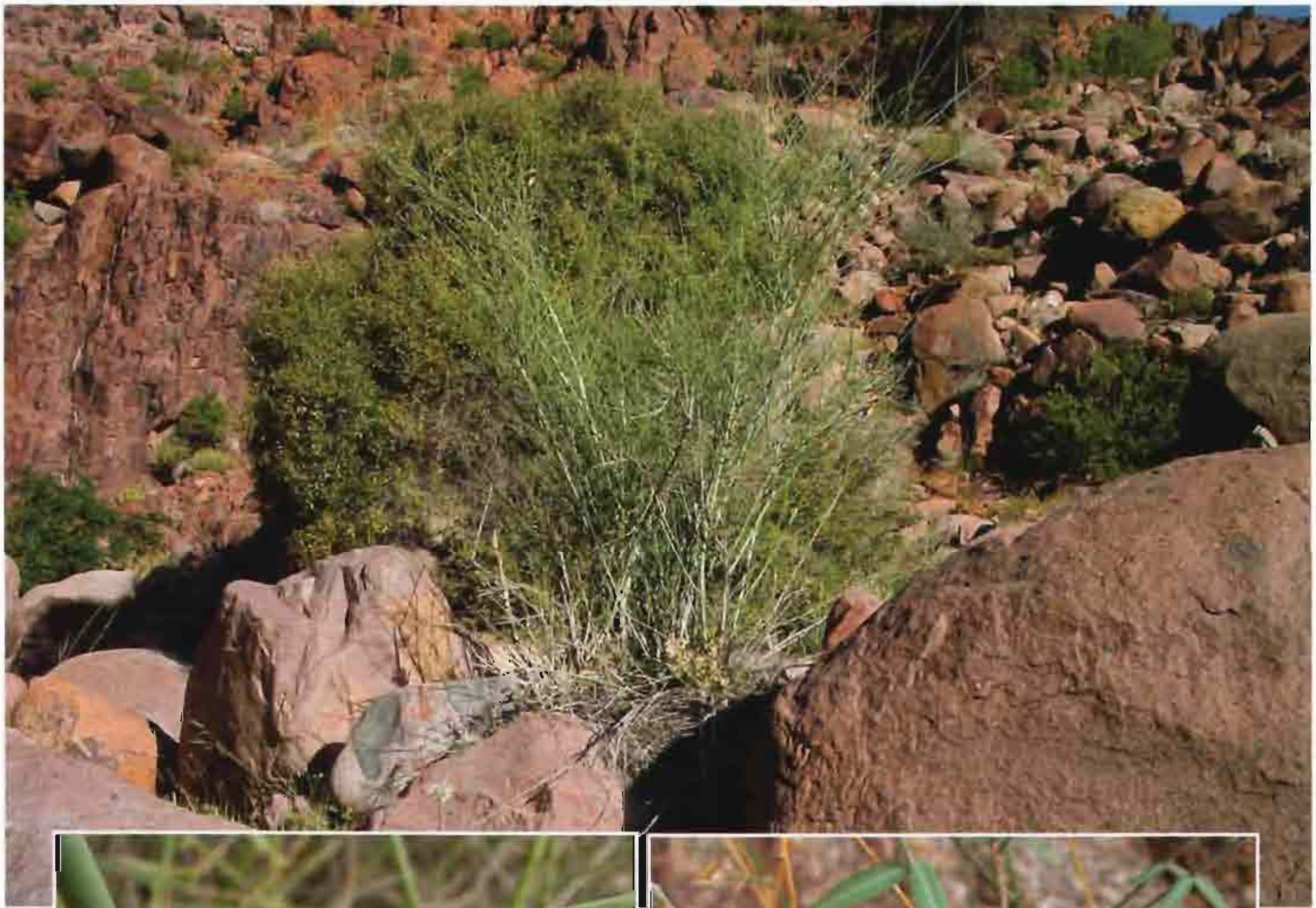
وقال أبو حنيفة : ((قال أبو زياد الأعرابيّ: ويقتدح بالسَّوَاس، وزَنْدَه بكيء صَلْد)) (٢) .

وقال أيضًا: ((وتُتخذ (القداح) من السَّواس، وهو سريع الانكسار، والسَّواس عود خوَّار . قال أبو زياد: هو شبيه بالمَرْخ؛ ولذلك يتخذ منه الزَّنْد كما يُتخذ من المَرْخ . والزِّناد لا تتخذ من العيدان العُتُق)) (٣) .

وقال في تحليته : ((من العضَاه السَّوَاس، شبيه بالمَرْخ، له سنفة مثل سنفة المَرْخ، وليس له شوك ولا ورق، وهو يقتدح بزَنْده، وقد وصفنا ذلك في باب الزِّناد . قال ويطول في السماء ويُستظل تحته، وقد تأكل أطراف عيدانه الدقيقة الإبل والغنم . قال: وسمعت أعرابيًا يقول : السَّوَاسي؛ يريد السَّوَاس، فسألته عنه فقال : المَرْخ والسَّوَاس والمَنْج، هؤلاء الثلاثة متشابهة... وهو من نبات القِفاف والجبال)) (٤) .

السَّوَاس
Periploca aphylla

ASCLEPIADACEAE - الفصيلة العُشَرِيَّة







قلت: السَّوَاس شجيرة واسعة الانتشار، منابتها السفوح العالية والقمم الباردة في الأسناد والحزون، وظهور الإكام، وبطون الأودية والشعاب، وذلك على ارتفاع ١٣٠٠ – ٢١٠٠ م.

يقوم السَّوَاس على جذع قصير أو مطمور في الأرض، يتفرع إلى أغصان أُسطوانية كثيفة بارتفاع ١ – ٢م، لونها أخضر يميل إلى الغبرة، ولها لبن أبيض قليل يرشح عند كسر أحد فروعها. ورأيت السَّوَاس في جبال الحجاز، أكثر طولا، وأعواده أكثر ثخانة وأقل تفرعا من سواس السَّراة . والأوراق صغيرة قليلة متباعدة، لا تكاد ترى، تظهر على الفروع الحديثة، أفقية النمو أو منحنية بشدة إلى أسفل الغصن، وهو الغالب، وربما لامس خلف الورقة الفرع . وأما الفروع القديمة فتتعرى من الأوراق تمامًا، ولذلك ظن راوية أبي حنيفة أنه لا ورق لها، أو أنه حمله على الغالب الأعم من هذه الشَّجرة . وأما النبتة الصغيرة من السَّواس فيظهر لها أوراق كبيرة متقابلة، تشبه أوراق العُتم . وللزهرة خمسة فصوص منحنية إلى الخلف، لونها أرجواني





غامق أو بني محمر، مع حافة خضراء على الطرفين لا تكاد ترى، يحيط بها أهداب طويلة من الشعر الأبيض، يتوسطها أحيانًا خط أخضر مصفر، وتنتهي إلى أصل يبرز منه خويطات أرجوانية اللون، قائمة كالسياط ثم منحنية فوق قاعدة دائرية مكسوة بزغب أبيض خفيف، ولها رحيق حلو يستهوي أنواعًا من النمل، ورأيت فوقها غير مرة أعدادًا كثيرة من الذباب ذي الحجم الكبير، تحدث دويًا يلفت الانتباه عند الاقتراب منها. وثمارها قرون أسطوانية زوجية مستدقة الرأس، تشبه ثمار المرخ، طولها نحو ٧ - ١٠سم، لونها أخضر، وربما استحال سطحها المواجه للشمس إلى لون أرجواني فاتح، فإذا نضجت انفلقت إلى مصراعين في داخلهما عدد من البذور لونها بني محمر، معلقة في خصلة من الشعر، على هيئة مظلة، تطير بها الريح إلى حيث شاء الله.

والسَّواس من مراتع الإبل والغنم، تأكل ثمارها وأزهارها وأطرافها الغضة. وكان الرعاة يأكلون أزهار هذه الشجيرة وأماليدها وثمارها الغضة، وطعمها طيب لذيذ، وربما ولد الإفراط في أكل الأزهار خاصة ريحا غليظة. وفي رضوى والكويرة من ديار جهينة يسمون تلك الأزهار (النُّمْر) وأهل الفقرة (النُّمَيْر) بالتصغير، فلعلهم أخذوه من النَّمر التي فيها. وسمعت بعض أهل ورقان يسميها (البُرْعُم) وثمرها (الجِرْو) ويطلقونه أيضًا على ثمر المرْخ. وهو استعمال فصيح، وجمعه جراء.

وما زال أهل السَّراة يتخذون من أعوادها الطرية مساويك، فتكون بديلاً حسنًا عن مساويك الأراك الذي لم يكن من نبات أعالي جبال السَّراة. وربما اتخذوا من سيقانها النحيلة عصيًا لتأنيب صبيانهم. ورأيت أهل جبل رضوى يتخذون من سيقانها اللدنة المرنة حبالا يربطون بها حوائجهم.

وخشبها سريع الاشتعال كالمرْخ، ولكنه لا يدوم، فكان يكفيهم منه إشعال الجزل الذي يوضع فوقه. ويستعمل فحمه في ديار بني كلب من جهينة لصنع البارود، ويرون أنه يفوق في قوته وشدة انفجاره فحم العشر والقفل والعرعر.

وأخبرني نايلي من أهل جبال الفقرة أنهم كانوا ينزعون لحائها فيزيلون عنه قشرته العلوية الخضراء، ثم يصنعون من أليافه الداخلية الحبال الصغيرة والخطم









والشرك والأركية .

والسـوّاس، كما رواه أبو حنيفة، شبيه بالمَرْخ (Leptadenia pyrotechnica) لا يكاد يفرق بينهما إلا خبير، وكلاهما من الفصيلة العُشَرية، إلا أن المَرْخ، في الغالب، أطول وأضخم أرومة من السوّاس، وزهره أصفر صغير مميز، وزهر السوّاس، كما تقدم، والمَرْخ منابته المنخفضات الحارة، في السهول وبطون الأودية، أما السوّاس فمنابته، كما أسلفت، المرتفعات الباردة

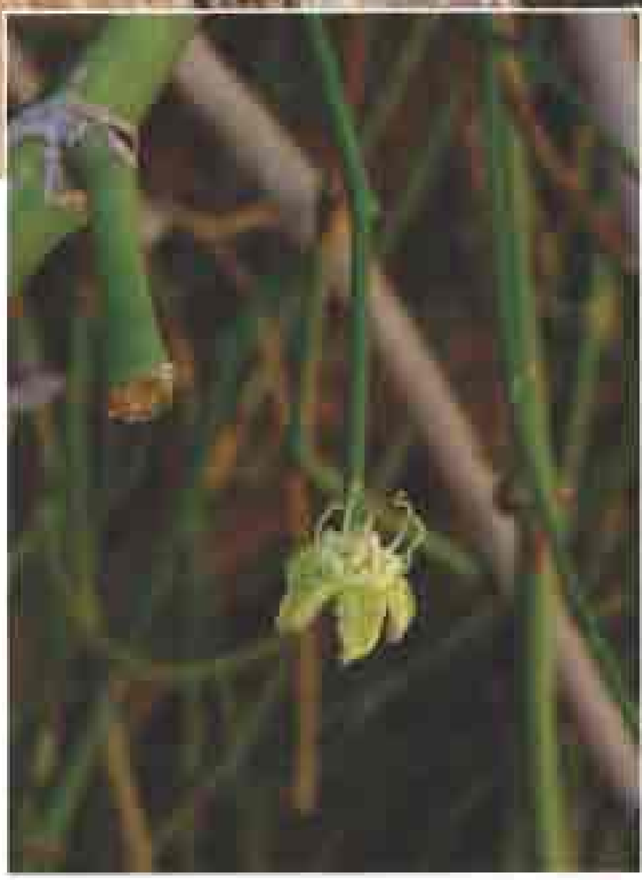
ويشبه كذلك اللَّوْز (Prunus arabica) وهو نوع من اللوز البري، ينبت في شمال المملكة، ويرتفع نحو ١.٥ . يتفرع بكثافة إلى أغصان كثيرة دقيقة، تخرج من أصل واحد مطمور في الأرض أو بارز عنها قليلا، فيظهر للناظر من بعيد كهيئة المَرْخ أو السوّاس . وهو غير النوع (P. korshinskyi) الذي ينبت بكثافة في جبال مدين ، ومنها جبل اللوز، فهذا يقوم على ساق غليظة بارتفاع يصل إلى نحو ٣ — ٥ م . وقد تقدم في رسم الزَّعرور .

وما زال السوّاس معروفا بهذا الاسم في كثير من ديار بلي وجهينة ، وسمعت دليلي إلى جبل رضوى ينطقه (السُّواس) بضم الأول . وأهل السَّراة ينطقونه (السّوسي) بحذف الألف وإلحاق الياء، وكذا سمعته في جبل ورقان ونواحيه، وكذا ينطقه أهل جبل شمنصير من سليم ولكن بضم الأول . وسمعت أهل جبال الفقرة ينطقونه (الشُّواس) وربما شدد بعضهم الواو . وينطقه بعض جيرانهم من أهل جبل ثافل الأكبر (جبل ضُبْع) (الشّوسي) فكأنهم استثقلوا اجتماع المثلين في كلمة واحدة، فأبدلوا السين الأولى شينا . وفي جبال ظفار يسمونه (غُوْرِيم) وآخرون (بِيْذُول) ويتخذون من جذوره ترياقا لسموم الثعابين . وفي الجبل الأخضر شمال عمان يسمونه (الحنذُبُوب) بالحاء والهاء. وكانوا يتخذون من جذوره أيضا ما يعتقدون أنه حرز لهم من الجن وأعمال السحر والشعوذة .

والسوّاس اسم واد أو شعب ينبت هذه الشجيرة بأعلى وادي رِيمْ من ديار الصواعد من حرب .

ومن السوّاس نوع نادر (Periploca visciformis) رأيته لأول مرة في





● السوّاس ٢، قُرْشَيه _ *Periploca visciformis*

وادي لَجْب ثم في واديي زِبْدان وعثْلم، على ارتفاع ١١٠٠ – ١٣٠٠م . وهما واديان غائران ضيقان جداً، من روافد وادي لَجْب أيضاً، أشهر أودية جبال الريث بن خولان. تنبت هذه الشجيرة متدلية على حافات الجروف الصخرية الظليلة الشديدة الانحدار، وربما معترشة. أفنانها مفصلية كثيفة نحيلة مرداء في الغالب، يظهر عليها أوراق صغيرة تتجرد سريعاً كالسوّاس، وهي تشبه في هيئتها وطريقة تفرعها بعض أنواع الغلنديات، كما أنها تشبه السوّاس في نظامها الزهري والثمري، إلا أن أزهارها غير مشعرة، وذات لون أصفر أو أبيض مخضر في الغالب. تميل من الوسط إلى اللون البنفسجي المحمر في النابت المشمسة . وتفرز مثلة عصارة بيضاء عند كسر شيء من أعوادها . ولأغصانها الفتية طعم حامض يشبه إلى حد ما طعم أوراق العترب. وسألت عنها غير واحد ممن يسكن قريبا من تينك الواديين فلم يعرفوا لها اسما . وهي كثيرة الانتشار في جبال ظفار، والمَهْرة من أهل هذه الجبال يسمونها (قُرْشَيه) ويعلفونها الماعز والإبل في مواسم الجدب وقلة المرعى . وكذلك تُسمى في جزيرة سقطرى، وشاهدتها في هذه الجزيرة قائمة غير متدلية . وينطقون القاف بصوت بين الكاف والجيم . ويأكلون أعوادها الغضة، وربما أكلوا الثمار .



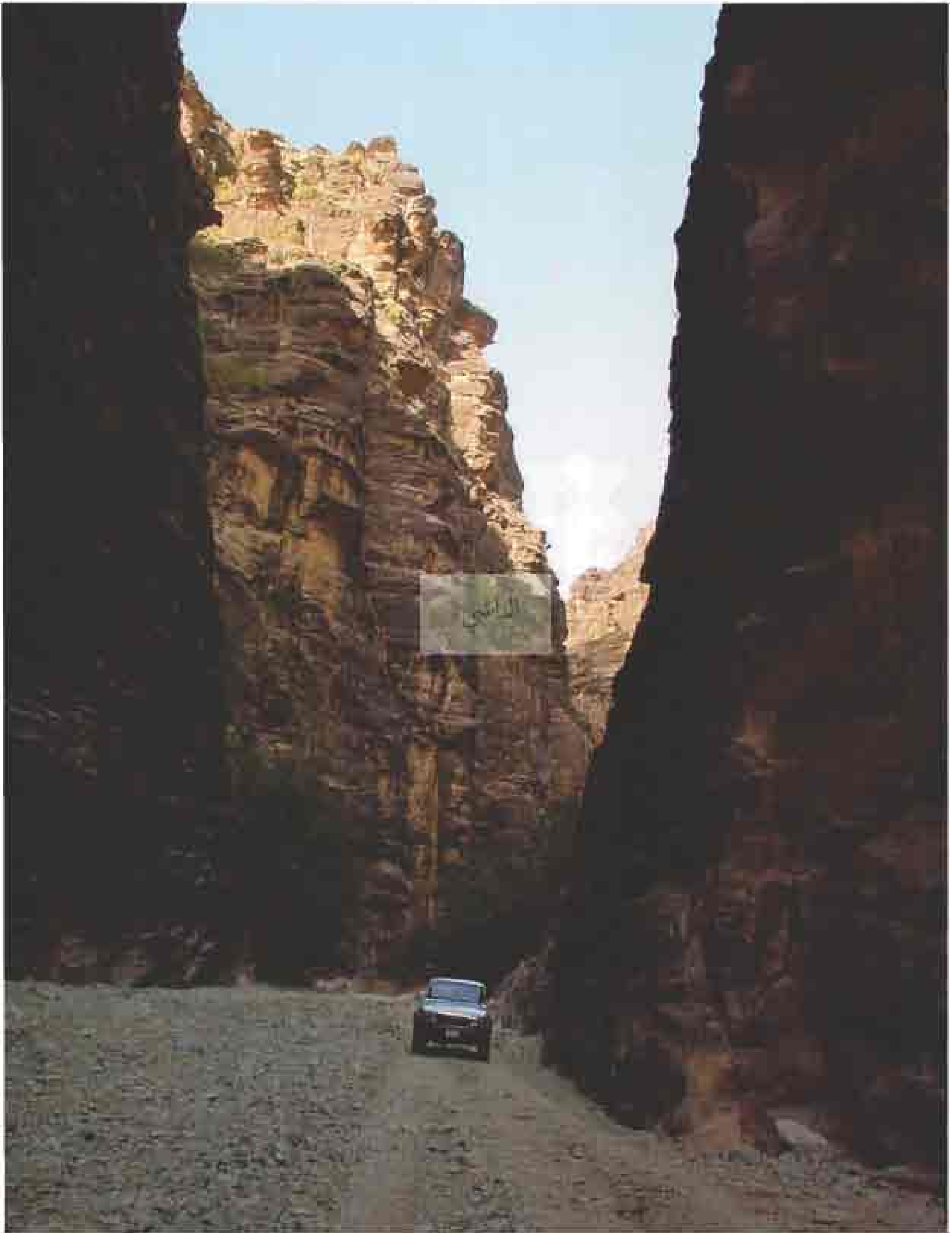
● قُرْشيه سقطري تنبت قائمة غير متدلية



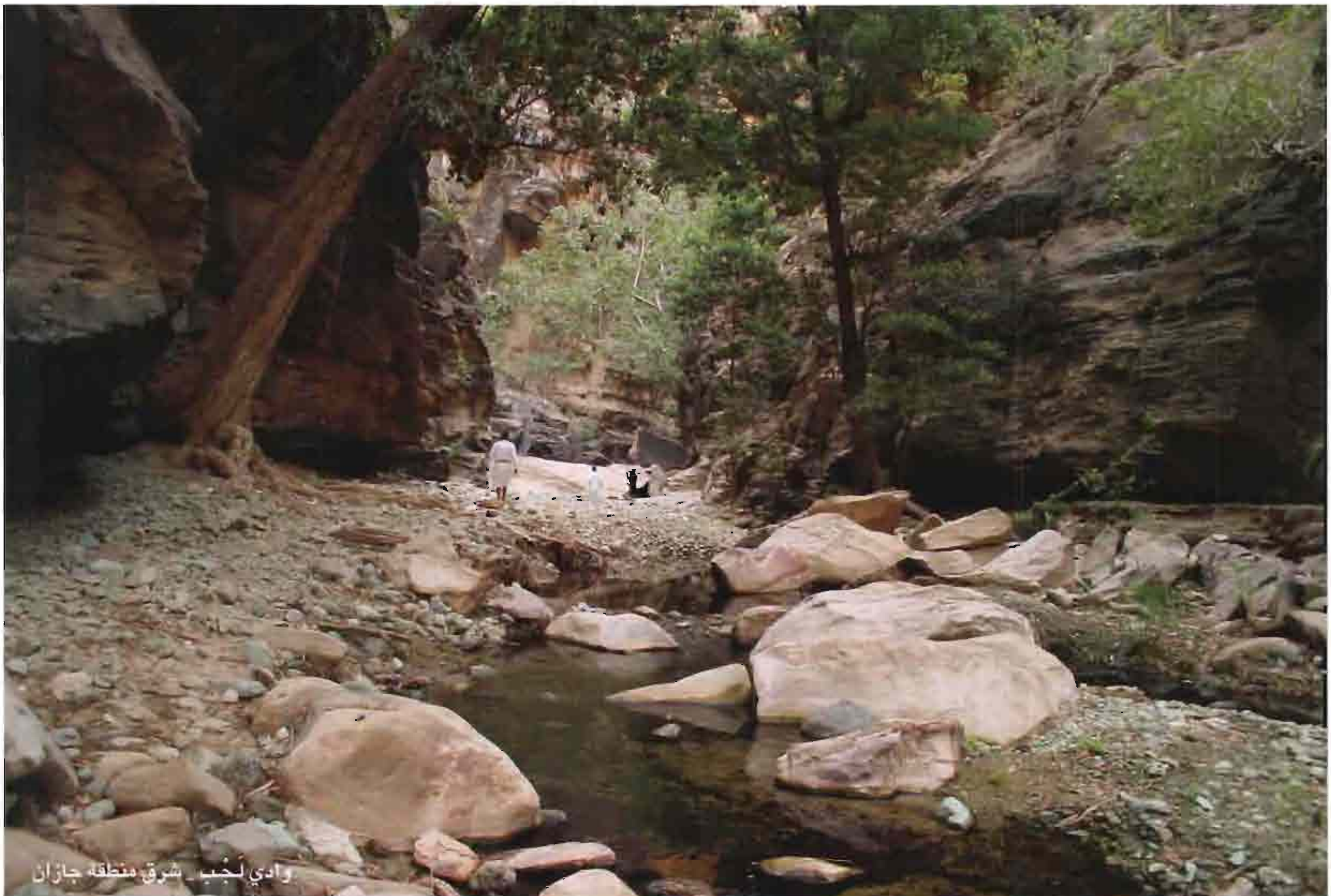


(١) العين (سوس) ٧ / ٢٣٦ ، وصلد الزند: إذا لم تشتعل فيه النار. (٢) الثبات ٣ / ١٢٥. (٣) الثبات ٣ / ٣١.

(٤) التكملة (سوس) ٣ / ٢٦٧ ، وينظر : البيان والتبيين ٣ / ٢٢، والمنتخب ٣ / ٤٦٣، والمخصص ١١ / ١٨٧، وتهذيب اللغة ١٢ / ١٣٤، واللسان ٦ / ١٢، والقاموس ٧١، والتاج ٤ / ١٦٩ (سوس)







وادي لَجَب ـ شرق منطقة جازان

السَّوْسَن



قال أبو حنيفة : ((السَّوْسَن حرف أعجميّ، وقد جرى في كلام العرب . قال الأعشى :

وآسٌ وخِيريٌّ ومرْوٌ وسَوْسَنٌ   إذا كان هِيْزَمنٌ ورُحْتُ مخشَّما

ولم يبلغني أنه ينبت ببلاد العرب. أجناسه كثيرة، وأطيبه الأبيض)) (١)

وقال المحبي : ((السَّوْسَن، كجَوْهَر، والعامة تضمه، نبات عريض الورق، ليس له رائحة، تتطير به العرب . قال الشاعر :

ياذا الذي أهدى لنا سَوْسنا   ما كنت في إهدائه محسنا

نصف اسمه سُوء فقد ساءنا   يا ليت أني لم أر السَّوْسَنا

سرياني أو نبطي، معرب شوشاني، عربيته العَيْثُوم ...)) (٢)

السَّوْسَن
Iris albicans

الفصيلة السَّوْسنيَّة - IRIDACEAE



قلت: السَّوْسَن، نبات معمر جميل، منابته الأسناد في الأتربة الندية الهشة بين جلاميد الصخور، وأطراف الحقول، وفوق الثمائل وأسافلها، ينبت متجاورا في مستعمرات واسعة، لا يشاركه فيها نبات آخر في الغالب، وذلك على ارتفاع ١٩٠٠ - ٢٧٠٠م .

للسَّوْسَن جذمور أبيض، بيضاوي الشكل، يمتد تحت الأرض باتجاه أفقي، ومنه يصعد أوراق ناعمة غضة كهيئة السكاكين، طول الورقة نحو ٢٠ - ٣٠سم، وعرضها نحو ٣ - ٤سم، يخرج من بينها شمراخ يعلو عن الأرض قدر ٤٥سم، يحمل في أعلاه زهرة كبيرة بيضاء اللون، موشاة من داخلها بخطوط صفراء، لها ست بتلات، ثلاث منها مائلة إلى الأسفل، والباقية قائمة متعانقة. ولها بَنَّة عطرية خفيفة . تظهر في منتصف الربيع، وربما دامت إلى أوائل الصيف. وتذبل عن ثمرة ثلاثية الزوايا، تحوي بذورا كثيرة العدد صغيرة الحجم .

ولم أر السَّوْسَن في أرض السَّراة غير سراة بني عُمَر، ورأيته بأعداد كبيرة في وادي المدان الكائن في أصل جبل حزنة من جهته الشمالية



Iris albicans - السوسن



الشرقية، وهو واد خصب فسيح تنحدر مياهه إلى حزنة، ثم إلى وادي الأحسبة. وأهل هذه السَّراة يسمونه (أذن الفرس) أخذوه من شكل أزهاره الشبيهة بأذن الفرس، وسمعت بعضهم يسميه أبو الفرس. ثم رأيته في خريف عام ١٤٢٣هـ فوق قمم جبل صَبِر، جنوب غرب تعز، على ارتفاع ٢٧٠٠م، رأيته وهو لا يزال مزهرا، وهو إزهار متأخر جدا مقارنة بما رأيت في سراة بني عمر، بسبب علو منابته، وصعود الشمس إلى الشمال، فكان مناخ تلك القمم يضارع مناخ جبال السَّراة أواخر فصل الشتاء . وسمعت أهل ذلك الجبل يسمونه (الأَيْجُر) .

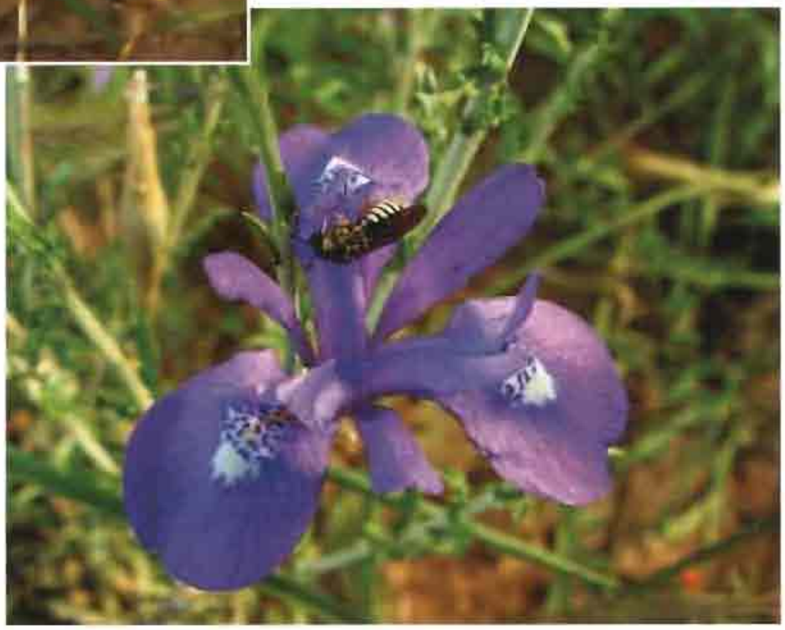
وأما قول المحبي إنه العَيْثُوم في العربية، فلم أجد في كتب اللغة والنَّبات ما يعضد قوله هذا . وقد ذكروا السَّوْسَن من معاني المَتْك. وهو من الألفاظ المشتركة (٣) .

وفي أعالي جبال الحجاز غرب المدينة المنورة رأيت نوعًا آخر من هذه الفصيلة (*Gynandiris sisyrinchium*) يسميه أهل الفقرة (بصل الحمار) وفي ديار بني كلب من جهينة يسمونه (العَصَنْصَل) له جذور بصلية بيضاء، صغيرة الحجم، في حجم بصيلات الذُّرَق سالف الذكر. وأوراقه شريطية طويلة قليلة، يخرج من بينها شمراخ، يرتفع نحو٣٠سم، يحمل أزهارا جميلة مبهجة، لونها أزرق إلى البنفسج، موشاة من داخلها بالبياض، تتفتح في وضح النهار، وتنطوي على نفسها عند دنو الظلام، تظهر من منتصف الربيع إلى أوائل الصيف، ولها رائحة عطرية خفيفة، ورأيت لبعضه أزهارا بيضاء، ولكنه قليل . تأكله الحمير، وربما سمي (بصل الحمار) لهذا. ولا تأكله الأغنام، وربما ملأت منه أفواهها، فما تلبث أن تلفظه ولا تسيغه .

ولا ينبت هذا النوع إلا بعد شتاء ارتوت من مطره الأرض، وهو ينبت بكثافة، فيصبح من الأعشاب الضارة في الحقول الزراعية، يؤذي الزرع، ويمتص رطوبة الأرض، ورأيت أصحاب تلك الحقول يتعاهدونه بالإزالة، فتراهم يقتلعونه من جذوره، ويردمونه أكواما كبيرة فوق الثمائل وأطراف الحقول، حتى يتم التخلص منه .







● السوسن الحجازي _ *Gynandiris sisyrinchium*

تظهر الأزهار البيضاء في حالات نادرة

(١) النَّبات ٦ / ٥٤ .

(٢) قصد السبيل ٢ / ١٦٨ – ١٦٩ . وينظر : درة الغواص ١٧١ ، وتقويم اللسان ١٣٨ ، والمدخل إلى تقويم اللسان ٩١ ، وجامع ابن البيطار ٢ / ٥٦ ، وحديقة الأزهار ٢٧١ ، والعمدة ٢ / ٥٥٦ ، وشفاء الغليل ١٧٨ ، والتكملة ٦ / ٢٤٨ ، واللسان ٦ / ٤٣٠ (سوسن) .

(٣) القاموس ١٢٣٠ ، والتاج ٧ / ١٧٥ (متك)





السوسن الحجازي . يغزو الحقول الزراعية بكثافة عالية

السَّيَال



قال أبو زيد : ((ومن العضَاه ... السَّيَال، والواحدة سَيَالة، حجازيَّة نحو الشَّبَهان، وجناتها في سُنْفَة، وثمرتها نحو ثمرة السَّمُر وَالطَّلْح، ومنبتها واحد)) (١)

قال أبو حنيفة : ((السَّيَال، واحدته سَيَالة، شوكُه حديد طوال، إلا أنه أبيض ناصع البياض، يلوح من خلال الورق، وهو أخضر نضر . ويشبه به الشعراء الثغور . وإذا نزع ذلك الشوك خرج منه اللَّبن . قال أبو زياد : السَّيَال ما طال من السَّمُر . وقال أبو عمرو : السَّيَال هو الشَّبَه)) (٢).

السَّيَال
Acacia johnwoodii

LEGUMINOSAE - الفصيلة السُّنْفِيَّة



قلت: يطلق السَّيَال في جبال السَّراة والحجاز على نوعين متشابهين من الفصيلة السنفية:

الأول: السَّيَال المعروف في جبال السَّراة (*A. johnwoodii*) وهو شجرة كبيرة، واسعة الانتشار في أغوار جبال السَّراة . تنبت على ضفاف الأودية، وفي بطون الشعاب ، وربما نبتت على سفوح الجبال، على ارتفاع ٤٠٠ – ١٥٠٠م .

ترتفع السَّيَالة من هذا النوع نحو ٥ – ١٥م، على جذع أملس، لونه أغبر إلى أغبر مسود، يتفرع عن قريب إلى أغصان كثيرة طويلة متفرقة، أو على هيئة مخروطية أو هيئة مظلة لا خصاص في ظلها، وسيالة السفوح والمرتفعات العالية تكون، في العادة، أصغر حجما مما ينبت في الأغوار على ضفاف الأودية. أغصانها الطرفية النحيلة قائمة وأخرى شبه متدلية. وأشواكها طويلة تشتد كثافتها في الأغصان السفلية خاصة، وتبرز بوضوح عند سقوط الأوراق، طولها نحو ٣ – ٥ سم، ويشبه بها الشعراء الأسنان لبياضها . تفرز من مكسرها سائلا قليلا أبيض اللون شبه شفاف، يلتصق باليد عند ملامسته، ولا يكون ذلك السائل إلا في الرواء . والأوراق ريشية طويلة كثيفة شديدة الخضرة. تنحت، غالبا، في نهاية فصل الربيع . وأزهارها ناصعة البياض، لها رائحة عطرية فوّاحة، ولاسيما قبل أن تشرق عليها الشمس . يبدأ إزهارها من أواخر الصيف إلى أوائل الشتاء، وأزهارها كثيفة جداً، تزهر قبل ظهور الأوراق، فإذا أزهرت تميزت عن سائر الشجر، وظهرت على هيئة قباب بيضاء تتزين بحسنها بطون



الأودية وصفاح الجبال، تزهر ثم تهل نحو ٧ - ٩ مرات في موسم الإزهار الواحد، بين كل مرة وأخرى نحو عشرة أيام . وآخر دفعة يخلفها ثمار سنفية مستقيمة، تشبه سُنْف الطلح، إلا أنها أكثر منه طولا وأقل عرضا، تظهر خضراء، ثم تصير عند تناهي النضج إلى اللون الأصفر وربما البُني . وفي جبال آرة شاهدت بعض أشجار هذا النوع تحمل ثمارا تكون من بداية ظهورها بنية اللون محمرة، تظهر مستقيمة الشكل، كما تقدم، أو مقوسة على نحو واضح، فربما كانت نوعا آخر غير الأول، ولكن شديدة الشبه به . والنحل يثمر أزهار هذه الشجرة، فلا ينتج منها العسل، ولكنه يتكاثر عليها، ويتخذ منها العُكْبر (الرِّدْم).

وللسيَّالة هذه صمغ كثير، يخرج أسفل جذعها، لونه أحمر مسود . وعودها رديء تفتك به آفات الخشب عن قريب، فلا يصلح لتسقيف البيوت، ولا لأغراض أخرى جادة بعيدة المدى، ولكنه وقود جيد. وأوراقها من المراعي الجيدة المسمنة للإبل والغنم، وهي كأوراق











أشجار السيال الضخمة على ضفاف وادي الخيطان

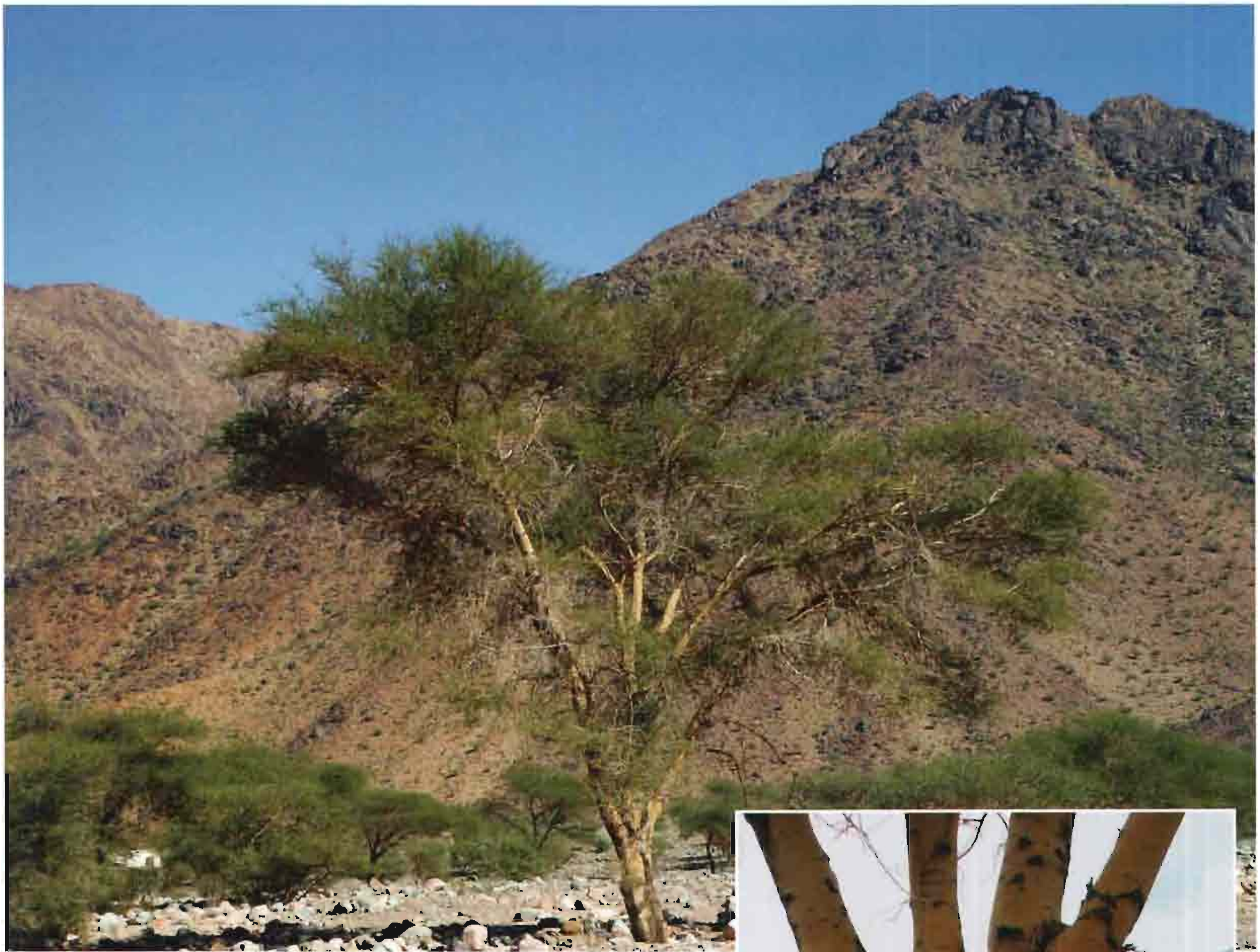


الطَّلْح والسَّلَم، يستعمل الرعاة المخابط لضربها، فتسقط لهم بأيسر الجهد، وكذلك ثمارها .

وشاهدت بعض أشجار السَّيال في رجال ألمع في منظر بهي وخضرة كثيفة كأنها نابتة على شاطئ نهر، فسألت عن ذلك دليلي الألمعي فأخبرني أن الناس هنالك يحرصون على تشذيب السَّيَّالة، كحرصهم على تشذيب السِّدْر، إذ يعمدون عادة إلى قطع أغصانها الصغيرة، ويعلفونها الإبل، ثم يعقب الغصن الواحد نحو خمسة أغصان خضراء نضرة كثيفة الورق. فإن لم يفعلوا ذلك أصابها، كما يعتقدون، النخر، وأسرع بها الهرم إلى الموت .

وهو السَّيَال، بتخفيف الياء، في تهامة هذيل، كما ضبطته المعاجم . ومعظم أهل السَّراة يسمونها (السَّيَّال) بتشديد الياء، وكذلك سمعته في العُدين وجبال حجة اليمنية . وسمعته بالتشديد والتخفيف في الجبال الواقعة إلى الشرق من منطقة جازان . وفي جبال سلا ونواح من تهامة عسير، تسمى (البِلَّة) بكسر الباء، يسمونها باسم زهرها، ولا يجهلون اسمها الشائع .

● صنف من النوع الأول، ينبت في جبال آره، ثماره بنية اللون مقوسة >





● السيال الحجازي _ *A. raddiana*

ورأيت هذا النوع في جبال الحجاز بأعداد قليلة جدا، وهو يمتد في هذه الجبال إلى وادي رَخْو شمال جبل رضوى، وهو أقصى حد باتجاه الشمال رأيت فيه هذه الشجرة، ويكثر ظهوره كلما اتجهنا جنوبا من هذه الجبال، وقد رأيته بأعداد طيبة في السُّدَّة الواقعة في أحضان جبل آرة. وأهل هذه الجبال من حرب وجهينة لا يسمونه السَّيَال بل الطَّلْح، وقد فُسِّر السَّيَال بأنه الطَّلْح أيضا، عند بعض المتقدمين (٣)؛ وذلك للتَّشابه الشديد بين الشجرتين. وهو يعرف بالطَّلْح والسَّيَال في جبال شمنصير من ديار بني سليم، وهي آخر منطقة باتجاه الشمال يطلق أهلها على هذه الشجرة لفظ السَّيَال، فمن تأثر منهم بأهل الجنوب سمَّاه السَّيَال، ومن تأثر بأهل الشمال سمَّاه الطَّلْح . وسمعت بعض بني كلب من أهل الأجرد من جهينة يسمونها (الإيَّل)، على زنة (الميَّل) وهو اسم نوع من الطلحيات يشبه السَّلَم، ينبت في جبال فيفا، وقد تقدم .

وأما النوع الثاني (*A. raddiana*) فهو السَّيَال المعروف في جبال الحجاز، وهو واسع الانتشار في هذه الجبال، بدءا من جبال آرة (هضبة أم العيال) وما حاذاها من الأودية الشرقية بالحَرَّة، ومن هنا يمتد شمالا حتى أودية جبال مَدْيَن كوادي عُفَال وروافده . وأكثر منابته بطون الأودية وضفافها على ارتفاع ٤٠٠ - ٩٥٠م . وأهل السَّراة لا يعرفون هذا











النوع؛ لأنه ليس من نبات أرضهم .

وهو شبيه بالسَّمُر في نظامه الورقي والشوكي، وكذلك نظامه الزهري والثمري، إلا أنه يفوق السَّمُرة طولا وحجما وتفرعا. وهو الذي عناه أبو زياد بقوله: ((السَّيَال ما طال من السَّمُر)) فجعله سَمُرا، وليس كذلك، بل هما نوعان مختلفان، ينتميان إلى المجموعة الطلحية .

ترتفع السَّيَالة منَ هذا النوع نحو ٥ – ١٢م على ساق خشن اللحاء، مشقق باستطالة من أسفله، لونه أغبر إلى سواد قليل. وناعم أملس من أعلاه، لونه أصفر مغبر أو أصفر إلى حمرة يسيرة . وربما ظهر ساقها من أسفله إلى أعلاه بإحدى الصفتين لا غير. ويفرز، إذا اشتد عليه الصيف، صمغا كثيرا. وأشواكها بيضاء طوال حداد، أطول من أشواك النوع السابق وأثخن منه. ولاسيما في النبتة الصغيرة، والأغصان السفلية القريبة من الأرض، فتحميها من جور الرعي، فإذا ارتفعت وصارت بمنجاة، فإن تلك الأشواك تكون أقل كثافة وأصغر حجما. وسمعت أهل ورقان يسمون صغار السيال (الوَدِي) كما يسمى صغار النخل . وأوراقها ريشية قصيرة، تشبه أوراق السَّمُر، والأزهار بيضاء مصفرة، أصغر من أزهار النوع السابق، وأقل كثافة منها، تشبه أزهار السَّمُر، كما تقدم، ومدة إزهارها طويلة، تدوم نحو ثلاثة أشهر، تبدأ،



السيال الذكر (الشَّهَبان)

كالنوع السابق، مع نهاية أشهر الصيف إلى أوائل أشهر الشتاء. والنحل يجرسها فلا يجني منها العسل إنما يتكاثر عليها، كالنوع السابق أيضاً. وأما ثمارها فقرون حلزونية شديدة التلوي، تشبه ثمر السَّمُر أيضًا، مع حجم وطول زائدين، وتدوم على الشجرة نحو خمسة أشهر. وأهل تلك الجبال يسمون أزهارها (البَلَّة) وثمارها (الحِبْلَة) وكذلك تسمى الأزهار في جبال مَدْيَن، وأما الثمار فتسمى (العُلَّف) والإبل والغَنم تأكلها بنهم شديد .

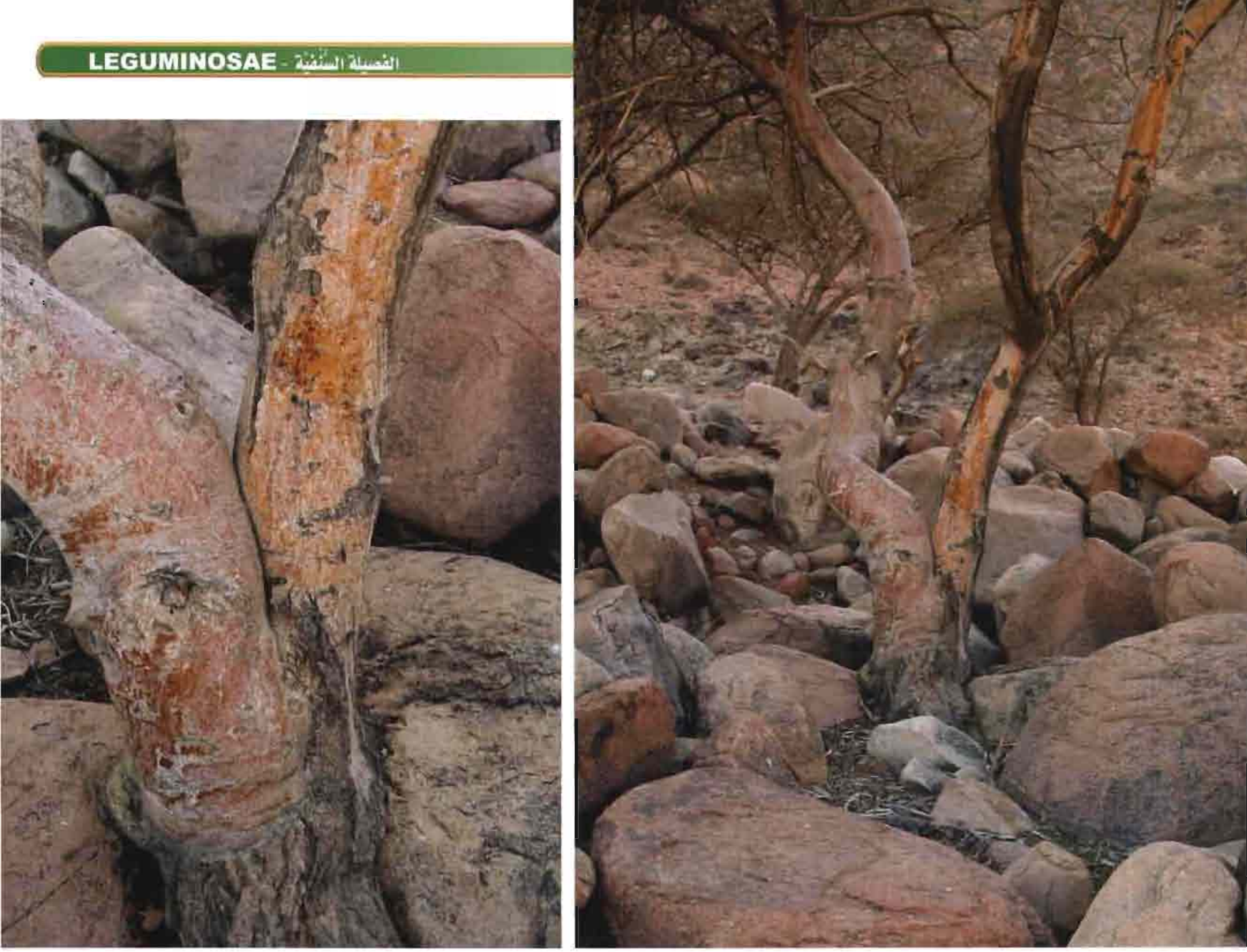
ورأيت هذا النوع من أكثر الأشجار التي يتطفل عليها العَنَم في جبال الحجاز.

والناس في بوادي الحجاز يعتقدون أن هذه الشجرة من أهم الأشجار التي تنبت في ديارهم، وأكثرها نفعًا لهم؛ فمن ورقها وثمرها يعلفون ماشيتهم. ومن سيقانها يسقفون بيوتهم، ويصنعون خلاياهم. ومن ألياف لحائها يصنعون أرشيتهم، ومن نَجبه يدبغون شكيهم وأسقيتهم. ومن أغصانها الشائكة يتخذون زرائب لأغنامهم وسياجات لمزروعاتهم . ومن أشواكها يتخذون أخلَّة للعناية بأسنانهم وخياطة ملابسهم . ومن حطبها يتخذون وقودا، وفحما، وقطرانا. ويحتذون أغصانها الخضراء، فيستقطرون منها سائلا كالمُهل يداوون به جراحاتهم . ويتخذون من ظلها مأوى لهم ولأغنامهم وسائر دوابهم .

وأخبرني دليلي وغيره من أهل جبال مَدْيَن أنهم كانوا يتخذون من لحائها الداخلي فتائل البنادق القديمة (أبو فتيل) ويستعملونها كما يستعمل أهل السَّراة فتائل الأثب. يعمدون إلى قشر ذلك اللحاء، ثم يقومون بنفشه وبله بالماء، ثم يخلطونه برماد الحنظل المحروق، وينطقونه (الحَمْظَل) بقلب النون ميما(٤) . فيصير لونه إلى الأسود، ثم يصنعون منه تلك الفتائل، وعند إشعالها تسري فيها النار ببطء شديد . ولا يستعملون فتائل الأثب كأهل السَّراة، ربما لقلة انتشار تلك الشجرة في جبالهم .

وفي الفقرة غرب المدينة المنورة يطلق الأحامدة لفظ (الكَنَهْبَل) على السَّيالة الذَّكر، وربما سماها بعضهم (فرخ السَّيال) ويسميها أهل قدس وورقان من حرب، وبنو كلب من جهينة ، وأهل جبال مدين من بني عطية والحويطات (الشَّبَهان) . وقد رأيتها لأول مرة في وادي ظلامة المنحدر من جبل قدس، فلم أشك في أنها سَيَالة، وعبرت عن ذلك، فقال دليلي من أهل ذلك الجبل: بل هي الشَّبهانة، قال : وهي ذَكَرُ السَّيال، تظهر عليها البَلَّة، أي الزهر، ثم يذوي ويَهلُ، ولا تخلفه الحِبْلة، وهي الثمر. قلت: وتمتاز أيضا بجذعها الخشن ذي اللون الأسود المغبر، وأنه أقصر على نحو واضح من جذع أنثى السَّيال، وأنها كثيفة الخضرة، كثيفة الفروع، قليلة الأشواك، وارفة الظلال . وهي كالطَّلْحَة (السَّلاَّيَة) تتدلى أغصانها نحو الأرض على هيئة قبة أو مظلة لا خصاص في ظلها، يستظل تحتها الناس، ويبنون حظائر أغنامهم، وأما السَّيالة الأنثى فإن أغصانها تسمو، في الغالب، صاعدة متفرقة، مثقبة الظلال .

وقد فسر أبو عمرو، كما تقدم، السَّيال بأنه الشَّبه. والأمر كذلك، فهو كمعظم



سيالة حجازية (يمين) وأخرى سروية (يسار) يتفرعان من جذع واحد

الشجر منه الذكر ومنه الأنثى، وإنما سموا الذكر شَبَهانا؛ لأنهم ظنوه نوعا آخر، ورأوه يشبه الأنثى التي تسمى السَّيال؛ أعنى سيالِ الحجاز ؛ ولذلك كان وصف أبي زيد أقرب إلى سيال الحجاز منه إلى سيال السَّراة، حين شبه السَّيال بالشَّبَهان، فقال – وهو يعدد أنواعا من الطلحيّات – : ((ومنها الشَّبَهان، والواحد شَبَهانة، حجازية نجدية شاكة ... منبتها الجبال والأوديـة، وهي تهامية. ومنه السَّيال، والواحدة سَيَالة، حجازية نحو الشَّبَهان))(٥)

وليس في السَّراة اليوم، فيما علمت، من يعرف الشَّبَهان بدلالته السابقة المشتهرة في جبال الحجاز . وأما الشَّبَهان المذكور في شعر يَعْلَى الشَّكْري، وهو من أزد السَّراة، في قوله :

بوادٍ يمانٍ يُنبتُ الشَّثَّ صَدْرُهُ وأسفلَهُ بالمرْخِ والشَّبَهانِ (٦)

فقد فسره ابن دريد بأنه لغة في الثُّمَام يمانية (٧) . أي أنها لغة قديمة لأزد السَّراة في الثُّمَام الذي يكثر في منابت المرخ من بلادهم ، لم تعد مستعملة اليوم .

ومن غريب ما رأيت سَيَالة من النوع الأول، وأخرى من النوع الحجازي، يتفرعان من جذع واحد. رأيتهما كذلك بأعلى شعب الزُّبَّاد عند أقدام جبل ورقان. ويظهر أنهما نبتا إلى جوار قريب، فاعتصرا عند الكبر والتحما، ثم تفرعا .

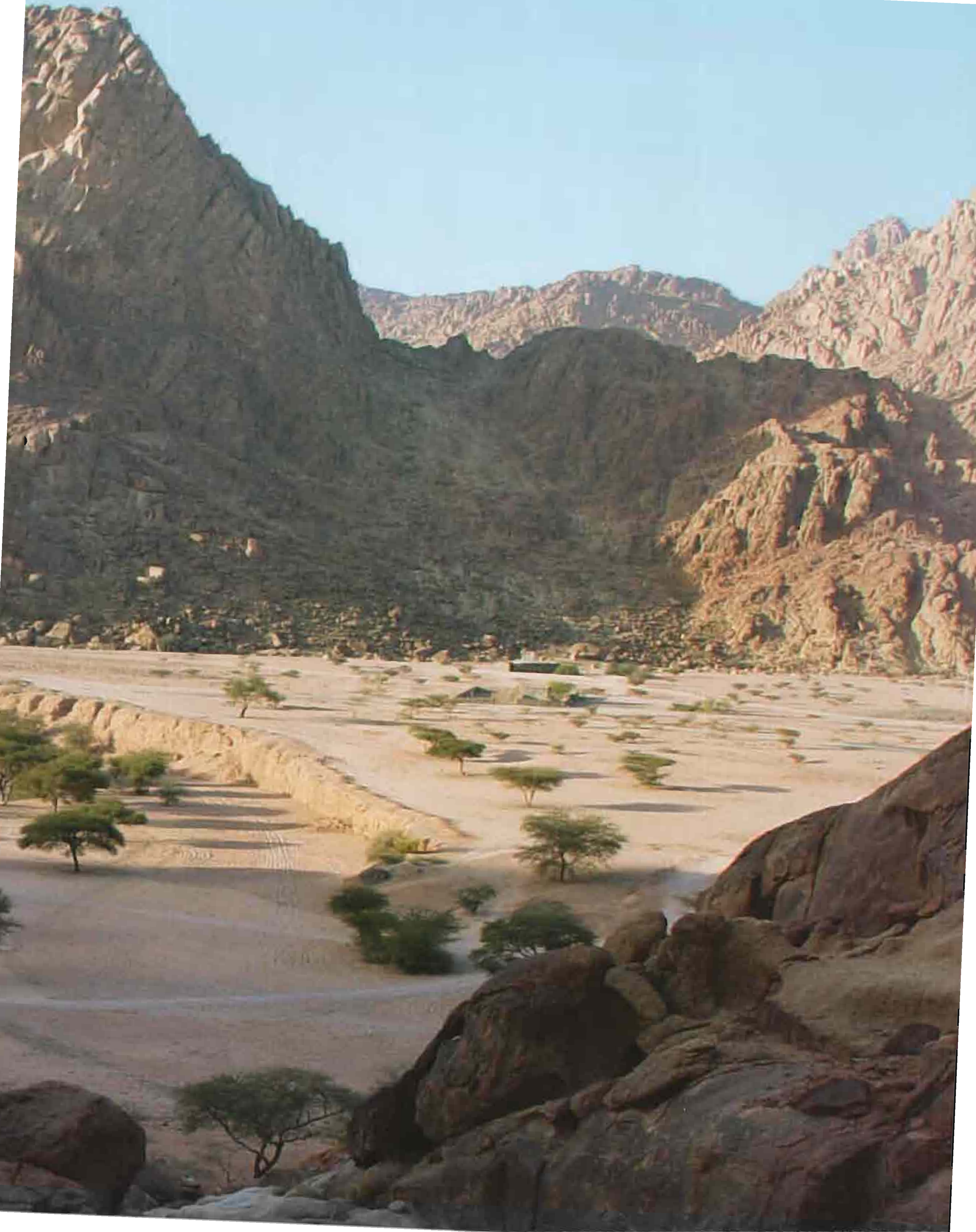
---

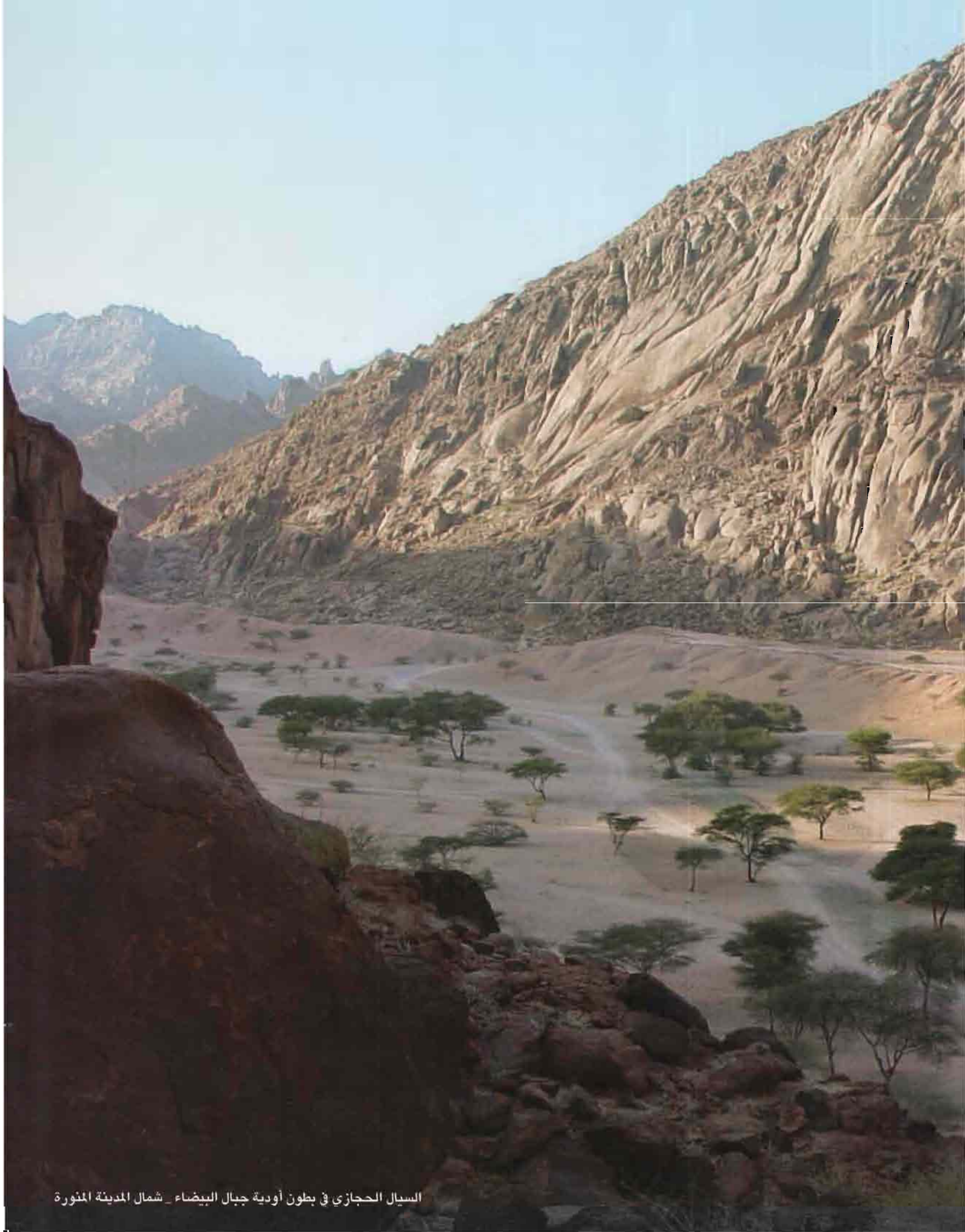
(١) الشجر والكلأ ٦٢ .

(٢) النَّبات ٦ / ٥٤ . وينظر : ديوان امرئ القيس ١٧٨، وأوس بن حجر ٣٥، وقيس بن الخطيم ١٢٥، والأعشى ٢٧٧، وابن الرومي ٢ / ٤٩٤، ٥ / ٢٠٦٠، والشجر والكلأ ٦٢، والنَّبات للأصمعي ٢٣، والغريب المصنف ١ / ٤٢٣، والمنتخب ٢ / ٤٦٢، وكفاية المتحفظ ١٩٦، والمخصص ١١ / ١٨٤، ونظام الغريب ٢١٠، والعمدة ٢ / ٥٦١، والعين ٧ / ٣٠٠، وتهذيب اللغة ١٣ / ٧٢، والصحاح ٥ / ١٧٣٤، واللسان ٦ / ٤٥٨، والقاموس ١٣١٥، والتاج ٧ / ٣٨٦ (سيل) . (٣) نظام الغريب ٢١٠ . (٤) وهي لغة قديمة . ينظر : النَّبات ٥ / ١٣٩ .

(٥) الشجر والكلأ ٦١، ٦٢ . وينظر : أسماء جبال تهامة ٤٠٠، والنَّبات للأصمعي ٢٣، والغريب المصنف ١ / ٤٢١، ٤٢٣، والنَّبات لأبي حنيفة ٦ / ٦٢، وكفاية المتحفظ ١٩٦، والخزانة ٥ / ٢٧٦ .

(٦) أدب الكاتب ٥٢١، والأغاني ٢٢ / ١٤٩، وتفسير الطبري ١ / ٧٧، ٧٨، وابن كثير ٣ / ٢١٥، واللسان (شبه) ٧ / ٢٥، (شثث) ٧ / ٣٠ . (٧) الجمهرة ١ / ٨٣ .





السيال الحجازي في بطون أودية جبال البيضاء _ شمال المدينة المنورة

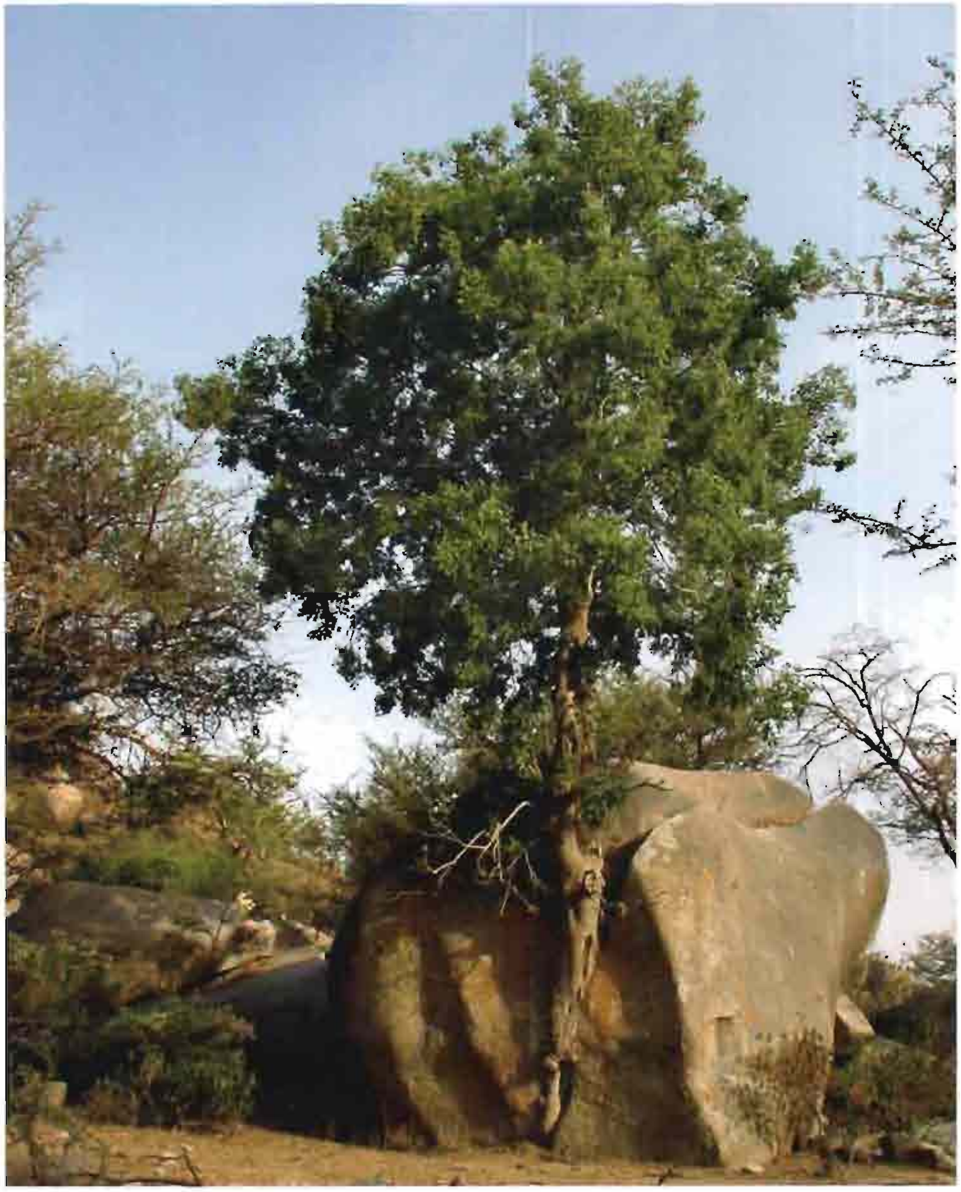
الشُّبَارِق

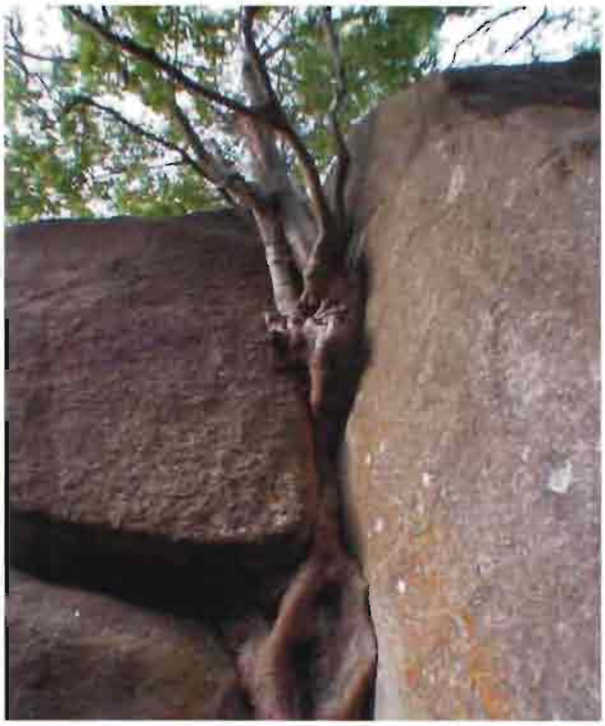


قال أبو حنيفة: ((فأما الشُّبَارق فشجر عالٍ، له ورق أحرش، مثل ورق التُّوت، وعود صلب يكلُّ الحديد . قال: ونحن نتخذ منه كالعُوَذ فنُقلِّدها الخيل والبقر الغنم، وكل ما خيف عليه العين . قال: وربما أُهدي للرجل القطعة منه، فأثاب عليه البَكْر . قال : وإذا قُدر عليه اتخذت منه الأرعوّة، وهي نِير البقر؛ لصلابته)) (١) .

الشُّبَارق
Celtis africana

الفصيلة البوقصيَّة - ULMACEAE







قلت: الشُّبَارق، والمفرد شُبَارقة، شجرة ضخمة السَّاق، فارعة الطول، وارفة الظلال، أكثر منابتها الشِّعاف على شطوط الأودية، وحول المدرجات الزراعية، وبين الصدوعِ الصخرية، وذلك على علو ١٥٠٠ – ٢٥٠٠م .

ترتفع الشُّبَارِقة عن الأرض قدر ١٠ – ٣٠ متراً، على ساق أغبر أملس يميل إلى السواد قليلاً، وهو صلب، كما روى أبو حنيفة، ولكن عود العَرْعَر والعُتُم أصلب منه. ولم يكن أهل السَّراة يسقفون به بيوتهم؛ إذ سرعان ما يصيبه النخر والاهتراء، ولكنهم قد يتخذون منه لومة الحراثة، ونحوها من أدوات الحرث والزراعة . وهو يتفرع بكثافة، وتنتهي الفروع الكبيرة منه بخويطات كثيفة متدلية، تظهر عليها الأزهار والثمار. ويكسو أعوادها الفتية الغضة زغب أبيض خفيف، وأوراقها حرشاء مسننة الحواف، أصغر من ورق التوت، تظهر بلون أخضر محمر، ثم تصير إلى الأخضر الفاتح، ثم خضراء غامقة، وتنحت، غالبا، في نهاية الخريف، فتتعرى الشجرة من أوراقها القديمة، وتورق بكثافة أوائل الشتاء، وهي من أول الشجر المنحت إيراقا، فإذا أورقت صُرمت الأغصان ذات الأوراق الغضة وقدمت علفاً للجمال والأبقار، يفعلون ذلك في فصل الشتاء بعد أن تندر المراعي الأخرى، وقد يعلفها الرعاة أغنامهم، ويحاذرون عليها الأوراق غير الغضة، فإن أكلتها؛ أصابها الحَبَط؛ لأنها لا تستطيع اجترارها،









ويسارعون إلى تذكيتها قبل أن تموت محتشرة بها. وللشِّبارقة أزهار صغيرة صفراء مخضرة، لها تويج ثنائي أزغب، يشوبه من أعلاه أحياناً لون بنفسجي. تخرج في شبه عناقيد صغيرة، تحملها معاليق طولها نحو ٢,٥ سم . والثمار مدورة أو بيضاوية في حجم الحمصة الصغيرة، تظهر خضراء، يكسوها زغب أبيض خفيف، ثم تصفر مخضرة، ثم تصير إلى اللون البرتقالي المصفر، وعند تمام النضج تتجعد وتتحول إلى اللون البُني، وفي داخل الثمرة بذرة واحدة صلبة. وهي تدوم على الشجرة طويلاً، وربما بقي بعضها حتى ظهور الثمار الحديثة . والناس يأكلون هذه الثمار، بعد أن تنضج، وهي حلوة لذيذة الطعم، يسميها بعض أهل السَّراة (القَضْرم) لعله من القضم، والراء زائدة . وآخرون يسمونها (حَبُّ غاغة) ولعل الغين مبدلة من الهمزة، والآء في العربية اسم شجرة، غير معينة في أصول اللغة، وقيل: هو ثمر السَّرْح (٢) .

والشِّبَارق هو الاسم الشائع لهذه الشجرة في معظم جبال السَّراة، ويُنطق بضم الأول وفتحه. وفي أعالي الجنش من ديار بني عمر ينطقونه (الشُّبيْرق) بقلب الألف ياء . وفي جبال العبادل شرق منطقة جازان يسمونها (الشرْقُب) وكذلك تسمى في جبل ثَهْران من ديار آل تَليْد من خولان، وهو الاسم نفسه نطقوه مقلوبا، بعد حذف الألف، وفي أعلى جبل صَبِر يسمونها (الحَبَق) فربما كانت القاف مبدلة من الطاء؛ فيكون من الحَبَط الذي يصيب المواشي حين ترعى أوراقه غير الغضة. وفي أسافل ذلك الجبل سمعت الناس يسمونها





● الشبارق ٢ _ *Trema orientalis*



(النَّشَم) وهذا الاسم عندهم يشترك فيه أيضًا، الشرْيان والنَّشَم نفسه. وهي (المَيْس) في بلاد الشام وعُمَان(٣).

ومن الشبارق نوع آخر (*Trema orientalis*) وهو نادر جدا، رأيته في قرية ذي عين من ديار بني عمر بالقرب من منبع العين، على ارتفاع ٨٠٠م، ثم رأيته في جبال فيفا على ارتفاع ١٦٠٠م . وهذه أقل ارتفاعًا من النوع السابق؛ فلا يزيد ارتفاعها، في الغالب، على ٨م . وعودها أفتح وأقل سماكة، وأوراقها أطول وأعرض، وأقل خشونة . أزهارها بيضاء صغيرة جدا، لاطئة، نجمية الشكل، تخرج من آباط الأوراق، وثمارها تشبه ثمار النوع السابق. وأهل قرية ذي عين يسمون هذا النوع (الشِّبْرِق) حذفوا الألف، فأسكنوا الباء، وأبدلوا الضمة كسرة. ولم يعرفها أحد ممن سألت في جبال فيفا .

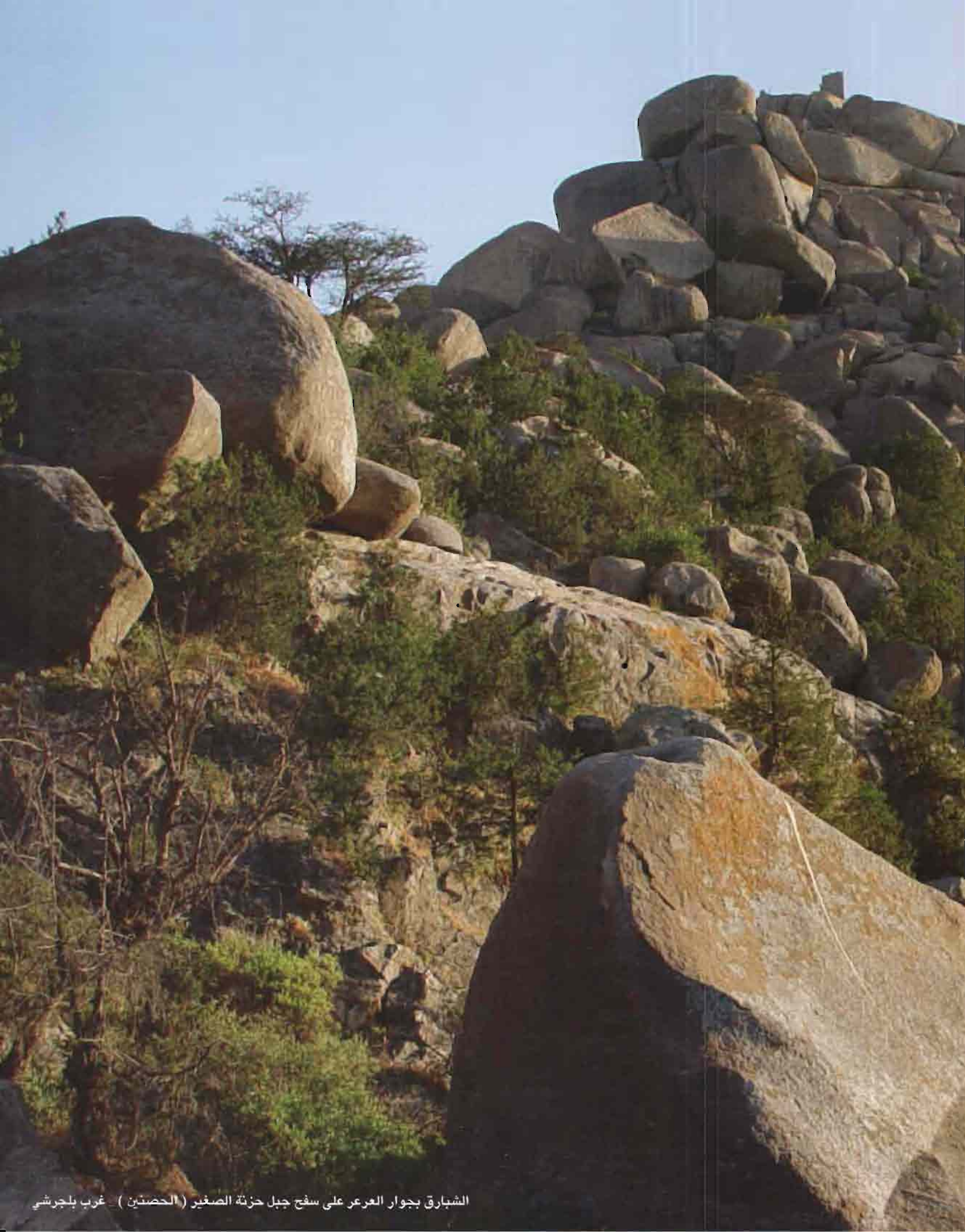
---

(١) النَّبات ٦ / ٥٨. وينظر : المخصص١١ / ١٦٥، والعمدة ٢ / ٥٦٥، والتكملة ٥ / ٨٧، واللسان ٧ / ٥٩، والقاموس١١٥٧، والتاج ٦ / ٣٩٠(شبرق) .

(٢) اللسان (أوأ) ١ / ٢٥٦_٢٥٧ .

(٣) ينظر : النَّبات لأبي حنيفة ٦ / ٢٨٦، ومعجم أسماء النَّبات ٤٤، والحماسة البصرية ٣ / ١٢٧٦، ١٤٣٧ .





الشبارق بجوار العرعر على سفح جبل حزنة الصغير (الحصنين) ـ غرب بلجرشي

الشثّ



قال أبو حنيفة: ((الشَّثُّ شجرة كبيرة كشجر الرُّمَّان، وقيل كشجر التُّفَّاح الصغار في القدر، وورقه شبيه بورق الخِلاف، ولا شوك له، وله بَرَمَة موّردة وسنفة مدوّرة صغيرة، فيها ثلاث حبات أو أربع، سُوْدٌ، مثل الشِّينِيز، ترعاه الحمام إذا انتثر، وتخصب عليه الإبل، وتعالج بفروعه الرطبة من الريح تأخذ في الجسد، ويضمد به الكسر فيُجبر، وهو ينبت في السَّهل والجبل)) (١) .

وقال في باب الروائح: ((ومن الشجر الطيب الريح الشَّثُّ، وهو، مع ذلك، مرّ الطعم، ولذلك قال بعض الشعراء في وصف النساء، أنشده أبو الدُّقَيش الأعرابي :

فمنهنّ مثل الشَّثِّ يُعجب ريحُهُ   وفي غيبه سُوءُ المذاقة والطَّعْم (٢)

وقال في باب المساويك : ((وأخبرني بعض الأعراب أن الشَّث مما تؤخذ منه المساويك)) (٣) .

وقال في باب الدباغ: ((وأخبرني بعض العرب قال: يُدبغ بورق الشَّث فيقوم مقام القَرَظ غير أنه لا يُحَمِّر، ولكنه ألين من القَرَظ. قال: ولذلك يخلط بالقَرَظ يُبتغى لِيْنَه، فيُلَيِّنه الشَّثُّ، ويُحَمِّره القَرَظ)) (٤) .

الشَّثُّ

Dodonaea angustifolia

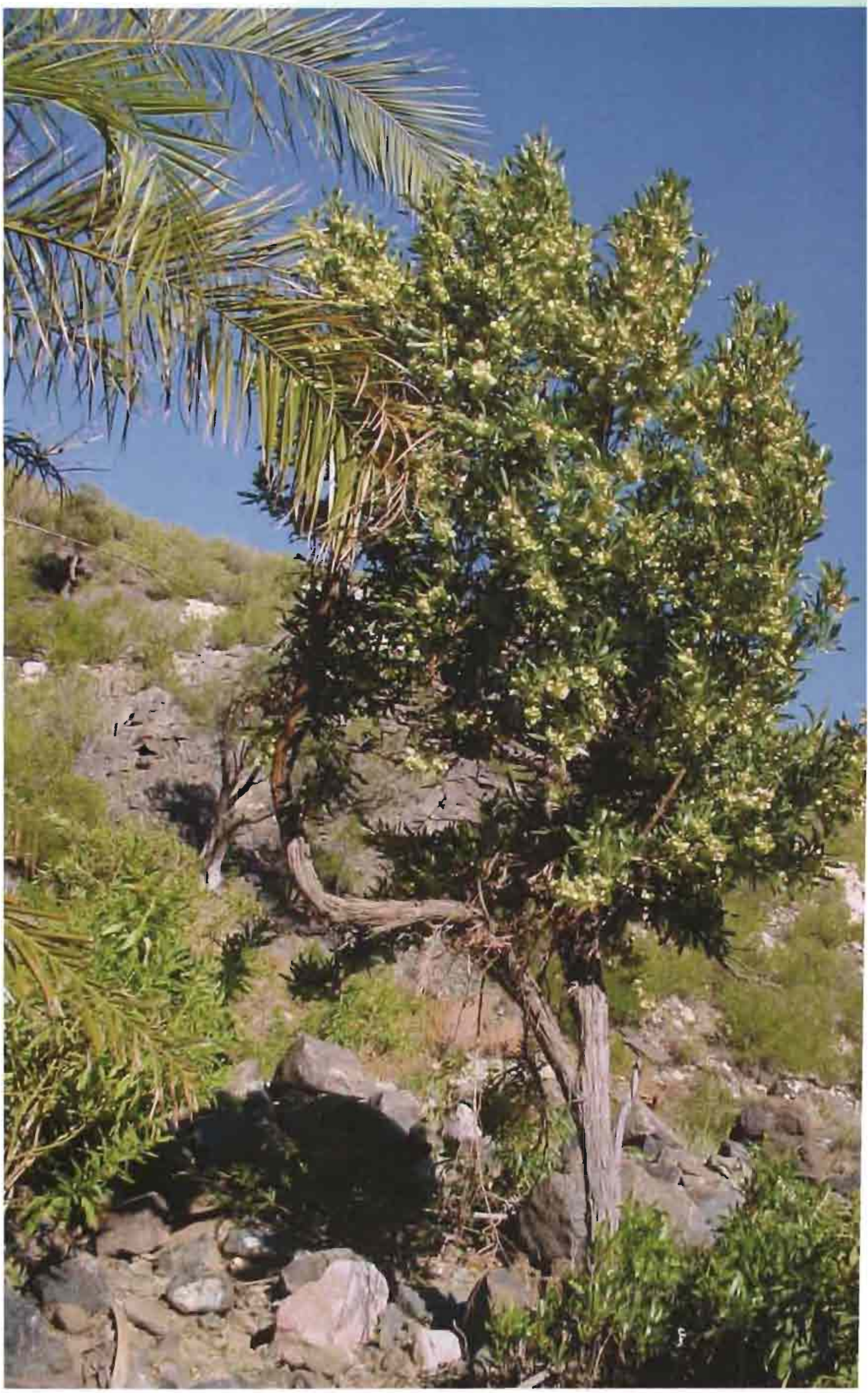
الفصيلة الصَّابونية - SAPINDACEAE



قلت: الشَّثُّ، والمفرد شَثَّة، شجيرة جميلة، دائمة الخضرة، كثيفة الأوراق والفروع، سريعة النمو، تتحمل الجفاف وقسوة المناخ، وهي واسعة الانتشار في سفوح جبال السَّراة سواء الشرقية منها أو الغربية. تنبت على ارتفاعات مختلفة بدءا من علو ١٣٠٠م حتى ٢٧٠٠م، وتجود على ارتفاع ١٥٠٠م – ١٧٠٠م، وهنا تنبت في مجموعات كبيرة، فتكلل منابتها صيفًا وشتاء بخضرة زاهية جميلة، وتقع هذه المنابت ضمن منطقة الأصدار في السفوح الغربية من جبال السَّراة. وقد ذكرها يعلى الأحول الأزدي من بني شكر من أهل السَّراة، في قوله:

فليتَ القلاصَ الأُدم قد وخَدَتْ بنا بواد يمان ذي رُبى ومجاني
بوادٍ يمانٍ يُنبتُ الشَّثَّ صَدْرُهُ وأسفَلُهُ بالمَرْخِ والشَّبَهَانِ(٥)

ترتفع هذه الشجرة نحو ٢ – ٣م على ساق يكسوه لحاء خشن، لونه رمادي أو بني داكن يميل إلى السواد قليلاً، ثم تتفرع بكثافة بالقرب من القاعدة، والأفرع الحديثة لونها بني إلى حمرة يسيرة. والأوراق كثيفة مستطيلة رمحية، عريضة من الوسط، ضيقة الرأس والقاعدة، لونها أخضر



زاهٍ لماع؛ لهذا كانت من أهم أشجار السياجات والتزيين في الحدائق. وللأوراق رائحة عطرية مميزة تشتم بوضوح عند الاحتكاك بها أو فركها، وقد ذقتها فلم تكن بتلك المرارة، التي ذكر أبو حنيفة . أما الأزهار فتظهر على هيئة عناقيد صغيرة في رؤوس الأفرع الحديثة غالباً، لونها أصهب إلى البُني في الشجرة الذكر وأخضر في الأنثى، وللأزهار المذكرة لقاح أصفر مخضر، يتناثر كغبار الطلع، يثمره النحل . وأما الثمار فلونها أصفر مخضر أو أحمر أو أصفر يشوبه حمرة من الأطراف، وللثمرة ثلاثة أجنحة، يحتضن كل جناح منها بذرة سوداء مثل حبة البركة (الحبة السوداء). وسمعت بعض بني عمر يسمي ثمر الشَّث (الحُشْبُر) .

وكانوا يضمدون بأوراقها المهروسة الجروح المزمنة أو المنتنة فتبرأ، بإذن الله، دون أن تترك أثرا لذلك الجرح، وربما استعملت أيضاً لعلاج الحروق، وعلاج الأَبَدَة والعين المصابة بالرمد . وأخبرني رجل من تهامة بني عمر أنهم يستعملونها بعد تجفيفها وسحقها ومزجها بالماء والعسل أو الحليب، لعلاج قرحة المعدة ، وذلك بشرب ذلك المزيج على الريق لمدة سبعة أيام، فتشفى القرحة تماما، بإذن الله تعالى .

وقل أن ترعى الأغنام أوراقها، إلا في أزمنة القحط، أو في أشهر الشتاء حين يدوم داجي الضباب وديمة السماء، فلا يستطيع الرعاة إخراجها للمرعى أياما، فيجزمون أغصانها الصغيرة، ويقدمونها علفًا لأغنامهم وهي في مراحها. أما الأزهار والثمار الغضة فتأكلها في جميع الأزمنة، وكذلك الوعول في جبال الحجاز .

وكانوا يتخذون من سيقانها وقودا جيدا، ينبعث من دخانه رائحة طيبة، وفي سراة زهران، حيث يُصنع أكبر رغيف من الخبز، يوقدون النار في أغصان الشَّث فيلوّحون بها وجه ذلك الرغيف حتى يحمر، ثم يضعون فوقه الجمر والرماد حتى ينضج ، ويسمونه (الملوَّح أو المشوَّط) .

وكانت هي والطُّبَّاق ذات أهمية كبيرة في





الشث بكثافة عالية على سفوح جبل القَرنة في بني مالك، قرب ترعة ثقيف

أزهار مؤنثة >



تشييد المنازل العتيقة المبنية بالحجارة والخشب، فكانوا بعد تسقيفها بالخشب يضعون فوقه الجَرِيْد، وهي قضبان صغيرة يتخذونها من شجر المظ وغيره، ثم يصرمون الشَّث فيغمون به هذه الأعواد فتسد الثغرات المتبقية، ثم يضعون فوقه الطين، فلا ينفذ منه شيء إلى باطن الدار .

ويدبغون الجلود بالشَّث والقَرَظ والكَتَا وغيرها، والشَّث أفضلها، وذلك بعد تجفيف أوراقه وسحقها، وخلطها بالماء، ثم يُدبغ بها الجلد كل يوم مرة أو مرتين مدة لا تزيد، في الغالب، عن أسبوع، فيضفي عليه لونًا جميلاً أشهب يميل إلى الحمرة، ويكسبه ليونة ورائحة طيبة . وروي ((أنه – صلى الله عليه وسلم – مر بشاة ميتة، فقال عن جلدها: أليس في الشَّثِّ والقَرَظ ما يطهره)) (٦) أي بالدباغة .

وفي جبال الحجاز رأيت الشَّثَّ بأعداد قليلة في معظم تلك الجبال، ورأيته في

الهضبة من جبال الفقرة يبدأ ظهوره من على ارتفاع ١١٠٠م ، وعلى ارتفاع ٩٥٠م في جبل رضوى . وهكذا تنخفض منابته كلما اتجهنا شمالا على اعتبار أن الاتجاه نحو خطوط العرض شمالا، يضاهي نسبة الارتفاع في السماء جنوبا. وأخبرني دليلي من أهل جبال الفقرة أنه كان ينبت بكثافة على سفوح جبالهم حتى أن أغنامهم كانت تختفي عن أنظار الرعاة بين أشجاره، فتقتنصها الذئاب، وهم لا يشعرون . وأراني بعض تلك السفوح، فإذا هي جرداء لا حياة فيها لشيء من هذه الشجرة، سوى بعض بقاياها الميتة التي ما زالت جاثمة على الأرض، شاهدة على تلك الأيام الخالية حين كانت تكسو هذه السفوح بخضرتها الزاهية الخلابة. ورأيت منها بقايا قليلة ما زالت تعيش في بطون الشعاب، حيث مجاري السيول المنحدرة من سفوح الجبال، ولكنها، مع الأسف، في تدهور وتناقص مستمر بسبب الجفاف الشديد الذي تعيشه المنطقة . ورأيت أهل هذه الجبال يتخذونَ من أعوادها الصغيرة مساويك، يرون أنها من خير الأسوكة .

وجاء في الأثر عن محمد بن الحنفية- رحمه الله - أنه ذكر رجلًا يلي الأمر بعد السُّفياني، فقال : ((حَمِش الذِّراعين والسَّاقين، مصفح الرَّأس، غائر العينين، يكون بين شَثٍّ وطُبَّاق)) (٧) .

والشَّسُّ، بإبدال الثاء سينا، لغة قديمة في الشَّثّ (٨) ، ما زالت مستعملة إلى اليوم في جزيرة سقطرى، وينطقونها (شُصّ) بضم الشين، وبإبدال السين صادًا، وكذلك سمعتها في الجبل الأخضر شمال عُمان، وينطقونها (الشَّصُّ) بفتح الشين. وأكثرهم ينطقها (الشَّحْس) بإبدال السين الأولى حاء. وفي جبال ظفار يسمونه (الشَّرْص) بزيادة الراء، وآخرون (الشِّيْرَز) بكسر الأول وزيادة الياء والراء، وينطقون الزاء مفخمة نحو الصاد. وفي جبل صَبِر وغيره من جبال جنوب اليمن يسمونه (الشَّهْث) أبدلوا الهاء من الحرف المضعف، وربما (الشَّهْذ) بإبدال الذال من الثاء .





< أزهار مذكرة







تظهر الثمار بكثافة عالية من منتصف الربيع إلى أوائل الصيف

(١) النَّبات٦ / ٦٣ .   (٢) النَّبات ٣ / ٢١٨.   (٣) النَّبات٣ / ٢٢٩ .

(٤) النَّبات ٣ / ١١٨. وينظر : ديوان تأبط شراً ١٣٢، وعروة بن الورد ٤٩، والنَّبات للأصمعي٣٦، والمفضليات٢٨، وشرحها ٨، وشرح أشعار الهذليين ٣ / ١١٣١، ١١٨٤، وصفة جزيرة العرب ٨٧، والمخصص١١ / ١٤٣، والعمدة ٢ / ٥٦٧، ومعجم البلدان٣ / ٣٥٠، ٤ / ٤٣٤، والعين٦ / ٢١٦، وشمس العلوم ٦ / ٣٣١٧، والمغرب١ / ٤٣٢، واللسان٧ / ٢٥، ٣٠، ٨ / ٢٤٨، والقاموس٢١٨، والتاج ١ / ٦٢٧ (شثث) .

(٥) أدب الكاتب٥٢١، وتفسير الطبري١ / ٧٧، ٧٨، وابن كثير٣ / ٢١٥، واللسان (شبه) ٧ / ٢٥، (شثث)٧ / ٣٠ .

(٦) النهاية٢ / ٤٤٤، وسبل السلام ١ / ٣٢ .

(٧) غريب الحديث لابن قتيبة ٢ / ٥٢٠، والفائق١ / ٣١٩، ٢ / ٢٢٢، والنهاية٢ / ٤٤٤، والفتن لنعيم بن حماد ١ / ٢٧٩ . وينظر : رسم (الطباق) في حرف الطاء .

(٨) التكملة ٣ / ٢٧٠، والقاموس ٧١١ (شسس) .




منابت الشث على السفوح الغربية من جبل إبراهيم في بني مالك

الشَّذْن



قال أبو حنيفة : ((ومن الشَّجر الطيب الرِّيْح ... الشَّذْن، وهو شجر له سيقان خوّارة غلاظ، ونور شبيه بنور الياسمين في الخلقة، إلا أنه أحمر مُشرَّب . وقال لي بعض الأعراب: هو أطيب من الياسمين. وهو من نبات بلاد السَّراة)) (١) .

الشَّدْن

Carissa edulis

الفصيلة الدِّفْليَّة - APOCYNACEAE



قلت: الشَّدْن، والمفرد شَدْنَة، شجرة جميلة، تنبت على سفوح جبال السَّراة وقممها العالية في الأسناد الحرجية الرطبة، وبين جلاميد الصخور، على علو ١٦٠٠ - ٢٢٠٠م .

تقوم الشَّدْنة على سوق كثيرة تخرج من أصل واحد على هيئة مظلة واسعة، بارتفاع ٣ - ٥ م . لون سوقها رمادي ضارب إلى السواد، أما الأفرع الحديثة فلونها أخضر فاتح، وعليها تظهر الأوراق والأزهار والأشواك في الغالب، تفرز إذا قصفت سائلاً لبنيًا لزجًا . وأشواك الشَّدْنة قليلة حادة، وأوراقها كثيفة نضرة، بها لمعة يسيرة وثخانة قليلة، وأغصانها كثيفة متشابكة تتدلى السفلى منها إلى الأرض؛ ولذلك قل أن تجد تحتها مكانًا تستظل به، وإن تيسر الدخول تحتها فظلها يكاد يكون ظلامًا. وتبني الطيور أعشاشها بين تلك الأغصان فتواريها عن الأنظار وتوفّر لها الحماية الكافية . وفي أزمنة الجدب كان الرعاة يقطعون أغصانها المورقة ويقدمونها علفًا لأغنامهم، فتكون عوضًا جيدًا من المراعي المقفرة. أزهارها كاسيّة



تظهر على هيئة عناقيد صغيرة في أكمام حمراء أو وردية، على رؤوس الأغصان، تتفتح عن تويج له خمسة فصوص بيضاء، مشربة بلون وردي بهيج، تشبه حَنُون الياسمين، وينبعث منها بَنَّة طيبة فوّاحة كبَنَّته . وأنشد ابن بريّ في طيب ريحها(٢) :

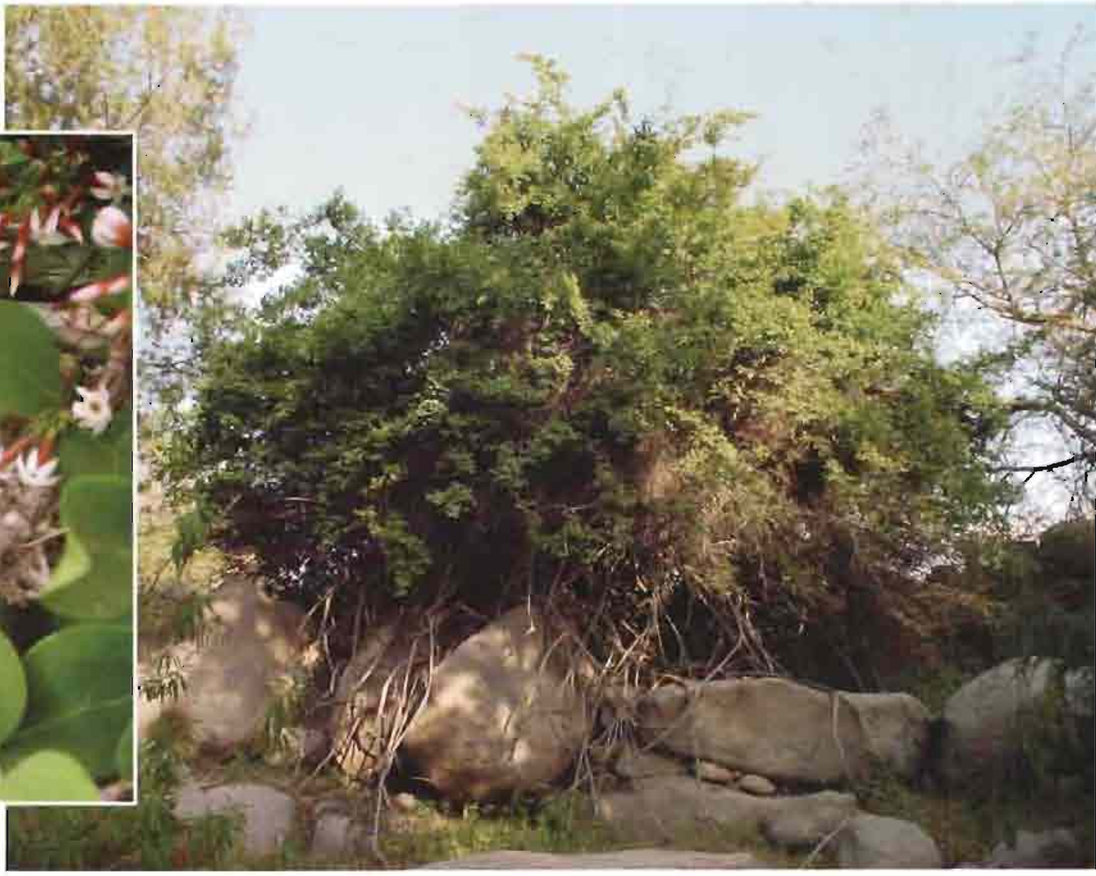
كأن فاها بعدَ ما تُعانقْ الشَّدْنُ والشرْيانُ والشُّبارقْ

أي ينبعث من فم تلك المرأة رائحة طيبة كرائحة أزهار الشدن .. وربما عنى جذورها، فهي أيضا، طيبة الرائحة، وفي جبال الربُّوعة يتخذون من تلك الجذور بخورا لتطييب الملابس، ومساويك لتنظيف الفم وتعطيره .

أما الثمار فهي مدورة أو بيضاوية في حجم الحمصة الصغيرة أو أكبر قليلاً، تظهر بلون أخضر إلى بُني مائل إلى الحمرة، فإذا ما نضجت اسودت وحلت حلاوة شديدة، والناس يأكلونها، خضراء أو ناضجة، ولها قبل أن تنضج عصارة لبنية لاصقة . وكان الصبية في بعض مناطق السَّراة يخرجون إلى الجبال فيملؤون منها المكاتل .

وهذه الشجرة مأوى محبب لأنواع كثيرة













من الثعابين، وبخاصة الثعبان الأَيْم (الكوبرا) فلا تكاد تخلو شدنة من ثعبان أو أكثر، يعيش تحتها أو بين أغصانها الكثة المتشابكة، يلتهم الطيور التي تستهويها الثمار الناضجة . وفي الصغر كنا نخشى أن نأتي الشدنة من أسفلها، بل نصعد على حجر قريب منها فننوش ما نستطيع من ثمارها، ونحن على يقظة وحذر؛ خشية الخطر المستكن .

وهي الشدْن في جبال السَّراة وشمال اليمن، وكثيرا ما تقلب الدال ثاء في معظم ديار بني عُمر ، وربما قلبت ذالا . وفي مناطق واسعة من جبال إب وتعز يسمونها (العَرْم) والمفرد (عَرْمة) . وفي جبال ظفار تُسمَّى (قُلْق) ويستعملون ثمارها للأكل وعلاج المغص











● الهَذْب، الإثبير _ *Acokanthera schimperi*



الشديد .

ومــن الأنــــواع ذات الـصــلــة الــهَــذْب (*Acokanthera schimperi*) وهو نوع نادر من هذه الفصيلة . رأيته في منطقة عسير بدءا من عقبة الأربوعة من ديار بني شهر مرورا بمعظم جبال منطقة جازان إلى كثير من جبال اليمن . وهي شجرة أو شجيرة جميلة، غير شائكة، تنمو في المرتفعات الباردة، تسمى في جبال عسير الهَذْب، وأهل الجبال شرق منطقة جازان يسمونها (الإثْبيْر) وكذلك يسميه أهل الحَبَلَة من قحطان . وفي جبال سُمَارة غرب ذمار تسمى (الإرْمِيْخ) على زنة الإثبير . ترتفع نحو ٣ – ٥ م . أوراقها أكبر من ورق الشدّنة، وكذلك ثمارها، وأزهارها بيضاء وردية لها رائحة طيبة، تخرج على هيئة عناقيد . وهي تشبه الضبرة الصغيرة، وقد



ظننتها كذلك حين رأيتها لأول مرة في جبل شوكان وغابة القرون من أصدار عسير، حتى دنوت منها عن كثب، وثمرها قريب طعمه من ثمر الشَّدْن، وفيه مراراة، وله عصارة لبنية يسيرة، لا تلتصق بالفم كحال ثمر الشدن، تظهر الثمرة من الخارج بلون أبيض مصفر، وربما شابه حمرة أو لون أرجواني خفيف، وفي داخل الثمرة بذرة واحدة يحيط بها عند النضج لب أرجواني قاتم اللون، ولا يؤكل.

وخشبها وقود جيد، ويستعمل في نواح من جنوب اليمن في تسقيف البيوت. وأخبرني دليلي من أهل جبل القَهْر بأنهم كانوا في أزمنة الجدب يعلفون أوراقها البقر والغنم، ولا تصاب منه بأذى برغم سميتها.





(١) النبات٣ / ٢١٨ . وينظر : المخصص ١١ / ١٩٧، والعمدة ٢ / ٥٧٩ (وفيه الشَّذَّان، وهو تصحيف) واللسان٧ / ٥٩، والقاموس١٥٦٠، والتاج ٩ / ٢٥٢(شدن) .

(٢) اللسان (شدن) ٧ / ٥٩ .





منابت الشدن تحت قمم شدا الاعلى

الشَّذَا



لم يذكره أبو حنيفة، وذكره أبو علي القالي رواية عن أبي الكُميت العقيلي في عبارة مختصرة، فقال: ((الشَّذَا شجر ينبت بالسراة تُصنع منه المساويك)) (١) . وزاد صاحب اللسان : ((وله صَمْغ)) (٢) .

الشَّذا

Tarenna graveolens

الفصيلة البُنيَّة - RUBIACEAE



قلت: الشَّذا شجيرة جميلة واسعة الانتشار، تنبت في أصدار جبال السَّراة وأغوارها المنخفضة، على ارتفاع ٧٠٠ – ١٦٠٠م .

تقوم هذه الشجيرة على سيقان نحيلة بارتفاع ٢ – ٣م . أوراقها متقابلة خضراء قاتمة تميل إلى السواد، تشبه أوراق الليمون، ترعاها الأغنام فتسود منها كروشها، وأضراسها، وترعاها الوبارة فتسود كروشها كذلك، وتترك في لحمها ومرقها طعمًا غير مستساغ. والأزهار بيضاء مصفرة، تخرج في مجموعات على هيئة عناقيد، لها رائحة عطرية فواحة، تنتشر إلى مساحات واسعة حول النبتة. والظاهر أنهم أخذوا اسمها من شذا عطرها الفواح؛ لأن من معاني الشَّذا في اللغة شدة ذكاء الريح . ورحيقها يستهوي النحل، وعسلها أبيض اللون، يعرف في تهامة بالقرن بعسل الشَّظَاية، لكنه نادر جدا . وثمارها كروية أو شبه بيضاوية أصغر قليلا من ثمار البُنِّ (*Coffea arabica*) تظهر خضراء، ثم تسود عند نضجها، لها طعم يشبه طعم ثمار البن النيئة. وفي ديار بني عُمر يستعمل بعض النساء ثمارها الناضجة، خضابا لتسويد أيدهن





وأرجلهن . ولا أعلم أن أحدا يستعملها في السواك، كما ذكر المتقدمون . ويتخذون من أعوادها وقودا جيدا لا دخان له، وإذا جف عودها، وتجرد من لحائه، ظهر ملتويا من أسفله إلى أعلاه، فتميز عن غيره من الأعواد اليابسة. ويستخرجون منها قطرانًا لا يقل جودة عن قطران العتم أو المظ، وقد يفوقهما جودة عند كثير من الناس من أهل تهامة، وبعضهم يجعله في مرتبة وسط بين قطران العتم والمظ . يسمى في تهامة بالقرن (الزَّيْك) ويعلوه المُهْل، ثم طبقة رقيقة صفراء محمرة تسمى (السَّمْنة) لها رائحة عطرية جميلة تفوق رائحة سمنة العتم، وربما اتخذت مثلها إدامًا. وتُطلى بها الأغنام، فيفوح أريجها في مراحها أوحيثما رعت من سفوح الجبال . ولا أعرف أن لها صمغًا.

وهي (الشَّظَا) في تهامة بالقرن وأصدارها، بإبدال الذال ظاء، سَهَّل ذلك تقارب مخرجيهما. وهي التي تسمى (الغُرَاب) في ديار بني عُمر وغامد، وجبال الريث وفيفا وسَلا شرق منطقة جازان . وأهل تهامة عسير يسمونها (الشَّاف) .









وأهل جبل حضوضى من تهامة بالقرن يطلقون (الشَّظَا) أيضًا، على نوع شبيه بالنوع السابق (*Psydrax schimperiana*) أوراقه شديدة الرواء والنعومة، ولأزهاره رائحة عطرية عَبِقة، تشبه رائحة النوع السابق، ولثمره أيضًا، طعم ثمار البنُ الخضراء، وهي أقرب طعما إلى البنُ من سواها. ويستخرجون منه أيضًا القطران. وفي جبال الريث وفيفا يسمونه (الشَّظيمة) والكثير الشَّظَايم . وكذلك يسمى في تهامة عسير، وينطقونه (الشَّظَّايم) بتضعيف الظاء . وفي جبل شدا الأعلى يسمى (السَّوَاد) بفتح السين وتخفيف الواو .

وفي جبل فيفا يطلقون لفظ (السُّوَّاد) بضم السين وتضعيف الواو على نوع آخر من هذه الفصيلة أيضًا (*Pavetta longiflora*) رأيته حول المدرجات التي يزرع فيها البنُ، وعلى السفوح القريبة منها، وحول المنازل وساحاتها، على ارتفاع ١١٠٠ – ١٨٠٠م . ورأيته بأعداد كبيرة على ضفاف وادي الجنابين، وعجام فارس، على ارتفاع ١٧٠٠م . ثم رأيته بأعداد أكبر في منابت شجرة البنُ من جبل شدا الأعلى، وخلته لأول وهلة أنه شجرة البنُ نفسها. فهو شديد الشبه به في نظامه الزهري والثمري والورقي . أزهاره بيضاء اللون، ينبعث منها رائحة عطرية فواحة تشبه رائحة أزهار القان



● الشظايم، السَّوَاد _ *Psydrax schimperiana*



(الياسمين) تخرج في مجموعات على هيئة عناقيد، والنحل يثمرها، وثمره أصغر قليلاً من ثمر البُن، يخرج أخضر، ثم يسود عند تمام نضجه. وأوراقه أكبر قليلا من ورق البُن، وأقل لمعة منه، وأهل جبل شدا الأعلى يعلفونها الأبقار. وسمعت آخرين من أهل جبل فيفا يسمونها (السُّوَيْد) بضم السين أيضًا، وقلب الألف ياء، ولم أعرف منهم علة هذه التسمية، وربما كانوا يسودون بها؛ فمن ذلك سموها، أو لأن ثماره تَسْوَدُّ عند تمام نضجها . وفي جبال مَدْين يطلقون لفظ (السُّوَيْد) على شجيرة صغيرة من الفصيلة الراوندِيَّة (*Atraphaxis spinosa*) . وأهل الجنش من ديار بني عمر يسمونه (السَّوَاد) كما يسمى النوع الثاني في جبل شدا الأعلى . وهو (الغُراب) أيضًا، في الحَبَلَة من ديار قحطان . وسمعت أهل جبل شدا الأعلى يسمونه (القان) ويسمون القان نفسه، كما سياتي في رسمه (الهُثيْرِبَان) وعوده قِصْف سهل الكسر، لا يصلح أن تُتخذ منه القسيَ، كما







● السُّوَّاد، القان _ *Pavetta longiflora*

سيأتي، أيضًا، في صفة القان. وفي العدين من محافظة إب يُسمى (بُن اليهود) . وفي جبال العبادل (بن امغنم) أي بن الغنم ؛ وسمعت أهل حزنة من بني عمر أيضًا، يسمونه (بُن القرود) تمييزا له عن البُن المزروع . وهذا أسلوب شائع لدى كثير من أهل السَّراة؛ يضيفون النَّبات السَّام أو الذي لا يؤكل، وله شبه بنبات آخر يأكله الإنسان، أو يستعمله في شؤونه الأخرى؛ يضيفونه إلى بعض الحيوان لتمييزه، أو للتنفير منه، كقولهم: ثوم الحيَّة، بصل الحنش، قُرَّاص الحمير، حُريشاء الجمال، غَلف القرود، ونحو ذلك . وفي جبال ظفار يسمى (عاصْبِيْص). وسمعت أهل جبل صَبِر يسمونه (الشُّوَّف) وهو نحو لفظ (الشَّاف) الذي يطلقه أهل تهامة عسير على الشَّذا، كما تقدم .

ومن أنواع هذه الفصيلة أيضًا، ما يُسمى في ديار بني عُمر المِنْسَاب (*Pyrostria phyllanthoidea*) وهو شجيرة ترتفع نحو ١،٥ على سيقان نحيلة، وتنمو سيقانها مع فروعها في هيئة رأسية، وهو واسع الانتشار في جبال السَّراة، ينبت مع الشَّذا في منابته، ثم يعلو حتى







ارتفاع ٢١٠٠م . وينحدر في السفوح الشرقية حتى ارتفاع ١٧٠٠م . وشاهدته إلى جوار السُّوَّاد في وادي الجنابين قريبًا من ضفة الوادي على هيئة شجرة كبيرة، ضخمة الساق أفقية التفرع بارتفاع يزيد على ثلاثة أمتار . وهو الذي يُسمَّى في جبال فيفا (الشُّوَّع) ولعله محرف عن (الشُّوَّف) الآنف الذكر. وسمعت بعض أهل الجُنُش يسميه أيضاً (السُّوَّاد) .

وهذه الأنواع جميعًا، منابتها الأغوار الدافئة المعتدلة على علو ٧٠٠ – ١٦٠٠م، سوى المِنْسَاب؛ فإنه يعلو، كما تقدم، حتى القمم الباردة . وقد شاهدتها تنبت بشكل فطري إلى جوار شجرة البُن في جبلي شدا ، وما جاورهما من جبال تهامة والسَّراة إلى جبال فيفا والقَهْر وبني مالك والعبادل شرق منطقة جازان، وربما كان هذا قرينة على أن تلكم الجبال هي الموطن الأصلي لشجرة البُن نفسها، ومنها انتشرت زراعتها إلى أصقاع شتى من هذه الأرض .

وتجدر الإشارة إلى تميز البُن الشدوي من بين أصناف البن المعروفة محليا وعالميًا، وأنه أفضلها مذاقًا ورائحة، وأغلاها ثمنًا. ويُذكر أن الملك عبد العزيز، رحمه الله، كان يُؤتى له بهذا النوع من البُن خاصة. ويُعرف بالبُن الصَّالبيّ .









● المِنْساب، الشُّوَّع _ *Pyrostria phyllanthoidea*

(١) المقصور والممدود ٧٣.

(٢) اللسان (شذو) ٧ / ٦٤. وينظر : المحيط ٧ / ٣٦٨، والقاموس ١٦٧٥، والتاج ١٠ / ١٩٥ (شذو) .



شروق شمس الربيع على قمم الأسنان حيث منابت الشذا _ جنوب بلجرشي




الشَّرْم



ذكرت المعاجم الشَّرَم في عبارة قصيرة مختصرة، كقول الحميري في باب (فَعَل) بفتح الفاء والعين من الأسماء : ((الشَّرَم : شجر، واحدته شَرَمَة بالهاء)) (١) ولم يزد غيره على هذا (٢) . ووجدته في الشعر القديم، في قول سعيد بن الحارث بن سَنَام المزني :

يُغَنِّيكَ الصَّفَيْحُ وكلُّ لِهْبٍ   وباقي الشَّثِّ والشَّرَمِ الرِّطابِ(٣)

الشَّرَم

Otostegia fruticosa

الفصيلة الشَّفَويَّة - LABIATAE



قلت: الشـَّرَم شـجيرة مـعـمـرة، واسـعـة الانتشار، تنبت في سفوح الجبال وفراعها العالية بالقرب من جذوع الأشجار، وجلاميد الصخور، وثمائل الحقول، على ارتفاع ١٤٠٠ – ٢٥٠٠م . ورأيتها في جبال الحجاز بدءا من ارتفاع ٩٥٠م . وأكثر منابتها في هذه الجبال بطون الشعاب وضفاف الأودية .

تقوم الشَّرَمة على أصل كثيف التفرع، وترتفع نحو ٩٠ – ١٥٠سم . أوراقها شبه بيضاوية، مسننة الأطراف، شبكية، معرقة بعمق، تظهر بلون أخضر فاتح، تؤول مع التقادم إلى لون أخضر مصفر ثم إلى غبرة يسيرة، لها رائحة طيبة. تزهر في الربيع إلى منتصف الصيف. تخرج أزهارها من آباط الأوراق، أو في مجموعات على رؤوس الأغصان، من أخبية كأسية على شكل أبواق، تتكون الزهرة من تويج أبيض ذي شفتين، الشفة العليا وبرية مقعرة من الداخل، تحتضن مآبر اللقاح، والسفلى منحية إلى الوراء قليلا، تتحد مع العليا عند فم الكأس، وينتهيان إلى قاعدة أُسطوانية مليئة بالرحيق الحلو، رأيت أطفال السَّراة يقطفون الزهرة فيمتصون الرحيق من أسفلها. والنحل يجرسها، وعسلها رقيق القوام، شديد الحلاوة، أبيض اللَّون إلى صفرة يسيرة، يجمد إذا اشتد عليه البرد . وهو من أجود أنواع العسل الذي تنتجه مناحل جبال السراة والحجاز . وهو قليل نادر، قلما يباع في الأسواق.

أعواد هذه النبتة وقود لا بأس به، وأكثر ما تستعمل لإضرام الحطب الجزل . وفي سراة بني عمر يتخذ منها الرعاة أعوادا صغيرة يضعونها في أفـواه السِّخال والبَـهْـم، وهي صغار المعزى والضأن؛ لتمنعها، إذا أرادوا فطامها، من رضع أمهاتها، وتُثبّت هذه الأعواد





بربطها من الطرفين بحبل صغير يشد إلى القرنين من الخلف، وقد تتخذ من الطُّبَّاق والنِّيْم والزَّحَر . وهي تمنعها الرضاعة ولا تمنعها الرعي . ويسمون تلك الأعواد (الغَذَايا) . وتسمى في ديار خثعم (العَيَمَة) والعَيَم في العربية شدة الشهوة للبن .

وفي نواح من سراة عسير يعالجون الأغنام الملتهبة عيونها بماء أوراقها المغلية . وأخبرني دليلي من أهل بواط والكويرة من جبال جهينة أن الشَّرَم عندهم من أهم نباتات (الغُمْرة) وهي عبارة عن عدد من الأشجار والأعشاب التي تجمع وتطبخ معاً، فيُغسل بمائها





بدن المريض ، ثم يُحفر له في الأرض حفرة بطوله، وتفرش له الأشجار المطبوخة، ثم يستلقي المريض فوقها، ويُلحَف بالأكسية، ويمكث كذلك حتي يتصبب عرقا، فيشفى، في معظم الحالات، من مرضه، بإذن الله، سواء كان ذلك المرض جلديا أم باطنيا. قال : وأشجار الغُمْرة هي: الشَّرَم ، والطُّبَّاق، والعَرْعَر، والسُّبَاطة، والجَعْدة، واليَسَر (البَان)، والشَّث، والعُشَر، والرِّمْث، والإذْخِر، والعُبَيْثَران، والعُفَينة، والعَلَسي (المَقِر) والحَرْمَل (الفصيلة الدفلية) والقُرَضِئ، والغُلَثي، واللَّصَف، والعُتُم، والحَرْجَل، وهو نوع من الفصيلة العشريّة (*Solenostemma arghel*) غير الحَرْجَل المعروف في جبال مَدْيَن (*Peganum harmala*) كما سبق في رسم الحرمل والحريملة .

والشَّرَم بفتح الأول والثاني، هو الاسم الشائع لهذه الشجرة في معظم جبال السَّراة والحجاز، ولعله مأخوذ من أوراقها المشرمة. وينطقها بعض بني كلب من جهينة (الشُّرْمة) أو (الشُّرُمة) بضم الأول وإسكان الثاني أو بضمهما معًا .

وسمعت الناس في تهامة عسير يطلقون لفظ (الشَّرَم) على شجيرة صغيرة من الفصيلة الصابية (*Euphorbia triaculeata*) وهم لا يجهلون شَرَم السَّراة، ويفرقون بينهما بإضافة كلٍّ إلى منابته، فيقولون: شَرَم السَّراة، وشَرَم تهامة.

وفي جبل صَبِر ومناطق أخرى من اليمن، يسمونها (الشَّقَب) وسيأتي قريبًا في رسم هذه المادة، إن شاء الله .

---

(١) شمس العلوم ٦ / ٣٤٢٠ .

(٢) ينظر : المحيط ٧ / ٣٣٢، والقاموس ١٤٥٤، والتاج ٨ / ٣٥٧ (شرم) .

(٣) الفصوص ٤ / ٢٩٦. وفسر المحقق الشَّث والشَّرَم بأنهما موضعان، وقد وَهِم .





العُدين بالقرب من مدينة إب جنوب اليمن

الشِّرْيان



قال أبو حنيفة : ((نبات الشِّرْيان نبات السِّدْر، يسنو كما يسنو السِّدْر ويتسع، وله أيضًا نبقة صفراء حلوة . قال : وقال أبو زياد: تصنع القياس من الشِّرْيان. قال: وقوس الشِّرْيان جيدة إلا أنها سوداء مشربة حمرة، وهو من عُتُق العيدان، وزعموا أن عوده لا يكاد يعوجُّ)) (١) .

الشِّرْيان

Grewia trichocarpa

الفصيلة الزَّيزفونيَّة - TILIACEAE



قلت: الشِّرْيَان، والواحدة شَرْيَانه بفتح الشين وكسرها، شجرة جميلة، من أشجار السَّراة القليلة الانتشار، منابتها الأصدار في بطون الأودية بين الأحراج، وحول مجاري المياه، على ارتفاع ١٢٠٠ - ١٦٠٠م .

ترتفع الشِّرْيانة نحو ٣ - ٧م على ساق أغبر مسود خشن، كثير التجاعيد، يتفرع منه أغصان كثيرة مستقيمة ناعمة بحجم قبضة اليد أو أكبر قليلا، وربما تفرَّعت من أسفله، والأوراق كثيفة، رمحية، عريضة، متعاقبة، ناعمة، مسننة الأطراف، يظهر وجه الورقة أخضر فاتحا، ثم تشتد إلى خضرة قاتمة مع التقادم، وأما ظهر الورقة فلونه أخضر يميل إلى البياض المغبر قليلا، وهي من المراعي الجيدة للماعز والوبارة والوعول والأبقار . وأزهارها صفراء، تتحول إلى البرتقالي المحمر قبل الذبول، تخرج من آباط الأوراق، وتظهر كل زهرتين أو ثلاث محمولة معًا على سويق واحد، ويتلو الزهرة الواحدة ثمرة واحدة في حجم الحمصة



الصغيرة أو أكبر قليلا، تظهر خضراء يكسوها وبر خفيف، فإذا نضجت ذهب عنها وبرها في الغالب، واستحال لونها إلى الأصفر ثم البرتقالي المحمر، وهي صادقة الحلاوة، يأكلها الناس، وكذلك القرود، وأنواع من الطيور كالقَهْبي والحجل، وتحوي الثمرة بذرة واحدة صلبة مستديرة أو شبه بيضاوية .

ومن فروع الشرْيانة يتخذ أهل السَّراة الهراوى والمشاعيب والعصي الطويلة، لكنها في خِبْرتهم ضعيفة التحمل سريعة العطب؛ لذلك تحتل عندهم درجة متأخرة بعد أعواد النَّبْع والشَّوْحَط والنَّشَم . وقد يستعملون اليابس منها وقودًا، ولا يفعلون ذلك إلا عند الضرورة؛ لكثافة دخانه .

وتعرف الشرْيانة بهذا الاسم في معظم مناطق عسير وجبال العبادل وسلا شرق منطقة جازان، وربما سميت في بعض رجال ألمع (النَّشَم الأسود) وتسمى في سراة بني عمر وغامد (الهَيْشَار) والواحدة بالتاء .

والشرِّيانة لا تشبه بحال الرُّمانة، كما ذهب إليه قطرب(٢)، ولكنها شديدة الشبه بالنَّشَمة، لا يفرق بينهما إلا الحاذق الخبير بنبات بيئته، حتى أهل الخبرة الذين تنبت في أرضهم ربما خلطوا بينهما. وقد رأيت أهل جبال فيفا لا يفرقون بينهما فيطلقون على النوعين جميعًا اسم النَّشَم، وكذلك أهل جبل صَبر، وعكسهم أهل جبال العبادل فإنهم يطلقون عليهما جميعا اسم الشرِّيَان، فإن أرادوا التفريق قالوا: الشرْيان الناعم، والشرِّيان الخشن، أو الشرْيان الأسود والشرِّيان الأغبر، يريدون بالخشن والأغبر النَّشَم . وأما أهل جبال الرَّيْث فيطلقون لفظ





النَّشَم على النوعين، فإن أرادوا تمييز أحدهما عن الآخر، قالوا : النَّشَم الشِّرْياني ، والنَّشَم الأبيض، يريدون بالأول الشِّرْيان، وبالأخير النَّشَم. وسمعت رجلا من هؤلاء يسمي كل نوع باسمه المعروف في العربية، وكذلك في جبال حَيْدان الخولانية يميزون الشِّرْيان عن النَّشَم. وسيأتي الحديث عن النَّشَم بأوسع من هذا في رسمه من حرف النون، إن شاء الله تعالى .

والشِّرْيان أو وادي الشِّرْيان، مضافا إلى هذا النَّبات، واد يُعرف من قديم(٣)، من أودية غامد المفضية إلى الشرق، وهو لقبيلة رِفاعة بين وادي الحَشْرُج ووادي الطَّوِي، إلى الشمال من عقيق غامد .

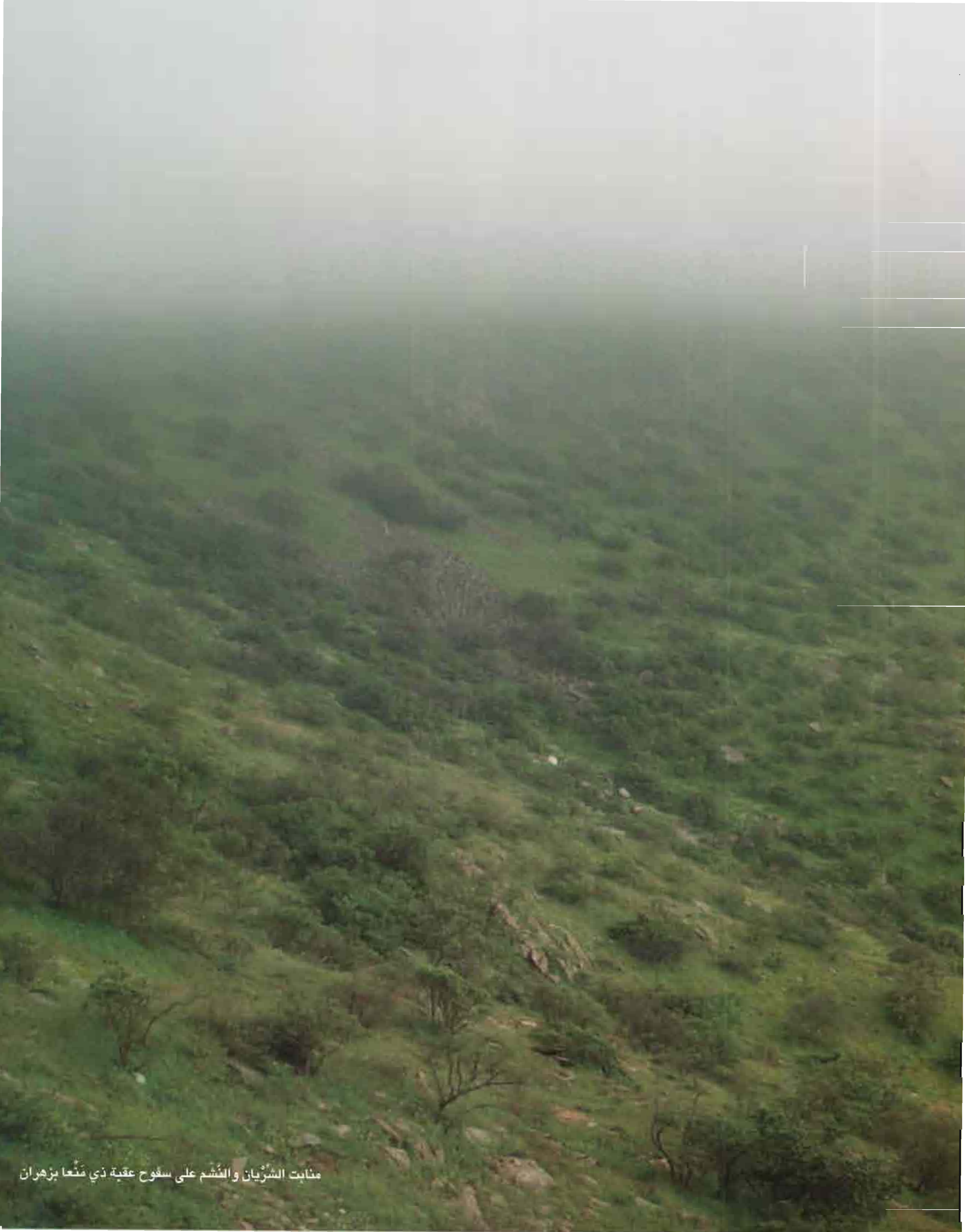
---

(١) النَّبات ٦ / ٦٦ . وينظر : ديوان زهير ٢٦٩، وعلقمة الفحل ١٣٦، وحميد بن ثور ٧٢، وابن مقبل ١٣٠، وجرير ١ / ٤٩١، وذي الرمة ١ / ٤٥١، وكثير عزة ٤٢٣، والشجر والكلأ ٧٠، ٧٥، والنَّبات للأصمعي ٢٤، والتيجان ٢٩٢، وإصلاح المنطق ١ / ١٢٢، والغريب المصنف ١ / ٤١٩، والكامل للمبرد ١ / ٤٤٥، وغريب القرآن للحربي ٣ / ٩٢٦، وغريب الحديث للخطابي ٢ / ٥١٣، والمنتخب ٢ / ٥٠٦، وكتاب الجوهرتين ٥٩، ٢٢٦، والفصوص ٢ / ١٩١، والمخصص ١١ / ١٤٥، والتعليقات والنوادر ٣ / ١٠٥٧، ومجمع الأمثال ٢ / ٣٩، والمستقصى ٢ / ١٠٤، والفائق في غريب الحديث ٢ / ٢٣٩، والعمدة ٢ / ٥٧٩، والنهاية في غريب الحديث ٢ / ٤٦٩، وصبح الأعشى ١٠ / ٢٣٨، والعين ٦ / ٢٨٣، والمحكم ٨ / ٧١، والتكملة ٦ / ٤٤٥، واللسان ٧ / ١٠٦، والقاموس ١٦٧٦، والتاج ١٠ / ١٩٧(شرى) .

(٢) الفصوص ٢ / ١٩١.

(٣) صفة جزيرة العرب ٣٨٣، ومعجم البلدان ٣ / ٣٤٠ .





منابت الشَّرْيان والنَّشم على سفوح عقبة ذي مَنْعا بزهران

شَقَائِقُ النُّعْمَان



قال أبو حنيفة : ((شَقَائق النُّعْمان هي الشَّقِرة، وواحدة الشَّقائق شَقِيْقَة . والنُّعْمَان الذي ينسب إليه هو النُّعْمَان بن المُنذر ...)) (١) .

وفي اللِّسان : ((شَقَائق النُّعْمَان : نبت واحدتها شَقِيْقَة؛ سميت بذلك لحمرتها على التشبيه بشقيقة البرق. وقيل: واحده وجمعه سواء ... وإنما سُمِّي بذلك وأضيف إلى النُّعْمَان؛ لأن النُّعْمَان بن المنذر نزل على شقائق رمل قد أنبتت الشَّقِر الأحمر، فاستحسنها وأمر أن تُحمى فقيل للشَّقِر: شَقَائق النُّعْمَان، بمنبتها لا أنها اسم للشَّقِر. وقيل: النُّعْمان اسم الدم، وشقائقه قِطَعُه؛ فشُبِّهت حمرتها بحمرة الدم، وسُميت هذه الزهرة شَقَائق النُّعْمَان، وغلب اسم الشَّقائق عليها)) (٢) .

شَقَائق النُّعْمَان
Papaver dubium

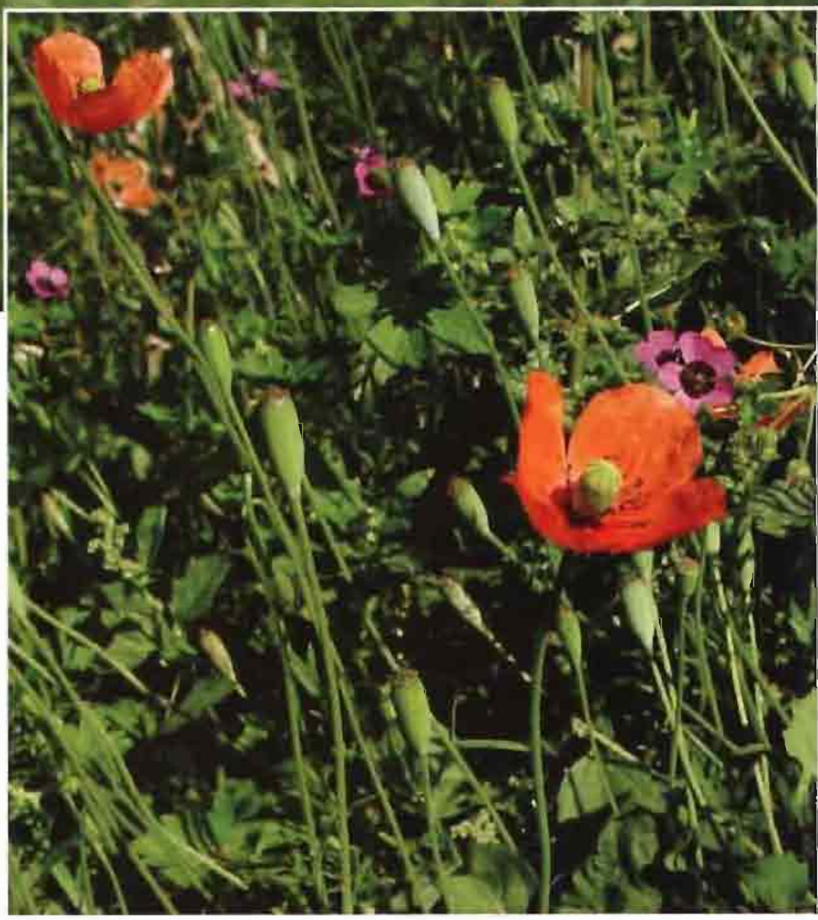
الفصيلة الخشخاشية - PAPAVERACEAE



قلت: شَقَائق النُّعْمَان عشبة جميلة الزهر، تنبت بعد نزول أمطار الشتاء، منابتها الأراضي الصلبة والحقول الزراعية المهجورة المشمسة، على ارتفاع ١٨٠٠ – ٢٣٠٠ م . وتنبت على ارتفاعات أقل في نواح من شمال جبال الحجاز .

ترتفع نحو ٢٠ – ٤٠ سم، وأوراقها ريشية مسننة، لونها أخضر يميل إلى الغبرة قليلاً، أزهارها جميلة جذابة، تزهر فتبهر، لها أربعة تويجات (بتلات) برتقالية اللون، أو حمراء، تنتهي من أسفلها ببقعة حمراء داكنة تميل إلى السواد، ويبرز من بينها أصل الثمرة مع مآبر اللقاح، وتظهر، في الغالب، منكسة نحو الأرض على شمراخ نحيل، يكسوه زغب خفيف، تزهر من أوائل الربيع إلى منتصفه،





فتزدان بها الأرض حُسنًا وبهاءً، تتفتح صباحًا، في اتجاه شروق الشمس غالبا، وتسقط بتلاتها ظهرا . ويتلوها ثمار أُسطوانية، رأسها على هيئة قبة مستديرة، طولها نحو ٢سم،وعرضها نصف ذلك، والبذور حبيبات صغيرة جدًا بنية اللون تميل إلى السواد، تتناثر عندما تحركها الريح، من فتحات صغيرة في أعلى الثمرة، فتحملها الريح لخفتها، إلى أماكن بعيدة .

تسمى هذه النبتة في سراة بني عُمر القُرَّاص، ويميزونها عن أنواع القراص الأخرى باسم (الجُلْجُلان) وأوراقها غير قارصة، تؤكل خضراء، ومطبوخة، وترعاها الأغنام بنهم شديد .







● شقائق النعمان٢، الجلجلان المر ـ *Glaucium arabicum*

ومنها نوع قليل الانتشار، لا يؤكل؛ لأنه مر، ولكن الأنعام تأكله بنهم شديد . ويسمونه الجُلْجُلان المر (*Glaucium arabicum*) ويصفونه بالمر لتمييزه . وهذا النوع أكثر تفرعا، وأوراقه أكبر. وأزهاره حمراء قانئة، مشربة أصولها من الداخل بسواد، يحملها شمراخ منتصب قصير، يكسوه مع الأوراق زغب أبيض كثيف، وثماره قرون شبه أُسطوانية، طولها نحو ١٥سم . تنشطر من أعلاها،









● النُّعمان . صنف آخر من النوع الثاني

بعد أن تنضج وتجف، عن عدد كبير من البذور، حجمها أكبر من حجم بذور النوع السابق، مستديرة الشكل، لونها أسود إلى البُني قليلا. وفي جبل الشَّاطي من جبال مَدْيَن شاهدت نوعًا مثله في حجمه ونظامه الزهري والثمري إلا أن أزهاره ذات لونين أحمر وأصفر إلى البرتقالي، وسمعت أهل هذه الجبال يسمونه (النُّعْمَان) أرادوا شقائق النعمان، فحذفوا المضاف اختصارا، وهو استعمال لغوي قديم(٣). ويعالجون بورقه، بعد طبخه ثم تجفيفه وسحقه، الرمد في العين، فتشفى سريعًا، بإذن الله. وشاهدت هذا الصنف أيضًا، في جبل القهر من ديار الريث بن خولان، وسألت عنه دليلي من أهل هذا الجبل فلم يعرفه .

---

(١) النَّبات ٦ / ٧٠ .

(٢) اللسان (شقق) ٧ / ١٦٥ . وينظر : ديوان طرفة ٧٨، وتأبط شرا ١٢٣، والكشف والتنبيه على الوصف والتشبيه ٣٣٤، وغرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات ٩٣ – ٩٨، وأدب الكاتب ٩٩، ومبادئ اللغة ١٩٠، والمخصص ١١ / ١٥٣، والتهذيب ٨ / ٢٤٩، والمحكم ٦ / ٩٥، والقاموس ١١٦٠، والتاج ٦ / ٢٩٧ (شقق) .

(٣) العمدة ٢ / ٥٨٩ .



شلال دائم الجريان بأسفل عقبة الحفياء _ جنوب بلجرشي



الشُّقُب



قال عرَّام : ((الشَّقَب: شجر له أساريع كأنها الشُّطُب التي في السَّيف، يتخذ منها القسيّ)) (١). وذكر أنه من نبات جبل قُدْس .

وقال أبو حنيفة : ((والشَّقَب والشَّقْب والشِّقْب: شجر يطول، وليس بالواسع ولكنه يطول، وربما كان من أعلى الجبل إلى أسفله، وهو من عُتُق العيدان التي تتخذ منها القسي . والشَّقَب شجر له غصنة وورق، ينبت كنبات الرُّمَّان، وورقه كورق السِّدْر، وجناته كالنِّبق، وفيه نوًى، واحدته شَقَبة . وقال: هو شجر من شجر الجبال ينبت فيما زعموا في شِقْبتها)) (٢) .

قال الزَّبيدي : ((وقد رأيته في جبال اليمن على أفواه الأودية)) (٣) .

الشَّقَب

Premna resinosa

الفصيلة الأرثديَّة - VERBENACEAE



قلت: الشَّقَب، والمفرد شَقَبَة، شجرة عطرية كثيفة التفرع، منابتها الأغوار الرطبة المنخفضة من جبال السَّراة، على ارتفاع ٤٠٠ – ١٢٠٠م .

ترتفع الشَّقَبة عن الأرض نحو ٢ – ٣م ، وتقوم على سيقان كثيفة مستقيمة غبراء اللون خشنة اللحاء، وربما قامت على ساق واحد عريض . والفروع الحديثة دقاق بنية اللون، يميزها ، كما قال عرام، أساريع كالشطب التي في السيف، وهي طرق أو خطوط طولية بيضاء اللون أو رمادية. والأوراق خضراء فاتحة اللون، تميل قليلا إلى الصفرة، تشبه ورق الحناء، وهي تامة الأطراف، وأحيانا مسننة. ذات رائحة ذكية، تأكلها الأغنام فتطيب لحومها وألبانها، وتذبح فيجدون عبق ريحها في كروشها، وتأكلها كذلك الوبارة، وبعض أنواع الطيور كالقَهْبي والحَجَل والقَطا. والأزهار صغيرة بيضاء، لها تويج واحد، ربما انشطر من طرفه الطليق إلى نصفين . يكسوها زغب أبيض ناعم، ويجرسها أنواع من الحشرات، وثمارها في حجم الحمصة الصغيرة،

تظهر خضراء، فإذا نضجت امتلأت ماء، واحمرت حمرة قانئة تميل إلى السواد، وهي طيبة الطعم، يأكلها الناس، والقرود، وأنواع من الطيور كثيرة .

أعواد هذه الشجرة من أجود ما توقد به النار، دخانها قليل، ووريها متوهج طويل، وكثير من أهل السَّراة يفضلها على وقود القَرَظ والشَّث. ويضعونها، كأعواد المَرْخ والبشام والسَّلَع، بين طبقات اللحم المحنوذ، فتمنع التصاق بعضه ببعض، وتضفي على اللحم رائحة طيبة ومذاقًا لذيذًا، ولقلة دخانها يستعملها أهل شدا الأسفل لحمس الزُّبد، ويتخذون منها مناور كمناور المظ تدوم طويلاً، يسمونها (الشُّنْعَة)، لعلها من الشُّعْلَة، أبدلوا اللام نونا، وقدموها على العين . وتستعمل في تهامة عسير بخورًا تُطيّب به المنازل، ويبخر بها أهل جبال فيفا أوعية اللبن المتخذة من ثمار الدباء، فتكسبه رائحة طيبة ومذاقًا لذيذًا . وفي غامد الزِّناد وتهامة بالقرن يتخذون منها قطرانًا لا بأس به .

وتجمع أوراقها العطرية فيصنع منها طازجة أو مجففة شرابًا منعشًا، وقد تضاف إلى (الشّاهي)،











فتكسبه نكهة عطرية مميزة. وأخبرني رجل من بني الطُفيل من زهران أنهم يأكلون لحوم الوبارة التي قد رعت أوراق الشَّقَب فيجدون أثر ذلك قوة في أجسادهم، وزيادة ملحوظة في قدرتهم الجنسية .

ورأيت الشَّقَب في معظم أغوار جبال السَّراة إلى تهامة هذيل جنوب شرق مكة. ولم أشاهده قط في جبل قدس، حيث ذكر عرام، ولا في غيره من جبال الحجاز، ولعله كان على عهده في القرن الثاني من الهجرة، ثم زال . ثم شاهدته بأعداد كبيرة في سفوح جبال فيفا والعبادل وسلا، وسمعت أهل هذه الجبال يسمونه بإجماع (الشَقَوْقَب) .

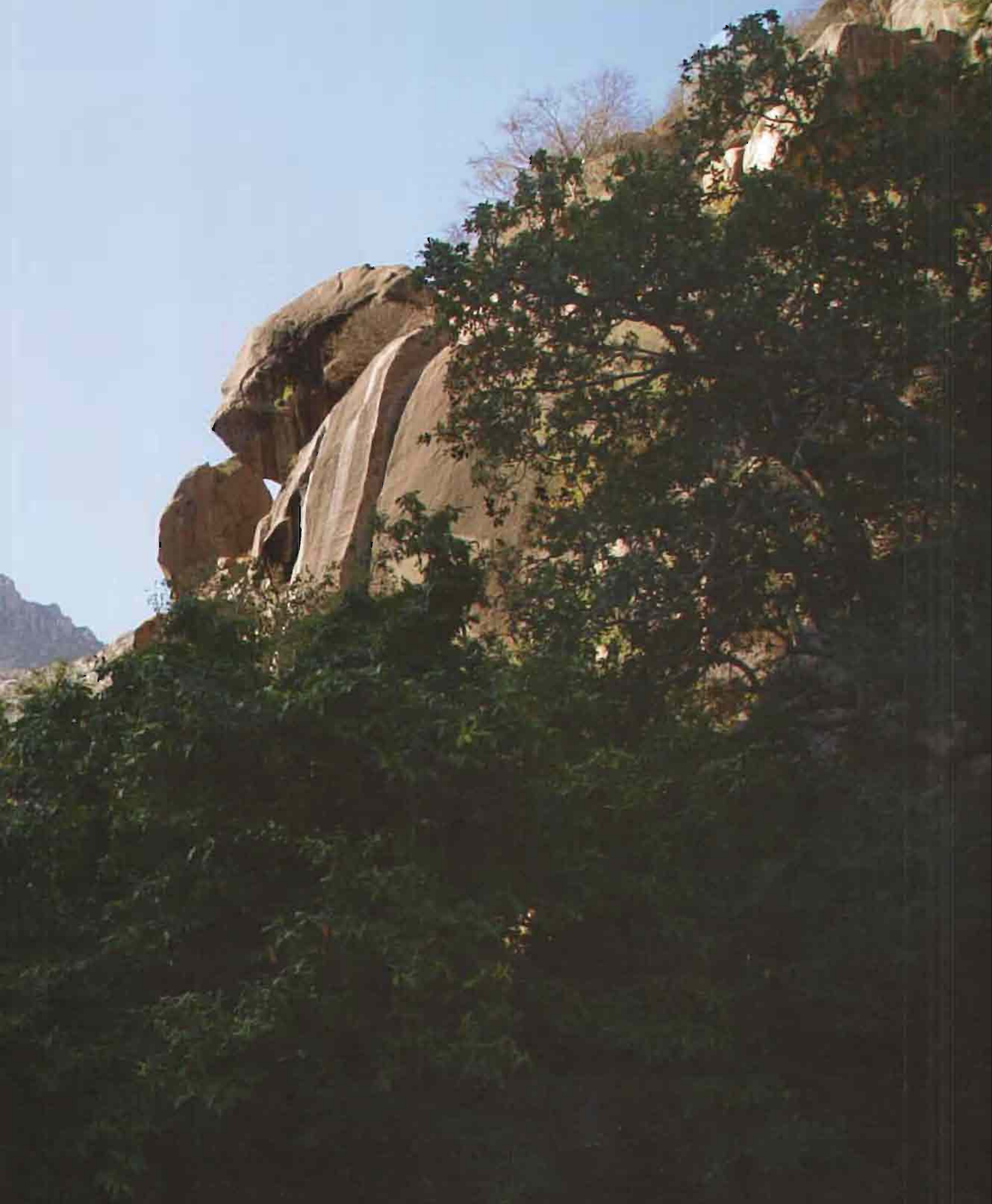
وهذه الشجرة واسعة الانتشار جدًا في جبال ظفار، وسمعت أهل هذه الجبال يسمونها (شِبْحَيْط) وآخرون (شُوْحَيت) . وفي جبل صَبِر ومناطق أخرى من جنوب اليمن، يطلقون الشَّقَب على شجيرة عطرية واسعة الانتشار، وهي التي تسمى الشَّرَم في جبال السَّراة والحجاز، كما تقدم في رسمها .

---

(١) أسماء جبال تهامة ٤٠٣ .

(٢) النَّبات ٦ / ٧١ .

(٣) التاج (شقب) ١ / ٣٢٣ . وينظر : الشجر والكلأ ٦٩، ٧٠، ٧٢، ٧٣، وغريب الحديث للحربي ٣ / ٩٢٦، والمخصص ١١ / ١٤٥، ١٩٠، والعمدة ٢ / ٥٩١، والمحكم ٦ / ١٠٨، والتكملة ١ / ١٧٤، واللسان ٧ / ٥٩، والقاموس ١٣١ (شقب) .





وادي الجوف من جبل شدا الأعلى، حيث منابت الشَّقَب

الشَّوْحَط



قال المبرد : ((النَّبْع والشَّوْحَط والشِّرْيان شجرة واحدة، ولكنها تختلف أسماؤها وتكرم بمنابتها، فما كان في قُلّة الجبل منها فهو النَّبْع، وما كان في سفحه فهو الشَّوْحَط، وما كان في الحضيض فهو الشِّرْيان)) (١) .

وقال أبو حنيفة : ((الشَّوْحَط: ضرب من النَّبْع، تتخذ منه القياس . وهي من شجر الجبال؛ جبال السَّراة . قال الأعشى :

وجيادًا كأنها قُضُب الشَّوْ   حَط يحملن شِكّةَ الأبطالِ

قال: أخبرني العالم بالشَّوْحَط أن نباته نبات الأَرْزَن، قضبان تسمو كثيرة من أصل واحد . قال: وورقه، فيما ذكر، دقاق طوال، مثل ورق الطَّرخون! وله ثمر مثل العنبة الطويلة إلا أن طرفها أدق، وهي لينة تؤكل . وهو من عُتُق العيدان التي تتخذ منه القسي .

وقال مرة :الشَّوْحَط والنَّبْع أصفر العود، رزِيناه، ثقيلان في اليد، وإذا تقادما، احمرّا)) (٢) .

الشَّوْحَط

Grewia tembensis

الفصيلة الزَّيزفونيَّة - TILIACEAE



قلت: الشَّوْحَط، والمفرد شَوْحَطَة، شجرة واسعة الانتشار في جبال السَّراة والحجاز. منابتها سفوح الجبال، وضفاف الأودية، على ارتفاع ٧٠٠ – ١٥٠٠م . وشاهدتها إلى جوار النبع في وادي الجنابين من أودية السفوح الشرقية، على ارتفاع ١٧٠٠م .

ترتفع هذه الشجرة نحو ٣ – ٥م، وهي تسمو أعوادا كثيرة مستقيمة، تخرج من أصل واحد، ربما وصل عددها في الشجرة الواحدة إلى نحو من ٣٠ – ٥٠ عوداً . وأعوادها نحيلة رشيقة، لا يزيد حجم العود الواحد منها، في الغالب، على قبضة اليد، يكسوها لحاء وسط بين النعومة والخشونة، ذو لون أغبر يميل قليلا إلى السواد، وربما كانت أغصانها العلوية الحديثة بنية اللون مغبرة أو مصفرة. وإذا قطع عودها، ونزع عنه لحاؤه تكشف عن لون أبيض مصفر، يؤول مع التقادم إلى اللون البُني المحمر . والأوراق خضراء غامقة، مسننة الأطراف، رمحية الشكل، خشنة على نحو يسير . تشبه أوراق التفاح السروي، أو أصغر قليلا. وقد أبعد راوية أبي حنيفة حين ذكر أنها دقاق طوال، وشبهها بأوراق الطرخون . وهي غذاء جيد للأغنام والإبل والوبارة والوعول . وربما أكل الناس







أوراقها الطرية الغضة، وطعمها مقبول، يشبه طعم ملوخية البَر (*Corchorus trilocularis*) أحد أنواع الفصيلة الزَّيزفونيَّة أيضًا، وهي تنمو بوفرة في أصدار وأغوار جبال السَّراة ، وأهل شدا الأسفل يسمونها الشَّدِيدة .

وأزهارها بيضاء البتلات تشبه أزهار السَّراء والنَّبْع، وتمتاز بخويطات لقاحيَّة طويلة وردية اللون أو حمراء، تعلوها مآبر صفراء، تظهر كل زهرتين أو ثلاث محمولة معًا على سويق واحد، ولها رائحة خفيفة طيبة، والنحل يثمرها. ويتلوها ثمار ليست كالعنبة الطويلة، كما ذكر راوية أبي حنيفة، بل هي في حجم الحمصة الصغيرة، شبه بيضاوية، تظهر على هيئة ثمار السَّراء في عناقيد صغيرة، يحتوي كل عنقود منها على نحو ٣ - ٦ ثمرات ملتصق بعضها ببعض، تظهر خضراء، فإذا ناهزت النضج، اصفر لونها إلى البرتقالي، فإذا تم نضجها احمرت حمرة قانئة.





وهي حلوة المذاق، كان الرعاة يأكلونها، وهي لا تزال خضراء، ثم تؤكل بعد أن تنضج، وتأكلها كذلك القرود، وأنواع من الطيور، كالقَهْبي والحجل، واليمام (الجمام)، والبلبل العربي (القُرَع) وغيرها . وسمعت بعض أهل ورقان وقدس الأبيض يسمونه (البُرْعُم). وكذلك يسمون ثمر السَّراء .

وعود الشَّوْحَطة طويل مستقيم، أكثر استقامة من عود النَّبْع والسَّراء وأخف منهما. وهو، مع ذلك، قوي متين، كان السَّرويون ولاسيما سكان الأغوار يتخذون منه العصي التي يتوكأ عليها كبار السن، وربما اتخذها الشباب كذلك عند رقيهم قمم الجبال أو الهبوط منها، وكان الرعاة يحملون زادهم فوق أكتافهم معلقا بعصا يحرصون على أن تكون من الشَّوْحَط لخفتها وقوة تحملها، ويتخذون منه الهراوى القصيرة التي يجعلونها للفؤوس والمساحي والمقاصب، وربما اتخذوا منه، إذا عظم، لُوْمَة الحرث. ويُتخذ منه في كثير من بوادي الحجاز أعمدة للخيام، وأوتاد لشد أطنابها، وكذلك عيدان المغازل والمخابط التي يستعملها الرعاة لإسقاط السُّنْف والحُبْلَة، وهي ثمار الطَّلْح والسَّيَال والسَّمُر. وربما وضعوه مع أعواد المظ أو بديلا عنها، فوق أخشاب السقف عند البناء ووضعوا فوقه الغمى ثم التراب أو الطين . وسمعت بعض أهل جبلي ورقان وقدس من حرب يسمونه (الشَّاحط) يقلبون الواو ألفًا . ويسميه أهل جبل شمنصير من بني سُليم (الشَّيْحَط) بقلب الواو ياء . وهو كعود السَّراء ينشرخ إذا جف من الطرف إلى طرفه الآخر، ولكن ذلك لا يؤثر في قوته، ويمنع تشققه بقاء اللحاء عليه حتى يجف . وأخبرني رجل من أهل الفقرة بأن عود الشَّوْحَط لا يتشظى إذا قطع من أول الصيف . وهو وقود جيد؛ دخانه قليل، ووريه متوهج طويل .

وأهل جبال فيفا يمضغون أوراقه؛ لعلاج التهاب اللثة، وآلام الأسنان، أو لتطهير الفم وتعطيره . وفي رجال ألمع من تهامة عسير يغسلون بورقه المهروس رؤوسهم، فيكون منه رغوة تنظف الشعر، وتطرّيه، وربما غسلوا به أجسادهم.












وفي ناحية من جبل ورقان رأيت أعدادا كبيرة من هذ النبتة يابسة قد ودعت الحياة، وسيقانها من اللحاء عارية . فسألت عن ذلك دليلي، فذكر أن الحمير السائبة تعمد عند الجفاف وقلة المرعى إلى التحاء تلك السيقان، فتموت من ذلك الشوحطة، وكذلك تفعل الوبارة، ولكنها تترك أجزاء من اللحاء سليمة، فتبقى النبتة ، في الغالب، حية .

ومن الشَّوْحَط نوع آخر (*Grewia sp*) قليل الانتشار . وهذا أزهاره بيضاء خالصة كأزهار النَّبْع والسَّراء، وأما الثمار فلا فرق، وقليل من يدرك الفرق بينهما، وسمعت رجلا من جبال حَيْدان اليمنية يميزه بالشَّوْحَط الزَّراقي، أي الأكثر طولا واستقامة .

وليس الشَّوْحَط والنَّبْع والشّْرِّيان شجرة واحدة، تختلف باختلاف منابتها، كما ذهب إلى ذلك المبرد وغيره من العلماء، بل هي أنواع معروفة بأعيانها، وإن كانت جميعا تنتمي إلى جنس واحد أو فصيلة واحدة، إلا أن بينها فروقا واضحة أو دقيقة تميز كل شجرة عن الأخرى، وعلى خلاف ما قيل، فإن الغالب على منابت الشّْرِّيان والشَّوْحَط أعالي الجبال، وأجود منابتهما الأصدار، وأما النَّبْع فالغالب على منابته سهول تهامة









● صنف من الشوحط أبيض الزهر

وحضيض الجبال . وربما رأيتَ النَّبْع والشَّوْحَط والشرْيان متجاورا في منبت واحد . وفي نواح من جنوب اليمن يطلقون لفظ الشَّوْحَط على النَّبْع والسَّراء والحِثْيَل، لا يفرقون .

والخلط بين أشجار هذه الفصيلة وارد قديما وحديثا عند العلماء وغيرهم، وعذرهم أنها متشابهة إلى حد كبير، فلا يستطيع التمييز بينها حقيقة إلا من نشأ في منابتها الطبيعية، وكان على صلة دائمة بها .

وسمعت أهل وادي قَصَب من جبل رضوى يطلقون (الشَّيْحُوْط) ليميزوه عن الشَّوْحَط، على شجرة أو شجيرة من الفصيلة الصابية (*Flueggea virosa*) وهي التي تسمى في السَّراة حناء الجمال أو القرود، وربما الحِمْرار، كما سبق في رسم الأثب والحُمَر .

---

(١) الكامل ١ / ٤٤٥ . وعنه في الفائق في غريب الحديث ٢ / ٢٣٩، وتهذيب اللغة (شحط) ٤ / ١٧٣، ونزهة الألباء ٢٣٧ – ٢٣٨، والتكملة (شرى) ٦ / ٤٤٥، وفي الثلاثة الأخيرة : ((... وما كان في سفحه فهو الشرْيان، وما كان في الحضيض فهو الشَّوْحَط)) . ونحو هذا في النَّبات لأبي حنيفة ٣ / ١٣١ .

(٢) النَّبات ٦ / ٧٤ . وينظر : ديوان أوس٩٧، والأعشى ٥٩، ٢٨٣، وكعب بن زهير ٢٥٣، وابن مقبل ٢٦، ١٢٩، ٢٣٠، وجرير ١ / ٤٩١، وقيس بن الملوح ١١٤، وذي الرمة ١ / ٣١٩، وأسماء جبال تهامة ٣٩٦، ٤٠٣، ٤٠٩، ٤١٣، ٤١٧، والشجر والكلأ ٦٩، والنَّبات للأصمعي ٣٦، والتيجان٢٩٢، والغريب المصنف ١ / ٤١٩، والمنتخب ٢ / ٥٠٦، والخصائص ٢ / ١٦٧، وصفة جزيرة العرب ٢٦٩، والتعليقات والنوادر ٣ / ١٠٥٧، والمخصص ١١ / ١٤٢، ونزهة الألباء ٢٣٧، والاعتماد في نظائر الظاء والضاد ٤٧، والعمدة ٢ / ٥٩٢، والعين ٣ / ٩٠، وشمس العلوم ٦ / ٣٣٩٣، واللسان ٧ / ٤٦، والقاموس ٨٦٩، والتاج ٥ / ١٦٥(شحط) .

الوَهْدَة . أرض مستوية في منتصف عقبة حزنة، تُنبت الشَّوحط والضَّهياء والقَرَظ ـ غرب بلجرشي





الشَّيْعَة



قال أبو حنيفة: ((الشَّيْعة بالفتح : شجرة دون القامة، لها قضبان فيها عُقد، ونور أحمر مظلم صغير، أصغر من الياسمينة، تجرسها النحل، ويأكل الناس قَدَّاحها يتصحون به، وله حرارة في الفم والحلق، وهي طيبة الريح، يعبق بها الثياب فتطيب، ونورتها مشربة، صغيرة، وعسلها شديد الصَّفار(١)، طيب معروف، وهي مرعى، ومنابتها القيعان وقرب الزرع)) (٢).

وقال في باب الروائح : ((والشَّيْعة شجرة لها نَوْر أصغر من الياسمين أحمر طيِّب تُعْبَق به الثِّياب)) (٣).

وفي باب العسل والنَّحل، قال عن أعرابي من أهل السَّراة : ((وأخبرني أن أصفى العسل عسل الشَّيعة، وهي شجيرة لها نَوْر مشرّب ذكيّ)) (٤).

الشَّيْعَة

Lavandula pubescens

الفصيلة الشَّفَويَّة - LABIATAE



قلت: الشَّيْعة نبتة معمرة، ذات رائحة عطرية مميزة تشبه رائحة الصَّعتر، وكذلك تشبهه مذاقًا. منابتها بطون الأودية، وسفوح الجبال الصخرية الرطبة الضاحية للشمس، على ارتفاع ٧٠٠ - ١٨٠٠م.

ترتفع نحو ٤٠ - ٦٠سم. وهي تقوم على جذمور خشبي بعرض ٢ - ٣سم، يتفرع منه أغصان أو سوق مربعة كثيرة، يكسوها زغب أبيض قليل. أوراقها ريشية رمحية متباعدة، وتظهر الأوراق أسفل الساق كثيفة كبيرة ثم تصغر صاعدة حتى تختفي تمامًا بأعلى الساق أو الغصن. والأزهار صغيرة تظهر على شكل بوق معكوف، على نهايات الأغصان من أكمام خضراء على هيئة السنابل، وليست حمراء، كما ذكر أبو حنيفة، بل زرقاء اللون أو أرجوانية، والنحل ينتابها كثيرا، فيجني منها عسلاً أبيض اللون، لذيذ الطعم، شديد الصفاء، يشبه عسل الشَّرَم. وتجتذب كذلك أنواعًا من الحشرات، منها الفراشات ذات الألوان الزاهية. والبذور صغيرة ذات لون بني داكن، تنتج، إذا ابتلت، مادة رغوية، كبذور الثفاء.

ولا يزال الناس في بعض مناطق السَّراة يطيبون بها الثياب والفرش، كالعُبَيْثِران تمامًا، ويمضغون الأوراق والأزهار لتطهير الفم واللثة، والاستشفاء من أمراض الحلق والصدر والبطن كالمغص ونحوه، وتترك في الفم والحلق حرارة محتملة ورائحة عطرية طيبة. وربما





ضمدوا بها المفاصل المؤلمة . وأخبرني دليلي من بني كلب من جهينة أنهم يشربون منقوعها ترياقا قويا لسموم الثعابين . وكان النساء من أهل السَّراة يجمعنها حزما صغيرة يضعنها في الشكاء ، قبل وضع الحَقينة (اللبن الرائب) فتكسبها نكهة طيبة، ومذاقا لذيذا . ويغسلن بها ثياب أطفالهن فتطهرها، ويبقى من أثرها رائحة مستحبة تدوم طويلاً . ويضيفها بعض الناس إلى (الشَّاهي) فتكون بديلاً جيدا عن النعناع، وتكسبه نكهة طيبة . و تُحرق في جبال فيفا ثم توضع في مراح الأغنام وحظائرها، فتقتل البراغيث وغيرها من الحشرات الضارة، ويستعملونها عصابة على رؤوسهم مع أنواع أخرى من الرياحين . وهي من المراعي الجيدة، ورأيت الحُمُر ترعاها بنهم شديد، على ضفاف وادي ثَرَاد جنوب عقيق غامد .

وما زالت الشَّيْعة تعرف بهذا الاسم في سراة غامد وزهران وبني عمر وخثعم وثقيف وبجيلة (بني مالك) وبني سفيان من ثقيف، وكذلك في شمنصير وقدس وورقان والفقرة من جبال الحجاز .









● الشَّيْعة ٢، الأشيوعة _ *L. coronopifolia*

ومن الشَّيْعة نوع آخر (*L. coronopifolia*) وهي عشبة تظهر في حجم الشَّيْعة وصورتها، وتنبت في منابتها، وربما اشتبهت بالشَّيْعة على كثير من الناس، لكنها تتميز، عند النظر والتأمل، برائحة عطرية تباين تماما رائحة أوراق النوع السابق، ثم بقوامها المنتصب، وأزهارها التي تظهر على الساق منفردة متقابلة متباعدة، ورحيقها أكثر جذبا لأنواع من الفراش . كما أن سيقانها لا يظهر عليها زغب أبيض، كما هو الحال في النوع الأول. وهي أوسع انتشارا منه في جبال الحجاز . ورأيتها بأعداد كبيرة جدا في منتصف عقبة ذي مَنْعا من





أصدار زهران، وعليها ما لا يحصى من حشرة تسمى الذَّرَحْرَح تتغذى على أزهارها بنهم بالغ. وسمعت أهل ورقان يسمونها (الأَشْيُوعة) وبعضهم (الأَشْييعة) تمييزا لها عن النوع الأول، وأكثر أهل السَّراة يسمونها (الشَّيْعة) أيضاً، ولا يفرقون. وفي تهامة هذيل يفرقون بين النوعين، فيسمون النوع الأول الشَّيْع، بلفظ واحد للمفرد والجمع، والثاني يسمونه (النُّحَيْلي) ولم أعرف علة لهذه التسمية .

وفي جبل رضوى من ديار جهينة، يسمون الشَّيْعة بنوعيها (الزَّيْتَة) وكذلك تسمى في ديار بلي وبني عطية والحويطات، وسمعت دليلي الحويطي يفرق بين النوعين، فيسمى النوع الأول (زَيْتَة الحَضَر). وأهل الكويرة والأجرد من بني كلب من جهينة يسمونها بنوعيها أيضًا (الزَّيْتُونة) ولا يفرقون، ولم أجد عندهم تعليلا لهذه التسمية التي تخالف الاستعمال الشائع لهذا اللفظ في العربية، ومثله في اليمن فإنهم يطلقون لفظ الزيتون على الجوافة وثمرها. وسمعت رجلا من غربي رضوى يسمي الشَّيْعة أيضًا (عطر البنات) وسمعت أهل جبل صَبِر يسمون الشيعة بنوعيها (العَطْرَة) . وفي جبال فيفا يسمونها بنوعيها (الوَذَحَة). وفي جبال العبادل وبعض جبال اليمن المجاورة تسمى (الخَوْعَة). وربما سميت (الذَّفار) . وسمعت رجلا من أهل وادي دَفَا من ديار آل تَلِيْد من خولان، يسمي النوع الأول (الذُّفيراء) والنوع الثاني (الوَذَحَة). والذُّفْرة، في اللغة، الرائحة القوية سواء كانت خبيثة أو طيبة. وتسمى (القَرْمَل) في جبال الريث بن خولان، وذكرت لهم أن القَرْمَل في العربية اسم لنبت آخر مشهور، من الفصيلة القدِّيسيَّة (*Zygophyllum simplex*) فلم يعرفوه . وهي (الفَحْيَة) في جبال حَجَّة اليمنية . وأهل سراة عسير يسمونها (القَضْمَة) وفي تهامتهم (الزِّعْق) وأما الشيعة عند هؤلاء، أعني في سراة عسير، فهي نبتة عطرية -أخرى، من الفصيلة (الشفوية) نفسها (*Nepeta deflersina*) ترتفع نحو ٥٠سم . ومنابتها المرتفعات





● الشَّيْعة، شيعة البقر _ *Nepeta deflersina*



المعتدلة الباردة على علو ١٧٠٠ – ٣٥٠٠م . وهي التي تسمى في جبل ورقان (السَّيْمران) وفي جبل قدس (الزِّقّوم) وفي ديار بني عمر (شيعة اللَّبن)، وفي بعض ديار بجيلة (أم مصباح). وهي (شيعة البقر) في ديار بالشهم من غامد، وديار بني سفيان من ثقيف، وديار هذيل، ورأيت هولاء يبيعونها في الهَدَة على قارعة الطريق، فسألت عن استعمالها، فذكروا أنها توضع على (الشاهي) فتضفي عليه رائحة طيبة ومذاقا لذيذا. وهي (الفِرْوَق) في جبل صَبِر ، وتنطق بتقديم الواو على الراء في جبل النبي شعيب .

وفي جبل شدا الأسفل يطلقون الشَّيْعَة أيضًا، على شجيرة صغيرة من فصيلة الأرْثَديات (*Lantana viburnoides*) ويُطلق عليها اللفظ نفسه في سراة بني عمر، ولكن مضافًا إلى النحل، فيقولون: (شيعة نَحْل) أضافوها إلى النحل؛ لتمييزها عن الشيعة المعروفة. وفي نواح من جبال تعز يسمونها (المُتّان) . وهي





● الشيعة، شيعة نحل _ *Lantana viburnoides*





● الشيعة، شيعة النحل _ *Lantana camara*



نبتة عطرية، تفوح أوراقها بعبق فوّاح عند أدنى ملامسة لها. أزهارها ملونة جذابة، وثمارها عنبية في حجم حبات الذرة، تظهر خضراء فسوداء عند النضج، تفرز، إذا فضخت، عصارة بنفسجية قاتمة. تنبت بأعالي الأصدار في السفوح وبطون الشعاب، ورأيتها على ضفاف وادي الجنابين، من أودية السفوح الشرقية لجبال السَّراة، على ارتفاع ١٧٠٠م. ورأيتها، كذلك، في عدد من جبال الحجاز في بطون الشعاب وعلى ضفاف الأودية، وسألت عنها أهل تلك الجبال، فلم يذكروا لها اسما . وأخبرني دليلي من أهل وادي قَصَب من جبل رضوى أن النساء عندهم يتخذن من عصارة ثمرها زينة كالخضاب. ومنها نوع (*Lantana camara*) رأيته بوفرة على سفوح جبل فيفا، وبأعداد قليلة في نواح من تهامة عسير . ويزرع هذا في الحدائق لحسن أزهاره وطيب ريحه . ولعله دخيل .

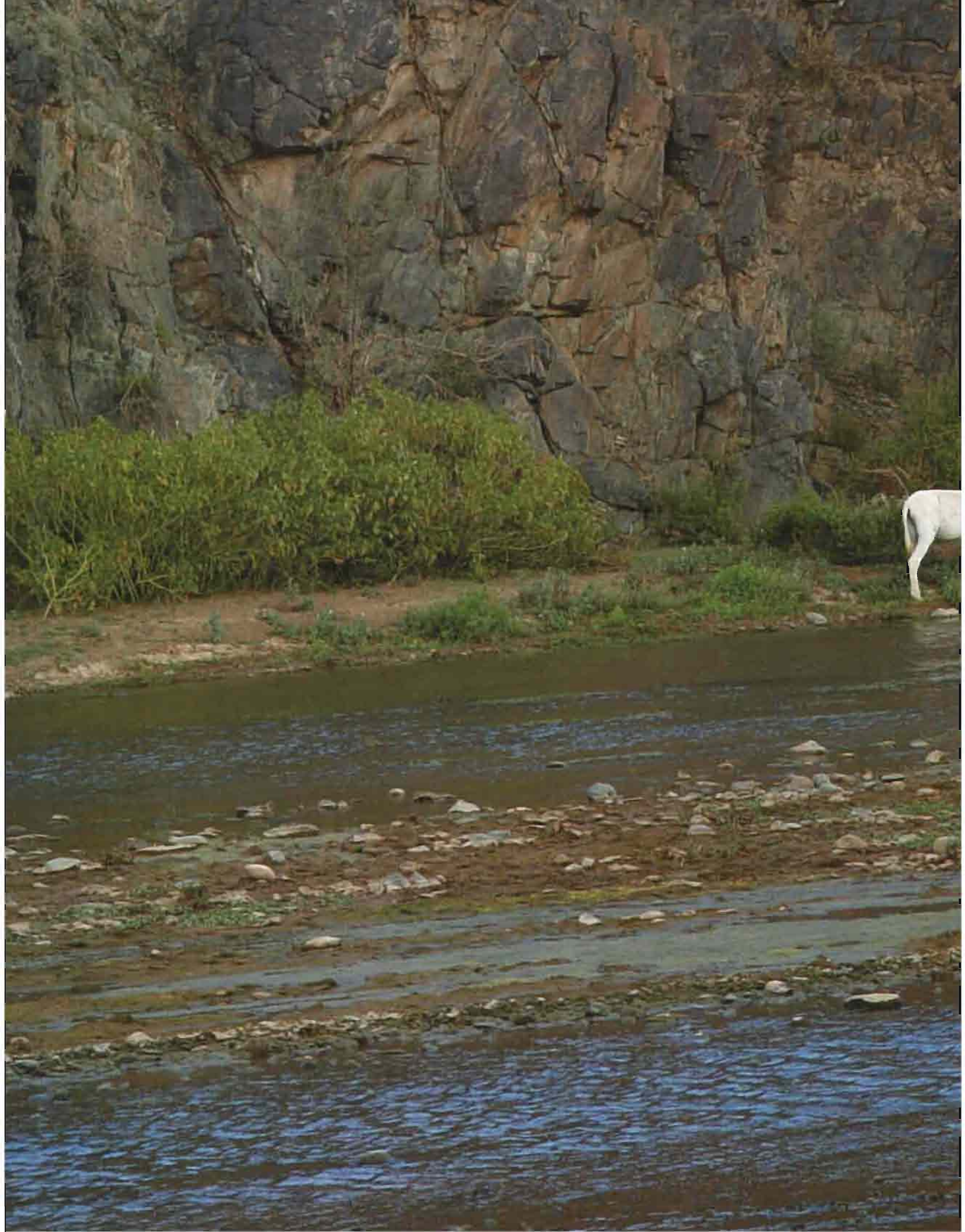
---

(١) في المخصص شديد الصفاء. (٢) التكملة (شيع) ٤ / ٢٩٢ . (٣) النَّبات٣ / ٢١٣ .

(٤) النَّبات ٣ / ٢٦٥. وينظر : التعليقات والنوادر ٣ / ١١٩٤، والمخصص ٨ / ١٨٢، ١١ / ١٦٠، والعمدة ٢ / ٦٠٢، ونحل عبر النحل ٣٦، والقاموس ٩٥٠، واللسان٧ / ٢٦١، والتاج ٥ / ٤٠٦(شيع) .



وادي ثراد في بادية غامد، مورد ماء دائم الجريان



الصَّاب



قال الأصمعي : ((ومن نبات جبال السَّراة ... الصَّاب (وهو) شجر بالغور، إذا قُطع منه شيء خرج لَبَن، فإذا أصاب العين حلبها)) (١) .

وقال أبو حنيفة : ((الصَّاب: شجر ينبت بأغوار تهامة، له لَبَن خبيث، إذا نزت منه نَزيَّةٌ(٢) فوقعت في العين فإما أعمتها، وإما أصعقتها، وأحسبه أيضًا شجرًا مرًّا. ولما يصنع لبنه بالعين قَال الهذليّ:

نامَ الخليُّ وبتُّ الليلَ مشتجرًا   كأنّ عينيَ فيها الصَّابُ مذبوحُ

أي شُقَّ في عينه حتى صار لَبَنه فيها)) (٣).

قال : ((وجعل بعض الشَّعراء الصَّاب الصَّبر،فقال :

عَوَاسِرُ والأبطالُ رَوْقٌ كأنَّهُم   يُسَقَّونَ صاباً حِمْيَرِيًّا وحَنْظَلا

جعله حِمْيَرِيًّا؛ لأنه يمانٍ)) (٤).

الصَّاب

Euphorbia fractiflexa

الفصيلة الصَّابيَّة - EUPHORBIACEAE





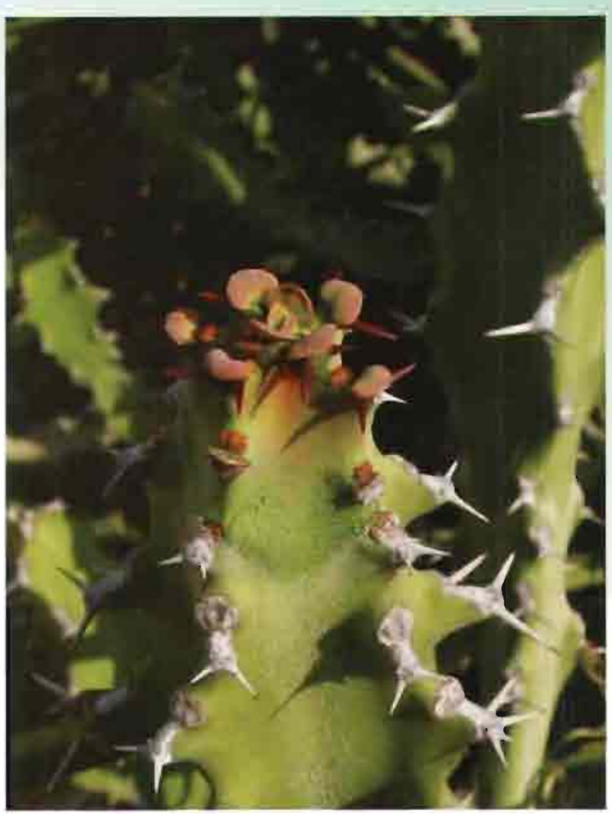
قلت: الصّاب شجر ينبت بأغوار تهامة في مجموعات كبيرة، وهو أنواع :

النوع الأول: (*E. fractiflexa*) ينبت في القيعان وضفاف الأودية القريبة من ساحل البحر، بين أشجار الأراك والسلَّم والسلَّع، وربما صعد قليلا إلى السفوح حتى ارتفاع ٥٠٠ م .

يرتفع هذا النوع قدر ١ – ٢م، ويقوم على جذمور واحد مطمور في الأرض، أو بارز عنها قليلاً، ثم يتفرع بكثافة إلى سيقان لحمية جرداء من الورق تختزن الماء، فيصبر على الجفاف فترات طويلة. وتتخذ السيقان في نموها شكل دائرة قطرها نحو ٢م تأوي إليها أنواع من الثَّعابين والحيَّات. وهي ذات لون أخضر قاتم يعلوها في مواسم الجفاف غبرة أو صفرة يسيرة، ولها زوايا ثلاثية بارزة من أسفل الساق إلى قمته، مخصرة على نحو يسير، ومطرزة بأشواك زوجية كثيفة حادة بيضاء، توفر للنبات حماية جيدة، ويظهر على رؤوس السيقان عند تجدد نموها أوراق صغيرة، ثخينة، تظهر من بين الأشواك، وتبقى أياما قليلة، ثم تسقط . وهذا النوع شديد الشبه بالكراث (*E. cactus Ehrenb*) الذي ينبت في السفوح من أعالي الجبال .

والنوع الثاني: (*E. inarticulata*) منابته الجَدَد والأسناد عند أقدام جبال السَّراة، على ارتفاع ٥٠٠ – ٩٠٠م. وفي اليمن شاهدته في جبال الحَيْمَة وسُمَارة والقاعدة على ارتفاع ١٥٠٠ – ١٨٠٠م. وهي ارتفاعات منخفضة بالنسبة إلى قمم تلك الجبال التي يزيد ارتفاع بعضها على ٣٠٠٠م . رأيته هنالك يكسو السفوح





بكثافة ملحوظة . وكثيرا ما ينبت هذا النوع بين أشجار السَّمُر والسَّلَم، فتحميه من الأذى وعتو الريح. وربما نبت على ضفاف الأودية في منابت النوع السابق، فيكون أكبر حجما مما نبت في الأسناد. وسوقه صغيرة نحيلة بالقياس إلى سابقه، وهو يقوم على جذمور مكسو بلحاء بني مغبر ذي شقوق طولية، يرتفع عن الأرض نحو ٥٠ – ٧٠ سم، ثم يتفرع بكثافة إلى سوق ثلاثية الزوايا مستقيمة الأطراف ليس بها تقلصات، تتفرع من القمة أو دونها بقليل إلى فرعين صغيرين أو ثلاثة، وربما أكثر . وأشواكها قليلة، أذاها أقل من أشواك النوع السابق، ويصل طوله في الجملة إلى نحو ١٠٠ – ١٧٠ سم . وربما تفرع مباشرة من على وجه الأرض على هيئة متقزمة شبه كروية .

والنوع الثالث: (*E. parciramulosa*) رأيته في تهامة بني عمر على ضفاف وادي الأحسبة، وذلك في ناحية تُسمى (الخَرِيْق) بالقرب



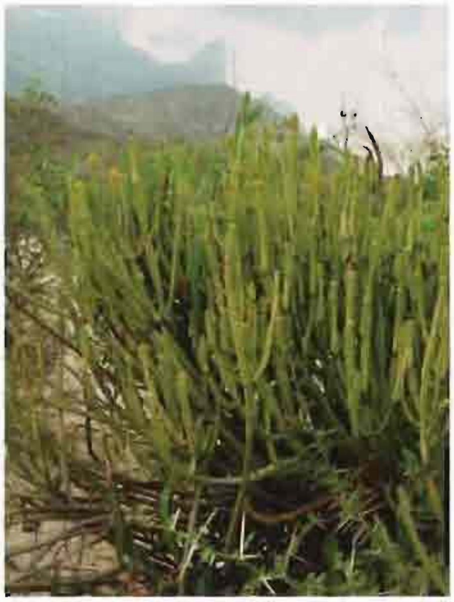


● النوع الثاني: الصَّاب، المهيأ _ *E. inarticulata*















- النوع الثاني أو صنف منه متقزم كثيف التفرع



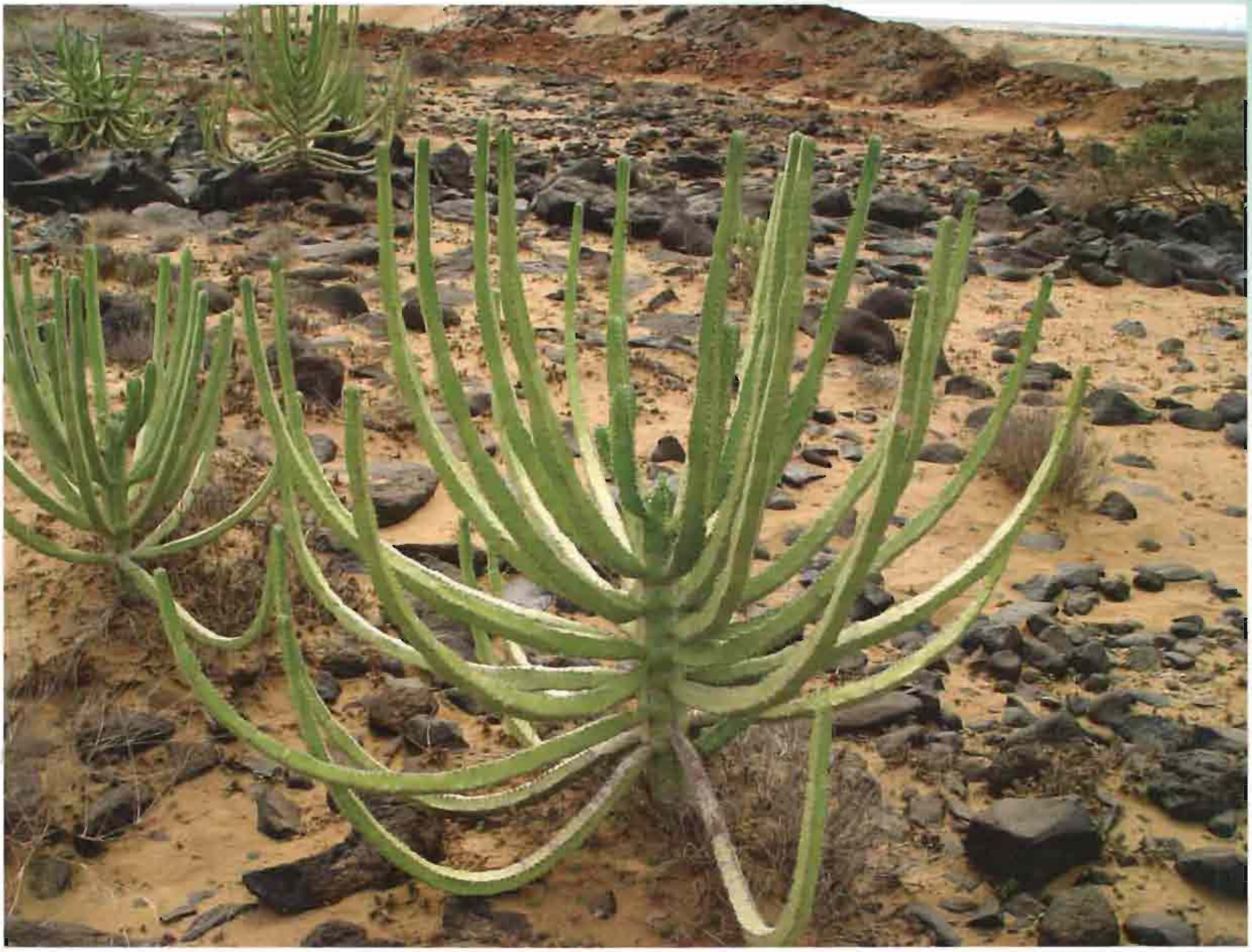


● النوع الثالث: الصاب على ضفاف وادي الأحسبة _ *E. parciramulosa*



من المخواة، وهو شديد الشبه بالنوع الأخير، في نظامه الزهري والثمري، ولكنه عملاق مقارنة به؛ وسيقانه سلبة غير متفرعة إلا نادرا، أكثر تفرعها من الجذع . ينبت في الأتربة الطينية حول جذوع أشجار السَّلَم والسَّمُر أيضًا، يصل ارتفاعه إلى نحو ٤م، ويتفرع إلى سيقان طويلة جدًا مقارنة بالنوع السابق أيضا، السفلية منها منحنية ومرتفعة على هيئة سوطية، والعلوية مستقيمة ومنتصبة كهيئة الشَّمعدان. وعند الارتواء يظهر على رؤوس سيقانه الحديثة النمو أوراق صغيرة، سرعان ما تزول .

وفي حرة بني هلال جنوب القنفذة شاهدت حول قرية ذهبان قريبا من مستوى سطح البحر نوعا (*Euphorbia . sp*) شديد الشبه بهذا النوع، ولكنه أصغر حجما وأقل طولا منه . وربما كانا نوعا واحدا، ولكن اختلاف المنبت أدى إلى اختلاف الهيئة . ومثل هذا



● الصاب في حرة بني هلال، صنف شديد الشبه بالنوع الثالث



نوع شاهدته بوفرة إلى جانب الكراث في السفوح الصخرية بين القاعدة وجبال سُمارة جنوب اليمن، على ارتفاع ١٣٠٠ – ١٨٠٠م . وأهل هذه الجبال يسمونه (السَّحَب) وآخرون (النَّصَم) .

والنوع الرابع: (*E. triaculeata*) شاهدته في تهامة عسير، وهنا لا يسمونه الصَّاب، ولكن (الشرَّم) ويفرقون بينه وبين الشرَّم الذي ينتمي إلى الفصيلة الشفوية (*Otostegia fruticosa*) بشرَم السراة، وشرَم تهامة، وفي جبال الريث يسمونه (الخُرْطة) وآخرون (العجْوة) . وفي نواح من جنوب اليمن يسمى (أم عِلْبة) . يرتفع هذا النوع نحو ٥٠سم على سوق أسطوانية كثيرة، تخرج من أصل واحد، خضراء مغبرة، موشاة بخطوط طولية صفرء أو بنية اللون مصفرة، وربما صارت زمن الجفاف إلى لون أغبر يميل إلى السواد. يحميها أشواك كثيفة حادة . ينبت على ارتفاع ٦٠٠ – ٩٠٠م . وأكثر منابته الحداب والأسناد الصلبة، تحت



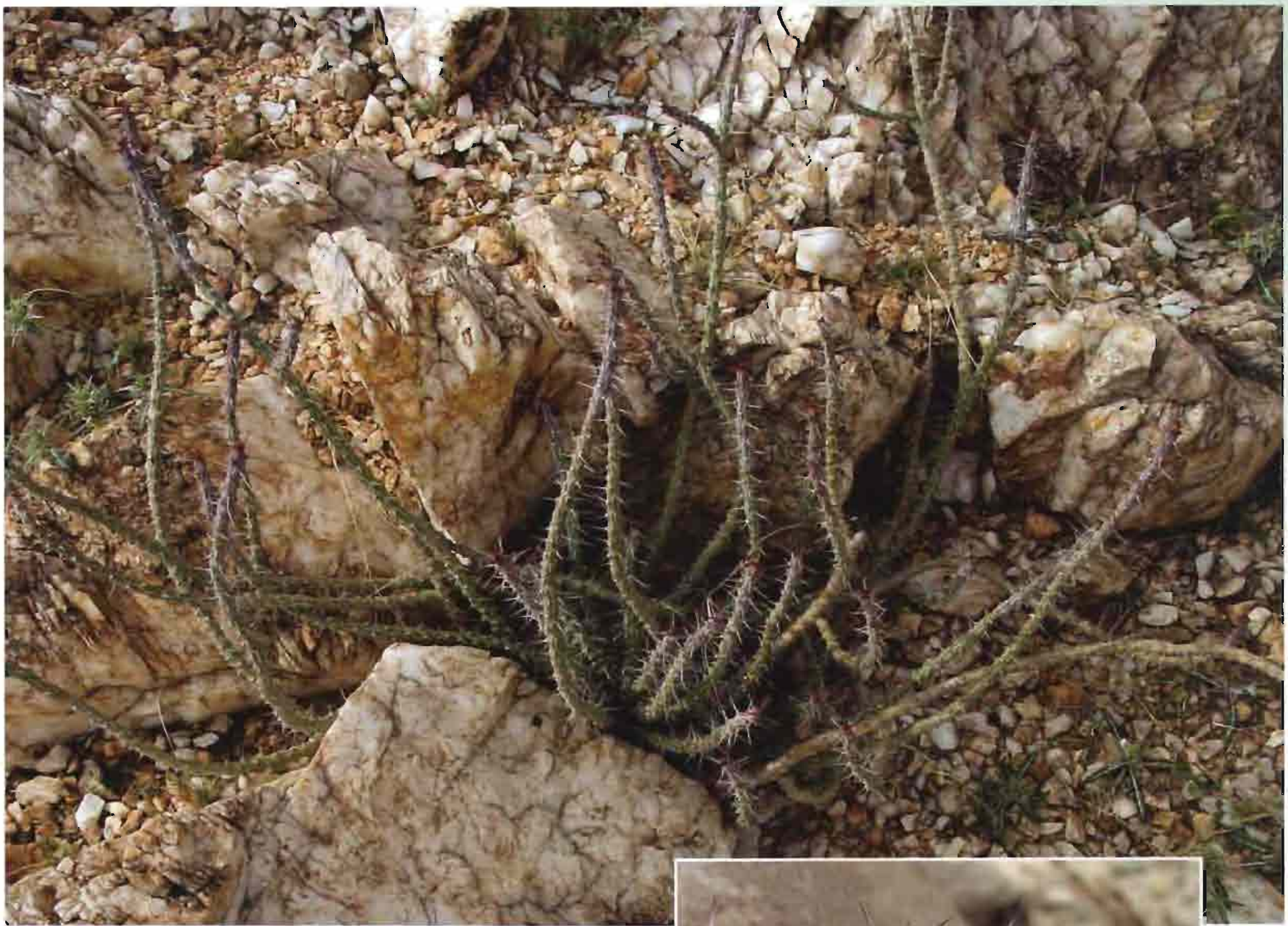
● الصاب في جنوب اليمن (السَّحَب، النَّصَم) صنف شبيه أيضا بالنوع الثالث

أشجار السَّمُر أو بالقرب منها.

ومنها نوع خامس نادر (*E. fruticosa*) ينبت بأعداد قليلة جدًا في أعالي وادي لَجْب من ديار الريث بن خولان، على ارتفاع ١٢٠٠م . وهو ثخين الحجم، كثيف الأشواك، لا يزيد ارتفاعه، في الغالب، عن ٣٠ – ٥٠ سم . وشاهدته بأعداد طيبة في منطقة خَيار بين صعدة وريدة شمال اليمن، شاهدته بين شقوق الصخور وأكنافها فوق هضبة صخرية جيرية واسعة، على ارتفاع ٢٢٠٠م . وأهل هذه الديار، وهم بطون من قبيلة حاشد لا يسمونه الصَّاب بل (الخُنْبُص) وبعض بني شُريم يسمونه (فَحَاح) . وأخبرني رجل من أهل خيار أنهم يستعملون عصارته لتعقيم الجروح وتطهيرها .

وفي جزيرة سقطرى شاهدت نوعا سادسا (*E. spiralis*) يشبه هذا الأخير . سيقانه أسطوانية مقسمة إلى سبع زوايا طولية ، مغطاة بأشواك كثيفة. وهو يرتفع نحو٥٠ سم . ينمو بوفرة على السفوح والمنحدرات الصخرية، وأهل تلك الجزيرة يسمونه (قَشُو) ويخرجون الشين بصوت نحو الصاد . فربما كان محرفا عن القَصَاص، من أسماء الصاب في اليمن، كما سيرد بعد قليل .

وللصَّاب بأنواعه أزهار صغيرة، ثخينة البتلات، صفراء اللون، وربما كانت صفراء مائلة إلى اللون البرتقالي، أو صفراء مخضرة كالنوع الذي شاهدته في سقطرى . تظهر في الجزء الأعلى من الساق أو في قمته، لاطئة به في الغالب، والنحل يثمرها، ويجني منها عسلاً غير مشهور يسمى (عسل الصَّاب) له كعسل أخيه الكراث حرارة في الفم والجوف . وقال لي بعض مربي النحل : إن لسعاته إذا ثمر الصاب تكون أشد إيلاما وحرارة من لسع العقرب . وأما الثمار فتظهر بحجم الحمصة الصغيرة، ثلاثية الفصوص، لونها بني داكن أو محمر، تنشق



● النوع الرابع: الشَّرَم _ *E. triaculeata*



عند النضج عن نحو ثلاث بذرات غبراء مدورة ناعمة، وهي تنطلق بفعل الضغط الداخلي للثمرة بعيدًا عن الشجرة، محدثة فرقعة يسيرة مع كل حبة تنطلق ، وأخبرني دليلي الخثعمي أن أنواعًا من الطيور تتغذى عليها.

ويفرز الصَّاب بجميع أنواعه، إذا قصف، سائلا غزير الدفق أبيض اللون، وهو، كما روى الأصمعي وأبو حنيفة، سائل خطر، إذا وقع منه في العين قطرة يسيرة سبب لها آلامًا مبرحة واحمرارًا شديدًا يدوم أيامًا طويلة، وربما أصابها بالعمى الدائم . وكذلك إذا لامس الجلد أعقب حرارة غير محتملة، ولاسيما إذا لامس أجسام الأطفال الصغار. وقد يعقبها حروق في البشرة ينجم عنها فقاقيع كحرق النار تمامًا .

ومن الطرافة أن بعض أهل السَّراة وتهامة كانوا يعالجون به الرمد في العين، بعد اليأس من كل وسيلة أخرى، على حد قول العرب : ((آخر الدواء الكي بالنار)) فيضعون منه بحذر شديد قطرة يسيرة في العين المصابة، إلا أن هذا العلاج، فضلا عمّا يسببه من آلام مبرحة بالعين،

غير مأمون العاقبة، وربما كان سببًا في إصابة المريض بالعمى الدائم؛ ولذلك فإن منهم من يمقت هذه الطريقة في العلاج، ويحذر منها، وينعت مستخدميها بالجهل بخطورة هذا النّبات، غير أن رجلا من تهامة بجيلة (بني مالك) أكد جدوى استعماله علاجًا للرمد، بشرط أن يخفف بالماء بنسبة كبيرة، ثم يوضع في العين قطرة واحدة من ذلك الماء، فيجد المريض بعدها حرقة محتملة، يعقبها الشفاء العاجل، بإذن الله تعالى. وأخبرني أحد رجال القهر أنهم كانوا يستعملونه بحذر شديد لعلاج الماء الأبيض في العين ، فتتورم نحو سبعة أيام ، تنقشع بعدها غشاوة العين وتطيب . وكانوا يستعملون تلك العصارة أيضًا في تسهيل البطن، وعلاج بعض الأورام المستعصية بدهنها بقطرات منه، ويستخدمونها كذلك لإعادة إنبات الشعر المتساقط من الرأس أو الوجه، وذلك بدهن الموضع المصاب لمدة ٣ – ٧ أيام .

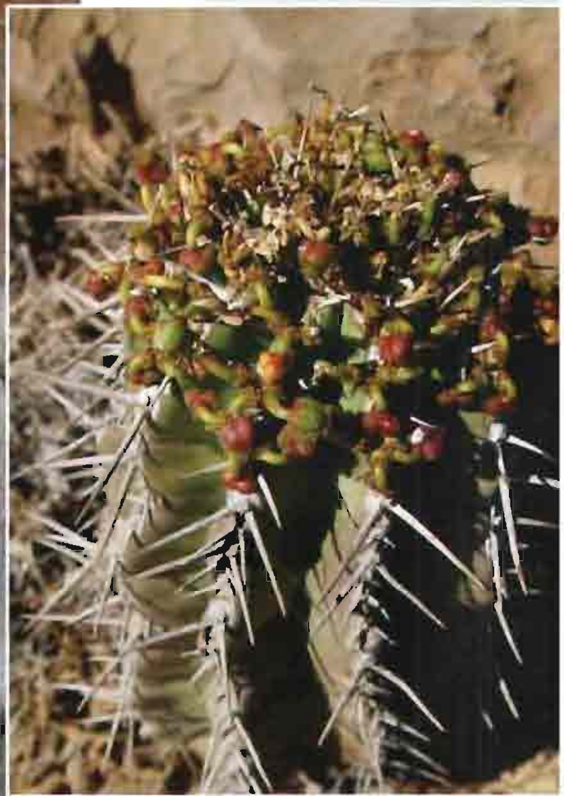
وبالصَّاب كانوا يعالجون أيضاً الأبقار المصابة بالإسهال الشديد، وذلك بقطعه وتمرير عصارته على شكل صليب في منطقة حول الخاصرة، فيظهر على الموضع جرح كأثر الكي، تشفى بعده الأبقار، بإذن الله تعالى. وأخبرني رجل من سراة زهران أنهم يبخرون بسيقان الصَّاب اليابسة خلايا النحل، فينبعث منها دخان طيب الرائحة، يقتل فراشة الشمع داخل الخلية، وغيرها مما يضر بالنحل .

والصَّاب هو (الصَّيَّاب) في جبال العبادل وسلا، وأخبرني دليلي من أهل هذه الجبال أنهم كانوا في أزمنة الجدب يجزونه فيحنذونه ويقدمونه بعد تقطيعه أوصالا صغيرة علفا لأغنامهم، وكذلك يُعلف للإبل في جبال الرَّيْث وجبل مُنْجِد، وهي تعافه أولاً، ثم يرغمها الجوع الشديد على أكله، غير أنها تسمن بعده وتصح، ويطيب لبنها طعما ورائحة. وأخبرني رجل من بني قُراد من أهل جبل مُنْجِد بأن أفواه الإبل تسود بعد أكله سوادا شديدا . وأخبرني رجل من تهامة هذيل بأنهم يقطعون الصَّاب، وهو أخضر، أوصالا صغيرة يضعونها في الماء الذي تشرب



• النوع الخامس: خُنْبص ، قَحَاح _ *E. fruticosa*





منه الغنم بعد إظمائها، فتصح بعده وتطيب .

وسمعت معظم أهل الجبال شرق منطقة جازان، وكذلك بعض بارق من تهامة بني شهر، يسمون النوع الأول من الصَّاب (المُرَار) وسمعت بعض بني قُراد من أهل جبل منجد يسمونه (المُرارى) بزيادة الألف المقصورة من آخره. ويشيع اعتقاد لدى الناس من أهل تلك الجبال بأن هذه الشجرة إذا أزهرت أول الصيف فإن محصولهم من الذُّرَة والدُّخْن سيكون في ذلك الموسم وافرا، ويستبشرون خيرا؛ فإن تأخر إزهارها أو لم تزهر تشاءموا من ذلك، واعتقدوا أن محصولهم سيكون بائرا ! ولعلهم أخذوا اسمه من عصارته التي يُعتقد أنها مُرة، ولذلك ضربوا بها المثل في سراة بني عمر وزهران، فقالوا : (كلامه أمر من الصَّاب). وقد تذوقت شيئا يسيرا من تلك العصارة، فلم أجدها مرة بل حرارة ملهبة، صُمت من شدتها أذني وذرفت عيني، وبقيتُ نحو ساعة أجد حرارتها على تلك الحال .

وأهل جبال الرَّيْث وسلا ومُنْجِد والمنخفضات القريبة من جبال فيفا كالعارضة والحميرة وصيابة وعيبان يميزون بين النوع الأول والثاني من الصاب، فيسمون الأول (المُرار) كأهل فيفا، وأما النوع الثاني فيسمونه (المَهْيَا) وكذلك يُسمى النوع الخامس في جبال الريث، مع علمهم بالفرق بين النوعين . والعوامر من تهامة خثعم ينطقونه (المَهْيَن) أبدلوا النون من الألف . وسمعت أهل جبل صَبر يسمونه (الصَال) بإبدال اللام من الباء . وأخبرني دليلي الريثي أنَهم كانوا يخلطون عصارة النوع الثاني خاصة مع اللحم الحنيذ ؛ لعلاج الملاريا، فيأكله المريض بالرغم من حرارته الشديدة، ولكنه يصح بعده، ويجد نشاطا في بدنه



● النوع السادس : قَشُّو _ *E. spiralis*

يدوم طويلاً . وأخبرني رجل من أهل وادي قَنَوْنا من تهامة بالقرن أنهم كانوا يستدلون بظهور أزهار هذا النوع، أو ظهور أزهار السَّلَم على قرب ظهور طَلْع النخل . ورأيت النوع الثاني من الصاب في جنوب جبال اليمن وسهولها التهامية، فبعض أهلها يسميه (الصَّيَّاب) كأهل العبادل وسلا، ومنهم من يسميه (المَحْط) وآخرون يسمونه (القَصَاص) وذكر الأخيرين الهمداني في (صفة جزيرة العرب) قال : ((وهو حالق للبواسير، ولا تصيب هذه العلة أحدا بخيوان؛ لاستعمالهم إياه في القدور، ويُعقد بالعسل، ويُهدى، وأهدى منه بعضُ سلاطين تهامة إلى العراق، وجَرَت كُتبٌ إليه أن احتفظ بحظائر هذا الشجر، فأعلمهم أنه نبات قبائل وادعة وأرْحَب)) (٥) .

---

(١) النَّبات٣٧ . (٢) أي قطرة . (٣) النَّبات ٣ / ٩٧ .

(٤) النَّبات ٣ / ٩٧ . وينظر: ديوان سويد بن أبي كاهل٣٩، وأبي العتاهية ٢٣٠، وابن الرومي ٢ / ٤٨٢، ٤ / ١٥٣٠، وشرح أشعار الهذليين ١ / ١٢٠، ٣٠٧، ٢ / ١٠١٤، ١٢٨٠، والمنتخب في محاسن أشعار العرب ٢ / ٢٨١، ومنتهى الطلب٩ / ٧١، والغريب المصنف ١ / ٤٣٨، والمنتخب٢ / ٤٦٣، والمخصص ١١ / ١٤٤، ونظام الغريب ٢١٧، وجامع ابن البيطار ٢ / ١٠٣، والعمدة ٢ / ٣٩٨، والعين ٧ / ١٦٧، والجمهرة ٢ / ١٠٢٤، وتهذيب اللغة١٢ / ٢٥٤، والصحاح ١ / ١٦٦، والتكملة ١ / ١٨٦، والقاموس ١٣٦، والتاج ١ / ٣٤٠ (صوب) .

(٥) ص ٣١٨ . وينظر : المخصص ١٢ / ٨ .





خبت القوعاء، ومن خلفه يرى جبل نخرة _ شمال المظيلف

الصَّوْم



قال أبو حنيفة: ((والصَّوْم: شجر قبيح المنظر جدًا، له هَدَب، ولا تنتشر أفنانه، ولكن ينبت نبات الأثل مع قبح منظر، ولا يطول ذلك الطول. وقيل هو ممسوخ؛ ولذلك يشبه من بُعد شخوص الناس. وأكثر منابته بحداب بني شبابة من الأزد. لا يأكله شيء، ولا فيه منفعة)) (١).

وقال الجوهري : ((الصَّوْم شجر في لغة هذيل)) (٢).

وفي المحكم : ((الصَّوْم: شجر على شكل شخص الإنسان كريه المنظر جدًا، يقال لثمره: رؤوس الشَّياطين، يُعنى بالشَّياطين الحيَّات، وليس له ورق. وقال أبو حنيفة: للصَّوم هَدَب، ولا تنتشر أفنانه. ينبت نبات الأثل، ولا يطول طوله. وأكثر منابته بلاد بني شَبَابة. قال ساعدة بن جؤية :

مُوَكَّلٌ بِشُدُوفِ الصَّوْمِ يَرْقُبُها   من المناظرِ مخطُوفُ الحَشَا زَرِمُ

شدوفه : شخوصه . يقول : يرقبها من الرُّعب، يحسبها ناسا . واحدته صَوْمة)) (٣).

الصَّوْم

Euryops arabicus

COMPOSITAE - الفصيلة المركَّبة



قلت: الصَّوْم شجيرة جميلة معمرة، منابتها شعاف جبال السَّراة، على ارتفاع ١٨٠٠ – ٢٧٠٠م . وهو ينبت في مساحات واسعة، وأكثر منابته الحداب الصخرية ذات التربة الحمراء أو البيضاء المحمرة بين صخور (الجرانيت) وأشجار العَرْعَر والشَّثّ والطُّبَّاق، شاهدته في شعاف الطائف مرورا بديار بني سعد إلى ترعة ثقيف وبجيلة جنوبا، ثم أجزاء من سراة بني عمرو وبني شهر إلى سراة عبيدة من ديار قحطان .

ترتفع الصَّوْمة قدر ٥٠ – ٧٠ سم. وهي تتفرع من أصل واحد على هيئة كروية، فتظهر للرائي من بعيد، ولاسيما في الليالي المقمرة، كأنها رجل قاعد . وله، بخلاف ما ذكر ابن سيده، أوراق كثيفة



خضراء لامعة، طولها نحو ٣سم، وعرضها نحو ١,٥مم . تخرج أزهاره مجتمعة بكثافة على قمم الأغصان . لونها أصفر بهيج، تبقى زمنًا طويلاً لا تذبل، ولها رائحة خفيفة طيبة. وهو شديد الشبه بالطُّبَّاق، لا يفرق بينهما الناظر من بعيد، وربما خلط بينهما غير الخبير المدقق . ولا ينبت الصَّوم نبات الأثل كما ذكر أبو حنيفة، فلا تشابه بينهما لا في الحجم ولا الهيئة ولا الطول. وليس بالصورة القبيحة التي ذكرها أيضًا، بل هو نبات جميل ذو منظر ورواء؛ صالح لتزيين الشوارع والحدائق وأفنية المنازل .

ويخرج على سيقان الصوم عصارة صمغية صغيرة، يستعملها أهل عسير وبنو الحارث وأهل ترعة ثقيف لعلاج الجروح، فتعجل بشفائها. ويمضغها بعضهم، لأمراض الفم واللثة خاصة. ويتخذون من أغصان الصوم مكانس، لتنظيف مراح الحيوانات، وأفنية المنازل ومداخلها .

ولا يزال الصَّوْم معروفا باسمه هذا من ديار هذيل إلى بجيلة (بني مالك) . وفي سراة عسير يسمونه (الجَبرَ)، والشائع عند أكثرهم (اليَبرَ)، بإبدال الجيم ياء، وربما نطقه بعضهم (الأَيْبرَ) بهمزة قبل الياء . وسمعت أهل الجبل الأخضر شمال عُمان يسمونه (الحُنْقُلان) ويستعملون أوراقه بعد تجفيفها لعلاج الجروح أيضًا، ومن أعواده





الصغيرة يتخذ النساء مراود للاكتحال . ورأيته بأعداد كبيرة في جزيرة سقطرى، فوق فراع جبال دِقْسِم وحِجْهر، وسمعت أهل تلك الجزيرة يسمونه (بِتِعْهِن) ويتخذون منه، أَيَضًا، المكانس .

---

(١) المخصص ١١ / ١٤٣- ١٤٤.

(٢) الصحاح (صوم) ٥ / ١٩٧٠ .

(٣) المحكم (صوم) ٨/ ٢٥٨ . وينظر : النَّبات للأصمعي ٣٦، وشرح أشعار الهذليين ٣ / ١١٢٥، والمخصص ١١ / ١٤٣- ١٤٤، والفرق بين الحروف الخمسة ٤٨٦، والتكملة ٦ / ٧٥، واللسان ٧ / ٤٤٦، والقاموس ١٤٦٠، والتاج ٨ / ٣٧٣(صوم) .





الصوم باعداد كبيرة جدا فوق مرتفعات حجهر (الحجارة) _ جزيرة سقطرى

الصَّوْمَل

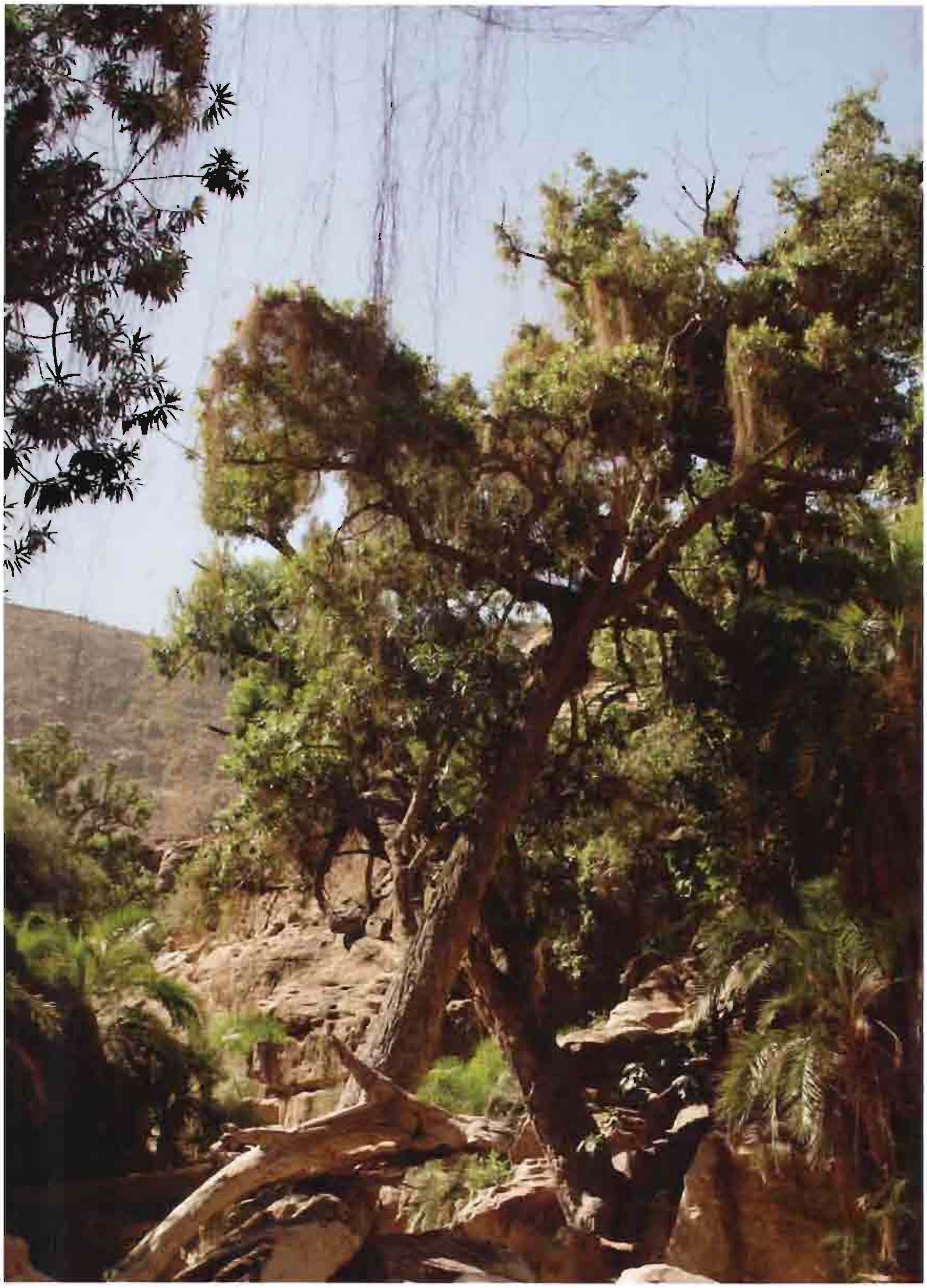


لم يذكر القدماء هذه الشجرة المهمة بأكثر من قولهم : ((هي شجرة بالعالية))(١) . والعالية، عند العرب، ما كان فوق أرض نجد إلى أرض تهامة(٢)، فيدخل في هذا التعريف جبال السَّراة، وأوديتها الغربية المفضية إلى سهول تهامة . والصَّوْمل من نبات أودية الأغوار الدافئة الرطبة، ولم أشاهده قط في الأودية المنحدرة إلى الشرق نحو سهول نجد .

الصَّوْمَل

Breonadia salicina

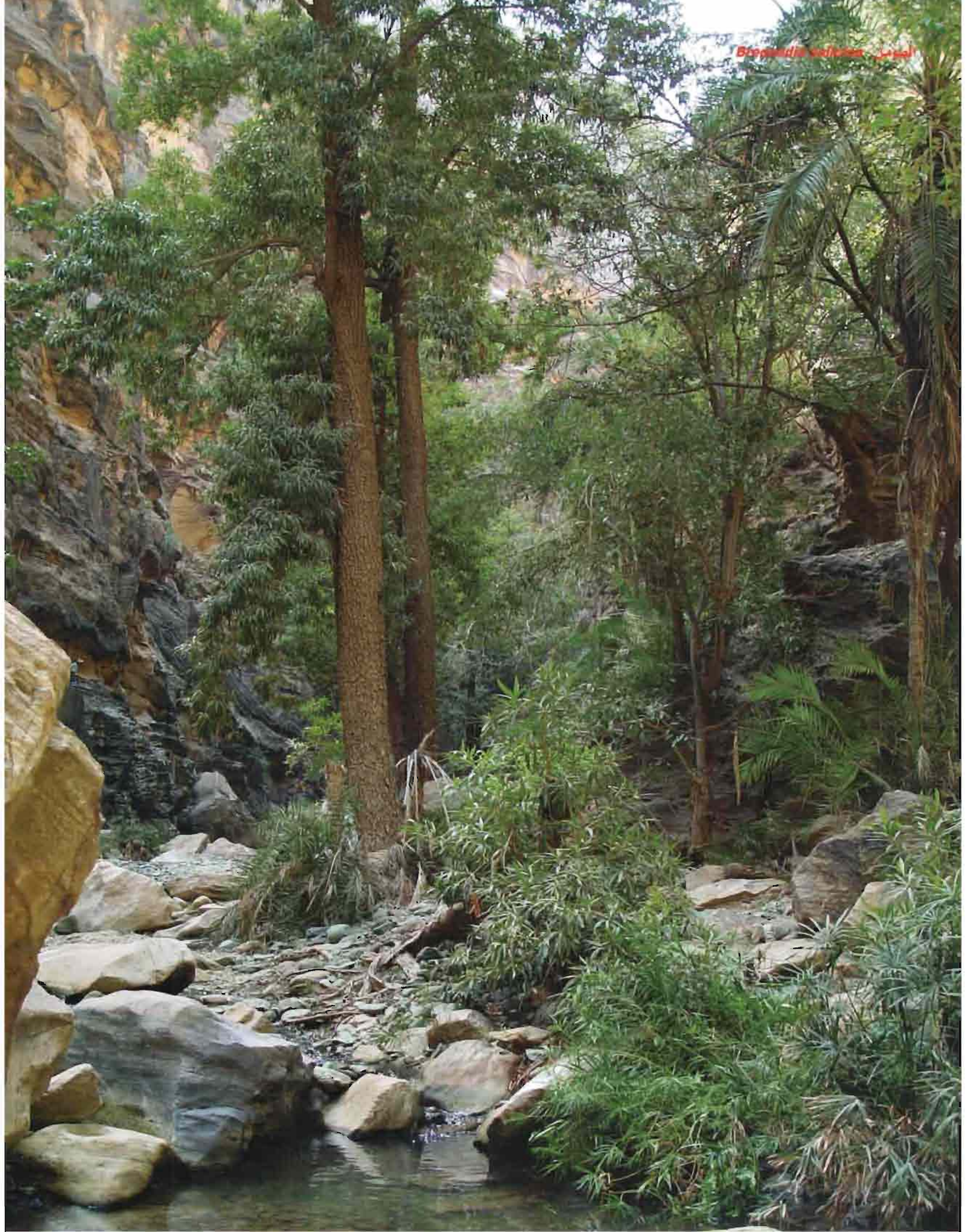
الفصيلة البُنيَّة - RUBIACEAE



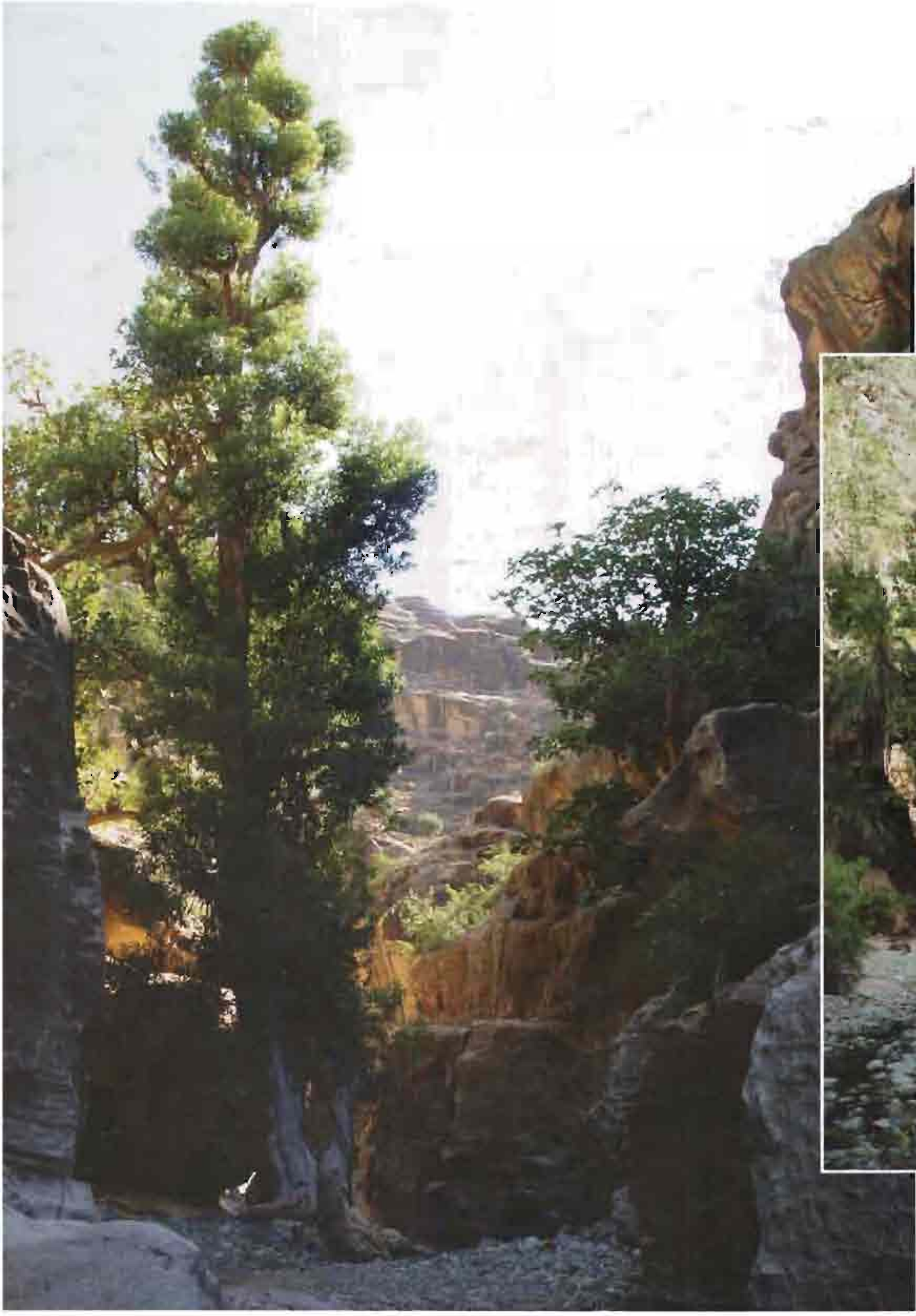
قلت: الصَّوْمَلة شجرة عظيمة، ظليلة، معمرة، نادرة. تنبت، في الغالب، حيث نبت اللَّبَخ، في بطون الأودية الرطبة العميقة على ماء جار، أو قريب من السطح، على ارتفاع ٩٠٠ – ١٣٠٠م .

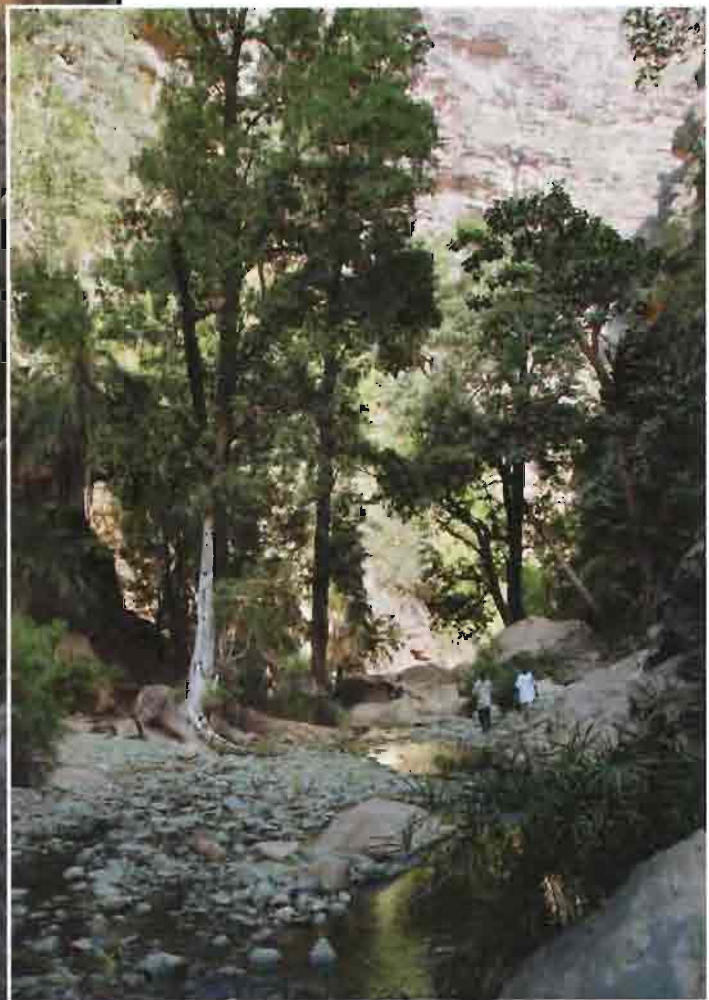
ترتفع الصَّوْمَلة نحو ٢٠ – ٥٠م على جذع خشن، بني مغبر، غاية في الضخامة، يشبه جذع اللَّبَخَة، وربما زاد محيطه في الشجرة الضخمة المعمرة على ٨ م . أوراقها كثيفة، شديدة الخضرة، بيضاوية الشكل، سِنانية، متطاولة، متوسطة الثخانة، تشبه كثيرا أوراق الأثب. تُعلف للأغنام في أزمنة القحط وقلة المرعى . والأزهار صفراء اللون، كروية الشكل، تتكون من زهيرات كثيرة، ملتصق بعضها ببعض، لها رائحة عطرية طيبة . والنحل يثمرها.

تعرف الصَّوْمَلَة بهذا الاسم في جميع تهائم السَّراة، وتشتهر بأنها من أفضل أشجار القطران، وربما فضل بعض الناس قطرانها على قطران المظ والشَّذا (الغُراب) وفي تهامة خثعم يستعمل النساء سَمْنَة الصومل دهانا للرأس، فتطيل الشعر، ويفوح منها رائحة جميلة، والسَّمْنَة أول سائل يتحلَّب من الأعواد عند حنذها، ويعقبها المُهْل، وهو سائل رقيق مخضر يميل إلى السواد، ثم يعقبها القطران، وهو سائل ثقيل بني يميل إلى السَّواد . وأخبرني غير واحد ممن تنبت الصَّوْمَلة في أرضهم بأنهم يصنعون من خشبها الخلايا، وكذلك الأبواب والنوافذ، ويسقفون به المنازل،



Breonadia salicina الموص

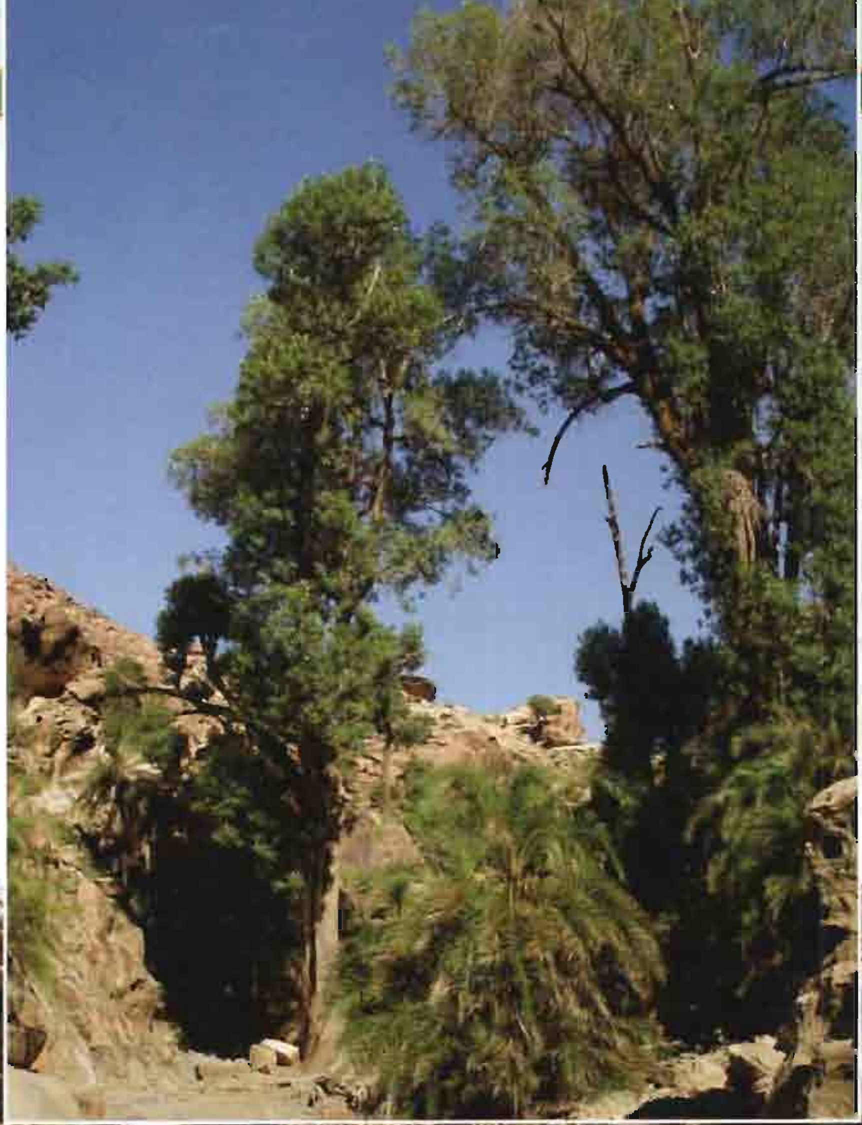




ويتخذون منه وقودا جيدا، ونحو ذلك مما ينتفع به .

وهذه الشجرة نادرة بحق، شاهدتها لأول مرة مع اللَّبَخ في وادي الجَوْف من روافد وادي الحِنَّاء من تهامة خثعم . ثم في وادي الجَوْف من أودية جبل شدا الأعلى، ثم في وادي النَّضْر من أصدار بلقرن، ثم في وادي لَجْب ورَيْدَان وعِثْلِم، والأخيران واديان صغيران يرفدان وادي لَجْب، وهذا الأخير وادٍ ضيق جدًا، غزير المياه، كثيف النَّبات، كثير الكهوف والانكسارات، يتخلل صخورا رسوبية شقتها السيول، عبر ملايين السنين، على هيئة أخدود عظيم، ترتفع جوانبه

نحو ٧٠٠ – ٩٠٠م، وتنتصب باستقامة كجدار عظيم. وسيوله تنحدر من جبل القهر وما جاوره من جبال الرَّيْث، وكذلك جبال الصهاليل والعِزِّيْن، حتى تنتهي في وادي بَيْش، وهو من عجائب الخلق . وقد رأيت الصَّوْمَل في هذا الوادي بأعداد كبيرة، وارتفاعات عالية جدًا؛ وذلك لضيق الوادي، وكثافة الشجر، وغزارة المياه، فهي هنا كالأشجار الاستوائية تسمو عاليا حتى تجد نصيبها من الضوء . وشاهدتها كذلك، بأعداد لا بأس بها، في وادي العين من أودية جبال العبادل. وفي اليمن شاهدتها في أودية كثيرة، ولم أجد أحدا هنالك يعرفها باسم الصَّوْمل، إنما يسمونها (الذَّرَح) وربما (الدُّنْدُل) . ورأيتها في واد من جبال



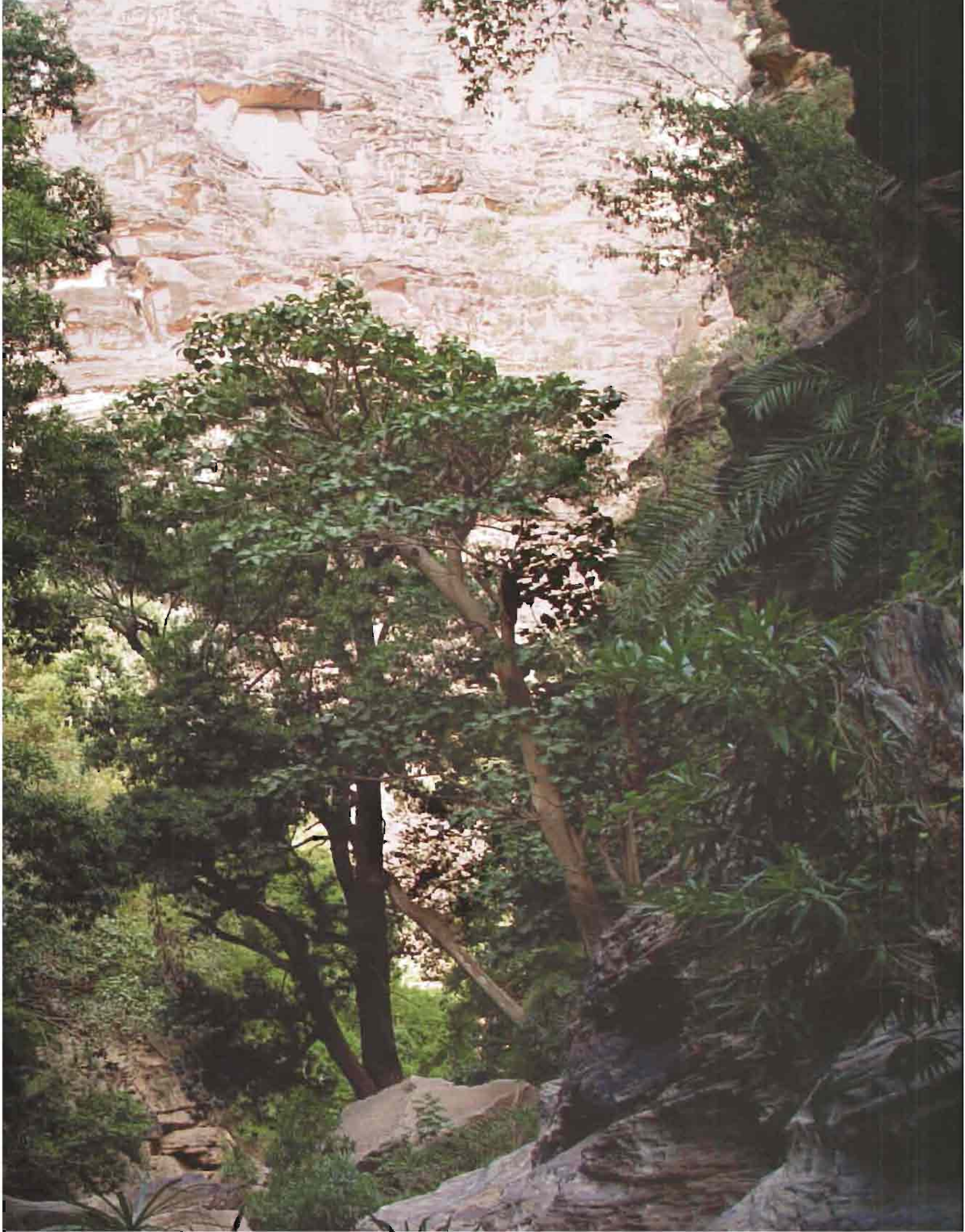


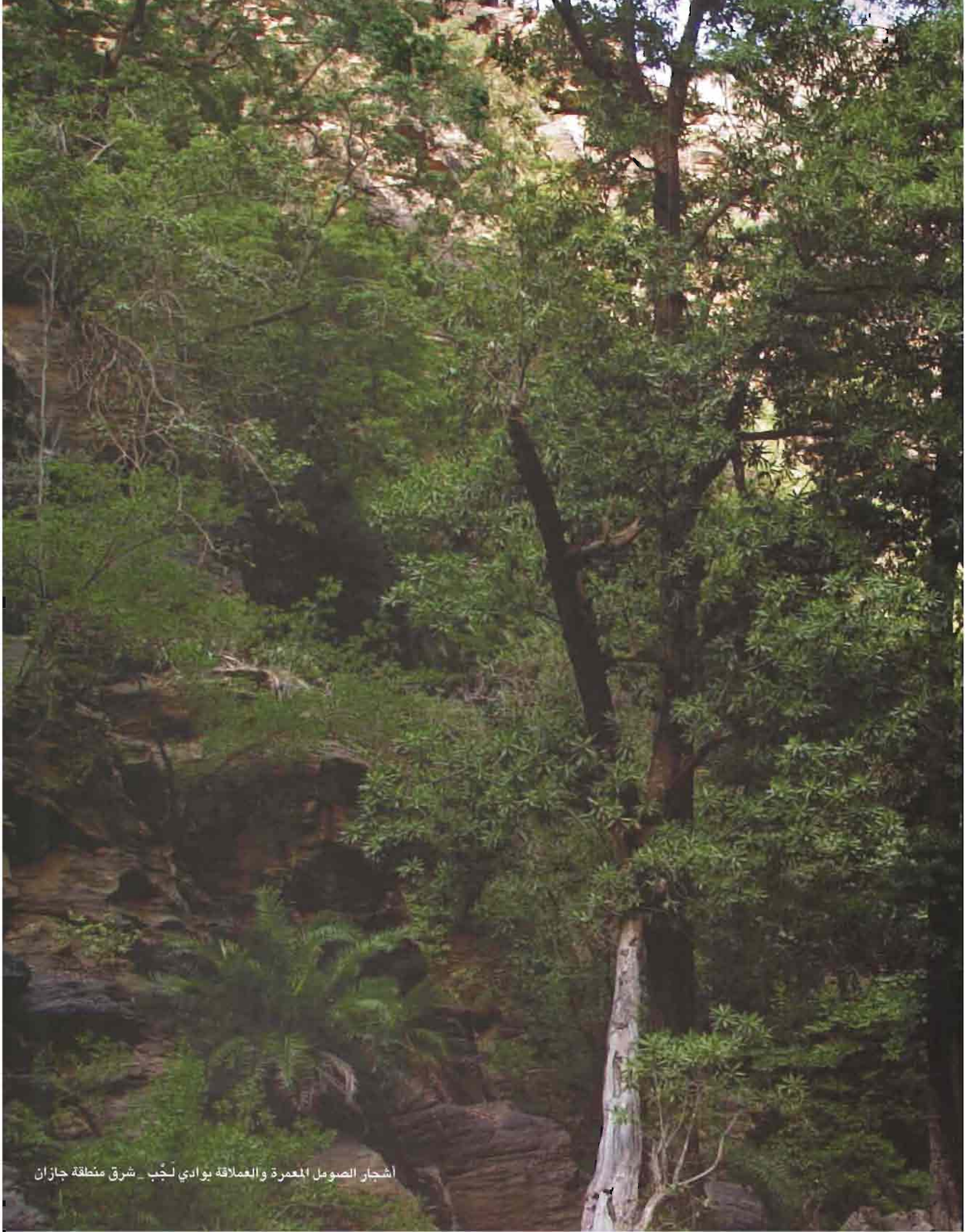
حَجَّة اليمنية يسمونه (وادي ذَرَح) لكثرة ما ينبت به من هذه الشجرة . وفي عبارة مقتضبة أيضًا، ذكرت المعاجم الذَّرَح، وأنه شجرة تتخذ منها الرِّحَال للإبل(٣) . ولعلها لغة مرادفة للصَّوْمل من قديم .





(١) العين ٧ / ١٣١، والتهذيب ١٢ / ٢٠٠، وشمس العلوم ٦ / ٣٨٢٤، والتكملة ٥ / ٤١٥، واللسان ٧ / ٤٠٩، والقاموس ١٣٢٣، والتاج ٧ / ٤٠٧ (صومل) .
(٢) اللسان (نجد) ١٤ / ٤٦، والقاموس (علو) ١٦٩٤ .
(٣) العين ٣ / ٢٠٠، والتهذيب ٤ / ٤٦٣، والمحيط ٣ / ٦٦، والتكملة ٢ / ٢٥، واللسان ٥ / ٣٢، والقاموس ٢٧٨، والتاج ٢ / ١٣٩ (ذرح) .





أشجار الصومل المعمرة والعملاقة بوادي لَجْب _ شرق منطقة جازان

الضَبر ١٣



قال الأصمعيُّ: ((ومن نبات جبال السَّراة ... الضَّبر، وهو جَوْز الجبل)) (١) .

وقال ابن دريد: ((الضَّبر: ضرب من الشَّجر يقال إنه الرُّمَّان الجبلي)) (٢) .

وقال الجوهري: ((الضَّبِر : جَوْز البرِّ، وهو جَوْزٌ صلب، وليس هو الرُّمَّان؛ لأن ذلك يُسمَّى المظَّ)) (٣) .

قال أبو حنيفة: ((الضَّبِر بكسر الباء، لغة في الضَّبْر، بالإسكان، لشجر جوز يكون في جبال السَّراة، ينور ولا يعقد. قال: وسمعتها من العرب مكسورة الباء، وكذلك رواه آخرون عن الأصمعي. الواحدة ضَبِرة. قال: وأخبرني أعرابي من أهل السَّراة – وهي معدن الضبر – قال: الضَّبِر شجرة عظيمة في عظم شجرة الجوز العظيمة، وورقها مدور عظيم، نحو الكف، وهي كثيرة الورق جداً؛ ولذلك هي ظليلة)) (٤).

وقال: ((وبالسَّروات شجر جَوْز لا يُرَبَّى، وذكر الأصمعي أنه الضَّبِر، وسألت عنه بعض أهل السَّراة فعرف الضَّبِر، ثم أنكر أن يكون جوزاً أو يشبهه)) (٥) .

قال: ((ويقال : أظل الظِّلال ثلاثة : ظِلُّ الضَّبِرة، وظِلُّ التَّنْعِيْمة، وظِلُّ الحَجَر)) (٦) .

الضَّبر
Dobera glabra

SALVADORACEAE - الفصيلة الأراكيَّة



قلت: الضَّبر، والمفرد ضَبرَة، شجرة معمرة، دائمة الخضرة، جميلة المنظر، كثيفة الظلال، تَنبت في سهول البحر الأحمر في بطون الأودية المنحدرة من أعالي جبال السَّراة، ثم تصعد إلى الأسناد والتلال الصخرية عند أقدام تلك الجبال حتى ارتفاع ٩٠٠م .

تقوم الضَّبرة على جذع أغبر مسود خشن الملمس، صلب كجذع العتم، ثم تتفرَع، في الغالب، على شكل قبة مستديرة بارتفاع ٥ – ٧م، ويتدرج لون الأفرع الحديثة من الأخضر الباهت إلى اللون الرمادي المائل إلى البياض. وهي مورقة جدًا، وأوراقها كثيفة الخضرة، قصيرة الأعناق، كاملة الحواف، رأسها بيضاوي أو شبه حاد، تشبه ورق الليمون مع ثخانة زائدة، وتستطيل الأوراق ويزيد حجمها كلما علت الشجرة في منابتها، وربما ظهر بعض أوراقها على شكل دائرة تامة. وهذه الأوراق ثخينة متماسكة





يبني الحمام الدُّبْسي (الجمام) أعشاشه بين أغصان الضبرة



تسودُّ الصخور تحت الضبرة سوادا شديدا


تحافظ الضبرة على خضرتها الزاهية حتى في مواسم الجفاف القاحلة

القوام، تحدث صوتا عند كسرها، ويغلفها طبقة شمعية رقيقة، فهي تختزن الماء وتمنع تبخره، فترى الضبرة في الجبال القاحلة المجدبة كأنها على شاطئ نهر، والأشجار من حولها جافة أو يابسة. ورأيت بعض أنواع الطيور تأوي إليها وتبني أعشاشها، فلا تُري؛ لكثافة أوراقها . أزهارها صغيرة بيضاء تميل إلى الصفرة قليلاً، تخرج على هيئة عناقيد، والزهرة كأسية متوجة بأربعة فصوص، ولها رائحة طيبة خفيفة. أما جناها فيظهر أخضر قاتما لونه يميل إلى السواد، ثم يكبر حجمه ويتغير لونه حتى يصير في حجم ثمرة المشمش الصغيرة، ولونه أبيض يميل إلى الصفرة قليلا . وهو لذيذ يأكله الناس، بعد أن تزال قشرة الثمرة، فيظهر تحتها طبقة طرية زاهية الحُمرة، فيمصونها حتى العَجَمَة ثم يلفظونها.

وأخبرني رجل شدوي من أهل العرباء، وآخر من جبال الرَّيْث بن خولان أنهم كانوا يطبخون جناها، ويجعلون ملحه من الرماد، إذ لا يصلح له ملح الطعام المعروف! وأخبرني آخر من أهل شدا الأسفل أنهم كانوا يقطفونه قبل أن ينضج فيكتبون به على الحجارة فتبقى الكتابة زمنًا طويلاً لا تزول . وفي ديار بني ناشر من بني عُمر وديار العوامر من تهامة خثعم يسمون جناها (المُصَع) وربما سموا به في ديار بني ناشر الشجرة نفسها. وفي اللغة المُصَع ثمر العوسج (٧) .

والقرود حريصة جدًا على أكل ثمر الضبر، تأكله من فور ظهوره، وقد مكثت زمناً لم أتمكن من تصويره؛ حتى علمت أن بالخَبْت ضبرًا لا تصل إليه القرود، فزرته في صيف عام ١٤٢١هـ


الضّبر - Dobera glabra



فألفيت به ضبرا كثيرا نابتا في بطون الأودية القريبة من سِيْف البحر، متوسدا الرمال كالأراك تماماً، ووجدته كثير الثمر، وكان دليلي من قرية عَمَارات، وهي من منابت الضبر، يحذرني الاقتراب منه، إذ يعتقدون من أزَمنة قديمة أنها مأوى للجن والأرواح الشريرة، وأنها تجنّ كنوزا تحرسها أنواع من الثعابين الخطرة، وأن الدنو منها يتبعه الشؤم، وربما جر الثكل واليتم، ولذلك ما عرفوا أن لها ثمرا يؤكل، برغم أنها لا تبعد عن مساكنهم كثيرا، فدنوت منها وصورت ثمرها، وأكلت منه، وهو ينظر إليّ وجلاً مشفقا، فلما رآني لم أصب بمكروه دنا من الشجرة وأكل من ثمرها فاستطابه، وأسف لجهلهم بهذه الشجرة وثمارها المغذية؛ بسبب ما حيك حولها من أساطير أخافت الناس، ومنعتهم الإفادة منها أزمنة طويلة، ولاسيما أزمنة الجوع الخالية .

ولم أشاهد للضبرة نشوا صغيرا قط. وكانت تزرع في مناطق كثيرة من تهامة عسير وجازان على أطراف الحقول الزراعية؛ لأجل ظلها الكثيف. ورأيتها بأعداد كبيرة جدا في سهول الحِقْو وهَرُوْب شرق منطقة جازان بعيدا عن الحقول الزراعية. ولا أعلم هل نبتت هنالك من تلقاء نفسها ؟ أو قد زُرعت منذ زمن قديم، فبقيت الشجرة، واندثرت الحقول. وربما قطعها بعضهم لصنع خلايا النحل، وذلك نادر قليل لثقل عودها، وصعوبة نحته .

والضِّبرة تشبه الجوزة شيئا قليلا، لكنها ليست جوزا، ولا هي من فصيلته، بل تعد في التصنيف النَّباتي أختا لشجرة الأراك، وقد أبعد النُّجْعَة من قال إنها جوز البر، وأبعد منه الذي قال إنها الرُّمَّان الجبلي .

والضبرة من الأشجار الجميلة المثمرة الكثيفة الظل، وهذا يرشحها لأن تكون من أهم أشجار الزينة والظل في شوارعنا وحدائقنا وأفنية منازلنا، لا سيما أنها من خير الشجر تحملا للأحوال المناخية







القاسية، كما تقدم . ولكنها بطئية النمو .

وتنطق في تهائم عسير وجازان (الضَّبْرْ) بإسكان الباء وكسرها، والإسكان أكثر شيوعًا في مناطق شرق جازان، وربما نطقها بعضهم (الضِّبْرْ) بكسر الضاد وإسكان الباء، وكذا تُنطق في نواح من جبال حَجَّة اليمنية . وسمعت دليلي من أهل جبال الريث ينطقها (الضَّبْرْ) ويخرج الضاد بصوت نحو اللام أو الثاء المفخمة . وفي منطقة الضَّحْي شمال غرب اليمن تُنطق (الضَّبَرَ) بفتح الأول والثاني .

كشط غلاف الثمرة يُظهر اللب الأحمر الذي يؤكل >

---

(١) النَّبات٣٦ . (٢) الجمهرة ١ / ٣١٥ . (٣) الصحاح (ضبر) ٢ / ٧١٨. (٤) التكملة ٣ / ٧٩–٨٠.

(٥) النَّبات ٥ / ٨٦، ٣ / ٢١٩.

(٦) النَّبات ٥ / ٧٢ . وينظر: غريب الحديث لابن قتيبة ٣ / ٦٧١، والمنتخب٢ / ٤٦١، وصفة جزيرة العرب ٢٤٧، والروحة في الضاد والظاء (١ / ق ٢٧٢) ، والفصوص ٢ / ١١٠، والمخصص ١١ / ١٤٣، والفرق بين الحروف الخمسة ٢٣٠، والفائق ٣ / ٣٧٣، والروض الأنف ٤ / ٢٥٠، والعمدة ٢ / ٤١٣، وشمس العلوم ٦ / ٣٩٠٩، واللسان ٨ / ١٤، والقاموس ٥٤٩، والتاج ٣ / ٣٤٧ (ضبر) .

(٧) اللسان (مصع) ١٣ / ١٢٦ .



أعالي وادي ناوان حيث منابت الصبر _ غرب شدا الأسفل



الضَّرِف



روى ثعلب عن ابن الأعرابي قال: ((الضَّرِف،مثال كَتِف: شجر التِّين، ويقال لثمره البَلَس، الواحدة ضَرِفة)) (١). ووافقه ابن الأجدابيِّ وصاحب كتاب الرَّوْحَة عن أبي زياد ففسرا الضَّرِف بالتِّين أو الحَمَاط (٢).

وقال أبو حنيفة: ((الضَّرِف: من شجر الجبال، وأنه يشبه الأثأب في عظمه وورقه، إلا أن سوقه غُبْرٌ مثل سوق التِّين، وله جَنى أبيض مدور مُفلطح، كتين الحَمَاط الصغار، مُرٌّ يضرس، والناس يأكلونه، وتأكله الطير والقرود. والواحدة ضَرِفَة)) (٣).

الضَّرِف
Ficus ingens

الفصيلة التُّوتِيَّة - MORACEAE

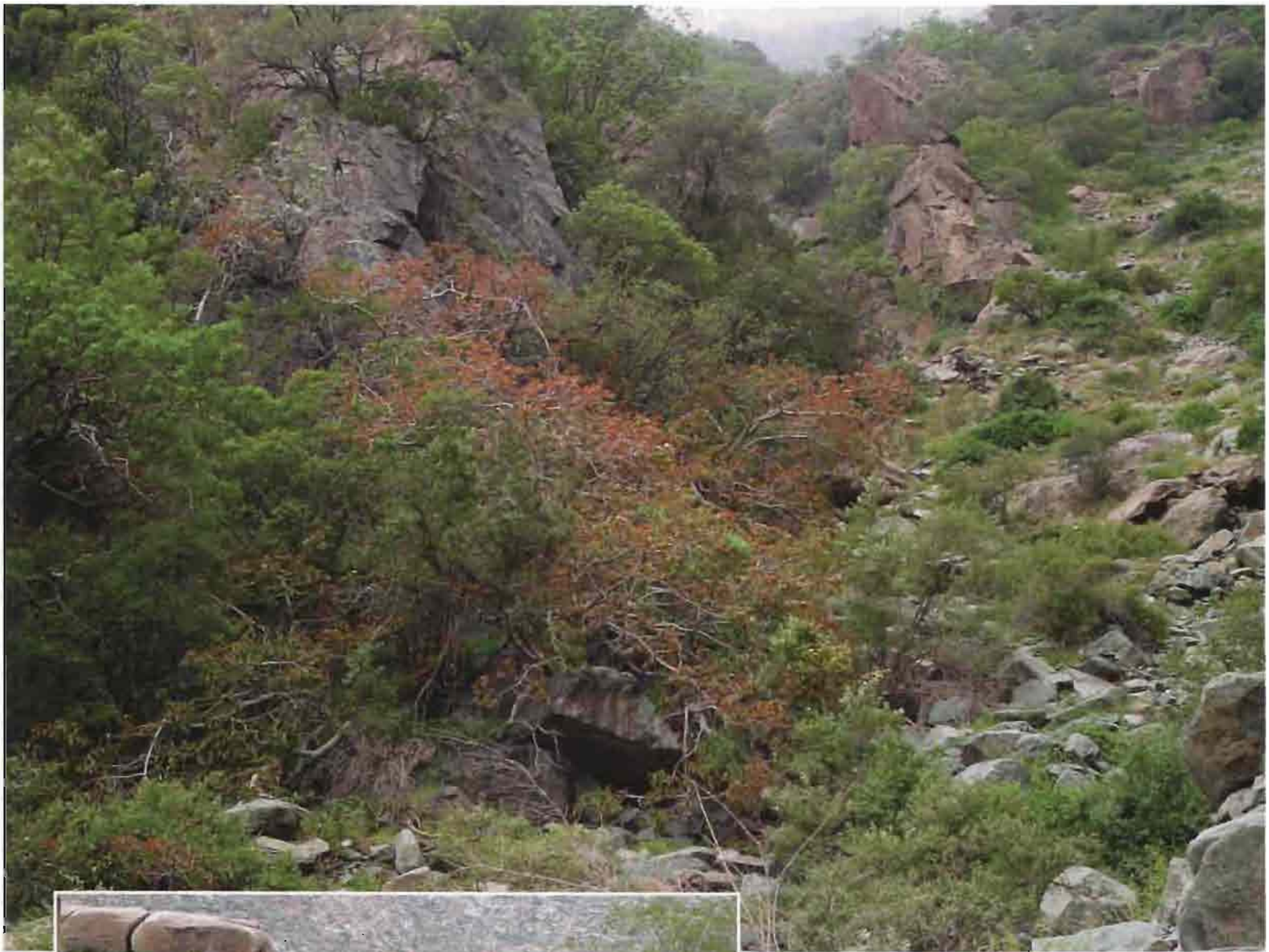


قلت: الضرِفَة شجرة كبيرة، مورقة، ظليلة، ترتفع نحو ٣ – ٧ م، ثم تتفرع في الأفق على هيئة مظلة قطرها نحو ١٠م ، وربما وصل إلى ٢٠م . منابتها ضفاف الأودية بين شقوق الصخور، على ارتفاع ٩٠٠ – ١٨٠٠م، ويكثر نموها في الأصدار حيث المناخ المعتدل الرطب، على ارتفاع ١٥٠٠م . وكثيرا ما تنبت مائلة أو متدلية، أو باركة على الصخور حولها . وشاهدتها في الحَبَلة من ديار قحطان قائمة على جذع رأسي يزيد ارتفاعه على ١٥م . وساقها أغبر مائل إلى البياض، والأغصان الصغيرة يغلب عليها اللون البُني، أما الحديثة النمو فتظهر بلون أخضر. وربما نشأ من أغصانها العلوية عروق هوائية صغيرة تتدلى إلى الأرض، وتنغرس فيها، وتعظم مع الزمن حتى تصبح ساقا آخر داعما للشجرة، فتظهر بأشكال غريبة، ولم أشاهد هذه الظاهرة في الضرف إلا في وادي











العين، أحد أودية جبال العبادل شرق منطقة جازان، وهو واد رطب عميق كثيف الشجر، وربما كانت صنفا آخر من الضرف، لكنها شديدة الشبه به. وأوراقها خضراء نضرة يانعة تشبه ورق الأثب لكنها أطول وأعرض، تنحتُّ شتاء، وتظهر في فصل الربيع ناعمة بلون أحمر مشرق جميل، فتكتسي الجبال من حسنها منظرا بهيجا، ولاسيما عند شروق الشمس وقبل الغروب. ولها ثمر شبيه بثمر الأثب، لكنه أكبر قليلاً، ومفلطح، كما قال أبو حنيفة، يظهر أخضر، ثم يصفر، وعند تمام النضج يصير لونه ورديا، أو بنفسجيا، أو أحمر إلى سواد قليل، موشى بنقاط بيضاء تميزه عن ثمار الأثب والبدع . وربما ظهر عند النضج بلون أبيض





مصفر، موشى بنقاط بنية باهتة . وليس بالمر كما روى أبو حنيفة، بل هو حلو لذيذ ذو رائحة طيبة، كان الناس وما زالوا يأكلونه، وفي أزمنة خلت كانوا يأكلون البذور بعد طحنها. وتأكله كذلك الغنم والطيور والقرود بنهم شديد .

وتُعلف أوراقها في الجدب للأغنام . ويصنعون من سيقانها الصحون والصحاف الكبيرة، ومراكب الجمال . ومن لحائها الجدائل والحبال الصغيرة، وخشبها كخشب الرُّقع لا يصلح للوقود .

وفي صدر كَرْمة من أعالي وادي دارا من ديار بني عُمَر، واد يقال له : المَضْروف، سمي بذلك، لكثرة ما كان ينبت به من الضرف، ولم يبق منه اليوم سوى شجرة واحدة أو شجرتين في حالة بائسة .

وقد وهم ابن الأعرابي ومن تبعه حين فسروا الضَّرف بالتِّين، وثمره بالبَلَس، فالتِّين والضرّف نوعان متباينان من الفصيلة التوتية (التينية) وأما البلس فهو من أسماء التين البري (الحماط) في لغة أهل اليمن، وبعض أهل السَّراة أيضا، وقد مر في الكلام عن الحماط .

وتُسمى الضرفة في جبال العبادل ورازح وخولان بن جماعة





اليمنية (شِرْفَة) بقلب الضاد شينا مكسورة، وفي جبال الرَّيْث والقَهْر (ضِرْفة) بكسر الأول وإسكان الثاني، وينطقون الضاد بصوت يأخذ من خصائص الفاء أو الثاء، فيصعب تمييزه، وكذلك ينطقها أهل جبال فيفا . وهي (الضَّرْفة) بفتح الأول وإسكان الثاني في الحَبَلَةِ من ديار قحطان . وسمعت بعض أهل جبال الريث ينطقها (الضِّراف) بزيادة الألف . وتُسمى في ديار هذيل وبني سفيان من ثقيف (القِشْد) كأنهم أخذوه من عصارته الشبيهة بقشدة الحليب . وفي جبال حجة اليمنية يسمونها (البَدَعة)، والكثير (البَدَع) . وفي جبل صَبِر وجبال الحَيْمَة وجزيرة سقطرى يسمونها الأَثَبَة، ولا يفرقون . وقد رأيتها بوفرة مع الأثأب في جزيرة سقطرى، وأهل هذه الجزيرة ينطقونها (إتْإب) أي الأثأب، وقد تقدم . وسمعت أهل ظفار يسمونها (ضِرْفِيْت) أي الضرفة . ونطق الهاء تاء مفتوحة





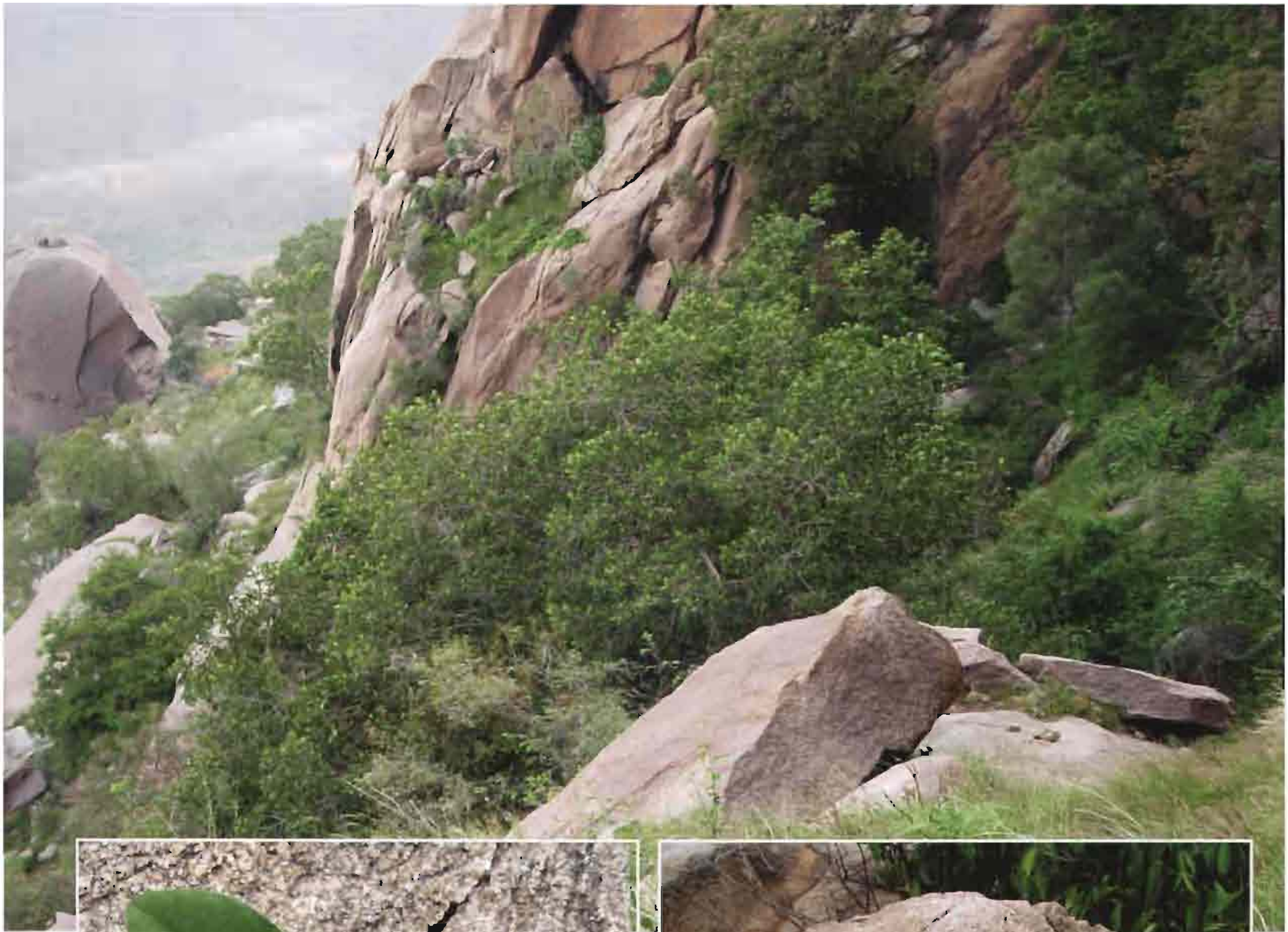


● البدعة _ *F. glumosa*



لغة حميرية قديمة، ما زالت شائعة في نواح من جنوب الجزيرة العربية .

وكنت أعتقد أن هذه الشجرة لا تنبت في جبال الحجاز، لكن ما إن أوشكت على الفراغ من هذا العمل وشرعت في إخراجه، حتى أُخبرت بأن في جبل ورقان شجرة نادرة تشبه الأثأب، تُسمى (الأَثَل) بفتح الأول والثاني . وبعد أيْنٍ وعناء وجدت رجلا مُسنًا يعرف مكانها من الجبل، فاتخذته دليلا إليها، وذلك في يوم الخميس الموافق ٢٨ من شهر صفر من عام ١٤٢٦هـ. ثم سرنا من حيث وقفت بنا السيارة صعودا على الأقدام حتى انتهينا إلى شعب غائر يسمونه (العَطْشَانة) على ارتفاع ١٦٥٠م ، تحت قمة شماء تسمى (طَوَى العُوْد) فإذا هي الضرفة التي أعرف. قال دليلي: ولا تنبت في مكانٍ من الجبل إلا في ذلك الشعب . قلت: وكأنهم أرادوا أن يسموها الأَثَب، للشبه الكبير بينهما، فنطقوا باللام بدلا من الباء، ليفرقوا. وتقدم في رسم الأثأب بيانه . وفي رحلتي الثانية والأخيرة إلى







البدعة نامية في جوف صدع صخري

جبل رضوى، وهي الرحلة الخاتمة لهذا العمل، وكانت في يوم الخميس الموافق ١٥ من شهر ربيع الأول من عام ١٤٢٧هـ شاهدت الضرف بأعداد طيبة بأعلى وادي قَصَب، تحت جرف صخري شديد الانحدار، يسمونه مَلَق الشَّيْخ، على ارتفاع ١٢٥٠م . وهنا لا يسمونه الضرف، بل (الأَيْثُوْب) بتحريف يسير عن الأثب؛ للتفريق بينهما .

وأما البَدَعَة، كما تسمى في كثير من جبال اليمن وجبال السَّراة، فهي نوع آخر (*F. glumosa*) تشبه الضرفة، وهي شجرة نادرة، قلَّ أن تُرى، وربما تكون موشكة على الانقراض. رأيتها بأعداد قليلة



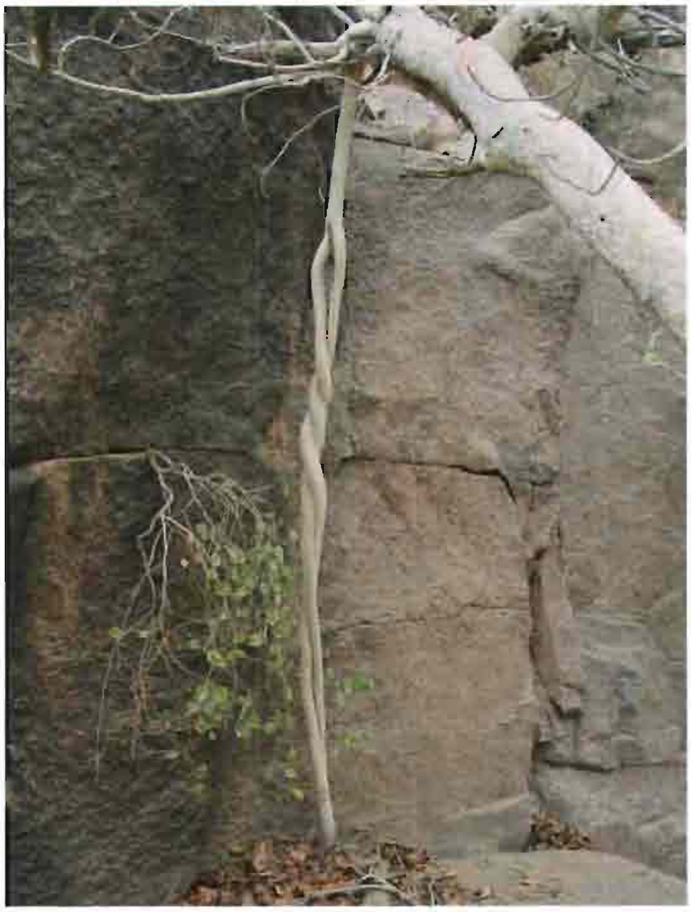
جدا في أصدار بني عمر، ثم رأيتها بأعداد لا بأس بها في جبلي شدا الأعلى والأسفل، فشاهدت نحو ثلاث منها في وادي الجوف المنحدر من قمم شدا الأعلى، وأخرى شاهدتها تحت قمة التِّحي الأسفل . ورأيتها في جبل شدا الأسفل حين زرته في الأول من شهر ذي الحجة من عام ١٤٢٢هـ رأيت بدعة واحدة بجانب الطريق في شعب يقال له: (الغَمْرة) ثم انتهى بنا الطريق الوعر إلى قمة الجبل، فانحدرت منها راجلا إلى شعب بعيد غائر، يقع في الجنوب الغربي من سفح ذلك الجبل، على ارتفاع ٩٠٠م، يقال له : (ذي هِدَى) وصلت إليه وقد غابت شمس ذلك اليوم ، فبت الليل في واحد من كهوفه الواسعة، وعند انبلاج الفجر شاهدت حولي نحو ثماني بدعات نابتة بين صخور عظيمة، ضخمة الجذوع، فارعة الطول، وارفة الظلال، وشاهدت لبعضها عروقا هوائية













عروق هوائية للبَدَعة، تتحول إلى سيقان داعمة للشجرة

تتدلى من فروعها الأفقية إلى الأرض، فتعظم حتى تصبح كالساق للشجرة، أو شجرة مستقلة .

وفي أحد السفوح الغربية من جبل فيفا شاهدت بدعة صغيرة، وسمعت دليلي الفيفي يسميها (الفَرْفَة) أراد الضرفة، فأبدل الفاء من الضاد، وهي لهجة لهم، كما تقدم، وعكس التسمية؛ للشبه الشديد بين الشجرتين . وتُسمى (البَدَح) أو (المَدَح) في نواح من أقاليم جنوب اليمن كالعُدين وما حوله .

والبدعة لا تنبت، في الغالب، إلا في الأماكن الرطبة بين المغارات الصخرية الضخمة، وهي كهوف عميقة يسميها أهل السَّراة (السُّرْبان) . وهي تشبه ، كما تقدم ، الضرفة في طريقة النمو والتفرع، إلا أن سموها أعلى، وورقها أعرض، وأشد خضرة ورواء من ورق الضرف، لا يحمر عند ظهوره، ويميل إلى الشكل البيضاوي.



• المُدح _ *F. populifolia*



وثمرها يظهر أخضر، يعلوه بثور صغيرة صفراء، وعند الإدراك يؤول إلى اللون الأبيض المصفر ثم الوردي، وقد يحمر ثم يشوبه السواد عند تمام النضج، كثمر الضرف تماما، غير أنه أكثر طراوة منه وأطيب طعما ورائحة، ويعطر بعبقه الفواح المكان الذي تنبت فيه البدعة .

ولم تذكر الأصول اللغوية البَدَعة، وقد يكون ذلك بسبب أنها شجرة نادرة جدا، وقليل من يعرفها، أو لأنها شديدة الشبه بالضرف، فظنوا أنهما شجرة واحدة . وهي بحق شجرة نادرة، وهي في هذا الزمان أشد ندرة، بل مهددة بالانقراض من منابتها الطبيعية في جبال السَّراة .



وفي بطون الجبال غرب تعز ، شاهدت نوعا آخر من هذا الجنس أيضا (*F. populifolia*) يسمونه (المُدَح) بضم الأول وفتح الثاني، وهي شجرة جميلة، تنبت على ضفاف الأودية، أوراقها ناعمة، شديدة الخضرة والرواء، واضحة التعريق. وثمارها تشبه ثمار البدع أو الضرف، ترتفع نحو ٧م . وربما تدلى من سيقانها العلوية عروق هوائية كالبَدَع .

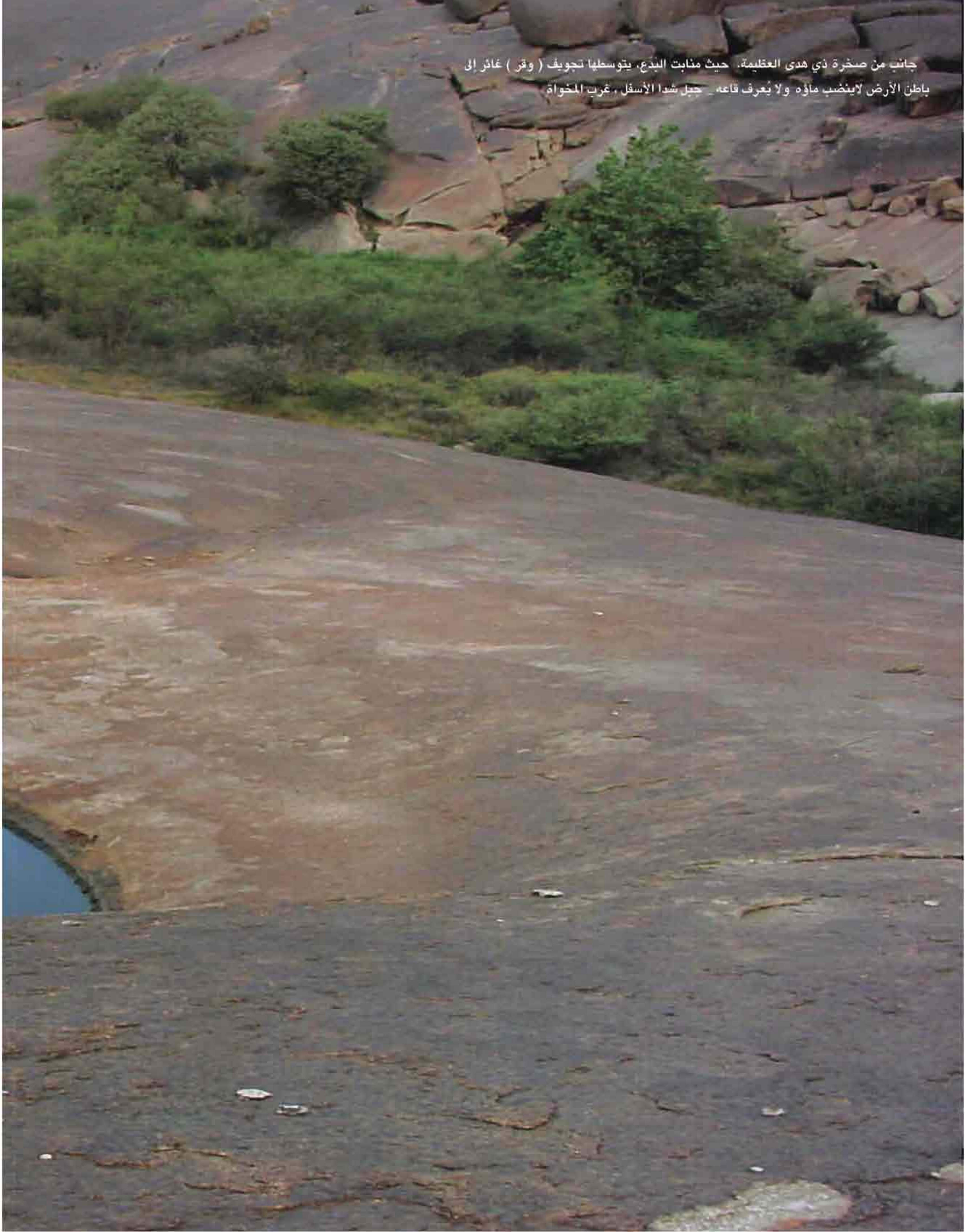
ثم شاهدتها بوفرة في خوانق الأودية من جبال باجل اليمنية، وهنا يسمونها (الخَلَع) ولا يأكلون ثمارها .

---

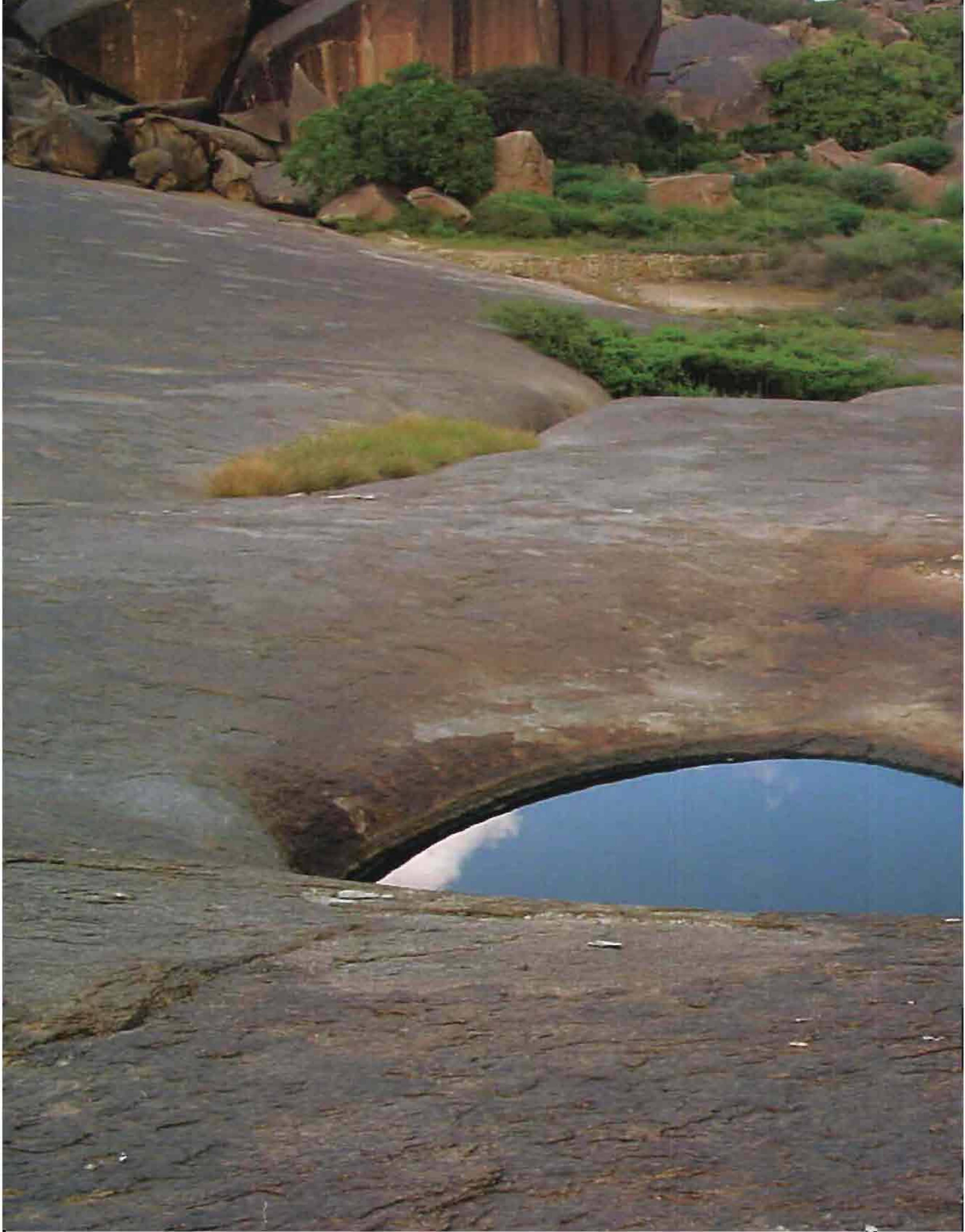
(١) تهذيب اللغة ١٢ / ١١-١٢ .

(٢) كفاية المتحفظ ٢٠٥ . وينظر : الروحة في الضاد والظاء (١ / ق ٣١١) .

(٣) النبات٦ / ٩٦ . وينظر : المخصص ١١ / ١٤٥، والعمدة ٢ / ٤١٤، والمحكم ٨ / ١٢٣، وشمس العلوم ٦ / ٣٩٤٦، ومعجم البلدان ٣ / ٤٥٥، والتكملة ٤ / ٥١٦، والعباب (حرف الفاء) ٣٦٦، واللسان ٨ / ٥٦، والقاموس ١٠٧٢، والتاج ٦ / ١٧١ (ضرف) .



جانب من صخرة ذي هدى العظيمة، حيث منابت البَدع، يتوسطها تجويف (وقر) غائر إلى
باطن الأرض لاينضب ماؤه ولا يُعرف قاعه _ جبل شدا الأسفل ، غرب المخواة



الضُّرْم



قال أبو حنيفة: ((الضُّرْم: شجرة نحو القامة، أغبر اللون، ورقه شبيه بورق الشِّيْح أو أجلُّ قليلاً، وله ثمر أشباه البلوط حمر إلى سواد، تأكله الغَنَم والحُمُر، ولا تأكله الإبل، وله وُرَيد أبيض صغير كثير العسل تجرسه النحل، ولعسله فضل في الجودة والصَّفاء والعذوبة، وله حطب لا جمر له، هو ضِرام، وهو طيب الرائحة يُتشمم، وكذلك دخانه، وتدلك بورقه أجواف الخلايا فتألفها النحل؛ لعجبها به، ويتصحح بدخانه، كما يتصحح بدخان الطَّرفاء، ونباته قضبان كقضبان الطرفاء . والضُّرْم غالب على السَّروات جبالها وحزونها، وقد ينبت في بعض السهول، وواحدته ضُرْمة)) (١) .

قال : ((وقال (أعرابيٌّ من أهل السَّراة) : عسل الضُّرْم لونه كلون الماء، وهو أجود عسلهم . والضُّرْم أبيض النور، ونباته شبيه بنبات النَّدْغ)) (٢) . وقال: ((حداب بني شَبَابة أكثر السَّراة عسلاً وأجوده، والغالب على عسلهم عسل الضُّرْم . وكذلك أخبرني بعض الأزد، وأخبرني أن العسل قِرَى أضيافهم؛ لكثرته عندهم. والسَّراة أكثر أرض العرب عسلا وتينا وزبيبا ورُبًّا، واليمن كلُّها عسل . وأنشدني في عسل الضُّرْم والنَّدْغ في وصف امرأة :

كأن فاها بعدَ نوم الهادي ما تجمعُ النَّحْلُ من الشِّهاد
من ثَمَر الضَّهياءَ والقَتَاد والضُّرْم النَّضْر ونَدْغ ثَاد(٣)

وذكر أبو علي الهَجَري أنه يُسمى الخَوْشَع، قال : ((وزُعِم أن بورَقَان وَقُدْس ضُرْماً)) (٤).

وقال الزَّبيدي : ((والضُّرْم بالضَّم والكسر، الأخير هو المعروف : شجر طيب الريح يكون بجبال الطائف واليمن ... ترعاه النحل، ولعسله فضل يسمى عسل الضِّرْمة)) (٥).

الضُّرم

Lavandula dentata

الفصيلة الشَّفَويَّة - LABIATAE



قلت: الضُّرْم نبات عطري معمر، ينبت في قمم السَّراة والحجاز، على ارتفاع ١٧٠٠ - ٢٥٠٠م . وأكثر منابته الأسناد والحداب الباردة التي ترتوي برطوبة الضباب أياما كثيرة من شهور السنة . ورأيته باعداد كبيرة جدا في السفوح بين السِّحَن من ديار بني سعد ومَيْسان من ديار بلحارث، وكذلك رأيته في سفوح وادي ولْف من ديار خثعم، وفي موسم أزهاره ينزل النَّحَّالة بهذا الوادي فيغلون منه عسلا كثيرا .

يقوم الضُّرْم، في الغالب، على قضبان كثيفة دقيقة بطول ٦٠-٧٠سم، وربما جاوز طوله المتر . له ورق صغير أغبر ناعم مجعَّد، طول الورقة نحو ٣سم، وعرضها نحو ٢مم . يزين رواء وخضرة في الشتاء والربيع، ويذوي في الصيف . والأزهار صغيرة بيضاء وربما بنفسجية، تخرج من أطراف سنابل أو عناقيد بنفسجية تكون في أعلى الساق، تختزن رحيقا حلوا، يجرسه النحل، ويحرص الرُّعاة على امتصاصه .

ينبت الضُّرْم، عادة، قريبا من أشجار العرعر أو في خصاص ظلاله، وليس بينه وبين نبات النَّدْغ شَبَه، كما روى أبو حنيفة، إلا أنهما قد ينبتان معًا .

يتميز الضُّرْم برائحة عطرية ذكية، وتنتج أزهاره عسلاً أبيض أو أبيض مصفر شديد الصفاء، يشف عما وراءه، وربما كان لونه أصفر إلى البنفسجي على لون أصول الزهر، وهو رقيق القوام لذيذ الطعم جدا، من أجود أنواع العسل في جبال السَّراة، يتنافس الناس على شرائه بأثمان عالية، ويسمونه (عسل الضُّرُمَة) وله رائحة عطرية تشبه رائحة الأوراق، تميزه بسهولة عن سائر أنواع العسل. وهو نادر قلما يُباع في الأسواق .





ولا يزال أصحاب النحل هنالك يدعكون بورقه منفردا أو مع الذفراء أجواف الخلايا؛ ليألفها النحل ويتخذها بيوتا.

وليس بزاعم من قال: إن جبلي قدس وورقان ينبتان الضرم، فقد رأيته على قمم هذين الجبلين بين أشجار العرعر بأعداد لا بأس بها، ورأيته كذلك في جبال الفقرة، إلى الشمال من جبل ورقان، ولكن بأعداد قليلة أوشكت على الانقراض، ورأيت الباقي منه في بطون الشعاب حيث مسايل الماء، أو حول ضفافها، ولم أشاهده قط في السفوح البعيدة عن بطون الشعاب أو الأودية .

ورأيت أهل قُدْس يطبخون أوراقه مع (الشّاهي) فتكسبه مذاقا مميزا ونكهة عطرية طيبة، ويضعه أهل ورقان تحت شكاء اللّبَن (الحقين) فتنتقل رائحته النفاذة إلى اللبن، فتكسبه نكهة طيبة وطعما لذيذا، ومنهم من يضعه على اللبن نفسه . وكذا يفعل الناس في ديار بني كبير من غامد يضعونه على الحليب واللبن الرائب مباشرة . ولطيب ريحه تحشى به الوسائد في جبال الفقرة،كالجعدة والإذخر والرّاء (الطِّرْف). وفي ديار بالشَّهْم وخثعم يضعونه مع شيعة البقر داخل كيس من القطن أو نحوه، فيجعلونه مهدا ينام عليه الطفل الرضيع ليلاً، فيمتص بوله، ويهنأ نومه، ويفوح من فراشه وجسده رائحة طيبة، وفي نواح من ديار زهران تستعمل الأوراق لنعومتها لتنظيف الأطفال الرضع بعد انقضاء حاجتهم، فتنظف الموضع وتطهره. وأخبرني رجل عسيري من بني مُغيد أنهم كانوا يعالجون بأوراقه المهروسة آلام العضلات والمفاصل، وأخبرني أحد بني حُرَيْر من سراة زهران أنهم كانوا يمضغون الأوراق فيضمدون بها الجروح الحديثة، فتوقف النزف وتعقم الجرح . وفي ديار هذيل يطبخون الأوراق فيشربون مغليها لعلاج أمراض البرد كالزكام والتهاب الحلق والصدر . وفي سراة خثعم يمضغونه أو يشربون مغليه لعلاج آلام البطن من مغص ونحوه، وفي سراة بني عمر يشربونه لإزالة الحصى من المثانة أو الحالب . وربما استعملوه لعلاج الصداع وآلام المفاصل، وذلك بربط بعض أغصانه المورقة على الموضع المصاب . وربما عالجوا بدخان أزهاره المجففة الأذن الملتهبة .

وفي ديار بني سعد ينطقونه (الضُّرْم) بضم الأول وسكون الثاني، كما







الضرم في جبال الفقرة وورقان، غرب المدينة المنورة

ضبطته خطًا المعاجم العربية، وأهل السَّراة من غامد وزهران وبني عمر وغيرهم ينطقونه (الضُّرُم) بضم الأول والثاني؛ تحقيقا للانسجام الصوتي بين الحرفين، وبه يستقيم وزن البيت الذي أنشده أبو حنيفة عن السروي، والحق أنها لغة قديمة، وإن لم تذكرها المصادر التي لم تنص مطلقا على ضبط الراء . وأما كسر الضاد، كما ذكر الزَّبيدي، فلم أسمعه قط. وفي سراة خثعم يسمونه (الخَوْشَع) كما سماه أبو علي الهَجَري . وأهل الفقرة وورقان يسمونه (الضَّيْمَران) وأهل قدس يسمونه (العُبَيْثران) أو (البُعَيْثران) على القلب، وذكرت لهم أن الضَّيْمَران والعُبَيْثران غير هذا، فلم يعرفوهما . وفي سراة عسير يسمونه (الجَثْجَث) وربما سماه بعضهم (اليَاعَة) ويطلقون هم وغيرهم لفظ (الضِّرْم) بكسر الضاد، وإسكان الراء، على شجرة أو شجيرة من الفصيلة السَّذَابيَّة (*Teclea nobili*) سبق الحديث عنها في رسم السَّذاب .

---

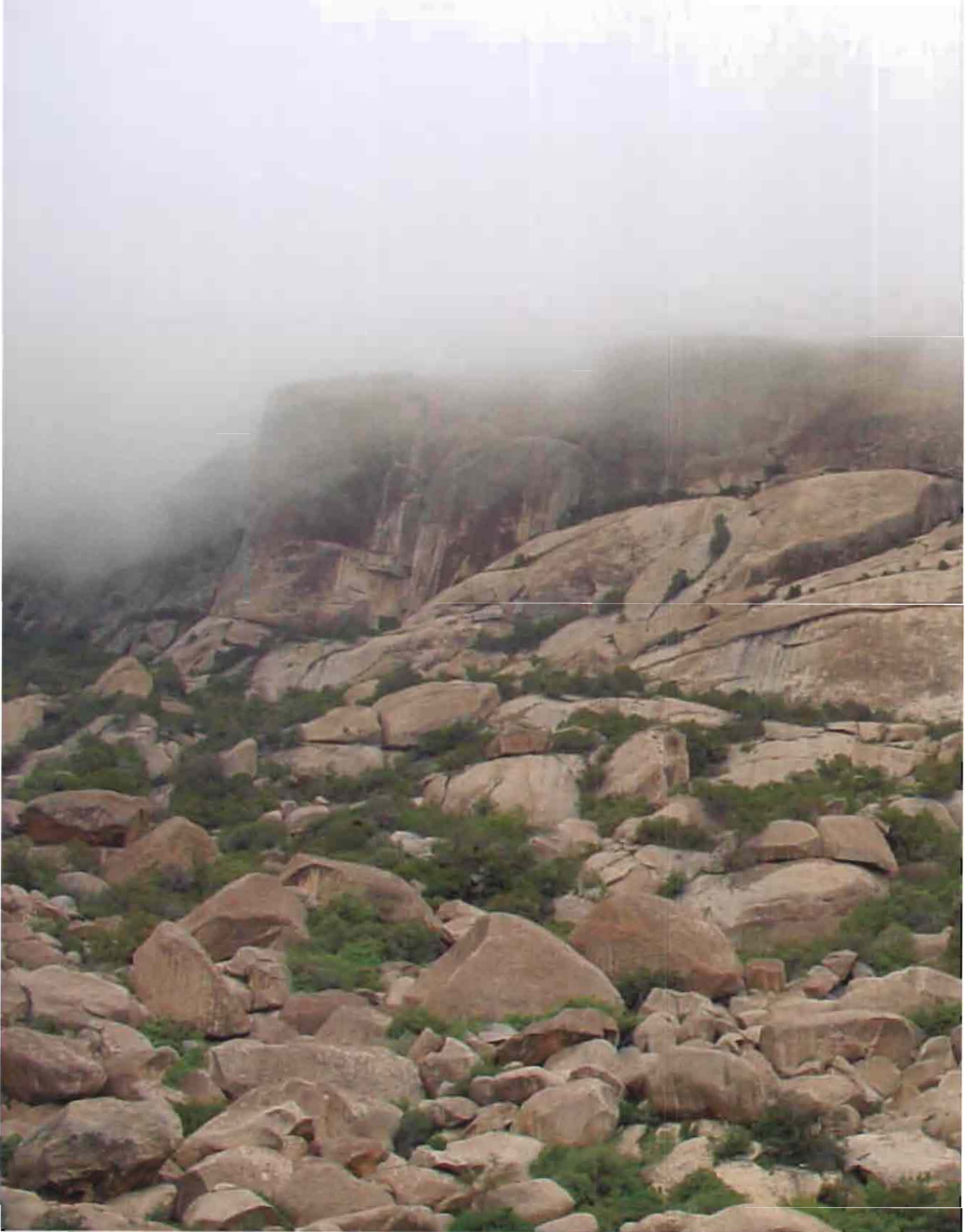
(١) التكملة (ضرم) ٦ / ٧٥ــ ٧٦ .　　(٢) النَّبات٣ / ٢٦٥، ٢١٠، ٢١٩ .　　(٣) النَّبات٣ / ٢٦٦ .

(٤) التعليقات والنوادر ٣ / ١١١٩، ١٣١٠ .

(٥) التاج (ضرم) ٨ / ٣٧٤ . وينظر : الروحة في الضاد والظاء (١ / ق ٢٧٤) والتعليقات والنوادر ٣ / ١١٩٤، والمخصص ٨ / ١٨٢، ١١ / ١٤٥ــ ١٤٦، ١٢ / ٩، والعمدة ٢ / ٤١٤، ونحل عبر النحل ٣٧، والجمهرة ٢ / ٧٥٢، والمحكم ٨ / ١٣٤، واللسان ٨ / ٥٧، والقاموس١٤٦١ (ضرم) .



جبل إبراهيم (بثرة) طود عملاق يلفه السحاب معظم فصلي الشتاء والربيع



الضَّرو



قال أبو حنيفة: ((الضِّرْو من شجر الجبال، والواحدة ضِرْوَة . قال: وأخبرني أعرابيٌّ من أهل السَّراة، قال : شجرة الضِّرْو مثل شجرة البَلُّوْط العظيمة إلا أنها أنعم، وتضربُ أطراف ورقها إلى الحمرة، وهي لَيِّنة،وتثمر عناقيد مثل عناقيد البُطْم، غير أنه أكبر حبًّا، وإذا أدرك شاكه الحُمْرة، وكذلك الورق، ويطبخ ورقه حتى ينضج، ثم يُصفَّى الماء عنه، ويُرد إلى النار فيطبخ حتى يعقد، فيصير كأنه القبيط (١)، ويرفع، فيعالج به لخشونة الصدر والسعال وأوجاع الفم، وفيه عفوصة. وإذا ظهر علكه ظهر صغيرا، ثم لا يزال يربو حتى يصير مثل البطيخة. قال: ويسيل من الضِّرْوة أيضاً حَلَب لزج أسود مثل القار .

ومساويك الضِّرْو طيبة نافعة، وكذلك العِلْك يقع في العطر. ولشبهها بشجرة البُطْم، قال قوم: الضِّرْو: الحبة الخضراء ...)) (٢) .

وقال : ((ومن الشجر الطيب الريح الضِّرْو، وهو جنس من الحبة الخضراء، وليس بها، وله علك أطيب من علك الحبة الخضراء يقع في الطيب ولا يقع فيه علك البُطْم ... وقد ظن قوم، من أهل النظر، أنه هو وليس به، وعلكهما يفرق بينهما لمن عرفه . والضِّرْو بجبال اليمن كثير، ولم يبلغني أن البُطْم ينبت(٣) بشيء من أرض العرب)) (٤) .

وقال ابن دريد : ((البُطْم . معروف . وأهل اليمن يسمون البُطْم شجر الضِّرْو، وكذلك يسميه أهل العالية . قال أبو بكر: والبُطْم الحبة الخضراء)) (٥) .

الضِّرْو

Pistacia falcata

ANACARDIACEAE - الفصيلة البُطميَّة



قلت: الضِّرْوَة شجرة جميلة، واسعة الانتشار في جبال السَّراة والحجاز، تنبت بين شقوق الصخور في الهضاب والسفوح الصخرية الشديدة الانحدار، وذلك على علو ١٥٠٠– ٢٣٠٠م .

ترتفع الضروة نحو ٧ – ٢٠م على جذع خشن ذي شقوق طولية، لونه بني يميل إلى السواد، وإذا طال عليه الأمد عظم جِرْمه، فربما وصل محيطه إلى نحو ثلاثة أمتار أو أكثر. والأوراق كثيفة، ريشيةٌ، فردية، على شكل أزواج متقابلة، بعضها ذو انحناء واضح، تنتهي بوريقة منفردة أصغر من باقي الأوراق، يتراوح عددها ما بين ١٣ – ١٩وريقة، تسقط في الشتاء، وفي الربيع تظهر بلون أحمر زاه، تبهج من حسنه سفوح الجبال، ثم حمراء إلى صفرة قليلة، وفي الصيف تتحول إلى الأخضر اللامع، ولها رائحة عطرية طيبة. وفي السَّراة تمضغ الأوراق الغضة لعلاج أمراض الفم وجروحه، أو لتعطيره برائحة ذكية، ويضعونها في ماء القرب لتطييب نكهته. والإبل حريصة عليها . وربما ظهر على أعناق هذه الأوراق كرات صغيرة خضراء، تشبه ثمر التفاح السَّروي لونًا وحجمًا، تظهر خضراء ثم تصفر، وغلافها صلب، كسرته فوجدته مجوفًا من الداخل، وفيه ما لا يحصى



من حشرات دقيقة تشبه حشرة المَنّ، بيضاء اللون مصفرة . وأما الأوراق التي تظهر على أعناقها تلك الكرات، فإنها تذبل وتموت في الغالب. ولم أشاهد هذه الظاهره على أوراق سواها من الشجر إلا أوراق البُطْم في جبال الحجان، وأوراق شجرة رُقَع في جزيرة سقطرى. فسبحان الخالق المبدع العظيم الذي أعطى كل شيء خلقه، ثم هدى .

وتظهر الأزهار على هيئة عناقيد كثيفة بيضاء مشربة بحمرة، وهي كأزهار التألب لها رائحة طيبة، والنحل يثمرها، فلا يجني منها العسل إنما هي غذاء يتكاثر عليه، ويبني منها أقراص الشمع، والثمار بيضاوية في حجم الحمصة الصغيرة أو أصغر قليلاً، تظهر خضراء، ثم تتحول إلى اللون الأصفر، فالبرتقالي الضارب إلى الحمرة، ثم تصبح سوداء شبه طرية عند تمام النضج، وفي داخل كل ثمرة بذرة واحدة قاسية. وكانوا يأكلون هذه الثمار في أزمنة الجوع، ومازال بعضهم يأكلها إلى يومنا هذا، وطعمها ذو نكهة طيبة. وربما أكلوا معها





الأوراق الغضة، والنساء الحوامل حريصات على أكلها وهي خضراء لمذاقها الحامض اللذيذ. والقرود تأكلها بنهم، وكذلك الطيور، وبخاصة طيور القَهْبي (الشنَّير) وتسمن عليها . وسمعت أهل جبال الفقرة وورقان من حرب، وأهل جبال رضوى والأجرد والكويرة من جهينة، وأهل جبال الوَرْد من بلي يسمون هذه الثمار (الحَليْبة)، ولم أعرف منهم علة لهذه التسمية، وربما اعتبروها غذاء يقوم مقام الحليب، فمن ذلك سموها.

وعلك الضروة أبيض مشرب بصفرة يخرج على الجذع صغيراً، فلا يزال يكبر حتى يصير إلى زنة رطل واحد أو أكثر. وما زال مغليه يستعمل للسعال وأمراض الصدر. ويتخذه الناس علكًا،







فيعطر الفم ويطهره، ويستعملونه بخورا، فينبعث منه رائحة طيبة جدا . وكان سلعة رابحة يبيعه السَّرويون بأثمان عالية، ويسمونه (المَصْطكى)، وهو (المَسْتكة) في ديار بني كلب من جهينه .

أما السائل الذي تفرزه فلونه أحمر داكن، يَسْوَدُّ – كما قال السَّرويّ – مع التقادم . وأكثر ما يكون بعد موسم مطير .

وجذع الضَروة قوي لا يقل صلابة عن جذعِ العرعر والعتم، يستعمله السرويون في تسقيف المنازل، ويصنعون منه المَرَازح (الزَّوَافر) الحاملة لأسقف المنازل، ويصنعون منه كذلك الصحاف، والعَجَلات (المحَّالات) والدَّراجات، والأبواب، وخلايا النحل، وغيرها. وأما أهل ورقان وقدس فيرون أن أعواد هذه الشجرة لا تصلح للبناء، أو نحو ذلك من الأغراض الجادة؛ يرون أنها سريعة التشقق والعطب. ولا خلاف في أن وقودها جيد، طويل التوهج قليل الدخان . وأخبرني رجل بلويّ من أهل جبال الوَرْد أنهم لا يطبخون القهوة بحطب الضرو؛ لأن دخانه يفوح برائحة عطرية تغير طعم القهوة، ولكن يستعملونه في تبخير البيوت وتعطيرها برائحته الطيبة .







نتوء كروي يتكون على عنق الورقة بفعل نوع من الحشرات

ورأيت الضروة بأعداد كبيرة في جبال الريث شرق منطقة جازان، وأهل هذه الجبال ينطقونها (الثِّرْو) بالثاء . وسمعت بعض أهل ترعة ثقيف جنوب منطقة الطائف ينطقها (الذِّرْو) بالذال .

وأخبرني البلوي بأنها كانت كثيرة في جبالهم، وأما اليوم فقد انقرضت بسبب الجفاف إلا النزر اليسير .

وفي جبال الفقرة وورقان والكويرة ورضوى غرب المدينة المنورة وشمالها الغربي شاهدت شجرة من نوع الضرو (*P. khinjuk*) هي أكثر انتشارا في تلك الجبال من الضروة، ولكن تشببها إلى حد كبير، ومع تميزها الواضح عن الضروة، لم أجد أحدا من أهل تلك الجبال يفرق بينهما، ويسمون كلا النوعين ضروا، وهي مقارنة بالضروة صغيرة الحجم، لا يزيد ارتفاع ما شاهدت منها على





● البُطْم ــ *P. khinjuk* على سفوح جبال الفقرة

خمسة أمتار، ولا يعظم ساقها كالضروة، وأوراقها ريشية كأوراق الضروة، ولكن أعرض منها، ولا يزيد عدد وريقاتها، في الغالب، على سبع أو تسع وريقات، وربما إحدى عشرة وريقة، تنتهي بوريقة واحدة كبيرة شبه بيضاوية ، وخضرتها قاتمة، غير لامعة، يعلوها مع التقادم غبرة يسيرة، ولها رائحة عطرية طيبة تميزها بوضوح عن رائحة أوراق الضرو، تشبه بشدة رائحة بعض أنواع المانجو . ويظهر على أعناقها مثل تلك الكرات التي تظهر على أوراق الضرو . وسمعت أهل جبال الفقرة من حرب يسمون هذه الكرات في كلا النوعين (البُطْم) فذكرت لهم أن البُطْم اسم لهذا النوع من الضرو، فلم يعرفوه بهذه الدلالة، وربما جاءت من استعمال قديم منسي . وتظهر عليها السُّرْفة كذلك، فتعريها كالتألبة من أوراقها. وسمعت أهل جبل رضوى يسمونها (الكُرْش) . وأما نظامها الزهري والثمري فشبيه به في الضروة . وقد ظهر لي من أول الأمر أن هذه



ورق الضَّرْو　　　ورق البُطْم



الشجرة هي التي تسمى البُطْم عند القدماء، وثمرها الحبة الخضراء، ثم تأكد ذلك حين شاهدتها في رحلتي إلى جبال مَدْيَن غرب تبوك، في منتصف شهر صفر من عام ١٤٢٤هـ حيث وجدت أهل هذه الجبال من الحويطات وبني عطية يسمونها (البُطُم) بضم الأول والثاني، لا يعرفونها بغير هذا الاسم، ولم أشاهد الضَّرو فوصفته لهم وأريتهم صورته، فلم يعرفوه. قال دليلي الحويطي: وكنا نعتلي قمم الجبال لجمع ثمارها في آنية خاصة، ونسميها (العَلِيَّة) ونسمي زهرها (القَطْف). وذكر عبدالله فيلبي (هاري سانت) في كتابة (أرض مدين) أنه شاهد شجرة البطم بأعالي وادي الأبيض، شرق جبال اللوز، على ارتفاع ١٥٩٣م، قال: وهي الضَّرْوَة المذكورة في الإنجيل(١).

ولم يعلم أبو حنيفة بأن البطم من نبات أرض العرب حين قال: ((البُطْم شجرة الحبة الخضراء، والواحدة بُطْمَة، وقد يقال لثمره أيضًا: البُطْم، وهو اسم عربي وما أخبرني أحد أنه ينبت بأرض العرب إلا أنهم زعموا أن الضَّرْو قريب الشبه به وكذلك علكه)) (٧).



---

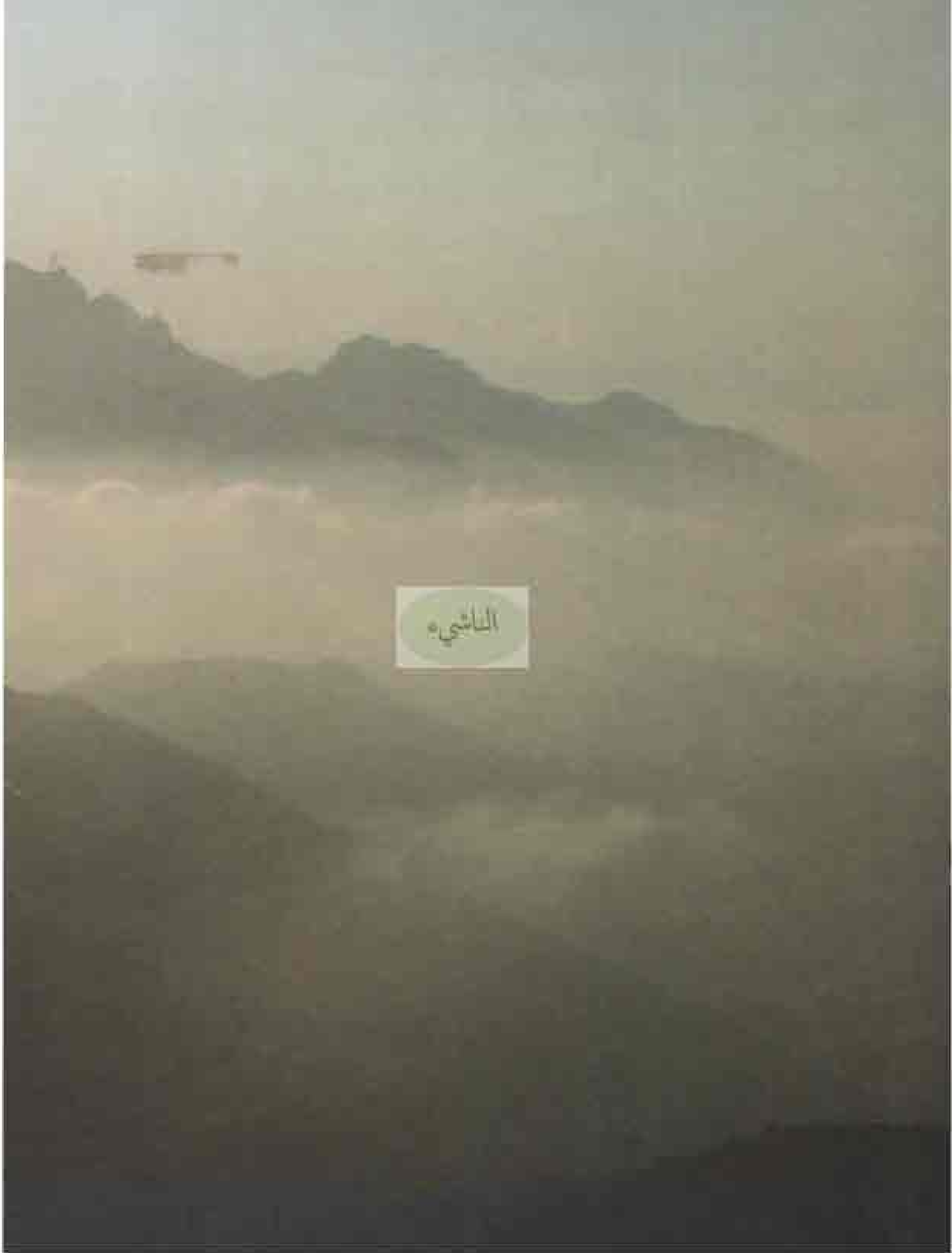
(١) القبيطة: نوع من الحلواء.
(٢) النبات ٦ / ٩٧-١٠٠.
(٣) في الأصل يلبث، وهو تحريف.
(٤) النبات ٣ / ٢١٦، ٩٢، ٢٢٨.
(٥) الجمهرة ١ / ٣٦. ويظر: ديوان النابغة الجعدي١٩١، وجران العود ١١٩، والأمثال لأبي عبيد ٦٨، وأدب الكاتب ٩٠، والحيوان ٥ / ٤٥٢، ٤٥٤، والروضة في الضاد والظاء (١ / ق٣٤٤)، ومعجم ما استعجم ١ / ٢٣٧، والمخصص ١١ / ١٤٤، وحديقة الأزهار ٢٢٩، ومعجم البلدان ٥ / ٢٥٨، وجامع ابن البيطار ٣ / ١٢٤، والمعتمد ٢٩٧، والعمدة ٢ / ٤٦٤، ومسالك الأبصار ٢٠ / ٢٥٨، والصحاح ٦ / ٢٤٠٨، وشمس العلوم ٦ / ٣٩٤٤، والتكملة ٦ / ٥٨، واللسان ٢ / ٤٣٣، ٨ / ٥٨، ١٢ / ٦٦، ١٤ / ١٨٢، والقاموس١٦٨٢، والتاج ١٠ / ٢٢٩ (ضرو).
(٦) أرض مدين ٤١.　　　(٧) النبات ٥ / ٤٧.

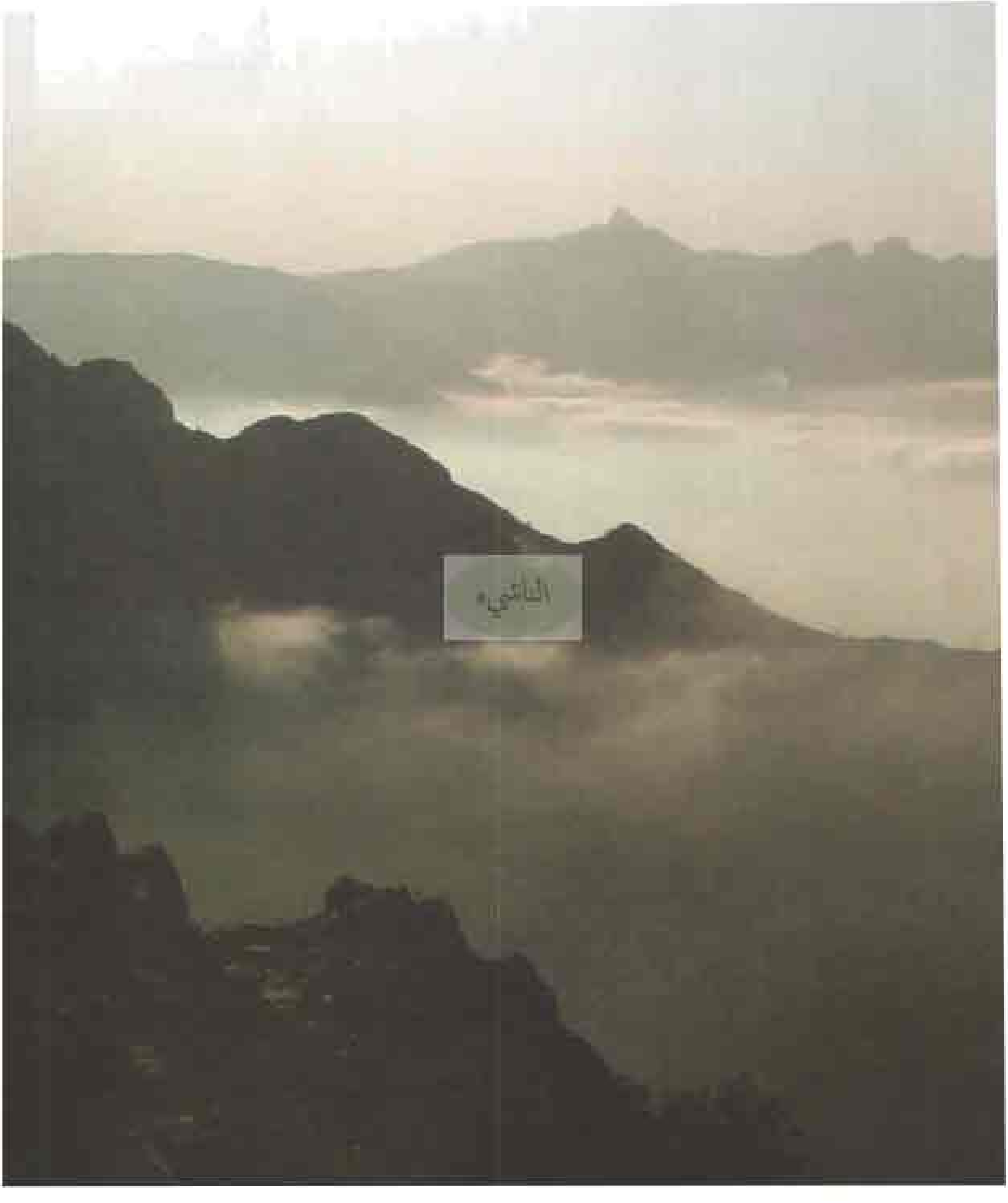


نباتات العرعر في منتصف عقبة الحفياء - تصوير المؤلف



الناشيء


الناشر


الباقي

الناشر